تفسير

بيان السعادة في مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

٢

بيان السعادة

في

مقامات العبادة

تأليف

العارف الشهير

الحاج سلطان محمد الجنابذي

الملقب بسلطان علي شاه

طاب ثراه

المجلد الثاني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

سورة النّساء

مدنيّة كلّها وقيل سوى آية انّ الله يأمركم ان تؤدّوا ، و آية يستفتونك فى النّساء

بسم الله الرحمن الرحيم

[يٰا اَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَبَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثيراً وَ نِسٰاءً] لمّا كان تلك الحكاية و امثالها من مرموزات الاوائل من الانبياء و الاولياء والحكماء التّابعين لهم وحملها العوامّ من النّاس على ظواهرها اختلف الاخبار فى تصديقها وتقريرها وتكذيبها وتوهينها فانّ فى كيفيّة خلقة آدم (ع) وحوّاء (ع) وتناسلهما وتناكحهما وتناكح اولادهما، وكذا فى قصّة هاروت وماروت وقصّة داود (ع) وغير ذلك اختلافاً كثيراً فى الاخبار واضطراباً شديداً بحيث يورث التحيّر والاضطراب لمن لاخبرة له ، حتّى يكاد يخرج من الدّين ولكنّ الرّاسخين فى العلم يعلمون انّ كلّاً من معادن النبوّة ومحالّ الوحى صدر ولا اختلاف فيها ولا اضطراب ؛ جعلنا الله منهم والله ولىّ التّوفيق ، ولمّا كان المقصود الوصاية فى امر الايتام والاهتمام بهم و باموالهم اكّد الامر بالتّقوى بالتّكرير فقال تعالى [وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذى تَسٰاءَلُونَ بِهِ وَالْاَرْحٰامَ] وعلّقه اوّلاً على وصف الرّبوبيّة المقتضية للتّقوى عن مخالفته ووصفه ايضاً بما يقتضى التّقوى و علّقه ثانياً على وصف الالٰهيّة و وصفه بما يقتضى تعظيمه و قرن الارحام به بالعطف على الضّمير المجرور او على الله مبالغة فى حفظ الارحام و تمهيداً لاظهارا لمقصود من حفظ الايتام فانّ الحافظ للايتام فى الاغلب ذووالارحام ومحافظة الرّحم وتعظيمه ممّا يحكم به العقل والعرف وورد فى الشّريعة مالايحصى فى الاهتمام به.

اعلم انّ الله تعالى شأنه خلق الانسان ذانشأتين وبحسب كلّ نشأة جعل له اصولاً وفروعاً ويسمّى اصوله و فروعه و من انتهى معه الى اصلٍ واحدٍ ارحاماً لانتهائهم الى رحمٍ واحدٍ و التّفاضل بين ارحامه الجسمانيّة وارحامه الرّوحانيّة كالتّفاضل بين الرّوح والجسم ، وفضل صلة الارحام الرّوحانيّة على الجسمانيّة كفضل الرّوح على الجسم لا يقال : من انتسب الى الشّيطان كان نسبته الرّوحانيّة الى الشّيطان وكان المنتسب الى الشّيطان رحماً له فليزم له مراعاته وصلته مع انّه مأمور بمباغضته وقطيعته لانّا نقول :كما اسّس الله تعالى لصحّة النّسبة الجسمانيّة فى كلّ ملّة و شريعة ما تبتنى عليه ومن لم تكن نسبته مبتنيةً على ما اسّسه كان لغيّة وحاله مع اصوله وفروع اصوله كحال الاجنبىّ من غير فرقٍ ومن لم يكن رحماً لهم كما لم يكونوا ارحاماً له كذلك اسّس الله تعالى

لصحّة النّسبة الرّوحانيّة ما تبتنى عليه ومن لم تكن نسبته مبتنية ًعلى ما اسّسه كان لغيّة ولااعتبار بنسبته ، **لايقال :** على هذا يلزم ان يكون من انتسب الى الانبياء(ع) من غير الابتناء على ما اسّسه الله تعالى لغيّة نعوذ بالله من هذا القول، **لانّا نقول:** الانتساب اليهم(ع) من غير الابتناء على ما به الانتساب محال، لانّ من لم يكن له امام من الله يأتمّ به و انتحل الانتساب اليهم كان داخل النّسب وكان الايتمار بشريعتهم نحلة لاملّة و لذا ورد فى الاخبار المعصوميّة : من اصبح من هذه الامّة لاامام له من الله ظاهر عادل اصبح ضالّاً تائهاً ، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق اعاذنا الله ، وبهذا المضمون منهم روايات كثيرة وكما انّ داخل النّسب فى النّسبة الجسمانيّة ملعون كذلك من لم تكن نسبته الى من انتسب اليه بحسب الرّوحانيّة مبتنية على ما يصحّحها كان داخل النّسب وكان ملعوناً و نسبة اللغيّة الى اللغيّة و نسبة داخل النّسب الى داخل النّسب كنسبة الرّوح الى الجسد [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] ايّها المأمورون بالتّقوى ومراعاة الارحام وحفظ اموال الايتام فيطّلع على خيانتكم سرّاً وعلانيةً [وَآتُوا الْيَتٰامىٰ أَمْوالَهُمْ] بعد الحفظ وانس الرّشد منهم [وَلاٰ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ] الرّدئ من اموالكم [بِالطَّيِّبِ] الجيّد من اموالهم او الحرام من اموالهم بالحلال المقدّر لكم فانّ من ارتزق بالحرام حرم المقدّر له من الحلال لكنّ الاوّل هو المراد لانّ قوله تعالى [وَلاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلىٰ أَمْوٰالِكُمْ] يفيد الثّانى.

اعلم انّ اليتيم كالرّحم روحانىّ وجسمانىّ فالجسمانىّ من انقطع فى صغره عن ابيه الجسمانىّ ، والرّوحانىّ من انقطع عن امامه الّذى هو ابوه الرّوحانىّ كما ورد تصريحاً و اشارةً واليتيم عن الامام امّا بغيبته عن شهود حسّه بموتٍ و غيره اوبغيبته عن شهود بصيرته بعدم استعداد الحضور و عدم حصول الفكر الّذى هو مصطلح الصّوفيّة ، فانّ من لم يتمثّل مثال الشّيخ فى صدره ولم يشاهد صورته المثاليّة بعين بصيرته كان منقطعاً عن امامه وحقّه الخدمة والمواساة والمحبّة والنّصيحة الّتى يعطون الميثاق عليها؛ هذا هو اليتيم الرّوحانىّ فى العالم الكبير، وامّا فى العالم الصّغير فالقوى الحيوانيّة والبشريّة ما لم تبلغ فى التبعيّة للنّفس الى مقام التّمتّع والالتذاذ بشهود النّفس لشيخها تكون يتامى ومالها وحقّها التلذّذ بمشتهياتها ومقتضياتها فى الحلال فانّ التلذّذ فى الحلال جعل قسيماً لتزوّد المعاد فى الاخبار ، و لمّا كان منع اليتامى باىّ معنىً كان عن حقّهم ظلماً على المظلوم الّذى كان مستحقّاً للتّرحّم عظّم تعالى ذنبه فقال تعالى [إِنَّهُ كٰانَ حُوباً كَبِيراً] اى ذنباً عظيماً [وَإِنْ خِفْتُمْ] ايّها النّاظرون فى امر اليتامى اذا اردتم نكاحهنّ ضنّة بأموالهنّ [أَنْ لاٰ تُقْسِطُوا فِي الْيَتٰامىٰ] بالتّقصير فى حقّهنّ [فَ] دعوا نكاحهنّ و [انْكِحُوا مٰا طٰابَ لَكُمْ مِنَ النِّسٰاءِ] وعن اميرالمؤمنين (ع) فى جواب مسائل الزّنديق الّذى سأل عن اشياء انّه اسقط بين طرفى تلك الآية اكثر من ثلث القرآن [مَثْنىٰ وَثُلاٰثَ وَرُبٰاعَ] تخيير بين الواحدة الى اربع وايضاً تخيير فى الاستبدال فانّ فى هذا الوزن دلالة على التّكرير [فَإِنْ خِفْتُمْ] ايّها الرّاغبون فى النّكاح [أَلاّٰ تَعْدِلُوا] بينهنّ اذا كنّ اكثر من الواحدة [فَ] انكحوا [وٰاحِدَةً أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ] ان خفتم التّقصير فى حقّ الحرّة [ذٰلِكَ أَدْنىٰ أَلاّٰ تَعُولُوا] اى لاتميلوا عن الحقّ اولاتمونوا فتعسروا فانّ خفّة العيال احد اليسارين كما فى الخبر [وَآتُوا النِّسٰاءَ] ايّها الازواج [صَدُقٰاتِهِنَّ نِحْلَةً] منكم لهنّ اى عطيّة وفيه تنشيطاً لهم فانّ استردادا لعطيّة فى غاية القبح وان كان الخطاب لاولياء النّكاح لانّهم كانوا يأخذون الصّداق لانفسهم كما هو الان كذلك فى بعض الاعراب والاكراد فالمعنى آتوهنّ صدقاتهنّ ايّها الاولياء فانّها عطيّة لهنّ

فليس لكم ان تأخذوها [فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ] ای من الصّداق [نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً] .

اعلم انّ الانسان ذونشأة محسوسة وذونشأة غير محسوسة وله بحسب كلّ نشأة ما ينفعه و ما يضرّه وكلّ من ميّز بين النّافع و الضّارّ و قدر على جلب النّافع و دفع الضّارّ يسمّى عاقلاً و رشيداً ، و من لم يميّز او لم يقدر يسمّى سفيهاً لكن لاملازمة بين سفاهة الدّنيا وسفاهة الآخرة ؛ فكم من سفيه فی الدّنيا عاقل فی الآخرة، وكم من عاقل فی الدّنيا سفيه فی الآخرة فمعاوية مع كونه ملقّباً باعقل زمانه سفيه ، و البهلول مع كونه مجنوناً عاقل ، واختلاف الاخبار فی تفسير السّفيه بمن لم يكن تصرّفه فی ماله علی وجه يرتضيه العقل وبمن لم يعرف الحقّ وبشارب الخمروبمن لم يدخل فی هذاالامر بحسب اختلاف النّشأتين، فانّ العاقل بحسب النّشأة الآخرة من عرف امامه ودخل علی الوجه المقرّر فی ولايته وبايعه بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة و دخل الايمان فی قلبه و لذلك نسبوا الی شيعتهم العقل والعلم والتّعلّم والعرفان وغير ذلك ممّا يدلّ علی كونهم عاقلين مع انّ اكثرهم لم يكونوا من اهل العلوم الرّسميّة و العقول الدّنيويّة بل كانوا فی نظر اهل الدّنيا مجانين و سفهاء كما قالوا : انؤمن كما آمن السّفهاء ، وقالوا : ام به جنّة ، وكما انّ الشّرع والعقل حاكمان بقبح اعطاء المال الدّنيویّ للسّفيه من الاولاد و الازواج او الايتام الّذين فی تربيتكم او غيرهم ممّن يضيّع المال او من لايعرف الحقّ كذلك حاكمان بقبح اعطاء المال الاخرویّ من العلم والحكمة لمن لم يكن اهله ولم يعرف الحقّ فانّ الله يأمركم ان تؤدّوا الامانات الی اهلها يعنی لا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تعطوها غير اهلها فتظلموها وتكونوا كمن علّق الدرّ علی اعناق الخنازير [وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ] بان تمكّنوهم فيها لتحصيل رزقهم وكسوتهم منها بالعمل فيها بحيث لم ينقص من اصل المال شیء سواء زاد فيها بعملهم اولا ، وانّما قال فی الآية الآتية : وارزقوهم منها لانّ المعطی هناك من اصل المال [وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً] لا ازدراء فيه ولا لوم [وَ] امّا اموال اليتامی ف‍ [ابْتَلُوا الْيَتَامَى] باختبار احوالهم من اوان تميزهم وزمان صغرهم [حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً] وعدم تضييع للمال [فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ] عن الصّادق (ع) اشارة الی وجه من وجوه التّأويل فی هذه انّه قال : اذا رأيتموهم يحبّون آل محمّد (ص) فادفعوهم درجة يعنی وابتلوا يتامی آل محمّد (ص) وراقبوا فی تربيتهم ايّها المربّون ليتامی آل محمّد (ص) حتّی اذا بلغوا مقام الزّواج بالشّواهد الآلهيّة والواردات الغيبيّة فان آنستم منهم رشداً وثباتاً فی المحبّة وعدم افشاء الاسرار بهوی النّفس فادفعوهم عن مقامهم الدّانی درجة كما هو شأن الائمّة (ع) و المشايخ فی تربية اطفال الطّريق و ايتام السّلوك [وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً] تجاوزاً عن حدّ المعروف [وَبِدَاراً] ای مسرعين فی الأكل خوف [أَنْ يَكْبَرُوا] اومبادرين كبرهم [وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً] عن اموالهم بعدم اشتغاله بها عن معيشته اوبعدم حاجته اليها لغنائه فی نفسه [فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً] لاجل اشتغاله عن مرمّة معيشته بواسطة اصلاح اموالهم او كان فقيراً فی نفسه [فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ] ای بقدر اجرة اشتغاله بها فانّ الأكل بالمعروف عند الشّرع و العقل ماكان بقدر اجرة اشتغاله عن اصلاح معيشته لا اصلاح معيشته عن اموالهم و ان كان اضعاف عمله و بما فسّرنا يمكن الجمع بين المتخالفات من الاخبار فی هذاالمقام ولمّا كان السّورة المباركة اكثرها فی آداب المعاشرة وتدبير

المنزل وسياسة المدن ، و من جملة الحزم فى المعاشرة ان تكون بريئاً من المخاصمة متّقياً عن مواضع التّهمة حافظاً لعرضك عن افواه النّاس مجتنبا عمّا فيه الملامة وذلك بان يكون معاملتك مع الغير سالماً عن الشّبهة و الادّعاء الباطل ولا يمكن السّلامة الّا بان يكون ثالث بينك و بين من تعامله حتّى يكون مانعاً لادّعائه باطلاً و مطّلعاً حتّى يرفع الشّبهة اذا وقعت ، علّم الله تعالى عباده ذلك فقال تعالى [فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ] ولاتخونوا فيما لم يطّلع هوولاغيره عليه لانّ الله تعالى شاهد عليكم ويحاسبكم بدقيق ماعندكم وجليله [وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً] هذا بحسب التّنزيل وامّا بحسب التّأويل فيقال: اذا دفعتم الى يتامى آل محمّد (ص) بعد الاستحقاق ما يستحقّونه من رفع درجة فأشهدوا الله و ملائكته عليهم حتّى يكونوا بمرأى من الله و ملائكته ويكون اعطاؤكم باذنٍ من الله بل بمرأى منه بل بيده حتّى لايكون انفسكم واسطةً بينهم وبين الله ويكون المحاسب هو الله وكفى بالله حسيباً [لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً] بيان لآداب التّوارث و نهى عن رسوم الجاهليّة من منع النّساء عن الارث [وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ] من غير الورّاث [وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ] من غير اولى القربى [فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ] تصدّقاً عليهم و تطييباً لنفوسهم فانّه مورث لترويح المورّث وبركة الوارث ولاتؤذوهم بأيديكم والسنتكم [وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً] باستقلال العطيّة والاعتذار عنه والاحترام لهم اكثر من سائر الاوقات ولمّا كان الامر بظاهره مفيداً للوجوب والمقصود الاستحباب لا الوجوب اختلف الاخبار فى انّها منسوخة او باقية فما أفاد نسخها خوطب بها من فهم الوجوب ، و ما أفاد بقاءها خوطب بها من فهم الاستحباب ، ولمّا كانت النّفوس متفاوتة فى التّناهى عن المنهيّات لانّ تناهيها امّا لخوف الافتضاح بين النّاس ، اواطّلاع الغير عليها ، اوتسلّط الظّالم ، اورفع البركة ، اوتضييع اولادها بالمكافاة ، اوسوء العاقبة والعذاب فى الآخرة ذكر الله تعالى فى مقام التّأكيد فى امر اليتامى والتّهديد عن الخيانة والتّوانى عن المحافظة بعضاً منها فقال تعالى : [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ] فانّ الدّار دار مكافاةٍ وليعلموا انّ مايدينون به فى يتامى الغير يدانون به فى يتاماهم [فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ] فى الخيانة فى حقّهم والتّوانى فى تربيتهم والخشونة فى القول معهم [وَلْيَقُولُوا] لهم [قَوْلاً سَدِيداً] لايجرئهم على عدم الانقياد ولايزجرهم زائداً على قدر تربيتهم، هذا تهديد عن المكافاة فى حقّ الاولاد [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ] اى يدخلون بأكل اموال اليتامى [فِي بُطُونِهِمْ نَاراً] اى ما يؤدّى الى اكل النّار اودخول النّار [وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً] هذا تهديد عن سوء العاقبة و العذاب فى الآخرة [يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي] ميراث [أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] لوجوهٍ كثيرةٍ ذكرت فى الاخبار وغيرها [فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ] ممّا ترك [فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ] هذا احد مواضع الحجب ولا يحجب الامّ عن نصيبها الا على الّا متعدّد اقلّه اثنان

ولفظ الاخوة ايضاً يدلّ عليه فانّه لايطلق على الواحد والاختان بمنزلة اخ واحد [مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً] فتتصرّفون فى اموالكم بأهويتكم وتعطون البعض و تحرمون البعض بل النّافع لكم ان تنقادوا لقسمة الله و تكلوا الى حكم الله فانّه انفع لكم ولابائكم واولادكم اعتراض مؤكّد لتسليم القسمة الى حكم الله تعالى، يوصيكم بهذه القسمة وصيّة [فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ] اوفرض هذه القسمة فريضة من الله فلاتتجاوزوا وصيّته وحكمه [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] فلاينبغى للجاهل العاجز ان يخالفه و يغيّر ما امره [وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً] والمراد بها هنا الاخوة والاخوات من جهة الامّ خاصّة وللآية وجوه عديدة بحسب الاعراب والمعنى لايتغيّر المقصود بها [أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ] بالزّيادة على الثّلث اوبقصد الاضرار بالاقرار على الوارث يوصيكم [وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ] فلاتخالفوه [حَلِيمٌ] فلا تغترّوا بعدم تعجيل مؤاخذته واحذروا فى العاقبة من معاقبته [تِلْكَ] الّتى امرناكم بها من آداب المعاشرة فى حقّ اليتامى والازواج والتّوارث [حُدُودُ اللَّهِ] الّتى من تجاوزعنها افترسه الغيلان ومن دخل فيها كان آمنا [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فى المحافظة على حدوده صارمن خواصّ الله، ومن صارمن خواصّ الله [يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ] آية الفروض والانصباء وان كانت مجملة غير وافية بتمام الفروض ولا ببيان الزّيادة على الفروض ولا النّقيصة عنها لكن اهل الكتاب الّذين نزل فيهم بيّنوه لنا فلاحاجة لنا الى ماقاسته عقولنا النّاقصة ومسئلة العول والتّعصيب الّتى هى من امّهات ماتخالف العامّة والخاصّة فيها نشأت من الاعراض عن اهل الكتاب والاتّكال على العقول النّاقصة فى كلّ باب [وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ] هذه الآية فى كيفيّة سياسة الخارجين من الحدود [فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ] فاطلبوا من القاذف اربعة رجال من المؤمنين [فَإِنْ شَهِدُوا] بالكيفيّة المعتبرة فى الشّهادة على الزّنا [فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً] لمّا كان هذه الآية فى ابتداء تأسيس السّياسات لم يشدّد فى السّياسة، ولمّا تمّ الاسلام وقوى انزلت سورة النّور والحدّ و الرّجم للزّانى والزّانية ولذا قالوا نسخت هذه الاية بما فى سورة النّور والسّبيل هو الحدّ والرّجم [وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا] بزجر الرّجل وحبس المرأة [فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا] وخلّوا سبيلهما [إِنَّ اللَّهَ كَانَ

تَوّاباً رَحِيماً] يتوب على من تاب ويرحم على من ندم ، ولمّا اوهم من نسبة وصف التّوبة والرّحمة اليه تعالى انّه يتوب على العاصي ايّ عاص كان استدركه فقال تعالى : [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ] يعنى انّ التوبة حالكونها واجبة على الله بمقتضى وعده وايجابه ليست الّا [لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ] ويجوز ان يكون على الله خبراً.

تحقيق كون السّيئات تماماً بجهالة

اعلم انّه تعالى خلق اوّل ما خلق عالم العقول الكلّيّة الّتى يعبّر عنها بالقلم والملائكة المقرّبين والكتاب المبين وغيرذلك من الاسماء اللائقة المطلقة عليها، ثمّ عالم العقول العرضيّة الّتى تسمّى فى لسان الحكماء بأرباب الانواع وأرباب الطّلسماب وبالارواح والصّافّات صفّاً، ثمّ عالم النّفوس الكلّيّة الّتى تسمّى باللّوح المحفوظ والمدبّرات امراً، ثمّ عالم النّفوس الجزئيّة الّتى تسمّى بالملائكة ذوى الاجنحة وبالقدر العلميّ ولوح المحو والاثبات وبعالم الملكوت العليا وبعالم المثال و الاشباح النّوريّة ، ثمّ عالم الاجسام علويّة كانت او سفليّة من العناصر و مواليدها و تسمّى بالاشباح الظّلمانيّة والقدر العينيّ، ثمّ عالم الارواح الخبيثة الّتى هى الشّياطين والجنّة والارواح البشريّة الّتى تلحق بها وتسمّى بعالم الملكوت السّفليّ وهذا العالم بحسب رتبة الوجود تحت عالم الطّبع كما انّ عالم المثال النّوريّ فوق عالم الطّبع ، وهذا العالم أنكره كثيرٌ من الحكماء القائلين بالاشباح النّوريّة والاجسام المجرّدة الّتى تسمّى عندهم بعالم المثال وهم اتباع صاحب الاشراق ، والمشّاؤن أنكروا المثال النّوريّ فضلاً عن الظّلمانيّ وقالوا: انّ الموجود الممكن امّا مجرّد صرف اومادّيّ صرف وامّا المتقدّر المجرّد عن المادّة فلاوجود له، وامّا المتكلّمون و الفقهاء فليس شأنهم البحث عن امثال هذا من حيث اشتغالهم بالفقه والكلام فانّ موضوع الفقه افعال العباد من حيث الصّحّة والفساد الشّرعيّ ، وموضوع الكلام العقائد الدّينيّة المأخوذة عن المسلّميّات ، والدّليل على وجود العالمين شهود اهل الشّهود لهذين العالمين ومنامات عامّة الخلق ورؤيتهم فى المنام الملذّات والموذيات ومطابقة رؤياهم للواقع فى بعض الاوقات ، ولولاشهودهم لتينك فى عالم محقّق مطابق لما فى هذا العالم محيط به لما طابق الواقع وخلوّ المثال النّوريّ عمّا يؤذى دليل على المثال الظّلمانيّ، وتصرّفات اهل الشرّ فى هذا العالم مثل تصرّفات اهل الخير شاهد على وجود المثال الظّلمانيّ واحاطته بهذا العالم ، واطّلاع اهل الشّرّ على المغيبات و اشرافهم على الخواطر كاطّلاع اهل الخير يشهد بذلك ، و اشارات الكتاب وشواهد السّنّة على وجود هذا العالم كثيرة، فتح الله عيوننا بها، ولمّا كانت العوالم تجلّيّاته تعالى شأنه واسماؤه اللّطفيّة سابقة على اسمائه القهريّة كان خلق العوالم النّوريّة بارواحها و اشباحها من تجلّيّاته اللّطفيّة الخالصة ، ولمّا تمّ تجلّيّاته النّوريّة الخالصة فى عالم المثال النّوريّ تجلّى باسمائه اللّطفيّة والقهريّة فصار عالم الطّبع موجوداً، ثمّ تجلّى باسمائه القهريّة بحيث كان اللّطف مقهوراً تحت القهر فصار عالم المثال السّفليّ موجوداً ، وبوجه آخر لمّا انتهى تجلّيّاته تعالى الى عالم الطّبع وقفت و ما نفذت عنه لكثافته واظلامه فانعكست تلك التّجلّيّات كانعكاس الضّوء عن المرآة فصار ذلك العكس مثالاً لهذا العالم ، نوريّاً صاعداً بازاء المثال النّوريّ النّازل وحصل من كثافة هذا العالم ظلّ ظلمانيّ تحته فصار مثالاً ظلمانيّاً وهذا المثال الظّلمانيّ محلّ للشّياطين وابالستها والجنّة وعفاريتها ، وبهذا العالم يصحّح الجحيم ودركاتها وحميمها وحيّاتها وجميع موذياتها وبه يتمّ الارض وطبقاتها، ولاحاجة لنا الى تأويل شيء ممّا ورد فى الشّريعة المطهّرة من امثال ماورد فى المعاد الجسمانيّ والجنّة والشّياطين وغيرذلك كما فعله المشّاؤن والاشراقيّون من الحكماء ، ولا الاكتفاء بمحض التّقليد والسّماع عن صادق من غير تحقيق وتفتيش عن حقيقة ماورد، كما قنع به الشّيخ الرّئيس فى المعاد الجسمانيّ لانكاره العالمين، وكما قنع به المقلّدون

الّذين ليس شأنهم التّفتيش والتّحقيق بل نقول: هذا باب من العلم ينفتح منه الف باب لاهل التّحقيق والبصيرة، واهل الله من اهل المكاشفة اكتفوا فى بيان هذا الباب بالاشارات من غير كشف حجاب اقتفاءً لسنّة السنّة وسيرة الكتاب ولم يأت احد منهم بمافيه تحقيق وتفصيل اتّباعاً لاصحاب الوحى والتّنزيل،ولاهل العالم السّفلىّ كاهل العالم العلوىّ لتجرّدهم عن المادّة قدرة وتصرّف فى اجزاء العناصر والعنصريّات اىّ تصرّف شاؤا ، وللعنصريّات بواسطة مادّتها جهة قبول عنهم من غير اباء وامتناع ، ومن هنا وهم الثّنويّة لمّا كاشف رؤساؤهم هذين العالمين وشاهدوا تصرّف اهلهما فى عالم العناصر فقالوا : انّ للعالم مبدئين نوراً وظلمةً او يزدان و اهريمن ، ومن هنا وهم الزّنادقة من الهنود لمّا كاشف رؤساؤهم العالم السّفلىّ من الملكوت وشاهدوا تصرّف اهله فى عالم العناصر ولم يفرّقوا بين الارواح الخبيثة والطيّبة، لانّ للارواح الخبيثة كالارواح الطيّبة نورانيّةً عرضيّةً مانعةً عن ظهور ظلمتها لمن لا يشاهد الارواح الطيّبة ، فقالوا انّ طريق الاتّصال بعالم الارواح متعدّد؛ طريق الانبياء والرّياضة بالاعمال الشّرعيّة وهذا ابعد الطّرق ، وطريق الرّياضة بالمخالفة للشّرائع الالٓهيّة وهذا اقرب الطّرق؛ فيرون انّ اعظم الاعمال فى هذا الباب سفك الدّماء و شربها و خصوصاً دم الانسان و الزّنا و خصوصاً مع المحارم فيسفكون الدّماء و يجعلونها فى الدّنان ويشربون منها ويشربون من يدخلونه فى طريقهم منها و يزنون مع النّساء المحصنات فى حضور الازواج ، ويهتكون الكتب السّماويّة بتعليقها فى المزابل وغير ذلك من الشنائع وهم صادقون فى انّها اعظم الاعمال فى الوصول الى الارواح ، لكنّهم مغالطون بين الارواح الخبيثة والارواح الطيّبة و يقصرون الارواح فى الارواح الخبيثة ولا يدرون انّ الاتّصال بها اصطلاء فى النّار و دخول فى الجحيم مع الاشرار . وامثال هذه المغالطات لاصحاب الملل والاديان ايضاً كثيرة فيرون اقبح ما يأتونه حسناً عصمنا الله من العمه والعمى وحفظنا من السّفه والرّدىّ . والحاكم فى العالم العلوىّ هو العقل الّذى هو حقيقة متحقّقة حقيقته عين التعقّل والادراك، والحاكم فى العالم السّفلىّ هو ابليس الّذى هو حقيقة متحقّقة حقيقته عين الجهل ، وحديث العقل وجنوده والجهل وجنوده المروىّ عن الصّادق (ع) فى الكافى اشارة الى هاتين لا الجهل الّذى هو عدم ملكة لا حقيقة له ، واخبار خلقة الانسان من امتزاج الطينتين اشارة الى انموذج العالمين و حيثيّة قبوله لتصرّف الطّرفين فكلّ من عمل سوء فبجهته الظّلمانيّة وحكومة ابليس الّذى هو الجهل وتسخيره، وكلّ من عمل خيراً فبجهته النّوريّة وحكومة العقل فلا شرّ الّا بالجهل ولاخير الّا بالعقل فقوله تعالى : بجهالة بيان لانّه لا يكون السّوء الّا بجهالة يعنى الّا بتسخّر عامله للجهل لا تقييد لفعل السّوء ، وعن مولينا و مقتدانا ومن هو كالرّوح فى ابداننا و عن انفاسه القدسيّة اوراق ارواحنا جعفر الصّادق (ع) كلّ ذنب عمله العبد و ان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه فى معصية ربّه (الى آخر الحديث) وفى ايراد لفظ السّوء مفرداً من غير مبالغة والتّقييد بالجهالة اشارات لطيفة الى انّ من له استعداد التّوبة بعدم ابطال الفطرة ، مساويه وان كانت كثيرة فهى قليلة مفردة فى جنب ما يمحوها من الفطرة ، وانّها وان كانت بالغة فى القبح فهى ضعيفة غير بالغة ، لانّ مصدرها الجهالة العرضيّة وانّ مصدرها وان كان نفس هذا الانسان لكن سببها الجهل الّذى هو مغاير لها بخلاف ذلك كلّه من لم يكن له استعداد التّوبة كما يأتى فى الآية الآتية [ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ] اى من غير بعد عن دار العلم و مقامه الاصلىّ بالتمكّن فى دار الجهل والتّجوهر به بابطال الفطرة سواء كان مع القرب الزّمانىّ او مع البعد الزّمانىّ حتّى لا ينافى الاخبار فى سعة زمان التّوبة ولا يبقى بين من ذكر فى الآيتين واسطة [فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ] فى وضع المظهر موضع المضمر و ادائه باسم الاشارة و تقديمه على المسند و تكرار لفظة الله من تفخيم شأنهم و تأكيد

الحكم مالايخفى [وَكانَ اللهُ عَليماً حَكيماً] عطف فيه تعليل لانّ اقتضاء حكمته الّتى هى مراقبة الامور الدّقيقة واعطاء كلّ ذى حقّ حقّه جليلاً كان او حقيراً مع العلم باستعداد العباد واستحقاقهم حين توبة العبد وقربه من داره الاصليّة واستحقاقه للقبول والوصول الى داره قبول توبته [وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ] بيان وتأكيد لمفهوم الآية الاولى كأنّه تعالى قال : انّما التّوبة لهؤلاء لا لغيرهم ، و فى ايراد السّيّئات بالصّيغة الّتى فيها شوب مبالغة مجموعة محلّاة باللام من غير تقييد بالجهل اشارة الى انّ المسوّفين للتّوبة ابطلوا الفطرة ومن أبطلوا الفطرة صاروا متجوهرين بالجهل فلم يبق ميز واثنينيّة بين الجهل وذواتهم وانّ مساويهم لتجوهرهم بالجهل و ان كانت قليلة القبح فهى بالغة فى القبح ، و انّهم عاملون لجميع السّيّئات لتجوهرهم بالجهل الّذى هو مصدر الجميع ، وكلّ من تجوهر بالجهل كلّ ما عمل فهو سيّئة فكأنّه قال : ليست التّوبة للّذين يعملون السّيّئات جميعها [حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ] يعنى عاين الموت كما فى الاخبار [قالَ إِنّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَليماً] وفى هذه الآية من التّحقير والتّأكيد ما لا يخفى و هذه الآية كأنّها معترضة بين آيات الآداب لاستطراد ذكر التّوبة [يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً] كانوا فى الجاهليّة يرثون نكاح ازواج مورّثهم بالصّداق الّذى اصدقه المورّث فنهوا عنه [وَلا تَعْضُلُوهُنَّ] لاتمنعوهنّ عن النّكاح ضراراً [لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ] كما هو شائع فى زماننا هذا [إِلّا أَنْ يَأْتينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] مايؤدّى الى الشّقاق مع الازواج فانّه يحلّ لهم حينئذٍ الافتداء من المهر و غيره وخلعهنّ [وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] حسن العشرة بما يستحسنه العقل و الشّرع ممدوح مع كلّ احد خصوصاً مع من كان تحت اليد ولاسيّما الحرّة الّتى صارت مملوكة لك بسبب المهر [فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيْراً كَثيراً وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْديهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبيناً] قيل كان الرّجل اذا اراد جديدة بهّت الّتى تحته ليفتدى منها ويصرفه فى الجديدة فمنعوا منه [وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ] مائه [إِلى بَعْضٍ] واستحلّ رحمه بما اعطاه [وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غَليظاً] هو الكلمة الّتى جعلها الله ميثاقاً اكيداً بين الازواج ورتّب عليها احكاماً كثيرةً غليظة هى الاحكام الّتى للزّوج على الزّوجة وللزّوجة على الزّوج [وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ] وان علوا فتستحقّوا عليه العقوبة [إِلّا ما قَدْ سَلَفَ] فانّه لاعقوبة عليه وذكر من النّساء بيان لاتقييدٌ [إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً] لانّ ذوى مروّاتهم كانوا يسمّونه نكاح المقت والولد منه المقتىّ [وَساءَ سَبيلاً] فانّه سبيل اهل الجهل و يؤدّى الى النّار فى العاقبة ولم يجعلها الله تعالى فى عداد المحرّمات الآتية فانّه حيث قال : و حلائل ابنائكم ينبغى ان يقول و حلائل آبائكم لانّ نكاح سائر المحرّمات لم يكن شائعاً بينهم كشيوعه فكان توكيد تحريمه وافراده بالذّكر مطلوباً لشيوعه [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ] اى نكاحهنّ بقرينة الحال والمقام [وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ وَبَناتُ

الْاَخِ وَبَنٰاتُ الْاُخْتِ] تعميم الامّهات للجدّات و البنات للاحفاد ممّا يفيده ظاهر اللّفظ ولا خلاف بين الفريقين فى حرمتهما و ان علون و نزلن وكذا العمّات و الخالات و ان علون و هذا بيان المحرّمات بالنّسب والملاك هو انّ اصولك وفروعك تماماً واوّل فرع من اصولك والفروع الّتى نشأت من اوّل اصولك محرّمة بالنّسب والمحرّمات بالسّبب امّا بالرّضاع وامّا بالمصاهرة وامّا بالمانع فبيّنها تعالى شأنه بقوله تعالى [وَاُمَّهٰاتُكُمُ اللّاٰتِى اَرْضَعْنَكُمْ وَاَخَوٰاتُكُمْ مِنَ الرَّضٰاعَةِ] بيان المحرّمات بالرّضاع مجملة بيّنها لنا اهل الكتاب [وَاُمَّهٰاتُ نِسٰائِكُمْ] شروع فى بيان المحرّمات بالمصاهرة .

اعلم انّ الاحكام تابعة للعنوانات والعنوانات لمصاديقها العرفيّة فكلّ من صدق عليها عرفاً انّها امرأة فلان فامّها محرّمة عليه ، ومن لم يصدق عليها عرفاً انّها امرأة فلان فظاهر الآية انّ امّها لاتكون محرّمة النّكاح ولا محلّلة النّظر للرّجل ، وصدق هذه الاضافة امّا بان يكون للمرء يد عليها بعد العقد المحلّل اوخلطة وخدمة من الطّرفين اوتمتّع اومجامعة اوغير ذلك من اسباب صدق هذه الاضافة ، امّا بمحض العقد متعة ففى صدق تلك الاضافة اشكال اذا كانت المعقودة صغيرة غير قابلة للاستمتاع ، وحمل ماورد فى الاخبار من الاحتياج الى الدّخول مع منافاتها لظاهر الآية على ماذكرنا من تصحيح صدق هذه النّسبة اولى من حملها على التّقيّة حتّى يلزم منه تحريم الفرج الحلال و تحليل النّظر الحرام كأنّهم (ع) قالوا: لابدّ فى التّحريم من صدق هذه النّسبة ، والدّخول احد اسباب هذا الصّدق فما شاع عندهم من تمتيع الصّغائر لتحليل النّظر الى الامّهات فيه اشكال عظيم والاحتياط هو طريق السّداد وهو ان يجتنب من النّظر الى غير المواضع المستثناة من امّ المعقودة الصّغيرة وان يجتنب من تحليل بضعها ايضاً اولا يحوم حول مثل هذه الشّبهات.

تحقيق حرمة منظورة الاب والابن على الآخر

[وَرَبٰائِبُكُمُ اللاّٰتِى فِى حُجُورِكُمْ] ذكر فى حجوركم لبيان علّة الحرمة لانّه تقييد [مِنْ نِسٰائِكُمُ اللاّٰتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ] تقييد للنّساء ولذا لم يكتف به وبيّن مفهومه فقال تعالى : [فَاِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاٰئِلُ اَبْنٰائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ اَصْلاٰبِكُمْ] و ان نزلوا لا الّذين سمّاهم النّاس ابناءكم ، و حليلة الرّجل تصدق على المرأة بمحض العقد المحلّل وامّا ملك اليمين فهى وان كانت محلّلة بمحض عقد الملك لكنّها لاتحرم بمحض هذا العقد من الابن اوالاب على الآخر، لانّ عقد الملك قد يقع لمحض الخدمة وقد يقع لمحض التمتّع و قد يقع لهما فاذا وقع عقد الملك فان ظهر امارات التّمتّع فى هذا العقد من لمسٍ و تقبيلٍ ونظرٍ بشهوة فهو بمنزلة عقد النّكاح يحرّم مملوكة الابن على الاب وبالعكس ، وان لم يظهر تلك الامارات فهى كسائر المملوكات وله التّصرّف فيها باىّ نحو شاء ولا تصير محرّمة كحرمة المصاهرة فمنظورة الاب و ملموسته بشهوة ان كانت مملوكة له فهى محرّمة على الابن وبالعكس ، وامّا الحرّة فالحاقها بالمملوكة قياس مع الفارق وليس عليها نصّ منهم عليهم السّلام [وَاَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلاّٰ مٰا قَدْ سَلَفَ] فانّه لاعقوبة عليكم فيمامضى وكان بجهالةٍ منكم و هذا شروع فى بيان المانع [اِنَّ اللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً] يغفر ما يقع عن جهلٍ [رَحيماً] لا يؤاخذ من لايعمّد فى مخالفته .

[الجزء الخامس]

[وَالْمُحْصَنٰاتُ مِنَ النِّسٰاءِ] لكون بضعهنّ مملوكاً للغير [إِلّٰا مٰامَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ] كالمسبيّات اللّاتى لهنّ ازواج كفّار فانهنّ محلّلة وكالاماء اللّاتى تحت العبيد فانّ امرهم بالاعتزال وكذا بيعهنّ بمنزلة الطّلاق [كِتٰابَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] اى كتب الله تلك الاحكام كتاباً عليكم [وَأُحِلَّ لَكُمْ مٰاوَرٰاءَ ذٰلِكُمْ] هذا ايضاً مجمل بيّنه لنا اهله فانّ سائر المحرّمات بالرّضاع و الجمع بين المرأة و عمّتها او خالتها بغير اذنهما غير مذكورة فى الآية السّابقة وغيرمحلّلة [إِنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسٰافِحِينَ] حافظين لانفسكم بالنّكاح الشّرعىّ غير زانين [فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] اى فالنّساء اللّاتى استمتعتم بهنّ من جملة النّساء فآتوهنّ اجورهنّ اوفالمال الّذى استمتعتم به من النّساء فآتوه ايّاهنّ، ووضع الاجور على هذا موضع الضّمير وفى لفظ الاستمتاع وذكر الاجور وذكر الاجل على قراءة الى اجل دلالة واضحة على تحليل المتعة [فَرِيضَةً] فرضت فريضةً او حالكونها مفروضة عليكم بالعقد [وَلٰاجُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا تَرٰاضَيْتُمْ بِهِ] من اعطاء الزّيادة على الفريضة اواسقاطهنّ شيئاً من الفريضة [مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ] وفيه اشعار بكون الاجر من اركان عقد التّمتّع كما عليه من قال به ، وروى عن الباقر(ع) لابأس بان تزيدها و تزيدك اذا انقطع الاجل فيما بينكما تقول : استحللتك باجل آخر برضىً منهما ولاتحلّ لغيرك حتّى تنقضى عدّتها وعدّتها حيضتان [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً] فحلّل المتعة عن علم ولغايات منوطة بالمصالح و الحكم [وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنٰاتِ الْمُؤْمِنٰاتِ] فانّ فى نكاحهنّ تكاليف شاقّة من النّفقة والكسوة والمسكن والقسامة [فَ] لينكح [مِمّٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ مِنْ فَتَيٰاتِكُمُ الْمُؤْمِنٰاتِ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰانِكُمْ] فاكتفوا بظاهر الايمان فانّ الله هو العالم بالسّرائر فربّ امة كانت افضل فى الايمان من الحرّة و الامة بحسب المعاش اخفّ عليكم [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] فى النّسبة الى آدم(ع) والى الاسلام [فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ] فانّه بدون الاذن زنا [وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنٰاتٍ] عفايف [غَيْرَ مُسٰافِحٰاتٍ] زانيات [وَلٰا مُتَّخِذٰاتِ أَخْدٰانٍ] اخلّاء فى السّرّ [فَإِذٰا أُحْصِنَّ] بالتزويج [فَإِنْ أَتَيْنَ بِفٰاحِشَةٍ] زنا [فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مٰا عَلَى الْمُحْصَنٰاتِ مِنَ الْعَذٰابِ] يعنى انّ العبيد والاماء يضربون نصف الحدّ فان عادوا الى ثمانى مرّات هكذا يحدّون و فى الثّامنة يقتلون ، وعن الصّادق(ع) انّما صار يقتل فى الثّامنة لانّ الله رحمه ان يجمع عليه ربق الرّقّ و حدّ الحرّ، وعن الباقر(ع) فى امةٍ تزنى قال تجلد نصف حدّ الحرّ كان لها زوج او لم يكن لها زوج ، و فى رواية لاترجم ولا تنفى [ذٰلِكَ] اى ترخيص نكاح الاماء [لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ] اى التّعب والاذى من العزوبة [وَأَنْ تَصْبِرُوا] عن نكاح الاماء بالتّعفّف [خَيْرٌ لَكُمْ] لانّهنّ فى الاغلب غير اصيلة غليظة الطّبع و المضاجعة معهنّ مؤثّرة فتؤثّر فى نفوسكم و امزجتكم و اولادهنّ يصيرون مثلهنّ ولا ينبغى لنطفكم ان تقع فى ارحامهنّ فيتولّد لكم منهنّ ما لا يليق بكم [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] للسّوءة اللّازمة من نكاحهنّ [رَحِيمٌ]

بالتّرخيص لكم فى نكاحهنّ حين العنت وترجيح التّعفّف عنهنّ مهما امكن حتّى لايرد عليكم من مضاجعتهنّ سوءة [يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ] ما هو صلاحكم فى معاشكم و معادكم بتلك الاحكام من تحريم المحرّمات وتحليل المحلّلات وتسنين الاستمتاع بالنّساء والتّرخيص فى المكروهات من نكاح الاماء وقت مساس الحاجة والتّعفّف عنهنّ مهماامكن [وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] من الانبياء لتقتدوابهم [وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ] بخروجكم عن مشتهى انفسكم و دخولكم تحت امره بامتثال اوامره و نواهيه [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] فيعلم ما هو اصلح بحالكم [حَكِيمٌ] فلا يأمركم بما ليس فيه صلاحكم [وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] كرّره تأكيداً وتصويراً للمقابلة ترغيباً فى اتّباع اوامره واجتناب مخالفتها [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ] كمن يمنع عن الاستمتاع بالنّساء [اَنْ تَمِيلُوا] عن الطّريق المؤدّى الى نجاتكم [مَيْلاً عَظِيماً] فهو حقيق بالاتّباع وهم احقّاء بالاجتناب [يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ] بتشريع المتعة وترخيص نكاح الاماء حتّى لا يثقل عليكم العزوبة ، و فى الآية تعريض بمن يمنع عن المتعة وانّه من الّذين يتّبعون الشّهوات ويريد اخراجكم من سنن الانبياء وان يثقل عليكم العزوبة حتّى تدخلوا فى الزّنا [وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفاً] فلا يمكنه مقاومة الشّهوة والصّبر عنها حتّى يدخل فيما يضرّه من الزّنا ولذا رخّص له المتعة و نكاح الاماء وقت خوف العنت و رجّح له التّعفّف عن الاماء مع الامكان حتّى لايجانسهنّ بالمضاجعة لضعفه .

تحقيق تعميم الاكل والبطلان

[يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ] تأديب فى الاموال والانفس .

اعلم انّ الالفاظ كما سبق موضوعة للحقائق باعتبار عناوينها المرسلة من غير اعتبار خصوصيّة من خصوصيّات المصاديق فيها كلّيّة كانت ام جزئيّة ، فانّ لفظة زيد مثلاً موضوعة للذّات المخصوصة من غير اعتبار حالة وخصوصيّة من حالاتها وخصوصيّاتها ، فانّه فى حال الصّبا زيدٌ وفى حال الشّيخوخة ايضاً زيدٌ وكذا بحسب تجسّمه و تجرّده فانّه فى حالكونه مع المادّة زيدٌ و فى حالكونه فارغاً من المادّة زيدٌ متقدّراً زيدٌ ومجرّداً عن التقدّر زيدٌ، فلا شيء من خصوصيّات الاحوال ولا من خصوصيّات النّشئات معتبراً فى وضعه ولا فى اطلاقه ، واستغراب من لايتجاوز ادراكه عن عوالم الحسّ وحصرهم المفاهيم على المصاديق الحسّيّة حجّة لهم لا لنا ، فانّهم بحسب نشأتهم لايدركون مصاديق سائر النّشئات فلايمكنهم تعميم المفاهيم وفى الاخبار نصوص واشارات الى ماذكرنا، بصّرنا الله تعالى بها. فالاكل غير معتبر فيه خصوصيّات الاكل الحيوانىّ من ادخال شيءٍ فى الفم الحسّىّ ومضغه بالاسنان وبلعه وادخاله فى البطن ولاخصوصيّات الاكل ولاخصوصيّات المأكول ولاخصوصيّات شيءٍ من النّشئات فهو اسم لفعل ما به قوام الفاعل وقوّته وازدياده باىّ نحوٍ كان و فى اىّ نشأة وقع فلعب الاطفال أكل لهم بحسب أكل هو الخيال الحيوانىّ اللّعبى ، وتجارة التجّار وزراعة الزرّاع ونكاح النّكّاح أكل لهم بحسب قوّةٍ من قواهم بل فعل كلّ فاعل فى اىّ نشأة كان أكل له ، والمال اسم للمملوك فكلّما كان الملك فيه اقوى كان بصدق اسم المال اولى ، فالاعراض الدّنيويّة الّتى لاحيثيّة مملوكيّة لها الّا مااعتبره الشّارع او ما اعتبره العرف حيث يعدّون ما تحت يد الرّجل ماله و مملوكه مال و القوى النّفسانيّة الّتى تحت تصرّف النّفس ولا حيثيّة لها الّا حيثيّة المملوكيّة للنّفس اولى بصدق المال ، وكذا العلوم و الصّنائع الّتى

صارت ملكة اوغيرملكة لكن كانت ثابتة فى خزانة العقل مال، والخطاب فى بينكم لجماعة الذّكورسواءكانوا فى العالم الكبير او فى العالم الصّغير الانسانىّ فى نشأة الطّبع او فى غيرها و النّساء مرادة ايضاً تغليباً ، و الباطل يقال لفعل لاغاية له اولاغاية عقلانيّة اوعرفيّة له ، ولفعل لم يصل الى غايته ، ولسنّة وطريقة لم تبتن على اساسٍ مستحكمٍ ، ولسنّة لم تبتن على اساس آلهىّ ، ويقال لما لاحقيقة له اصلاً كالاعدام ، ولما لاحقيقة له فى نفس الامر كالسّراب، ولما لاتحقّق له بالذّات بل بالعرض كالماهيّات ، ولمالاتحقّق له بنفسه بل بالعلّة كالوجودات الامكانيّة ، و لما اختفى تحقّقه بحيث يكون الغالب عليه الاعدام كالملكوت السّفلى فانّها باطلة لغلبة الاعدام عليها وان كان يصدق عليها ايضاً بسائرمعانيه، فالآية الشّريفة بحسب مصاديقها لهاوجوه عديدة بعضهافوق بعضٍ :

فاوّل مصاديقها ماهواقرب الى فهم العوام من الاكل المعروف بالمضغ والبلع ومعناها لاتأكلوا بالمضغ اعراضكم الدّنيويّة بينكم بالطّريق الباطل الّذى لم يسنّه الشّارع ولم يبحه ، اوبالمبدء الباطل الّذى هوالنّفس والشّيطان فانّ الحاكم والمحرّك للفعل امّاالنّفس والشّيطان اوالعقل والرّحمن وقد علمت انّ الشّيطان باطل لغلبة الاعدام عليه ، **وثانيها** لاتصرفوا اموالكم الدّنيويّة بينكم بالباطل بمعنييه وهو ايضاً قريبٌ من فهم العامّة ، **وثالثها** لاتفعلوا افعالكم بينكم بالباطل بمعنييه ، **ورابعها** لا تفعلوا افعالكم التّكليفيّة القالبيّة النّبويّة بالمبدء الباطل اوبالغرض الباطل ، **وخامسها** لاتفعلوا افعالكم التّكليفيّة القلبيّة الولويّة بينكم بالباطل بمعنييه ، **وسادسها** لاتصرفوا قواكم بينكم بالباطل ، **وسابعها** لاتصرفوا ولاتأخذوا علومكم، **وثامنها** لاتصرفوا مدد حيوتكم ومادّة حيوتكم، **وتاسعها** لاتأخذوا مشاهداتكم ومشهوداتكم [اِلّا اَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ] بما سبق يمكن التّعميم [وَلا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ] امّا مربوط بالمعطوف عليه لانّ صرف الاموال من غير معيارٍ مورث لقتل الانفس والنّهى عنه كالعلّة للنّهى عنه او حكم مستقلّ وتعميمه لايخفى [اِنَّ اللّهَ كانَ بِكُمْ رَحيماً] علّة لنهيه تعالى عن صرف الاموال بالباطل وقتل الانفس فانّ رحمته داعية الى هذا النّهى كسائر التّكاليف [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] الصّرف والقتل [عُدْواناً] لعدوان اوفعل عدوان او عدى عدواناً اوحالكونه عادياً او يفعل عدوانه ذلك على ان يكون تميزاً يعنى من يفعل ذلك عن عمد وتجاوزعن حدود الله اوعن عداوة من نفسه [وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْليهِ ناراً وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسيراً اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ] كأنّه قيل: وايّنا يخلومن صرف المال بالباطل خصوصاً على مافسّر؟ـ فقال : تسلية وتطييباً ان تجتنبوا (الى آخرالآية) وقداختلف الاخبار و الاقوال فى بيان الكبيرة ففى بعض هى سبع و فى بعض اكثر مع اختلاف فى بيان انواعها فلا بدّ من ميزان به يوزن الاعمال ويجمع بين الاخبار والاقوال .

تحقيق الكبير والصّغير

فنقول : الافعال من حيث انّها حركات وسكنات لا توصف بالحسن والقبح لاشتراكها فى تلك الحيثيّة ولا من حيث نسبتها الى الانسان لاشتراكها فيها ايضاً ، ولا من حيث انواعها المخصوصة كالصّوم والصّلوة والجهادوالقتل والنّهب والفساد لاتّصافها بالحسن تارة والقبح اخرى، بل الحسن والقبح يلحقان الاعمال من حيث نسبتها الى العقل والجهل فكلّ عمل يصدرعن الانسان بحكومة العقل وطاعته خصوصاً عقل الانبياء والاولياء الّذين هم العقول الكلّيّة المحيطة فى اىّ صورة كان العمل فهو حسنة و بحسب درجات الطّاعة و قبول الحكومة بالشّدّة والضّعف تتفاوت درجات الحسنة بالشّدّة والضّعف والصّغر والكبر ، وكلّما صدر عن حكومة الجهل وطاعته خصوصاً الجهل الكلّى الّذى هو

الّشيطان فهوسيّئة فى ايّ صورة كان وبحسب تفاوت درجات الطّاعة وقبول الحكومة تتفاوت درجات الّسيّئة بالّشدّة والضّعف والصّغر و الكبر، فمن اراد طاعة الله و متابعة اوامره فكلّما صدرعنه بحسب هذه الارادة فهو حسنة لكنّها ضعيفة و اذا علم انّ اوامر العقل الّتى هى اوامرالله لا تتميّز عنده عن اوامر الجهل الّتى هى اوامر الّشيطان بل لابدّ من بصيرٍ نقّاد وذى قلب وقّاد اتّصل بالعقل واخذ من الله حتّى يبيّن له اوامر العقل من اوامر الّشيطان وذلك النّقّاد هو النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) وعزم على الوصول اليه والاخذ منه، فكلّما صدرعنه بحسب هذا العزم فهو حسنة اقوى من الاولى فاذا اتّصل بهذا العالم وعاهد معه وبايع على يده وانقاد له واخذ الاحكام القالبيّة منه وهذا الاخذ والبيعة هو الاسلام فكلّما صدرعنه بحسب هذا الانقياد وهذا الاخذ فهو حسنة اقوى من سابقتها . و اذا علم انّ الاسلام و احكام القالب قوالب لاحكام الباطن ولا يمكن له الوصول الى حضرة العقل الّا من طريق الباطن ولايمكن الّسلوك من طريق الباطن الى تلك الحضرة الّا برفع المانع منه وارتكاب الباعث عليه وعلم انّه لايمكنه معرفة المانع و الباعث الّا بالاخذ من بصيرٍ حكيمٍ وعزم على الوصول اليه و الأخذ منه ففعله من جهة هذاالعزم حسنة اقوى، واذا وصل الى هذاالحكيم وبايع معه على قبول احكام الباطن واخذ احكام الباطن منه وذلك الاخذ والبيعة هو الايمان صار مؤمناً وصار افعاله من هذه الجهة حسنات اقوى ممّا قبلها، وللايمان بعد ذلك درجات حتّى وصل الى العقل وتحقّق به وحينئذٍ يصير اصل الحسنات وفرعها واوّلها وآخرها ؛ ان ذكر الخير كنتم اصله وفرعه واوّله وآخره، وبالعكس من ذلك من تحقّق بالجهل فهو اصل الّسيّئة وفرعها واوّلها وآخرها ومن تحقّق من افراد البشر بالجهل كان اقوى فى الّسوء من الجهل نفسه كما انّ المتحقّق بالعقل اقوى من العقل ، ولذا كان علىّ (ع) مقدّماً على العقل وجبريل وعدوّه مقدّماً على الّشيطان وكلّ ذى سوء حتّى يحمل عليه معصية كلّ ذى معصية ، ومن تمكّن فى طاعة الجهل بحيث لم يبق عليه اثر من طاعة العقل فكلّما فعل فهو معصية كبيرة و من لم يتمكّن فى طاعة الجهل بل بقى عليه اثر من طاعة العقل او ارادة طاعة العقل فما فعل من جهة طاعة الجهل فهوسيّئة مغفورة ان شاء الله ، ومن غلب عليه طاعة العقل اوارادة طاعة العقل ويطرء عليه طاعة الجهل حيناً فما فعل من جهة طريان طاعة الجهل فهو لمّة ممحوّة انشاءالله ، وبين المراتب المذكورة فى الحسنات و الّسيّئات درجات غير محصورة بحسب الّشدّة والضّعف والمذكورة امّهاتها ، هذا بحسب نسبة الحسنة والسيّئة الى الفاعل ؛ وبهذا الاعتبار يصير شرب دعبلٍ صغيرة وصلوة النّاصبين كبيرة ولذلك ورد: لاصغيرة مع الاصرار ، اى مع التّمكّن فى طاعة الجهل بحيث كلّما تمكّن من تلك المعصية وقع فيها: ولاكبيرة مع الاستغفار، اى مع بقاء طاعة العقل بحيث يحمله على الاستغفار و قد تعتبر النّسبة بين انواع الحسنات والّسيّئات مع قطع النّظر عن الفاعل اومع اعتبارها الى فاعل واحد من جهة واحدة فيعدّ بعضها احسن من بعض فى الحسنات وبعضها اغلظ من بعض فى الّسيّئات ؛ كالوطى الحرام اذا اعتبر من فاعلٍ واحدٍ فانّه مع المحصنة والّذكران اغلظ من الوطى مع غير المحصنة ، والوطى مع امرأة غير محصنة اغلظ من الوطى مع البهائم ، والوطى الحرام اغلظ من النّظر الحرام، فمعنى الآية ان تجتنبوا اكباثر ما تنهون عنه باجتناب التّمكّن فى طاعة الجهل نكفّر عنكم سيّئاتكم الّتى تصدر عنكم بطاعة الجهل ونمحو لمّاتكم الّتى تعرض عليكم [وَ] بعد تكفير اثر الجهل الّذى يمنعكم من الدّخول فى دار كرامتى ومحوه [نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً] ادخالاً اومكاناً كريماً [وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ] التّمنّى طلب امر محال اوطلب شيءٍ من غير تهيّة اسباب وصوله و يجوز ان يراد كلّ من المعنيين والمراد بما فضّل الله امّا النّعم الصّورية من سعة العيش والامن والصحّة والقوّة والعظمة فى الجسم

والجاه والمسكن والزّوج والقوى والجوارح وغيرهااوالنّعم الباطنة من الاخلاق والعلم والحكمة وحسن التّدبير والالفة و الزّهد و الطّاعة وغيرها ، و التّعبير عن النّعم بما فضّل الله للاشارة الى علّة النّهى عن التمنّى والامر بالسّؤال من فضله ولمّا كان النّهى وارداً على التمنّى اى الطّلب من دون حصول الاسباب مقيّداً بكون المطلوب النّعم المتفضّل بها الله على البعض كان المراد النّهى عن كلّ من التمنّى و قيده كأنّه قال : لا تطلبوا شيئاً بدون اسباب حصوله لانّه [لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ] فتوسّلوا بالاسباب ولا تطلبوا نعم بعضكم لانّها من فضل الله عليه فتوجّهوا الى الله [وَاسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ] فاشار الى علّة النهيين ومفهوم مخالفتهما مع ايجاز ، والسّؤال امّا بلسان القال ولا اعتداد به فانّ الاجابة والافضال بقدر الاستعداد ، اوبلسان الاستعداد والحال سواء كان مقترناً بلسان القال او لم يكن فانّه لا يخفى على الله قدر الاستعداد و خفايا الاستحقاق [اِنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَليماً] فكيف يخفى عليه قدر استحقاقكم و لمّا اشار فى هذه الآية الى توقّف الافضال على الاستعداد و الاستحقاق بالكسب و توجّه ان يقال انّ الله تعالى قد يتفضّل على عباده بمال مورّثهم ولا استعداد بالكسب لهم هنا اشار تعالى الى الاستعداد و الكسب هناك ايضاً فانّ الاستعداد و الكسب اعمّ من ان يكونا بالاختيار اوبالتّكوين فانّ التّوارث لايكون الّا بين متناسبين بالنّسبة الجسمانيّة وبهذه النّسبة يكتسب كلّ من المتوارثين كيفيّة من الآخر و سنخيّة له بها يستحقّ افضال الله بمال احدهما على الآخر وايضاً كلّ منهما لحمة من الآخر اوكاللّحمة فكسب احدهما اختياراً كأنّه كسب الآخر اوبين متناسبين بالنّسبة الكسبيّة الاختياريّة كعقد الملك فى مولى المعتق وعقد ضمان الجريرة فى ضامن الجريرة و عقد الاسلام و الايمان فى النّبىّ (ص) اوالامام (ع) فقال [وَ] ليس للرّجال والنّساء ان يرثهم كلّ احد منتسباً اوغير منتسب بل [لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِىَ] مخصوصة فى الارث اى اقارب مخصوصة او ذوى نسب مخصوصة نتفضّل عليهم باستحقاق نسبة القرابة او نسبة العقد يرثون [مِمّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْاَقْرَبُونَ وَالَّذينَ عَقَدَتْ اَيْمانُكُمْ] عقد الملك او عقد ضمان الجريرة او عقد الاسلام و الايمان يعنى اذا لم يكن قريب نسبىّ فالمولى المعتق بالتّفصيل الّذى ذكر فى الفقه ، فان لم يوجد فضامن الجريرة ، فان لم يوجد فالنّبىّ(ص) اوالامام(ع) ، وعلى ما بيّناه فلاحاجة الى القول بالنّسخ فى الآية كما قيل انّه كان الرّجل يعاقد الرّجل بنحو عقد ضمان الجريرة فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله تعالى : واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض [فَآتُوهُمْ نَصيبَهُمْ] المقرّر فانّ لهم استحقاقاً وكسباً [اِنَّ اللهَ كانَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهيداً] فيشهد دقائق الاستحقاق بحسب النّسب و اتى هنا بشهيداً وهناك بعليماً لدقّة الكيفيّة الحاصلة من النّسب كأنّها لايمكن تمييزها الّا بالمشاهدة فانّ العلم فى الاغلب يستعمل فى كلّيّات الامور و فى العلم الحصولىّ و الشّهود فى جزئيّات الامور و العلم الحضورىّ [اَلرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ] قائمون عليهنّ قيام الولاة على رعيّتهم مراقبون احوالهنّ مقيمون اعوجاجهنّ كأنّ المنظور كان بيان وجه استحقاق التّوارث بينهما فانّه و ان كان مستفاداً من ذكر عقد الايمان لكن لظهور عقد الايمان فى الثّلاثة السّابقة كان يمكن اختفاء هذا ثمّ اتبعه ببيان آداب المعاشرة بين الازواج [بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ] بتفضيله الرّجال فى الجثّة والقوّة والادراك وحسن التّدبير وكمال العقل [وَبِما اَنْفَقُوا مِنْ اَمْوالِهِمْ] يعنى لهم فضيلة ذاتيّة و فضيلة عرضيّة بكلّ يستحقّون التّفضيل والتّسلّط فعليهم مراقبتهنّ

وسدّ فاقتهنّ وقضاء حاجتهنّ وعليهنّ الانقياد وقبول نصحهم وحفظ غيبهم [فَالصَّالِحَاتُ] منهنّ لايخرجن ممّا هوشأنهنّ وحكمهنّ بل هنّ [قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ] لانفسهنّ واموال ازواجهنّ [لِلْغَيْبِ] اى فى غيبهنّ عن الازواج اوغيب الازواج عنهنّ على ان يكون اللّام بمعنى فى اوحافظات للاشياء الغائبة عن نظر ازواجهنّ من اموالهم و انفسهنّ [بِمَا حَفِظَ اللّهُ] نسب الحفظ هنا والتّفضيل هناك الى نفسه اشارة الى انّ كلّ من اتّصف بصفة كمال انّما هو من الله لا من نفسه [وَ] امّا غير الصّالحات [اللّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ] خروجهنّ عن طاعتكم فآداب المعاشرة معهنّ مداراة بالنّصح وان لـم يكففن فبا لمهاجرة قليلاً بحيث لا تنافى قسامتهنّ فان لم تنجع فيضربهنّ بحيث لم يقطع لحماً ولم يكسر عظماً [فَعِظُوهُنَّ] بالقول [وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ] بالاستدبار عنهنّ [وَاضْرِبُوهُنَّ] فبين الافراد ترتيب [فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً] بالايذاء والتّحكّم بما لم يرخّصه الشّارع [إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً] فلا تغفلوا فى اعلائكم على النّساء عن علوّ الله عليكم فيورثكم الغفلة التّعدّى عليهنّ [وَإِنْ خِفْتُمْ] يا اولياء الزّوجين او ايّها الحكّام [شِقَاقَ بَيْنِهِمَا] اى الاختلاف والنّزاع فانّ كلّاً من المتنازعين فى شقّ غير شقّ الآخر [فَ] اصلحوا بينهما فانّه من لوازم الايمان و القرابة و الحكومة ولا تكلو هما الى انفسهما ف[ابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا] يكونان بحسب القرابة شفيقين لهما مريدين للاصلاح و يكون ارادتهما للاصلاح مؤثّرة فيهما فانّه كما يكون امزجة الاقرباء متناسبة فى الصّحّة والمرض سريعة التّأثّر من احوالهم فى الاغلب كذلك يكون نفوسهم متناسبة فى الاغلب سريعة التّأثّر فالحكمان من الاقرباء [إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً] بينهما يؤثّر ارادتهما فى نفوس الزّوجين ويستعدّان بذلك التّأثّر لافاضة التّوافق من الله بينهما و ان يستعدّا لذلك [يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً] بما به يستعدّان للتّوافق فيأمركم به [خَبِيراً] بكيفيّة التّوافق وهو اهل خبرة الاصلاح [وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] لمّا ارادان يبيّن آداب حسن النّسبة مع الاحقّاء ببذل المحبّة و حسن الصّحبة قدّم نفسه لانّه احقّ الاحقّاء بحسن النّسبة وبذل الخدمة وبيّن طريق حسن النّسبة معه باخلاص العبوديّة ونفى الشّركة فى العبوديّة لانحصاره فيهما واطلق طريق حسن النّسبة مع غيره لعدم انحصاره فى امر مخصوص ورتّب المستحقّين للخدمة بحسب ترتّبهم فى الاستحقاق ولتعميم الوالدين للرّوحانيّين واستحقاقهما التّفرّد فى النّظر وعدم الاشراك بهما ولذلك فسّر الكفر والشّرك فى الآيات فى تفاسير المعصومين (ع) بالكفر والاشراك بعلىّ (ع) اوبالولاية قرنهما بنفسه ، واسقط الفعل واخّر المصدر ليوهم انّ قوله بالوالدين عطف على الجارّ والمجرور وانّ المعنى [وَ] لاتشركوا [بِالْوَالِدَيْنِ] احسنوا [إِحْسَاناً] بهما [وَبِذِي الْقُرْبَى] .

تحقيق الوالدين وسائر الاقرباء و تعميمهم

والوالدان هما اللّذان باعدادهما وحركاتهما المخصوصة اوجد الله نطفتك واصل مادّتك وهذه السّببيّة كلّما كانت فى شيء اقوى كان باسم الوالد احرى و ان كان العامّة العمياء يخصّون هذا الاسم بالمعدّ لنطفتك الجسمانيّة غافلين عن كيفيّة تولّدك الرّوحانىّ فالافلاك والعناصر آباء للمواليد ، والعقل والنّفس الكلّيان والدان لعالم الطّبع ، اذ بالقاء الافلاك بحركاتها الدوريّة وكواكبها الّتى هى كالقوى الانسانيّة الآثار على العناصر و قبول العناصر لها كتأثّر

النّساء عن الرّجال وقبول ارحامهن ّ لنطفهم يتولّد المواليد و تنمو و تبقى وهى فى بقائها و نمائها ايضاً محتاجة الى تلك الآباء بخلاف حاجة الحيوان الى آبائها الجسمانيّة فانّها بعد حصول مادّتها وحصول قوام ما لمادّتها مدّة كونها فى الرّحم غير محتاجة الى آبائها، وبالقاء العقل الكلّىّ نقوش العالم على لوح النّفس الكلّيّة الّتى هى كالبذور يوجد عالم الطّبع وعالم الطّبع فى بقائه محتاج الى ذينك الوالدين ، هذا فى العالم الكبير وامّا فى العالم الصّغير الانسانىّ فبعد تسويته يوجد آدم الصّغير وحوّاء الصّغرى بازدواج العقل و النّفس و بازدواجهما يولد بنوآدم وذريّتهما ، وبازدواج الشّيطان والنّفس الامّارة يولد بنوالجانّ وذرّيّة الشّيطان؛ هذا بحسب التّكوين فى العالمين ، وامّا بحسب الاختيار والتّكليف وهو مختصّ بالانسان الضّعيف فقد جرت السّنّة الآلهيّة ان يكون توليد المواليد الاختياريّة من القلب ومراتبه وجنوده الخلقيّة والعلميّة والعيانيّة بتعاضد نفسين مأذونتين من الله وايصالهما اثر الامر الآلهىّ الى المكلّف بتعاضدهما لتطابق التّكليف والتّكوين فانّ الاوامر التّكليفيّة متسبّبة عن الاوامر التّكوينيّة وموافقة لها ، وان لم ندرك فى بعضها كيفيّة التّوافق لعدم العلم بالتّكوين وتلك السّنّة كانت جارية من لدن آدم(ع) الى زماننا هذا وتكون باقيةً الى انقراض العالم ، وان لم يبق لها اثر ولا بين العامّة منها ذكر ولا خبر . فانّ صحّة الاسلام فى الصّدر ودخول الايمان فى القلب ماكان الّا بتعاضد شخصين يكون احدهما مظهراً للعقل الكلّىّ و الآخر مظهراً للنّفس الكلّيّة و اخذ هما البيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة بالكيفيّة المخصوصة والميثاق المخصوص : انا وعلىّ (ع) ابوا هذه الامّة يهديك ؛ **كلّ نفس معها سائق وشهيد** يشهد لك، **واجعل لى وزيراً من اهلى** يكفيك فمحمّد(ص) وعلىّ(ع) مظهرا العقل والنّفس الكلّيّين وبالبيعة على ايديهما يتولّد جنود العقل الاختياريّة، واعداؤهما مظاهر الجهل والنّفس الامّارة الكلّيّين وبالبيعة على ايديهم يتولّد جنود الجهل الاختياريّة ، وقد فسّر المعصومون(ع) الوالدين فى القرآن بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) وفسّروا **ان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم** بالجبت والطّاغوت، ويسمّى الصّوفيّة مظهر العقل بالمرشد و مظهر النّفس بالدّليل وبلسان الفرس «پيرارشاد وپيردليل» وبحسب تفاوت مظهريّتهما وتصرّفهما يكون احدهما مظهراً لاسم الله او الرّحيم والآخر مظهراً لاسم الرّحمن وباعتبار هذه المظهريّة والاثنينيّة قال تعالى: **قل ادعوا الله او ادعوا الرّحمن** فانّ التّخيير والتّرديد ليس باعتبار اللّفظين فانّهما آلتا الدّعوة وليسا مدعوّين ولا مفهومى اللّفظين فانّهما ايضاً عنوانا المدعوّين والمدعوّ لامحالة امر حقيقىّ لاامر ذهنىّ ، والذّات الاحديّة الّتى هى مصداق ذينك اللّفظين لاتكثّر فيه فلابدّ وان يكون المدعوّ امرين يكونان مظهرين لمفهومى هذين الاسمين حتّى يصحّ هذا التّرديد لايقال : المراد ادعوا الذّات الاحديّة بلفظ الله اوبلفظ الرّحمن **لانّه يقال:** ظاهر اللّفظ غيرهذا والحذف والايصال فى مثل هذا شاذٌّ ينا فى الفصاحة وتكرار ادعوا ينافيه وجعل ادعوا بمعنى سمّوا ايضاً بعيد، فالمراد ادعوا مظهر اسم الله اوادعوا مظهر اسم الرّحمن، والدّعوة هى طلب المدعوّ للورود على الدّاعى والحضور عنده امّا لانّ المطلوب منه حضور ذاته عنده اوامر غير ذاته يحصل من حضور ذاته وليس معناها مسئلة شيء من المدعوّ حاضراً كان ام غائباً وبهذا وامثاله استشهد الصّوفيّة على انّ المطلوب من دعاء الله اودعاء مظاهره هو حضور المدعوّ عند الدّاعى ويسمّونه حضوراً وفكراً .

تحقيق تمثّل صورة الشّيخ عند السّالك

وبعضهم يقولون : لابدّ ان يجعل السّالك صورة الشّيخ نصب عينيه ويسمّون هذا الجعل والتّصوير حضوراً ويستشهدون بمثل ما ورد من قوله(ع): وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله(ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك؛ ولكنّه بعيد عن الطّريق المستقيم

فانّ الحضور هو الاتّصال بروحانيّة الشّيخ وظهور مثاله لديك لاتصوير صورة مثل صورته وجعلها نصب العين فانّها مردودة اليك ونوع كفر وشرك وبعد مايقال انّه كفر يقولون هو كفر فوق الكفر والايمان كما قال المولوىّ قدّس سرّه :

چون خليل آمد خيال يار من ظاهرش بت معنى او بت شكن

لكن نقول: تصوير صورة الشّيخ بالاختيار وتقييد الخيال به من قبيل عبادة الاسم دون المسمّى وتشبّه بعبدة الاصنام وجحيم عاجلة ينبغى للعاقل العبور عنها كما قال المولوىّ قدّس سرّه :

جمله دانسته كه اين هستى فخ است ذكر و فكر اختيارى دوزخ است

لكن لابدّ للسّالك من العبور عليها. واحسنوا بذى القربى بعدالله والوالدين فانّ اولى الاحقّاء بالاحسان ذووالقربى سواء كانوا جسمانيّين ام روحانيّين فى العالم الكبير اوالصّغير [وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ] قد مضى تفسيرهما و تعميمهما [وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبٰى] النّسبيّة و تأخيره بلحاظ الجوار لاالقرابة او المكانيّة [وَالْجَارِ الْجُنُبِ] البعيد النّسبىّ اوالمكانىّ وحقّ الجوار كما فى الاخبار الى اربعين داراً من الجوانب الاربعة اومن كلّ جانب [وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ] كالرّفيق فى تعلّمٍ اوحرفةٍ اوسفرٍ [وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ] العبيد والاماء والاهل والخادم والخادمة وكلّ من كان تحت ايديكم فى الكبير او الصّغير فلا تتأنّفوا عن تعهّد حالهم والتّوجّه والاحسان اليهم ان كنتم تريدون محبّة الله [اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً] استيناف فى موضع التّعليل والمختال من يتأنّف عن التّوجّه الى الغير حتّى الوالدين الرّوحانيّين ولاينقاد لاحدٍ حتّى الوالدين الرّوحانيّين ومن تأنّف عن الانقياد للوالدين الرّوحانيّين تأنّف عن كلّ من سواه ، ومن انقاد وتواضع للوالدين الرّوحانيّين تواضع لمن سواهما فالمختال الحقيقىّ من لم يتواضع لوالديه الرّوحانيّين [فَخُوراً] اذا التفت الى غيره عظّم نفسه وحقّر غيره حتّى والديه الرّوحانيّين ، ومن افتخر على والديه الرّوحانيّين افتخر على كلّ من سواه الّا اذا رأى حظّ نفسه ممّن سواه فانّه حينئذٍ يتملّق له وان كان يظنّ انّه يتواضع، ولمّا كانت الولاية اصل الخيرات والقرابات ، والتّواضع لها اصل التّواضعات ، و الاختيال والفخر عليها اصل الاختيالات والفخرات ومادّتها ، وعلىّ (ع) اصل الولايات وعدوّه اصل الشّرور والاختيالات صحّ ان يقال : انّ المنظور اوّلاً من الآية اختيال العدوّ وفخره على علىّ (ع) ثمّ اختيال غيره بالنّسبة الى الولاية والى غيرها، ولمّا كان المتكبّر المعجب بنفسه لايعدّ غيره الّا اسباب انتفاعه كأنّه لم يخلق غيره الّا لاجل انتفاعه ولو بهلاكته وكان لا ينفق ممّا فى يده على غيره لانّه خلاف حسبانه ويمنع غيره الّذى يراه فى مرتبة من الانفاق على غيره حتّى انّه يمنع نفسه وغيره من انفاق القوى والمدارك والانانيّات فى طريق امامه وولاية ولىّ امره ويكتم من الغير نعمه الّتى لايرى فى اظهارها صيتاً و مدحاً و جلب حظّ لنفسه ولو انفق او اظهر لم يكن ذلك الّا بملاحظة حظّ لنفسه فسّر المختال الفخور بالوصف البيانىّ فقال تعالى : [اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ] صفة اوبدل من ، من كان مختالاً اوبدل من مختالاً اوعطف بيان لواحد منهما اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ اومبتدء خبرٍ محذوفٍ ، اومفعول فعل محذوف .

تحقيق معنى البخل والتّقتير والتّبذير

والبخل سجيّة تمنع الانسان من اخراج ما تحت يده ورفع يده عنه سواء كان من الحقوق الآلهيّة كالزّكوة والخمس اوالخلقيّة كالنّفقات الواجبة والدّيون الحالّة المفروضة كما ذكر او مسنونة كالزّكوة و سائر الصّدقات المستحبّة و الصّنائع المعروفة وكالانفاقات

المستحبّة لنفسه وعياله واقاربه وجيرانه، ولذلك وردعن رسول الله (ص) ليس البخيل من ادّى الزّكوة المفروضة من ماله و اعطى البائنة فى قومه انّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكوة المفروضة من ماله ولم يعط البائنة فى قومه وهو يبذّر فيما سوى ذلك، وانّما سمّى المال المنفق بالبائنة لانّه كلّما ينسب الى الانسان حتّى وجوده من شأنه البينونة والمفارقه عنه الّا وجه الله الباقى فانّه ان كان من اعراض الدّنيا فهو بائن فى نفسه وتبين وتنقطع نسبته ايضاً عن الانسان بالموت اوبالانتقالات الشّرعيّة اوبصروف الدّهر، وان كان من قبيل القوى والجوارح والاعراض والجاه فهو ايضاً يبين عن الانسان بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ اوبالحوادث الطّارئة .

فان تكن الاموال للتّرك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

اعلم انّ السخاء فريضة متوسّطة بين طرفى الافراط والتّفريط اللّذين هما التّبذير والتّقتير، وللتّقتير مراتب عديدة بعضها يسمّى بخلاً و هو امساك ما فى يد الانسان و عدم قدرته على صرفه فى الوجوه المفروضة والمندوبة والمباحة، وبعضها يسمّى شحّاً وهو امساك ما فى يده وتمنّى ان يكون ما فى يد غيره فى يده كما ورد عن الصّادق (ع) : انّ البخيل بخيل بما فى يده والشّحيح يشحّ بما فى أيدى النّاس، و على ما فى يديه حتّى لايرى فى ايدى النّاس شيئاً الّا تمنّى ان يكون له بالحلّ والحرام ولا يقنع بما رزقه الله، وللتّبذير ايضاً مراتب و لمّا كان الظّاهر من الانسان من افعاله و اقواله و اخلاقه و احواله من المتشابهات الّتى لا يعلم تأويلها الّا الله والرّاسخون فى العلم كان التّميز بين السّخاء والتّبذير والتّقتير وبين مراتبها بحسب المعرفة وتشخيص جزئيّاتها الصّادرة عن الانسان فى غاية الخفاء حتّى على نفس الفاعل و ان كانت بحسب العلم وكلّيّاتها جليّة قد فصّلها علماء الاخلاق و بيّنوها بمراتبها فانّ الانفاق بحسب قصد المنفق و الغاية المترتّبة عليه والوجه المصروف فيه والشّخص الموصول اليه يختلف حاله واسمه؛ فربّ امساكٍ كان خيراً من الانفاق الحسن وربّ انفاقٍ كان وبالاً على المنفق، ونعم ما قال المولوىّ قدّس سرّه :

منفق و ممسك محل بين به بود	چون محل باشد مؤثّر ميشود
اى بسا امساك كز انفاق به	مال حقّ را جز بامر حقّ مده
مال را كز بهر حق باشى حمول	نعم مال صالح گفت آن رسول

ولمّا كان اصل كلّ ماينسب الى الانسان انانيّته الّتى هى نسبة الوجود الى نفسه، واصل كلّ الانفاقات و غايتها وعلّتها الغائيّة الانفاق من الانانيّة، واصل جميع ما ينفق عليه الولاية فمن انفق انانيّته فى طريق الولاية بان يسلّمها لولىّ امره بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة فان انفق من سائر ما ينسب اليه من حيث انتسابه الى الولاية على نفسه وعلى من تحت يده وعلى غيره بطريق الفرض او النّدب او الاباحة كان انفاقه سخاءً، و ان امسك من هذه الجهة كان امساكه ممدوحاً ولم يكن بخلاً، ومن بخل بانانيّته ولم ينفقها فى طريق الولاية فان امسك كان امساكه بخلاً وان انفق كان انفاقه تبذيراً الّا اذا كان الامساك او الانفاق فى طلب الولاية فانّهما حينئذٍ يخرجان من اسم البخل والتّبذير فعلى هذا صحّ ان يقال: انّ المختالين الّذين يبخلون بصرف انانيّاتهم فى طريق ولاية علىّ (ع) [وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ] والامتناع من صرف انانيّاتهم فى طريق الولاية يعنى الّذين يعرضون عن الولاية ويصدّون النّاس عنها، و صحّ ان يقال انّ الآية تعريض برؤساء منافقى الامّة حيث كانوا يعرضون بعد محمّد (ص) عن علىّ (ع) ويمنعون النّاس عن الرّجوع اليه [وَيَكْتُمُونَ مَا آتَيٰهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] يعنى يعتذرون عن امساكهم بانّه ليس لهم ما ينفقون ويكتمون ماكان لهم من النّعم الظّاهره والباطنة

من قوّة قواهم وحشمتهم وجاههم وعلومهم ومعارفهم ولمّا كان اشرف النّعم الظّاهرة والباطنة مايطرء للانسان من الاحوال والاخلاق الآلهيّة الّتى تجعل الانسان فى حال طروّها فى راحة وانبساط ولذّة ، واصل الكلّ نعمة الولاية ومعرفتها وكان اقبح اقسام الكتمان كتمان تلك الاحوال وهذه المعرفة عن نفسه بان يصير الانسان غافلاً عن معرفته وعن لذّة احواله اومغمضاً عنهما وكان تلك ادلّ دليل على نبوّة من اتّصف وامر بها وولايته صحّ تفسير الآية بكتمان ما آتاهم الله من ادلّة نبوّة محمّد(ص) اوادلّة ولاية علىّ (ع) ممّا عرفوه من كتبهم واخبار انبيائهم ومن القرآن واخبار محمّد (ص) و ممّا وجدوه فى نفوسهم من الاخلاق الاخرويّة الّتى هى انموذج اخلاقهما واحوالهما [وَأَعْتَدْنا] التفت من الغيبة الى التّكلّم تنشيطاً للّسامع [لِلْكافِرِينَ] اى الكاتمين لنعم الله غير شاكرين لها باظهارها فانّ اظهار النّعمة احد اقسام الشّكر كما انّ كتمانها احد اقسام كفرانها ، ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بانّ الكاتمين لنعم الله معدودون من الكفرة [عَذاباً مُهِيناً] كما انّهم اهانوا نعمنا بالكتمان وعدم الاظهار فانّ الله اذا انعم على عبدٍ بنعمة احبّ ان يراها عليه وابتذال النّعم وتحديثها بالفعال خيرٌ من ابتذالها بالمقال ، ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من النّار [وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النّاسِ] يعنى انّ المختال جامع بين طرفى السّخاء اى التّقتير والتّبذير لامتناعهم من اداء الحقوق المفروضة والمسنونة وصرفهم اموالهم فيما يتصوّرون انتفاعهم فى الدّنيا به من مثل صيت وتعظيم من النّاس وغير ذلك، والاوّل بخل مذموم والثّانى تبذير ملعون [وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] من قبيل عطف العلّة على المعلول فانّ عدم الايمان علّة للانفاق فى سبيل الشّيطان ولعدم الانفاق فى سبيل الله يعنى البخل [وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ] عطف على انّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً، اوجملة حاليّة والمقصود التّنبيه على انّ المرائى فى الانفاق مبذّر والمبذّر قرين الشّيطان ومن يكن الشّيطان [لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً] لاداء اقترانه الى السّجن والسّجّين وملك الشّياطين فهو اشارة الى قياسات ثلاثة.

اعلم انّ الانسان خلق مفطوراً على التّعلّق والايتمار و محلّاً لتصرّف العقل و الشّيطان ، و لمّا كان فى بدو خلقته ضعيفاً غير متجاوز عن المحسوسات ، والمحسوسات شبائك الشّيطان كان تصرّف الشّيطان فيه اقوى واتمّ فما لم يساعده التّوفيق ولم يصل الى شيخ من الله مرشدٍ له الى طريق نجاته تمكّن الشّيطان منه بحيث لم يبق له طريق الى حكومة العقل ولا للعقل طريق الى الحكومة عليه ، ولذلك قال ابوجعفر الاوّل (ع) فى حديثٍ: من اصبح من هذه الامّة لا امام له من الله عزّ وجلّ ظاهراً عادلاً اصبح ضالّاً تائهاً ؛ و ان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاقٍ ، و فى الآيات نصوص و اشارات على وجوب الايتمار و الايتمام بامام منصوص من الله ، و فى الرّوايات عليه تصريحاتٌ ولكن كان على سمعهم وابصارهم غشاوة فيرجّحون المفضول على الفاضل ولذا كان علىّ (ع) يرى الصّبر احجى [وَماذا عَلَيْهِمْ] استفهام انكارىّ يعنى البتّة ليس عليهم كلفة دنيويّة ولاعقوبة اخرويّة [لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعنى بالمبدأ والمعاد حتّى ايقنوا انّ النّعمة من الله وانّ خزائنه لاتنفد بالانفاق و انّ اعماله يجزى بها [وَأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ] قدّم الايمان ههنا على الانفاق واخّر عدم الايمان فى الآية السّابقة عن الانفاق الرّيائىّ لكون الايمان بالله سبباً للانفاق فى سبيل الله لعلم المؤمن بالله انّ الكلّ من الله وانّ الانفاق لايفنيه والامساك لايبقيه فلذلك ولتشريفهم قال ههنا ممّا رزقهم الله ولكون عدم الانفاق فى سبيل الله

دليلاً على عدم الايمان بالله ، و لمّا كان الامساك و التّبذير دليلاً على كفران كون النّعمة من الله قال : وَالّذين ينفقون اموالهم باضافة الاموال اليهم [وَكانَ اللهُ بِهِمْ عَليماً] حال وعدم الاتيان بقد لعدم قصد المضىّ اوهو بتقدير قد اوعطف على قصد التّعليل يعنى علم الله بهم وهم فى طريق رضاه يستدعى عدم الوزر عليهم [إِنَّ اللهَ لايَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ] مقدار ذرّة هى اصغر النّمل او جزء من اجزاء الهباء [وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً] قرئ بالنّصب والرّفع بتقدير تك ناقصة وتامّة [يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ اَجْراً عَظيماً] قوله انّ الله لا يظلم (الى آخر الآية) مستأنف اوحال فى مقام التّعليل لقوله : ماذا عليهم لانّه يستعمل فى مثل المقام لنفى الوزر والعقوبة وللتّعريض بالاجر فكأنّه قال : لا وزر ولا عقوبة عليهم بل لهم الاجر لو آمنوا بالله لانّ الله لا يظلم حتّى يعاقب المحسن ويضاعف الاجر للمحسن بحسب استحقاقه للاجر ويؤت المحسن من لدنه اجراً عظيماً من غير استحقاقٍ ، وتسمية ما يعطيه من غير استحقاقٍ اجراً لاستتباع الاجر له ، اوالمراد انّ الله يضاعف نفس الحسنة باعتبار جهتى النّفس العمّالة والعلّامة فى النّفس ويؤت من لدنه اجراً اخرويّاً خارج النّفس على ما سبق من تحقيق تجسّم الاعمال و استتباع تجسّم الاعمال فى النّفس الاجر الاخروىّ [فَكَيْفَ] يكون حال هؤلاء المختالين الموصوفين بالاوصاف السّابقة من شدّة الخوف والعقوبة [إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ] من امم الانبياء [بِشَهيدٍ] هو نبيّهم اومن كلّ فرقة من فرق امّتك بشهيد هو امامهم فى عصرهم او من كلّ امّةٍ من امم الانبياء و من كلّ فرقة من فرق امم الانبياء ومن فرق امّتك بشهيد هو نبيّهم و امامهم اووصىّ نبيّهم وقد اشير الى الكلّ فى الاخبار لكن لمّا كان المقصود منه تحذير المنافقين من الامّة المرحومة عن مخالفة علىّ (ع) والاوصياء من بعده ورد عن الصّادق (ع) انّها نزلت فى امّة محمّد (ص) خاصّة بطريق الحصر [وَجِئْنا بِكَ] يا محمّد (ص) [عَلى هؤُلاءِ] الامم والفرق، اوعلى هؤلاء الشّهداء اوعلى هؤلاء الامم والفرق والشّهداء [شَهيداً] تشهد لهم وعليهم اوتشهد لبعض وهم الانبياء والاوصياء ومن اقرّبهم ، وعلى بعضٍ وهم المنكرون لهم الغير المقرّين بهم [يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا] بالله اوبالرّسل اوبأوصيائهم وولايات اوصيائهم لكن لمّا كان المقصود تحذير منافقى الامّة كان المقصود يودّ الّذين كفروا بعلىّ (ع) وولايته [وَعَصَوُا الرَّسُولَ] فى امره بولاية علىّ (ع) فى غدير خمّ وغيره [لَوْ تُسَوّى بِهِمُ الْاَرْضُ] قرئ بفتح التّاء وتخفيف السّين من التّفعّل ماضياً اومضارعاً محذوف التّاء ، وقرئ بفتح التّاء مشدّد السّين من التّفعّل مدغم التّاء فى السّين، وقرئ بضمّ التّاء من التّفعيل مبنيّاً للمفعول واستوت به الارض وتسوّت وسويّت مبنيّاً للمفعول اى هلكت ، ولفظة لو مصدريّة او للتمنّى والباء للتّعدية والمعنى يودّون فى ذلك اليوم مساواتهم للارض بان كانوا يدفنون فى ذلك اليوم اويوم غصب الخلافة او لم يبعثوا اوكانوا تراباً ولم يخلقوا ، او جعلوا قابلاً محضاً ولم يكن لهم فعليّة اصلاً [وَلايَكْتُمُونَ اللهَ حَديثاً] عطف على يودّ و المعنى يومئذٍ لايكتمون الله حديثاً كما كانوا يكتمونه من خلفائه فى الدّنيا ، اوعطف على تسوّى والمعنى يودّون لو لايكتمون الله حديثاً فى الدّنيا ، وعلى ما بيّنا انّ المقصود منهم منافقوا الامّة فهم يتمنّون انّ الارض تبلعهم فى اليوم الّذى غصبوا الخلافة ولايكتمون فى ذلك اليوم حديث الرّسول (ص) فى حقّ علىّ (ع) وقد اشير الى كلّ منهما فى الاخبار، ولمّا افاد فى السّابق لزوم الايمان بالله ولزوم طاعة الرّسول (ص) ولزوم اتّباع الشّهداء فى كلّ زمان ولكلّ فرقة اراد ان يبيّن كيفيّة المعاشرة مع الرّسول والشّهداء ومع نفسه فى عباداته وخصوصاً اعظم العبادات

الّتى هى الصّلوة المسنونة من الاركان والاذكار المخصوصة اومن سائر اقسامها وناداهم تلطّفاً بهم وجبراً لكلفة النّهى بلذّه النّداء فقال تعالى : [يااَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] اذعنوا بالله وبمحمّدٍ (ص)، اوارادوا الايمان بالله على يد محمّدٍ (ص)، اوآمنوا على يد محمّدٍ (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة ، اوآمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة [لاتَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ] الصّلوة تطلق لغةً على الدّعاء والرّحمة والاستغفار وشرعاً على الافعال والاذكار الموضوعة فى الشّريعة ، و تطلق حقيقةً اومجازاً على المواضع المقرّرة للصّلوة الشّرعيّة، وعلى الذّكر القلبىّ المأخوذ من صاحب اجازةٍ آلهيّةٍ ، وعلى صاحب الاجازة الآلهيّة، وعلى الصّورة المثاليّة الحاضرة فى قلب السّالك من صاحب الاجازة ، وعلى كلٍّ من مراتبه البشريّة والمثاليّة والقلبيّة والروحيّة بمراتب الرّوحيّة وذلك لانّ الاسماء وضعت للمسمّيات من غير اعتبار خصوصيّةٍ من خصوصيّات المراتب فيها ؛ فالصّلوة وضعت لما به يتوجّه الى الله ويسلك اليه بتسنينٍ واذنٍ من الله كما انّ الزّكوة اسم لما به ينصرف عن غير الله بتسنين واذن من الله ، ويدلّ على ذلك انّ الصّلوة كانت فى كلّ شريعة ولم تكن بتلك الهيئة المخصوصة وقوله: والّذين هم على صلوتهم دائمون يدلّ على العموم لعدم امكان ادامة الصّلوة القالبيّة وكذا قوله: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصّلوة ، وكذا قول علىّ(ع) فى بعض ما قال : اناالصّلوة، فقلب علىّ(ع) وولايته هى الصّلوة الّتى هى عمود الدّين ، وان قبلت قبل ماسواها ، وهى معراج المؤمن وهى بيت الله الّذى اذن الله ان يرفع ، وهى الكعبة ، وهى المسجد الّذى قال تعالى : خذوا زينتكم عند كلّ مسجدٍ، وقال: انّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً ، وما يدخل من نفخة علىّ(ع) فى القلب وهو الايمان الدّاخل فى القلب، و ما يؤخذ من صاحب الاجازة الآلهيّة من الذّكر الجلىّ والخفىّ ، و ما يؤخذ من صاحب الاجازة من الصّلوة القالبيّة كلّها صلوة ، ومايبيّنه صاحب القلب الّذى صار قلبه متّصفاً بالصّلوة من حيث ذلك الاتّصاف كالمساجد هو ايضاً صلوة كما انّه بيت الله ، فمن اخذ الصّلوة القالبيّة من امثاله واقرانه اوآبائه ومعلّميه من غير تقليد عالمٍ مجازٍ لم يكن عمله مقبولاً ولو كان موافقاً ، وهكذا حال من تسرّع الى الاذكار والاوراد ومن تسرّع الى الذّكر القلبىّ من غير اذن واجازة من شيخٍ مجازٍ لم ينتفع به ولم يكن صلوته صلوة حقيقة ولا عبادته عبادة ، وقد ورد اخبار كثيرة فى انّ العبادة بدون الولاية غير مقبولة ومردودة والولاية و قبولها عبارة عمّا يحصل بسببه الاجازة فى العبادة وكأنّه تعالى اراد بالصّلوة جميع معانيها بمثل عموم المجاز والاشتراك ولذلك قال : لاتقربوا ؛ ليناسب جميع معانيها دون لاتدخلوا لئلايتوهّم ارادة بعض المعانى الدّانية منه والنّهى اعمّ من الحرمة والكراهة والنّزاهة ولا اختصاص له بشيءٍ منها و استعماله فى الموارد المخصوصة بحسب القرائن فى الحرمة اوالكراهة لا ينا فى عموم مفهومه .

تحقيق معنى السّكر

[وَاَنْتُمْ سُكَارٰى] قرئ بضمّ السّين و فتحها جمعاً وكهلكى جمعاً اومفرداً على ان يكون صفة لجماعة مقدّرة وكحبلى مفرداً ، والسّكر من السّكر بمعنى السدّ ويسمّى الحالة الحاصلة من استعمال شيءٍ من المسكرات سكراً لسدّها طرق تصرّف العقل فى القوى و طرق انقياد القوى للعقل ، ولا اختصاص لها بالخمر العنبيّة المعروفة بل كلّ ما يحصل منه تلك الحالة شرباً اواكلاً اوتدخيناً اوغير ذلك فهوخمر النّفس سواء حصل منه السّكر المعروف كالفقّاع والعصيرات المتّخذة من غير العنب وكالبنج والجرس والافيون اولا كالحرص والامل والحبّ و الشّهوة و الغضب والحسد والبخل

والغمّ والفرح والنّعاس والكسل الغالبة بحيث يغلب مقتضاها على مقتضى العقل بل الحالة الحاصلة المانعة من نفاذ حكمِ العقل وتدبيره سكر النّفس من ايّ شيءٍ كانت ومن ايّ سبب حصلت ، وقد اشير في الاخبار الى تعميم السّكر ففي خبرٍ في بيان الآية: لاتقم الى الصّلوة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فانّها من خلال النّفاق ، وفي خبرٍ منه سكر النّوم ، ومنها سكر الشّهوة الغالبة الّتي لا يفيق صاحبها عنه الّا بقضائها ، ويسمّى الحالة الحاصلة بعد قضاء الشّهوة من تدنّس النّفس بدنس الشّهوة وتكدّرها بكدورات الحيوانيّة ، وتوغّلها في صفات البهائم جنابة ، ولاالاختصاص لتلك الحالة بشهوة خاصّة بل كلّمايدنّس الانسان ويوغّلها في الحيوانيّة البهيميّة اوالسّبعيّة فهو جنابة النّفس حتّى تفيقوا من سكركم [وَتَعْلَمُوامَاتَقُولُونَ] لفظة ماستفهاميّة اوموصولة اوموصوفة يعني حتّى تعلموا الّذي تقولون فلا تحرّفوا الكلم عن مواضعه ولا تغيّروه عن الصّورة الّتي نزل عليها كما قيل : انّها نزلت حين قرأ بعض الصّحابة في الصّلوة حالة السّكر، اعبد ما تعبدون ولمّا كان المتبادر من السّكر سكر الخمر و المستفاد من الآية جواز هذا السّكر و عدم جواز الدّخول في الصّلوة معه ورد انّها نسخت من حيث هذا الجواز المستفاد ، ولمّا كان محض الافاقة من سكر النّفس من دون رفع اثر التّدنّس منها غير مبيحةٍ للقرب من الصّلوة اضاف اليه قوله تعالى [وَلَاجُنُباً] يعني لاتقربوا المساجد بالدّخول فيها حرمة اوكراهة ، ولاتدخلوا في الصّلوة القالبيّة بمعنى انّها لاتنعقد منكم ولا تقربوا الصّلوة الحقيقيّة الّتي هي اذكاركم القلبيّة وافكاركم المثاليّة الّتي هي مثل مشايخكم ولاتقربوا قلوبكم وعقولكم الّتي هي قربانكم وصلوتكم ان كان لكم قلب وعقل ولا تقربوا الصّلوات الحقيقيّة الّتي هي خلفاء الله في ارضه جنباً يعني في حالة تدنّسكم بادناس شهوات النّفوس و غضباتها و في حالة توغّلكم في عقباتها حتّى لا تدنّسوا الصّلوات بادناس نفوسكم [إِلَّاعَابِرِي سَبِيلٍ] مطلقاً في المسجد الصّوريّ اوبشرط التيمّم للدّخول في الصّلوة القالبيّة اوبشرط التيمّم المعنويّ للدّخول في الصّلوات المعنويّة [حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا] بان تغمسوا ابدانكم في الماء حتّى تزيلوا ادناس ظواهر ابدانكم الّتي حصل عليها من الابخرة الغليظة الرّديّة العفنة الّتي حصلت في بشرتكم وسدّت مسامّ ابدانكم الّتي بسببها ترويح ارواحكم الحيوانيّة وفي بقائها على ابدانكم احتمال امراض عديدة وحتّى تتنبّهوا من الاغتسال الظّاهر وتنتقلوا الى لزوم اغتسال نفوسكم من ادناس رذائلكم بماء التّوبة والانابة الى ربّكم فتغمسوا انفسكم في الماء الطّهور الّذي يجري عليكم من عين الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ] بعد ما علم تعميم السّكر من الاخبار سهل تعميم الجنابة ، وبعد تعميم الجنابة سهل تعميم الفقرات المذكورة في هذه الآية ، وجملة الشّرط والجزاء معطوفة باعتبار المعنى فانّ المعنى يا ايّها الّذين آمنوا ان كنتم سكارى فلا تقربوا الصّلوة حتّى تعلموا ماتقولون ، وان كنتم جنباً فلاتقربوها حتّى تغتسلوا، وان كنتم مرضى يعني حين ارادة قرب الصّلوة اوحين الجنابة و ارادة الاغتسال و الاخير هو المتبادر من سوق العبارة و هذا المتبادر يدلّ على قصد العموم من الفقرات كما انّ عدم التّقييد بشيءٍ منهما يدلّ ايضاً على قصد العموم و انّ المراد ان كنتم مبتلين بالامراض البدنيّة المانعة من استعمال الماء الصّوري اومن طلبه و تحصيله ، او بالامراض النّفسانيّة المانعة من الغسل بماء الولاية او من طلبه و تحصيله فتيمّموا واقصدوا تراب الذّلّة والمسكنة عندالله الّذي هو اطيب من كلّ طيب بعد ماء الولاية، و اقصدوا تراباً من وجه الارض طاهراً و اظهروا اثر تراب الذّلّ على وجوهكم المعنويّة باظهار تضرّعكم وخشوعكم وتبصبصكم عند ربّكم، واثر تراب الارض الصّوريّة على مقاديم ابدانكم [أَوْ] ان كنتم [عَلَىٰ سَفَرٍ]

يتعذّر عليكم فيه استعمال الماء اوتحصيله سواء كان سفركم في الارض الصّوريّة او في طرق النّفس للخروج من ديار الشّرك الّتي هي ديار النّفس فانّكم مادمتم متحيّرين في طرق النّفس امّا لا تتذكّرون بماء الولاية ولا تتمكّنون من تحصيله اولا يليق بكم الاغتسال بعد فيه لتضرّركم به [اَوْجٰاءَاَحَدٌمِنْكُمْمِنَ الْغٰائِطِ] الغائط المنخفضة من الارض كانوا يقصدونها للنجو فكنّي به عنه ولم يقل او على الغائط ليكون اوفق بسابقه و اخصر لانّ من كان على الغائط لم يصحّ منه صلوة اصلاً ولايرد الصّلوة ولم يقل ، اوعلى المجيء من الغائط لانّه داخل في قوله على السّفر بلحاظ التّأويل ، ولم يقل اوجئتم من الغائط ليوافق السّابق و اللاحق في المرفوع لارادة العموم البدليّ من احد حتّى يصحّ الحكم بحسب التّنزيل وللاشارة الى انّ كلّ واحد منكم جماعة واذا وقع واحد منكم او من قواكم و جنودكم في سفل النّفس و وهدتها فما دام هو في تلك الوهدة كان حالكم حال السّكران الّذي لايليق به قرب الصّلوة اصلاً ، واذا انصرف من جهنّام النّفس كان حالكم حال الجنب المفيق من شهوة الفرج لكن لا يليق بكم استعمال ماء الولاية او لا تصلون اليه و اذا اريد تصحيح ظاهر التّنزيل يجعل اوهنا بمعنى الواو حتّى لايلزم جعل ما هو جزء الشّرط قسيماًله [اَوْلاٰمَسْتُمُ النِّسٰاءَ] كناية عن المجامعة يعني ان جامعتموهنّ وخالطتم نفوسكم باتّباع مقتضياتها فلا يليق بكم استعمال الماء او لاتصلون اليه [فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً] للاستعمال بان لم تجدوه اوتجدوه ولا تتمكّنوا من استعماله ، او المراد عدم وجدان الماء و يكون تعذّر استعمال الماء غير مذكور مثل سائر مجملات القرآن [فَتَيَمَّمُوا] يمّ وامّ بمعنى قصد اى فاقصدوا [صَعِيداً] اى تراباً او وجه ارض على خلاف في معناه اللّغوىّ [طَيِّباً] اى طاهراً او مباحاً و على اختلاف تفسير الصّعيد اختلفوا في جواز التّيمّم على الحجر و الوحل ، وان كان المراد بالصّعيد مطلق وجه الارض فالآية الآتية في سورة المائدة تدلّ على عدم جواز التّيمّم بماليس فيه غبار مثل الحجر الصّلد والوحل حيث قال تعالى هناك: فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه والاخبار تدلّ على جواز التّيمّم بالتّراب ثمّ بما فيه غبار من اللّبد وعرف الفرس وغيرهما ، ثمّ بالوحل ثمّ بالحجر لكن تدلّ على انّ التيمّم بغير التّراب انّماهو من باب الاضطرار [فَامْسَحُوابِوُجُوهِكُمْ] اى ببعض وجوهكم و هذا من المجملات الّتي بيّنوها لنا [وَاَيْدِيكُمْ] عطف على وجوهكم اى ببعض ايديكم وقد بيّنوها لناولم يدعونا حيارى لاندرى اىّ شيءٍ الممسوح ، ولاحاجة لنا الى ان يقول كلّ منا بقولٍ وان نجعل هوانا آلهنا والحمدلله ربّ العالمين [اِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَفُوّاً] يعني رخّص الله لكم القرب من الصّلوة مع تدنّسكم بادناس الطّبيعة والنّفوس من دون اغتسال ابدانكم بالماء الصّورىّ و من دون اغتسال نفوسكم بالماء المعنوىّ بشرط ظهور تراب الذّلّ و المسكنة على مقاديم ابدانكم ومقاديم نفوسكم لانّه كان عفوّاً كثير العفو عن عباده وتقصيراتهم وقصوراتهم ، فلايؤاخذكم بتدنّسكم بادناس النّفس والطّبع والهوى [غَفُوراً] يستر عليكم مايبقى عليكم من اثر دنس الهوى فلا يطردكم عن حضرته بسبب ذنوبكم [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوانَصِيباً] حظاً يسيراً [مِنَ الْكِتٰابِ] اى كتاب النّبوّة بان دخلوا في شريعة وقبلوا دعوة نبىّ دعوته الظّاهرة مثل اليهود والنّصارى والمسلمين الّذين بايعوا محمّداً (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة بان لا يخالفوا قوله ويطيعوا امره و نهيه و ان كان نزول الآية في احبار اليهود فالمقصود منافقوا الامّة تعريضاً الّذين انحرفوا عن طريق الولاية و منعوا غيرهم والآية تعجيب من حالهم الّتي كانوا عليها لانّ النصيب من الكتاب يقتضي الاهتداء الى اصحاب الكتاب والبيعة

معهم وقبول ولايتهم لانّ الاسلام طريق الى الايمان وبه يهتدى اليه ولذلك قال تعالى [يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ] والخروج من طريق الولاية وطريق القلب بالهدى الّذى يحصل لهم من ظاهر اسلامهم لانّه بضاعتهم المكتسبة من اسلامهم و [بِالْهُدىٰ] الّذى هو فطرتهم ولايقنعون به [وَيُرِيدُونَ اَنْ تَضِلُّوا] ايّها المؤمنون عن [السَّبِيلِ] الّذى انتم عليه من ولاية علىّ(ع) [وَاللّٰهُ اَعْلَمُ] منكم [بِاَعْدائِكُمْ] فلا تتّخذوا كلّ من اظهر بلسانه محبّتكم و ولايتكم اولياء بل اكتفوا بولاية الله فى مظاهر اوليائه الّذين امركم الله بولايتهم [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ] فى مظاهره [وَلِيّاً وَكَفىٰ بِاللّٰهِ نَصِيراً] فلا تطلبوا الولاية والنّصرة من غير من امركم الله ورسوله(ص) بقبول ولايته وهو علىّ(ع) واصرفوا وجوه قلوبكم عمّن امركم بالصّرف عنه [مِنَ الَّذِينَ هادُوا] من بيانيّة والظّرف حال عن الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب او من تبعيضيّة والظّرف بنفسه مبتدأ لقوّة معنى البعضيّة فى من التبعيضيّة سواء جعلت اسماً اوحرفاً، اوالظّرف قائم مقام الموصوف المحذوف الّذى هو مبتدأ [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ] بتبديل كلمة مكان كلمة، اوباسقاط بعض من الكلم، اوبصرفه عن مصاديقه الى غيرها بتمويه انّ ذلك الغير مصاديقه اوبصرفه عن مقاصده المرادة بتمويه انّ غيرها مقصود من الكلم سواء كان ذلك عن علم بالمصداق والمقصود اوعن جهل وهو تعريض بمنافقى الامّة وبفعلهم بكلم الكتاب والسّنّة حيث كتموا بعضه وبدّلوا بعضه وصرفوا بعضه عن مصداقه و بعضه عن مقصوده و هو يجرى ايضاً فيمن اقام نفسه مقام بيان الكلم و صرفه عن مصداقه ومقصوده جهلاً بهما كاكثر العامّة [وَ] بيان التّحريف انّهم [يَقُولُونَ سَمِعْنا] بلسانهم [وَعَصَيْنا] فى انفسهم لانّهم لا يصرّحون بالعصيان [وَ] يقولون [اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ] بتبديل غير مسمع عن مقصوده الّذى هو معنى غير مسمع مكروهاً الى معنى غير مسمع بالصّمم اوالموت [وَ] يقولون [راعِنا] بصرف راعنا عن معناه ومفهومه العربىّ الى معناه الّذى هو سبّ فى لغتهم [لَيّاً بِاَلْسِنَتِهِمْ] التواءً للحروف بالسنتهم من غير القصد الى معناه المعروف اوالتواءً للكلم عن معناه المعروف المدحىّ الى المعنى الغير المعروف السبّىّ [وَطَعْناً فِى الدِّينِ] استهزاء بالدّين بسبب ما يضمرونه من خلاف المعروف و هو مفعول مطلق قائم مقام فعله او مفعول له او حال وكذلك ليّاً [وَلَوْ اَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَاَطَعْنا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا] بتبديل راعنا به اوبقصد هذا المعنى من راعنا [لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاَقْوَمَ] واعدل [وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ] ابعدهم عن الخير والصّلاح [بِكُفْرِهِمْ] بكّ [فَلا يُؤْمِنُونَ اِلّا قَلِيلاً] ايماناً قليلاً وهو الايمان ببعض ما يؤمن به من آيات الكتاب والرّسل اوالّا قليلاً منهم على ان يكون المستثنى فى الكلام المنفىّ التّامّ منصوباً [يا اَيُّهَا الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتابَ] من اليهود والنّصارى ويكون تعريضاً بامّة محمّد(ص) وتهديداً لهم اومن امّة محمّد(ص) على ان يكون الخطاب لهم ابتداء والاوّل اظهر [آمِنُوا بِما نَزَّلْنا] من القرآن اومن ولاية علىّ(ع) [مُصَدِّقاً] ومثبتاً [لِ] صدق [ما مَعَكُمْ] من التوراة والانجيل اومخرجاً عن الاعوجاج و الانحناء لما معكم من احكام النّبوّة و قبول طاعة النّبىّ (ص) ، و ان كان المراد من ظاهر اللّفظ اليهود والنّصارى فامّة محمّد(ص) مقصودة تعريضاً [مِنْ قَبْلِ اَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً] بمحو محاسنها و اشكالها الفطريّة و الكسبيّة [فَنَرُدَّها عَلىٰ اَدْبارِها اَوْ نَلْعَنَهُمْ] بتغيير صور تمام اعضائهم

فنمسخهم [كَمَا لَعَنَّا] ومسخنا [أَصْحَابَ السَّبْتِ] .

اعلم انّ الانسان خلق باطنه كظاهره مستوى القامة مشتملاً على احسن هيئة يمكن له الانتقال ، رجلاه منفصلتان من الارض لا كالنّبات الغائر اصله فى الارض لا يمكنه الانتقال من مكانه ، مستقيماً قامته و رأسه مجرّداً بشرته محسّناً صورته بانواع المحاسن الفطريّة قابلة لانواع المحاسن الكسبيّة فكلّما بالغ فى تصفيتها و تزيينها زاد حسنها و بهاؤها و حسن صورة بدنه بخطوطها و اشكالها و وضع كلّ من محالّ قواها فى موضعه الّلائق به وصفائها وبهائها وطراوتها وتزيينها بتصفيتها من الدّرن(١) الّلاحق بهاوالحاق مايزيّنها بهاوحسن صورة باطنه ببياضها بنور الاسلام واستنارتها بنور الايمان وتوجّهها الى عالم النّور وانفصالها عن عالم الزّور وتزيينها بتصفيتها و ازدياد عملها و تحسين اخلاقها بمتابعة من كان اخلاقه اخلاق الرّوحانيّين فاذا اعرض الانسان عن الولاية عن غفلة اوعن جهل لم يحصل لها تزيّنها ، واذا اعرض عن علم كان كمن توجّه الى قفاه ، واذا تمكّن فى هذا الاعراض صاروجهه المحاذى لمقاديم بدنه منصرفاً الى قفاه كأنّه مخلوق عليه، واذا استحكم فى التّمكّن صار ممسوخاً بالمسخ الملكوتىّ، واذا استحكم هذا المسخ الملكوتىّ حتّى غلب على الملك صار صورته الملكيّة ايضاً مسخاً وعدّ بعض الفلاسفة المسخ الملكىّ من المحالات؛ وتأويل ماورد منه فى الشّرعيّات ليس فى محلّه [وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً] لامانع من نفاذه فاحذروا ما اوعدتم ، ولمّا كان المقصود من الآية السّابقة تعريضاً اواصالة امّة محمّد (ص) وقد امرهم بالايمان بما نزّله وقد كان المراد ممّا نزّل ولاية علىّ(ع) كما سبق علّلها بقوله تعالى [إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ] باعتبار اتمّ مظاهره الّذى هو علىّ (ع) وقد فسّر بالشّرك و الكفر بولاية علىّ(ع) لانّ الله لايعرف ولايدرك الّا فى مظاهره فالشّرك بمظاهره شرك به فكأنّه قال: ياامّة محمّد(ص) آمنوا بولاية علىّ(ع) الّتى نزّلناها مصدّقة لما معكم من احكام الاسلام واحذروا فى مخالفته عن عقوبتى فانّى لا اغفر لمن يشرك بولاية علىّ (ع) فضلاً عمّن كفر بولايته [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ] الشّرك كائناً ماكان كبيراً اوصغيراً [لِمَنْ يَشَاءُ] من شيعة علىّ(ع) و فى الاخبار تصريح بما ذكر من تفسير الآيات بمنافقى الامّة و ولاية علىّ(ع) مع انّ عمومات الاخبار واشاراتها تكفى فى تفسيرها بذلك ، فعن الصّادق (ع) فى تفسير مادون ذلك انّه قال : الكبائرفما سواها ، و فى حديث عن رسول الله(ص) : لو انّ المؤمن خرج من الدّنيا وعليه مثل ذنوب اهل الارض لكان الموت كفّارة لتلك الّذنوب ، و المراد بالمؤمن من قبل الولاية و فى آخر هذا الحديث : انّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لشيعتك ومحبّيك يا علىّ(ع) وعن الباقر(ع) يعنى انّه لايغفر لمن يكفر بولاية علىّ(ع) ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعنى لمن والى عليّاً(ع) وعن علىّ(ع) مافى القرآن آية احبّ الىّ من هذه الآية [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ] باعتبار الشّرك بأتمّ مظاهره [فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً] عطف فى معنى التّعليل، والافتراء يكون بالقول وبالفعل [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ] تعجيب من تزكيتهم انفسهم بعد ماسبق من حالهم وتهديد لهم والتّزكية امّا بمعنى نسبة الطّهارة الى الانفس وعدّها زاكيات طاهرات اوبمعنى ازالة الدّرن عن الانفس بأفعالهم وأذكارهم وكلّ واحد امّا بالقول مثل ان قال انّى لم اعص، واصوم كذا، واصلىّ كذا، وانفق كذا ؛ وغير ذلك ، اومثل ان داوم على ذكر اللّسان بنفسه من دون اذن واجازة قصداً الى تحصيل كمال النّفس وتطهيرها من نقائصها من غير مراياة، وامّا بالفعل مثل ان فعل الافعال الحسنة مراءاة واظهاراً للنّاس انّه زاهد راغب فى الآخرة ، او مثل ان اشتغل بالافعال الحسنة والرّياضات من قبل نفسه من غير مراءاة

---

١ ـ الدّرن = الوسخ او تلطخه .

بل لتحصيل كمال النّفس وطهارتها ظنّاً منه انّ افعاله تزكّى نفسه والكلّ خيال باطل فانّ المراءاة فعلاً اوقولاً من اعظم المعاصى و العمل من قبل النّفس لتزكيتها لا يزيد الّا فى شقائها [بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ] يظهر طهارة من يشاء من دون حاجة الى اظهارهم ، اويطهّر من الادناس والرّذائل من يشاء لامن اراد ان يزكّى نفسه بعمله لانّها فضل من الله لايمكن اكتسابه بالعمل بل العمل ان كان بأمر خلفائه يعدّ النّفس لقبول ذلك الفضل ، والآية ان كانت نازلة فى اليهود والنّصارى لقولهم: نحن ابناء الله، ولن يدخل الجنّة الّا من كان هوداً او نصارى فالتّعريض بمنافقى الامّة الّذين فى اقوالهم و افعالهم مراءاةٌ فى نسبة الطّهارة الى انفسهم قولاً و فى رياضاتهم وعباداتهم الشّاقّة من قبل انفسهم قصداً للتّفوّق فى الكمال على اقرانهم ، ولمّا توهّم من هذا انّ العمل لاينجع فى طهارة النّفس فمن شاء الله زكّاه و من لم يشأ لم يزكّه رفع هذا الوهم فقال تعالى [وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً] بنقص اجر العامل اوبعقوبته اذاوقع العمل على وجهه ولابزيادة عقوبة العاصى [اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ] فى نسبة الطّهارة الى انفسهم او فى تحصيل الطّهارة بفعلهم ظنّاً منهم انّ فى فعلهم رضى الله واذنه ولمّا كان الافتراء على الله المندرج فى تزكيتهم انفسهم غيرظاهر على كلّ راءٍ ومدرك اتى بلفظ انظر الدّالّ على التّأمّل والتّعمّل فى الادراك بخلاف تزكيتهم وايمانهم بالجبت والطّاغوت حيث يراهما كلّ راء [وَكَفىٰ بِهِ إِثْماً مُبِيناً أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ] كمنافقى امّتك وان كان نزوله فى اهل الكتاب فالتّعريض بهم يتركون وصيّك و [يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ] اسم صنم ثمّ استعمل فى كلّ ما عبد من دون الله [وَالطّاغُوتِ] مقلوب طيغوت مبالغة فى الطّاغى سمّى به الشّيطان ثمّ كلّ من بالغ فى الطّغيان [وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] اى فى حقّهم [هٰؤُلاءِ أَهْدىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً] اصلهم علىّ(ع) ثمّ الائمّة من بعدهم ثمّ شيعتهم [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ] بطردهم عن بابه و صرفهم عن الولاية و المتابعة لمن هو بمنزلته [وَمَنْ يَلْعَنِ اللّٰهُ] عن باب الولاية [فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً] لانّ النّصرة هى الاعانة للمنصور فى جلب منفعة اودفع مضرّة على سبيل التّرحّم عليه وهى موقوفة على معرفة المنافع والمضارّ ومعرفة الرّحمة ومحلّها فمن اعان رجلاً على قتل محبوبه او شرب سمّ و ترحّم عليه فى ذلك لم يكن ذلك نصرة ولا ترحّمه ترحّماً بل عداوة وسخطاً وان سمّاه المحجوبون عن ادراك الاشياء كماهى نصرة ، والعارف بحقائق الاشياء هم الانبياء والاولياء(ع) ومن طرد عنهم لم يكن له ناصر فى الارض ولافى السّماء والنّاصرون له من هذه الجهة اعداء له حقيقه ولذلك يظهر يوم القيامة انّ الاخلّاء بعضهم كان لبعض عدوّاً الّا الّذين آمنوا فانّ خلّتهم ونصرتهم من جهة ايمانهم توجب قربهم الى باب الولاية ثمّ صرف القول عن التّابعين الى المتبوعين فقال تعالى [أَمْ لَهُمْ] اى للمتبوعين [نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ] حتّى يستحقّوا بذلك الاتّباع وان فرض انّ لهم نصيباً من الملك [فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النّاسَ] الّذين هم المتحقّقون بالانسانيّة و هم الاولياء و اصلهم علىّ (ع) فكيف بأشباه النّاس و النّسناس [نَقِيراً] والنّقير النّقطة الّتى فى وسط النّواة يمثّل به فى الحقارة والمعنى انّهم ليس لهم نصيب من الملك حتّى يطمعوا فيه فيتّبعوهم وحالهم ان لوكان لهم نصيب من الملك لما اتوا النّاس شيئاً حقيراً منه فكيف بهم وهم نسناس فلا ملكهم يقتضى الاتّباع ولا حالهم ثمّ صرف القول الى الاتباع و المتبوعين جميعاً فقال تعالى

[أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ] يعنى هؤلاء الاتباع فى اتّباعهم لغير النّاس الّذين هم رؤساء الضّلالة و المتبوعون فى ترك اتّباعهم للاولياء والاصل فيهم علىّ (ع) و ادّعاء المتبوعيّة لانفسهم يريدون زوال فضل الله عن النّاس والمقصود تقرير حسدهم والاصل فى النّاس بعد محمّد (ص) علىّ (ع) وخلفاؤه [عَلىٰ مٰا آتٰيهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ] من الامامة والخلافة [فَقَدْ آتَيْنٰا آلَ إِبْرٰاهِيمَ] على رغم انوفهم وعمى عيونهم، وآل ابراهيم (ع) محمّد (ص) وعلىّ (ع) وخلفاؤه صلوات الله وسلامه عليهم واضافهم الى ابراهيم (ع) للاشارة الى منقبة اخرى لهم حتّى يزدادوا غيظاً [الْكِتٰابَ] اى النّبوّة فانّ مرتبة النّبوّة من جهة انّها قابلة لنقوش الاحكام الآلهيّة من مرتبة الولاية يعبّر عنها بالكتاب كما انّ مرتبة الرّسالة ايضاً كذلك، لكن سيأتى انّها المرادة بالملك العظيم وقد سبق فى اوّل الكتاب تعميم اطلاق الكتاب فيراد منه فى كلّ مقام معنى بحسب اقتضاء ذلك المقام .

تحقيق معنى الحكمة

[وَالْحِكْمَةَ] الحكمة قوّة بها يقتدر الانسان على ادراك دقائق الامور وخفايا المصنوع وعلى الاتيان بالمصنوع المشتمل على دقائق الصّنع فهى باعتبار متعلّقه مركّبة من جزئين جزء علمىّ ويسمّى حكمة نظريّة وجزء عملىّ ويسمّى حكمة عمليّة ويعبّر عنهما بلسان الفرس «بخرده بينى وخرده كارى» وقد يعبّر عن الحكمة بالاتقان فى العمل للاشارة الى احد جزئيها وقد يعبّر عنها بالكمال فى العلم والاتقان فيه للاشارة الى الجزء الآخر، وقد تفسّر بالاتقان فى العلم والعمل للاشارة الى كلا جزئيها والحكمة الّتى تذكر فى مقابلة الجربزة هى القوام فى تدبير المعيشة علماً وعملاً والجربزة افراطه، وهذه الحكمة هى من نتائج مرتبة الولاية فانّ الولىّ بتجرّده يقتدر على معرفة دقائق الاشياء لعدم احتجاب شيء منه اذا اراد معرفته وعلى صنع دقائق المصنوعات لعدم تأبّى شيء منه، والحكيم المطلق هو الله تعالى ثمّ الانبياء (ع) والرّسل (ع) بجهة ولايتهم ثمّ خلفاؤهم ثمّ الامثل فالامثل. واوّل مراتب الحكمة ان تدرك دقائق صنع الله فى نفسك وبدنك وانّك خلقت برزخاً بين العالمين السّفلىّ والعلوىّ وانّ نفسك خلقت قابلة صرفة لتصرّف الملكوتين لاتأبّى لها من تصرّفهما، وان تصرّف السّفلىّ يؤدّيها الى السّجن والسّجّين، وتصرّف العلوىّ يجذبها الى قرب الملأ الاعلى، كلّ ذلك على سبيل المعرفة لا على طريق العلم، والمظنّة كما هو طريق حكماء الاخلاق فانّهم يقنعون بالعلم الكلّىّ غافلين عن نفوسهم الجزئيّة فلاينتفعون بعلمهم ثمّ تقدر على دقائق العمل لسدّ طرق تصرّف الملكوت السّفلىّ وفتح طرق تصرّف الملكوت العلوىّ كقدرة علىّ عليه السّلام فى الغزاة على ترك الضّرب حين ظفر بالعدوّ ورفع السّيف للضّرب فتفل فى وجه علىّ (ع) فترك الضّرب لهيجان النّفس للضّرب. فاذا عرف الانسان بماذكر وقدر وعمل ارتقى لامحالة الى مقام العبوديّة وهو مقام الفناء و مقام الولاية ثمّ اذا علم الله فيه استعداد اصلاح الغير ردّه الى بشريّته بخلعة النّبوّة والرّسالة اوالخلافة وبصّره دقائق الصّنع فى الملك والملكوت واقدره على دقائق التّصرّف فى الاشياء وأخدمه جميع الموجودات وهو آخر مراتب الحكمة . والمراد بالحكمة ههنا الولاية لانّها من نتائجها و هذا بيان الحكمة، وتحقيقها والتّفسيرات المختلفة الّتى وقعت فى كلماتهم راجعة اليه مثل ان قيل : هى معرفة حقائق الاشياء كما هى، او: هى العلم الحسن والعمل الصّالح، او: هى الاتيان بالفعل الّذى له عاقبة محمودة، او: هى الاقتداء بالخالق بقدر الطّاقة البشريّة، او: هى التّشبّه بالاله فى العلم والعمل بقدر الطّاقة البشريّة [وَآتَيْنٰاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً] الملك اسم مصدر بمعنى مايملك، ويطلق على كلّ مملوك وعلى عالم الطّبع خاصّة لانّه لاجهة فيه الّا المملوكيّة بخلاف الملكوت الّتى هى مبالغة فى المالكيّة فانّها و ان كانت

مملوكة من وجه لكن لها مالكيّة للملك كمالكيّة الجبروت لمادونها واللاهوت لما سواها، والمراد بالملك العظيم ههنا مقابلاً للكتاب والحكمة هو الرّسالة وخلافة الرّسالة فانّها لجمعها بين الوحدة والكثرة بنحو الكمال ملك لااعظم منها وقد فسّر في الخبر بالطّاعة المفروضة اللازمة لها ، وبطاعة جميع الموجودات تكويناً اللازمة للولاية ، وبملك القلوب. وتكرار آتينا للاشارة الى استقلاله بالامتنان و الانعام [فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه تعالى قال بعد ارادة عليّ (ع) من النّاس المحسودين ، وذكر اعطائه من فضله تصريحاً والكتاب والحكمة والملك العظيم تعريضاً ينبغي ان يؤمنوا به ولا يخرجوا من طاعته لكنّهم تفرّقوا واختلفوا ، اوعطف على محذوف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مافعلوا به ؟ـ فقال : اختلفوا فيه فمنهم من آمن به كسلمان واقرانه [وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ] اعرض او منع غيره [وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً] يعنى ان لم نعاقبهم فى الدّنيا فكفاهم جهنّم فى الآخرة والجملة عطف على منهم من صدّ عنه من قبيل عطف الانشاء على الخبر اوباعتبار لازم معناه كأنّه قال: ومنهم من صدّ عنه وهم المعاقبون فى النّار [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً] تفصيل لحال المؤمنين به والصّادّين عنه وتقديم حال الصّادّين لقصد كون الافتتاح والاختتام بحال المؤمنين كأنّه قال : امّا الّذين صدّوا عنه وامّا الّذين آمنوا به ؛ لكن اداه هكذا اشارة الى تعليل قوله كفى بجهنّم سعيراً والى كونهم كافرين وانّ عليّاً (ع) اعظم الآيات وانّ الكافر به كافر بجميع الآيات [كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ] اختلف كلمات الحكماء و الصّوفيّة فى كيفيّة خلود اهل النّار وعذابهم الدّائمىّ واصحاب الشّرائع مطبقون على خلودهم و انّ المحكوم بكونه اهل السّجّين لا نجاة له من داره وانّ لكلّ دار عمّاراً هم اهلها لايخرجون منها ابداً، وتبديل جلودهم يكون بحسب ملكاتهم الرّديّة وعقائدهم الفاسدة واخلاقهم الكاسدة فانّها من فروع الشّجرة الخبيثة الّتى اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار، والمراد بالجلود امّا جلود الابدان او جلود الارواح وهى ابدانهم الخبيثة ، و السّؤال بانّ المعاقب يصير غير المذنب ساقط من اصله لاجواب له [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً] لامانع له من حكمه وعقوبته [حَكِيماً] لايعاقب من غير استحقاق [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بعليّ (ع) [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] حتّى كسبوا فى ايمانهم خيراً [سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً] ثمّ صرف القول الى النّاس المحسودين بالخطاب لهم فقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ] ايّها النّاس المحسودون الّذين اتاكم الله من فضله واتاكم الكتاب والحكمة والملك العظيم [أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا] شكراً لما انعم به عليكم اى : لاتعطوها غير اهلها فتظلموها ، ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم ، والخطاب خاصّ بهم لكن يعمّ الامر غيرهم ايضاً لكونهم مأمورين بالتّأسّى بهم ولذلك عمّموا الآية فى الاخبار .

تحقيق معنى الامانات

والامانة مايودع عند الامين قصداً الى حفظه ونمائه ان كان له نماءٌ، وامانات الله عند الانسان كثيرة منها الامانة الّتى عرضها الله على السّماوات والارض وهى اصلها واساسها واشرفها وانماها وهى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتى لاجوهر اشرف منها فى خزائنه تعالى، ولمّا اراد اخراجها من خزائنه وكان لها لنفاستها اعداء كثيرة طلب لها مأمناً من سماوات الارواح فلم يكن فيها مأمن لايداعها ، ثمّ عرضها على اراضى الاشباح من الملكوتين و جملة عالم الطّبع فلم يجد لها مأمناً ، ثمّ عرضها على

المواليد الجماد و النّبات و الحيوان فلم تكن لها باهل، ثمّ عرضها على عالم الانسان فوجده اهلاً لها فاودعها فيه وقبلها الانسان؛ فلمّا اودعها الانسان وكانت لشرافتها ونفاستها كثيرة الطّلّاب والسّراق من اهل العالم السّفليّ ولم يمكنه المدافعة من دون امداد من صاحب الامانة جعل الله تعالى له جنوداً من اهل العالم العلويّ وامره بحفظها وانمائها حتّى اذا طالبها سلّمها سالماً نامياً زاكياً، فمن امتثل امره تعالى وجاهد مع طلّابها وسرّاقها وحفظها عن ايدى السّراق وانماها و زكّاها صار مستحقّاً للخلع الفاخرة البهيّة والمنصب العالى الولاية و النّبوّة والرّسالة والخلافة والجلوس فى مقعد الصّدق عند المليك المقتدر، ومن اهمل رعايتها حتّى اختطفها سرّاقها صار مستحقّاً للسّجن والعقوبات، ثمّ بعد تلك الامانة الامانات الّتى اودعها الله الانسان لحفظ تلك الامانة سوى الجنود العلويّة الّتى عدّها لامداد الانسان فى حفظها وهى المدارك والقوى و الاعضاء الظّاهرة و الباطنة و امره بحفظها لانّ لها ايضاً طلّابا وسرّاقا من العالم السّفليّ، وامره بان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو العقل ثمّ قوّة قبول التّكاليف وامره ان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو العقل فى مظاهره البشريّة بان عرضها عليه وسلّمها لامره ونهيه ثمّ التّكاليف القالبيّة النّبويّة الحاصلة له بالبيعة العامّة، وامره ان يؤدّيها بعد حفظها واستنمائها الى اهلها الّذى هو صاحب التّكاليف القلبيّة بان عرضها عليه سالمة نامية، ثمّ التّكاليف القلبيّة الباطنة الّتى اخذها من صاحب الدّعوة الباطنة بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الخاصّة، وامره ان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو صاحب الدّعوة التّامّة والولاية المطلقة اعنى عليّاً(ع) فاذا استكمل له هذه الامانات وحفظها وانماها وسلّمها الى اهلها وارتضاها منه و رضى عنه اودعها امانات شريفة نفيسة هى ودائع الخلافة الالٓهيّة فى العالم الكبير فى لباس النّبوّة اوالرّسالة اوالخلافة اوالامامة وتلك اشرف الامانات بعد الامانة الاولى؛ وهى مختلفة فمنها ماهى من قبيل التّكاليف ولها اهل وهم المستعدّون لقبولها والعمل بها، وبعضها من قبيل الخلافة و لها اهل وهم المستعدّون لاصلاح الخلق والتّبليغ لهم كالمشايخ والنوّاب الّذين كانوا خلفاء الانبياء(ع) والاولياء(ع)، وبعضها هو اصل الخلافة الالٓهيّة ولها اهل وهم الّذين يقومون مقام الانبياء(ع) والاولياء(ع) بعد رحلتهم ويصدق على امانات النّاس الّتى هى من الاعراض الدّنيويّة ايضاً انّها امانات ولها اهل وهم صاحبو الامانات [وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ] يعنى لم يكن الحكومة حتماً عليكم وانتم فيها بالخيار لكن اذا حكمتم يأمركم ان تحكموا بالعدل اى بسبب العدل الّذى فى ايديكم ممّا نزل على محمّد(ص) من السّياسات، اوبآلة العدل الّتى هو السّياسات الالٓهيّة او متلبّسين بالعدل و التّسوية بين الخصمين اوبالعدل و الاستقامة خارجين عن الاعوجاج الّذى هو من مداخلة الشّيطان او حالكون حكمكم متلبّساً بالعدل والتّسوية، والعدل بين الخصمين هو التّسوية بينهما فى المجلس والتّخاطب والشّروع فى الخطاب والتّوجّه والبشر بل فى ميل القلب، فانّ التّسوية فى ذلك خروج عن الاعوجاج اذا كانا مسلمين فانّهما ان كانا مسلمين وماسوّيت بينهما كنت جائراً، وكذا اذا لم تسوّ بينهما فى الميل القلبىّ من جهة الحكومة كنت معوّجاً بتصرّف الشّيطان [إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ] فتقبّلوا عظته، هذه جملة معترضة [إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا] تعليل لاداء الامانة الى اهلها والحكم بالعدل وتحذير عن المخالفة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ] فيما انزل ولاسيّما عمدة ما انزل وهى ما به صلاحكم ورفع نزاعكم وردّ خلافكم وهو تعيين من ترجعون اليه فى جملة اموركم الدّنيويّة والاُخرويّة وفيما اشتبه عليكم وهى قوله انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا (الى آخرها) فانّه لاخلاف بينهم انّه فى علىّ(ع) [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فيما آتاكم وفيما نهاكم

عنه فما آتاكم الرّسول (ص) فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا ولا سيّما عمدة ماآتاكم وهى قوله بعد ماقال: الست اولى بكم من انفسكم ، الا ومن كنت مولاه فهذا علىّ(ع) مولاه ؛ ولاخلاف بينهم انّه من الرّسول (ص).

تحقيق معنى اولى الامر

[وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] لم يكرّر اطيعوا اشارةً الى تعيين اولى الامر وانّ اولى الامر من كان شأنه شأن الرّسول وامره امره وطاعته طاعته حتّى لايكون لكلّ طاعة غير طاعة الآخر، و تفسير اولى الامر بامراء السّرايا و السّلاطين الصّوريّة الاسلاميّة نقض لصدر الآية اوالتزام نسخ له اوالتزام اجتماع النّقيضين لانّه لانزاع فى وجوب طاعتهم فى امر الدّنيا اولمحض التّقيّة ؛ انّما النّزاع فى طاعتهم فى امر الدّين من غير تقيّة ويلزم منه ماذكر، لانّ واو العطف للجمع والسّلاطين بعضهم فسّاق وقد يكون امرهم خلاف امرالله وامر رسوله (ص) فلا يمكن الجمع بين الطّاعات الثّلاث فوجوب طاعتهم امّا ناقض لوجوب طاعة الرّسول (ص) اوناسخ له اوالتزام لاجتماع النّقيضين ، فانّ السّلاطين الجائرة يكون امرهم بقتل النّفس المحرّمة مناقضاً لنهيه تعالى عنه وكذا حال امرهم بشرب الخمر لندمائهم مع نهيه تعالى عنه ، وتقريره انّه اذاكان المراد باولى الامر السّلاطين على ما زعموا يلزم وجوب طاعتهم فى جميع ما امروا و نهوا بصريح الآية وعدم ما يخصّصه، **لايقال**: المخصّص هو صدر الآية فانّ الامر بطاعة الله والرّسول (ص) مقدّماً على طاعة السّلطان يفيد وجوب طاعة السّلطان فيما لاينافى طاعتهما، **لانّا نقول**: يكون الامر بطاعة السّلطان حينئذٍ لغواً لانّ امره ان كان مطابقاً لامر هما فالامر بطاعة الاوّلين كافٍ عن ذلك الامر ، و ان كان منافياً فوجوب طاعتهما يفيد عدم وجوب طاعته ، وان كان غير معلوم مطابقته وعدمها فامّا ان نكون مأمورين بتشخيص المطابقة وعدمها ثمّ بالطّاعة وعدمها فبعد التّشخيص يأتى الشّقّان ، اولم نكن مأمورين بتشخيص المطابقة فامّا ان نلتزم انّ امره مبيّن لأمرالله ورسوله و مطابق له فهو خلاف الفرض والتزام لمذهب الخصم، اولانلتزم ذلك فيلزم حينئذٍ من الامر بطاعته الاغراء بالحرام من الله والتّوالى باطلة، وكلّما وجب طاعة السّلاطين فى جميع ماامروا ونهوا يلزم وجوب طاعتهم فيما يخالف امرالله ونهيه ويناقضهما؛ فامّا ان يكون وجوب طاعتهم مقدّماً على وجوب طاعة الله مع بقاء وجوبها فيكون نقضاً اورافعاً لوجوب طاعته وبياناً لانتهاء امد وجوبها فيكون نسخاً اونلتزم بقاء الوجوبين فجواز اجتماع النّقيضين ، فان تعلّق الامر والنّهى بقضيّةٍ واحدةٍ فى زمانٍ واحدٍ مستلزم لجواز ايجاب تلك القضيّة وسلبها وهو التّناقض. فالحاصل انّ ارادة السّلاطين من اولى الامر مناقضة مع صدر الآية بخلاف مالواريد باولى الامر من كان شأنه شأن النّبىّ وامره امره وعلمه علمه وكان معصوماً من الخطاء والزّلل ، فانّ امره حينئذٍ يكون موافقاً ومبيّناً لامر الرّسول (ص) ولو لم يكن سوى هذه الآية فى اثبات مدّعى الشّيعة لكفت هذه ولاحاجة لهم الى غيرها مع انّ عليه ادلّة عديدة عقليّة ونقليّة دوّنها القوم فى تداوينهم ، وتوسّلهم بالاجماع وحديث لاتجتمع امّتى على خطأٍ ؛ يدفعه آية الخيرة، وحديث الغدير فى مشهد جمّ غفير بحيث ماامكن لهم انكاره على انّ الاجماع محض ادّعاء و افتراء لخروج بعض الصّحابة عن البيعة و عدم حضور كثير فى السّقيفة و ردّ جمع على ابى بكر الخلافة وتوسّلهم بصلوته بالامّة فى حال حياة الرّسول (ص) حجّة عليهم، لانّ النّبىّ (ص) بعد ما افاق وعلم انّ ابابكر امّ بالقوم خرج مع ضعفه وازاله عن مقامه قبل اتمام صلوته وامّ بنفسه ، وهو دليل على انّه لم يؤمّ القوم به بأمره وانّه لاينبغى له الامامة والّا كان تقريره عليها فى حال حياته واجباً، وحديث: سيّدا كهول اهل الجنّة ؛ يدفعه العقل والنّقل لانّ اهل الجنّة على اشرف الاحوال وهى حال الشّباب كماورد انّ اهل الجنّة جردٌ مردٌ، وحديث: لولم ابعث لبعث عمر ؛ يكذّبه قول النّبىّ (ص) فى حقّ من تخلّف عن جيش اسامة وردّه عليه فى أمره باحضار

القلم والدّواة لرفع النّزاع ، وقوله : انّ الرّجل ليهجر ؛ وخلافة ابى بكر بلا فصل بزعمهم ، ومواخاته(ص)مع عليّ(ع)دونه، ووصايته باداء ديونه و انجاز عداته(ص) الى عليّ وانت منّي بمنزلة هارون من موسى (ع)وكون عليّ(ع)بمنزلة نفسه تحت الكساء ، والمستحقّ للبعثة اولى بكلّ ذلك، وتأسّي جبرئيل بأبى بكرفى لبس الصّوف واسترضاء الله منه ؛ يكذّبه انّ التأسّي بالنّبيّ (ص) اولى واسترضاء النّبيّ (ص) اجدر مع انّه سوّف استرضاء النّبيّ (ص) فقال : و لسوف يعطيك ربّك فترضى ، و فرار الشّيطان من هيبة عمر ؛ يكذّبه فراره من الغزاء في احد ، وآية : انّما استزلّهم الشّيطان ببعض ما كسبوا فى الفارّين فى احد . والحاصل انّ مقدّماتهم الّتى نظموها شاعرين اوغيرشاعرين مختلّة ، فانّهم حالاً وقالاً يقولون: انّ ابابكرلم يكن معصوماً وكلّ من لم يكن معصوماً يمكن ان يكون خليفة للرّسول (ص) ، فأبوبكريمكن ان يكون خليفة للرّسول، وكلّ من يمكن ان يكون خليفة واجمع الامّة على خلافته فهو خليفة ، فابوبكر خليفة ؛ فنقول : الصّغرى فى القياس الثّانى وهى انّ ابابكر يمكن ان يكون خليفة واجمع عليه الامّة باطلة بحسب امكان خلافته كما يجيء وبحسب اجماع الامّة كما عرفت، والكبرى فيه ايضاً باطلة بآية الخيرة ، والصّغرى فى القياس الاوّل مسلّمة بل نقول : انّ ابابكر مثل عمر تخلّف عن جيش اسامة فضلاً عن ان لم يكن معصوماً ، وامّا الكبرى فيه فهى فاسدة، لانّ الرّسول (ص) كان له الرّسالة والخلافة الالهيّة وهى تقتضى ان يكون صاحبها كالآله ناظراً الى كلّ فى مقامه ومعطياً لكلّ حقّه بحسب استعداده ولسان استحقاقه حافظاً لكلّ باسباب حفظه، والّا لم يكن خليفة الله وكان له السّلطنة على كلّ من دخل تحت يده و هذه تقتضى التّسلّط عليهم بحسب الدّنيا والتّصرّف فيهم بأىّ نحو شاء فان كان المراد بخليفته وامكان عدم عصمته هو خليفته فى السّلطنة والغلبة فى الدّنيا ، فمسلّم انّه لايجب عصمته بل يجوز فسقه ؛ لكنّ الكلام فى خلافة الرّسالة و السّياسة الالهيّة و هذا الوصف يقتضى كون صاحبه كالرّسول (ص) بصيراً ناقداً عالماً بمرتبة كلّ واستحقاقه ولسان استعداده برزخاً واسطة بين الخلق والحقّ موصلاً كلّاً الى غايته والّا كان مفسداً فى الارض ومهلكاً للحرث والنّسل ، على انّه ان لم يصدّق الخلق بأنّه بصير من الله عالم بخفيّات الموجودات وجليّاتها قادر على حفظ كلّ فى مرتبته و على اعطاء كلّ حقّه لا يقع منهم اطاعته عن صميم القلب فلم ينقادوا له باطناً فلم ينتفعوا منه بحسب الآخرة، فان علموا انّه غير معصوم ويجوز له الخطاء فيما القى اليهم فكيف يسلّمون له وهذا هو الّذى اقتضى النّصّ فى حقّه فانّ العصمة والبصيرة والعلم ببواطن الامور امر ليس فى ظاهر البشرة فيدرك بالابصار حتّى يمكن معرفته للخلق، بل أمر خفيّ لايدركه الّا من كان محيطاً به عالماً بسرائره وخفيّاته فمن لم يكن عليه نصّ لايمكن خلافته وفى آيات توقّف الشّفاعة على اذن الله اشارة الى هذا التّوقّف ولذلك قالت الصّوفيّة: توقّف الرّياسة الالهيّة على الاذن والاجازة من ضروريّات المذهب اوقريب منها وكان سلسلة اجازتهم منضبطة يداً بيد ونفساً بنفس الى المعصوم ، والفقهاء رضوان الله عليهم قائلون به وكان سلسلة اجازتهم مضبوطة بل كانوا فى الصّدر الاوّل اذا لم يحصل لاحد منهم الاجازة فى الكلام مع الخصوم والرّواية عن المعصوم لم يتكلّم مع احد فى امر الدّين ولم يرو حديثاً من أحاديث المعصومين ، و مشايخ اجازة الرّواية معروفة فمن ادّعى الخلافة ونيابة الرّسالة من غير اذن واجازة لم يكن كالصّدر الاوّل من العذاب بمفازة . ولمّا كان الرّسول(ص) مؤسّساً للاحكام السّياسيّة والعبادات القالبيّة اخذاً للبيعة منهم من هذه الجهة ويسمّى اخذه للبيعة من هذه الجهة اسلاماً، وكان هادياً من جهة القلب ومصلحاً لاحوال الباطن و مبيّناً للآداب القلبيّة اخذاً للبيعة منهم من هذه الجهة ويسمّى ايماناً كان خليفته امّا خليفة له من الجهتين كعليّ (ع) واولاده المعصومين (ع) وكلّ من كان جامعاً

للطّرفين حافظاً للجانبين . وامّا خليفة له من الجهة الاولى وهم الفقهاء وعلماء الشّريعة رضوان الله عليهم الّذين تصدّوا للاحكام الظّاهرة و آداب السّياسة ، و امّا خليفة له من الجهة الاخرى كالصّوفيّة الصّافية الطّويّة من الشّيعة الّذين كان تمام اهتمامهم بأحوال الباطن وأحكام القلب والنّزاع بين الفريقين بانكار كلّ طريقة الاخرى ناشٍ من الجهل بحقيقة الرّسالة والغفلة عن كيفيّة النّيابة، فانّ كلّاً اذا حصل له الاذن والاجازة كان نائباً فى مرتبته مأجوراً فى شغله مفروضاً طاعته اماماً فى مرحلته محكوماً على الخلق بالرّجوع اليه والاخذ منه ، وكلّ منهما اذا لم يحصل له الاجازة كان نسناساً بل خنّاساً وشيطاناً مردوداً ، فالنّزاع ليس فى محلّه بل الحقّ ان يبدل النّفاق بالوفاق ويرجع كلّ الى صاحبه فيما هو من شأنه ويأخذ منه فيتصالحا ، فانّ الظّاهر غير غنىٍّ عن الباطن والباطن لايستكمل بدون الظّاهر، وقصّة اتّباع موسى(ع) للخضر(ع) مع كونه افضل واعلى من الخضر بمراتب عديدة برهان على جواز رجوع الافضل فى جهة الى من كان افضل منه فى جهة اخرى ، فلابدّ ان يرجع صاحب الباطن الى عالم الشّرع فى الاحكام الظّاهرة وصاحب الشّرع الى عالم الطّريقة فى الاحكام الباطنة فاذا تصالحا وتوافقا فالاحسن ان يتظاهرا ويدفعا كلّ منافق كذّاب من مدّعى الفتيا والسّلوك عن ادّعائه ويظهرا بطلانه ويحفظا الدّين عن غوائل الشّياطين من الكذّابين وتلبّس بعض الزّنادقة بلباس الصّوفيّة ، وكذا تلبّس المتصوّفة من العامّة بلباسهم وصدور ماينافى الشّريعة عنهم قولاً وفعلاً لا يصير سبباً لطعن صوفيّة الشّيعة ؛ فانّهم مراقبون كمال المراقبة فى ان لايصدر عنهم ما يخالف الشّريعة قولاً وفعلاً بل يقولون ترك القيد فى ان يتقيّد الانسان بالشّريعة و يراقبون ان لا يجرى على لسانهم غير ماجرى على لسان الشّريعة فكيف بفعلهم و اعتقادهم [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ] يسير فكيف بالخطير خصوصاً النّبأ العظيم الّذى هو الخلافة [فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ] لم يقل والى اولى الامر لانّ المقصود الاصلىّ انّه اذا وقع التّنازع بينكم فى تعيين ولىّ الامر فردّوه اليهما فاذ اعيّناه لكم فردّوا جميع اموركم اليه ، وفى بعض الاخبار انّ الآية هكذا فان تنازعتم فى شيءٍ فردّوه الى الله و الى الرّسول و الى اولى الامر منكم يعنى ردّوا جميع ما خفتم التّنازع فيه الى قولهما فانّهما بيّنا جميع ما تحتاجون اليه ببيانه فى الكتاب والسّنّة وبتعيين من عنده علم الكتاب فانّ قول الله اطيعوا الله(الى آخر الآية) وقوله انّما وليّكم الله (الى آخر الآية) فى علىّ(ع) وقول محمّد(ص) : من كنت مولاه (الحديث) بيّنا انّ الاولى بكم من انفسكم واحرى بالرّجوع اليه والاخذ منه والتّسليم له هو علىّ(ع) فان رددتم كلّما خفتم التّنازع فيه الى علىّ(ع) بعد ماردتم النّزاع الكلّىّ الى الكتاب والرّسول (ص) واخذتم بقولهما فيه لم يبق لكم ريب ونزاع فى شيءٍ من الاشياء وان حكّمتم الرّجال دون الكتاب وقول الرّسول(ص) خرجتم من الرّشاد وطريق السّداد الى الحيرة والارتياب؛ هذا فى الكبير ، وأمّا فى العالم الصّغير فانّ تنازع النّفس وهواها والطّبيعة وقواها معكم فى شيء من الاشياء فاعرضوه على الرّوح و العقل فكلّما ارتضاه العقل و صدّقه الرّوح فخذوه وكلّما لم يصدّقه العقل و ان كان النّفس ارتضته فاتركوه [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعنى انّ الايمان بهما يقتضى ردّ كلّ مااشتبه عليكم الى الكتاب والسّنّة ومن عنده علمهما، وترك الرّجوع الى الكتاب والسّنّة ومبيّنهما دليل عدم الايمان بهما [ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] من تحريفكم اولى الامر من معناه الى السّلاطين و وليّكم الى المحبّ ومولاه الى المحبّ حتّى يستقيم لكم رأيكم الباطل [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ] اى الخارج من حكومة العقل الّذى هو

عليّ (ع) البالغ فى الطّغيان عليه [وَقَدْ أُمِرُوا اَنْ يَكْفُرُوا بِهِ] اى بمن خرج عن حكومة العقل وحكم الله [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً] بعد ما بيّن وجوب طاعة الله فيما انزل و طاعة الرّسول فيما حكم و طاعة وليّ الامر يعنى صاحب الامارة الباطنة وصاحب عالم الامر مقابل الخلق و بيّن وجوب الرّدّ الى كتاب الله و الى الرّسول (ص) وقد عيّن فى الكتاب وبيّن الرّسول من هو وليّ الامر وترجمان الكتاب والسّنّة وقد لزم منه انّ من خرج عن طاعةالله وطاعة الرّسول(ص) ونبذ قولهما فى تعيين وليّ الامر وراء ظهره لم يكن مؤمناً و ظهر ذلك بحيث لاخفاء فيه خاطب رسوله على سبيل التّعجيب من بلادة من اتّبع الشّيطان باضلال الطّاغوت فانّ القضيّة وان لم تكن بعد لكنّها مشهودة لمحمّد (ص) فالآية انكانت نازلة فىالزّبير بن العوّام ورجل من اليهود كما ورد انّ الزّبيرنازع يهوديّاً فى حديقة فقال الزّبير: نرضى بابن شيبة اليهوديّ وقال اليهوديّ: نرضى بمحمّد(ص) فنزلت حرمة المحاكمة الى الطّاغوت وسلاطين الجوروقضاتهم، وحرمة ماأخذ بحكمهم قد وردت عن ائمّتنا المعصومين، فعن الصّادق(ع) للاشارة الى تعميم الآية: ايّما رجل كان بينه وبين اخ له مماراة فى حقٍّ فدعاه الى رجلٍ من اخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى الّا ان يرافعه الى هؤلاء كان بمنزلة الّذين قال الله: الم تر الى الّذين يزعمون (الآية)، وعنه (ع) انّه سئل عن رجلين من اصحابنا يكون بينهما منازعة فى دين اوميراثٍ فتحاكما الى السّلطان او الى القضاة، ايحلّ ذلك؟ـ فقال: من تحاكم الى الطّاغوت فحكم له فانّما يأخذ سحتاً وانكان حقّه ثابتاً لانّه اخذ بحكم الطّاغوت وقد امرالله ان يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ـ قال: انظروا الى من كان منكم قدروى حديثنا ونظرفى حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فارضوا به حكماً فانّى قد جعلته عليكم حاكماً فاذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فانّما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله.

تحقيق حديث انظروا الى من كان منكم

و قد روى هذا الخبر فى الكافى بتغييرٍ يسيرٍ **و قوله**: الى من كان منكم مقصوده من كان قد دخل فى هذا الأمروعرف ولايتنا وقبل الدّعوة الباطنة وبايع معنا البيعة الخاصّة الولويّة لامن انتحل الاسلام كاكثر العامّة اوبايع على يد من لايجوز البيعة على يده كخلفاء الزّور، **و قوله**: قد روى حديثنا، مراده انّ العارف لهذا الامر لا ينصب نفسه لرواية الحديث الّا ان يؤذن له بحسب استعداده واستحقاقه **وقوله**: نظر فى حلالنا وحرامنا يعنى به انّ الدّاخل فى هذاالامرمالم يستعدّ للنّظرفى حلالنا وحرامنا بخروجه من حكومة النّفس و الشّيطان و باصلاح نفسه بقدر استعداده من تخليته عن الرّذائل و تحليته بالفضائل لايؤذن له فى النّظر الى ما هوخارج عن نفسه بل يلقى اليه ما هو تكليفه ويؤمر بالعمل به حتّى يخلص من غوائل نفسه فاذا خلص يؤذن له فى النّظر الى ما هو خارج عن نفسه، **وقوله**: عرف احكامنا، يعنى بسماع اشخاصها منّا اوبسماع كلّيّاتها بحيث تنطبق على الجزئيّات لانّ المعرفة تستعمل فى العلوم الجزئيّة الحاصلة من المدارك الجزئيّة **وقوله**: فارضوا به حكماً، يعنى انّ الاوصاف المذكورة تدلّ على انّه منصوب منّا مأذون من قبلنا وكلّ من كان منصوباً منّا لابدّ من الرّضا بحكومته لانّ حكومته باذننا هى حكومتنا، **و قوله**: فانّى قد جعلته عليكم حاكماً، مؤكّداً بانّ و اسميّة الجملة و تكرار النّسبة بتقديم المسند اليه قريناً بقد و ما ضويّة المسند يدلّ مثل سابقه على انّ الجعل والنّصب قد وقع منه سابقاً؛ فالحديث دليل على الاذن الخاصّ الحاصل للموصوف بهذه الاوصاف وعلى انّ هذه الاوصاف امارات هذا الاذن. هذا فى الكبير، وامّا فى الصّغير فالمراد بالتّحاكم الى الطّاغوت التّحاكم الى الخيال وقبول حكومته باضلال شيطان الوهم وحيلته وهما مظهر الطّاغوت

والشّيطان فى الصّغير، فمن اكل و لبس ونكح وجمع المال بحكومة الخيال فهو آكل السّحت، و شاركهم فى الاموال و الاولاد، اشارة اليه، وقد امروا ان يكفروا بحكومته الخيال و يرجعوا الى كتاب القلب و رسول العقل؛ وعلىّ الرّوح، فمن رجع الى حكومة علىّ الرّوح الجارية على لسان رسول العقل الثّابتة فى كتاب القلب فكلّ مافعل فهوحلال وان كان يرى صورته خلافاً، وكلّ مافعل بحكومة الخيال فهوحرام وان كان يرى صورته وفاقاً، فالصّوم والصّلوة والحجّ والجهاد من اتباع الشّيطان سحت وعصيان، والنّوم والنّكاح والاكل والمزاح من اتباع علىّ(ع)طاعة واحسان. ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه:

مشورت با نفس خود گر ميكنى	هرچه گويد كن خلاف آن دنى
گر نماز و روزه ميفرمايدت	نفس مكّار است مكرى زايدت

وقوله تعالى: ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه، وما لكم الّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه. اشارة الى هذا، وقد قال المولوىّ روّح الله روحه:

هر چه گيرد علّتى علّت شود	كفر گيرد كاملى ملّت شود
از سموم نفس چون باعلّتى	هرچه گيرىتو مرض را آلتى

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ] يعنى انّا اريناك القضايا الآتية والمنازعات المستقبلة ممّا سيقع بين علىّ(ع) واصحابه و بين المنافقين واحزابهم من المحاجّات والمنازعات ومن دعائهم الى كتاب الله والى ماقلت فى حقّه فكلّما قيل لهم تعالوا نجعل الكتاب وسنّة الرّسول حكماً [رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً] صدّ عنه صدوداً بمعنى اعرض وصدّ عنه صدّاً بمعنى منع، والمقصود انّهم يعرضون عن علىّ(ع) واتى به خطاباً لمحمّد(ص) امّا تعريضاً بعلىّ(ع) او للاشارة الى انّ الصدّ عن علىّ (ع) صدّ عنه لانّه ظهوره بعده وبمنزلة نفسه كما دلّ عليه آية انفسنا، و فى الخبر اليه اشارة [فَكَيْفَ] حالك معهم [إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ] عقوبة من الله [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ] للاعتذار كذباً [يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً] بك وبامّتك [وَتَوْفِيقاً] بينهم [أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ] من النّفاق و يستر عليهم [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] اى عن تفضيحهم ولا تعاقبهم و دارهم فانّ فى مداراتهم مصلحة كلّيّة لنظام الكلّ [وَعِظْهُمْ] اتماماً للحجّة و تقليلاً لاظهارهم نفاقهم [وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ] فى شأن علىّ (ع) فانّه نفسيّة كلّ ذى نفس او فى الخلوة او فى شأن انفسهم [قَوْلاً بَلِيغاً] يؤثّر فيهم ويمنعهم من اظهار نفاقهم حتّى لا يوافقهم كثير من امّتك فانّ اكثرهم بسبب قتل علىّ (ع) منهم اقاربهم يعادونه و اذا رأوا من يعانده و ينافقه يوافقونه، والمداراة مع هؤلاء المنافقين و موعظتهم وتخويفهم بحيث لا يجترؤن على اظهار نفاقهم مع غيرهم اصلح لحفظ امّتك عن النّفاق [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ] عطف على قوله: اذا قيل لهم، وتنبيه على غاية شقاوتهم فى الآباء عن الرّجوع اليه(ص) [وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بالمعاهدة على معاندة علىّ (ع) و الاتّفاق على غصب حقّه تابوا و ندموا و [جَاؤُكَ] يعنى جاؤا علياً (ع) تعريضاً او لانّه مظهره [فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ] مخلصين عند علىّ (ع) [وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ] اى نفس الرّسول(ص) وهو علىّ(ع)

[لَوَجَدُوااللهَ تَوّاباًرَحيماً] فانّه جعل علياً (ع) بابه و مظهر رحمته فمن تاب عنده فاز بتوبة الله و رحمته [فَلاوَرَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ] لايصيرون متّصفين بالاسلام والايمان العامّ [حَتّى يُحَكِّمُوكَ] اويحكّموا علياً(ع) [فيما شَجَرَبَيْنَهُمْ] اى فيما تنازعوا فيه من، شجر الامر بينهم، بمعنى تنازعوا فيه [ثُمَّ لايَجِدُوافي اَنْفُسِهِمْ حَرَجاًمِمّاقَضَيْتَ] انت اوعلىّ (ع) [وَيُسَلِّمُوا] انفسهم لك اولعلىّ (ع) [تَسْليماً] فى الكافى عن الباقر (ع) لقد خاطب الله اميرالمؤمنين (ع) فى كتابه فى قوله : ولو انّهم اذظلموا و تلا الى قوله فيما شجر بينهم قال فيما تعاقدوا عليه لئن امات الله محمّداً(ص) لايردّوا هذا الامر فى بنى هاشم ثمّ لايجدوا فى انفسهم حرجا ممّا قضيت عليهم من القتل اوالعفو ويسلّموا تسليماً، وامثال هذا من اسرار الكتاب الّتى لايعلمها الا من خوطب به والرّاسخون فى العلم يقولون كلّ من عند ربّنا ولقد بيّناوجه صحّته مع كون الخطاب ظاهراً لمحمّد(ص) [وَلَوْاَنّا كَتَبْنا] فرضنا [عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوااَنْفُسَكُمْ] كفّارة لذنوبكم كما كتبنا على بنى اسرائيل بعد عبادتهم للعجل [اَوِاخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ] بالجلاء [ما فَعَلُوهُ اِلّاقَليلٌ مِنْهُمْ] تفضيح بليغ لهم ببيان انّ حالهم فى اتّخاذهم العجل باغواء سامريّهم اقبح واقوى فى الشّقاء من قوم موسى (ع) فانّهم ندموا وتابوا وبعد ندمهم كتبنا عليهم القتل ففعلوا وهؤلاء لا يندمون ولوندموا لا يفعلون ماكتب عليهم [وَلَوْاَنَّهُمْ فَعَلُواما يُوعَظُونَ بِهِ] من الرّجوع الى الكتاب والى قولك فى علىّ(ع) ومن الرّجوع اليه والرّضا بحكومته والتّسليم له بعد التّندّم وطلب الاستغفار منه [لَكانَ خَيْراًلَهُمْ وَاَشَدَّتَثْبيتاً] لاقدامهم على الاسلام [وَاِذاًلَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنّااَجْراًعَظيماً] لانّه باب رحمتنا فلايردّ من اتاه خائباً [وَلَهَدَيْناهُمْ صِراطاًمُسْتَقيماً] فانّ النّدم عن خلافهم معه وطلب المغفرة منه يوجب شمول رحمتنالهم، وبشمول رحمتنا يستحقّون الايمان والتّوبة الخاصّة على يده، وحينئذ يقبلهم ويتوب عليهم و يأخذ منهم البيعة الخاصّة الولويّة، ويفتح لهم باباً الى الصّراط المستقيم الّذى هوصراط القلب بل الطّريق الى الحضور عنده الّذى هو الحضور عندالله [وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ] بقبول امرهما فى علىّ(ع)، فاذا قبل ماقالا فى علىّ(ع) رجع اليه والتجأ اليه، ومن التجأ اليه عن صدق صار مقبولاً عنده، ومن صار مقبولاً عنده رحمه و اخذ البيعة وميثاق الله منه وادخله فى ولايته، ومن ادخله علىّ (ع) فى ولايته [فَاُولئِكَ مَعَ الَّذينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ] فانّ النّعمة الحقيقيّة هو علىّ(ع) وولايته فمابلغ من بلغ النّبوّة وكمالاتها الّا بولاية علىّ(ع)، وماابتلى من ابتلى منهم الّا بالوقوف فى ولاية علىّ (ع) [مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ اُولئِكَ رَفيقاً] والنّبىّ هوانسان اوحى اليه بشيء، والصّدّيق هوالّذى خرج عن الاعوجاج قولاً وفعلاً وعقيدةً وخلقاً بحيث لا يبقى فيه اعوجاج و يخرج غيره ايضاً عن الاعوجاج فانّ المبالغة تقتضى ذلك والمراد بهم الاوصياء الّذين صاروا كاملين فى أنفسهم مكمّلين لغيرهم، والشّهداء هم الّذين شهدوا الغيب بالسّلوك اوبالجذب و وصلوا الى مقام القلب و حضروا عند ربّهم فى الولاية الّذى هو علىّ (ع)، اوالمراد بهم الّذين استشهدوا فى الجهاد، والصّالحين ههنا هم الّذين توسّلوا بالولاية ولم يبلغوا مقاماً فيها لكن سلكوا عن صدق [ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ] ترغيب للنّاس وتحريص لهم على الولاية، وبشارة للمؤمنين بانّ الفضل الّذى ينبغى

ان يتنافس فيه ولا فضل سواه هوذلك التّرافق فمن طلب الفضل فليتولّ عليّاً (ع) وليدخل فى ولايته بالبيعة له [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ عَلِيماً] بمقدار استحقاقكم وسلوككم فى طريق ولايته فيتفضّل عليكم بقدرطاعتكم وسلوككم فلايكتف من بايع عليّاً(ع) بالبيعة الولويّة بمحض البيعة وليطلب زيادة الفضل والدّرجة العليا [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ] بعد ماذكر المنافقين وحالهم ومآلهم والموافقين وحالهم ومآلهم ، نادى المؤمنين شفقة بهم وحذّرهم عن صدّ المنافقين ايّاهم فأمرهم بأخذ الحذروهو التّيقّظ والتّهيّوء للعدوّ وقد يستعمل فى السّلاح وهوما به التّيقّظ والاستعداد، فان كان المرادبالمؤمنين الّذين بايعوا البيعة العامّة الّتى هى الاسلام فالمرادبالحذر الظّاهر الاسلحة للجهاد الصّورىّ وبالحذر الباطن التّمسّك بقول محمّد(ص) فى علىّ(ع) والتّذكّر له مداماً كما قال (ص) فى خطبته قبل القاء ولاية علىّ(ع) عليهم توصيةً لهم: رحم الله امرءً سمع فوعى فوصّاهم بالحفظ وان كان المراد بهم الّذين بايعوا عليّاً (ع) وتابوا على يده ودخل بنفخته الايمان فى قلوبهم وهو الايمان حقيقة فالمراد بالحذر الصّورىّ الاسلحة ايضاً والمراد بالحذر الباطنىّ الصّلوة الّتى علّمها ايّاهم فانّها تنهى عن الفحشاء والمنكر . وانّها السّلاح الّذى تردع الشّياطين الجنّيّة والانسيّة عن باب الله الّذى هو الولاية [فَانْفِرُوا] الى الجهاد الصّورىّ الجلىّ مع الكفرة اوالصّورىّ الخفىّ مع المنافقين المبطّئين ، اوالى الجهاد الباطنىّ مع اعدائكم الباطنيّة المبطئين لكم عن سلوككم ورجوعكم الى باب القلب والحضور عند علىّ(ع) فى بيت القلب [ثُبٰاتٍ] جمع الثّبة بضمّ الثّاء بمعنى الجماعة والمعنى انفروا متدرّجين كما هو شأن الحازمين فى الغزو الظّاهرىّ وشأن السّالكين فى الغزو الباطنىّ [أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً] مجتمعين كماهوشأن المتجلّدين المتجرّئين فى الغزو الصّورىّ وشأن المجذوبين فى النّفور الباطنىّ ولمّا كان المناسب بيان حالهم من السّلوك والتّرغيب فيه والتّبطئة منه قال تعالى فى ذلك: [وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ] عطفاً على محذوف هو قسيمه اى انّ منكم لمن يسرع فى النّفر اويبطوء فيقتل او يقتل واكتفى عنه بقوله : ومن يقاتل فى سبيل الله وفصّل احوال المبطّئين [فَإِنْ أَصٰابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ] ظاهره كالقتل والهزيمة والجراحة اوباطنه كالرّياضات والابتلاءات الّتى تكون فى الطّريق [قٰالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً] فيرى السّلامة فى دار البلاء عن الابتلاء فى طريق دار الرّاحة نعمة والحال انّها نقمة اذا لم تكن فى طريق الآخرة ، اومع الانصراف عن الولاية . فعن الصّادق(ع) لوقال هذه الكلمة اهل الشّرق والغرب لكانوا بها خارجين من الايمان ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين باقرارهم ، وفى رواية : وليسوا بمؤمنين ولاكرامة، والسّرّ فيه، انّه ما لم يختر الدّنيا وهوى النّفس لايرى السّلامة فيها نعمة ، ومن اختارها لم يكن له حظّ من الايمان ، وباسم الايمان لا يحصل له كرامة بل الكرامة بالايمان الّذى هو قبول الدّعوة الباطنة والبيعة مع صاحبها بشرائطها و بكسب الخير فيه الّذى يؤدّى الى ايثار الآخرة على الدّنيا [وَلَئِنْ أَصٰابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ] ظاهراً اوباطناً ولمّا كان القضيّة الاولى كأنّها مع من هو خالى الذّهن عن الحكم وسؤاله وانكاره حسن خلوّها عن التّأكيد وهذه لمّاكانت بعد الاولى وصار المخاطب بذكر قسيمها مستعدّاً للسّؤال عن القسيم الآخر اكّدها باللّام الموطّئة والقسم ولام القسم ونون التّأكيد استحساناً [لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يٰالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً] يعنى انّ الوصلة الايمانية تقتضى السّرور بتنعّمكم والحزن بمصيبتكم فالسّرور حين اصابتكم بسلامته والتّحسّر حين التّفضّل عليكم بعدم وصول الفضل اليه دليل على

مباينته لكم و ان كان موافقاً لكم بظاهر قوله ولذلك اتى بالجملة المعترضة بين القول ومقوله ، واذا كان حال المبطّئين على ما ذكر [فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] المؤمنون [اَلَّذِينَ يَشْرُونَ] اى يبيعون [الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ] اى الّذين باعوا على يد محمّد(ص) اوعليّ(ع) انفسهم واموالهم بأنّ لهم الجنّة فصار حالهم ان يعطوا تدريجاً من المبيع ويأخذوا على حسبه من الثّمن [وَمَنْ يُقَاتِلْ] عطف على محذوف جواب لسؤال مقدّر تقديره : من لم يقاتل فهو ملحق بالمبطّئين اوحال عن الّذين يشرون [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] اى حالكونه فى سبيل الله او فى حفظ سبيل الله [فَيُقْتَلْ اَوْيَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْراً عَظِيماً] يعنى كلاهما له فلاينبغى ان يطلب بجهاده الغلبة بل اعزاز نفسه بامتثال الامر واعزاز الدّين ببذل نفسه اوغلبته ، روى عن النّبىّ(ص) انّه قال: للشّهيد سبع خصال من الله ، اوّل قطرة مغفور له كلّ ذنب ، والثّانية يقع رأسه فى حجر زوجيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه ، الى ان قال : و الثّالثة يكسى من كسوة الجنّة ، و الرّابعة يبتدر خزنة الجنّة بكلّ ريح طيّبة ايّهم يأخذه منه ، والخامسة ان يرى منزله ، والسّادسة يقال لروحه: اسرع فى الجنّة حيث شئت ، والسّابعة ان ينظر فى وجه الله و انّها الرّاحة لكلّ نبىّ و شهيدٍ [وَمَا لَكُمْ] اىّ منفعة لكم او اىّ مانع لكم و الجملة عطف على قوله ليقاتل اوحال اومعطوف على مقدّر تقديره: اذا كان القتال لكم مطلقاً فما لكم لاترغبون؟ !فيه ومالكم [لَاتُقَاتِلُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر اوحال عن المجرور [فِي] تقوية [سَبِيلِ اللَّهِ] اوحفظها وهى الولاية فانّها سبيل الله حقيقة وكلّما انشعب منها اواتّصل بها فهو سبيل الله بتبعها [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] عطف على الله اوعلى سبيل الله سواء كان المراد بهم الائمّة واتباعهم واولادهم الّذين عدّهم اشباه النّاس ضعفاء اوجعلوهم ضعفاء بمنع فيئهم وقتل انصارهم ام كان المراد بهم ضعفاء العقول من الشّيعة اوغيرهم ، والمعنى مالكم لاتقاتلون الاعداء الظّاهرة للولاية فى تقوية الولاية واعلائها واعلانها بأيديكم والسنتكم واموالكم ببذلها للاعداء فى اسكاتهم اوببذلها لمن يدافعهم و يسكتهم و الاعداء الباطنة لها بالسنتكم باذكارها و بجوارحكم باعمالها و بقواكم الّتى هى اموالكم الباطنة ببذلها حتّى تدفعوا اعداءها عنها و فى تقوية الّذين عدّهم الاعداء اوجعلوهم ضعفاء من الائمّة واتباعهم وفى نصرتهم ، اوتقوية المعدودين من الضّعفاء بدفع الشّبه الواردة عليهم من الاعداء وهم شيعة ائمّة الهدى(ع)، اوفى تقوية الضّعفاء من جنود وجودك الّتى عدّهم الشّيطان وجنوده اوجعلوهم ضعفاء ، او فى حفظ المعدودين من ضعفاء العقول عن الهلاك و الضّياع [مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ] لا قوّة لهم على مدافعة الاعداء و [يَقُولُونَ رَبَّنَا اَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا] ان كان النّزول فى ضعفاء مكّة فلا اختصاص لها بهم كما فى الخبر فالقرية مكّة وكلّ قرية لايجد الشّيعة فيها وليّاً من الامام ومشايخهم وكلّ قرية وقع بها الائمّة بين منافقى الامّة وقرية النّفس الحيوانيّة الّتى لايجد الجنود الانسانيّة فيها وليّاً ويطلبون الخروج منها الى قرية الصّدر ومدينة القلب ويسألون الحضور عند امامهم اومشايخهم فى بيت القلب خالياً عن مزاحمة الاغيار بقولهم [وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً] تكرار اجعل لانّ مقام التّضرّع والابتهال يناسبه التّطويل والالحاح فى السّؤال ولانّ المسؤل ليس شخصاً واحداً ولو كان واحداً لم يكن مسؤلاً من جهة واحدة بل المسؤل محمّد (ص) و علىّ(ع)، اوالمسؤل محمّد(ص) من جهة هدايته ومن جهة نصرته، اوعلىّ(ع) كذلك وقد بقى بين الصّوفيّة ان يكون التّعليم والتّلقين بتعاضد نفسين متوافقتين يسمّى احد۔

الشّخصين هادياً والآخر دليلاً، والشّيخ الهادى له الهداية و تولّى امور السّالك فيما ينفعه و يجذبه و الشّيخ الدّليل ينصره لمدافعة الاعداء ويخرجه من الجهل والرّدى بدلالته طريق التّوسّل الى شيخ الهدى ، وفى الآية اشارة الى انّ السّالك ينبغى له ان يطلب دائماً حضوره عند شيخه بحسب مقام نورانيّته ومقام صدره وهومعنى انتظار ظهور الشّيخ فى عالمه الصّغير و امّا ظهور الشّيخ بحسب بشريّته على بشريّة السّالك فلا يصدق عليه انّه من لدن الله واذاظهر الشّيخ بحسب النّورانيّة كان وليّاً من لدن الله ونصيراً من لدنه [اَلَّذِينَ آمَنُوايُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] حال او مستأنف فى مقام التّعليل و المعنى لاينبغى لكم ترك المقاتلة لانّ الانسان لا يخلو عن المقاتلة و اكتفى عن نسبة المقاتله بطريق العموم و الاستمرار الى الانسان بنسبة المقاتلة الى الفريقين و الاتيان بالمضارع الدالّ على الاستمرار التّجدّدىّ ولانّ المؤمنين يقاتلون فى سبيل الله وقدمضى انّه من يقاتل فى سبيل الله فالعاقبة له سواء غَلَبَ اوغُلِبَ [وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ] و من يقاتل فى سبيل الطّاغوت لاتجد له نصيراً كما مضى انّ المؤمنين بالجبت والطّاغوت لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ولاتجد له ظهيراً ، لانّ الشّيطان يعدهم وما يعدهم الّا غروراً وبعد ما يوقعهم فيما يريد يفرّعنهم .

اعلم انّ نفس المقاتلة و المعارضة مع الاعداء لاتكون الّا عن قوّة القلب الّتى هى مبدء كثيرٍ من الخيرات كالشّجاعة والسّخاوة والعفّة والجرأة والشّهامة وغيرها وتورث قوّة للقلب، واذا كان باذنٍ وامرٍ من الله يورث توكّلاً تامّاً وعاقبة محمودة و يوجد للمجاهد ناصر ومظاهر من الله ولذلك ورد التّأكيد فى امر الجهاد ومدح المجاهدين و ذمّ القاعدين من غير عذرٍ [فَقَاتِلُوا] الجملة جزاء شرط محذوف مستفاد من السّابق تقديره : اذا كان المؤمنون يقاتلون فى سبيل الله والكافرون يقاتلون فى سبيل الشّيطان فقاتلوا ايّها المؤمنون [اَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ] ابدل من الكافرين اولياء الشّيطان اشعاراً بذمّ آخر لهم [اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً] ترغيب و تجرئة للمؤمنين [اَلَمْ تَرَ] الخطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب والمقصود التّنبيه على حال القاعدين و انّهم كالنّساء فى الجبن و ضعف القلب حتّى يكون ترغيباً فى الجهاد وتحذيراً عن القعود كأنّه قال: انظر [اِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا اَيْدِيَكُمْ] عن القتال والسنتكم عن الجدال كما اشير اليه فى الخبر [وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَ آتُوا الزَّكٰوةَ] حتّى تعلم فضيلة الجهاد وانّ الّذين يقعدون عن القتال مع الاعداء الظّاهرة اوالباطنة لا تمكّن لهم فى شيءٍ من صفات الرّجال بل يكون حالهم كحال النّساء فى ابتغائهنّ الرّاحة و البقاء و خوفهنّ عن مجاهرة الاعداء ، وان كان الخطاب للنّبىّ(ص) فالتّعريض بالامّة ، ونزولها ان كان فى مؤمنى مكّة قبل هجرة الرّسول او قبل هجرتهم بعد هجرة الرّسول فهى جارية فى كلّ زمانٍ وزمان كلّ امام ، فعن الباقر(ع) انتم والله اهل هذه الآية، وعن الصّادق(ع) : كفّوا ايديكم يعنى كفّوا السنتكم، وعن الباقر(ع) : كفّوا ايديكم مع الحسن(ع) كتب عليهم القتال مع الحسين (ع) الى اجلٍ قريبٍ الى خروج القائم عجّل الله فرجه فانّ معه الظّفر [فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ اِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ] لعدم تدرّبهم الجهاد وعدم تمكّنهم فى صفات الرّجال [يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ اَوْ اَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا] لضيق صدورهم عن مجاهرة الاعداء [رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا اَخَّرْتَنَا اِلٰى اَجَلٍ قَرِيبٍ] زمان دولة المؤمنين وتلك الاحوال قدتعرض للسّالك فيؤمر بالعزلة عن الخلق والصّمت عن المجادلة والمكالمة من غير ضرورة ثمّ يؤمر بالمعاشرة والمدافعة عن اخوانه و قضاء

حوائجهم فيضيق صدره عن ذلك ولا يتمالك نفسه حتّى يصدر عنه مثل هذه المقالات ، وصدور مثل هذه المقالات عن الكافّين دليل فضيلة المقاتلة وشرف المعاشرة [قُلْ] لهم [مَتاعُ الدُّنْيا] تمتّعها اوأعراضها الّتى هى مرغوبة للنّساء [قَلِيلٌ] بحسب المقدار و الكيفيّة و البقاء [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى] عن التّعلّق بمتاع الدّنيا وتسارع الى قتال الاعداء [وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً] حتّى تخافوا ان لاتوجروا على متاعبكم فان كنتم تخافون الموت وفراق الدّنيا كالنّساء فاعلموا انّ الآخرة الّتى تفرّون منها خير لكم وان تسألوا انّ الفرار من القتال هل يورث البقاء؟ـ فيقال فى الجواب [اَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ] قصور مرتفعة ، فالجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر من الله اومقول قول الرّسول (ص) ثمّ صرف الخطاب عنهم الى محمّد (ص) فقال لكن ان تعظهم بكلّ عظة لايفقهوا [وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ] مثل قولهم لم كتبت علينا القتال (الى آخر الآية) [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] فانّ الفاعل فى كلّ موجود هوالله وليس منكم الّا استعداد القبول والسّيّئة والحسنة منسوبة اليكم نسبة الشّيء الى القابل ومنسوبة الى الله نسبة الشّيء الى الفاعل، لكنّ السيّئات اى الاعدام اوالموجبات للاعدام لمّا كان الوجود فيها ضعيفاً بحيث عدّها بعضهم اعداماً صرفةً تكون نسبتها الى الفاعل ضعيفة لضعف الوجود فيها والنّسبة الى الفاعل لا تكون الّا من حيث الوجود ، وتكون نسبتها الى القابل اقوى لتبعيّتها لاعدام القابل فيكون القابل اولى بها ، والحسنات لمّا كان الوجود فيها قويّاً تكون نسبتها الى الفاعل اقوى فيكون الفاعل اولى بها [فَمالِ هٰؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً] فيتخالطون فى الكلام كتخاليط النّساء [ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ] جواب لسؤال نشأ من قوله: قل كلّ من عندالله كأنّ قائلاً يقول : فلا نسبة لها اليهم ولا تفاوت فى نسبة الجميع الى الله فقال : ما اصابك من حسنة [فَمِنَ اللّٰهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] والخطاب امّا لغيرمعيّن اولمحمّد (ص) من قبيل : ايّاك اعنى واسمعى يا جارة ، والسرّ فى اختلاف النّسبتين ما عرفت [وَأَرْسَلْناكَ لِلنّاسِ رَسُولاً] لا فاعلاً للخير والشّرّ فلا وجه للتطيّر بك [وَكَفى بِاللّٰهِ شَهِيداً] فما يضرّك عدم اقرارهم برسالتك [وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ] وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى التّعليل [فَقَدْ أَطاعَ اللّٰهَ] فى قوله اطيعوا الرّسول ، اولانّه مبلّغ والآمروالنّاهى هوالله ، اولانّ الرّسول (ص) لمّا فنى من نفسه وبقى بالله ونسبته الى الله اقوى من نسبته الى بشريّته، وظهورالله فيه اتمّ من بشريّته كما قال: من رآنى فقد رأى الحقّ ، فمن اطاعه من حيث ظهور بشريّته يعلم انّه اطاع الله قبل حيثيّة بشريّته و لذلك اتى بالماضى مصدّراً بقد للدلالة على مضيّه لتقدّم نسبته الى الله وظهوره فيه على نسبته الى بشريّته [وَمَنْ تَوَلّى] الاتيان بالماضى مع كون الفعل فى المعطوف عليه مستقبلاً لكون الاطاعة امراً يحدث بعد ما لم يكن على سبيل التّجدّد والتّولّى امر مفطور عليه لاتجدّد فيه سوى البقاء عليه فقد تولّى عن الله فلا تتحسّر عليهم لتولّيهم عنك [فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً] حتّى تتحسّر على عدم حفظك ايّاهم [وَيَقُولُونَ] بألسنتهم شأننا [طاعَةٌ] لك فى علىّ (ع) كأنّه قال لكنّهم يطيعون بألسنتهم ويتولّون بقلوبهم ويقولون بألسنتهم شأننا طاعة [فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ] ودبّروا ليلاً [غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ] انت فى علىّ (ع) او تلك الطّائفة من الطّاعة لك فى علىّ (ع) فيقولون

ويتعاقدون على ان يمنعوا عليّاً (ع) من الخلافة [وَاللّٰهُ يَكْتُبُ مٰا يُبَيِّتُونَ] تسلية للرّسول (ص) و تهديد لهم [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] ولاتؤاخذهم فانّه اصلح لك لعدم افتتان سائر امّتك [وَتَوَكَّلْ] فى جملة امورك خصوصاً فيما تهتمّ به من خلافة علىّ (ع) [عَلَى اللّٰهِ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً] فانّه لاحاجة له الى معاون فى امضاء امرٍ ولاالى مشاور فى استعلام امر [أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ] وانّه من عندالله حتّى يعلموا صدقك و رسالتك فلا يبيّتوا خلاف طاعتك، والتّدبّر كالتّفكّر [وَلَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ] عطف على القرآن باعتبار انّ التّدبّر يتعلّق بنسبة الجملة لكنّ الفعل معلّق بلو والجملة حاليّة [لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاٰفاً كَثِيراً] لانّ فيه بصورته تخالفاً وتناقضاً لكنّه لمّا كان من عندالله ولّه بحسب العوالم العديدة بطون وجهات كان كلّ من المتخالفات منزّلاً على عالم اوعلى جهة اوالمعنى انّه لو كان من عندغيرالله كما قالوا انّما يعلّمه بشر، و انّه افتراء لوقع فيه التّخالف لانّ الكذب لعدم ابتنائه على اصلٍ اوشهود لايقع بين اجزائه توافق ولكن ليس فيه تخالف حقيقة [وَإِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ] عطف على مجموع اذابرزوا من عندك، اوعلى جزائه اعنى بيّت طائفة، او عطف على لايتدبّرون القرآن، او على مجموع افلايتدبّرون القرآن باعتبار المقصود، اوحال يعنى اذا جاءهم خبر من سراياك او من جانب العدوّ او من قولك بوعد الفتح او الوعيد من العدوّ اذاعوه لعدم توكّلهم وعدم ثباتهم فى الايمان، وكذا اذاجاءهم امر فى باطنهم من المنامات اوالحالات اوالخيالات والخطرات المبشّرة اوالمخوّفة اذاعوه [وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ] اى وكلوه اليهم ولايتكلّموا فيه بشيءٍ اواظهروه عليهم لاعلى غيرهم [لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ] امّا من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّهم اهل الاستنباط، اوالمراد باولى الامر اعمّ من امراء السّرايا، والمستنبطون هم الرّسول (ص) واوصياؤه (ع) [وَلَوْلاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ] خاطبهم تفضّلاً و تطفّلاً لمحمّد (ص) وعلىّ (ع) بعد ما ذمّهم على ضعف عقيدتهم وسوء صنيعتهم، وفضل الله هوالرّسالة، ولمّا كان الرّسالة من شؤن الرّسول وسعة صدره ومتّحدة معه صحّ تفسيره بالرّسول وهوههنا محمّد(ص) ورحمته هى الولاية والولاية ايضاً متّحدة مع الولىّ فصحّ تفسيرها به و هو ههنا علىّ (ع) و لذلك فسّرا بمحمّد (ص) وعلىّ (ع) فى اخبارنا، ولمّا كان محمّد(ص) اصلاً فى الولاية وان كانت الرّسالة فيه اظهر وعلىّ(ع) خليفة فى الرّسالة وان كانت الولاية فيه اظهر صحّ تفسير الفضل بعلىّ(ع) والرّحمة بمحمّد(ص) كما فى الخبر، يعنى انّا لانخذلكم مع سوء صنيعكم بواسطة محمّد(ص) وعلىّ(ع)، ولولا محمّد(ص) وعلىّ(ع) قائماً عليكم حافظاً لكم [لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰانَ إِلاّٰ قَلِيلاً فَقٰاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] يعنى اذاعلمت حال قومك من الجبن والفشل والتّبيت بخلاف طاعتك وعدم حفظهم لما سمعوا من الاخبار وتوكّلت على الله وعلمت كفايته لك فقاتل فى حفظ سبيل الله واعلائه، اوحال كونك فى سبيل الله، او فى ولاية علىّ (ع) فانّها سبيل الله وعلىّ (ع) بنفسه ايضاً سبيل الله ولاتبال باعانة قومك و عدمها [لاٰ تُكَلَّفُ إِلاّٰ نَفْسَكَ] اى الّا فعل نفسك اواصلاحها اواصلاح علىّ (ع) لانّه نفسك والجملة حال اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ فى مقام التّعليل اوفى مقام بيان الحال [وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ] لانّك ان لم تحتج اليهم فانّهم محتاجون اليك فى اصلاحك لهم والمقاتلة اصلاح لهم لانّها تورث التّشجّع والتّمكّن والثّبات والتّوكّل

[عَسَى اللّهُ اَنْ يَكُفَّ بأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا] يعنى قريشاً على ماروى انّها نزلت فى موعد بدر الصّغرى وتثبّط القوم عن الخروج فخرج (ص) وما معه الّا سبعون رجلاً [وَاللّهُ اَشَدُّ بَأْساً وَاَشَدُّ تَنْكِيلاً] اى تعذيباً من الكفّار عطف على مايستفاد من ذكر بأس الكفّار يعنى لهم بأس والله اشدّ بأساً اوحال عن الله اوعن الّذين كفروا ، ولمّا قال حرّض المؤمنين بعد الاشارة الى استغنائه عن الغير وكفاية الله له وامره بالقتال وحده صار المقام مناسباً لان يقال : ولم امرت بتحريض المؤمنين؟ـ اوصار المقام مقام ان يقال: الا ادلّ الكفار على الخير والانصحهم وكيف حال من نصحهم وما ينبغى ان يفعل المؤمنون بمن نصحهم ؟ـ فقال جواباً لذلك [مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً] فهو استيناف جواب لسؤال مقدّر واقع موقع التّعليل اوموقع بيان الحال ومعناه من ضمّ عملاً حسناً الى عمل حسن آخر، اومن ينضمّ الى صاحبه ويشاركه فى عمل حسن ، اومن يصلح بين اثنين اومن يطلب ويسأل من غيره لصاحبه خيراً اودفع ضرّا وترك عقوبة سواء كان ذلك من الخلق اومن الله اومن يدعو لصاحبه بخير من «شفع » اذا دعا له اودعا عليه ، اومن يدعوصاحبه الى خير او من يعين صاحبه على خير او من يدلّ صاحبه على خير والكلّ يمكن ان يستفاد من هذه العبارة و الكلّ صحيح [يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا] النّصيب والكفل الحظّ و ما يعطى من القسمة لكن استعمال النّصيب فيما فيه حظّ صاحبه اكثر من استعماله فيما فيه تعبه والكفل بالعكس من ذلك [وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا] توصيف الشّفاعة بالحسن و السّوئة باعتبار متعلّقها [وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً] مقتدراً اوحافظاً لايفوته شفاعة شفيع ولاكيفيّتها ولاقدرها [وَاِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِاَحْسَنَ مِنْهَا اَوْ رُدُّوهَا] عطف على من يشفع الى آخر الآية وجواب آخر للسّؤال السّابق وهو ما يفعل المؤمنون بمن نصحهم و ان كان هو فى نفسه من الآداب المهمّة المحتاجة الى البيان لكن اداّه بحيث يكون مرتبطاً بسابقه ليفيد تأكيداً بتقدير السّؤال ، والتّحيّة فى العرف هى التّسليم لكنّ المراد منها معنىً اعمّ من التّسليم وهو ايصال الخير الى الغير بنحو الشّفقة والتّعظيم من تسليم ودعاء وثناء وتعظيم وهديّة ، وكتابة فيها تعظيم وشفقة وزيارة وغير ذلك ممّا يدلّ على عظمة المحيىّ فى قلب المحيىّ ومحبوبيّته له ، لكن اذا كان لمحض الشّفقة والمحبّة لا للاغراض الّتى فشت بين اهل الرّسوم حتّى يتأنّف العالى ظاهراً عن التّسليم على الدّانى وينتظر تسليمه و يتأنّف عن زيارته بدواً الّا عوضاً عن زيارته ، وهكذا الحال فى غيرهما فما اشتهر بين الفرس من قولهم «ديد مستحبّ ؛ بازديد واجب » صحيحٌ ان لم يكن مشوباً بالاغراض الفاسدة وان كان مشوباً فالزّيارة مذمومة وعوضها ايضاً مذموم ، ولذلك ورد من زار أخاه المؤمن فى بيته من غير عوض ولا غرض كان كمن زار الله فى عرشه ، وخلوص اعمال اهل الدّنيا من الاغراض الفاسدة محال والمخالطة معهم مؤثّرة فى النّفوس الضّعيفة، فالاولى للسّالك مهما امكن ترك مخالطتهم حفظاً لنفسه عن استراق الاغراض منهم، الّا ان تكون تقيّة لحفظ عرض اومال اونفس اوشفقة لاصلاح حال ، فانّها حينئذ تكون واجبة وان احتمل استراق النّفس. والمراد بردّها ليس ردّ عينها ان كانت من الاعراض الدّنيويّة فانّه لايردّ الاحسان الّا الحمار بل ردّ مثلها مثلاً اذا قال: سلام عليك ، فقال : سلام عليك فهو ردّها ، وان قال : سلام عليك ورحمة الله فهو أحسن ، واحسنيّتها اعمّ من ان تكون بالزّيادة عليها اوبتغيير هيئتها الى احسن منها ،كما قال ابراهيم (ع) سلام فى جواب الملائكة حين قالوا سلاماً ، عدولا من النّصب الى الرّفع للدّلالة على الدّوام ، ويختلج ببالى ان ادوّن الرّسوم العاديّة والآداب المستحبّة ان وفّقنى الله ان شاء الله ليكون السّالكون على بصيرة منها ، واذا ارتكبوها لايكون عن عمى وعادة

صرفة [إِنَّ اللهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً] فيحاسبكم على تحيّاتكم و قدرها ويحاسبكم ايضاً على اغراضكم فيها فلا تخالطوها بالاغراض [اَللهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ] استيناف مشير الى التّعليل للسّابق وتمهيد للّاحق [لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ] فى الجمع اوفى اليوم، استيناف اوحال عن اليوم [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً] استفهام انكارىّ والجملة معطوفة على جملة القسم و المقسم عليها او حاليّة و تمهيد للانكار الآتى [فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ] حال من الضّمير المجرور يعنى لاينبغى لكم ان تتفرّقوا فرقتين فيمن حكم الله بكفرهم عن الباقر(ع) انّها نزلت فى قوم قدموا من مكّة و اظهروا الاسلام ثمّ رجعوا اليها فأظهروا الشّرك ثمّ سافروا الى اليمامة فاختلف المسلمون فى غزوهم لاختلافهم فى اسلامهم وشركهم [وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ] ردّهم فى الكفر [بِما كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً] كما هو ديدن النّاس فانّ كلّ ذى مذهب و طريق خاصّ يودّ ان يكون كلّ النّاس على طريقه و الآية جارية فى الانسان الصّغير ايضاً و تعريض بمنافقى الامّة المرتدّين بعد محمّد (ص) بانكار قوله فى علىّ (ع) و عدم هجرتهم من دار شركهم النّفسانيّة الى دار الاسلام و الايمان العلويّة الولويّة ان لم يكن تنزيلها فيهم [فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ] بعد حكمه تعالى عليهم بالضّلالة [حَتّٰى يُهاجِرُوا] عن اوطان المشركين اليكم [فِي سَبِيلِ اللهِ] ظرف ليهاجروا اوحال عن الفاعل يعنى يهاجروا بنيّات صادقة لا بنيّات منحرفة الى الشّيطان او يهاجروا عن دار شركهم فى ولاية علىّ (ع) الى علىّ (ع) [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن المهاجرة الصّحيحة صورة اليك اوباطناً الى علىّ(ع) [فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ] كما فعل محمّد(ص) بالمرتدّين فى زمانه وعلىّ(ع) بالمرتدّين فى زمانه كاصحاب الجمل والصّفين والنّهر وان [وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً] ظاهراً ولا باطناً اى لا تبايعوهم بالبيعة العامّة المحمّديّة ولا الخاصّة العلويّة ، او لاتتّخذوا منهم حبيباً ولا تستنصروا بهم [إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ] فلا تتّخذوهم اولياء ولاتقتلوهم حفظاً للميثاق من جميع الوجوه [أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ] فلا يكونوا عليكم [أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ] فلايكونوا معكم فانّهم لحصر صدورهم عن مقاتلتكم يستحقّون الرّفق لا الاخذ و القتل ، و نزول الآية مذكور فى التّفاسير و تعميمها سهل على البصير [وَلَوْ شاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً] بالاخذ والقتل [سَتَجِدُونَ آخَرِينَ] استيناف و تنبيه على حال المختدعين و بيان لحكمهم [يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ] خدعة [وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ] وفاقاً حالكونهم [كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ] اى القتال معكم فالجملة حال او استيناف جواب سؤال مقدّر [أُرْكِسُوا فِيها] انقلبوا عن اظهار الوفاق الى القتال معكم [فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ] عطف على المنفىّ [فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولٰئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً] تسلّطاً ويداً او حجّة لغدرهم [وَما كانَ

لِمُؤْمِنٍ] ما صحّ ومالاق بحاله [اَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً] بغير حقّ [اِلَّا خَطَأً] استثناء من لازمه اى فيعذّب على كلّ حال الّا خطأ [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً] [فَ] عليه [تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] كفّارة له [وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلٰى اَهْلِهِ] لئلّا يهدر دم امرء مسلم [اِلَّا اَنْ يَصَّدَّقُوا] يتصدّقوا بالعفو فانّ التّصدّق يطلق على كلّ معروف [فَاِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] من عطف التّفصيل على الاجمال [فَ] عليه [تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] من غير دية لعدم السّبيل للكافر على المسلم [وَاِنْ كٰانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ] [فَ] عليه [دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلٰى اَهْلِهِ] حفظاً للميثاق [وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] قدّم الدّية ههنا للاهتمام ببيانها فانّه يتراءى ان لايكون لهم كفّاراً عليه دية مسلّماً ، واخّرها فى الآية السّابقة لانّها حقّ النّاس والتّحرير حقّ الله [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ] رقبة ولاثمنها [فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللّٰهِ] سبب توبة من الله [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً] بوضع الاحكام [حَكِيماً] يضعها على غايات محكمة [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالِداً فِيهٰا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاَعَدَّ لَهُ عَذٰاباً عَظِيماً] تهديد بمالم يهدّد به احداً من اصحاب الكبائر ، والتّعمّد المورث للوعيد الشّديد كما فى الاخبار ان يقتله من جهة ايمانه عالماً به لا ان يقتله لغضبٍ او جدلٍ او حقدٍ له من جهة اخرى فانّه و ان كان عمداً فهو من وجهٍ خفيٍ مشوب بالخطأ ، ومن قتل مؤمناً من جهة ايمانه كان كمن قتل صاحبه ومن قتل صاحبه وهو الامام لاخلاص له من النّار ولاتوبة له ، اولايوفّق للتّوبة كما فى الاخبار ،ولذلك ورد انّ غيبة المؤمن اشدّ من الزّنية ، اومن سبعين زنيةً ، اومن سبعين زنيةً تحت الكعبة ، وفى بعض الاخبار مع المحارم، والسّرّ ماذكرنا ، فانّ ذكر المؤمن بالسّوء من جهة ايمانه ذكر صاحبه بالسّوء وذكر الامام بالسّوء من اكبر الكبائر [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذٰا ضَرَبْتُمْ] بارجلكم الارض [فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] اى سافرتم فى الجهاد تأديب للمجاهدين باصلاح النّيّة فى الجهاد حتّى لايغلب الهوى على امر الله [فَتَبَيَّنُوا] فبالغوا فى طلب ظهور الامر من الكفر و الايمان ممّن تلاقونه و قرئ فتثبّتوا بمعنى التّأنّى و التّأمّل و المقصود واحد يعنى لا تعجلوا فى القتل قبل التيقّن بكفرهم [وَلٰا تَقُولُوا لِمَنْ اَلْقٰى اِلَيْكُمُ السَّلٰامَ] وقرئ السّلم يعنى الانقياد والتّسليم اوتحيّة الاسلام اظهاراً لاسلامه بشعار الاسلام [لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] اى لاتنكروا اسلامه لابتغاء ماله بقتله بل تبيّنوا أمره فان ظهر اثر الصّدق فلاتقتلوه [فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغٰانِمُ كَثِيرَةٌ] اى لاتقولوا ذلك ولا تقتلوه فانّكم ان لاتقولوا تستحقّوا مغانم اكثر من غنيمته من الله فعندالله مغانم كثيرة مبذولة لمن امتثل امره ونهيه فأقيم السّبب مقام الجواب [كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ] كافرين و متزلزلين و مظهرين للاسلام بالسنتكم من غير علمٍ بمواطاة القلوب [فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بالتّحقّق بالايمان والاشتهار به [فَتَبَيَّنُوا] كرّره للتّأكيد وللاشارة الى انّ امتثال امرالله يقتضى التّبيّن والمقايسة الى انفسكم ايضاً تقتضى التبيّن [اِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاحتاطوا فى افعالكم وفى نيّاتكم ، والآية ان وردت فى اسامة بن زيد وقتله يهودياً وعدم اعتنائه باظهاره الشّهادتين فهو عامّ لا اختصاص له بالقتل ولا بالسّفر [لٰا يَسْتَوِي الْقٰاعِدُونَ] مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ ناش من التّهديد على قتل المؤمن متعمّداً والدّية والكفّارة على قتله خطأً ومن الامر بالتبيّن عند لقاء من لا يعلم حاله و ممّا كان معلوماً من مورد

نزول الآية و هو قتل اسامة بن زيد يهوديّاً فدكيّاً جمع عياله وماله وساق غنمه وانحاز الى ناحية جبل وكان قد اسلم فقال بعد مالقى عسكر اسامة: السّلام عليكم لا اله الّاالله؛ محمّد رسول‌الله، فبدراليه اسامة فقتله فلمّا رجع قال له رسول‌الله (ص): افلا شققت الغطاء عن قلبه ، لاماقال بلسانه قبلت ، ولا ماكان فى نفسه علمت ، ونزلت الآية فحلف اسامة بعد ذلك ان لايقتل احداً قال لااله الّا الله ، وبهذا العذر تخلّف عن علىّ(ع)وقيل : نزلت فى رجلٍ آخر كان فى سريّة لقى رجلاً كان بينهما احنة[1] فحيّاه الرّجل بتحيّة الاسلام فقتله وجاء الى رسول‌الله(ص) وقال: استغفرلى، فقال رسول‌الله(ص)لاغفرالله لك ، وعلى اىّ تقدير صار المقام مقام ان يقال: هل القعود افضل من الجهاد ان كان فى الجهاد هذه الآفات ؟ ـ فقال تعالى : لا يستوى القاعدون عن الحرب [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] الّذين قبلوا الدّعوة الظّاهرة سواء كانوا قبلوا الدّعوة الباطنة وبايعوا البيعة الخاصّة ام كانوا واقفين على الدّعوة الظّاهرة وعلى قبول البيعة العامّة الاسلاميّة ، والظّرف مستقرّ حال عن القاعدون اوعن المستتر فيه [غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ] قرئ برفع غير صفة للقاعدون لانّ الغير وان كان لا يتعرّف بالاضافة لغاية ابهامه لكنّه اذا اضيف الى معرّف يقع صفة للمعرفة اذا كانت المعرفة معرفة بالّلام الجنسيّة اوموصولة لابهامهما مثل غير ، اوكان غير واقعاً بين النّقيضين ، وقرئ بالنّصب حالاً عن القاعدون اوعن المستتر فيه اومنصوباً على الاستثناء ، وقرئ بالجرّ صفة للمؤمنين ، قيل : نزلت الآية فى جمع تخلّفوا عن غزوة تبوك ولم يكن فيها غير اولى الضّرر فجاء ابن امّ مكتوم وكان اعمى وهو يبكى فقال: يارسول‌الله(ص) كيف بمن لايستطيع الجهاد فغشيه الوحى ثانياً ثمّ سرّى عنه فقال اقرء غير اولى الضّرر فألحقها والّذى نفسى بيده لكأنّى انظر الى ملحقها عند صدع فى الكتف [وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ] ببذلها على المجاهدين وصرفها فى سبيل الخيرات وانفاقها على انفسهم فى الجهاد وصرف قواهم الّتى هى اموالهم الحقيقيّة وكذلك نسبة افعالهم و اوصافهم الى انفسهم [وَأَنْفُسِهِمْ] باتعابها فى الجهاد واجهادها فى الخيرات والرّياضات وهذا تهييج للمجاهد فى جهاده وترغيب للقاعد عن قعوده [فَضَّلَ اللّهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : ما الفرق بينهما ؟ـ فقال : فضّل الله [الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ] اظهر المجاهدين و القاعدين اشعاراً بعلّة الحكم و تكراراً لوصفها الدّاعى الى التّفضيل تهييجاً وترغيباً لهما ، واظهر الاموال والانفس لانّه تعالى ارادان يعلّق حكم التّفضيل بدرجةٍ واحدةٍ على حالة بقاء نسبة الاموال والانفس اليهم حتّى يظهر الفرق بين هؤلاء المجاهدين والمجاهدين الآتين ، لانّه ذكر هناك تفضيلهم على القاعدين بدرجاتٍ وما امكن الاشارة الى بقاء نسبة الاموال والانفس الّا بالتّصريح بهما واضافتهما اليهم، وقدّم الاموال على الانفس لانّ المجاهد يقدّم الاموال فى الجهاد دون نفسه ولانّه ما لم تكن نسبة الاموال اوّلاً لم تكن نسبة الانفس ، وقدّم القاعدين اوّلاً واخّرهم ثانياً لانّ السّؤال كأنّه كان عن حال القاعدين وانّهم هل يبلغون درجة المجاهدين ام لا ؟ بخلاف المجاهدين فانّ فضلهم كان معلوماً .

واعلم انّه لافرق بين القاعد والمجاهد بالاموال والانفس الّا بدرجة لانّهما فى نسبة الاموال والانفس اليهما متساويان لكنّ القاعد لم يترك الرّاحة بالاموال و الانفس و المجاهد ارتفع عنه درجة من حيث انّه ترك الرّاحة بالاموال و الانفس و هما بخلاف المجاهدين فى الآية الآتية و لذلك قيّد ههنا التّفضيل بقوله تعالى [دَرَجَةً] و اطلقه فى الآية الآتية [وَكُلاًّ] منهما [وَعَدَ اللّهُ] المثوبة [الْحُسْنَى] اذا لم يكن القعود عن عذرٍ،

---

[1]ـ الاحنة = بالكسر الحقد .

ولا اختصاص للآية بالقاعد و المجاهد الصّوريّ بل تجرى فى المؤمن القاعد فى نواحى دار اسلامه او الواصل الى دار اسلامه الّتى هى الصّدر والواقف فيها ، وفى المؤمن المجاهد فى سبيل الله حالكونه فى حدود النّفس باقياً عليه نسبة المال والنّفس وحالكونه بلغ الى القلب وطرح نسبة المال والنّفس عن نفسه وجاهد حتّى طرح نسبة المال والنّفس عن نفسه وقتل فى حضور الامام بفنائه فى شيخه فلايرى فى ممالكه وجوده غير شيخه وللمجاهد فى فنائه مراتب ودرجات ، رزقناالله وجميع المؤمنين ذلك [وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ] المجرّدين عن نسبة الاموال و الانفس بطرح تلك النّسبة و الفناء عن نسبة الاموال و الصّفات و الانفس [عَلَى الْقاعِدِينَ اَجْراً عَظِيماً] لايحدّ بحدٍّ لانّ هؤلاء المجاهدين قد خرجوا عن الحدود [دَرَجاتٍ] عظيمة [مِنْهُ وَمَغْفِرَةً] عظيمة بستر نسبة الافعال والصّفات و الانفس عنهم [وَرَحْمَةً] عظيمة لانّهم خرجوا عن دار السّخط و دخلوا فى دار الرّحمة وصاروا رحمةً بانفسهم وقد علم وجه عدم الاتيان بالاموال والانفس ههنا [وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً] يعنى انّ شيمته المغفرة والرّحمة فلااختصاص لمغفرته ورحمته بالمجاهدين المستحقّين لهما بل تشملان القاعد الغير المستحقّ و فيه تهييج و اطماع للقاعدين [اِنَّ الَّذِينَ تَوَفّيهُمُ الْمَلائِكَةُ] مستأنف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّ السّامع لمّا سمع المغفرة والرّحمة للقاعد توهّم انّ القاعد بجميع اقسامه مرحوم وسأل ذلك كأنّه منكر لعذاب القاعد فقال تعالى مؤكّداً بانّ واسميّة الجملة دفعاً لهذا الوهم : انّ الّذين توفّاهم الملائكة [ظالِمِي اَنْفُسِهِمْ] بعدم الخروج من دار الشّرك الّتى هى نفوسهم الحيوانيّة مقصّرين كانوا كالّذين توعّدهم بكونهم اصحاب الجحيم ، اوقاصرين كالّذين استثناهم الله .

اعلم انّه تعالى ارادان يبيّن اقسام العباد فى العبوديّة وعدمها بعد ما ذكر القاعدين والمجاهدين فانّهم امّا واقفون فى دار الشّرك الّتى هى نفوسهم الامّارة سواء كانوا فى دار الشّرك الصّوريّة ام فى دار الاسلام الصّوريّة و قد اشار اليهم بقوله : انّ الّذين توفّاهم الملائكة (الآية) او خارجون من بيوتهم الّتى هى بيوت طبائعهم ونفوسهم الامّارة فى طلب من اسلموا على يده ومن قبلوا الاحكام القالبيّة منه واشار اليهم بقوله: ومن يخرج من بيته مهاجراً ، الآية، ولمّا كان المقصود ممّن يخرج من بيته الطّالب للاسلام لم يأت بقوله: فى سبيل الله، لانّه لم يكن بعد علىّ سبيل الله واتى بقوله الى الله ورسوله لعدم وصوله الى الرّسول (ص) بعد اومهاجرون على سبيل الله الى مراتب الايمان بالتّوسّل بالولاية بعد ماكانوا قد خرجوا عن نفوسهم الامّارة بقبول الدّعوة الظّاهرة وقبول الاسلام بالبيعة العامّة النّبويّة ، وهؤلاء امّا مجاهدون اوقاعدون عن الجهاد وقد اشار اليهما بقوله سابقاً: لايستوى القاعدون ، واشار اليهم بقوله: ومن يهاجر فى سبيل الله، ولم يقل: من يخرج لانّ المفروض انّهم قدخرجوا بقبول الاسلام ، ولم يقل الى الله ورسوله لانّ المفروض انّهم قدخرجوا الى الله ورسوله وقبلوا الدّعوة الظّاهرة وقال فى سبيل الله لانّهم بقبولهم الاسلام كانوا فى سبيل الله لانّ الاسلام طريق الى الايمان .

تحقيق توفّى الله وتوفّى الملائكة و الرّسل

ووجه الجمع بين الآيات المختلفة فى توفّى الانفس بتوفّى الله وملك الموت والملائكة والرّسل لايخفى على البصير فانّ العقل فى العالم الصّغير كالحقّ فى العالم الكبير، واذالوحظ انّ للعقل جنوداً و اعواناً و مدارك و قوىً لا يعصون ما امرهم العقل وهم بأمره يعملون و انّ امره للقوى والمشاعر امتثالها من غير تراخٍ و تأبٍّ ، وفعلها كما انّه منسوب اليها حقيقةً منسوب الى العقل ايضاً حقيقةً من غير مجازٍ لاحدى النّسبتين او اثنينيّة وتعدّد للنّسبة بل فعل القوى فعل

العقل من حيث كونه فعل القوى من غير تعدّد فى الحيثيّة ايضاً فالرّؤية مثلاً فعل الباصرة وهى من حيث انّها فعل الباصرة فعل العقل لكن فى مرتبة الباصرة لافى مرتبته العالية، بل فعله الخاصّ به فى مرتبته العالية هو التّعقّل اعنى درك الاشياء مجرّدة عن غواشى المادّة والتّقدّر والتّحدّد والتّشكّل، علم انّ الفاعل فى كلّ فعل دانياً كان او عالياً هو الله سبحانه، لكن لكلّ مباشر خاصٍ ينسب الفعل اليه والى الله باعتبار تشأنه وظهوره بفاعله الخاصّ وله باعتبار مرتبته المخصوصة فعل خاصّ به لاينسب الى غيره ، فالعقل مظهر لله سبحانه فى مرتبته الخاصّة والنّفس مظهر لملك الموت ، و القوى و المشاعر مظاهر للملائكة و الرّسل ، فالباصرة كالملك تباشر نزع الصّور عن الموادّ ، والنّفس كملك الموت تنزع عن الصّور المجرّدة عن الموادّ الصّور المجردة عن التّحدّدات والتّشكّلات المخصوصة مع تقدّرها ، و العقل كالله ينزع الكلّيّات عن الصّور مع انّ نزع الاوّل ايضاً فعل العقل بواسطة الباصرة و النّزع الاخير فعله بلاواسطة فاختلاف الآيات و الاخبار باعتبار اختلاف المباشر و اختلاف المراتب مع صحّة الانحصار فى قوله تعالى الله يتوفّى الانفس، واختلاف المباشر باعتبار اختلاف النّفوس مثل مباشر نزع النّفوس النباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة، وفى النّفوس الانسانيّة ايضاً مراتب فنفسٌ يقبضها الله بلاواسطة ، ونفسٌ يقبضها ملك الموت ، ونفسٌ يقبضها الملائكة و الرّسل ، و مقبوض الملائكة مقبوض لملك الموت ولله ، ومقبوض ملك الموت مقبوض الله ، والمراد بظلم النّفس ههنا غير ما ذكر فى قوله تعالى : فمنهم ظالمٌ لنفسه لانّ الظّالمين لانفسهم هنا محكومٌ عليهم بالجحيم و هناك بالجنّة ، فالمراد بظالمى انفسهم ههنا من لزم دارشركه ولم يخرج من بيت شركه الى الله و رسوله ، و هناك من خرج من بيت شركه الى الله و رسوله و لكن وقف ولم يهاجر فى سبيل الله ، فانّه محكوم عليه بالقعود عن الجهاد و عن الهجرة . و بعبارة أخرى الظّالم ههنا فى العالم الصّغير من لزم بيت نفسه الامّارة ولم يخرج منه الى مدينة صدره ليصل الى الرّسول و قبول الاسلام فهو مخلّد فى جحيم طبعه و بعد الموت فى جحيم الآخرة ، و هناك من خرج من بيت نفسه الامّارة الى مدينة صدره ووصل الى الرّسول وقبل الاسلام بدليل ايراثه الكتاب اى كتاب النّبوّة بقبول احكام الرّسالة ولم يهاجر من مدينة صدره الى الجهاد الاكبر فى تحصيل الولاية فهو محكوم عليه بدخول الجنّة لكن ليس له درجة المجاهدين فى تحصيل الولاية. وماروى عن الصّادق(ع) فى تفسير الظّالم لنفسه هناك من انّه : يحوم حول نفسه ؛ يشعر بماذكر [قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ] بهذه الادناس والارجاس اى فى ايّ حال كنتم حتّى خرجتم بهذه الارجاس ولم ماطهّرتم نفوسكم فى حيوتكم؟- [قَالُوا] اعتذاراً [كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ] غلب علينا اهل الشّرك بحيث لايمكننا تغيير حالنا [قَالُوا] ردّاً لاعتذارهم [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا] اى فان تهاجروا اوفلم تهاجروا يعنى ان لم يمكنكم التّغيير فى ارضكم لامكنكم المهاجرة عنها ، والارض اعمّ من ارض العالم الكبير وارض العالم الصّغير وارض كتب الانبياء وسير احوالهم وارض احكام الملل المختلفة وتمييز المستقيم منها عن السّقيم [فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً] لامنافاة بين خصوصيّة النّزول والتّعميم الّذى ذكرنا على وفق ماشير اليه فى الاخبار [إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ] استثناء منقطع ان خصّص ظالموا انفسهم بالمقصّرين وان عمّ المقصّرين والقاصرين فمتّصل فانّ المقيم فى دار شرك النّفس امّا متمكّن من الخروج بحسب القوّة النّظريّة و العمليّة او غير متمكّن و الاوّل مقصّر و الثّانى قاصر ، والمستضعف من لاقدرة له بحسب القوّة العمليّة على الاعمال الّتى تطهّر قلبه عمّا يحجبه عن افاضات

الحقّ تعالى ولا بحسب القوّة النّظريّة على التميز بين الحقّ و الباطل ولذلك فسّر المستضعفين بقوله تعالى [لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً] بحسب العمل [وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً] بحسب النّظر وقد يفسّر المستضعف بمن لم يسمع ديناً و مذهباً سوى عاديّاته و هو راجع الى الاوّل لانّ العجز امّا من جهة اصل الفطرة او من جهة عدم المنبّه [فَأُولٰئِكَ] مع عدم خروجهم عن دار شركهم [عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ] عن اقامتهم فى دار الشّرك [وَكَانَ اللّٰهُ عَفُوّاً غَفُوراً] من قبيل عطف العلّة [وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] لمّا فرغ من بيان حال المقصّر والقاصر المتوطّن فى دار الشّرك اراد ان يبيّن حال الخارج من بيت الشّرك وهو امّا يخرج فى الظّاهر من بيت وطنه الصّورىّ اوفى الباطن من بيت نفسه الامّارة فى طلب الاسلام وليس له جهادٌ لانّ الجهاد بعد قبول الاسلام ومعرفة الاعداء باذن النّبىّ اوالامام ، اويهاجر فى سبيل الله بعد اسلامه فى طلب الايمان من بيته الصّورىّ اوالمعنوىّ ولهذا المهاجر يتصوّر الجهاد بمراتبه امّا بالاموال والانفس ، اوفانياً عن الاموال والانفس بمحض الامر من غير تعلّق الخاطر بغير الامر ، اوبالله بالفناء عن الامر ايضاً ولم يذكر الخارج من دار اسلامه اودار ايمانه الى دار الشّرك لعدم الاعتناء به ولاستفادته من مفهوم المخالفة و اشار الى المهاجر بعد الاسلام فى سبيل الله بقوله: ومن يهاجر فى سبيل الله [يَجِدْ فِي الْاَرْضِ] بمعانيها [مُرَاغَماً كَثِيراً] من الرّغام وهو التّراب بمعنى المذهب والمهرب والمغضب والمراد به محلّ تفرّج وتنزّه من الارض بحيث يرغم الاعداء [وَسَعَةً] فى الارض او فى نفسه او فى معيشته او فى سيره ظاهراً اوباطناً ، وقدّم بيان حال المهاجر بعد الاسلام على الخارج الى الاسلام لشرفه وان كان مؤخّراً برتبته ، و اشار الى الخارج الى الاسلام بقوله تعالى [وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ] ظاهراً وباطناً [مُهَاجِراً إِلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ] ذكر الى الله للاشارة الى انّ الخارج من بيت الشّرك ذاهباً الى الرّسالة فى طلب الاسلام ذاهب الى الله لانتهائه الى الله، ولانّ الرّسول مظهر الآلهة ولذا لم يكرّر لفظ الى [ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ] اختياراً بالجذبة الآلهيّة اواضطراراً فى السّبيل الظّاهرىّ اوالباطنىّ [فَقَدْ وَقَعَ اَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ] اى لاينبغى ان يتكفّل اداء اجره غيره و فيه بشارة تامّة لهم [وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً] فيغفر مساويه الغير الزّائلة عنه و يرحمه باعطاء اجره بلاواسطة ان كان نزول الآية فى جندب بن ضمرة حين خرج من مكّة الى المدينة فمات ، اوالنّجاشىّ حين خرج الى المدينة فمات ؛ لاينافى تعميمها ، ولمّا ذكر المجاهدين والمهاجرين اراد ان يبيّن حكمهم فى العبادات فقال تعالى [وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْاَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ] شرائط القصر و كيفيّته غير محتاجة الى البيان ، و نفى الجناح لاينافى وجوب القصر لانّه تعالى جرى على طريقة المخاطبات العرفيّة وآداب الملوك من نفى البأس والحرج عن الشّيء و ارادة الامر به ، وبعد ما علمت انّ الصّلوة هى ما به يتوجّه الى الله و الاصل فيه محمّد (ص) وولايته ثمّ علىّ (ع) و خلافته ، ثمّ الاعمال القلبيّته والقالبيّة المأخوذة منهما الّتى تصير سبباً للتّوجّه اليه تعالى امكنك تعميم السّفر وتعميم الصّلوة و القصر [إِنْ خِفْتُمْ اَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] اشارة الى الحكمة فى تشريع القصر لا انّه تقييد للحكم فلا ينافى وجوب القصر فى حال الا من على انّ حجّيّة مفهوم الشّرط غير مسلّم بل هو بحسب المفهوم كسائر المجملات ، واعتباره وعدم اعتباره محتاج الى القرينة ، ويحتمل ان يكون المراد صلوة الخوف وقصرها ويكون قصر مطلق الصّلوة فى السّفر من قبيل المجملات

التّى بيّنوها لنا بدليل بيان صلوة الخوف بعد ها [إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً] استيناف فى موضع التّعليل [وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ] حين المسافرة والخوف [فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلوٰةَ] بان تؤمّهم [فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ] للصّلوة [مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ] اى الطّائفة الغازية المستفادة التزاماً اوالطّائفة المصلّية [فَإِذا سَجَدُوا] اى الطّائفة المصلّية [فَلْيَكُونُوا] اى الطّائفة الغازية [مِنْ وَرائِكُمْ] ايّتها الطّائفة المصلّية [وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا] بعد ماانتظرتهم فى القيام الثّانى واتمّ الطّائفة المصلّون معك صلوتهم و ذهبوا الى مواقفهم [فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ] بان يأتّموا بك فى القيام و تنتظرهم فى القعود حتّى يتمّوا صلوتهم بالاتيان بالرّكعة الاخرى ثمّ تسلّم عليهم بعد لحوقهم بك فى القعود [وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ] اى الطّائفة الّذين صلّوا ووقفوا مواقف غير المصلّين اوالطّائفة المشغولة بالصّلوة [وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً] استيناف فى موضع التّعليل [وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ] لثقل الاسلحة [أَوْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ] فتضعفوا عن الحمل [أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ] لمّا بالغ فى التّيقّظ و الحذر و اخذ الاسلحة فى كلّ حال اوهم ان لا يجوز وضع الاسلحة بحال فرفعه [وَخُذُوا حِذْرَكُمْ] لكن مع ذلك لاتخرجوا من طريق الحزم [إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً] على ايديكم ولذا يأمركم بالحزم واخذ السّلاح حتّى لاتستأصلوا فيعذّبهم بكم وعلى هذا صحّ اخراجه مخرج التّعليل ، وان كان نزول الآية فى غزوة الحديبية اوذات الرّقاع فلا ينافى عموم حكمها [فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلوٰةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلىٰ جُنُوبِكُمْ] يعنى اذا ادّيتم الصّلوة فلا تغفلوا عن ذكرالله ولا تراقبوا حين الغزو ادباً للذّكر بل اذكروا الله فى جميع احوالكم ، اوفاذا اردتم اداء الصّلوة وقت شدّة الخوف وعدم تمكّنكم من الصّلوة على ما قرّر فصلّوا على اىّ حال وقع منكم و تمكّنتم منها بقرينة قوله تعالى [فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ] عن شدّة الخوف [فَأَقِيمُوا الصَّلوٰةَ] اى فاتمّوها بشرائطها وآدابها المقرّرة لها فى السّفر ، او فاذا اطمأننتم فى اوطانكم اودار اقامتكم فأتمّوها باتمام ركعاتها [إِنَّ الصَّلوٰةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً] تأكيد كتاباً لانّ الموقوت بمعنى المفروض فى الاوقات والمعنى فرضاً مفروضاً يعنى انّا بالغنا فى حفظ الصّلوة وعدم تركها فى حالٍ من الاحوال لانّها بالغة حدّ الكمال فى الوجوب [وَلا تَهِنُوا] عطف باعتبار ما يفهم من تأكيد فرض الصّلوة اى فحافظوا عليها ولاتهنوا [فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ] حتّى تقتلوهم وتأسروهم اويسلّموا [إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ] استيناف واقع موقع التّعليل للنّهى وتشجيع لهم على القتال بسبب انّ المهمّ لايزيد على الم القوم و انّهم يزيدون عليهم برجاء اجر المجاهدين من الله [وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ وَكانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً] فيعلم انّ الاصلح بحالكم وثباتكم على الايمان وعدم تعلّقكم بالدّنيا كالنّسوان هو الجهاد ويرغّبكم فيه على وفق حكمته وعلمه بدقائق المصالح الّتى لاتظهر عليكم وتدبيره بادقّ وجهٍ واتقن صنعٍ لتمكينكم فى اكثر الكمالات [إِنّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ] كتاب النّبوّة الّذى ظهوره بالقرآن

استيناف لتأديب الامّة بالخطاب لمحمّد(ص) اولتأديب محمّد(ص) اصالة ولامّته تبعاً [بِالْحَقِّ] الحقّ المطلق هو الله جلّ شأنه والحقّ المضاف هو مشيّته المسمّاة بالحقّ المخلوق به والاضافة الاشراقيّة والحقيقة المحمّديّة و هو الولاية المطلقة وهى علويّة علىّ (ع) ومعروفيّة الله و ظهوره ، خلقت الخلق بالمشيّة و المشيّة بنفسها ، اشارة اليه ، ولمّا كان النّبوّة ظهور الولاية ، وكتاب التّدوين ظهور النّبوّة والرّسالة ، وظهور الظّهور، ظهور للظّاهر الاوّل كان انزال الكتاب بتوسّط الحقّ المضاف صحيحاً ومتلبّساً بالحقّ المضاف ايضاً صحيحاً لانّ حقّية كلّ حقّ وحقيقة كلّ ذى حقيقة هى هذا، ومع الحقّ ايضاً جائز [لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ] المراد من الحكم الحكومة المعروفة من قطع المنازعات ، اوماهو اعمّ منها ومن تأسيس السّياسات والعبادات ، اوماهو اعمّ منها و من اصلاحهم بالنّصائح و الآداب ، او ما هو اعمّ منها و من اصلاحهم و تكميلاتهم فى الباطن بلسان السّرّ [بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ] من رؤية البصر، لانّ ظهور الولاية بالنّبوّة لايكون الّا مع فتح باب من الملكوت فيرى صاحبه بعين البصيرة دقائق امور العباد و خفايا احوالهم فيمكن له الحكم و الاصلاح بما يرى ، او من الرّأى يعنى بما جعلك الله ذارأى لاتحتاج فيه الى رأى الغير لفتح بصيرتك أيضاً بانزال الكتاب ، وفى الخبر اشارة الى المعنى الاخير وانّ التّفويض الى الرّأى خاصّ به(ص) وليس لغيره ثمّ التّفويض بعده لاوصيائه، فاذا كان انزال الكتاب لحكومتك برأيك فاحكم بينهم برأيك او رؤيتك [وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً] على خصمائهم برأى غيرك [وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ] ممّا هممت به اوفعلت من الخصومة عن قبل الخائنين [إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً] وقد نقل فى نزولها ، انّ ثلاثة اخوة من بنى ابيرق نقبوا على عمّ قتادة بن النّعمان واخرجوا طعاماً وسيفاً ودرعاً فشكى قتادة الى رسول الله (ص) وقال بنوابيرق : هذا عمل لبيد، وكان لبيد رجلاً مؤمناً ، فمشى بنوابيرق الى اسيد بن عروة من رهطهم وكان منطيقاً ، فمشى الى رسول الله(ص) وقال: انّ قتادة رمى اهل بيتٍ منّا اهل شرف وحسبٍ ونسبٍ بالسّرقة، فاغتمّ رسول الله(ص) وجاء اليه قتادة فقال له رسول الله: رميت اهل بيت شرف وحسب ونسب بالسّرقة؟! وعاتبه فاغتمّ قتادة لذلك فأنزل الله فى ذلك: انّا انزلنا اليك الكتاب(الى آخر الآيات) فنقول: لو سلّم انّ نزولها كان كذا مع انّه شبيه بموضوعات العامّة فالتّعريض بالامّة كأنّه قال : يا امّة محمّد (ص) لاتغفلوا عمّا قال لكم محمّد(ص) وأعلمكم الله به من ولاية علىّ(ع) وسائر الاحكام فاذا حكمتم بحكم فليكن مطابقاً لحكم الله ولتميّزوا بين الخائن وغيره ولاتكونوا للخائنين خصيماً مع الصّالحين يعنى اذا توفّى محمّد(ص) ووقع النّزاع بينكم فاحكموا بما اعلمكم الله وبيّنه لكم رسوله [وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ] باقتراف المعاصى ولو فسّر انفسهم بعلىّ (ع) والائمّة(ع) لم يكن بعيداً لما سبق من انّ الولاية المطلقة حقيقة كلّ ذى حقيقة ونفسيّة كلّ ذى نفس [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً] هما للمبالغة والجملة فى موضع التّعليل ، ونفى المحبّة فى مثل المقام يفيد البغض اى انّ الله يبغض من كان خوّاناً اثيماً [يَسْتَخْفُونَ] خبر بعد خبر اوصفة بعد صفة اواستيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال ، و جمعيّة الضّمير باعتبار معنى من يعنى يستترون [مِنَ النَّاسِ] للحياء اوللخوف منهم حين تبييتهم ما لايرضى الله من القول [وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ] بيان لخيانتهم وكفى به خيانة مع الله و مع انفسهم وقواهم و مع الرّسول(ص) [وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ] يدبّرون

[مَالَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ] والقول هنا اعمّ من الفعل لانّ فعل الاعضاء اقوالها كما انّ قول اللّسان فعله وهو عبارة عن تدبيرهم لمنع علىّ(ع) عن حقّه اوعن تدبيرهم لنسبة السّرقة الى غير السّارق على ما ذكر من التّنزيل [وَ كَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً] فلايشذّ عنه خفيّات اعمالهم واقوالهم تهديد لهم [هَا اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ] هاحرف تنبيه تنبيه على حمقهم ، و انتم مبتدأ ، وهؤلاء اسم اشارة خبره او بدله او منادى ، و جادلتم خبر بعد خبر اومستأنف اوحال على الاوّل وخبر على الاخيرين ، اوهؤلاء موصول خبر انتم وجادلتم [عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] صلته ، وخطاب الجمع للمحامين عن السّارقين مثل اسيدبن عروة بناء على نزول الآية فى بنى ابيرق ومحاماة اسيدبن عروة عنهم [فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] يعنى انّ المجادلة هذه تكون عند النّبىّ(ص) ويوم القيامة تكون عندالله [اَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً] الوكيل من كان مراقباً لامور الموكّل وحافظاً لها ، و تعديته بعلى لتضمين معنى المراقبة و هذا غاية تهديد للمجادلين و المجادلين عنهم جميعاً [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً] بارتكاب ما لايرضاه العقل والشّرع [اَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ] بترك ارتكاب مايرضاه العقل والشّرع فانّ المراد بعامل السّوء من يرتكب القبائح الّتى يبعده عن حضرة العقل والرّبّ ، وبظالم النّفس من يقف عمّا يقرّبه الى حضرة العقل، وقد فسّر فى الخبر الظّالم لنفسه بمن يحوم حول نفسه من دون الحركة الى حول القلب [ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً] وعد للخائن والمجادل عنه بقبول توبته ان تاب ، والمغفرة ستر الذّنوب وترك العقاب عليها . والرّحمة التّفضّل عليه زائداً على ترك العقاب [وَمَنْ يَكْسِبْ اِثْماً فَاِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلٰى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً] باثمه [حَكِيماً] لايفعل لغواً حتّى يمكن ان يرجع وبال اثمه على الغير فرمى الغير به لاينفعه بل يضرّه [وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً اَوْ اِثْماً] الخطيئة كاللّمة ماصدر عن الشّخص مع انزجار النّفس كأنّه لم يقصده ، والاثم ما كان بدون انزجار [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً] بسبب نسبة السّوء الى من هو بريءٌ منه [وَاِثْماً مُبِيناً] زائداً على اثمه الاوّل بسبب تنزيه النّفس الخاطئة او الآثمة منه و رمى البريء به [وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ] النّبوّة والرّسالة بالنّسبة الى النّبىّ المخاطب به ولولاالنّبىّ والرّسول بالنّسبة الى المعرّض به [عَلَيْكَ] وارداً اوحافظاً عليك [وَرَحْمَتُهُ] الولاية اوعلىّ (ع) بالنّسبتين [لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ] يعنى انّ هبة الفضل و الرّحمة مانعة من همّتهم اومن تأثير همّتهم على تضمين اثّرت [اَنْ يُضِلُّوكَ] عن رأيك الصّواب او عن رؤيتك الصّواب وعلى مابيّنا فالمعنى لولاالنّبىّ(ص) وعلىّ(ع) حافظاً عليكم لهمّ منافقوا الامّة ان يضلّوكم عن نهج الصّواب و الطّريق المدلول عليه بالاسلام من ولاية علىّ (ع) [وَمَا يُضِلُّونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ] بهمّتهم [وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ] على فرض الهمّة منهم [وَاَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ] اى النّبوّة [وَالْحِكْمَةَ] اى الولاية [وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ] بانزال الولاية من دقائق الكثرات و دقائق احكامها الّتى هى لازمة الرّسالة [وَكَانَ فَضْلُ اللهِ] اى الرّسالة او مطلق نعم الله [عَلَيْكَ عَظِيماً] و فى وصل هذا الامتنان اشارة الى تعليل عدم الاضرار [لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰيهُمْ] من تبعيضيّة اوبيانيّة ومابعدها بيان لكثيرٍ، اومن ابتدائيّة

اوتعليليّة والمعنى لاخير فى كثيرٍ من النّاس ناشئاً من نجواهم اوليس لهم خير لاجل نجواهم وحينئذٍ يكون من نجويهم قيداً للنّفى اوللمنفىّ مرفوعاً بالنّفى، وقوله تعالى [إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ] استثناء من كثير بتقدير نجوى من امر بصدقة على الاوّل، و بدون التّقدير على الاخيرين ، او الاستثناء منقطع على الوجه الاوّل [أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] و فسّر المعروف بالقرض فمن امر بالصّدقة فى نجواه من حيث انّه امر بالصّدقة كان النّجوى خيراً له و للمأمور و للمأمورله سواءكان نجواه مع غيره والمأمور غيره ، اوكان نجواه مع نفسه بالخطرات والخيالات وكان المأمورنفسه وقد جاء عنهمقراءة قوله تعالى انّما النّجوى من الشّيطان (الى آخر الآية) عند المنامات المشوّشة اشارة الى انّها نجوى الشّيطان ، وروى عن الصّادق(ع) انّ الله تعالى فرض التّجمّل فى القرآن فسئل و ماالتّجمّل ؟ - قال : ان يكون وجهك اعرض من وجه أخيك لتمحل له و هو قوله تعالى لاخير فى كثير من نجويهم (الآية) [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال كأنّه قال : و من يفعل ذلك فله اجرعظيم ، ومن يشاقق الرّسول بنجواه فله عذاب عظيم ومن لم يأمر بالصّدقة ولم يشاقق الرّسول فلا اجر كاملاً له ولا عذاب فمن يفعل النّجوى [ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ] خالصاً عن شوب رياء و سمعة و عظمة و رفعة بالنّسبة الى المأمور او المأمور له او غيرهما [فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً] لصرف عرضه او لتحمّل تعب الاصلاح [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ] بان يناجي بخلافه ولا يرضى بقوله وينهى عمّا يأمر به كمن تحالفوا فى مكّة أن لايتركوا هذا الامر فى بنى هاشم ومثل من تخلّف عن جيش اسامة [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى] الرّشاد اوحقيقة الهدى وهى الولاية فانّها تبيّنت بقول الله و قول رسوله(ص) [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ] بالبيعة الخاصّة الولويّة كسبيل سلمان وابى ذرّ واقرانهما اوغير سبيل المسلمين من حيث اسلامهم فانّ سبيلهم من حيث الاسلام هى السّبيل المنتهية الى الولاية [نُوَلِّهِ مَا تَوَلّٰى] نوجّهه تكويناً ما توجّه اليه باختياره من سبيل الجحيم [وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ] لانتهاء سبيله اليها [وَسَاءَتْ مَصِيراً إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ] باعتبار مظهره الّذى هو علىّ(ع) استيناف فى موضع التّعليل تعليلاً للحكم واظهاراً لانّ مشاقّة الرّسول(ص) فى علىّ(ع) والشّرك به شرك بالله [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] قد مضى الآية بتمام اجزائها سابقاً [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ] باعتبار الشّرك بالولاية [فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً] وصف الضّلال بالبعد باعتبار بعدصاحبه مبالغةً [إِنْ يَدْعُونَ] هؤلآء المشركون بالله اوبعلىّ(ع) [مِنْ دُونِهِ] اى من دون الله اومن دون علىّ(ع) [إِلَّا إِنَاثاً] لانّهم يسمّون اصنامهم اناثاً ويقولون : انثى بنى فلان و انثى بنى فلان ، اولانّهم يعبدون نفوسهم الامّارة وهى اناث العالم الصّغير وهى الّتى تمكّن فيها الشّيطان ويأمروينهى الانسان ، اولانّهم يطيعون ائمّة الضّلالة؛ وائمّة الضّلالة لكون فعليّاتهم فعليّات النّفوس الامّارة ما بقى لهم جهة رجوليّة لا بالفعل ولا بالقوّة [وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً] الشّيطان الخارجىّ اوالظّاهر بنفوسهم الامّارة ، والمريد والمارد الخارج عن الطّاعة الّذى لاخير فيه [لَعَنَهُ اللهُ] دعاء عليه اواخبار بحاله مستأنفاً اوصفةً اوحالاً [وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ] اى من كلّ فردٍ من عبادك اومن مجموع عبادك ، والاتيان بلام القسم ونون التّأكيد للتّأكيد والمبالغة فى وقوعه [نَصِيباً

مَفْرُوضاً] قسطاً معيّناً فرض لى اوعيّن لى وهوالجزء السجّينىّ من كلّ عبد اواهل السّجّين من العباد ، روى انّ من بنى آدم تسعة وتسعين فى النّار وواحداً فى الجنّة ، وروى من كلّ الف واحدٌ لله وسائرهم للنّار ولابليس [وَلَأُضِلَّنَّهُمْ] عن طريق الهدى [وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ] بالامانىّ الباطلة كطول العمر والرّفعة والحشمة وكثرة الاموال وغير ذلك [وَلَآمُرَنَّهُمْ] بالباطل [فَلَيُبَتِّكُنَّ آذٰانَ الْاَنْعٰامِ] اى ليقطعنّها من اصلها ، وقيل كانوا يشقّون آذان الانعام اذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكروحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها ، وهذا احد موارد التّبتيك [وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ] تغيير خلق الله بتغيير صورته الظّاهرة من غير اذنٍ من الله كقطع الاذن من الحيوان و الانسان واخصائهما وكلّ مثلة ، اوبتغيير صفته الظّاهرة من غير اذنٍ من الله ، اوبتغيير صورته الباطنة كتغيير صورته الانسانيّة عن الاستقامة الى الانحناء والنّكس وتبديل صورهم الانسانيّة بصور القردة والخنازير باغوائهم ، اوبتغيير صفته كتغيير استقامته على الطّريق الآلهىّ الى الاعوجاج ، وتغيير دينه المستقيم الى الاديان المنحرفة ، وتغيير فطرته على الاسلام الى فطرة الكفّار ، ويلزمه تغيير اوامر الله ونواهيه فصحّ مافى الخبر من تفسيره بدين الله وأمره ونهيه [وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطٰانَ] الجنّىّ اوالانسىّ [وَلِيّاً] محبّاً اواميراً [مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرٰاناً مُبِيناً] باتلاف رأس ماله الّذى هو اللّطيفة الانسانيّة [يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ] استيناف فى موضع التّعليل [وَمٰا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰانُ] الجنّىّ [إِلَّا غُرُوراً] مصدر غرّه اذا خدعه وأطمعه بالباطل والمراد به ما يغترّ به فيكون مفعولاً به ، اومعنى الخديعة والاطماع فيكون قائماً مقام المفعول المطلق ، او مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل [أُولٰئِكَ] المتمكّن منهم الشّيطان [مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَلٰا يَجِدُونَ عَنْهٰا مَحِيصاً] مهرباً و ذلك لانّهم تمكّنوا فى طريق العالم السّفلىّ ودار الشّياطين بحيث لايمكن لهم الرّجوع عنه [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة فليكن قوله تعالى [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] اشارة الى الايمان الخاصّ الولوىّ لانّ العمل ما لم يكن عن ايمانٍ قلبىّ و ميثاق علوىّ لا يصير صالحاً ، اوالمراد الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة وعملوا الصّالحات بكسب الخيرات فيه حتّى يتمكّن فى الايمان ، فانّ الايمان ما لم يتمكّن الانسان فيه كان مستودعاً محتملاً للزّوال [سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ] لانّ طريقهم طريق القلب وطريق الولاية الموصلة الى العالم العلوىّ وفيه الجنّات [خٰالِدِينَ فِيهٰا اَبَداً وَعْدَ اللهِ] وعدالله وعداً [حَقّاً وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً] فلا خلف لوعده ، اكّده بتأكيدات عديدةٍ ثمّ صرف الكلام عن بيان حال المؤمنين الى الخطاب مع المنافقين التّابعين للشّيطان فقال تعالى [لَيْسَ بِاَمٰانِيِّكُمْ وَلٰا اَمٰانِيِّ اَهْلِ الْكِتٰابِ] يعنى انتم واهل الكتاب بانتسابكم وانتحالكم النّسبة الى نبىّ وكتاب تتمنّون ان يغفر الله لكم ذنوبكم كائنة ماكانت ، وان يعامل الله معكم معاملة الوالد مع اعزّ اولاده ، وليس الامر منوطاً بامانيّكم ولا امانىّ اهل الكتاب بل [مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ] يعنى لستم ممّن يغفر اويمحى اويبدّل سيّئاتكم لانّ هذه لمن كان له نبىّ وامام يعنى نصير وولىّ ، وانتم انحرفتم عن النّبوّة والولاية ولاينفعكم انتحال احكام النّبوّة فمن يعمل منكم سوءً يجز به [وَلٰا يَجِدْ لَهُ] لنفسه [مِنْ دُونِ اللهِ] من دون مظاهره [وَلِيّاً] يلى اموره من امامٍ منصوبٍ من الله صاحب ولاية [وَلٰا نَصِيراً] من نبىّ بحقّ ينصره

عمّا يضرّه ، روى انّ اسمعيل (ع) قال للصّادق (ع) : يا ابتاه ما تقول فى المذنب منّا ومن غيرنا ؟ ـ فقال : ليس بامانيّكم ولا امانىّ اهل الكتاب من يعمل سوءً يجزبه وهو يشير الى تعميم الحكم ولا ينافى تخصيص الخطاب بالمنافقين المنتحلين [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ] لانّ شرط قبول العمل هوالايمان الخاصّ والبيعة على يد علىّ(ع) يعنى انّ العمل الصّالح يصير صالحاً اذاكان ناشئاً من الايمان وراجعاً اليه والّا لم يكن صالحاً وان كان صورته صورة العمل الصّالح ، لانّ الصّلاح اصله هو الولاية لعلىّ(ع) فكلّ ما صدر عن الوجهة الولويّة فهو صالح كائناً ماكان ، وكلّ ما لم يصدر عن الوجهة الولويّة فهو فاسد [فَاُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً] شيئاً قليلاً والنّقير النّقطة فى وسط النّواة ، ووجه الاختلاف بين القرينتين بالاجمال فى الشّرط والاتيان بالجزاء مضارعاً مجرّداً عن الفاء فى الاولى ، والتّفصيل فى الشّرط والاتيان بالجزاء جملة اسميّة مصدّرة بالفاء فى الثّانى ماهو من عادة صاحبى الحياء والكرم من الاجمال والاغماض فى جانب الوعيد والتّفصيل والتّأكيد فى جانب الوعد [وَمَنْ اَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ] استفهام انكارىّ فيه معنى التّعجّب عطف على من يعمل من الصّالحات باعتبار لازمه الّذى هو معنى لا احد احسن ديناً منه ، واشارة الى علّة الحكم والى وصفٍ آخر لهم مشعر بالمدح ، فانّ المراد بمن اسلم وجهه لله هو المؤمن ، و المراد بالمحسن من يعمل من الصّالحات ، فانّ الايمان هو انقياد وجهك الباطنىّ واخلاصه لمن بايعت على يده ، ولمّا كان من بايعت على يده بيعة حقّة واسطة بينك وبين الله كان اخلاص الوجه له اخلاصاً لله وهو علىّ(ع) او خلفاؤه ، والاحسان هو ان يكون العمل صادراً عن امر من هو اصل فى الحسن ، وهو علىّ(ع) وخلفاؤه(ع) كما سبق فى بيان العمل الصّالح كأنّه قال : ولا احد احسن ديناً منهم لانّ حسن الدّين امّا بالعمل وهو ان يكون صادراً عن امر الحسن الحقيقى ، و امّا بالاعتقاد والعمل الجنانىّ وهو ان يكون عارفاً لامام زمانه مسلماً وجهه له بالبيعة على يده وهو الحسن الحقيقىّ ، و هؤلاء متّصفون بوصف العمل الصّادر عن امر الحسن الحقيقىّ و الانقياد اعتقاداً للحسن الحقيقىّ ، و فى النّبوىّ المشهور اشارة الى ما ذكرنا من تفسير المحسن فانّه(ص) قال : الاحسان ان تعبدالله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك ، يعنى انّ الاحسان يصدق اذاكان العمل بمشاهدة الله يعنى بمشاهدة امره حتّى يكون المصدر هو امره ، وتقديم العمل الصّالح فى المعلول لكون العنوان الاعمال و جزاءها ، و تأخير الاحسان الّذى هو بمعناه فى العلّة لتقدّم الايمان على العمل الصّالح ذاتاً [وَاتَّبَعَ مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفاً] فيه اشارة الى انّ المراد بالمحسن العامل بالاعمال القلبيّة الولويّة المخلّية للنّفس عن الرّذائل و الهواجس و الوساوس المحلّية لها بالخصائل و الالهامات و التّحديثات و المشاهدات والمعاينات ، والمراد بالتّابع لملّة ابراهيم(ع) هوالعامل بالاعمال القالبيّة و الاحكام النّبويّة من المفروضات والمسنونات وترك المنهيّات ، فانّ من تاب على يد علىّ (ع) وتلقّى منه آداب السّلوك واحكام القلب لابدّ له من العمل بأحكام القالب فانّها كالقشر لاحكام القلب فما لم يحفظ القشر لم يحفظ اللبّ ، وحنيفاً حال عن التّابع اوالملّة لوابراهيم (ع) وعدم مراعاة التّأنيث امّا لتشبيه الحنيف بالفعيل بمعنى المفعول ، اولكسب الملّة التّذكير من المضاف اليه لصحّة حذفه ، والحنيف بمعنى الخالص اوالمائل عن الاديان الاُخر ، اوالرّاغب الى الاسلام الثّابت عليه [وَاتَّخَذَ اللهُ اِبْرٰهِيمَ خَلِيلاً] عطف مشعر بالتّعليل اوحال بتقدير قد او بدون التّقدير على خلافٍ

فيه ، فى الخبر عن الصّادقين (ع) انّ الله تبارك وتعالى اتّخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتّخذه نبيّاً ، وانّ الله اتّخذه نبيّاً قبل ان يتّخذه رسولاً ، وانّ الله اتّخذه رسولاً قبل ان يتّخذه خليلاً ، وانّ الله اتّخذه خليلاً قبل ان يتّخذه اماماً ، و قد اشار بعد الاشارة الى انتهاء العبوديّة الى المراتب الاربع الكلّيّة الّتى هى امّهات مراتب الخلافة الآلهيّة، وتحت كلّ مرتبة منها مراتب جزئيّة الى غير النّهاية ، **وشرحها على سبيل الاجمال** بحيث لا يشمئزّ منه طباع الرّجال ولا يصير سبباً للشين و الجدال **ان يقال** : انّ الانسان من بدو خلقته الى آخر مراتب وجوده الّتى لانهاية لها يطرو عليه الاحوال المختلفة ويتشأّن بشؤن متضادّة كأنّه كلّ يوم هو فى شأن: فاوّل خلقته نطفة فى قرارٍ مكينٍ ، ثمّ يتدرّج فى اطوار الجماديّة الى ان وصل الى مرتبة النّبات متدرّجاً فيه، الى ان ينفخ فيه الرّوح الحيوانيّة متدرّجاً الى ان ينفخ فيه الرّوح الدّماغيّة، ثمّ بعد استحكام اعضائه وبشرته بحيث يستعدّ لمباشرة الهواء يتولّد وفيه المدارك الحيوانيّة الظّاهرة بالفعل متدرّجاً الى ان صار مداركه الباطنة بالفعل و فيه العقل بالقوّة و يسمّى العقل الهيولانىّ ، و غذاءه فى الرّحم دم منضوج يصلح لان يكون غذاءه ، و بعد التّولّد ايضاً دم مستحيل الى اللّبن ليكون موافقاً لبدنه ، وبعد استحكام اعضائه وشدّة عظمه وغلظه بحيث لايستضرّ بغير اللّبن يفطم من اللّبن ويغتذى بلذائذ الاغذية ، ولايعرف الّا مايشتهيه الى ان يصل الى اوان المراهقة ويميز بين الخير والشّرّ فى الجملة متدرّجاً فيه الى زمان الرّشد واستعداد التّميز بين الخير والشّرّ الباطنين ، وحينئذٍ يصير عقله بالفعل ويستعدّ لان يدرك الاوامر والنّواهى التّكليفيّة. فان وفّقه الله لطلب من يأمره وينهاه من الله وطلب بصدق يصل بفضله تعالى لا محالة الى رسولٍ من الله او خليفة الرّسول و يقبل رسالته اوخلافته ، فاذا قبله علّمه آداب الوصل و المبايعة والمعاهدة وبايع وعاهد وبعد البيعة والميثاق لقّنه أحكام القالب وحذّره من الانس بالنّفس الامّاره وينهاه من الاهوية الكاسدة وأوحشه منها، فاذا توحّش وفطم عن لبنها طلب من يأنس به ويغذو من غذائه ، فاذا طلب بصدقٍ وصل لامحالة الى رسولٍ من الله اوخليفته ثانياً وقبل ولايته فاذا قبل ولايته وتسلّطه الباطنىّ علّمه آداب الوصل والمبايعة الخاصّة والميثاق الخاصّ وبايعه وعاهده بالبيعة الولويّة الباطنة القلبيّة الخاصّة و لقّنه احكام القلب وآنسه بابيه العقل بعد فطمه من امّه النّفس واطعمه من غذاء ابيه ؛ والمبايعة الاولى تسمّى اسلاماً والثّانية تسمّى ايماناً . ولايمكن للمسلم ان يسلك الى الله ولاالى الطّريق من حيث اسلامه ، فانّ المسلم قبل اسلامه بمنزلة من ضلّ فى بيداء عميقة لايظهر فيها آثار الطّريق وتكون كثيرة السّباع وفيها قطّاع الطّريق وهوغافل عن ضلالته وعن سباعها ويظنّ انّه فى الطّريق او فى موطنه ومحلّ قراره آمناً من كلّ مايوذيه ، والرّسول اوخليفته بمنزلة من ينبّهه عن غفلته و يخبره بضلالته وبكثرة السّباع و الموذيات فيتوحّش و يطلب طريقاً ينجيه و دليلاً يهديه فيسلّم قوله ويلتمس منه الدّلالة على آثار الطّريق فيقول: انّما انا منذر عن المخاوف ومنبّه عن الغفلة وللطّريق هاد فيبيّن علامة من هوهاد ويقول : من كنت مولاه فعلىّ (ع) مولاه مثلاً ، ولذاكان شأن النّبىّ (ص) منحصراً فى الانذار والهداية موكولة الى من عيّنه لاولى الابصار انّما انت منذر ولكلّ قوم هادٍ ، فاذاعيّن النّبىّ (ص) او خليفته من كان يدلّه على الطّريق يتسرّع لا محالة اليه ويلتمس منه آثار الطّريق فيأخذ منه المواثيق الاكيدة بالمبايعة و المعاقدة ثمّ يعلّمه آثار الطّريق وهوالايمان ، فاذا امن و علم آثار الطّريق فان تسرّع بآثاره وعلائمه يكن حينئذٍ سالكاً الى الطّريق خائفاً من السّباع والموذيات ، ومن عدم الوصول فيتعب نفسه فى السّير والحركة اليه وكثيراً مايعارضه الغيلان والسّباع وقطّاع الطّريق والموذيات فيدافع ويدفع عن نفسه بالسّلاح الّذى أعطاه المنذر اوّلاً والهادى ثانياً فينجو منهم بقوّة السّلاح ان شاء الله ، فيصل الى الطّريق الّذى هو علىّ (ع) ويحصل

له الحضورعنده ويسمّى عندهم تلك المرتبة بالفكر والحضور ، ويحصل له الرّاحة بعد التّعب والسّرور بعد الحزن والبشارة بعد الخوف واللّذّة بعدالالم ، ويصير سالكاً بعد ذلك الى الله . فانّه بعدالانذار متحيّر متوحّش خائف ، و بعد الدّلالة على الطّريق سالك الى الطّريق خائف راج متعب نفسه ، و بعد الوصول الى الطريق الموصل الى الله سالك الى الله راج خائف ، لكن خوفه ليس عن المهلك والموذى ولا خوف النّفس الامّارة المسمّى بالخوف ولاخوف النّفس العالمة بالله المسمّى بالخشيه بل خوف القلب المسمّى بالهيبة ، والسّالك فى هذه الحالة قد يفنى عن نسبة الافعال الى نفسه ويرى الافعال من علىّ (ع) وقد يشارك عليّاً (ع) فى الافعال وقد يتّحد معه فى ذلك ويسمّى فناؤه عن الافعال بالفناء الفعلىّ ، فاذا سار وسلك وارتفع درجة حتّى لاينسب الصّفات الى نفسه بل يرى الصّفات ايضاً من علىّ (ع) صارت الاثنينيّة ضعيفة والمعاينة قويّة بحيث كادان لايرى نفسه ويسمّى بالفناء عن الصّفات ، لكن له رجاء وخوف بقدر شعوره بنفسه وان كان ذاهلاً عن الشّعور بالخوف والرّجاء وخوفه يسمّى سطوة ، فاذاسار معه الى ان لايرى نفسه ويغيب فى حضوره عنده عن نفسه صارت الاثنينيّة مرتفعةً ولم يكن له حينئذٍ نفسيّة حتّى يكون له رجاء وخوف ، ويصير حينئذٍ مصداقاً لقوله (ع) : اذا وصلوا اتّصلوا فلايكون فرقٌ بينه وبين حبيبه ، و يسمّى بالفناء الذّاتىّ ؛ ويسمّى الفناءات بالمحو و المحق والطّمس وهو قبل الاسلام يسمّى ضالّاً تائها و بعده يسمّى مسلماً وطالباً . فان لم يطلب من يهديه الى الطّريق و وقف خصوصاً بعد الانقطاع عمّن أسلم على يده يسمّى ايضاً ضالّاً ولذلك ورد: من أصبح من هذه الامّة لاامام له من الله تعالى اصبح ضالّاً تائهاً، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق . وبعد الوصول الى امامه وولىّ امره والمبايعة معه واعطاء الميثاق له يسمّى سالكاً وسائراً الى الطّريق لا الى الله بلا واسطة ، وان كان سيره الى الطّريق سيراً الى الله ويسمّى سيره هذا سفراً من الخلق الى الحقّ ، وبعد وصوله الى الطّريق يصير سالكاً الى الله ويسمّى سيره هذا سفراً من الحقّ بالحقّ الى الحقّ ، فاذا وصل وفنى عن افعاله وصفاته وسار بالوصال فى فناء ذاته يسمّى سائراً فى الله ويسمّى سيره هذا سفراً بالحقّ فى الحقّ ، وبهذا السّيريتمّ له العبوديّة والفناء ولايبقى منه ذات ولااثرويصيروصاله اتّصالاً و ينتقل بعد ذلك عبوديّته الى الرّبوبيّة وفناؤه الى البقاء . وماقالوا : من انّ الفقراذا تمّ فهوالله، اشارة الى هذا فانّه بعد صحوه يصير موجوداً بوجودالله وباقياً ببقاءالله وحاكماً بحكم الله وخليفةً لله ، لانّه اذا صارعبداً لله وعلم الله صدق عبوديّته ردّه الى ما عاد منه ووكله بأمور بيته الّذى هو قلبه و شرّفه بشرافة خلافة البيت فاذا وجده فى اصلاح البيت بصيراً اميناً كاملاً وكله بامور مملكته و شرّفه بشرافة خلافة المملكة ويسمّى هذا العود بعد الاوب سفراً من الحقّ الى الخلق بالحقّ ، فاذا وجده فى اصلاح المملكة و تعمير بلادها و تكثير عبادها بصيراً اميناً بالغاً دعاه ثانياً الى مقام الانس وآنسه بنفسه ، لكن هذا الحضور غير الحضور الاوّل ؛ فانّ الاوّل دهشة وحيرة وفقر وفاقة وهذا انس وحشمة وغناء لكن بانس الله وحشمته وغنائه .
فاذا آنسه وارتضاه فوّض اليه جميع اموره من عباده وجنوده وسجنه وسجّينه واضيافه و مضيفه و اعطائه و منعه فمن شاء يسجنه و من شاء يضفه ، و من شاء يعطه و من شاء يمنعه فله التّسلّط و التّصرّف فيمن شاء كيف شاء ويسمّى هذا فى الحضور الاوّل والفناء التّامّ عبداً ، و فى حال اصلاح البيت نبيّاً ، و فى حال اصلاح المملكة رسولاً ، وفى الحضور الثّانى خليلاً ، وفى حال التّفويض اماماً ؛ وهذه الامامة غير مايطلق على ائمّة الجور ، وغير ما يطلق على ائمّة الجماعة ، وغير ما يطلق على الاولياء الجزئيّة بل هى مرتبة لايتصوّر فوقها مرتبة . ولا يلزم ممّا ذكرنا ان يكون كلّ من بايع النّبىّ (ص) بالبيعة العامّة وصل الى مقام البيعة الخاصّة كاكثر العامّة ، ولاكلّ من بايع البيعة الخاصّة وصل الى الطّريق كاكثر الشّيعة ، ولاكلّ من وصل الى الطّريق وصل الى الحقّ ، ولاكلّ من

وصل الى الحق ّ صار عبداً، ولا كل ّ من صار عبداً صار نبيّاً، ولا كل ّ نبيّ رسولاً، ولا كل ّ رسول خليلاً، ولا كل ّ خليل اماماً؛ ولمّا كانت الامامة بهذا المعنى خلافة مطلقة كليّة و نهاية لجميع المراتب واستشعر الخليل (ع) بأنّها آخر مراتب الكمالات الانسانيّة صار مبتهجاً ومن ابتهاجه قال: ومن ذرّيّتي [وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ] اللّام للاختصاص وقد يستعمل باعتبار المبدأ وقد يستعمل باعتبار الغاية وقد يستعمل باعتبار المملوكيّة كمايقال: هذا البيت لفلان يعني بانيه ومصدر بنائه فلان لاغير، اوهذا البيت لسكنى الشّتاء اولسكنى الصّيف باعتبار غايته، اوهذا البيت لفلان يعني فلان مالكه من غير شراكة الغير، والمراد في هذا الموضع وامثاله معنى عام ٌّ يشمل المعاني الثّلاثة، يعني لله ما فيهما بدواً وغاية ً و ملكاً وهو عطف اوحال فيه اشعار بالتّعليل وكذا قوله تعالى [وَ كٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً] كأنّه قال: لااحداحسن حالاً ممّن أسلم وجهه لله واتّبع خليله، لان ّ كل ّ مافي السّماوات و الارض مملوك له وله العلم بكل ّ شيء فيعلم من اسلم وجهه له و يعلم مرتبته و قدر استحقاقه فلا يمسك عنه ما هو مستحق ّ له [يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسٰاءِ] اى في حكم نسائهم من الالفة والفرقة بقرينة و ان امراة خافت من بعلها (الآية) اوفي حكم مطلق النّساء من الارث بقرينة في يتامى النّساء اللّاتي لا تؤتونهن ّ ما كتب لهن ّ اوفي حكم النّساء بحسب الارث من الازواج كما مضى حكمه ، اومن الارحام كمامضى ايضاً، اوبحسب المعاشرة كما يأتي [قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ] و في نسبة الافتاء الى الله في الجواب اشارة الى ان ّ ما يقوله (ص) ليس منه برأي واجتهاد وظن ٍ وتخمين كما سيحدّثونه ، بل هو فتيا الله على لسانه امّا لفنائه من نفسه اولوحي ٍ منه [وَ مٰا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ] عطف على الله او على المستتر في يفتيكم وسوّغه الفصل، اوهوبتقدير فعل هويبيّن اومانافية والجملة معطوفة على جملة الله يفتيكم اوحاليّة بتقدير مبتدء والمعنى مايتلى افتاؤه بعد عليكم [فِي الْكِتٰابِ فِي يَتٰامَى النِّسٰاءِ] متعلّق بيتلي او بدل من قوله فيهن ّ [اللاّٰتِي لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ مٰا كُتِبَ لَهُنَّ] وبذكر ما كتب لهن ّ اشار الى ان ّ لهن ّ ميراثاً مفروضاً وقد بيّن في اوّل السّورة مالهن ّ بحسب الارث من الازواج ومن الارحام كانوا في الجاهليّة لايورثون الصّغير ولاالمرأة ويقولون : الارث لمن تمكّن عن المقاتلة والمدافعة عن الحريم وحيازة الغنيمة [وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ] اذا لم يكن ّ ذوات جمال ولايكون لهن ّ اموال ايضاً فترغبون عنهن ّ لعدم المال والجمال [وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ] عطف على يتامى النّساء [مِنَ الْوِلْدٰانِ] جمع الوليد وقد مضى حكمهم بحسب الارث والحفظ والمال جميعاً في اوّل السّورة [وَ] يفتيكم ايضاً في [أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰامىٰ بِالْقِسْطِ وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ] عطف على يستفتونك اوعلى الله يفتيكم على ان يكون من جملة مقول القول يعني قل لهم ما تفعلوا من خير في ارث النّساء وقسامتهن ّ وفي حفظ اليتامى واموالهم لايضيع عملكم [فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيماً وَ إِنِ امْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزاً] سوء عشرة معها ومنعها من حقوقها لمّا قدّم ذكرخوف نشوز المرأة ذكر ههنا خوف نشوز المرء [أَوْ إِعْرٰاضاً] تجافياً وعدم توجّه اليها مع اعطائها حقوقها من النّفقة والكسوة والقسامة فان ّ النشوز عدم القيام بمايجب عليه والاعراض لما ذكر في مقابله يكون غيره [فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحاً] قرئ يصلحا من باب الافعال و حينئذ يجوز ان يكون صلحاً مفعولاً ً به اى يوقعا صلحاً و ان يكون بينهمامجرّداًعن الظّرفيّة مفعولاً ً به ، وان يكون المفعول به محذوفاً وقرئ يصّالحا ويصّلّحا بتشديد الصّاد

من تصالح واصطلح والمقصود نفى الجناح من ان يصطلحا على اعطاء المرأة شيئاً من مهرها اوغيره ، او على تحمّل خدمة له لاستمالته ، اوعلى اقساط قسامتها وسائرحقوقها ، فعن الصّادق(ع) هى المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها فيقول لها: اريد ان اطلّقك فتقول له : لاتفعل انّى اكره ان يشمت بى ولكن انظر فى ليلتى فاصنع بها ما شئت و ماكان سوى ذلك من شيء فهو لك ودعنى على حالتى وهوقوله تعالى : فلاجناح عليهما ان يُصلحا ولااختصاص له باسقاط المرأة حقّها بلاعوض ، فيجوز ان يجعل بدل اسقاط الحق عوضاً [وَالصُّلْحُ خَيْرٌ] من الفرقة والطّلاق وسوء العشرة [وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ] لانّهامطبوعةعلىجذب خيرها وعدم اخراجه من ايديها كأنّها اجبرت على الحضور عند الشح فكأنّ نفوس الرّجال لا يمكنها امساك النّساء مع كراهتهنّ ولا القيام بحقوقهنّ ولانفوس النّساء يمكنها اسقاط حقّها و ترك حظّها والجملة الاولى للتّرغيب على الصّلح و الثّانية لتمهيد العذر لمماكسة الطّرفين عن الصّلح [وَإِنْ تُحْسِنُوا] فى العشرة [وَتَتَّقُوا] عن نقص حقوقهنّ اوعن الفرقة وفتح باب الشماتة لهنّ و تمسكوهنّ مع كراهتهنّ كان الله يجزيكم بالاحسان الاحسان و بالتّقوى الغفران [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا] لفظة لن للتّأبيد اشارة الى انّه كالمحال [أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ] فانّ العدل التّسوية بينهنّ وهى ان كانت ممكنةً بحسب الظّاهر فليست بمقدورة بحسب ميل القلب [وَلَوْ حَرَصْتُمْ] على العدل بينهنّ، عن النّبىّ(ص) انّه كان يقسم بين نسائه و يقول : اللّهمّ هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك [فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ] بسراية ميل الباطن الى احديهن وكراهة الاخرى الى الظّاهر فتجعلوا قسامتهنّ و غير قسامتهنّ مطابقة لميلكم الباطنىّ بهنّ [فَتَذَرُوهَا] اى المكروهة [كَالْمُعَلَّقَةِ] الّتىلابعل لها ولااختيارلهالنفسها ، روى انّ علياً(ع) كان له امرأتان وكان اذاكان يوم واحدة لايتوضّأ فى بيت الاخرى ، فواحسرتاه على العدول الّذين فى زماننا وقسامتهم بينازواجهم كسائرمواردعدلهم. ! [وَإِنْ تُصْلِحُوا] انفسكم بتقليل تفاوت الميل القلبىّ بقدرمايمكن وتسويةالتّرحّم عليهنّ باتّصافكم بالرّحمةالّتىهىمن صفاتالله [وَتَتَّقُوا] عنالانزجارالقلبىّ عمّن تكرهونهنّ بالاغضاء عننقائصهنّ ومعايبهنّ الّذى هوالمغفرة لهنّ صرتممتخلّقين باخلاقالله ومستحقّين لرحمته ومغفرته لتخلّقكم بهما [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً] فاقيم السّبب مقام المسبّب ، او المعنى ان تصلحوا ما افسدتم بالميل الكلّىّ وتتّقوا عنالافساد فيما يأتىصرتم احقّاء برحمته ومغفرته ، اوالمعنى وان توقّعوا الصّلح وتتّقوا عن الفرقة بالتّرحّم عليهنّ والمغفرة لهنّ صرتم مستحقّين لرحمته بقرينة مقابلته لقوله تعالى [وَإِنْ يَتَفَرَّقَا] بعد عدم الرّضا بالصّلح و عدم احسان الازواج [يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ] بالازواج للرّجال والازواج للنّساء ، اوبصفات الملائكة وخصالهمفيسلو كلّ منالزّوج بانساء الطّبيعة عنالمضاجعة وتقليلشهوة النّكاح اوبالاموال الدّنيويّة فيعطى كلّاً مايغنيه ، وحديث امر الصّادق(ع)شاكياً من الفقر بالنّكاح واشتداد الفقر عليه بعد النّكاح و امره ثانياً بالفرقة و حصول الغناء له يدلّ على الاخير ولاينا فىالتّعميم [وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً] عطف فيه معنى التّعليل يعنى يقدر على التّوسعة فى الازواج او فى الخصال او فى الاموال على فرض التّفرّق لانّه واسع بحسب كلّ شيء ويأمركم بالاحسان والاغضاء لانّه حكيم وفيما يأمركم به صلاحكم [وَلِلَّهِ] صدوراً ورجوعاً

وملكاً [مٰافِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِى الْاَرْضِ] فيه ايضاً معنى التّعليل [وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيّٰاكُمْ اَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ] فيه تأكيد أكيدٌ للتّقوى اشعاراً بانّ ما ذكر على طريق المداراة معكم من التّقوى عن سوء العشرة وعن الفرقة فهو وصيّة قديمة وجديدة فما لكم لاتتّقون عن سوء العشرة وتنتهون فى امراز واجكم الى الفرقة ولقد جمع الله فى هذه الوصيّة على سبيل الاجمال جميع ما ينبغى ان يوصى به فانّ تقوى الله عمّا لا يرضى ملاك ترك كلّ حرام ومكروه ومناط فعل كلّ واجب ومندوب [وَاِنْ تَكْفُرُوا] وتخرجوا من السّماء الّتى هى محلّ الطّاعة الى الارض الّتى هى محلّ الشّرك والمعصية فلاتخرجوا من مملكته حتّى ينقص فيها شيء ولاحاجة له الى طاعتكم وتقويكم حتّى لايقضى بتركّكم حاجته ، ولايلحقه ذمّ بواسطة كفركم حتّى يحتاج فى رفعه الى طاعتكم ، ولاحاجة له الى حفظكم لنفسه ومملكته حتّى تكونا بتركّكم الطّاعة غير محفوظتين [فَاِنَّ لِلّٰهِ مٰافِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِى الْاَرْضِ وَكٰانَ اللّٰهُ غَنِيّاً حَمِيداً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [وَلِلّٰهِ مٰافِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ] تأكيدٌ للسّابق و تمهيد وتعليل لكونه وكيلاً على كلّ شيءٍ ومقتدراً على التّصرّف فى كلّ شيءٍ بأىّ نحوٍ شاء [وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكيلاً] فلا حاجة له فى الحفظ الى طاعتكم [اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النّٰاسُ وَيَأْتِ بِآخَرينَ] فلا تخرجوا بكفركم عن تحت قدرته و تصرّفه [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَديراً] روى انّه لمّا نزلت هذه الآية ضرب النّبىّ (ص) يده على ظهر سلمان (ره) وقال : هم قوم هذا يعنى عجم الفرس، والمراد انّه شاء ذلك ويأتى لامحالة بآخرين وهم قوم هذا [مَنْ كٰانَ يُريدُ ثَوٰابَ الدُّنْيٰا] بترك التّقوى والكفر بالله فليطلبه بالتّقوى و طاعة الله حتّى يحصل له ثواب الدّنيا مع ثواب الآخرة فانّ من كانت الآخرة همّته كفاه الله همّته من الدّنيا [فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوٰابُ الدُّنْيٰا وَالْآخِرَةِ] فهو جواب لما عسى ان يقال : انّ تارك التّقوى لايلتفت فى طاعته و تركه الى حاجة لله اليه فى شيءٍ ممّا ذكر بل يريد ثواب الدّنيا و يظنّ انّه لا يحصل بالتّقوى و لذا اتى به مفصولاً لاموصولاً بالعطف [وَكٰانَ اللّٰهُ سَميعاً بَصيراً] فاذا اطاعوا واتّقوا وطلبوا قالاً اوحالاً يسمعهم ويجيبهم ، واذا لم يطلبوا وكان غرضهم ذلك اولم يكن غرضهم ذلك ولكن كان حاجتهم اليه يبصر اغراضهم ومقدار حاجاتهم فيعطيهم من ثواب الدّنيا ايضاً [يٰا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا] على يد محمّد (ص) بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [كُونُوا قَوّٰامينَ] اثبتوا على هذا الوصف فانّ تخليل الكون للدّلالة على الثّبات والدّوام ، والقوّام الخارج عن الاعوجاج والمخرج نفسه و قواه وغيره عنه فانّه يستفاد من المبالغة السّراية الى الغير كما فى الظّهور او هو مأخوذ من قام عليه و بأمره اذا اصلحه [بِالْقِسْطِ] اى بالعدل فانّه بسبب التّسوية بين طرفى الافراط و التّفريط فى النّفس و بسبب تساوى طرفى النّزاع عند النّفس فى النّزاع الخارجىّ يمكن الخروج و الاخراج عن الاعوجاج و يجوز تعلّقه بقوله تعالى [شُهَدٰاءَ] متحمّلين ومؤدّين للشّهادة خبرٌ بعد خبرٍ تفسير للاوّل او حال كذلك [لِلّٰهِ] لطلب رضا الله اوفى شهادات الحسبة لانّ فيها صاحب الحقّ هو الله ، او لله باعتبار مظاهره وخلفائه ولاسيّما اتمّ مظاهره الّذى هو علىّ (ع) والآية عامّة لكنّ المقصود والعمدة هو هذا فانّها توصية وتوطئة لتحمّل الشّهادة لعلىّ (ع) حين التمسه النّبىّ (ص) منهم بقوله : رحم الله امرءً سمع فوعى، ولاداء الشّهادة

لعليّ(ع)حين التمسه عنهم بقوله ، الا فليبلغ الشّاهد منكم الغائب ، وحين التمس عليّ(ع)عنهم بعدالنّبيّ(ص) ان يؤدّوا ما سمعوا عنه ، ولكن ما وفوا بهذه الوصيّة وما ادّوا [وَلَوْعَلٰى اَنْفُسِكُمْ] مضرّاً عليها فانّها احبّ الاشياء عليكم [اَوِالْوالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِينَ] فانّهم بعدالانفس احبّ الاغيار [اِنْ يَكُنْ] كلّ واحد من الطّرفين [غَنِيّاً اَوْفَقِيراً] فلا تخرجوا عن الاستقامة بملاحظة انّ الفقير اولى بالانتفاع وعدم التّضرّر والغنيّ لايتضرّر على فرض عدم وصول ماله اليه اوينتفع الغير بما له على فرض الشّهادة عليه زوراً ، اوبخيال انتفاعكم عن الغنيّ وعدم تضرّركم منه وعدم مبالاتكم بالفقير [فَاللّهُ اَوْلٰى بِهِما] فامتثلوا امره ولاتبالوا بتضرّر الفقير وعدم تضرّر الغنيّ [فَلاتَتَّبِعُوا الْهَوٰى اَنْ تَعْدِلُوا] اى فى العدول عن الحقّ او بسبب العدول اولكراهة العدل فى الشّهادة [وَاِنْ تَلْوُوا] السنتكم بالشّهادة حين الاداء بان تغيّروها بالسنتكم وقرئ تلوا من ولى بمعنى توجّه [اَوْتُعْرِضُوا] بكتمانها يجازكم الله بحسبه [فَاِنَّ اللّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [يااَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ و البيعة على يد محمّد(ص) وقبول دعوته الظّاهرة [آمِنُوا] بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ، فانّ الاسلام وهوالبيعة العامّة النّبويّة واخذ الميثاق على اعطاء الاحكام القالبيّة والتّوبة على يد محمّد(ص) قد يسمّى ايماناً، لانّه طريق اليه وسبب لحصوله ، والايمان حقيقة هوالبيعة الولويّة والتّوبة على يد عليّ(ع) اوعلى يد محمّد(ص) من حيث ولوتيه واخذ الميثاق على اعطاء الاحكام القلبيّة وادخال الايمان فى القلب ، ولذلك قال فى انكارايمان المدّعين للايمان : ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم؛ فعلى هذا لاحاجة الى التّكلّفات البعيدة الّتى ارتكبها المفسّرون [بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ وَالْكِتابِ الَّذِى اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ] يعنى انّ الايمان بمحمّد(ص) بقبول دعوته الظّاهرة اسلام وانقياد له وتقليد محض لامعرفة فيه ولاتحقيق ، وانّما يحصل المعرفة من طريق القلب فآمنوا بعليّ(ع) بقبول دعوته الباطنة حتّى يدخل الايمان فى قلوبكم ويفتح ابواب قلوبكم الى الملكوت فتعرفوا الله و رسوله (ص) وكتابه الجامع الّذى هوالنّبوّة ، وكامله فى محمّد(ص) وصورته القرآن وناقصه كان فى الانبياء السّلف وصورته التّوراة والانجيل والصّحف والزّبوروغيرها، وللاشارة الى الفرق بين نبوّة محمّد(ص) ونبوّة غيره بالكمال والضّعف قال فى الاوّل نزّل بالتّفعيل الّذى فيه تعمّل وفى الثّانى انزل خالياً منه وقرئ فيهما بالبناء للمفعول [وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] ذكرهم بالتّرتيب من المبدء الى المنتهى، فانّ المراد بالملائكة العقول وبالكتب النّبوّات واحكامها فانّها نزولاً بعد الملائكة والرّسالة بعد النّبوّة ، والكفر بها مسبّب عن الكفر بالولاية وعدم قبول الدّعوة الباطنة ، فانّه ما لم يدخل الايمان بالبيعة على يد عليّ(ع) فى القلب لا ينفتح بابه ، وما لم ينفتح بابه الى الملكوت لم يعرف شيءٌ منها كما عرفت ولذلك اتى به بعد الامر بالايمان بعليّ (ع) [فَقَدْضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً] وصف بحال المتعلّق وتهديد بليغ للمنحرفين عن الولاية وعن قبول الايمان على يد عليّ(ع) [اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] مفهوم الآية عامّ وتنزيلها خاصٌّ ، فانّ المراد بها المنافقون الّذين آمنوا بمحمّد (ص) يعنى اسلموا [ثُمَّ كَفَرُوا] بتعاهدهم على خلافه فى مكّة [ثُمَّ آمَنُوا] حين قبلوا قوله فى الغدير وبايعوا مع عليّ(ع) بالخلافة

[ثُمَّ كَفَرُوا] بتخلّفهم عن جيش اسامة حال حيوته [ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً] بتشديدهم لآل محمّد (ص) [لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً] لانّهم ارتدّوا عن الفطرة بقطعهم الفطرة الانسانيّة فلا رجوع لهم بالتّوبة ولاسبيل لهم الى دار الرّاحة ، فانّ الفطرة الانسانيّة هى السّبيل الى دار الرّاحة فلا يتصوّر لهم مغفرة ولاهداية ، لانّ المرتدّ الفطرىّ لاتوبة له كما قالوا بالفارسىّ « مردود شيخى را اگر تمام مشايخ عالم جمع شوند نتوانند اصلاح نمايند » لانّه مرتدّ فطرىّ قاطع لفطرته [بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ] الآية الاولى بيان حال المتبوعين وهذه بيان حال الاتباع مع امكان التّعميم [بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً] استعمال البشارة فى العذاب للتّهكّم [اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ] الّذين سبق ذكرهم من اعداء آل محمّد(ص) [أَوْلِياءَ] باتّباعهم وقبول دعوتهم والبيعة معهم [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ] علىّ (ع) واتباعه [أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ] استفهام انكارىّ للتّوبيخ يعنى لاينبغى ان يبتغوا عندهم العزّة [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً] مجتمعة عنده فما لهم يخالفون امره ولايتّبعون اولياءه و يبتغون من غيره العزّة [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ] حال من فاعل يتّخذون و جملة ايبتغون اعتراض اوعن فاعل يبتغون اوعن الله المجرور باللّام والمراد بالكتاب امّا احكام النّبوّة او القرآن او هما [أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ] ان تفسيريّة او مخفّفة [آياتِ اللهِ] واعظمها علىّ (ع) [يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ] فضلاً عن موالاتهم [حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ] غاية للنّهى عن العقود معهم اوغاية لترك تعظيمهم ولاستهزاء هم المستفادين من النّهى عن القعود اى لاتقعدوا معهم لينفعلوا ولايعودوا لمثله [إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ] بمحض القعود معهم فضلاً عن موالاتهم والمماثلة معهم امّا فى الكفر، ان ترضوا بقولهم، اوفى الاثم، ان لم ترضوا، [إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ] الّذين كانوا مع محمّد (ص) ظاهراً ثمّ اتّبعوا اعداءه [وَالْكافِرِينَ] المتبوعين [فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً اَلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ] اى ينتظرون بسببكم يعنى وقوع امر من خير اوشرّ لكم كأنّ وجودكم صار سبباً لانتظارهم [فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] يعنى انّهم كانوا طالبين للدّنيا اينما و جدوها تملّقوا لها لاتعلّق لهم بكفر ولا ايمان [وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ] سمّى الاوّل فتحاً والثّانى نصيباً اشارة الى انّ المؤمنين مقصودهم محض الفتح لاعزاز الدّين ، والكافرين لاقصد لهم الّا حظّهم ونصيبهم من الدّنيا [قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ] الم نستول [عَلَيْكُمْ] ونتمكّن منكم فتركنا القتال معكم فوافقونا ولاتعادونا، والاستحواذ من الكلمات الّتى جاءت على الاصل ولم يعلّ [وَنَمْنَعْكُمْ] الم نمنعكم [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يتراءى ان يقال ولم نمنع المؤمنين منكم و لكن يقال منعته من الاسد اذا حفظه من افتراسه كأنّ المانع يمنعه من التّعرّض للاسد [فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ] دعاء عليهم اواخبار ولايخلو عن تهديد والمقصود بينكم وبينهم بتقدير بينهم او بكون الخطاب للمؤمنين و الكافرين جميعاً [وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً] تسلّطاً دعاء اواخبار والمراد انّه لاسبيل لهم فى الآخرة اوبالحجّة او فى الدّنيا بالغلبة من حيث انّهم مؤمنون فانّ قتل الكافرين للمؤمنين واسرهم ونهب اموالهم انّما هى بالنّسبة الى ابدانهم الّتى هى بمنزلة السّجن لهم لابالنّسبة

الى لطيفة ايمانهم وهذا ردّ لتربّصهم نصيب الكافرين [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ] جواب لما يتراءى ان يسأل عنه من حال المنافقين مع الله وفي عبادة الله ولذلك لم يأت بالوصل، والمراد بمخادعتهم لله خدعته باعتبار مظاهره واتمّها محمّد(ص) وعليّ (ع) اويخادعون الله باعتبار ما يذكرون بالسنتهم انّ لنا مبدءً وامراً ونهياً منه والّا فلامعرفة لهم بالله حتّى يخادعوه، ونسبة الخدعة الى الله على سبيل المشاكلة، اولانّه باستدراجه لهم يفعل فعل المخادع ، واتيان الفعل من باب المفاعلة للاشارة الى انّهم كأنّهم يغالبون الله في المخادعة و هو يغلبهم فيها [وَ] طريق عبادتهم انّهم [إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوا كُسَالٰى يُرَاؤُنَ النَّاسَ] بيان لمخادعتهم الله يعني لبس في وجودهم داع وشوق للعبادة كأنّهم مكرهون وقيامهم الى الصّلوة ليس لعبادة الله بل لمحض الخدعة مع الله واراءة النّاس [وَ] لذلك [لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً] اى ذكراً قليلاً اوجمعاً قليلاً منهم، عن امير المؤمنين (ع) من ذكر الله في السّرّ فقد ذكر الله كثيراً انّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية فلا يذكرونه في السّرّ فقال الله عزّوجلّ: يراؤن النّاس ولايذكرون الله الّا قليلاً [مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ] الامر من الايمان والكفر، من الذّبذبة بمعنى جعل الشّيء مضطرباً واصله الذّبّ وقرئ على صيغة الفاعل بمعنى مذبذبين قلوبهم [لَا إِلٰى هٰؤُلَاءِ وَلَا إِلٰى هٰؤُلَاءِ] كالنّسوان والاطفال لايستقيم رأيهم على امر واحد لضعف عقلهم وتسلّط وهمهم فانّهم اضلّهم الله [وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً] حتّى يستقيم عليه ولمّا ذكر حال البالغين في الكفر والنّفاق من هذه الامّة وذكر حال النّازلين عنهم وهم المنافقون التّابعون للكافرين نادى المؤمنين على سبيل التّلطّف بهم ونهاهم عن طريق المنافقين وهدّدهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ] كالمنافقين [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً] فانّ اتّخاذ البالغين في الكفر والنّفاق وهم اعداء آل محمّد(ص) اولياء مع تصريح الله وتصريح نبيّه(ص) بمن هووليّكم وعداوة هؤلاء لمن صرّحا بولايته يوجب حجّة ظاهرة لله عليكم [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ] استيناف في موضع التّعليل للنّهي، وللعالم السّفليّ كالعالم العلويّ مراتب وكلّيّاتها سبع مراتب والاراضي السّبع اشارة اليها وتسمّى طبقات ودركات ، ولمّا كان كفر النّفاق اسوء اقسام الكفر واقبحها كان سبباً لانجرار صاحبه الى الدّرك الاسفل من النّار [وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً] لم يقل لن تجد لهم وليّاً ولا نصيراً للاشارة الى انّ المنافقين وقعوا في الدّرك الاسفل في الدّنيا، والوليّ لايكون الّا من ولاية محمّد(ص) الّتي تفتح باب رحمة الله على العباد ولا يتصوّر فتح باب الرّحمة لمن كان في الدّرك الاسفل حتّى يحتاج الى التّصريح بنفيه عنهم، بخلاف النّصير فانّه من رسالة محمّد (ص) والرّسالة لمّا كانت ظهور رحمة الله الرّحمانيّة يتصوّر تعلّقها بكلّ احد ومع ذلك لايكون له نصير، ومابقى بين الصّوفيّة من تعاضد نفسين حين التّوبة والتّلقين، انّما هو باعتبار مظهريّة الرّسالة والولاية وباعتبار النّصرة والولاية [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا] من نفاقهم [وَأَصْلَحُوا] ماافسدوا بنفاقهم بنصرة الرّسالة والرّسول اومظهره [وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ] اى بمظهره الّذى هو شيخ الارشاد وهو عليّ(ع) [وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ] الدّين هو الولاية، واخلاصها بان لاتكون باشراك ولاية من ليس لها باهل وبان لاتكون مشوبة بالاغراض الكاسدة [فَأُولٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] لانّهم بتوبتهم على يد عليّ(ع) واعتصامهم ببيعتهم الخاصّة الولويّة صاروا

مؤمنين بعد نفاقهم وطهروا عن دنسه بالتّوبة ولذلك قبلهم علىّ (ع) [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ اَجْراً عَظِيماً] فيساهمونهم [مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ] قد يفسّر الشّكر بتعظيم المنعم لاجل النّعمة وعلى هذا فالمراد ههنا تعظيم الله لاجل النّعمة الّتى هى علىّ (ع) فانّه اصل النّعم بل فرعها ايضاً، فلا نعمة غيره وقرينة التّخصيص تعقيبه بقوله تعالى [وَآمَنْتُمْ] فانّه قد علمت انّ الايمان لايحصل الّا بالبيعة الخاصّة الولويّة على يد علىّ (ع) على انّ الكلام فى آل محمّد (ص) واعدائهم، وقد يفسّر الشّكر بصرف النّعمة فيما خلقت لاجله، وعلى هذا فالمراد بالنّعمة المأخوذة فى الشّكر استعداد قبول الولاية والبيعة الولويّة و التهيّؤ للعروج الى الملكوت، ولانعمة اعظم منها فى العالم الصّغير، كما انّه لانعمة اعظم من علىّ (ع) فى العالم الكبير، وصرف تلك النّعمة فى وجهها بان يسلّمها الى علىّ (ع) حتّى يعطيه مايستحقّه والقرينة ايضاً قوله تعالى: و آمنتم وتقديم الشّكر لتقدّمة على حصول الايمان فانّ البيعة وقبول الولاية لاتكون الّا بعد التّعظيم والتّسليم، وتعميم الآية لكلّ شكر ونعمة غير مخفىّ على ذوى الدّراية [وَكَانَ اللهُ شَاكِراً] يجزى الشّكر زيادة فى النّعمة فكيف يعذّب الشّاكر [عَلِيماً] لايفوت عنه شكركم فيعذّبكم لعدم العلم بشكركم.

[الجزء السّادس]

[لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظُلِمَ] استثناء من المفعول بتقدير الّا جهر من ظلم اواستثناء مفرّغ بتقدير لايحبّ الله الجهر بالسّوء من احد الّا ممّن ظلم وعليهما يكون الجهر بالسّوء من المظلوم محبوباً لكن هو محبوبٌ من كلّ المظلومين اومن بعضهم، وفى كلّ اقسام الظّلم اوبعضها، وبكلّ سوء اوبسوء مخصوص مجملٌ محتاج الى البيان، اوالمستثنى منقطع والتّقدير لايحبّ الله الجهر بالسّوء لكن من ظلم يجهر بالسّوء اويباح له الجهر بالسّوء، و هذا اوفق بقراءة ظلم مبنيّاً للفاعل وبيان نظم الآية بحيث يظهر القيود فيها هكذا لايحبّ الله الشّيء المقول المجهور السّوء، يعنى لا الشّيء الصّادر من غير اللّسان من الاعضاء ولا الشّيء الصّادر من اللّسان غير المجهور كالمخفت ولا الشّيء الصّادر من اللّسان المجهور غير السّيّء، و لمّا لم يكن مفهوم المخالفة من الوصف والقيد معتبراً لايلزم ان يكون هذه محبوبة بل مسكوتاً عنها، وبيانها بالآيات الاُخر و اخبار الاحكام و هذه الآية فى بيان حكم القول الجهر السّوء من احكام القالب واحكام ظاهر الشّريعة، وامّا الخطرات والخيالات فانّها وان كانت اقوال النّفس وسيّئها سيّء وحسنها حسن لكن لامؤاخذة عليها فى الشّريعة ورفعت عن الامّة المرحومة وكانت عليها مؤاخذة فى الطّريقة كما اشاروا اليها بقولهم، فى جواب من سئل عن الخطرات، هل ريح المنتن وريح الطيّب سواء، يعنى لطيّبها مجازاة وعلى منتنها مؤاخذة، وسوء القول اعمّ من كونه كذباً وافتراء، اوصدقاً وغيبةً بمالايجوز، اوصدقاً وغيبة بمايجوز، اوصدقاً من غير اسماع لغير من ينسب السّوء اليه حتّى لايكون غيبة اومع اسماع الغير فى حضور من ينسب السّوء اليه والكلّ غير محبوب لله الّا قول الجهر السّوء ممّن ظلم، لكن هذا مجمل محتاج الى البيان لانّه لا يجوز بجميع شقوقه قطعاً فبيّنوا المجوّز منه لنا مثل موارد جواز الغيبة ومثل ذكر الضّيف مساوى مضيفه فى ضيافته اذا لم يحسن ضيافته، ومثل تكذيب من يمدحك بماليس فيك. وقد نسب الى علىّ (ع) انّه قال استاهم الحفر وقال لخالد: انّما يفعل ذلك من كان استه اضيق من استك، لكن بقى هل هو محبوب كما هو ظاهر الاستثناء او ليس بمذموم فنقول: انّه ليس بمحبوب لله على

الاطلاق فانّه علّق محبّته على الاحسان فى مقابل الاساءة فى قوله: والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين ويدلّ عليه الآيات الأخر الامرة بالصّبر عند الاساءة بل يكون محبوباً اوغير مبغوض على بعض الوجوه . فانّ للانسان من اوّل اسلامه الى كمال ايمانه مراتب ودرجات ولكلّ مرتبة حكم ليس لمافوقها ولا لمادونها فلايجرى حكم مرتبة فى مرتبة اخرى، وهذا احد معنيى النّسخ فى الآيات والاخبار، فصاحب المرتبة الاولى من الاسلام الّذى لايقنع نفسه من الاساءة الواحدة بالعشرة ولايكسر سورة غضبه الّا بالمائة فاذا ائتمر بأمر الله واكتفى من الواحدة بالواحدة كان ذلك منه محبوباً و لصاحب هذه المرتبة قال الله تعالى ، فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، ولكن هذا من صاحب الدّرجة الثّانية مذموم وهكذا ، ولذلك ورد: حسنات الابرار سيّئات المقرّبين، والصّبر وكظم الغيظ لصاحب الدّرجة الثّانية، والعفو وتطهير القلب لصاحب الدّرجة الثّالثة، والاحسان الى المسيء للمنتهى فى الايمان، ويمكن جعل الاستثناء من لازم الآية وهو ما يستفاد من نفى المحبوبيّة من القول الجهر السّوء كأنّه قيل: كلّ احد هذا منه مذموم الّا من ظلم [وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً] فكلوا امر من ظلمكم اليه ولاتجهروا بالقول السّوء اتّكالاً على الله وحياءً منه ، اوالمراد ردع المظلوم عن الزّيادة على قدر الظّلم يعنى فلاتتجاوزوا قدر الظّلم فتصيروا ظالمين فانّ الله سميع يسمع قول الظّالم وقول المظلوم عليمٌ بقدر كلّ [إِنْ تُبْدُوا خَيْراً] بالنّسبة الى من ظلمكم [أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ] ان لم يتيسّر لكم الاوّلان فانّه مقام لامقام فوقه، والمراد من العفو ههنا اعمّ من الصّفح الّذى هو تطهير القلب عن الحقد على المسيء ولذلك لم يذكره فان تفعلوا ذلك تخلّقوا بأخلاق الله وتتّصفوا بصفاته فتستحقّوا عفوه واحسانه [فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً] على الاحسان فاقيم السّبب مقام الجزاء و قدّم الاحسان ههنا و اخّره فى آية كظم الغيظ لانّه ابدأه ههنا بصورة الشّرط و الفرض فيناسبه التّرتيب من الاعلى الى الادنى بخلافه هناك فانّه ذكره هناك على سبيل تحقّق مراتب الرّجال كما انّ قوله عفوّاً قديراً، كان على سبيل ترتيب الصّفات ، فانّ المراد من القدرة القدرة على الاحسان الى المسيء ، والاحسان الى المسيء بعد العفو عن اساءته ويجوز ان يراد بها القدرة على الانتقام وحينئذٍ يكون المعنى انّه عفوّ مع كونه قديراً على الانتقام ليكون ترغيباً فى العفو [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ] بعد ما ذكر ادباً من الآداب جدّد ذكر محبوبه واعداء محبوبه :

از هرچه ميرود سخن دوست خوشتر است

وورّاه بادائه بطريق العموم كما هو ديدنه تعالى، كما قيل :

خوشتر آن باشد كه سرّ دلبران گفته آيد در حديث ديگران

فقال تعالى : انّ الّذين يكفرون [بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ] بان آمنوا بالله وكفروا بالرّسول [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ] كالله [وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ] كالرّسل(ع)، اونؤمن ببعض الرّسل كمحمّد(ص) و نكفر ببعض كاوصيائه (ع) [وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ] اى الايمان بمحمّد (ص) والكفر باوصياءه(ع) [سَبِيلاً] ويجوز ان يكون المراد مظاهره كعلىّ(ع) لانّ عليّاً(ع) بعلويّته مرتبته مرتبة المشيّة وهى ظهور الله على العباد ومقام معروفيّته وتجلّيه باسمه العلىّ ، غاية الامر انّ عليّاً اسم لتلك المرتبة باعتبار اضافتها الى الخلق ، و فى تفسير القمى : هم الّذين اقرّوا برسول الله(ص) وانكروا اميرالمؤمنين (ع) [أُولٰئِكَ

هُمُ الْكافِرُونَ حَقّاً] لانّهم الكاملون فى الكفر حيث ضمّوا النّفاق الى كفرهم و باظهارهم الاسلام صدّوا كثيراً عن الايمان [وَاعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ] كسلمان واقرانه [أُولٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ] قرئ بالتكلّم وبالغيبة يعنى انّا نعطيهم اجورهم بحسب عملهم ونغفر لانهم ونتفضّل عليهم بالرّحمة الخاصّة بحسب شأننا من المغفرة والرّحمة، ولذا قال تعالى بعد ذكر اعطاء اجورهم [وَكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً يَسْئَلُكَ اَهْلُ الْكِتابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ] استيناف منقطع لفظاً و معنىً عن سابقه و لذا لم يأت بالوصل ، روى انّ كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا : يامحمّد(ص) ان كنت نبيّاً فأتنا بكتابٍ من السّماء جملة كما اتى موسى بالتّوراة جملة، فنزلت، وقال تعالى تسليةً لرسوله: لاتعجب من سؤالهم ولاتعظمنّه فانّ هذا ديدنهم [فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ اَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ] يعنى سأل آباؤهم الّذين هم من اسناخهم [فَقالُوا اَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً] عياناً [فَاَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ] وهو سؤالهم ما ليس لهم بحقٍّ وتجاوزهم عن حدّهم [ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ] معبوداً [مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ] اى المعجزات من موسى(ع) [فَعَفَوْنا عَنْ ذٰلِكَ] بمحض رحمتنا [وَآتَيْنا مُوسىٰ سُلْطاناً مُبِيناً] حجّة واضحة اوموضحة لصدقه ، اوتسلّطاً فى الظّاهر بحيث ماكان يمكن لهم التّخلّف عنه ويكون قوله تعالى [وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ] بياناً للسلطان باىّ معنىً كان [بِمِيثاقِهِمْ] بسبب تحصيل ميثاقهم [وَقُلْنا لَهُمْ] على لسان مظهرنا و خليفتنا موسى (ع) [ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً] يعنى باب حطّة [وَقُلْنا لَهُمْ لاتَعْدُوا فِى السَّبْتِ] يعنى جعلنا السّبت محترماً لهم ومنعناهم فيه عن بعض ما ابحناه لهم فى غيره كالصّيد [وَاَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً] على ذلك ، ولمّا كان مقصوده تعالى من كلّ قصّة وحكاية ذكر علىّ(ع) والتّرغيب فى الولاية عرّض بذكره بعد هذه الحكاية فكأنّه قال: ياامّة محمّد(ص) قد أخذنا عليكم الميثاق بالولاية فتذكّروا امّة موسى (ع) حتّى لاتصيروا بسبب نقض هذا الميثاق معاقباً مثلهم [فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ] فعلنا بهم ماهو مثل على السنتكم ومشهور بينكم بحيث لاحاجة الى ذكره من مسخهم وعقوباتهم الاُخر [وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللّهِ] فتنبّهوا حتّى لاتكفروا بعلىّ(ع) [وَقَتْلِهِمُ الْاَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] فاحذروا ان تقتلوا عليّاً (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) فانّ شأنهم شأن الانبياء بل أرفع كما حدّثكم به نبيّكم [وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ] اوعية للعلوم استكباراً وارتضاءً بانفسهم، اوفى اكنّةٍ استهزاءً بالانبياء فاحذروا ان تستبدّوا بآرائكم فى مقابلهم [بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ] اضراب وابطال لما قالوا واثبات لضدّه ، يعنى ليس فى قلوبهم علم اوليس قلوبهم فى اكنّة بل طبع الله عليها بكفرهم [فَلا يُؤْمِنُونَ اِلّا] ايماناً [قَلِيلاً] وهو الايمان العامّ النّبوىّ (ص) اوالّا قليلاً منهم [وَبِكُفْرِهِمْ] بعيسى (ع) [وَقَوْلِهِمْ عَلىٰ مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً] فاحذروا ان لاتبهتوا على مريم هذه الامّة ولاتضعوا حديثاً ولاتأخذوا فدك منها [وَقَوْلِهِمْ اِنّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ] ذكروا رسول الله استهزاءً والافما كان لهم اعتقاد برسالته يعنى بتجرّيهم على انتحال قتله و قولهم هذا لعنّاهم وعاقبناهم

فاحذروا ان تقتلوا مسيح هذه الامّة وان تفعلوا ماقال امّة عيسى (ع) فى حقّه ولم يفعلوه من ادّعاء قتله [وَمَا قَتَلُوهُ] عطف باعتبار المعنى اوحال [وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ] قد مضى فى سورة آل عمران عند قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قصّة عيسى (ع) وقتله وصلبه [وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ] عطف على ماقتلوه او على شبّه لهم اوحال من الضّمير المجرور اومن فاعل ماقتلوه قيل بعدوقوع تلك الواقعة اختلف اليهود والنّصارى فقال بعضهم: كان عيسى (ع) كاذباً وقتلناه، وقال بعضهم: لوكان المقتول عيسى (ع) فاين صاحبنا ؟ـ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى (ع) والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: رفع الى السّماء لما اخبر عيسى (ع) برفعه الى السّماء، وقال بعضهم: رفع الملكوت وصلب النّاسوت، وقيل القى شبهه على جميع الحواريّين وكانوا سبعة عشر فى بيتٍ فلمّا أحاط اليهود بهم رأوا كلّهم على مثال عيسى (ع) وقالوا: سحرتمونا فليخرج الينا عيسى (ع) والّا نقتل كلّكم فأخذوا واحداً واحداً وقالوا: هذا عيسى (ع) واشتبه الحال عليهم فاختلفوا، وقيل: انّ رؤساء اليهود اخذوا انساناً وقتلوه وصلبوه فى موضعٍ عالٍ ولم يمكّنوا احداً منه حتّى تغيّر حليته فقالوا: قتلنا المسيح ليشتبه الامر على العوامّ لانّهم لمّا احاطوا بالبيت ورفع الله عيسى (ع) خافوا ان يؤمن به عامّتهم [مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ] استثناء منقطع [وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً] مفعول مطلق مؤكّد لغيره اى يُقِنَ عدم القتل يقيناً، وامّا جعله حالاً اومضافاً اليه لمفعول مطلق محذوف تقديره قتل يقين فبعيدٌ معنىً لافادته تقييد نفى القتل بحال اليقين واثباته مع الشّكّ وليس هذا مقصوداً [بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ] اختلاف اليهود والنّصارى فى مولد عيسى (ع) و فى قتله وصلبه ورفعه الى السّماء ونزوله منها علاوة على ما ذكرهها وعلى ماذكر فى سورة آل عمران معروف مسطور فى التّواريخ، ولاغرابة فى رفعه ببدنه العنصرىّ لغلبة الملكوت على الملك، وانكار الفلسفىّ والطّبيعىّ غير مسموعٍ فى مقابل المشهود، والتّأويل بأنّ المقتول والمصلوب هو بدنه الدّنيوىّ وهو بماهو ليس بعيسى (ع) بل متشبّه به، والمرفوع هو بدنه الملكوتىّ وروحه عنهم معروف، ولكن بعد امكان غلبة الملكوت على الملك بحيث يعطى الملك حكمه لاحاجة لنا الى هذا التّأويل بل نقف على ظاهر ماورد فى التّنزيل و الاخبار [وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً] لايغلب فيقتل نبيّه (ع) على خلاف ارادته، اولايغلب فى مظاهر خلفائه، ومايتراءى من القتل والاذى لهم انّما هو بالنّسبة الى بدنهم العنصرىّ وهو سجن لهم ولباسٌ لأنفسهم، وقوله تعالى [حَكِيماً] اشارة اليه يعنى ان وقع على سجنهم ولباسهم تصرّف من الاعداء فهو ايضاً بحكمه [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ] يعنى ما احد من اهل الكتاب الّا ليؤمننّ بعيسى (ع) قبل موته حين احتضاره او قبل موت عيسى (ع) اوقبل موته حين نزول عيسى (ع) من السّماء مع مهدىّ هذه الامّة، لكن نقول فى بيان ماهو المقصود انّه صرف الكلام عن حكاية حال اهل الكتاب متوجّهاً الى المقصود مخاطباً لحبيبه محمّد (ص) فى حبيبه علىّ (ع) تسليةً له (ص) فقال: ان فعلوا كلّ ما فعلوا فلاتحزن فانّهم وجميع اهل الارض يؤمنون به قبل موتهم فانّه مامن احدٍ يموت الّا ويرى عليّاً (ع) حين موته ويكون رؤيته راحةً لهم اونقمةً لهم، ونسب اليه عليه السّلام:

يا حار همدان من يمت يرنى — من مؤمنٍ او منافقٍ قبلا
يعرفنى طرفه و أعرفه — بعينه و اسمه و ما فعلا

والسّرّ فيه انّ حال الاحتضار يرتفع الحجاب ويشاهد المحتضر الملكوت، واوّل مايظهر من الملكوت

هو الولاية السّارية المقوّمة لكلّ الاشياء و الاصل فيها علىّ (ع) وكلّ الانبياء و الاولياء من السّلف و الخلف أظلاله فاوّل مايظهر هو الولاية المطلقة فيؤمن الكلّ بها ، والاخبار فى انّ المعنى مامن كتابىّ الّا ليؤمننّ قبل موته بمحمّد (ص) وعلىّ (ع) كثيرة ، وفى خبرٍ : هذه نزلت فينا خاصّة ، وحاصل ذلك الخبر انّه ما من ولد فاطمة احد يموت حتّى يقرّ للامام بامامته ، وماورد فى تفسيره من الايمان بمحمّد (ص) اوبعيسى (ع) اوبالمهدىّ (ع) كلّها راجع الى الايمان بعلىّ (ع) فانّ الكلّ ظهور الولاية الكلّيّة و هو المتحقّق بها [وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً] يعنى عيسى (ع) اوالمنظور منه تسلية اخرى لمحمّدٍ (ص) بأنّ علياً (ع) يكون يوم القيامة شاهداً على اهل الكتاب وعلى منافقى امّته فيشهد عليهم بمافعلوا [فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ] اى طيّبات الرّزق الصّورىّ او طيّبات عظيمة هى رزق الرّوح الانسانىّ من العلوم الكسبيّة او اللدنيّة والمشاهدات والمعاينات ، والآية بتمام اجزائها تعريض بمنافقى الامّة المعرضين الصّادّين عن الولاية وآكلى الرّبا وآكلى الرّشى وغيرهم يعنى اذا علمت انّ كلّما اصاب الّذين هادوا كان بشنائع اعمالهم علمت انّ تحريم الطّيّبات المحلّلة عليهم ايضاً كان بواحدٍ منها ، يعنى فاحذروا عن مثل افعالهم اوعلمت انّه كان بظلمٍ عظيمٍ من انواع ظلمهم وهواعراضهم عن الولاية بقرينة قوله تعالى [وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] وسبيل الله هو الامام الّذى يفتح باب القلب فيسير السّالك بالتّوسّل به الى الله وكلّ عمل يدلّك على هذا الامام ايضاً سبيل الله لانّ سبيل السّبيل سبيل [كَثِيراً] صدّاً كثيراً او جمعاً كثيراً [وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوٰالَ النّٰاسِ بِالْبٰاطِلِ] قد سبق معنى الباطل والحقّ الّذى فى مقابله [وَأَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ مِنْهُمْ] لا التّائبين ولا المذنبين المعترفين [عَذٰاباً أَلِيماً] لمّا توهّم من نسبة سؤال الكتاب والنّقض والصّدّ وغير ذلك اليهم عموماً انّ الكلّ كانوا مخالفين له (ص) غير مؤمنين به استدركه بقوله تعالى [لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ] اى منهم فالمعنى و المنقادون المسلمون بأنبيائهم و خلفاء انبيائهم او المؤمنون من امّتك فالمعنى والمنقادون المسلمون بك من امّتك اومنهم ومن امّتك [يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] عموماً ومنه الولاية اوبما انزل اليك من ولاية علىّ (ع) خصوصاً فانّها منظورة من كلّما ذكر [وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ] فى علىٍّ (ع) اوعموماً [وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ] ويؤمنون بالمقيمين الصّلوة ولمّا وسم علياً (ع) باسم مقيم الصّلوة ومؤتى الزّكوة بقوله: الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة وهم راكعون ورّى عنه بالمقيمين الصّلوة وأتى بالمؤتون الزّكوة بالرّفع ليكون تورية اخرى حتّى لايسقطوه كسائر موارد التّصريح به وعلى هذا فقوله تعالى [وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ كأنّه قال : و هم المعهودون بايتاء الزّكوة فى الرّكوع وقد بيّن العامّة وجوهاً لاعراب الآية لافائدة فى ايرادها وان كانت محتملة بحسب اللّفظ [وَ] هم [الْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ] الرّاسخون المؤمنون [سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً] لايمانهم بما انزل اليك فى علىّ (ع) [إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ] استيناف لتشييد رسالته حتّى يستفاد منه صدقه فى الولاية او لتشييد الوحى اليه فى الولاية ولذا لم يأت بأداة الوصل ، وتقديم المسند اليه مضمراً مصدّراً بانّ لتقوية الحكم مع اشارةٍ ما الى الحصر، فان كان المقصود نفس تقرير الوحى اليه من غير نظرٍ الى الوحى به فالمعنى لابدع فى الوحى اليك حتّى

تستوحش من عدم قبولهم ويستوحشوا من ادّعائك فلاتبال بردّهم وقبولهم ، وان كان المقصود تقرير الوحى بالخلافة فالمعنى انّا اوحينا اليك بالخلافة، ويؤيّده انّه لو كان المراد تقرير الرّسالة لكان ارسلنا مقام اوحينا اوقع، وايضاً لو كان المراد ذلك لما ذكر بعد الرّسل فى قوله لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل لانّ معناه حينئذٍ بعد ارسال الرّسل، وهذا المعنى يستفاد من كون اللّام غايةً لارسال الرّسل بخلاف ما اذا كان غايةً للوحى بالخلافة ، فانّ معناه حينئذ لئلّا يكون الارض بعد مضىّ الرّسل خاليةً عن الحجّة [كَمٰا اَوْحَيْنٰا اِلٰى نُوحٍ وَالنَّبِيّينَ مِنْ بَعْدِهِ] بالخلافة فلم يكن الوحى بالخلافة بدعاً حتّى يستوحشوا منه فلاتبال بهم [وَاَوْحَيْنٰا اِلٰى اِبْرٰهيمَ] عطف على المشبّه اوالمشبّه به و ذكر هؤلاء مخصوصاً بعد ذكرهم عموماً فى النّبيّين لشرافتهم والاهتمام بهم [وَاِسْمٰعيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْبٰاطِ وَعيسٰى وَاَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمٰانَ وَآتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً وَرُسُلاً] امّا من باب الاشتغال اوبتقدير ارسلنا [قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ] اليوم اومن قبل هذه السّورة [وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسٰى تَكْليماً] فكيف بالوحى [رُسُلاً] حال موطّئة [مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ لِئَلّٰا يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] بعد ارسال الرّسل وقد مضى انّ هذا المعنى يستفاد من اللّام ، او اوحينا بالخلافة لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد مضىّ الرّسل بان قالوا: كنّا فى زمانٍ لم يكن فيه رسولٌ ولا من يعلّمنا معالم ديننا [وَكٰانَ اللّٰهُ عَزيزاً] لا مانع له من ارسال الرّسل ولا من نصب الخليفة لهم [حَكيماً] يكون ارسال الرّسل منه ونصب الخليفة لمصالح كلّيّة وغايات متقنة [لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ] استدراك عن جواب سؤالٍ يناسب المقام كأنّ سائلاً يسأل: هل يشهد الامّة بذلك؟- فأجيب لايشهدون لكن الله يشهد [بِمٰا اَنْزَلَ اِلَيْكَ اَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهيداً] فلا حاجة الى غيره ، وورد عنهم (ع) انّه أنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك فى علىّ(ع) [اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] استيناف كأنّ السّامع سئل و طلب بيان حال الكافر بما أنزل اليه مع انّ الله يشهد به و لذا اكّده و المراد بهذا الكفر، الكفر بما انزل اليه فى علىّ(ع) اوالكفر بسبيل الله على سبيل التّنازع [وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللّٰهِ] عن ولاية علىٍّ عليه السّلام [قَدْ ضَلُّوا] عن الطّريق [ضَلاٰلاً بَعيداً] لانّك قد علمت انّ الطّريق هو علىّ (ع) ولايحصل الّا بدلالة علىّ(ع) وانّهم كفروا به وصدّوا الغير عنه ، ولمّا ذكر حالهم فى انفسهم كأنّ السّامع طلب حالهم مع الله ونسبة مغفرته وهدايته لهم فقال جواباً لهم: [اِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا] بوضع المظهر موضع المضمر اظهاراً لشناعة حالهم وذكراً للذمّ آخر لهم بذكر ظلمهم وابرازاً للسّبب فى عدم المغفرة [وَظَلَمُوا] آل محمّد (ص) هكذا ورد عنهم (ع) [لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاٰ لِيَهْدِيَهُمْ طَريقاً] لانّ ما به المغفرة هو الولاية و لانّ الهداية الى طريق الجنّة قد عرفت انّها مخصوصة بالولاية لانّ شأن النّبوّة الانذار [اِلّٰا طَريقَ جَهَنَّمَ خٰالِدينَ فيهٰا اَبَداً وَكٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسيراً] ثمّ نادى النّاس تلطّفاً بهم وتنبيهاً لهم بعد ما اكّد امر الولاية و هدّد الكافرين بها ابلغ تهديدٍ فقال تعالى : [يٰا اَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ] اى بولاية علىٍّ (ع) فانّها الحقّ وكلّ ماسواها حقّ بها كمامضى [مِنْ رَبِّكُمْ] فلا تبالوا بمن كفر به ولاتتّبعوه [فَآمِنُوا] بهذا الحقّ

اوبالرّسول فيما قال فى حقّ هذاالحقّ واتّبعوا [خَيْراً لَكُمْ] اوايماناً خيراً لكم او حالكونه خيراً لكم او يكن خيراً لكم [وَإِنْ تَكْفُرُوا] بهذا الحقّ لاتخرجوا من حيطة قدرته و تصرّفه ولا يهملكم من غير عقوبة وجزاء [فَإِنَّ لِلَّهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً] لايهملكم بل يجزيكم بما يقتضى حكمته [يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لاٰ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ] بحطّ عيسى(ع) عن مرتبته و جعله لغير رشده ورفعه عن مرتبته بجعله آلهاً اوابناً والغلوّ وان كان فى الافراط اظهر لكن صاحب التّفريط فى حقّ عيسى(ع) من اليهود باعتبار انّه مجاوز للحدّ فى حطّه(ع) عن مرتبة ولد الرّشدة الى اللّغية وباعتبار انه مجاوز فى حقّ دينه بعد النّسخ الى ابقائه غالٍ وهو تعريض بالمفرط والمفرّط فى علىّ(ع) من هذه الامّة [وَلاٰ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ] لاتقولوا والداً اوثالث ثلاثة [إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقٰاهٰا إِلىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ] وليس لغيّة كما زعمته اليهود ولاابناً اوآلهاً كما زعمته النّصارى [فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلاٰ تَقُولُوا] الاقانيم[1] [ثَلاٰثَةٌ] الله والمسيح(ع) ومريم(ع) وهذا قول بعضهم كما اشار اليه تعالى بقوله: ءانت قلت للنّاس اتّخذونى وامّى الٰهين اثنين، والّا فاكثرهم لا يقولون ذلك وسيجيء تحقيقه فى سورة المائدة [انْتَهُوا] عن التّثليث [خَيْراً لَكُمْ] مضى نظيره [إِنَّمَا اللّٰهُ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ] لا شريك له فى الآلهة كما توهّمتم يظنّ انّ المناسب لنفى القول بانّ الآلهة ثلاثة ان يقال انّما الآله واحد لكنّه تعالى عدل الى هذا لافادة هذا المعنى منه مع شيءٍ زائد هو تعيين ذلك الواحد لانّه قد يقال : هذا واحد مقابل الاثنين و بهذا المعنى كلّ ذات واحدة و قد يقال : هذا واحد ويراد نفى الشّريك والنّظير والقرين عنه و هذا هو المراد فانّ المقصود انّ الله آله واحد لا شريك له فى الآلهة ولا نظير ولا قرين ، و هذا يفيد انّ جنس الآله واحد و ذلك الواحد هوالله [سُبْحٰانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] كلٌّ له مملوك لايماثله شيءٌ ولايساويه حتّى يكون له ولد [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً] يعنى انّه غنىّ عن اخذ الوكيل فلايحتاج الى ولدٍ يكون وكيلاً له [لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ] جواب آخر للنّصارى فى افراطهم و توطئةٌ للتّعريض بالمستنكفين من امّة محمّد (ص) عن عبادة الله فى امره بولاية علىّ(ع) [وَلاَ الْمَلاٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ] الاستنكاف التّرفّع على الشّيء بتصوّر نقصانٍ فيه و الاستكبار التّرفّع عليه بتصوّر المستكبر رفعةً فى نفسه [فَسَيَحْشُرُهُمْ] اى العابدين والمستنكفين [إِلَيْهِ جَمِيعاً] و فيه تعريض بالمستنكفين عن قول الله فى ولاية علىّ(ع) [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالبيعة الخاصّة والاعمال المتعلّقة بها، اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الاعمال المتعلّقة بها، وقدعرفت انّ الصّالح اصلاً هو الولاية وكلّ ماتعلّق بها فهوصالح من باب الفرعيّة وكلّ ما لم يتعلّق بها فليس بصالح وان كان بصورة الصّالح [فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ] التّوفية الاعطاء بالتّمام [وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً

---

١ ـ الاقنوم بالضم الاصل، لغة روميه.

وَلاٰ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيّاً وَلاٰ نَصِيراً] قد مضى انّ النصير هو النّبوّة والنّبىّ و انّ الولىّ هوالولاية والولىّ ويقوم مقامهما خلفاؤهما [يٰا اَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمْ بُرْهٰانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْزَلْنٰا اِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً] برهان الشّيء ما يدلّ عليه ، و النّور ما به يرى الاشياء ، وقد سبق انّ الرّسالة تنبّه عن الغفلة و الجهالة و تدلّ على من يهدى الى الطّريق ، والولاية بها يرى الطّريق فالبرهان محمّد(ص) من حيث الرّسالة والنّور علىّ(ع) من حيث الولاية اذا تحقّقت هذا فلا اعتناء بما قيل فى تفسير الآية خصوصاً بعد ما فسّره الائمّة الّذين هم اهل الكتاب بما ذكرنا، والمبين بمعنى الظّاهر او المظهر وفى ذكر جاء ومن ربّكم فى جانب البرهان و الانزال مع ضمير المتكلّم فى جانب النّور اشارة الى شرافة الولاية بالنّسبة الى الرّسالة ، لا اقول ولاية علىّ(ع) اشرف من ولاية محمّد(ص) ورسالته حتّى يتوهّم متوهّم بل اقول : ولاية محمّد(ص) اشرف من رسالته [فَاَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ] لمّا كان ذكر الايمان ههنا بعد البرهان والنّور فالاولى ان يكون اشارة الى البيعتين فقوله آمنوا بالله اشارة الى البيعة العامّة على يد محمّد (ص) [وَاعْتَصِمُوا بِهِ] اشارة الى البيعة الخاصّة على يد علىّ(ع) [فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِنْهُ] هى موائد الولاية [وَفَضْلٍ] موائد الرّسالة لما مضى انّ الرّحمة هى الولاية والفضل هو الرّسالة [وَيَهْدِيهِمْ] يذهبهم [اِلَيْهِ صِرٰاطاً مُسْتَقِيماً] اى درجات الولاية و لمّا كانت البيعة العامّة متقدّمة على البيعة الخاصّة قدّم الايمان بالله على الاعتصام بعلىّ (ع) و لمّا كان ثمرة الولاية وهى الفناء متقدّمة على حاصل الرّسالة و هو البقاء بعد الفناء عكس فى الجزاء و قدّم الادخال فى الرّحمة على الادخال فى الفضل واخّر الهداية الى الصّراط المستقيم لانّها تكون بمجموع الفناء والبقاء و [يَسْتَفْتُونَكَ] اى فى الكلالة والاخوّة وميراثها فانّ المراد بالكلالة هنا الاخوّة [قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلاٰلَةِ اِنِ امْرُءٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ اُخْتٌ فَلَهٰا نِصْفُ مٰا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهٰا] تمام مالها [اِنْ لَمْ يَكُنْ لَهٰا وَلَدٌ فَاِنْ كٰانَتَا اثْنَتَيْنِ] اى الوارث بالاخوّة [فَلَهُمَا الثُّلُثٰانِ مِمّٰا تَرَكَ وَ اِنْ كٰانُوا اِخْوَةً رِجٰالاً وَ نِسٰاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ] عن الباقر(ع) : اذا مات الرّجل وله اخت تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذ البنت لو كانت والنّصف الباقى يردّ عليها بالرّحم اذا لم يكن للميّت وارث اقرب منها، فان كان موضع الاخت اخ اخذ الميراث كلّه بالآية لقول الله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ، فان كانتا اختين اخذتا الثّلثين بالآية والثّلث الباقى بالرّحم ، وان كانوا اخوةً رجالاً ونساءً فللذّكر مثل حظّ الانثيين وذلك كلّه اذا لم يكن للميّت ولد وابوان او زوجة [يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ] كراهة [اَنْ تَضِلُّوا] اويبيّن الله ضلالكم، اويبيّن الله لئلّا تضلّوا ، اويبيّن الله لضلالكم الحاصل فانّه الدّاعى الى البيان حتّى يرتفع [وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ] فيشرع لكم بحسب مصالحكم .

سورة المائدة

وهی مدنيّة كلّها وقيل سوی قوله : اليوم اكملت لكم دينكم
لانّها نزلت فی حجّة الوداع

بسم الله الرحمن الرحيم

[يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] ايماناً عامّاً اوخاصّاً اوبمعنی اعمّ منهما لانّ الخطاب لعامّة الامّة للتّحريص علی امر الولاية [اَوْفُوا بِالْعُقُودِ] اعلم انّ سورة النّساء وهذه السّورة نزلتا فی خلافة علیّ (ع) والتّرغيب فيها والتّهديد علی خلافها، فكلّما ذكر فيهما من امرونهی وحلال وحرام واجروعقاب وقصّة وحكاية عموماً وخصوصاً مطلقاً و مقيّداً فالمقصود منه الاشارة الی الولاية سواء قلنا ان ذكر علیّ (ع) كان مصرّحاً فاسقطوه او ورّیَ فلم يفهموه، وفی اخبارنا تصريحات بانّ ذكره (ع) كان مصرّحاً فی كثير من المواضع فاسقطوه، والايمان عامّاً كان اوخاصّاً قد علمت سابقاً انّه ماكان يحصل الّا بالبيعة علی يد النّبیّ (ص) اوالامام (ع) اوخلفائهما (ع) وكانت فی تلك البيعة معاهدات ومواثقات وشروط تؤاخذ علی البائع، لكن فی كلّ من البيعة العامّة والخاصّة بكيفيّة مخصوصة بهاغير كيفيّة الاخری، وقد اشير الی بعض الشّروط فی آية مبايعة النّساء وكان من جملة شروط البيعة العامّة عدم مخالفة المشتری وطاعته فی امره ونهيه وكانت البيعة لاتحصل الّا بعقد يمين البايع علی يمين المشتری كماهو المعهود اليوم بينهم فی المعاملات، ولذا يسمّی مطلق المبايعة وسائر المعاملات الّتی فيها ايجاب وقبول عقوداً للاهتمام بعقد اليد فيها . والوفاء بالعقد عبارة عن الاتيان بمقتضی اصل العقد والاتيان بشرائطه و معاهداته تماماً فالمعنی ياايّها الّذين بايعوا مع محمّد (ص) اومع علیّ (ع) اوفوا بجملة العقود من المعاملات بينكم والمبايعة مع الله ولا تدعوا شيئاً من شرائطها وعهودها ، وسوق هذا الكلام من ذكر عقد خاصّ فی ضمن آمنوا وتعقيبه بذكر جملة العقود عموماً والامر بالوفاء بها يقتضی ان يكون المقصود الوفاء بهذا العقد الخاصّ، كأنّه قال : يا ايّها الّذين عقّدتم البيعة مع محمّد (ص) اوفوا بجملة العقود خصوصاً بهذا العقد او اوفوا بهذا العقد لكنّه جمع العقود باعتبار تعدّد العاقدين او باعتبار تعدّد وقوع هذا العقد فی عشرة مواطن اوفی ثلاثة مواطن، فالمقصود لا تخلعوا بيعتكم عن رقابكم بالارتداد عن الاسلام اوالايمان ولاتتركوا شرائطها بمخالفة قول النّبیّ (ص) فی الامر بالولاية وروی عن الجواد (ع) انّ رسول الله (ص) عقد عليهم لعلیّ (ع) بالخلافة فی عشرة مواطن، ثمّ انزل الله ياايّها الّذين آمنوا اوفوا بالعقود الّتی عقدت عليكم لامير المؤمنين (ع) وعلی هذا كان المراد بالآية، الامر بالوفاء بعقود الولاية

بحسب المنطوق وعلى ما ذكر سابقاً فى وجهها الاوّل كان المراد بها الامربالوفاء بعقد الولاية التزاماً [أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْاَنْعامِ] لمّاكان من جملة شرائط البيعة الاسلاميّة و الايمانيّة ترك اذى الحيوان صار المقام مظنّة ان يسأل عن ذبح البهائم الّذى كان شائعاً فيهم مسلمين وجاهلين خصوصاً مع ملاحظة ماكان مشهوراً من اتباع العجم من حرمة ذبح الحيوان واكله فأجاب تعالى بانّ ذبح البهائم واكلها احلّ لكم، فى القاموس: البهيمة كلّ ذات اربع قوائم ولوفى الماء، اوكلّ حيّ لايميّز، والبهيمة اولاد الضّأن والمعزوالبقر، وعلى هذا فالاضافة من قبيل اضافة العامّ الى الخاصّ و الانعام الازواج الثّمانية و فى الاخبار فسّر بهيمة الانعام بالاجنّة من الانعام ولاينافى التّعميم، لانّ المراد بذلك التّفسير بيان الفرد الخفيّ والمصداق الّذى لايكاد يطلق اسم البهيمة عليه، اوالمقصود من هذا التّفسير انّه احد وجوه الآية بتصوير انّ بهيمة الحيوان مالانطق له ولا تميز و بهيمة الانعام ما يكون عدم نطقه وعدم تميزه بالنّسبة الى الانعام ومالاتميز له بالنّسبة الى الانعام هوجنينها ، واعلم انّ ماذكر من جعل قوله تعالى احلّت لكم بهيمة الانعام مستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر انّما هو بحسب احتمال ظاهر اللّفظ و بحسب ظاهر الشّريعة المطهّرة ، والّا فالمقصود تعليق احلال البهيمة على الوفاء بعقد الولاية كما صرّح بهذا التّعليق فى قوله تعالى اليوم احلّ لكم الطّيّبات كماسيجيء وكمايستفادمن اشارات الآيات وتصريحات الاخبار، انّ احلال كلّ حلال معلّق على قبول الولاية ، وانّ من لم يقبل الولاية ولم يعرض عنها لايحكم عليه بحلّية شيء ولابحرمته ومن اعرض عنها يحكم عليه بحرمة كلّ شيء عليه ، ومن قبل الولاية و وفى بعقدها حكم عليه بحلّية المحلّلات؛ وليّ عليّ(ع) لايأكل الّا الحلال وعدوّ عليّ(ع) لايأكل الّا الحرام .

گر بگيرد خون جهانرا مال مال   كى خورد مرد خدا الّا حلال

فعلى هذاكان احلّت فى هذه الآية جواباً للامر و فى محلّ الجزم وادّاه بالماضى لئلّا يكون تصريحاً بتعليق احلال البهائم على الوفاء بعقد الولاية حتّى لايسقطوه مثل سائر ماصرّح به من مناقب عليّ(ع) [إِلَّا مٰا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ] ممّايأتى فى الآية الآتية [غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ] حال عن المجرور فى لكم والمعنى احلّت لكم بهيمة الانعام حالكونكم غير معتقدين حلّية الصّيد [وَأَنْتُمْ حُرُمٌ] حال عن المستتر فى محلّى الصّيد يعنى ان اعتقدتم حلّيّة الصّيد وقت الاحرام كانت المحلّلات حراماً عليكم لانّكم ماوفّيتم بشروط عقدكم، والحرم جمع الحرام بمعنى المحرم للحجّ اوالعمرة سواء كان وصفاً اومصدراً فى الاصل كالحلال بمعنى الخارج من الاحرام [إِنَّ اللّٰهَ يَحْكُمُ مٰا يُرِيدُ] فلاتتعجّبوا من تعليق احلال المحلّلات على الوفاء بعقد الولاية ولاتتحرّجوا من ذبح البهائم و اكلها بشبهة سبقت الى اوهامكم من الاعاجم [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] كرّره تلطّفاً بهم و تذكيراً لعلّة النّهى تهييجاً على الامتثال والمراد بالايمان كالسّابق امّا الايمان العامّ اوالخاصّ اواعمّ منهما [لاٰ تُحِلُّوا شَعٰائِرَ اللّٰهِ] يستعمل الاحلال المتعلّق بالامور ذوى الخطر فى ترك حرمتها و فى اعتقاد حلّيّة ترك حرمتها و المعاملة معها بخلاف شأنها فالمعنى لا تتركوا حرمة شعائر الله ولا تعتقدوا حلّيّة ترك حرمتها فتتهاونوا بها ، و الشّعائر جمع الشّعيرة اوالشّعارة اوالشّعار بمعنى العلامة ، ولمّاكان كلّ من العبادات علامة لدين الاسلام وللعبوديّة وقبول آلهة الله سميّت شعائر الدّين وشعائر الاسلام وشعائر الله ، ولمّا كان اعظم شعائر الاسلام هى الولاية لانّها اعظم اركانها الخمسة واسناها وكان المقصود من الوفاء بالعقود الوفاء بعقد الولاية كماعلمت كان المقصود ههنا ايضاً

النّهى عن احلال حرمة الولاية ، ولمّا كانت الولاية من شؤن الولىّ وكان علىّ (ع) هو الاصل فى ذلك كان المقصود لاتتهاونوا بعلىّ (ع) [وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ] من قبيل ذكر الخاص بعد العامّ لانّ الشّهر الحرام من حيث حرمته من شعائرالله ، وعن علىّ (ع) اناالاعوام والدّهور واناالايّام والشّهور، ونزول الآية كما فى الخبر فى رجل من بنى ربيعة قدم حاجّاً و ارادالمسلمون قتله فى الاشهر الحرم لكفره و لانّه كان قد استاق سرح المدينة [وَلَا الْهَدْيَ] ماهدى به الى البيت [وَلَا الْقَلَائِدَ] ذوات القلائد جمع القلادة ماشعر به الهدى من نعلٍ صلّى فيه اولحاء شجرٍ اوغيره اعلاماً بانّه هدى البيت لئلّا يتعرّض له اوالمراد النّهى عن احلال القلائد انفسها ، وعلى الاوّل يكون من عطف الخاصّ على العامّ [وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ] قاصدين البيت لزيارته بقرينة قوله تعالى [يَبْتَغُونَ] بزيارتهم [فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ] من سعة العيش فى الدّنيا [وَرِضْوَاناً] رضا ربّهم فى الآخرة، وبعد ما علمت انّ البيت الحقيقىّ لله هو القلب فى العالم الصّغير وصاحب القلب فى العالم الكبير وانّ البيت الّذى بناه ابراهيم (ع) صورة هذاالبيت وظهور القلب الّذى هوبيت حقيقىّ لله ولذا سمّى بيتاً لله ، وكونه بحذاء البيت المعمور وانّه فى السّماء الرّابعة يدلّ على هذا ، فاعلم انّ جميع ما سنّ الله تعالى من مناسكه ومواقفه صورة ما سنّه تعالى تكويناً وتكليفاً من مناسك الحجّ الحقيقىّ فى الصّغير والكبير، فاوّل بيتٍ وضع للنّاس فى ملك الصّغير هوالقلب فانّه اوّل عضوٍ يتكوّن ومن تحته دحوارض البدن ، واوّل بيتٍ وضع للنّاس فى ملكوت الصّغير هوالقلب الملكوتىّ، واوّل بيتٍ وضع للنّاس فى الكبير هوخليفةالله فى ارضه ، ولمّا كان بيت الاحجار ظهور قلب ذلك الخليفة فكلّما يتأتّى فى القلب يجرى بعينه فى هذاالبيت وتفصيله قد مضى فى آل عمران عند قوله: انّ اوّل بيتٍ وضع للنّاس، فالقلب هوبيت الله والصّدر المستنير بنور القلب مسجد وحرم وشهرحرام بتفاوت الاعتبارات ، وصاحب هذا الصّدر المأذون فى التّكلّم مع الخلق ونقل اخبارهم وبيان احكامهم ايضاً شهرحرام وحرم ومن بيوت الانبياء (ع) ومسجدالمحلّة ومن القرى الظّاهرة الواسطة بين الخلق وبين القرى المباركة، والبهيمة والهدى وذوات القلائد فى الصّغير القوى الغير الشاردة الابيّة المتوقّفة عن حضرة القلب اوالمتحرّكة اليها بتبعيّة اللّطيفة الانسانيّة غير المستنيرة بنورالقلب، اوالمستنيرة المتقلّدة بقلادة نورالقلب وفى الكبير افراد الانسان الّتى لاتأبّى لهاعن الطّاعة ولاتهيّج لهاللحركة الى بيت الله الامام ، اوالمتحرّكة مع قاصدالبيت من غيرتعلّم شيءٍ من علامات الدّين الّذى هوقلادتها واشعارها، اومع تعلّم شيء منها وتقلّدهابقلادتها، والصّيد هوالشّارد الابىّ من القوى ومن افراد الانسان ، ولايجوز للمحرم لحضرة القلب مالم يطف به ولم يتمكّن من مناسكه التّعرّض له ، فانّه خلاف قصده ومضرّ احرامه لانّه شاغل له عن الحركة اليه ، فاذا تمكّن من طواف القلب وعاد بعدالهجرة الى مقام الصّدر و استنار صدره بنور القلب بحيث لاينطفى ولا يختفى ذلك النّور باشتغاله بامر الصّيد فله التّعرّض بقتل و قيد واسر، والفضل استنارة الصّدر بنورالقلب، والرّضوان استنارة القلب بنورالرّوح، ومالم تشتدّا كانتا للانسان قبولاً وصاحبهما قابلاً وتابعاً ومقلّداً، واذا اشتدّتا وتجوهر الصّدر والقلب بهما وكان صاحبهما محتاجاً الى الاستمداد من الواسطة بينه وبين الله صارتا خلافةً للرّسالة اوللولاية ، واذا استغنتاعن الواسطة واستمدّتا من الله بلاواسطة صارتا رسالة وولاية وهما كماعلمت من شؤن الرّسول والولىّ ومتحدّتان معهما، والاصل فى الرّسل والاولياء محمّد (ص) وعلىّ (ع) فصحّ تفسيرهما بمحمّد (ص) وعلىّ (ع) وحصرهما فيهما. ولمّا اجمل ذكر الصّيد فى قوله: غير محلّى الصّيد؛ ولم يتعرّض له فى جملة المنهيّة عن التّهاون بها ناسب المقام السّؤال عن حاله والجواب عنه فقال تعالى جواباً و بياناً [وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا] امر فى معنى الاباحة بحسب التّكاليف القالبيّة و فى معنى الرّجحان

بحسب التّأويل [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ] لايكسبنّكم اولايحملنّكم [شَنَـئَانُ قَوْمٍ] بغضاؤكم لقوم اوبغضاء قوم لكم قرء شنأن قوم بفتح النّون مصدراً او بسكون النّون مصدرا اووصفا [اَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير الّلام اوالباء اوعلى ويجوزان يكون بتقدير في وان يكون بدلامن شنئان قوم بدل الاشتمال او مفعولاً ثانياً ليجرمنّكم و قرئ بكسر الهمزه [اَنْ تَعْتَدُوا] مفعول ثان ليجرمنّكم او بتقدير الّلام او الباء اوعلى اوفي اوبدل من شنئان قوم اومن ان صدّوكم نحوبدل الاشتمال ، اى لايحملنّكم بغضاء قوم على الاعتداء بالخروج عمّا رخّص الله لكم فى شريعتكم وعمّا حدّه لكم فى طريقتكم من التّنزّل عن مقام الصّدر المنشرح بالاسلام الى مقام النّفس الامّارة والايتمار بأمرها وقمع القوى المانعة لكم من الحضور لدى القلب و قتل من يمنعكم من الحضورعند صاحب القلب، بل عليكم بالملاينة والمرافقة والمداراة واعطاء كلّ ذى حقّ حقّه فى مقامه [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى] البرّ ههنا الاحسان الى خلق الله وهو من احكام الرّسالة ولوازمها كماقال: وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين ؛ والتّقوى حفظ النّفس عن ضرّ الغير وعن اضرارها للغير وهو من آثار الولاية ولوازمها لانّ الرّسالة رجوع الى الخلق بصفات الحقّ من عموم الرّحمة، وقبول الولاية انزجار ورجوع من الخلق الى الحقّ، وصاحب الولاية شأنه ارجاع النّاس من الكثرات الى الوحدة وهما متّحدان مع الرّسالة والولاية وهما متّحدتان مع الرّسول (ص) والولىّ (ع) فصحّ تفسيرهما بمحمّد (ص) وبعلىّ (ع) وحصرهما فيهما [وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] الاثم الاساءة الغير المتعدّية والعدوان الاساءة المتعدّية وهمامتّحدان مع الآثم والعادى يعنى لاتعاونوا على الاساءتين [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى الاعتداء والتّعاون عليهما [اِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ] استيناف لبيان المستثنى المقدّم كأنّ السّامع يطلب ويسأل بيانه وينتظر ذكره ولذا لم يأت باداة الوصل [وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ] اى رفع الصّوت لغير الله به والمراد تنزيلاً الّذبيحة الّتى ذكر غير اسم الله عليه وتأويلاً كلّ فعل رفع صوت النّفس بالامر به ، فانّ صوتها لغير الله لامحالة كما انّ قوله ومالكم الّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه اشارة الى كلّ فعل امر العقل به فانّ امره لامحالة لله [وَالْمُنْخَنِقَةُ] كانوا يخنقون البقر اوالغنم فاذا انخنق اكلوه [وَالْمَوْقُوذَةُ] كانوا يشدّون ارجل الانعام ويضربونها حتّى تموت فيأكلونها [وَالْمُتَرَدِّيَةُ] كانوا يشدّون اعينها ويلقونها من السّطح ثمّ يأكلونها [وَالنَّطِيحَةُ] كانوا يناطحون بالكباش فاذا ماتت اكلوها [وَمَا اَكَلَ السَّبُعُ اِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ] كانوا يأكلون فريسة السّبع [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ] كانوا يذبحون لبيوت النّيران وكانوا يعبدون الشّجر و الصّخر و الاصنام فيذبحون لها [وَاَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْاَزْلَامِ] جمع الزلم محرّكة اوكصرد قدح يتقامر به كانوا يعمدون الى الجزور فيقوّمونه بينهم ثمّ يسهمون عشرة أسهم سبعة لهاانصباء وثلاثةٌ لاانصباء لهاويجعلون ثمن الجزور على الثّلاثة الّتى لاانصباء لها ثمّ يخرجون السّهام فمن خرج باسمه الثّلاثة الّتى لاانصباء لهاالزموهم ثمنها والسّبعة الّتى لهاانصباء يأخذون لحم الجزور بلاثمن فحرّم ذلك كلّه وقال تعالى [ذٰلِكُمْ] اشارة الى المجموع اوالى الاستقسام بالازلام [فِسْقٌ اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ] اشارة الى يوم نصب علىّ (ع) بالخلافة يعنى كان الكافرون و المنافقون يترقّبون

لموت النّبىّ(ص) اوقتله (ص) وتفرّق كلمتكم والغلبة على دينكم وبعد نصب امير لكم يئس الكفّار من الغلبة وتفرّق الكلمة ويئس المنافقون بنصب علىّ(ع) عن الغلبة على دينكم وترويج باطلهم واظهار نفاقهم فاذا يئس الكفّار [فَلَاتَخْشَوْهُمْ] ولمّا لم يستكمل ايمانكم فلا تأمنوا من عقوبتى [وَاخْشَوْنِ اَلْيَوْمَ] يوم نصب علىّ(ع) بغديرخم [اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ] الاكمال قديستعمل فى اتمام ذات الشّيء كاكمال النّوع بالفصل والبيت بأركانه وسقفه، وقد يستعمل فى اتمام الشّيء بمحسّناته ومتمّماته الزّائدة على ذاته كاكمال الانسان بمهارته فى العلوم والصّنائع، والبيت بزخرفته وفروشه، والمراد بالدّين هناهو الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الاحكام النّبويّة والمراد بالاكمال هو اتمامه فى ذاته، لانّ الاسلام بنى على خمسة اركان والرّكن الاخير هو الولاية اعنى البيعة مع علىّ(ع) بالامامة لانّ الولاية بمعنى المحبّة اواعتقاد الولاية لعلىّ(ع) خارجة عن الاعمال القالبيّة الاسلاميّة فلا تكون من اركان الاسلام ومتمّمات احكام القالب و اتمامه فى خارج ذاته باعتبار، فانّ الاسلام كالمادّة للولاية بالمعنى الحاصل بالولاية الّتى هى من اركان الاسلام وهو الايمان الدّاخل فى القلب، وبه الحركة والسّير الى الله وهو بمنزلة الصّورة للاسلام والصّورة وان كانت محصّلة للمادّة وما به قوام المادّة وبقاؤها لكنّها خارجة عن ذاتها [وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى] فانّ الاسلام نعمة من الله لكنّه مركّب من الاركان الخمسة ولا يتمّ المجموع الّا بتمام اجزائه و ايضاً هو مادّة للولاية بالمعنى الآخر ولا بقاء ولا قوام للمادّة الّا بالصّورة فبالولاية تتمّ نعمة الاسلام [وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِيناً] فانّه لنقصان اركانه وعدم تحصّله كان غير مرضىّ وعن الصّادقين (ع) انّما نزل بعد ان نصب النّبىّ (ص) عليّاً (ع) علماً للانام يوم غدير خمّ عند منصرفه عن حجّة الوداع، قالا: وهى آخر فريضة انزلها الله ثمّ لم تنزل بعدها فريضة، وورد عنهم(ع) اخبار كثيرة قريبة من هذا [فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ] المخمصة هى المجاعة لكن تستعمل فى كلّ شدّة وضيق، فى تفاسير العامّة انّه مربوط بذكر المحرّمات وما بينهما اعتراض، ولمّا علّق وقيّد يأس الكفّار عن الدّين واكمال الدّين واتمام النّعمة وارتضاء الاسلام منهم بيوم مخصوص ووقت معيّن، علم انّه لا يكون الّا لوقوع امر عظيم فيه هو يقطع طمع الكفّار ويصير سبباً لاكمال الدّين والّا لم يكن للتّقييد به وجه وماذاك الّا سدّ خلل الدّين بعد النّبىّ(ص) بنصب من يحميه و يحفظ أهله من الاختلاف والافتراق فانّه لاامر اعظم منه فضلاً عمّا بيّنوا لنا من انّ نزولها بغدير خمّ بعد نصب علىّ(ع) علماً للنّاس، واذا علم ذلك تيسّر ربط هذه الآية بما قبلها تماماً من تحريم المحرّمات وتتميم الدّين بنصب علىّ(ع) والتّرغيب فيه كأنّهم سألوا فما لنا ان اضطررنا الى اكل المحرّمات او الى ترك التّوسّل بعلىّ (ع) والتبعيّة له ؟ - فقال تعالى : فمن اضطرّ فى مخمصة بياناً لوجه الاضطرار حالكونه [غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِاِثْمٍ] اى غير مائل اليه او غير متجاوز عن قدر الضّرورة كما فى قوله غير باغٍ ولا عادٍ، ولمّا كان المقصود هو الاضطرار الى اتّباع معاوية و ترك اتّباع علىّ (ع) فلاضير ان يفسّر الاثم بمعاوية ، اى غير مائل فى الباطن الى معاوية ، فانّه لايؤاخذ اذا كان اكل الحرام او اتّباع غير علىّ(ع) عن اضطرار من غير ميل قلبىّ [فَاِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا اُحِلَّ لَهُمْ] اى اىّ شيء اوماالّذى احلّ لهم سألوا عن المحلّلات بعد ذكر المحرّمات [قُلْ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ] لا اختصاص لها بالاغذية الغير المستخبثة كما فسّره المفسّرون، بل اصل الطّيّبات هو علىّ(ع) ثمّ ولايته بالبيعة الولويّة ثمّ العمل بما دخل منه(ع) فى القلب ثمّ العمل بما اخذ عليه فى ميثاقه ثمّ

اخذ العلم منه ثمّ العمل به ثمّ المباحات من الاغذية والاشربة والالبسة والازواج والمساكن واثاثها والمراكب وجملةالاعراض الدّنيويّة الّتى حصلت فى اليد من الوجه الحلال [وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ] اى نفس ماعلّمتم من حيث التّعليم يعنى احلّ لكم تعليم الكلاب الاصطياد، وحلّيّة مقتولها تستفاد ممّا يأتى اوصيد ماعلّمتم ويجوز ان يكون ماشرطيّة، وقوله فكلوا ممّا امسكن جزاؤه، ولمّا كان مقتول الكلاب مظنّة الاستخباث افرده بالذّكر [مُكَلِّبِينَ] تقييد للاحلال بتعليم الكلاب اوبمقتول الكلب المعلّم لاغيره من السّباع المعلّمة فانّ المكلّب بصيغة اسم الفاعل هو المعلّم للكلب و مشتقّ منه [تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّٰهُ] تكويناً او تحصيلاً بتوسّط بشر اخر من آداب الاصطياد والانقياد فى الارسال والزّجر وضبط الصّيد على صاحبهنّ [فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهِ] لمّا لم يكن الواو للتّرتيب لم يكن تأخير الامر بذكر اسم الله فى اللّفظ منافياً لوجوب تقديم الذّكر عند الارسال [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فيما لم يحلّ لكم [إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] بحاسب على الدّقيق والجليل [اَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ] فى تقييد احلال الطّيّبات بعد ذكره مطلقاً باليوم الخاصّ الّذى هو يوم نصب علىّ(ع) بالخلافة، اشارة لطيفة الى انّ حلّيّة الطيّبات موقوفة على الولاية ولولاها لكانت محرّمة وان كانت طيّبة حاصلة من كسب اليد والوجه الحلال، غاية الامران يكون المراد بالحلّيّة ههنا الحلّيّة فى نفس الامر وبحسب الطّريقة لابحسب ظاهر الشّريعة [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ] قد اختلف الاخبار فى طهارة اهل الكتاب ونجاستهم، واكثرها يشعر بأنّ نجاستهم عرضيّة بواسطة عدم اجتنابهم عن الخمر ولحم الخنزير، وانّ فى انيتهم الخمر ولحم الخنزير وقد فسّر الطّعام بالحبوب دون ذبائحهم لانّهم غير مأمونين على تسمية الله عليها فنقول: ليس المراد بطعام الّذين اوتوا الكتاب طعامعهم المصنوع لهم حتّى كانت حلّيّته منافية لنجاستهم ان قلنا بنجاستهم كالمشركين، بل المراد نفى الحرج عن طعامعهم المنسوب اليهم من حيث انّه منسوب اليهم يعنى لاحرج عليكم فى طعامعهم من حيث تلك النّسبة فانّ النّسبة لاتستخبث الطّعام اذا لم يكن فيه خباثة من وجه اخر، ولذلك كان طعامكم حلالهم يعنى انّ نسبة الطّعام اليكم لاتورث حرجاً عليكم اذا اطعتموه اهل الكتاب ولاتجعلهم ممنوعين من الاكل ولمّا كان طعامعهم مظنّة الخباثة ذكره بعد احلال الطيّبات، وايضاً لما ندب على ولاية علىّ(ع) وقيّد احلال الطيّبات بزمان نصب علىّ (ع) للاشارة الى تقييد الحلّيّة بالولاية ولم يكن لاهل الكتاب ولاية صار المقام مظنّة لحرمة المخالطة معهم و عدم حلّيّة طعامهم واطعامهم فنفى هذا الوهم، لانّهم بانتحال ملّة آلهيّة وقبول الدّعوة الظّاهرة كانوا مسلمين ولم يخرجوا بحسب الظّاهر عن الاسلام، وبمخالطتهم واكل طعامهم واطعامهم يستعدّون للهداية ولمّا كان حلّيّة طعامهم واطعامهم بحسب الظّاهر وحلّيّة الطيّبات المتوقّفة على الولاية بحسب نفس الامر غيّر الاسلوب واتى بالجملة الاسميّة عطفاً على مجموع القيد والمقيّد حتّى لايتقيّد بالولاية [وَالْمُحْصَنَاتُ] اللّاتى احصنّ انفسهنّ عمّا لاينبغى عطف على الطيّبات المتقيّد احلالها بولاية علىّ(ع) ولذا قيّدهنّ بوصف الاحسان والايمان، يعنى اليوم احلّت لكم حلالاً واقعياً المحصنات [مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ] ولاينبغى لكم غيرهنّ فانّ غيرهنّ من الاماء والمتجرّيات على ما لا ينبغى وان كنّ حلالاً بحسب ظاهر الاسلام، لكنّهنّ غير محلّلات بحسب نسبة الايمان و فى نفس الامر [وَالْمُحْصَنَاتُ] اللّاتى احصنّ انفسهنّ عمّا لاينبغى [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] قد اختلف

الاخبار والاقوال فى نكاح النّساء من اهل الكتاب، وكذا فى انّ هذه الآية منسوخة بآية حرمة نكاح المشركات وحرمة الاخذ بعصم الكوافر اوناسخة، وكذا فى الدّوام والتّمتّع بهنّ وقول النّبىّ (ص): انّ سورة المائدة آخر القرآن نزولا ًفأحلّوا احلالها وحرّموا احرامها، ينفى كونهامنسوخة، وقوله تعالى [إِذٰا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] مشعرٌ بتقييد الحلّيّة بحال التّمتّع بهنّ فانّ استعمال الاجور فى مهور المتمتّعات اكثر واشهر [مُحْصِنِينَ] حالكونكم حافظين انفسكم من السّفاح علانيةً وسرّاً، امّابيانٌ لوجه الاحلال اوتقييدٌ له باعتبار الواقع لاباعتبار ظاهر الاسلام [غَيْرَ مُسٰافِحِينَ] حال بعد حال يعنى غيرمتجاهرين بالزّنا [وَلاٰ مُتَّخِذِى أَخْدٰانٍ] ولامسرين لهنّ جمع الخدن وهو الصّديق يقع على الذّكر والانثى، ولمّا ندب على الولاية وعلّق اكمال الدّين واحلال الطيّبات عليها ناسب المقام ان يذكرحال مخالف الولاية فقال تعالى: [وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمٰانِ] اى بقبول ولاية علىّ(ع) والبيعة الخاصّة الولويّة معه، وماورد فى الاخبار من التّفسير بترك الصّلوة، اوترك العمل الّذى اقرّ به فى بيعته، او ترك العمل اجمع، او التّبدّد بأمر هو خلاف الحقّ فانّما هو تفسير لفروع الولاية، ولاينا فى كون المقصود هو الولاية كما فى بعض الاخبار [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ] الّذى عمله فى الاسلام فانّ ما به القبول هو الولاية [وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰاسِرِينَ] لصرف بضاعته فيما لاقدر له [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] عامّاً او خاصّاً [إِذٰا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلوٰةِ] اى اذا قمتم من النّوم كما فى الخبر، اواذا اردتم القيام [فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرٰافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ] وبعد مامضى فى سورة النّساء لايتعسّرعليك تعميم الصّلوة ولاتعميم الغسل ولاتعميم سائراجزاء الآية، **والوجه** مايواجه به وهو من قصاص الشّعر الى الذّقن ومادارت منه الابهام و الوسطى عليه و ما زاد فليس بوجه، و عدم وجوب تخليل الشّعر يمكن استنباطه من عنوان الوجه فانّ ما به التّوجّه هو ظاهر الشّعر لا البشرة المستورة تحته، و **اليد** اسم للعضو المخصوص تطلق على مادون المنكب وعلى مادون المرفق وعلى مادون الزّند فاحتاجت الى التّحديد والبيان، فحدّده بقوله الى المرافق فلفظ الى لانتهاء المغسول لاالغسل فالتّمسّك بها مع احتمال كونها لانتهاء المغسول فى الاستدلال على انتهاء الغسل كما فعلوا خارج عن طريق الاستدلال، والباء للتّبعيض كما وصل الينا من اهل الكتاب واثبت التّبعيض لهاكثير منهم و ارجلكم بالجرّ عطف على رؤسكم وبالنّصب على محلّ رؤسكم، وعطفه على وجوهكم مع جواز العطف على رؤسكم فى غاية البعد، غاية الامر انّها فى هذا العطف محتملة مجملة كسائر اجزاء الآية محتاجة الى البيان ولم يكن رأينا مبيّناً للقرآن لاستلزامه التّرجيح بلامرجّح، بل المبيّن من نصّ الله ورسوله عليه لامن نصبوه لبيانه فانّ نصب شخص انسانىّ لبيان القرآن و خلافة الرّحمن ليس باقلّ من نصب الاصنام لعبادة الانام، او العجل المصنوع للعوام، وتفصيل الوضوء وكيفيّته قد وصل الينا مفصّلاً مبيّناً عن ائمّتنا المنصوصين من الله ورسوله وقد فصّله الفقهاء رضوان الله عليهم فلاحاجة الى التّفصيل ههنا [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ أَوْ جٰاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغٰائِطِ أَوْ لٰامَسْتُمُ النِّسٰاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ] اى من الصّعيد وقد مضى شرح الآية مفصّلاً فى سورة النّساء فلاحاجة الى التّكرار [مٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ] فى الدّين [مِنْ حَرَجٍ] مفعول يريد محذوف اى ما يريد الامر

بالغسل اوالتّيمم ليجعل عليكم حرجاً اولام ليجعل للتّقوية ومابعده مفعول وهو استيناف لبيان وجه تشريع التّيمم [وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] بغسل الاعضاء الباطنة بالتّوبة عند اهله وبغسل الاعضاء الظّاهرة بالماء، فان لم يتيسّر لكم فباظهار الذّلّ والمسكنة والعجز واعلاء تراب الذّلّ على مقاديم نفوسكم وابدانكم وليعدّكم لقبول التّوبة و البيعة الولويّة التى هى تمام نعمة الاسلام كما مضى [وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ] الّتى هى الاسلام [عَلَيْكُمْ] بمتمّمه الّذى هو الولاية والبيعة مع علىّ (ع) [لَعَلَّكُمْ] بعد تمام النّعمة عليكم [تَشْكُرُونَ] المنعم بصرف النّعمة الّتى هى احكام الاسلام القالبيّة واحكام الايمان القلبيّة فى وجهها من صدورها من حضرة العقل ورجوعها اليها، فانّ شكر النّعمة و صرفها فى وجهها لا يحصل الّا بدخول الايمان فى القلب و فتح بابه الى الملكوت [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ] عطف على تيمّموا يعنى حين تطهّركم تذكّروا محمّداً(ص) اوالاسلام الّذى هو البيعة مع محمّد (ص) ، اوالاسلام الحاصل بالبيعة مع محمّدٍ (ص) حتّى يكون شروطها فى ذكركم من عدم المخالفة واتّباع قوله فى كلّ ما يأمر و ينهى ، هذا ان كان المراد بالميثاق الميثاق الّذى أخذ عليهم بغدير خمّ ، وان كان المراد بالميثاق المبايعة مع محمّدٍ (ص) فالمراد بالنّعمة هو الاسلام الحاصل بالبيعة ، اومحمّد(ص) فانّه اصل نعمة الاسلام كما انّ عليّاً(ع) اصل نعمة الايمان [وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ] عاهدكم عهداً وثيقاً به لعلىّ (ع) فى غدير خمّ حتّى لاتنسوه فتخالفوا عليّاً (ع) اوعهداً وثيقاً بان لاتخالفوا قوله حتّى لاتنسوه فتخالفوا قوله فى علىّ(ع) والاوّل هو المروىّ [إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا] قولك فى علىٍّ (ع) على الاوّل ، او شرطك علينا بعدم المخالفة على الثّانى [وَأَطَعْنَا] عليّاً (ع) اواطعناك [وَاتَّقُوا اللهَ] فى نسيان نعمته و نقض ميثاقه بالمخالفة لعلىّ (ع) [إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] فيعلم نيّاتكم و اغراضكم فكيف بأفعالكم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ] توصية لهم بالاستقامة وتقويم الغير عن الاعوجاج كما مضى حين تحمّل الشّهادة خصوصاً وقت توصية محمّد(ص) بحملها وحفظها ، وحين اداء الشّهادة خصوصاً وقت سؤال علىّ(ع) عنهم الشّهادة فانّ المقصود هو هذا [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ] بغضاء كم لقومٍ او بغضاء قومٍ لكم [عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا] فى اداء شهاداتكم بتغييرها او كتمانها خوفاً من مخالفى علىّ(ع) اوبغضاً لموافقى علىّ(ع) [اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَ] فى الشّهادات ولاتكتموها ولاتغيّروها [إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] فيجازيكم بحسبه [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ] الجملة فى محلّ المفعول لوعد لانّه بمعنى القول والمراد بالايمان هو الحاصل بالبيعة مع محمّد(ص)، وبالعمل الصّالح البيعة مع علىّ (ع) ، او المراد بالايمان البيعة مع علىّ (ع) وبالعمل الصّالح العمل على طبق البيعة [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] ببيعة علىّ(ع) اوببيعة محمّد(ص) [وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] واصلها علىّ(ع) [أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] جمع بين الوعد و الوعيد كما هو شأنه و للاشارة الى انّ المغفرة و الاجر للمؤمن المستقيم مقصودة بالذّات وجزاء المسيء مقضىّ بالعرض غيّر الاسلوب واتى بالجملة الاسميّة الدّالّة على انّ الجزاء لهم كأنّه من لوازم ذواتهم المسيئة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ] بالاسلام من مدد الملائكة وجنودٍ لم تروها

اومن قوّة علىّ(ع) وسيفه [إِذْ هَمَّ قَوْمٌ] بدل من نعمة الله اوظرف لها باعتبار الانعام [أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ] بمكّة قبل الهجرة اوببدرٍ اوبأحدٍ اوبخندق [فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ] بسبب اسلامكم او بعلىّ (ع) فتذكّروا شرف الاسلام حتّى لاتخالفوه بترك قول محمّد(ص) فى علىّ(ع) ، اوتذكّروا شأن علىّ(ع) فلا تخالفوه بعد وفاة محمّد (ص) [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فى نسيان النّعمة و مخالفة علىّ (ع) ولاتخافوا غيره [وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] فلا يعتمدوا على غيره ولايخافوا الّا منه ، وضع المظهر موضع المضمر التفاتاً من الخطاب الى الغيبة بياناً لما به التوكّل [وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] تعريض بامّة محمّد (ص) لاخذ ميثاقهم لنقيبهم الّذى هو علىّ(ع) [وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً] يأمرونهم وينهونهم [وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ] فأشاهد منكم ماتفعلون [لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ] بوصلها الى النّقباء (ع) [وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ] من كلّ شيءٍ حتّى من ميل قواكم الى مخالفة النّقباء(ع) [وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي] الّذين منهم النّقباء (ع) [وَعَزَّرْتُمُوهُمْ] نصرتموهم وقوّيتموهم [وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً] من اصل المال بانفاقه فى سبيل الله ، واصل القوى باضعافها بالعبادات والرّياضات ، فانّ الزّكوة هى فضول المال الّتى هى حقّ الغير والقرض من اصل المال [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ] بزكوتكم وقرضكم [وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] بصلوتكم وايمانكم وتعزيركم [فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ] الميثاق للنّقباء(ع) والوعد عليه [مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ] فتذكّروا يا امّة محمّد (ص) و اوفوا بميثاقكم لعلىّ (ع) ولا تكفروا بعد الميثاق [فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ] فتذكّروا ميثاقكم ولاتنقضوه [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً] لاتتأثّر بالمواعظ [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ] حال او جواب سؤالٍ مقدّرٍ كما ستحرّفونه يا امّة محمّد (ص) بعد بتأويلات فضيحة للتّمويه على من لا عقل له [وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ] من الميثاق والوعد عليه عطف على يحرّفون ، والاختلاف بالمضىّ والمضارعة للاشارة الى انّ الثانى وقع منهم فصارسبباً لاستمرارهم على الاوّل [وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ] بواسطة نقض الميثاق الّذى هو اصل الخيانات كما انّ الوفاء به هو اصل الوفاء بالامانات، والخائنة مصدر اووصفٌ بمعنى فرقة خائنة ، او نفس خائنة ، اوشخص خائن على ان يكون التّاء للمبالغة [إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ] استثناء من مفهومه كأنّه قال كلّهم خائنون الّا قليلاً منهم ، ويحتمل الاستثناء من قلوبهم اومن المضاف اليه فى قلوبهم اومن فاعل يحرّفون اومن فاعل نسوا ، ويمكن جعل الّا بمعنى غير صفة لخائنة منهم، ويحتمل كون الكلام منصرفاً عن بيان حال بنى اسرائيل الى بيان حال منافقى الامّة ولذا خاطب محمّداً(ص)، ويحتمل ان يكون المراد بيان حال بنى اسرائيل و يكون التّعريض بالامّة كما هو طريقة جملة القصص والحكايات وقوله تعالى [فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ] يؤيّد المعنى الاوّل ، والعفو ترك الانتقام ، والصّفح ترك تذكّر المساوى والاخراج من القلب، و قد يستعمل كلّ فى كلّ و كلٌّ فى كلا المعنيين ، ولا تقف على العفو والصّفح و احسن اليهم [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى] لم يقل ومن النّصارى لانّ التّنصّر انّما يحصل بالبيعة مع

اوصياءعيسى(ع) وهؤلاء انتحلوا التّنصّر لانّهم بايعوا على النّصرانيّة [أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ] بعد بيان حال اليهود بيّن حال النّصارى للتّعريض بامّة محمّد(ص) يعنى اخذنا ميثاق اسلافهم لاوصياء عيسى(ع) [فَنَسُوا] كاليهود [حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ] فصار النّسيان سبباً لاختلافهم [فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ] بالافعال [وَالْبَغْضَاءَ] بالقلوب وكان ذلك خزيهم فى الدّنيا [إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] يعنى ينبّئهم فى الآخرة فيعذّبهم عليه فاحذروا ان تكونوا مثلهم فى نسيان الميثاق لعلىّ(ع) يا امّة محمّد(ص) فيقع بينكم العداوة والبغضاء فى الدّنيا ويؤاخذكم الله عليه فى الآخرة [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ] كتاب النّبوّة بصورة التّوراة و الانجيل تعريض بامّة محمّد(ص) واخفائهم بعده كثيراً من الكتاب وبتبيين علىّ(ع) لهم مايخفون ، وقد ذكر فى نزول الآية انّه كان فى زان وزانية محصنين من اشراف اليهود وكرهوا رجمهما فسألوا محمّداً(ص) عن ذلك فقال(ص) :حكمهما الرّجم، فأبوا ورضوا بابن صوريا وكان أعلم اليهود فسأله محمّد(ص) عن ذلك فقال : نعم هو الرّجم فأمر بهما النّبىّ فرجما عند باب مسجده [وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ] يعرض عنه ولايظهره [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ] تأكيدٌ للجملة الاولى ولذا لم يأت بالعطف، وكونه تأكيداً اذا كان المراد بالنّور الولاية وبالكتاب النّبوّة ظاهر، فانّ الرّسول صاحب الولاية والنّبوّة ، واذا كان المراد بالنّور امير المؤمنين(ع) وبالكتاب القرآن ايضاً ظاهر، لانّ الرّسالة تستلزم مابه الرّسالة ومالاجله الرّسالة والاوّل الكتاب والثّانى الولاية، وعلمت سابقاً انّها من شؤن الولىّ ومتّحدة مع علىّ(ع) [يَهْدِي بِهِ اللَّهُ] توحيد الضّمير ان كان راجعاً الى الكتاب اوالنّور ظاهر ، وان كان راجعاً اليهما كان باعتبار انّ الكتاب ليس الّا ظهور النّور [مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ] هو ولاية علىّ(ع) والبيعة له كما اشير اليه فى قوله: ورضيت لكم الاسلام ديناً يعنى يهدى بالكتاب من بايع علياً(ع) بالبيعة الولويّة [سُبُلَ السَّلَامِ] طرق الله اوطرق السّلامة [وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ] المتراكمة التى فى مرتبة النّفس [إِلَى] عالم [النُّورِ] وهو فسحة عالم الرّوح [بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] و هو المراتب النّورانيّة لعلىّ (ع) الّتى معرفتها معرفة الله تعالى [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ] قيل انّهم فرقة منهم وهم اليعقوبيّة يقولون باتّحاده تعالى مع عيسى(ع) لكن نقول: اعتقاد النّصارى انّ عيسى(ع) فيه جوهرٌ آلهىٌ و جوهر آدمىٌّ و باعتباره الآلهىّ يقولون هوالله و مرادهم تأكيد اتّحاده مع عيسى (ع) باعتبار جوهره الآلهىّ ويقولون: هو باعتبار جوهره الآدمىّ ابن ومولود وجسم ومقتول ومصلوب ، هذا اعتقاد محقّقيهم، وامّا اتباعهم فلايعرفون منه الّا مقام بشريّته ويقولون: هوالله ومقصودهم مقام بشريّته [قُلْ] يامحمّد(ص) للرّد عليهم ان كان الامر كما تقولون [فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] مفعول يملك ومن الله حالٌ منه مقدّم عليه ، والمعنى لايقدر احدٌ على شيءٍ ممّا يملكه الله بتغييره اودفعه فانّ الملك عبارة عن قدرة التّصرّف فى المملوك، وان كان فى عيسى(ع) جوهر آلهىٌّ كان قادراً على التّغيير والدّفع [إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا] بيان لحال النّصارى وقالهم وتوهينٌ لهم وتعريض بالغالى من امّة محمّد(ص) وبالقائلين منهم بالاتّحاد

والحلول وحقّ العبارة ان يقال: لواراد ان يهلك المسيح وامّه لانّ المسيح وامّه كانا قد مضيا لكنّه تعالى ادّاه بصورة الشّرط المستقبل لفرض الحال الماضية حاضرة ، اولاعتقادهم انّ عيسى(ع) حيّ فى السّماء قاعد على يمين ابيه وكذلك امّه ، اوللاشارة الى انّه حيٌّ بحيوته الطّبيعيّة فى السّماء الرّابعة [وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا] استيناف او حال لبيان عدم المانع له من ارادته و نفاذ أمره و للدّلالة على انّ المسيح مملوك له والمملوك لايكون آلهاً ولا ولداً للمالك [يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ] فلاغرو ان يخلق عيسى(ع) من انثى بلاذكرٍ ولادلالة فيه على كونه آلهاً اوابناً كماتمسّكوا به ، بل فيه دلالة على آلهة الخالق الّذى خلقه بلاذكر نقضاً لماقاله الطّبيعىّ [وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على خلق الانسان بلا ابٍ وعلى اهلاك من فى الارض جميعاً ، وخلق عيسى(ع) بلا ابٍ يدلّ على عموم قدرته لاعلى آلهة عيسى(ع) [وَقٰالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصٰارىٰ نَحْنُ أَبْنٰاءُ اللّٰهِ وَأَحِبّٰاؤُهُ] بيان لحال الفريقين ومقالتهم الفضيحة ، ووجه هذا الادّعاء انّهم قالوا من اقرّ به تعالى وتقرّب لديه فهو ابنه الرّوحانىّ وقيل : مقصودهم من هذا انّهم اشياع ابنيه المسيح(ع) وعزير(ع) وهو بعيد [قُلْ] ردّاً لهم [فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] فى الدّنيا بالمغلوبيّة وفى الآخرة بالنّار دائماً او ايّاماً قلائل على زعمكم [بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ] منكم [وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] منكم على حسب اختلاف استعدادكم [وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا بَيْنَهُمٰا] بيان لتسويتهم مع غيرهم فى النّسبة اليه ، وتكراره ههنا وفى غيرهذا الموضع لتمكينه فى قلب السّامع ولأنّ كلاًّ يقتضيه المقام المخصوص [وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] بيان لمساواتهم مع غيرهم فى الانتهاء اليه [يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ قَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولُنٰا] اضاف الرّسول الى نفسه فى الموضعين تشريفاً له وتهويلاً لمخالفيه [يُبَيِّنُ لَكُمْ] ماتحتاجون اليه اوالمفعول منسىّ [عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ] حال من رسولنا اومن المستتر فى يبيّن ، اومن الضّمير فى لكم اومتعلّق بجاءكم اويبيّن على تضمين معنى يورد والمراد فتور احكام الرّسل (ع) لعدم ظهورهم و اختفاء اوصيائهم لا انقطاع الوحى و انقطاع الحجّة كما هو مذهب العامّة فانّه كان بين عيسى(ع) ومحمّد(ص) انبياء(ع) واوصياء(ع) كان اكثرهم مغمورين غير ظاهرين وكان دينه فى نهاية الخفاء وان كانت ملّته ظاهرة غالبة وقيل : كان بين ميلاد عيسى(ع) ومحمّد(ص) خمسمائة وتسع وستّون سنة وكان من تلك المدّة مائة واربع وثلثون زمان ظهور الرّسل والباقى زمان الفترة وهذا احد الاقوال ، وقيل: مدّة الفترة كانت ستّمائة سنةٍ وقيل: خمسمائة وستّين ، وقيل: اربع مائةٍ وبضعاً وستّين وقيل: خمسمائة وشيئاً [أَنْ تَقُولُوا] كراهة ان تقولوا اولئلّا تقولوا [مٰا جٰاءَنٰا مِنْ بَشِيرٍ وَلٰا نَذِيرٍ فَقَدْ جٰاءَكُمْ] الفاء للسّببيّة فانّ التّقدير لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم [بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على ارسال الرّسول حين الفترة ، اويقدر على انطاق جوارحكم ان تنكروا مجيء الرّسول و تبليغه ، اويقدر على عذابكم ان تنكروا رسوله ولاتقرّوا به [وَإِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ] عطف على مقدّرٍ هولاتعتذروا المقدّر السّابق اى لاتعتذروا واذكروا ماقال موسى(ع) لقومه حتّى تذكروا نعمة وجود الرّسول(ع) فيكم ولاتخالفوا قوله والمقصود التّعريض بامّة محمّد(ص) بتذكير حال امّة موسى(ع) والنّعم الّتى انعم الله بها عليهم و ابائهم عن امر موسى(ع) وضلالتهم فى التّيه اربعين سنة حتّى يتنبّهوا للنّعم الّتى انعم الله بها عليهم ولايخالفوا قوله ولايخرجوا من امره فى علىّ(ع)

فلا يضلّوا كما ضلّ قوم موسى (ع) [يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْجَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَيكُمْ مَالَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ] من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسّلوى وغير ذلك [يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ] يعنى الشّام [الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ] ان تكون مسكناً لكم فخالفوا وحرموا و دخلها أبناء أبنائهم كذا نقل [وَلَا تَرْتَدُّوا] من طريق الارض المقدّسة الّتى هى الشّام اوارض القلب [عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ] كماقال نبيّنا (ص) لامّته هذه المقالة فى علىّ (ع) فأبوا الّا الارتداد و [قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا] لعدم طاقتنا لمقاومتهم [فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ] يوشع بن نون وكالب بن يوفّنا ابنا عمّه وقيل : رجلان من اهل الشّام اسلما بموسى (ع) [مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ] يتّصفون بالخوف اويخافون سخط الله [أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا] معترضة اوحال [ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ] يعنى باغتوهم حتّى لايتمكّنوا من الاصحار اوقوّوا قلوبكم ولاتنظروا الى عظم جثّتهم فانّهم اجسام خالية عن الجرأة [فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] يعنى انّ الايمان يقتضى التّوكّل عليه فهوشرط للتّهييج [قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ] هذاالكلام منهم لغاية حماقتهم واعتقادهم انّ الله هوواحد مثلهم لكنّه يقدرعلى مالايقدرون فقالوا خوفاً من الجبابرة: اذهب انت وربّك، وقيل: هذاالقول منهم كان استهزاءً بالله و رسوله و عدم مبالاة بهما [قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي] امّا المراد بأخى هرون او المراد كلّ من كان منقاداً له و مواخياً معه على ان يكون المفرد المضاف كالمعرّف باللّام للعموم ، واخى فى موضع الرّفع معطوفاً على محلّ اسم انّ اوعلى المستترفى لااملك وسوّغه الفصل ، اوفى موضع النّصب معطوفاً على اسم انّ ، اوعلى نفسى ، او فى موضع الجرّ معطوفاً على الياء مضاف اليها النّفس من دون اعادة الجارّ على ضعف [فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] قاله دعاءً عليهم وتحسّراً [قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ] عقوبة لهم فلا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم [أَرْبَعِينَ سَنَةً] ظرف لمحرّمة اولقوله تعالى [يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ] ومعنى يتيهون يتحيّرون لايرون طريقاً للخروج [فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] كأنّه كان نادماً عن دعائه عليهم متحسّراً لهم، عن الباقر (ع) عن رسول الله (ص) والّذى نفسى بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذوالنّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة حتّى لا تخطؤا طريقهم ولا تخطأكم سنّة بنى اسرائيل ثمّ قال الباقر (ع) : قال موسى (ع) لقومه : يا قوم ادخلوا الارض المقدّسة الّتى كتب الله لكم، فردّوا عليه وكانوا ستّمائة الف فقالوا : ياموسى انّ فيها قوماً جبّارين (الآيات) ، قال فعصى اربعون الفاً وسلم هرون و ابناه و يوشع بن نون وكالب بن يوفّنا ، فسمّاهم الله فاسقين فقال: لا تأس على القوم الفاسقين فتاهوا اربعين سنة لانّهم عصوا وكانوا حذوالنّعل بالنّعل انّ رسول الله (ص) لمّا قبض لم يكن على امرالله الّا علىٌّ والحسن (ع) والحسين (ع) وسلمان (ره) والمقداد (ره) وابوذرّ (ره) فمكثوا اربعين حتّى قام علىّ (ع) فقاتل من خالفه [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ] قابيل و هابيل [بِالْحَقِّ اِذْقَرَّ بٰا قُرْبٰاناً] اظهر كلّ منهما و عرض قرباناً على الله ، والقربان ما يتقرّب به من ذبيحة او غيرها [فَتُقُبِّلَ مِنْ اَحَدِهِما] لانّه خرج من نفسه و هواها و اتى بالقربان بأمر مولاه وعمد الى احسن ماعنده [وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْاٰخَرِ] لسخطه حكم الله وكون قربانه من قبل النّفس وهواها واتيانه بأخسّ ماعنده وهو قابيل [قٰالَ] قابيل لهابيل [لَاَقْتُلَنَّكَ] توعّده بالقتل لفرط حسده عليه لقبول قربانه [قٰالَ اِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] لا من المعتدين المقدمين على قتل النّفس المحترمة يعنى قبول القربان انّما يحصل بالتّقوى عن النّفس وهواها لابالحسد على الغير وقتله لتقواه [لَئِنْ بَسَطْتَ اِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مٰا اَنَا بِبٰاسِطٍ يَدِيَ اِلَيْكَ لِاَقْتُلَكَ اِنِّي اَخٰافُ اللهَ رَبَّ الْعٰالَمِينَ اِنِّي اُرِيدُ اَنْ تَبُوءَ بِاِثْمِي وَاِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ اَصْحٰابِ النّٰارِ وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ الظّٰالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ اَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَاَصْبَحَ مِنَ الْخٰاسِرِينَ] فى الدّنيا والآخرة روى انّه لمّا اراد قتله لم يدر كيف يقتله فجاء ابليس فعلّمه ولم يدر بعدالقتل مايصنع به [فَبَعَثَ اللهُ غُرٰاباً يَبْحَثُ فِي الْاَرْضِ] نقل انّه جاء غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الاخر فوارى جثّة المقتول فى الارض [لِيُرِيَهُ] اى الله اوالغراب [كَيْفَ يُوٰارِي سَوْاَةَ اَخِيهِ] السّوأة الفرج ومايستقبح وانّما قال سوأة اخيه لانّ جثّة المقتول يستقبح ويستقذر [قٰالَ يٰا وَيْلَتٰى] الالف بدل من ياء التّكلّم و الويل حلول الشّر اونفس الشّر وبهاء الفضيحة وهو كلمة تفجّع وندبة [اَعَجَزْتُ اَنْ اَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرٰابِ فَاُوٰارِيَ سَوْاَةَ اَخِي فَاَصْبَحَ مِنَ النّٰادِمِينَ] ندم النّفس الّذى هو عقوبة وحسرة لاندم العقل الّذى هو منجاة وتوبة لقطعه مادّة التّوبة .

اعلم انّ امثال حكاية خلق آدم(ع) وحوّاء(ع) واسكانهما جنّة الدّنيا ونهيهما من شجرة الحنطة اوالعنب اوالعنّابه اوالحسد اوالعلم اوغير ذلك، ووسوسة الشّيطان لهما واكلهما من الشّجرة المنهيّة ونزع لباسهما عنهما وظهور سوأتهما وهبوطهما الى الارض، وافتراقهما سنين وحزنهما وبكاءهما على الفراق، ثمّ مواصلتهما وحمل حوّاء(ع) فى كلّ بطن غلاماً وجارية، وتولّد قابيل وتوأمته اقليما فى اوّل بطن، وتولّد هابيل وتوأمته ليوذا فى بطن آخر، وامر الله لآدم(ع) ان ينكح من قابيل اخت هابيل ومن هابيل اخت قابيل، وحسد قابيل على هابيل لكون اخته اجمل من اخت هابيل، وعدم رضاه وامر آدم(ع) لهما ان يقرّبا قرباناً وقبول قربان هابيل وعدم قبول قربان قابيل، واشتداد حسده على هابيل وقتله ايّاه؛ من مرموزات السّابقين كمامرّ. وهكذا الحال فى حكاية سليمان(ع) وخاتمه وجلوس شيطان على كرسيّه بعد سرقة خاتمة ، وحكاية داود(ع) وتصوّر الشّيطان له بصورة طير احسن ما يكون من الطّيور ، وكون داود(ع) فى الصّلوة وقطعه الصّلوة فى طلب الطّير وصعود السّطح واشرافه على دار اوريا وتعشّقه بزوجته وكتابته لامير الجندان بقدّمه امام التّابوت حتّى يقتل ، وحكاية هاروت وماروت ونزولهما الى الارض وتعشّقهما بامرأة وابتلائهما بشرب الخمر وسجدة الوثن وقتل النّفس ، وغير ذلك ممّا فيها مالايوافق شأن الانبياء والملئكة فانّهم ارادوا بها التّنبيه على المعانى الغيبيّة المشهودة لهم الغائبة عن الانظار، وكانت العوامّ تداولوها بنحو الاسمار ولم يدركوا منها سوى معانيها الظّاهرة المدركة بالمدارك الحيوانيّة ونسبوا بذلك الى الانبياء والملائكة مايقتضى عصمتهم تطهير ساحتهم عن امثالها؛ ولبطلانها بظواهرها وصحّتها بمعانيها المقصودة

للانبياء(ع) والحكماء(ره) ورد في اخبارنا انكارها وتعيير القائلين بها وتقريرها والتّصديق بها من هاتين الجهتين.
ثمّ اعلم ، انّه كلّ ماكان في العالم الكبير كان انموذجه في العالم الصّغير بل التّحقيق انّه انموذج لما في العالم الصّغير خصوصاً ان كان من قبيل الافعال الاختياريّة او الحوادث اليوميّة ، وماورد في الاخبار من بركة الاموال والاولاد والاعمار بصلة الارحام وحسن الجوار ، وحبس الامطار بمنع الزّكوة ، و انتشار الوباء بكثرة الزّنا يدلّ على ذلك ، وكما انّ آدم ابا البشر وحوّاء امّ البشر خلقا في العالم الكبير وهبطا الى الارض، آدم على الصّفا جبل قرب المسجد الحرام ويشاهد منه البيت من باب المسجد المحاذي للصّفا ، وحوّاء على المروة الّتي هي ابعد من المسجد الحرام والبيت ولا يشاهد البيت منها ، واوّل بطن من حوّاء كان قابيل مع توأمته وثانيه كان هابيل مع توأمته ، واشير في بعض الاخبار الى انّه لم يكن لآدم اولاد غير اثنين ونزلت لاحدهما حوريّة من الجنّة واتى لآخر بجنّيّة وكثر نسل آدم منهما. كذلك كان هبوط آدم(ع) وحوّاء(ع) في العالم الصّغير هبط احدهما على صفا النّفس واعلاها واصفى اطرافها واقربها من بيت الله الحقيقيّ ، والاخرى على مروة النّفس وادناها واكدر اطرافها وابعدها من القلب ، ولذلك سمّي آدم(ع) بآدم(ع) لاُدمته باختلاط على النّفس وصافيها وحوّاء بحوّاء لحوّته باختلاط ادانى النّفس، لانّ الحوّة خضرة الى السّواد اوحمرة الى السّواد . واوّل بطن من حوّاء بعد ازدواجهما كان قابيل النّوعيّ الّذي كان الغالب عليه صفات النّفس من الانانيّة والبخل والحسد والحقد والعداوة وحبّ الجاه والكبرياء بغلبة النّفس وقوّة صفاتها حينئذٍ ، وثاني بطن منها كان هابيل الّذي كان الغالب عليه صفات العقل لاستكمال النّفس بمجاورة آدم(ع) وحوّاء وضعف صفاتها وغلبة صفات العقل ، وكان كلّ منهما توأماً لاختٍ له و اراد آدم النّوعيّ جذب قابيل واخته الى قرب العقل وتبديل صفاتهما النّفسانيّة بالصّفات العقلانيّة ، فأراد تزويج اخته لهابيل وتزويج اخت هابيل له حتّى يتبدّل صفاتهما بذلك ، وابى قابيل عن التّبديل وعن الصّعود الى مقام العقل وحسد اخاه واستبدّ برأيه فقتله فأصبح من الخاسرين لابطاله وافنائه بضاعته الّتي هي استعداده للصّعود الى مقام العقل ، وبقتل هابيل ينقطع الانسانيّة من العالم الصّغير ويفنى النّاس في هذا العالم كلّهم لانّ النّاس كلّهم في هذا العالم كانوا من نسل هابيل وكان اناسيّ هذا العالم ابناء العقل الّذي هو اسرائيل النّوعيّ اي عبدالله وصفوة الله، كما كان قابيل وذرّيّته هم الجنّة والشّياطين في هذا العالم، ومالم يقتل هابيل العالم الصّغير كان الحكم جارياً عليهم والتّكليف باقياً لهم والخطاب من الله متوجّهاً اليهم، واذا قتل هابيل وانقطع الاناسيّ لم يكن من الله حكم و خطاب وتكليف وكان الزّنا والصّلوة متساويين لهم ؛ فمن قتل في ملكه قابيل وجوده هابيل وجوده قتل النّاس كلّهم في وجوده ولم يتوجّه اليهم بعد خطاب وتكليف. فقوله تعالى [مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ] معناه من اجل قتل قابيل العالم الكبير هابيله الّذي هو دليل قتل قابيل العالم الصّغير هابيله [كَتَبْنَا] اي اثبتنا والزمنا تكويناً [عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ] اي على من بقى في وجوده الانسانيّة وهم بنوا العقل الّذي هو اسرائيل ، ولمّا كان بنوا اسرائيل الشّخصيّ في العالم الكبير كلّهم اواكثرهم على طريق الحقّ وكان كثير منهم انبياء(ع) وكان هذا الحكم اكثر ظهوراً فيهم كان التّفسير ببني يعقوب صحيحاً [أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ] في العالم الكبير [نَفْساً] بازهاق روحه الحيوانيّ اوقطع روحه الانسانيّ بدعوته الى الضّلالة وصدّه عن طريق الهداية بمباشرته اوبتسبيبه [بِغَيْرِ] قصاص [نَفْسٍ أَوْ] بغير [فَسَادٍ] من المقتول [فِي الْأَرْضِ] بقطع طريقٍ ونهب مالٍ واخافةٍ المسلمين بان يشهر السّيف اويحمله باللّيل الّا ان لايكون من اهل الرّيبة [فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً] لانّه ما لم يقتل قابيل وجوده هابيل وجوده

ولم‌يقطع الانسانيّة ولم يفن اناسىّ وجوده لم يرض بقتل نفسٍ ، فالقاتل قتل النّاس جميعاً فى وجوده وقتل نفساً بعده فى الخارج ، ومن قتل النّاس جميعاً فى وجوده كان كمن قتل النّاس جميعاً فى الخارج ، وايضاً من قتل نفساً كان قد قتل وقطع ربّ النّوع فى وجوده ، ومن قتل ربّ النّوع كان كمن قتل النّاس جميعاً ، واشير فى الخبر الى وجه آخر ، وهو انّ فى جهنّم لوادياً من قتل نفساً واحدة ينتهى اليه ، ومن قتل جميع النّاس لا يتجاوزه [وَ مَنْ اَحْيٰاهٰا] بانجائها من الهلاك الطّبيعىّ اودعوتها الى هداية واحيائها بالحيوة الانسانيّة الايمانيّة [فَكَاَنَّمٰا اَحْيَا النّٰاسَ جَمِيعاً] لانّ احياء النّاس لايكون الّا اذا صارقابيل وجوده مبدلاً فى وجوده وصارجميع جنوده احياء بحيوة العقل [وَلَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ] اى المعجزات اواحكام الشّريعة القالبيّة اوالدّلائل الدّالّة السمعيّة و العقليّة على هذا الحكم و التّغليظ فيه [ثُمَّ اِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ] من بنى اسرائيل [بَعْدَ ذٰلِكَ] اى بعد مجيء الرّسل بالبيّنات اوبعد هذا الحكم اوبعد هما [فِى الْاَرْضِ] ارض العالم الصّغير اوالكبير [لَمُسْرِفُونَ] متجاوزون عن حدود الله بسفك الدّماء واستحلال المحارم وغيرها كما فى الخبر ولمّا ذكر القتل وبالغ فى ذمّ من ارتكبه صار المقام مقام ان يسأل : ماحال من حارب اولياءالله(ع)؟- فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال [اِنَّمٰا جَزٰاءُ الَّذِينَ يُحٰارِبُونَ اللّٰهَ] بمحاربة اوليائه وعباده المؤمنين [وَرَسُولَهُ] بمحاربة نفسه اوخليفته اوالمؤمنين اوبقطع طريقهم اوقطع طريق من يريد الرّسول(ص) اوالامام(ع) واقلّه ان يشهر السّيف لاخافة مؤمن ويحمل السّيف باللّيل الّا ان لايكون من اهل الرّيبة [وَيَسْعَوْنَ فِى الْاَرْضِ فَسٰاداً] مفعول مطلق ليسعون من غير فعله اوبتقدير مصدرٍ من السّعى ، والافساد فى الارض بقطع طريقٍ ونهب مالٍ وقتل نفسٍ [اَنْ يُقَتَّلُوا اَوْ يُصَلَّبُوا اَوْ تُقَطَّعَ اَيْدِيهِمْ وَاَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاٰفٍ اَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْاَرْضِ] وقد اختلف الاخبار فى انّ العقوبات مخيّرة اومنوطة برأى الامام كيف شاء ، اومنوطة برأيه لكن بملاحظة الجناية ومقدارها واختياره العقوبة على قدر الجناية، وكذا فى النّفى من الارض بأنّه اخراج من المصر الّذى هو فيه الى مصرٍ آخر، مع انّه يكتب الى ذلك المصر بانّه منفىّ فلا تجالسوه ولاتبايعوه ولا تناكحوه ولاتؤاكلوه ولاتشاربوه الى سنة ، اوبأنّه اغراق فى البحر، اوبأنّه ايداع فى الحبس [ذٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيٰا وَلَهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ اِلَّا الَّذِينَ تٰابُوا مِنْ قَبْلِ اَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] ليس المراد بهذه التّوبة هى الّتى بين الله وبين العبد من النّدم على المعصية واجراء لفظ التّوبة على اللّسان ، فانّه لاتعلم الّا باقرار التّائب واقرار الشّخص غير نافذ فيما هو له ، بل فيما هو عليه بل المراد هى الّتى تكون مناط الاسلام اوالايمان بقبول الدّعوة الظّاهرة اوالدّعوة الباطنة فانّها ليست امراً بين الله وبين العبد فقط ، بل لابدّ فيها من قبول الرّسول(ص) اوالامام(ع) توبته والاستغفار له واخذ الميثاق منه ، ومن استغفر الرّسول(ص) اوالامام له وقبل توبته فهو مغفور له مقبول توبته ومشهود له بالتّوبة ، لانّ الاسلام يجبّ ما قبله ، ولمّا ذكر حال المحاربين والمفسدين وانّ عقوبتهم فى الدّنيا وفى الآخرة اشدّ عقوبة وانّ من تاب على يد الرّسول(ص) اوالامام(ع) وتوسّل بهما الى الله يسقط منه تلك العقوبة العظيمة ، صار المقام مناسباً لان ينادى التّائبين على يد محمّد(ص) ويحذّرهم عمّا يوجب تلك العقوبة ويرغّبهم فيما يسقطها فيقول: [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة [اتَّقُوا اللّٰهَ] عمّا يوجب تلك العقوبة [وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ]

الّتي تسقط تلك العقوبة ، و لمّا كان الخطاب للمؤمنين كان المراد بالوسيلة المعرفة بالّلام من يقبل التّوبة بعد الايمان بالرّسول (ص) والتّوبة على يده ، وليس الّا الامام الّذى يدعو بالدّعوة الباطنة الولويّة ولذلك فسّروها بأنفسهم [وَجاهِدُوافِي سَبِيلِهِ] كأنّ فيه اشعاراً بانّ المجاهدة تكون بعد التّوسّل بالوسيلة، وامّا قبل الوسيلة فلا سبيل له حتّى يجاهد فيه [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بهذه الوسيلة وهو فى موضع تعليل لابتغاء الوسيلة [لَوْ أَنَّ لَهُمْ مافِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ماتُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ] تمثيل للزوم العذاب وشدّته وانّ من ابتلى به لاخلاص له [يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ وَماهُمْ بِخارِجِينَ مِنْها] لانّ طريق الخروج من النّار منحصر فى التّوسّل الى الوسيلة المذكورة ومن كفر به فلا طريق له الى الخروج [وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما] لمّا ذكر حكم المحارب والمفسد فى الارض والكافر ،ذكر حكم السّارق الّذى هو ايضاً مفسد لكن لاالى حدّ القتل وشرائط السّرقة المؤدّية الى الحدّ من كونها من حرزٍ وبلوغ المسروق الى ربع دينارٍ و فى غير المجاعة ، وشرائط القطع من الابتداء باليد وانّه لايقطع الّا الاصابع الاربعة من اليد اليمنى من اصولها ويترك الابهام ، وانّ الرّجل اليسرى تقطع من دون العقب مذكورة فى الكتب الفقهيّة مفصّلة وليس ههنا مقام تحقيقها وتفصيلها [جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللّهِ] عقوبة منه [وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ] بالتّوبة الخاصّة النّبويّة اوالولويّة من قبل قدرة الامام بقرينة السّابق وببيان المعصومين (ع) [وَأَصْلَحَ] بردّ المسروق الى صاحبه فلا حدّ عليه كالمحارب [فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] تعليل لماقبله [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ] لمّا صار المقام مظنّة خطور انّه لاينبغى ان يسقط الحدّ الّذى ثبت عليه بمحاربته اوسرقته بمحض توبته اجاب عنه بقوله، الم تعلم، والخطاب امّا عامّ لمن يتأتّى منه الخطاب اوخاصّ بمحمّد (ص) من قبيل ايّاك اعنى واسمعى يا جارة [يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ] لمّا ذكر حال المحارب و المفسد فى العالم الكبير والعالم الصّغير، وذكر حال السّارق فى العالمين وعقوبتهم و ما يسقط العقوبة عنهم من الوسيلة ، صار الرّسول (ص) لكونه رحمةً للعالمين محزوناً على منافقى امّته الّذين انصرفوا من الوسيلة وكفروا به، كأنّهم سارقون صورة الاسلام وسارقون الكلم عن مواضعه وعلى اليهود الّذين سرقوا القول للحكاية لقوم آخرين وسرقوا الكلم عن مواضعه ، على انّ الكلّ بوجه مفسدون فى الارض فناداه تسليةً له (ص) بقوله تعالى [لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ] بالوسيلة [مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ] كأنّهم سرقوا الاسلام وأظهروه بلسانهم [وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ] بكثرة مايقولون الكذب، فانّ التفوّه بالكذب مستلزم لسماعه اوسمّاعون لقولك ليكذبوا عليك؛ اوسمّاعون للكذب لاالصّدق لسنخيّتهم للكذب [سَمّاعُونَ] كلامك لينقلوه [لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ] تكبّراً ومناعة اوحنقاً وغيظاً [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ] استيناف جواب سؤال مقدّرٍ لبيان حال المسارعين فى الكفر واليهود السمّاعين للكذب ، اوصفة لقوم آخرين لكنّ الاوّل اوفق واشمل والمراد بتحريف

الكلم، امّا تغييره فى اللّفظ بزيادة اونقصان كما روى فى كثير من الآيات ، وامّا صرفه عن مفهومه ، وامّا صرفه عن مصداقه الّذى وضعه الله او الرّسول (ص) فيه ، والمعنى يحرّفون الكلم عن مواضعه من بعد ثبوته فى مواضعه وكأنّ المنظور بهذا اللّفظ الاشارة الى كلم ولاية العهد من الله من قوله : انّما وليّكم الله ورسوله (الآية) فانّه لم يكن خلاف فى انّ موضعه علىّ (ع) ، ومن الرّسول (ص) بقوله : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، فانّه لم يكن خلاف فى انّه ولاية العهد ولعلىّ (ع) [يَقُولُونَ] اى المسارعون فى الكفر اوالقوم الآخرون [إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ] يعنى ان اوتيتم ايّها الموافقون فى طريقتنا هذا الّذى قلناه فخذوه [وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ] بل اوتيتم غيره [فَاحْذَرُوا] من قبوله ، وقد ذكر فى سبب نزولها انّها نزلت فى محاكمة يهود خيبر الى النّبىّ (ص) ومحاكمة ابن صوريا للنّبىّ (ص) وقد ذكر ايضاً انّه كان بين بنى قريظة و بنى النّضير كتاب وعهد على انّه اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلاً من بنى النّضير ادّوا القاتل اليهم ليقتل ، و الدية كاملة لانّ بنى النّضير كانوا اقوى حالاً و اكثر مالاً من بنى قريظة ، و اذا قتل رجل من بنى النّضير رجلاً من بنى قريظة ادّوا القاتل اليهم ليركبوه على جمل و يولّى وجهه الى ذنبه ويلطخ وجهه بالحمأة ويدفع نصف الدّية اليهم ، فقتل بعد مقدم النّبىّ (ص) رجل من بنى قريظة رجلاً من بنى النّضير فطلبوا القاتل والدّية على العهد الّذى كان بينهم ، فابى بنو قريظة وقالوا : هذا محمّد (ص) بيننا وبينكم فهلمّوا نتحاكم اليه ، فمشوا الى عبدالله بن ابىّ وكان حليفاً لبنى النّضير وقالوا له : سل محمّداً (ص) ان لا ينقض عهدنا على بنى قريظة ، فذهب عبدالله بن ابىّ اليه وقال له مثل ماقالوا ، فنزل جبرئيل و قال : يحرّفون الكلم الّذى فى التّوراة من بعد مواضعه ، الآية [وَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً] حتّى تقدر على منع فتنته و اصلاحه [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ] من الارجاس الّتى هى سبب الكفر والعقوبة [لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ] بالقتل والاسر والجزية والاجلاء واظهار نفاق المنافق وتفضيحه وخوفهم جميعاً من المؤمنين [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمّٰاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّٰالُونَ لِلسُّحْتِ] تكرار السّماع للكذب لابداء العلّة فى الخزى و العذاب ، و السّحت كلّ حرام من الرّشى فى الحكم وكلّ ما لم يأذن الله فى طريق تحصيله من ثمن الميتة والخمر واجر البغيّة واجر الكهانة واكل مال اليتيم والرّبا بعد البيّنة و فى بعض الاخبار وامّا الرّشى فى الحكم فانّ ذلك الكفر بالله العظيم ، وفى بعض الاخبار من ذلك قبول هديّة على قضاء حاجة اخيه المؤمن ، و فى بعض الاخبار عدّ ما اخذ من حقّ بمحاكمة الطّاغوت سحتاً [فَإِنْ جٰاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ] يعنى اذا جاءك اليهود للمحاكمة فانت مخيّر بين قبول محاكمتهم والاعراض عنهم [وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً] يعنى ان حكمت بينهم فلا يكن محاكمتك عن خوف منهم واستمالة لهم لانّك ان تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً حتّى يكون اقبالك عليهم من خوف ضرر منهم [وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ] يعنى ينبغى ان يكون حكمك بما امرك الله به من القسط لابما هم عليه من الكفر وعدم الحرمة [إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] فى المؤمن والكافر [وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ] يعنى انّهم ان رضوا بحكم الله لايلجأوا الى حكمك لانّهم اهل كتاب الله [وَعِنْدَهُمُ التَّوْرٰاةُ فِيهٰا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] التّحكيم عن حكمك لعدم موافقته لرأيهم وان كان موافقاً لحكمهم، اوثمّ يتولّون عن التّوراة

وعن حكم الله الّذى فيه [وَمَا اُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ] بكتابهم وبكث ، وفيه تعريض بالمنحرفين عن حكمه(ص) فى علىّ (ع) [إِنَّا اَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدىً] يهدى به للحقّ [وَنُورٌ] يكشف به المبهمات ، تعليل لعدم ايمانهم وتعريض بمن يعرض عن القرآن الّذى فيه بيان الحقّ وكشفه من ولاية علىّ(ع) [يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ اَسْلَمُوا] صفة لبيان حالهم وتعريض بانّ من لم يرض بحكم القرآن لم يكن مسلماً منقاداً لله [لِلَّذِينَ هٰادُوا] يحكم بها [الرَّبَّانِيُّونَ] الّذين طلبوا الحقّ بالرّياضات والمجاهدات [وَالْاَحْبٰارُ] الّذين طلبوه بالعلم وطريق البحث [بِمَا اسْتُحْفِظُوا] استحفظه طلب منه حفظ شيء اوجعله حافظا لشيء ، ولفظة ماموصولة اومصدريّة وفيه اشارة الى انّهم كانوا حافظين لكتاب الله من التّغيير اوحافظين له فى صدورهم [مِنْ كِتٰابِ اللّٰهِ] التّدوينىّ اواحكام النّبوّة [وَكٰانُوا عَلَيْهِ شُهَدٰاءَ] يشهدون له على من يغيّره ، وعنهم(ع) فى بيان التّعريض: هذه الآية فينا نزلت، والرّبانيّون الائمّة دون الانبياء الّذين يربّون النّاس بعلمهم ، والاحبارهم العلماء يعنى انّ المقصود التّعريض بامّة محمّد(ص) وانزال القرآن وانّ الحاكم به هم الائمّة(ع) ومشايخهم الّذين اجازوا لهم الحكم به [فَلاٰ تَخْشَوُا النّٰاسَ] فى حكوماتكم ولاتعرضوا عمّا قرّرناه من الاحكام، والخطاب لمحمّد(ص) ولمّا كان التّعريض بأمّته جمع أمّته معه فى الخطاب [وَاخْشَوْنِ] فانّى احقّ بالخشية [وَلاٰ تَشْتَرُوا بِآيٰاتِى] التّدوينيّة بان تغيّروها وتبدّلوها ، ولا بآياتى التّكوينيّة من النّبىّ(ص) وقوله (ص) ومن الائمّة الهداة [ثَمَناً قَلِيلاً] من الاعراض الدّنيويّة و اغراضها ، وقد مضى فى اوّل البقرة فى نظير الآية تفصيل تامّ لاشتراء الثّمن القليل بالآيات [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْكٰافِرُونَ] اعلم، انّ الآيات الثّلاثة مذكورة ههنا بهذه الصّورة من ترتّب الكفروالظّلم والفسق على عدم الحكم بما انزل الله ، ويلزم منه ان يكون كلّ فرد من افراد الانسان حاكماً بما انزل الله تعالى حتّى لا يكون داخلاً تحت الآيات ، والحال انّ اكثرهم لايعلمون حكم الله وليس كلّ من يعلم حكم الله يؤذن له فى الحكم بين النّاس ، ولذلك فسّروه بمن يحكم بغير ماانزل الله وهواخصّ من الاوّل ، لانّ عدم الحكم بما انزل الله امّا بان لايحكم اصلاً اوبان يحكم بغير ماانزل الله **والتّحقيق فى هذا المقام ان يقال :** انّ ما انزل الله غير مختصّ بالتّدوينىّ بل هو اعمّ من التّدوينىّ الّذى اتى به الانبياء(ع) مسطوراً فى الصّحائف و الالواح و من التّكوينىّ فى العالم الكبير من النّبوّات و احكامها الّتى نزلت من مقام الرّوح الى قلوب الانبياء (ع) ومنها الى صدورهم ، ومنها الى الخلق من السّياسات و العبادات القالبيّة ، و من التّكوينىّ فى العالم الصّغير من الاحكام العقليّة النّازلة من مقام العقل اوانّ البلوغ الى صدور الخلق فكلّ انسان له زاجراً آلهىّ وشيطان يغويه وكلّ انسان له الحكومة لامحالة، امّا فى وجوده وعالمه الصّغير لانّه لامحالة لايخلو عن حركة وسكون ولو فى الاكل والشّرب وسائر الضّروريّات، وان كان له عيال ودار ففى اهل داره ايضاً وان كان له خدم وحشم واموال ففيها ايضاً، ولابدّ لحركته وسكونه الاختياريّين من محرّك وباعث فالباعث ان كان الهيّاً فهو حاكم فى حركته وسكونه بما انزل الله من حكم العقل على صدره ، وان كان شيطانيّاً فهوحاكم بغير ما انزل الله وهذا الحاكم بين الخلق ان كان الباعث له على الحكومة آلهيّاً كان حاكماً بما انزل الله ، و ان كان شيطانيّاً كان حاكماً بغير ما انزل الله ولم يحكم بما انزل الله ، و ان كان صورة الحكم صورة ما انزل الله فانّه اذا حكم من لم يكن مأذوناً من الله بلاواسطة كالانبياء (ع) او بالواسطة كأوصيائهم(ع) وكان حكمه بصورة

ما انزل الله فی التّدوین او فی النّبوّات کان حکمه بغیر ما انزل الله وکان طاغوتاً ، وما ورد فی الاخبار من انّ هذا مجلس لایجلس فیه الّا نبیٌّ اووصیٌّ اوشقیٌّ؛ یدلّ علی هذا ، لانّ من جلس بغیر الوصایة لم یکن جلوسه وحکمه بما أنزل الله بل بغیر ما أنزل الله وبحکم الشّیطان ولذلک علّق الشّفاعة الّتی هی والحکومة توأمان علی الاذن فی عدّة من الآیات . و ممّا ذکرنا ظهر انّ عدم الحکم بما أنزل الله لازمٌ مساوٍ للحکم بغیر ما أنزل الله لا انّه أعمّ منه لانّ الانسان لایخلو من حکومة ما ، ومن لم یکن خالیاً من الحکومة فکلّما لم یحکم بما أنزل الله کان حاکماً بغیر ما أنزل الله لما عرفت من التّلازم فصحّ ماورد من تفسیره فی الاخبار بالحکم بغیرما أنزل الله؛ روی عن امیرالمؤمنین (ع) انّ الحکم حکمان؛ حکم الله وحکم الجاهلیّة فمن أخطأ حکم الله حکم بحکم الجاهلیّة وهودلیل علی ما قلنا [وَ کَتَبْنٰا عَلَیْهِمْ فِیهٰا] ای فی التّوراة وهو تقریر لعدم رضاهم بحکم الله وانّهم رضوا بمحمّد(ص) لیفرّوا من حکم التّوراة [اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ] مجمل محتاج الی البیان یعنی نفس المرء بالمرء والعبد بالعبد والانثی بالانثی اوکان حکم التّوراة عاماً [وَالْعَیْنَ بِالْعَیْنِ وَالْاَنْفَ بِالْاَنْفِ وَالْاُذُنَ بِالْاُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصٰاصٌ] ذات قصاص و الفقرات محتاجة الی تقدیر آخر ایضاً و هو انّ النّفس تقتل بالنّفس والعین تفقأ بالعین وهکذا [فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ] ای بالقصاص ای عفا عنه [فَهُوَ کَفّٰارَةٌ لَهُ] من ذنوبه [وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰئِکَ هُمُ الظّٰالِمُونَ] کرّره ثلاث مرّات لکمال الاهتمام به ، لانّه کما علمت معیار تمام الحرکات والسّکنات ومصحّح العبادات والسّیاسات وبه قوام المعاش والمعاد، ولانّ الاوّل ناظر الی امّة محمّد (ص) لانّ الخطاب فی قوله فلا تخشوا النّاس (الی آخره) کان لهم والثّانی ناظر الی احکام التّوراة واهلها ، والثّالث ناظر الی احکام الانجیل واهلها [وَقَفَّیْنٰا عَلٰی اٰثٰارِهِمْ] ای آثار النّبیّین والرّبانیّین والاحبار الّذین کانوا یحکمون بالتّوراة [بِعِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْرٰیةِ وَ اٰتَیْنٰاهُ الْاِنْجِیلَ فِیهِ هُدیً وَ نُورٌ وَمُصَدِّقاً] عطف علی جملة فیه هدی و نور لانّها حال و منصوب محلّاً و کرّره لانّ الاوّل حال من عیسی (ع) و الثّانی من الانجیل [لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ التَّوْرٰیةِ وَهُدیً] کرّره لانّ الاوّل باعتبار اجزائه وهذا باعتبار المجموع ، وایضاً الاوّل وصف باعتبار معانیه والثّانی للفظه وان کان باعتبار المعانی و التّأکید مطلوب ایضاً [وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِینَ] لانّ الوعظ اضافة بین الواعظ و المتّعظ و من لم یتّعظ لم یکن الوعظ وعظاً له ، والمتّقون هم الّذین یکون الوعظ وعظاً لهم [وَلْیَحْکُمْ] قرئ بالامر و بکسر اللّام وفتح المیم [اَهْلُ الْاِنْجِیلِ بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ فِیهِ وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰئِکَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ] وصفهم بالکفر تارة وهو عدم الاقرار بالله اوبدینه، وبالظّلم اخری وهو اعطاء الحقّ لغیر المستحقّ ومنع الحقّ عن المستحقّ، وبالفسق اخری وهو الخروج عن طریق الشّرع والعقل لاتّصافهم بالاوصاف الثّلاثة ولتفضیحهم غایة التّفضیح ولانّ الاوّل بالنّسبة الی امّة محمّد(ص) ولمّا کان رسالته وکتابه واحکامه اشرف سمّی المنحرف عن احکامه ، والحاکم بغیرها کافراً اشعاراً بانّ المنحرف عن احکامه لشرافتها اسوء حالاً من الکلّ و الثّانی بالنّسبة الی الیهود ، ولمّا کان الکثرة فیهم غالبة کان الظّلم و هو الاضافة الی الغیر فیهم اظهر والثّالث بالنّسبة الی النّصاری ولمّا کان الوحدة فیهم اظهر کان الخروج عن طریق الوحدة وهو الفسق انسب بحالهم

واعلم، انّه ليس المراد بالحكم بالتّوراة والحكم بالانجيل الحكم فى مطلق السّياسات و العبادات فانّهما منسوختان بمحمّد (ص) وكتابه، بل المقصود الحكم بهما باعتبار ما ثبت فيهما من بعثة النّبىّ (ص) وآثاره وعلاماته، والمقصود الاهمّ التّعريض بالامّة فى الحكم بالقرآن فى خلافة علىّ (ع) فلاتغفل [وَاَنْزَلْنا اِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ اومتلبّساً بالحقّ اومع الحقّ، وقدسبق انّ الحقّ فى امثال المقام هوالولاية الكبرى [مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ] من جنس الكتب المنزلة والنّبوّات الماضية [وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ] رقيباً على ذلك الكتاب بحفظه عن التّغيير واظهارماكتموه منه وتصديقه وتصديق النّبوّات الماضية، والمهيمن من اسمائه تعالى بمعنى الرّقيب والحافظ و المؤتمن و الامين و الشّاهد [فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ] بين امّتك او بين اهل الكتاب ان اخترت الحكم بينهم والمقصود التّعريض بالامّة وحكمهم [بِما اَنْزَلَ اللّهُ] فى علىّ (ع) [وَلا تَتَّبِعْ اَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ] وهو الكتاب والنّبوّة فانّهما صورتا الحقّ الّذى هو الولاية [لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً] اى لكلّ فرقة وامّة منكم جعلنا شريعة بحسب القالب و تأخير منكم للاشارة الى انّ الشّرعة الخاصّة بكلّ امّة انّما نشأت من اختلاف استعدادهم [وَمِنْهاجاً] طريقاً واضحاً بحسب القلب، و الشّرعة الطّريقة الى الماء الّتى يرد عليها جميع الخلق بالسّويّة والاحكام القالبيّة فى كلّ امّة وشريعة طريقة الى ماء الحيوة و يستوى فيها جميع الامّة، و المنهاج من نهج الامر اذا وضح و المراد الطّريق الواضح من القلب الى الحقّ وهو بمنزلة التّعليل لسابقه يعنى لاتتجاوز عن شرعتك الخاصّة بواسطة شرائعهم، فانّ شرائعهم كانت خاصّة بهم ولك شرعة خاصّة بك [وَلَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً واحِدَةً] متّفقة على طريقة واحدة من غير نسخ شريعة و تجديد اخرى [وَلكِنْ] جعلكم امماً مختلفة [لِيَبْلُوَكُمْ فِيما آتيكُمْ] من الشّرائع الجديدة لانّ قبول المألوف المعتاد اسهل على النّفس ولايظهر صدق الايمان به بخلاف غير المألوف، فانّ قبوله لايكون الّا عن صدق الايمان بمن اتى به [فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ] يعنى اذا علمتم انّ الاختلاف امتحان لكم فاستبقوا الخيرات الّتى هى ما أمر الله به على لسان نبيّه (ص) لاالعادات الّتى اخذتموها من اسلافكم، يعنى خذوا الخيرات سابقين على نفوسكم فانّها تأمركم بالعادات اوسابقين على اقرانكم حيازة لقصب السّبق [اِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً] السّابق واللّاحق و الآخذ بالامر والآخذ بالعادة وهوتعليل لقوله فاستبقوا و وعد و وعيد للفريقين [فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ] من الحقّ والباطل و الامر والعادة وهذا ايضاً تعريض بالولاية واختلافهم فيها بعد الرّسول (ص) [وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما اَنْزَلَ اللّهُ] قيل عطف على الكتاب او على الحقّ بجعل ان مصدريّة ودخول ان المصدريّة على الامر نادر وغير فصيح، بل هى فى الاغلب تكون مفسّرة اذا وقع بعد ما فيه معنى القول والعطف على المعنى كثير شائع فى كلام الفصحاء، فهو امّا عطف على مصدّقاً باعتبار المعنى اى انزلنا عليك الكتاب ان صدّق لما بين يديك وان احكم فيكون تفسيراً للانزال الّذى فيه معنى القول فانّ الانزال اذا نسب الى اللّفظ كان فى معنى القول، ويحتمل ان يكون بتقدير امرنا عطفاً على انزلنا ويكون ان تفسيريّة ايضاً وتكرار الامر بالحكم بما انزل الله للتّأكيد، او لكون احدهما فى زنا المحصنين والآخر فى قتل وقع بينهم، كما روى عن الباقر (ع) انّما كرّر الامر بالحكم بينهم لانّهما حكمان امر بهما جميعاً لانّهم احتكموا اليه فى زنا المحصنين

ثمّ احتكموا اليه فى قتلٍ كان بينهم [وَلَاتَتَّبِعْ اَهْوٰاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ] يصرفوك [عَنْ بَعْضِ مٰاأَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ اَنَّمٰايُرِيدُاللّٰهُ اَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ] يعنى فاعلم انّ لهم ذنوباً كثيرةً و الاقبال عليك مسقط لعقوبتها و التّولّى عنك دليل على ارادة الله لعقوبتهم ببعضٍ منها [وَ اِنَّ كَثِيراًمِنَ النّٰاسِ لَفٰاسِقُونَ] خارجون عن طريق الحقّ وهوتعريض بالامّة حيث تولّوا عنه فى امره بولاية علىّ (ع) ان كان نزوله فى اهل الكتاب وتسلية للرّسول (ص) بان لايعظّم تولّيهم ولايحزن عليهم لتولّيهم [اَفَحُكْمَ الْجٰاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ] وهذا مؤيّد لوجه التّعريض ، فانّ توبيخ الامّة بعد تصديق الرّسول(ص)على طلب حكم الجاهليّة له موقع دون توبيخ غيرالمصدّقين [وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْماًلِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] اللّام لام اختصاص والظّرف متعلّق بحكماً اوبأحسن ، والاستفهام للانكار يعنى لا احسن من الله حكماً لقوم يوقنون و المقصود انّ الله احسن حكماً فانّه وان كان بحسب المفهوم اعمّ ، لكن استعماله فى مثل هذا المقام لاثبات الاحسنيّة للمفضّل عليه و نفيها من غيره و التّعبير عنه بحيث يظهر تعلّق اللّام هكذا الله يحسن حكومته لقوم يوقنون اشدّ حسن ، اوحكومةالله تحسن لقوم يوقنون ، وتخصيص احسنيّة الحكومة بالموقنين لظهورهاعليهم ولموافقتها لهم دون غيرهم من اصحاب الاهواء والظّنون، وقيل: اللّام بمعنى عند ويكون حينئذٍ متعلّقاً بأحسن، وقيل: اللّام للبيان اى لبيان متعلّق الاستفهام اى هذاالاستفهام لقوم لايوقنون [يٰااَيُّهَاالَّذِينَ اٰمَنُوالَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَوَالنَّصٰارٰى اَوْلِيٰاءَ] احبّاء تعاشرونهم معاشرة الاحباب وتتوقّعون منهم النّصرة فى البلايا [بَعْضُهُمْ اَوْلِيٰاءُبَعْضٍ] فلا تتوقّعوا منهم الولاية فانّهم لكونهم على دينٍ واحدٍ متوادّون وان كانوا متنازعين من جهةٍ اخرى [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ] لانّ التّولّى والتّودّد لا يكون الّا من سنخيّة بين المتوادّين والسّنخيّة تقتضى الدّخول فى الاسناخ ، عن الصّادق(ع) من تولّى آل محمّد(ص)وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله (ص) فهو من آل محمّد (ص) بمنزلة آل محمّد (ص) لانّه من القوم باعيانهم وانّما هو منهم بتولّيه اليهم و اتّباعه ايّاهم وكذلك حكم الله فى كتابه ومن يتولّهم منكم فانّه منهم، وقول ابراهيم (ع) فمن تبعنى فانّه منّى [اِنَّ اللّٰهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ] يعنى لاتتّخذوا منهم اولياء لانّهم ظالمون بعدم قبول الاسلام وانّ الله لايهدى القوم الظّالمين ، اولاتتّخذوا منهم اولياء فتصيروا ظالمين بتولّيهم وعدم تولّى المؤمنين فلا يهديكم الله الى الحقّ لانّ الله لايهدى القوم الظّالمين [فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] كابن ابىّ واضرابه [يُسٰارِعُونَ فِيهِمْ] فى موالاتهم [يَقُولُونَ نَخْشٰى اَنْ تُصِيبَنٰادٰائِرَةٌ] اعتذار من تودّدهم ، والدّائرة عبارة عن نوائب الدّهر تدور على الخلق ، روى ان عبادة بن الصّامت قال لرسول الله(ص): انّ لى موالى من اليهود كثيراً عددهم وانّى ابرء الى الله ورسوله(ص) من ولايتهم واوالى الله ورسوله(ص)فقال ابن ابىّ: انّى رجلٌ اخاف الدّوائر لاابرء من ولاية موالىّ فنزلت [فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ] لرسوله(ص) و للمؤمنين [اَوْاَمْرٍمِنْ عِنْدِهِ] دون الفتح من غنيمة او اهلاك عدوّ او اهلاك القائلين يكون فيه اعزاز المؤمنين ويظهر به ذلّة الكافرين والموالين لهم [فَيُصْبِحُوا] اى هؤلاء المنافقون فى الدّنيا اوفى الآخره [عَلٰى مٰااَسَرُّوا

فِي أَنْفُسِهِمْ] من نفاق المؤمنين و موالاة الكافرين [نَادِمِينَ] ورد في الاخبار انّ تأويله في بني اميّه فنقول ان كان نزوله في عبدالله بن ابيّ واصحابه فالتّعريض بمخالفي عليّ(ع) و يجرى في كلّ من خالف الائمّة (ع) ومنهم بنواميّة الى ظهور القائم عجّل الله فرجه [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا] في الدّنيا بعد انقلاب الامر على الكفّار او على المنافقين بعد مارأوا المنافقين في زمرة الكافرين او في الآخرة بعد مارأوهم في طريق الكافرين ، وقرئ بنصب يقول عطفاً على يأتي او يصبحوا [أَهٰؤُلَاءِ] اشارة الى المنافقين يعني يقول المؤمنون في حقّ المنافقين بعد مارأوهم في زمرة الكافرين ورأوا حسن حال المؤمنين تبجّحاً وسروراً بماللمؤمنين اهؤلاء [الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] اغلظ ايمانهم [إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ] فيه معنى التّعجّب [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ] فلن يضرّدين الله شيئاً [فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] والمقصود الارتداد عن قول محمّد(ص) في ولاية عليّ(ع) والمراد بقوم يحبّهم اصحاب عليّ(ع) فانّ هذا الوصف لهم مأخوذ من سيّدهم عليّ(ع) لقول النّبيّ(ص) في خيبر: لاعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، ولاخلاف انّ الرّجل كان عليّاً(ع) ولمّا كانت الآية جارية الى يوم القيامة فكلّ من اصحاب الائمّة(ع) داخل تحتها الى المهديّ عجّل الله فرجه، وقد فسّرت بعليّ(ع) واصحابه وباصحاب عليّ(ع) وقال عليّ(ع) يوم الجمل : والله ما قوتل اهل هذه الآية حتّى اليوم ، وعن الصّادق(ع) : هم امير المؤمنين واصحابه حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] من الذّلّ بالكسر بمعنى اللّين اومن الذّلّ بالضمّ بمعنى الهوان بمعنى انّهم يعدّون انفسهم اذلّاء عندالمؤمنين بتحقير انفسهم وتبجيل المؤمنين لانّ المؤمنين يعدّونهم اذلّاء [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ] غلاظ شداد والمقصود انّهم ذومناعة وعزّة على الكافرين لا يعدّونهم في شيء [يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] لا في سبيل النّفس و الشّيطان [وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ] فيما يفعلون بأمر الله يعني انّهم ناظرون الى أمر الله لاالى مدح مادح ولوم لائم [ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة غاية تعظيم لما ذكر لهم من الصّفات وكذا اضافة الفضل الى الله [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] قد ورد من طريق العامّة والخاصّة انّ الآية نازلة في عليّ(ع) حين تصدّق في المسجد في ركوع الصّلوة بخاتمه او بحلّته الّتي كان قيمتها الف دينار ، و مفسّروا العامّة لا ينكرون الاخبار في كونها نازلة في امير المؤمنين (ع) وقد نقلوا بطرق عديدة من رواتهم انّها نزلت في عليّ (ع) و مع ذلك يقولون في تفسيرها انّ الآية لمّا نزلت بعد النّهي عن اتّخاذ اهل الكتاب اولياء ، ولاشكّ انّ المراد بالاولياء هناك اولياء المعاشرة لااولياء التّصرّف كان المراد بالاولياء ههنا ايضاً اولياء المعاشرة بقرينة المقابلة وبقرينة جمع المؤمنين ، ولو كان المراد امير المؤمنين (ع) وبالولاية ولاية التّصرّف، لصرّح باسمه اولقال والّذي آمن بالافراد ؛ وهم غافلون عن انّه لوصرّح باسمه اوافرد المؤمن مع الاتّفاق في انّها نازلة في امير المؤمنين(ع) لأسقطوه تمويهاً على مخالفي عليّ(ع) فنقول : نسبة الولاية اوّلاً الى الله ثمّ الى رسوله(ص) ثمّ الى الّذين آمنوا تدلّ على انّ المراد بالولايه ولاية التّصرّف الّتي في قوله تعالى : النّبيّ اولى بالمؤمنين من انفسهم لانّ ولاية الله ليست ولاية المعاشرة

ولا ولاية الرّسول (ص) بقرينة العطف وبما هومعلوم من الخارج ، فكذلك ولاية الّذين آمنوا بقرينة العطف وبقرينةعدمتكرارالولىّ، فانّ المراد انّ الولاية ههناامرواحد مترتّب فىالظّهور، فانّ ولاية الرّسول(ص)ليست شيئاً سوى ولاية الله وولاية الله تتحقّق بولاية الرّسول(ص) فهكذا ولاية الّذين آمنوا فانّها ولاية الرّسول(ص) تظهر فى ولاية الّذين آمنوا على ماقاله الّشيعة ، ولوكان المراد ولاية المعاشرة كان اولياؤكم بلفظ الجمع اولى، وتقييد الّذين آمنوا باقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة فى حال الرّكوع يدلّ على انّها ليست ولاية المعاشرة والّا لكان جملة المؤمنين فيهاسواءً، وليس كذلك المؤمنين متّصفين بالصّفات المذكورة على انّه لاخلاف معتدّاً به فى انّها نزلت فىعلىّ(ع)وصورة الاوصاف خاصّة به ، وقوله الّذين يقيمون الصّلوة بالمضارع اشارة الى انّ هذا الوصف مستمرّ لهم يعنى حالهم استمرار اقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة فى حال الخضوع لله لا فى حال بهجةالنّفس، لانّهم يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة انّهم الى ربّهم راجعون ، بخلاف الفاعل من قبلالنّفسفانّ شأنه الارتضاء بفعله وتوقّع المدح منالغيرعلىفعله ، لانّ كلّ حزب من احزاب النّفس بمالديهمفرحون ويحبّون ان يحمدوا علىمالميفعلوا فضلاً عمّا فعلوا ، واستمرارالصّفات بحسبالمعنىلعلىّ(ع)واولادهالمعصومين(ع) بشهادة اعدائهم و بحسب الصّورة ماكان احد مصداقها الّا علىّ (ع) نقلا عن طريق العامّة و الخاصّة وقد وقع صدور الزّكوة فى الرّكوع من كلّ من الائمّة(ع) كما ورد عن طريق الخاصّة ، وفىنسبة الولاية الى الله دون المخاطبين والاتيان باداةالحصردلالة تامّة على انّ المراد بهاولاية التّصرّف فانّهاامرثابتةلله ذاتاً ولرسوله(ص) ولخلفاء رسوله (ص) باعتباركونهما مظهرين لله وليس لاحد شراكة فيها وليس المراد بها ولاية المعاشرة الّتى تكونبالمواضعة والاتّخاذ ، والّا لميكنللحصروجه وكاناقتضاء المقابلة ان يقول بلانتماولياءالله(الىآخرها) او بل اتّخذوا الله ورسوله والمؤمنين اولياء ولانّ المرادبهاولاية التّصرّف الّتىكانت بالّذات لله قال فىعكسه [وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا] اشعاراً بانّ الولاية السّابقة هى ولاية التّصرّف و ليست لغيرالله وخلفائه الّا قبولها ومن قبلها منهم باستعداده لظهورها فيه صار مرتبطاً بالله وخلفائه ، ومن صار مرتبطاً بالله صار من حزبالله ، ومنصارمنحزبالله كان غالباً [فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ] ولوكان المراد بهاولاية المعاشرة لكانالاولى ان يقول ومن يتّخذالله اومنصارولياً لله، والحاصل انّ فىلفظ الآية دلالات واضحة على انّ المراد بالولاية ولاية التّصرّف وانّها بعد الرّسول (ص) ليست لجملة المؤمنين بل لمن اتّصف بصفات خاصّة كائناً من كان متعدّداً او منفرداً سواء قلنا نزلت فىعلىّ (ع) او لم نقل ، لكن باتّفاق الفريقين لم توجد الاوصاف الّا فيه(ع) ونزلت الآية فى حقّه(ع) والمراد بالّذين آمنوا ههنا هم الموصوفون فى الآية السّابقة لما تقرّرعندهم انّ المعرفة اذا تكرّرت كانت عين الاولى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ] بولاية منامرتم بولايته بقرينةكونها بعد آية ولايةالله و قبول ولايته و التّعليق على هذا الوصف للاشعار بعلّة النّهى [أَوْلِيَاءَ] لانّهم فى شقاق معكم فلا ينبغى لكم تولّيهم [وَاتَّقُوا اللهَ] فى اتّخاذ المذكورين اولياء [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فانّ الايمان يقتضى المجانبةلاالمجانسة معهم [وَإِذَا نَادَيْتُمْ] عطف على قوله اتّخذوا دينكم اوحال [إِلَى الصَّلَوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] فانّ العقل يقتضى تعظيم الحقّ وعباداته لا الاستهزاء بها [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ

تَنْقِمُونَ] تكافئون او تكرهون او تعاقبون [مِنّـآ اِلّاٰ اَنْ آمَنّـا بِاللهِ] المستثنى بتقدير اللّام اوالباء او مفعول به بلاواسطة حرف [وَمآ اُنْزِلَ اِلَيْنا وَمآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ] تعريض بمنافقى الامّة فى النّقمة من علىّ (ع) و اولاده المعصومين (ع) واصحابهم التّابعين لهم [وَاَنَّ اَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ] خارجون عن طريق الحقّ و العقل و هو عطف على ان آمنّا اوعلى الله يعنى الّا لان آمنّا بانّ اكثركم فاسقون [قُلْ هَلْ اُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ] الايمان الّذى تنقمون لاجله او من ذلك الفسق او من ذلك النّقم يعنى ان كان هذا شرّاً باعتقادكم او فى الواقع فهل انبئكم بشرّ منه [مَثُوبَةً] جزاء [عِنْدَاللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ] هو خبر مبتدء محذوف تقديره صاحب ذلك الشّرّ من لعنه الله اوذلك الشّرّ صفة من لعنه الله اوبدل بتقدير مضاف، تقديره بصفة من لعنه الله وهومبتدءٌ وجملة اولئك شرّ مكاناً خبره [وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطّاغُوتَ] فيه قراءات، قرئ فعلاً مبنيّاً الفاعل ومبنيّاً للمفعول بتقدير فيهم وعابدالطّاغوت وعبدةالطّاغوت وعبَد الطّاغوت جمعاً كخدم وعبُد الطّاغوت بضمّ الباء وصفاً ، وعطفه على القراءات واضح و قد مضى تفسير الطّاغوت [اُولٰئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَاَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ] من قبيل اضافة الصّفة الى الموصوف اى السّبيل السّواء غيرمائل الى احد الطّرفين من الافراط والتّفريط للنّصارى واليهود والمراد بالتّفضيل امّاالزيادة مطلقاً لابالاضافة الى المؤمنين اوبالاضافة الى النّاقمين اوالى الفاسقين ، اوالى المؤمنين على اعتقادهم او بالاضافة الى المؤمنين على سبيل التّهكّم بهم [وَاِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنّا] تأديب للمؤمنين بان يراقبوا حالهم وتعريض بالمنافقين من امّة محمّد (ص) [وَقَدْ دَخَلُوا] فى مجلسك او فى دينك [بِالْكُفْرِ] يعنى لم يكن دخولهم خلوصاً من الكفر بل انقياداً لسلطنتك [وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ] من عندك او من دينك من غير تأثير لكلامك فيهم [وَاللهُ اَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ] تهديد لهم [وَتَرىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِى الْاِثْمِ] الذّنب الغير المتعدّى الى الغير [وَالْعُدْوانِ] الاساءة الى الغير فان كان المراد اهل الكتاب فالتّعريض بهم [وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] ذمّ على فعلهم [لَوْلا يَنْهٰيهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَالْاَحْبارُ] قد مضى انّ الاوّل هم المرتاضون والثّانى العلماء [عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ] القول اعمّ من الفعل كما مضى تحقيقه [وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ] والتّعبير ههنا بيصنعون للاشارة الى انّهم ابلغ ذمّاً من السّابقين، لانّهم بجهلهم يعملون وهؤلاء عن علمٍ يتركون لانّ استعمال الصّنع فى الاغلب فيما اذا تمكّن وتعمّل فى العمل، عن ابن عبّاس انّها اشدّ آية فى القرآن [وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُاللهِ مَغْلُولَةٌ] غلّ اليد كناية عن الامساك والبخل وبسطها كناية عن الجود. **اعلم**، انّ لليهود مذاهب مختلفة وعقائد متشتّة وآراء مبتدعة فمنها اعتقادهم انّ الله جسم وانّه خلق السّماوات و الارض و ما فيها من المواليد فى ستّة ايّام ، وآخر المخلوقات فى اليوم الآخر كان آدم (ع) وخلق له من ضلعه الا يسر حوّاء واسكنه جنّة خلق له فى عدن و منعه من اكل شجرة ، و اكلت حوّاء باغواء الشّيطان والحيّة من تلك الشّجرة وحملت آدم (ع) على الاكل و انّ الله ندم من خلق آدم (ع) وبنى آدم ، وانّ الله فرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السّبت وهومستريح فارغ من الامر، فنقل تعالى قولهم الباطل وردّ عليهم ودعا عليهم بقوله [غُلَّتْ اَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا

بِمٰاقٰالُوابَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشٰاءُ] واليدكما سبق فى امثالها غير مختصّة بالعضو المخصوص الّذى لذوى الحيوة الحيوانيّة ، بل هى اسم لمعنى عامّ له مصاديق كثيرة مترتّبة بعضها فوق بعض ، وهومعنىً مابه التّصرّف بالحركة فى الجذب والدّفع والدّخل والخرج، ومابه القدرة فى الانفاق والامساك والايجاد والاعدام وغير ذلك من لوازم التّصرّف ، وهى فى الحيوان آلة مخصوصة مركّبة من اجسام مختلفة، وفى الانسان الملكىّ آلة اخرى و فى الانسان الملكوتىّ ايضاً آلة محسوسة غير ماللانسان الملكىّ ، وفى الجبروتىّ ليست آلة محسوسة بل امرمعقول مجرّد عن المادّة ولوازم المادّة وعن التّقدّر والتّشكّل، والحقّ تعالى شأنه لمّاكان احدىّ الذّات لاكثرة لذاته بوجه من وجوه الكثرة ولاتركيب فيه بوجه من وجوه التّركيب، بل انيّته وجود صرف محيط بكلّ الكثرات بحيث لايشذّ عن وجوده شيء منها والّا كان محدوداً مركّباً، فهو بذاته الاحديّة مصداق لجميع الاسماء والصّفات المتقابلة بحيث لايلزم منه تكثير ولاتركيب ولا تحديد ، فانّ من حدّه بشيء فقد عدّه واثبت له ثانياً ، ومن عدّه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، فمن وجوب وجوده يستدلّ على عدم تركّبه ، و منه على عدم تحدّده ، ومنه على احاطته فهو بكلّ شيء محيط . وهذا اتمّ البراهين الّتى اقامها الحكماء على احاطته بل هو اصل للكلّ والكلّ راجع اليه فهو باحديّته مصداق الصّفات الحقيقيّة المحضة ومصداق الصّفات الحقيقيّة ذات الاضافة ، و مصداق الاضافات و السّلوب تماماً فهو الحىّ العليم السّميع البصير المدرك القادر المريد المتكلّم الرّحمن الرّحيم الخالق الرّازق المبدء المعيد المتصرّف الهادى المفضل المضلّ المنتقم السّبّوح القدّوس ، لكن هذه الاسماء غير ظاهرة فى مرتبته الاحديّة فانّها الغيب الّذى لااسم له ولارسم ولاخبر عنه ولااثر بل هى ظاهرة فى مقام المعروفيّة المسمّاة بنفس الرّحمن و الحقيقة المحمّديّة و الاضافة الاشراقيّة و عرش الرّحمن والولاية المطلقة والمشيّة والحقّ المخلوق به وغيرذلك من اسمائها ، سوى الف الف اسم الله تعالى شأنه هى مصداقها فى مقام الظّهور وهى باعتبار نفسها من غير اعتبار حيثيّته وحيثيّة يدالله وباعتبار وجهها الى الله ووجهها الى الخلق ، وباعتبار انضيافها الى الملكوت العليا والسّفلى ، وباعتبار ظهور اللّطف والقهر فيها يدان لله وكلتا يديه يمين وباسط اليدين بالرّحمة فى هذا المقام ، وباعتبار انضيافها الى المهيّات والاعيان الثّابتات تظهر فيها الاسماء المتقابلات من اللّطيف والقاهر و الرّحيم و المنتقم ولكلّ صنف من اسمائه تعالى عالم هو محلّ ظهوره فعالم الارواح والاشباح النّوريّة الّتى هى عالم المثال والفلكيّات تماماً مظاهر اسمائه اللّطفية . والعالم السفلىّ الّذى هو عالم الشّياطين والجنّة ومقرّ الارواح الخبيثة وفيه الجحيم و نيرانها مظاهر اسمائه القهريّة ، وعالم العناصر بمواليدها مظاهر اللّطف والقهر تماماً فأسماءه تعالى اللّطفيّة والقهريّة يداه تعالى وبهذا الاعتبار ايضاً كلتا يديه يمين ومظاهر الاسماء اللّطفيّة من عالم الارواح والسّماوات يمينه ، و السّموات مطويّات بيمينه والطّاوى والمطوىّ باعتبار الظّاهر والمظهر ، والّا فالسّماوات يمين والظّاهر فيه ايضاً يمين والظّاهر السّفلىّ شمال واصحاب اليمين و اصحاب الشّمال اشارة الى اهل هذين العالمين، لكن كونهما يميناً وشمالاً باعتبار هما فى انفسهما لابالاضافة اليه تعالى فانّ كلّاً منهما بالاضافة اليه تعالى يمين، ولذلك لم يرد فى كلامه تعالى شمال الله، بل اصحاب الشّمال و اصحاب المشئمة بدون الاضافة ، ولم يقل تعالى و الارض جميعاً فى شماله مع انّ المناسب فى مقابل و السّموات مطويّات بيمينه ان يقول والارض مقبوضة بشماله بل قال قبضته لا باسم اليمين ولا باسم الشّمال فباضافة العالمين اليه كلتا يديه يمين ايضاً ، واذا اريد بالرّحمة، الرّحمة الرّحمانيّة فهو باسط اليدين بالرّحمة فى هذين العالمين ايضاً، واذا اريد اظهار الاضافة اللازمة لليمين والشّمال يقال يمين العالم وشمال العالم. اذاعلمت

ذلك فاعلم، انّه تعالى قيّوم ومعنى قيّوميّته انّ به تحصّل الاشياء وبقاءها ومعنى به بقاؤها ان لابقاء لها فى انفسها الّا بمبقيها ايّها النّاس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنىّ، مثالها فى بقائها بمبقيها وفنائها فى انفسها ، مثال ضوء الشّمس المنبسط على السّطوح فانّه من حيث اضافته الى السّطوح آناً فاناً فى الفناء بحيث لا يبقى ضوء على سطح آنين ، اذا اردت معرفة ذلك من طريق الحسّ فانظر الى ضوء منبسط على سطح من كوّة يكون بينها وبين ذلك السّطح مسافة بعيدة ، فاذا انسدّ تلك الكوّة فنى ذلك الضوء من السّطح من غير تراخ ولولا فناؤه فى نفسه وبقاؤه بمبقيه الّذى هو الشّمس لبقى آناً مابعد سدّ الكوّة ، واذا كان حال الاشياء بالنّسبة الى الله تعالى حال الضّوء بالنّسبة الى الشّمس فلو لم يجد بافاضة الضّوء الحقيقىّ على سطوح المهيّات آناً ، لفنت الاشياء فهو تعالى ابداً فى الافاضة والخلق والابداء ، فيداه بمعانيهما الّتى عرفت مبسوطتان بالانفاق وكيفيّة انفاقه منوطة بمشيّته فمن قال قد فرغ من الامر جهل الامر وكذب على الله ولعن من باب معرفته وغلّت يداه العلمىّ والعملىّ الى عنقه. هذا فى العالم الكبير وكلّ ما فى العالم الكبير فهو بعينه فى العالم الصّغير من غير تفاوت الّا بالكبر و الصّغر مادام الصّغير صغيراً فالنّفس الامّارة كالعالم السّفلىّ واللّوامة و بدنه كعالم العناصر و المطمئنّة كالسّموات و القلب كالانسان واقع بين السّفلىّ والعلوىّ والرّوح والعقل كعالم الارواح ؛ قلب المؤمن بين اصبعى الرّحمن، اشارة الى السّفل والعلو كاليدين فى الكبير ولكونه صغيراً عبّر عنهما بالاصبعين [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً] اللّام موطّئة ويزيدنّ جواب القسم، والسّرّ فيه انّهم لمّا تمكّنوا فى الكفر فكلّما قرع الحقّ سمعهم ازدادوا تنفّراً و اشمئزازاً منك ومن الحقّ لعدم السنخيّة فازدادوا حنقاً وكفراً [وَاَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ] فى القلوب [وَالْبَغْضَاءَ] فى الافعال لانّ ما به الاتّفاق و المحبّة هو الايمان و التّوجّه الى عالم الوفاق و الودادوهم بريئون منه [اِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا اَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ اَطْفَاَهَا اللهُ] لعدم وفاقهم فأجسادهم عظيمة مجتمعة وقلوبهم ضعيفة شتّى [وَيَسْعَوْنَ فِى الْاَرْضِ فَسَاداً] مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ان كان السّعاية بمعنى الافساد والّا فمفعول له ، وافسادهم فى ارض عالمهم الصّغير بترك اصلاح اهله وصدّهم عن طريق القلب و فى الكبير بصدّ اهله عن طريق الايمان قيل : بافسادهم سلّط الله عليهم بخت نصّر فاستأصلهم ثمّ فطرس الرّومىّ ثمّ المجوس ثمّ المسلمين [وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] فلا قدر لهم عنده [وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا] بنبيّهم وكتابهم [وَاتَّقَوْا] مخالفة كتابهم و مخالفة ما فيه من الاحكام و من وصف محمّد (ص) حتّى يؤمنوا به وهذا و ان كان لاهل الكتاب من اليهود والنّصارى لكنّ التّعريض باهل الكتاب من امّة محمّد (ص) [لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] الّتى لزمت نفوسهم حاصلة من افعال جوارحهم والّتى صارت سبباً لافعال جوارحهم [وَلَاَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ] لانّ الايمان يعدّ لدخول الجنّة والتّقوى لازالة السّيّئات [وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّوْرَيةَ وَالْاِنْجِيلَ] يعنى لو انّ امّة محمّد (ص) اقاموا القرآن لانّه تعريض بهم والمعرّض به هو المقصود فى الكلام ، واقامة الكتاب بالايتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه وحفظ ما نزل فيه [وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ] قد فسّر فى الخبر بالولاية مناسباً للتّعريض و امّا بالنّسبة الى المعرّض عنهم فالمراد سائر ما وصل اليهم من انبيائهم (ع) الآخرين اوما وصّاهم انبياؤهم اواوصياؤهم من المحافظة على الكتابين وحدوده ما [لَاَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ] من الارزاق السّماويّة الاخرويّة الرّوحيّة [وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ]

من الارزاق الارضيّة الدّنيويّة البدنيّة ، اوالمراد بكليهما اكل الرّوح فانّ المؤمن بالبيعة الولويّة وقبول الولاية يفتح له باب القلب ، فاذا انفتح باب القلب فكلّماحصل له من الارزاق النّباتيّة والعلوم الحسيّة والكسبيّة الّتى هى من السّفل وكذا العلوم الحاصلة له بمحض الافاضة الآلهيّة المسمّاة بالعلوم اللّدنيّة تكون غذاء روحه لاغذاء نفسه وشيطانه ، لما مرّ سابقاً انّ اسماء الاشياء اسماء لفعليّاتها الاخيرة ؛ ومن اقام التّوراة والانجيل اقرّ بمحمّد(ص) ومن اقرّ بمحمّد (ص) اقرّ بالولاية ومن اقرّ بالولاية صارفعليّته الاخيرة فعليّة الولاية ، ومن صار فعليّته الاخيرة فعليّة الولايةصارجميع ماحصل لهمن العلوم والاعمال غذاء لفعليّة الولاية [مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ] خارجة عن تفريط اليهود وافراط النّصارى وداخلة فى الطّريق المقتصد المحمّدىّ(ص) [وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سٰاءَ مٰا يَعْمَلُونَ] لخروجهم عن الاقتصار الى احد طرفيه [يٰا اَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مٰا اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] عنهم(ع) كان هناك: فى علىّ ؛ فأسقطوه [وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ] خوفاً من افتتان امّتك وفتنتك بهم [فَمٰا بَلَّغْتَ رِسٰالَتَهُ] لانّ الولاية غاية الرّسالة فان لم تحصل كانت الرّسالة كأن لم تحصل [وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّٰاسِ] فلا يكن خوف فتنتك منهم مانعاً من التّبليغ [اِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ] الى مرادهم من السّوء بك يعنى لايخلّى بينهم وبين مرادهم. هذه الآية وآية اليوم اكملت لكم دينكم قد روى من طريق الخاصّة بطرق كثيرة انّهما فى ولاية علىّ (ع) ونزولهماكان فى حجّة الوداع قبل منصرفه (ص) اوبعده (ص) الى غديرخمّ ، و هذه السّورة بتمام آيها آخر ما نزلت ولم ينزل بعدها شيء من القرآن ، والخطب الّتى خطب النّبىّ(ص) بها فى مكّة ومسجدالخيف وغديرخمّ مذكورة من طريقهم فى المفصّلات من التّفاسير وغيرها ، ومتأخّروا مفسّرى العامّة اكتفوا فى تفسير هذه الآية بظاهر اللّفظ و فسّروها هكذا يا ايّها الرّسول بلّغ جميع ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل اى تبليغ الجميع فمابلّغت شيئاً من رسالته على قراءة رسالته بالافراد اومابلّغت جميع رسالاته على قراءة رسالاته بالجمع، ونزول الآية لوكان فى اوّل التّبليغ كان لهذا التّفسير وجه ، ولمّاكان نزول الآية فى آخر التّبليغ كماعليه الشّيعة اوبعد الهجرة كما عليه الكلّ لم يكن لهذا التّفسير موقع ، لانّه قبل نزول الآية كان قد بلّغ اكثر التّكاليف وبقى بعضها فان كان الباقى مثل ما بلّغ سابقاً من احكام القالب لميكن يخاف من التّبليغ ولايتأمّل فيه حتّى يصير معاتباً بتركه ، لانّه كان قد بلّغ اكثر الاحكام حين الانغمار وغلبة المشركين ولم يخف منهم فكيف يخاف حين ظهور سلطانه وقبول احكامه ، فينبغى ان يكون خوفه من امّته و افتتان اتباعه ولا يكون الّا اذاكان الامر المأمور هو بتبليغه امراً عظيماً ثقيلاً على اسماع الامّة ، حتّى يخاف (ص) من عدم قبولهم وارتدادهم ويخاف على نفسه ايضاً من الاذى والقتل، ويتأمّل فى التّبليغ ويتردّد فيه فيصحّ من الله مجيء العزيمة والامر البتّى[1] فيه والعتاب والتّهديد على تركه ووعد العصمة من النّاس فى تبليغه، ومن انصف من نفسه علم انّ هذا الامر لايكون من جنس الصّوم والصّلوة ولاالحجّ والزّكوة ولاالخمس والجهاد ولاسائر العقود والمعاملات بل امراً خارجاً من جنس تلك الاحكام ولا يتصوّر الّا ان يكون ذلك الامر نصب شخص للامارة عليهم بعده وادخالهم تحت حكمه مع كونه مبغوضاً لهم، وما ادّعى هذا لاحد الّا لعلىّ(ع) وقد قال(ص) باتّفاق الفريقين: من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، و تأويلهم هذا بالمحبّ كما أوّلوه بعيد عن الانصاف غاية البعد ، وكلامنا مع المنصف لا مع المتعصّب المنحرف فانّه لاكلام لنا معه ولاكتاب والله المتفضّل بالتّوفيق والصّواب . **هذا مع قطع النّظر عمّا ثبت** وورد بطريق الخاصّة والعامّة فى حقّه(ع) ممّا يدلّ على استحقاقه(ع) خلافة النّبىّ(ص)

۱- بتّ الامر = امضاه وبتّ النيّة = جزمها .

دون غيره من كونه لم يشرك بالله طرفة عين ولم يعبد وثناً بخلاف غيره و من دعاء الرّسول (ص) له الى الاسلام و تكليفه (ص) البيعة معه واجابته (ع) له (ص) حين كونه (ع) ابن تسع سنين، فانّه ان كان فى ذلك الزّمان مستعدّاً لتعلّق التّكليف به ومستحقّاً لدعوة الرّسول وقابلاً للتّوبة على يده والبيعة معه، كفى به شرفاً لانّه لاخلاف فى انّه اوّل من بايع الرّسول (ص) وانّه كان حين بايع ابن تسع سنين، وان لم يكن اهلاً للدّعوة و البيعة و مع ذلك دعاه محمّد (ص) و بايعه كان مرتكباً للّغو وهو بحكمته الكاملة اجلّ من ان يفعل اللّغو. ومن مبيته على فراش الرّسول (ص) وفداءه بنفسه ليلة المبيت، و من استخلافه له بمكّة فى اهله، و فى ردّ امانات النّاس، ومن حمله الفواطم ومنهنّ فاطمة بنت رسول الله (ص) بعده الى المدينة، ومن كونه بمنزله نفسه (ص) كما سبق فى آية المباهلة، ونقلنا هناك اتّفاق الخاصّة والعامّة على انّه لم يكن معه (ص) حين الخروج الى المباهلة احد من الصّحابة سوى الحسنين و فاطمة و علىّ (ع) و نقلنا هناك عن بعض مفسّريهم و رواتهم انّه قال: لم يكن معه غير هؤلاء، وهو يدلّ على انّه لم يكن اعزّ عليه من هؤلاء؛ والفضل ما شهدت به الاعداء. ومن كونه قتّال ابطال العرب لحماية الدّين و لطاعة سيّد المرسلين (ص) وكفى به فضلاً و شرفاً، حيث بذل نفسه و اهلك انانيّته لامر ربّه واقدم على ما لم يقدم عليه أحد من اقرانه الّذين ارادوا بالدّين وبالبيعة مع سيّد المرسلين (ص) ابقاء انانيّاتهم و جذب الخير لانفسهم. و من قوله (ص) فى حقّه (ع): لا عطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله، و من قوله (ص): انّى تارك فيكم الثّقلين كتاب الله و عترتى اهلبيتى و انّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، ولم يدّع احد من مدّعى الخلافة كونه من اهلبيته ومن عترته، ومن قوله (ص): انا مدينة العلم و علىٌّ بابها، ومن كونه اعلم الصّحابة و أقضاهم و اشجعهم و اغزاهم، ومن رجوع الخلفاء اليه فى معضلاتهم وقولهم: قضيّةٌ ولا باحسن لها، صار مثلاً بينهم وقد تيمنّت بماذكرت والّا فمناقبه المشهورة المذكورة بين العامّة والخاصّة قد بلغت من الوضوح مبلغ الشّمس فى رابعة النّهار غنيّة عن الوصف والاظهار، ومن الكثرة بحيث ملأت الخافقين لا يمكن احصاؤها مع انّ اعداءه كتموها حسداً وبغياً واحبّاؤه ضنّةً وخوفاً. و قد اغنى ابن ابى الحديد الشّيعة عن ذكر مناقبه بما ذكر فى شرحه لنهج البلاغة، و ان كان مع اطرائه لم يبلغ قطرة من بحار مناقبه و قد ذكر صريحاً وتلويحاً مثالبهم فى ضمن اوصافهم، وكان ابن ابى الحديد من مشايخهم وعلمائهم و ذكر فى شرح نهج البلاغة ما مضمونه: انّ رجلاً من اهل البصرة كان يوم الغدير بمشهد علىّ (ع) وسمع من الرّفضة رفض الخلفاء وبعض الصّحابة وسبّهم ومثالبهم، فرجع الى البصرة ودخل على قاضيها وقال للقاضى رأيت العجب فى مشهد علىّ قال: ما رأيت؟ـ قال: رأيت الشّيعة يسبّون الخلفاء، قال القاضى: هذا ماعلّمهم صاحب القبر، قال: فما لنا نحبّه ونحبّهم؟! فقام القاضى وخرج من الباب الّذى يلى داره وقال: لعن الله الفاعل ابن الفاعلة ان كان يعلم جواب هذى المسئلة، فان كان علىٌّ باقرارهم علّم شيعته سبّ الخلفاء كان مبغضاً لهم فان كنت محبّا له فاقتضاء محبّته ان تبغض الخلفاء و ان كنت محبّاً لهم فاقتضاء محبّتهم ان تبغض عليّاً فما لك تحبّه و تحبّهم، فاخرج من عصبيّتك و انظر الى آثار كبار ملّتك وخذ من دنياك لآخرتك. وللتيمّن بقوله (ص) فى خلافة خليفته (ع) نذكر شطراً من الخطب الّتى خطب بها فى حجّة الوداع، فنقول: نسب الى ابن عبّاس و الثّعلبىّ و غيرهما من العامّة انّهم قالوا: انّ الله امر نبيّه ان ينصب عليّاً علماً للنّاس و يخبرهم بولايته، فتخوّف ان يقولوا حابى ابن عمّه و ان يشقّ ذلك على جماعة من اصحابه، فنزلت هذه الآية فأخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه، وقرأ الآية، ونسب الى الباقر (ع) انّه قال: قد حجّ رسول الله (ص) من المدينة و قد بلّغ جميع الشّرائع قومه غير الحجّ والولاية، فأتاه جبرئيل فقال له يا محمّد

انّ الله عزّوجلّ يقرئك السّلام ويقول لك : انّى لم اقبض نبيّاً من انبيائى ولارسولاً من رسلى الّا بعد اكمال دينى وتأكيد حجّتى ، وقد بقى عليك من ذلك فريضتان ممّا يحتاج ان تبلّغهما قومك فريضة الحجّ وفريضة الولاية و الخلافة من بعدك ، فانّى لم اُخل ارضى من حجّتى ولن اخليها ابداً ، فانّ الله يأمرك ان تبلّغ قومك الحجّ ، تحجّ ويحجّ معك كلّ من استطاع اليه سبيلاً من اهل الحضر والاطراف والاعراب وتعلّمهم من حجّهم مثل ما علّمتهم من صلوتهم وزكوتهم وصيامهم ، وتوقّفهم من ذلك على مثال الّذى اوقفتهم عليه من جميع مابلّغتهم من الشّرائع ، فنادى منادى رسول الله(ص) فى النّاس الا انّ رسول الله(ص) يريد الحجّ وان يعلّمكم من ذلك مثل الّذى علّمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على مااوقفكم عليه من غيره ، فخرج رسول الله(ص) وخرج معه النّاس واصغوا اليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله ، فحجّ بهم و بلغ من حجّ مع رسول الله(ص) من اهل المدينة واهل الاطراف والاعراب سبعين الف انسانٍ اويزيدون، على نحو عدد اصحاب موسى (ع) سبعين الفاً الّذين اخذ عليهم بيعة هارون(ع) فنكثوا واتّبعوا العجل والسّامرىّ، وكذلك رسول الله(ص) اخذ البيعة لعلىّ بن أبى طالب(ع) بالخلافة على عدد اصحاب موسى(ع) فنكثوا البيعة واتّبعوا العجل سنّة بسنّة ومثلاً بمثل، واتّصلت التبلية ما بين مكّة و المدينة فلمّا وقف بالموقف اتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال : يا محمّد ، انّ الله تعالى يقرئك السّلام ويقول لك : انّه قد دنا اجلك ومدّتك، وانا مستقدمك على مالابدّ منه ولاعنه محيص فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك واعمد الى ماعندك من العلم وميراث علوم الانبياء من قبلك، والسّلاح والتّابوت وجميع ماعندك من آيات الانبياء ، فسلّمها الى وصيّك وخليفتك من بعدك حجّتى البالغة على خلقى علىّ بن أبى طالب، فأقمه للنّاس علماً وجدّد عهده و ميثاقه و بيعته و ذكّرهم ما اخذت عليهم من بيعتى و ميثاقى الّذى و اثقتهم به وعهدى الّذى عهدت اليهم من ولاية ولييّ ومولاهم ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ علىّ بن أبى طالبٍ. فانّى لم اقبض نبيّاً من الانبياء الّا من بعد اكمال دينى واتمام نعمتى بولاية اوليائى ومعاداة اعدائى ، وذلك كمال توحيدى ودينى واتمام نعمتى على خلقى باتّباع وليىّ وطاعته ، وذلك انّى لا أترك ارضى بغير قيّمٍ ليكون حجّة لى على خلقى، فاليوم اكملت لكم دينكم (الآية) بولاية وليىّ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنةٍ علىّ عبدى ووصىّ نبيىّ والخليفة من بعده وحجّتى البالغة على خلقى مقرون طاعته بطاعة محمّد نبيىّ و مقرون طاعته مع طاعة محمّد بطاعتى ، من أطاعه فقد اطاعنى ومن عصاه فقد عصانى ، جعلته علماً بينى وبين خلقى من عرفه كان مؤمناً ومن انكره كان كافراً ، ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ، ومن لقينى بولايته دخل الجنّة ، ومن لقينى بعداوته دخل النّار ؛ فأقم يامحمّد عليّاً علماً وخذ عليهم البيعة وجدّد عليهم عهدى وميثاقى لهم الّذى واثقتهم عليه ، فانّى قابضك الىّ ومستقدمك علىّ. فخشى رسول الله(ص) قومه واهل النّفاق والشّقاق ان يتفرّقوا ويرجعوا جاهليّة لما عرف من عداوتهم ، ولما ينطوى عليه انفسهم لعلىّ من البغضة ، وسأل جبرئيل ، ان يسأل ربّه العصمة من النّاس وانتظر ان يأتيه (ص) جبرئيل بالعصمة من النّاس من الله جلّ اسمه فأخّر ذلك الى ان بلغ مسجد الخيف، فأتاه جبرئيل فى مسجد الخيف فأمره ان يعهد عهده ويقيم عليّاً(ع) للنّاس ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله الّذى اراد، حتّى اتى كراع الغميم بين مكّة والمدينة فأتاه جبرئيل وأمره بالّذى اتاه من قبل ولم يأته بالعصمة، فقال (ص) : ياجبرئيل انّى اخشى قومى ان يكذّبونى ولايقبلوا قولى فى علىٍّ ، فرحل فلمّا بلغ غدير خمّ قبل الجحفة بثلاثة اميالٍ اتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النّهار بالزّجر والانتهار والعصمة من النّاس ، يا محمّد ، انّ الله تعالى يقرئك السّلام و يقول لك : ياايّها الرّسول

بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى علىّ و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس، وكان اوائلهم قربت من الجحفة فأمره بان يردّ من تقدّم منهم و يحبس من تأخّر عنهم فى ذلك المكان ليقيم عليّاً للنّاس ويبلّغهم ما انزل الله تعالى فى علىّ وأخبره بانّ الله عزّوجلّ قد عصمه من النّاس ، فأمر رسول الله عند ماجاءته العصمة منادياً ينادى فى النّاس بالصّلوة جامعةً ، ويردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّرفتنحّى عن يمين الطّريق الى جنب مسجد الغدير امره بذلك جبرئيل عن الله عزّ و جلّ ، و فى الموضع سلمان فأمر رسول الله (ص) ان يقمّ ماتحتهنّ وينصب له احجار كهيئة المنبر ليشرف على النّاس، فتراجع النّاس واحتبس اواخرهم فى ذلك المكان لايزالون فقام رسول الله (ص) فوق تلك الاحجار، ثمّ حمدالله تعالى و أثنى عليه بما أثنى (الى ان قال) واومن به وبملائكته وكتبه ورسله ، اسمع أمره وأطيع وابادر الى كلّ مايرضاه و استسلم لقضائه رغبةً فى طاعته وخوفاً من عقوبته، اقرّ له على نفسى بالعبوديّة واشهد له بالرّبوبيّة وأودّى مااوحى الىّ حذراً من ان لاافعل فتحلّ بى منه قارعة لا يدفعها عنّى احدٌ وان عظمت حيلته ، لااله الّا هو لانّه قد أعلمنى انّى ان لم ابلّغ ما أنزل الىّ فما بلّغت رسالته ، فقد ضمن لى تبارك وتعالى العصمة وهو الله الكافى الكريم، فأوحى الىّ بسم الله الرّحمن الرّحيم يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى علىّ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس ؛ معاشر النّاس ، ماقصّرت فى تبليغ ما انزله وانا مبيّن لكم سبب هذه الآية انّ جبرئيل هبط الىّ مراراً ثلاثاً يأمرنى عن السّلام ربّى و هو السّلام ان اقوم فى هذا المشهد ، فأعلم كلّ أبيض وأسود انّ علىّ بن أبى طالب أخى ووصيّى و خليفتى والامام من بعدى الّذى محلّه منّى محلّ هارون من موسى الّا انّه لا نبىّ بعدى وهووليّكم بعدالله و رسوله و قد أنزل الله تعالى علىّ بذلك آيةً من كتابه انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة وهم راكعون ، و علىّ بن أبى طالب أقام الصّلوة و آتى الزّكوة و هو راكع يريدالله عزّوجلّ فى كلّ حال وسألت جبرئيل ان يستعفينى عن تبليغ ذلك اليكم ايّها النّاس، لعلمى بقلّة المتّقين وكثرة المنافقين وادغال الآثمين وحيل المستهزئين بالاسلام ، الّذين وصفهم الله فى كتابه ، بأنّهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ويحسبونه هيّناً هو عندالله عظيم ، وكثرة اذاهم لى غير مرّة حتّى سمّونى اذناً وزعموا انّى كذلك لكثرة ملازمته ايّاى واقبالى عليه ، حتّى انزل الله عزّ و جلّ فى ذلك : و منهم الّذين يؤذون النّبىّ و يقولون هواذن قل اذن على الّذين يزعمون انّه اذن خير لكم (الآية) ولوشئت ان اسمّى بأسمائهم لسمّيت و ان اومى اليهم بأعيانهم لاومأت و ان ادلّ عليهم لدللّت ، و لكنّى والله فى امورهم قد تكرّمت وكلّ ذلك لايرضى الله منّى الّا ان ابلّغ ما انزل الىّ ثمّ تلا : يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى علىّ و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس، فاعلموا ، معاشر النّاس ، انّ الله قد نصبه لكم وليّاً واماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين و الانصار و على التّابعين لهم باحسان و على البادى و الحاضر و على الاعجمىّ و العربىّ والحرّ والمملوك و الصّغير و الكبير وعلى الابيض والاسود وعلى كلّ موجود ماض حكمه جائز قوله نافذ امره ، ملعونٌ من خالفه مرحومٌ من تبعه ، ومن صدّقه فقدغفرالله له ولمن سمع منه واطاع له ، معاشر النّاس انّه آخر مقام اقومه فى هذا المشهد، فاسمعوا واطيعوا وانقادوا لامر ربّكم، فانّ الله عزّوجلّ هو ربّكم ووليّكم و الٰهكم ، ثمّ من دونه رسوله محمّد وليّكم القائم المخاطب لكم ، ثمّ من بعدى علىٌّ وليّكم و امامكم بأمرالله ربّكم ، ثمّ الامامة فى ذرّيّتى من ولده الى يوم القيامة يوم يلقون الله ورسوله ، لاحلال الّا ما أحلّه الله ولاحرام الّا ما حرّمه الله ، عرّفنى الحلال والحرام وانا افضيت بماعلّمنى ربّى من كتابه وحلاله وحرامه اليه .

معاشر النّاس ، ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ وكلّ علمٍ علّمته فقد أحصيته في عليٍّ امام المتّقين ما من علم الّا و قد علّمته عليّاً و هو الامام المبين ، معاشر النّاس ، لا تضلّوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستنكفوا من ولايته فهو الّذي يهدي الى الحقّ و يعمل به و يزهق الباطل و ينهى عنه ولا تأخذه في الله لومة لائم ، انّه اوّل من آمن بالله ورسوله ، والّذي فدى رسول الله بنفسه ، والّذي كان مع رسول الله ولا احد يعبدالله مع رسوله من الرّجال غيره ، معاشر النّاس ، فضّلوه فقد فضّله الله و اقبلوه فقد نصبه الله ، معاشر النّاس ، انّه امام من الله ولن يتوب الله على احدٍ انكر ولايته ولن يغفر الله له حتماً على الله ان يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وان يعذّبه عذاباً نكراً ابد الاباد ودهر الدّهور ، فاحذروا ان تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها النّاس والحجارة أعدّت للكافرين، ايّها النّاس ، بي والله بشّر الاوّلون من النّبيّين والمرسلين وانا خاتم الانبياء والمرسلين والحجّة على جميع - المخلوقين من اهل السّماوات والارضين، فمن شكّ في ذلك فهو كافر كفر الجاهليّة الاولى ومن شكّ في شيءٍ من قولي هذا فقد شكّ في الكلّ منه والشّاكّ في الكلّ فله النّار ، معاشر النّاس ، حباني الله بهذه الفضيلة منّاً منه عليّ واحساناً منه اليّ ، ولا اله الّا هو له الحمد منّي ابد الآبدين ودهر الدّاهرين على كلّ حالٍ ، معاشر النّاس، فضّلوا عليّاً فانّه افضل النّاس بعدي من ذكرٍ و أنثى ، بنا انزل الله الرّزق وبقي الخلق ، ملعونٌ ملعونٌ مغضوبٌ مغضوبٌ من ردّ قولي هذا وان لم يوافقه ، الا انّ جبرئيل خبّرني عن الله تعالى بذلك و يقول : من عادى عليّاً ولم يتولّه فعليه لعنتي وغضبي ، فلتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ واتّقوا الله ان تخالفوه فتزلّ قدم بعد ثبوتها انّ الله خبير بماتعملون ، معاشر النّاس، انّه جنب الله نزل في كتابه : ياحسرتى على مافرّطت الله في جنب الله ، معاشر النّاس، تدبّروا القرآن وافهموا آياته وانظروا الى محكماته ولاتتّبعوا متشابهه فوالله لن يبيّن لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره الّا الّذي انا آخذٌ بيده و مصعده اليّ و شائل بعضده ، و معلّمكم انّ من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه وهو عليّ بن أبي طالبٍ ، اخي ووصيّي ، و موالاته من الله عزّوجلّ انزلها عليّ ، معاشر الناس ، انّ عليّاً والطّيّبين من ولدي هم الثّقل الاصغر والقرآن هو الثّقل الاكبر فكلّ واحد منبيءٌ عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، امناء الله في خلقه و حكّامه في ارضه الا و قد اديّت ، الا و قد بلّغت ، الا وقد أسمعت ، الاوقد أوضحت ، الا وانّ الله عزّوجلّ قال واناقلته عن الله عزّوجلّ ، الا انّه ليس امير المؤمنين غير اخي هذا ولا تحلّ امرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره . ثمّ ضرب بيده الى عضده فرفعه و كان منذ اوّل ما صعد رسول الله شال عليّاً حتّى صار رجله مع ركبة رسول الله ثمّ قال : معاشر النّاس ، هذا عليٌّ اخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على امّتي وعليّ تفسير كتاب الله والدّاعي اليه ، والعامل بما يرضيه ، والمحارب لاعدائه ، و الموالي على طاعته و النّاهي عن معصيته خليفة رسول الله و امير المؤمنين و الامام الهادي و قاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين ، بأمر الله اقول ما يبدّل القول لديّ ، بأمر الله ربّي اقول : اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه، اللّهمّ انّك انزلت عليّ انّ الامامة لعليّ وليّك عندتبياني ذلك ونصبي ايّاه ، بما اكملت لعبادك من دينهم واتممت عليهم نعمتك ورضيت لهم الاسلام ديناً. فقلت : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اللّهمّ انّي اشهدك انّي قد بلّغت، معاشر النّاس ، انّما الله عزّوجلّ أكمل دينكم بامامته فمن لم يأتمّ به و بمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه الى يوم القيامة ، والعرض على الله عزّوجلّ فاولئك الّذين حبطت اعمالهم وفي النّار هم خالدون لايخفّف الله عنهم العذاب ولاهم ينظرون ، معاشر النّاس ، هذا عليٌّ انصركم لي ، و احقّكم بي ، و أقربكم اليّ وأعزّكم عليّ

والله عزّ و جلّ و انا عنه راضيان و ما نزلت آية رضى الّا فيه ، و ما خاطب الله الّذين آمنوا الّا بدء به ، ولا نزلت آية مدح في القرآن الّا فيه ، ولا شهدالله بالجنّة فى هل اتى على الانسان الّا وله ولا انزلها فى سواه ولا مدح بها غيره ، معاشر النّاس ، هو ناصر دين الله ، والمجادل عن رسول الله ، و التّقىّ النّقىّ الهادى المهدىّ نبيّكم خير نبىّ ووصيّكم خير وصىّ ، و بنوه خير الاوصياء ، معاشرالنّاس ، ذرّيّة كلّ نبىّ من صلبه وذرّيّتى من صلب علىّ ، معاشرالنّاس ، انّ ابليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد فلا تحسدوه فتحبط اعمالكم و تزلّ اقدامكم ؛ فانّ آدم اهبط الى الارض بخطيئة واحدة و هو صفوة الله عزّ و جلّ فكيف بكم و أنتم أنتم و منكم أعداء الله ، الا انّه لا يبغض عليّاً الّا شقىّ ولا يتولّى عليّاً الّا تقىّ ولا يؤمن به الّا مؤمن مخلص ، وفى علىّ والله انزل سورة العصر بسم الله الرحمن الرّحيم والعصر الى آخره ، معاشر النّاس قد استشهدت الله و بلّغتكم رسالتى و ما على الرّسول الّا البلاغ المبين ، معاشرالنّاس، اتّقواالله حقّ تقاته فلا تموتنّ الّا و انتم مسلمون ، معاشرالنّاس ، آمنوا بالله و رسوله والنّور الّذى انزل معه من قبل ان نطمس وجوهاً فنردّها على ادبارها ، معاشرالنّاس، النّور من الله عزّوجلّ فىّ ، ثمّ مسلوك فى علىّ، ثمّ فى النّسل منه الى القائم المهدىّ الّذى يأخذ بحقّ الله و بكلّ حقّ ، هو لنا لانّ الله عزّوجلّ قد جعلنا حجّة على المقصّرين و المعاندين و المخالفين و الخائنين و الآثمين والظّالمين من جميع العالمين . معاشر النّاس ، انّى انذركم انّى رسول الله اليكم قد خلت من قبلى الرّسل افان متّ او قتلت انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشّاكرين ، الا و انّ عليّاً الموصوف بالصّبر و الشّكر ثمّ من بعده ولدى من صلبه ، معاشرالنّاس ، لاتمنّوا على الله اسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده انّه لبالمرصاد، معاشر النّاس ، سيكون من بعدى ائمّة يدعون الى النّار ويوم القيامة لاينصرون، معاشر النّاس، انّ الله وانا بريئان منهم، معاشرالنّاس، انّهم واشياعهم واتباعهم وانصارهم فى الدّرك الاسفل من النّار ولبئس مثوى المتكبّرين ، الاانّهم اصحاب الصّحيفة فلينظر أحدكم فى صحيفته (قال : فذهب على النّاس الّا شر ذمة امرالصّحيفة) معاشرالنّاس ، انّى ادعها امامة ووراثة فى عقبى الى يوم القيامة ، وقد بلّغت ما أمرت بتبليغه حجّة على كلّ حاضروغائب وعلى كلّ احد ممّن شهد اولم يشهد ولد اولم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد الى يوم القيامة وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً ، الا لعن الله الغاصبين و المغتصبين و عندها سنفرغ لكم ايّها الثّقلان فيرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ، معاشر النّاس، انّ الله عزّوجلّ لم يكن يذركم على ماانتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب وماكان الله ليطلعكم على الغيب ، معاشرالنّاس ، انّه ما من قرية الّا والله مهلكها بتكذيبها وكذلك يهلك القرى وهى ظالمة كما ذكرالله تعالى، وهذا امامكم ووليّكم وهومواعيدالله والله يصدق ما وعده ، معاشر النّاس، قد ضلّ قبلكم اكثرالاوّلين والله لقد اهلك الاوّلين وهومهلك الآخرين، معاشرالنّاس، انّ الله قدأمرنى و نهانى وقد أمرت عليّاً و نهيته فعلم الامر والنّهى من ربّه عزّوجلّ فاسمعوا لأمره تسلموا ، وأطيعوه تهتدوا ، وانتهوا لنهيه ترشدوا ، وصيروا الى مراده ولايتفرّق بكم السّبل عن سبيله ، اناصراط الله المستقيم الّذى امركم باتّباعه ثمّ علىّ من بعدى ثمّ ولدى من صلبه ائمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون. ثمّ قرأ (ص) الحمدلله ربّ العالمين (الى آخرها) وقال ، فىّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وايّاهم خصّت، اولئك اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الا انّ حزب الله هم الغالبون ، الا انّ اعداء علىّ هم اهل الشّقاق العادون ، و اخوان الشّياطين

الّذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، الا انّ اولياء الله هم المؤمنون الّذين ذكرهم الله فى كتابه فقال عزّوجلّ : لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله،(الى آخرالآية) الا انّ اولياء الله هم الّذين وصفهم الله عزّوجلّ فقال : الّذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الا من وهم مهتدون ، الاانّ اولياءالله هم الّذين يدخلون الجنّة آمنين وتتلقّاهم الملائكة بالتّسليم ان طبتم فادخلوها خالدين، الا انّ اولياء الله هم الّذين قال الله عزّوجلّ: يدخلون الجنّة بغيرحساب ، الا انّ اعداءهم الّذين يصلون سعيراً، الا انّ اعداءهم الّذين يسمعون لجهنّم شهيقاً وهى تفور ولها زفير كلّما دخلت امّة لعنت اختها (الآية) ، الا انّ اعداءهم الّذين قال الله عزّوجلّ كلّما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم (الآية) ، الا انّ اولياءالله هم الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبيرٌ ، معاشرالنّاس، شتّان ما بين السّعيروالجنّة ، عدوّنا من ذمّه الله و لعنه و وليّنا من أحبّه الله و مدحه ، الا وانّى منذرٌ و علىٌّ هادٍ ، معاشرالنّاس ، انّى نبىّ وعلىٌّ وصيىّ الا و انّ خاتم الائمّة منّا القائم المهدىّ ، الا انّه الظّاهر على الدّين ، الا انّه المنتقم من الظّالمين ، الا انّه فاتح الحصون و هادمها ، الا انّه قاتل كلّ قبيلة من اهل الشّرك ، الا انّه مدرك كلّ ثأرٍ لاولياء الله عزّ و جلّ ، الا انّه ناصر دين الله عزّوجلّ ، الا انّه الغرّاف من بحرٍ عميقٍ ، الاانّه يسم كلّ ذى فضل بفضله وكلّ ذى جهل بجهله ، الا انّه خيرةالله ومختاره ، الاانّه وارث كلّ علمٍ والمحيط به ، الاانّه المخبرعن ربّه عزّوجلّ المنبّه بأمرايمانه ، الا انّه الرّشيد السّديد ، الا انّه المفوّض اليه ، الا انّه قد بشّربه من سلف بين يديه ، الاانّه الباقى حجّة ولا حجّة بعده ولا حقّ الّا معه ولانور الّاعنده ، الا انّه لاغالب له ولامنصورعليه ، الا انّه ولىّ الله فى ارضه ، وحكمه فى خلقه ، و امينه فى سرّه وعلانيته . معاشرالنّاس، قد بيّنت لكم وأفهمتكم وهذا علىٌّ يفهمكم بعدى ، الا وانّ عند انقضاء خطبتى ادعوكم الى مصافقتى على بيعته والاقرار به ثمّ مصافقته من بعدى، الا وانّى قدبايعت الله وعلىٌّ قد بايعنى وانا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّوجلّ ، و من نكث فانّما ينكث على نفسه(الآية). معاشرالنّاس، انّ الحجّ والصّفاوالمروةوالعمرة من شعائرالله فمن حجّ البيت اواعتمر (الآية) ،معاشرالنّاس،حجّوا البيت فماورده اهل بيت الّااستغنوا ولاتخلّفوا عنه الّا افتقروا ، معاشر النّاس، ماوقف بالموقف مؤمن الّاغفرالله له ماسلف من ذنبه الى وقته ذلك، فاذا انقضت حجّته استأنف عمله ، معاشرالنّاس، الحجّاج معانون ونفقاتهم مخلفة والله لايضيع اجرالمحسنين ، معاشرالنّاس ، حجّواالبيت بكمال الدّين والتّفقه ولاتنصرفوا عن المشاهد الّا بتوبةٍ واقلاعٍ ، معاشرالنّاس ، اقيموا الصّلوة و آتوا الزّكوة كما أمركم الله عزّوجلّ لئن طال عليكم الامد فقصّرتم او نسيتم فعلىٌّ وليّكم و مبيّن لكم، الّذى نصبه الله عزّوجلّ بعدى ومن خلّفه الله منّى ومنه يخبركم بما تسألون منه و يبيّن لكم ما لا تعلمون ، الا انّ الحلال والحرام اكثر من أحصيهما واعرّفهما ، فآمربالحلال وأنهى عن الحرام فى مقامٍ واحدٍ فأمرت ان أخذ البيعة عليكم والصّفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عزّوجلّ فى علىٍّ اميرالمؤمنين ، والائمّة من بعده الّذين هم منّى ومنه امّة قائمة ومنهم المهدىّ الى يوم القيامة الّذى يقضى بالحقّ ، معاشرالنّاس، وكلّ حلالٍ دللتكم عليه وكلّ حرامٍ نهيتكم عنه فانّى لم ارجع عن ذلك ولم ابدّل ، الا فاذكروا ذلك و احفظوه و تواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه ، الا و انّى اجدّد القول ، الا فأقيموا الصّلوة وآتوا الزّكوة وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، الا وانّ رأس الامربالمعروف ان تنتهوا الى قولى و تبلّغوه من لم يحضره وتأمروه بقبوله و تنهوه عن مخالفته فانّه امر من الله عزّوجلّ و منّى ، ولا امر بمعروف ولانهى عن منكر الّا مع امام ، معاشرالنّاس ، القرآن يعرّفكم انّ الائمّة من بعده ولده وعرّفتكم انّهم منّى ومنه

حيث يقول الله و جعلها كلمة باقية فى عقبه و قلت: لن تضلّوا ما ان تمسّكتم بهما، معاشر النّاس، التّقوى التّقوى احذروا السّاعة كما قال الله تعالى، انّ زلزلة السّاعة شيءٌ عظيم، اذكروا المماة والحساب والموازين والمحاسبة بين يدى ربّ العالمين، والثّواب والعقاب فمن جاء بالحسنة اثيب، ومن جاء بالسيّئة فليس له فى الجنان نصيب، معاشر النّاس، انّكم اكثر من ان تصافقونى بكفٍّ واحدةٍ و امرنى الله عزّوجلّ ان اخذ من السنتكم الاقرار بما عقدت لعليٍّ من امرة المؤمنين و من جاء بعده من الائمّة منّى ومنه على ما أعلمتكم انّ ذرّيّتى من صلبه فقولوا بأجمعكم انّا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلّغت عن ربّنا و ربّك فى امر عليٍّ و امر ولده من صلبه من الائمّة نبايعك على ذلك بقلوبنا و أنفسنا و ألسنتنا و أيدينا، على ذلك نحيى و نموت و نبعث ولا نغيّر ولانبدّل ولانشكّ ولانرتاب ولانرجع عن عهدٍ ولاننقض الميثاق ونطيع الله ونطيعك وعليّاً اميرالمؤمنين وولده الائمّة الّذين ذكرتهم من ذرّيّتك من صلبه بعدالحسن والحسين، الّذين قد عرّفتكم مكانهما منّى ومحلّهما عندى و منزلتهما من ربّى عزّوجلّ، فقد ادّيت ذلك اليكم وانّهما سيّداشباب اهل الجنّة و انّهما الامامان بعد ابيهما علىٌّ و انا ابوهما قبله و قولوا اطعنا الله بذلك و اياك و عليّاً و الحسن و الحسين و الائمّة الّذين ذكرت عهداً و ميثاقاً مأخوذاً لامير المؤمنين من قلوبنا و انفسنا و السنتنا و مصافقة أيدينا من ادركهما و اقرّ بهما بلسانه لانبتغى بذلك بدلاً ولانرى من انفسنا عنه حولاً ابداً، أشهدنا الله وكفى به شهيداً وانت علينا به شهيد، وكلّ من اطاع ممّن ظهرواستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله اكبرمن كلّ شهيدٍ. معاشر النّاس، ماتقولون فانّ الله يعلم كلّ صوت وخافية كلّ نفس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فانّما يضلّ عليها ومن بايع فانّما يبايع الله عزّوجلّ، يدالله فوق ايديهم، معاشر النّاس، فاتّقوا الله و بايعوا عليّاً اميرالمؤمنين والحسن والحسين والائمّة كلمة باقية يهلك الله من غدر و يرحم الله من وفى، ومن نكث فانّما ينكث على نفسه، الآية، معاشر النّاس، قولوا الّذى قلت لكم و سلّموا على عليٍّ بامرة المؤمنين و قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربّنا واليك المصير. و قولوا: الحمدلله الّذى هدانا لهذا و ماكنّا لنهتدى لولا ان هدانا الله، معاشر النّاس، انّ فضائل عليّ بن ابى طالبٍ عندالله عزّ و جلّ و قد انزلها علىّ فى القرآن اكثر من ان احصيها فى مكانٍ واحدٍ فمن أنبأكم بها وعرّفها فصدّقوه، معاشرالنّاس، من يطع الله ورسوله وعليّاً والائمّة الّذين ذكرتهم فقد فازفوزاً مبيناً، معاشر النّاس، السّابقون الى مبايعته و موالاته والتّسليم عليه بامرة المؤمنين اولئك هم الفائزون فى جنّات النّعيم، معاشرالنّاس، قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول فان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعاً فلن يضرّالله شيئاً، اللّهمّ اغفرللمؤمنين والمؤمنات واغضب على الكافرين والكافرات والحمدلله ربّ العالمين. فناداه القوم، نعم سمعنا وأطعنا على أمرالله وأمررسوله بقلوبنا والسنتناوأيدينا وتداكّوا على رسول الله(ص) وعلى علىّ(ع) وصافقوا بأيديهم فكان اوّل من صافق رسول الله(ص) الاوّل والثّانى والثّالث والرّابع والخامس وباقى المهاجرين والانصار وباقى النّاس على طبقاتهم وقدرمنازلهم الى ان صلّيت العشاء والعتمة فى وقتٍ واحدٍ، وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسول الله يقول كلّما بايع قوم: الحمدلله الّذى فضّلنا على جميع العالمين وصارت المصافقة سنّة ورسماً يستعملها من ليس له حقّ فيها [قُلْ يٰاأَهْلَ الْكِتٰابِ لَسْتُمْ عَلٰى شَيْءٍ] من الدّين يعتنى به ويسمّى شيئاً امّا تعريض بالامّة اوخطاب على سبيل العموم لهم ولاهل الكتاب والمقصود خطاب الامّة باقامتهم ماانزل اليهم فى الولاية [حَتّٰى تُقِيمُوا التَّوْرٰيةَ وَالْإِنْجِيلَ] باقامة اوامرهما و نواهيهما [وَمٰاأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] من القرآن

باقامة حدوده ومن جملة حدوده الامر بالولاية وهي العمدة، اوما انزل اليكم من ربكم في الولاية كما في أخبارنا على وجه التّعريض ، ويمكن ان يقال : وما أنزل اليكم من ربّكم على السنة انبيائكم واوصيائهم من اخذ الميثاق وانتظار الفرج بمحمّد(ص) [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] في عليّ او مطلقا لكن يكون المقصود ما انزل في الولاية بنحو التّعريض [طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] فانّهم لانحرافهم عن باب الولاية لم يبق فيهم ما يتأسّف به عليهم ولا يضرّونك ولا عليّاً (ع) ايضاً بانحرافهم حتّى تتأسّف على ذلك [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بمحمّد(ص) بقبول الدّعوة الظّاهرة وبالبيعة العامّة النّبويّة [وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ] عطف على محلّ اسم ان على ضعف اوعلى محلّ ان واسمها [وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ] بقبول الدّعوة الباطنة والبيعة مع عليّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان في قلوبهم ، فانّ به فتح باب القلب ، و بفتحه رفع الخوف و الحزن و الايقان باليوم الآخر ، و به يعمل العمل الصّالح [بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً] الاعمال المرتبطة بالايمان الدّاخل في القلب الّذي هو اصل كلّ صالح ، وغيره بتوسّطه يصير صالحاً [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] لانّ الخوف والحزن من صفات النّفس وهؤلاء قد خرجوا من دار النّفس ودخلوا في حدود دار القلب فتبدّل خوفهم خشية وحزنهم قبضاً ، ولاينا في هذا ماورد كثيراً من نسبة الخوف والحزن الى المؤمن الخاصّ في الآيات والاخبار ، لانّ اطلاق الخوف والحزن على ماللمؤمن الخاصّ انّما هو باعتبار معناهما العامّ وقد عدّ الفرح من جنود العقل والحزن من جنود الجهل ، وماورد من انّ المؤمن خوفه ورجاءه متساويان ككفّتي الميزان فانّما يراد بالخوف معناه الاعمّ ، وورد انّ المراد نفي الخوف والحزن في الآخرة [لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] يعني كما أخذنا ميثاقكم بولاية عليّ (ع) فاحذروا ان تكونوا مثلهم فتكذّبوا فريقاً وتقتلوا فريقاً كما فعلوا بعليّ (ع) والحسن (ع) و الحسين (ع) [وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ] الاتيان بالاستقبال لاستحضار الحال الماضية تفضيحاً لهم باحضار اشنع أحوالهم وللمحافظة على رؤس الآى [وَحَسِبُوا] من تماديهم في الغفلة والاعراض [أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ] عذاب و ابتلاء من الله بسبب هذا التّكذيب و القتل استصغاراً للذّنب العظيم [فَعَمُوا] عن الاعتبار بمن مضى [وَصَمُّوا] عن استماع حكاياتهم وعن استماع الحقّ [ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] بتوبتهم وقبول نصح الانبياء و اوصيائهم [ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا] كرّة اخرى [كَثِيرٌ مِنْهُمْ] بدل بعض من الكلّ [وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] وقد وقع هذا في امّة محمّد(ص) والمقصود بالآية التّعريض بهم، **في الكافي عن الصّادق**(ع) في بيان وجه التّعريض وحسبوا ان لا تكون فتنة قال حيث كان النّبيّ(ص) بين اظهرهم فعموا وصمّوا حيث قبض رسول الله(ص) ثمّ تاب الله عليهم حيث قام امير المؤمنين(ع) ثمّ عموا وصمّوا الى السّاعة، ويمكن بيان التّعريض بوجه آخر وهو ان يقال : حسبوا ان لاتكون فتنة حيث تعاهدوا في مكّة فعموا و صمّوا عن دلائل صدق محمّد(ص) ثمّ تاب الله عليهم حيث بايعوا عليّاً(ع) بالخلافة ثمّ عموا وصمّوا حيث نقضوا بيعته [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ] حيث قالوا بآلهة عيسى (ع) وحصروها فيه امّا بالاتّحاد كما هو زعم بعض اوبالحلول كما هو زعم بعض ، اوبالفناء من نفسه والبقاء بالله وظهور الله فيه كما هو

زعم آخرين، وبطلان الاتّحاد والحلول لمن ذاق من رحيق التّوحيد لايحتاج الى مؤنة فانّهما مستلزمان للاثنينيّة والثّاني للحقّ تعالى وهو محال وقد قيل :

حلول و اتّحاد اينجا محال است كه درو حدت دوئى عين ضلال است

و بطلان الثّالث ايضاً لا يحتاج الى مؤنة باعتبار الحصر و لمّا كان أتباع ملّة النّصارى تفوّهوا بهذا القول من غير تحقيق وتعمّق وذهبوا الى التّجسّم المتوهّم من ظاهره ، حكم تعالى عليهم بالكفر وهذا كما مضى مذهب طائفة منهم تسمّى باليعقوبيّة ، ومضى انّ محقّقيهم قالوا بانّ فيه جوهراً آلهيّاً وجوهراً آدميّاً و ليس ههنا مقام تفصيل هذا المطلب وتحقيقه [وَقَالَ الْمَسِيحُ] الانسب ان يكون الجملة حالاً بتقدير قد ليكون ابلغ فى تفضيحهم وليكون احتجاجاً عليهم بقوله تعالى [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ] يعنى انّى مربوب مثلكم فاعبدوا من هو ربّى كما انّه ربّكم [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ] شيئاً كائناً ماكان وهو مقول قول عيسى (ع) اوابتداء كلام من الله [فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ] لانّه أخطأ طريقها وهو التّوحيد [وَمَأْوَاهُ النَّارُ] لانّ من أخطأ طريق الجنّة سلك طريق النّار لامحالة لعدم الواسطة ولكونه متحرّكاً الى جهة من الجهات وخارجاً من القوى الى الفعليّات [وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بظلمه و بعلّة الحكم فانّ الظّالم كما لايتصوّر له ولىّ يتولّى اموره ويربّيه كذلك لايتصوّر له ناصر ينصره من عذاب الله فانّ النّصير والولىّ هما النّبىّ (ص) والولىّ (ع) وخلفاؤهما، والظّلم عبارة عن الانصراف والاعراض عنهما وعن التّوحيد، والمعرض لايستحقّ القبول لانّه لااكراه فى الدّين ومن لم يكن مقبولاً لم يكن له نصرة ولاولاية، واكتفى بذكر الانصار لانّه اذا لم يكن له ناصر لم يكن له ولىّ بطريق اولى ، اولانّه يستعمل كلّ من النّصير والولىّ فى الاعمّ منهما اذا انفرد، اوهذا كان تعريضاً بمن قال بعد ذلك فى الائمّة (ع) مثل ماقالوه فى المسيح (ع) [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ] اعلم، انّ للنّصارى كاليهود وكالمسلمين مذاهب مختلفة فى فروعهم واصولهم ، فمنهم من قال بالاقانيم الثّلاثة ، الاب والابن و روح القدس ، والاقنوم بمعنى الاصل وهؤلاء معظم النّصارى يقولون : انّ الاله ذات واحدة لاكثرة فيه وانّه تشأّن بشؤن ثلاثة بشأني الابوّة والبنوّة و بشأن روح القدس ، ولاينفصم وحدته بتشأّنه ويمنعون من القول بانّ الالهة ثلاثة وبانّ الله ثالث ثلاثة وقيل بالفارسيّة .

در سه آئينه شاهد ازلى پرتو از روى تابناك افكند
سه نگردد بريشم ار او را پرنيان خوانىو حريروپرند

لكنّ الاتباع لعدم تجاوزهم عن المحسوسات والكثرات اذا تفوّهوا بمثل هذه المقالة لايدركون منها غير الالهة الثّلاثة ، وانّ الله الّذى هو ابٌ باعتقادهم واحد من الثّلاثة ولايدركون منها مايريد منها محقّقوهم من انّه تعالى حقيقة واحدة مقوّمة لكلّ ممكن متجلّية فى كلّ مظهر، واختصاص بعض المظاهر بالمظهريّة انّما هو لشدّة ظهوره تعالى فيه ، وانّ عيسى (ع) وروح القدس لمّا كان كلّ واحد منهما اتمّ مظهر له تعالى وكذا ماسمّى بالاب سمّوهم باسم الاقانيم فردّ الله تعالى عليهم مقالتهم الّتى يلزمها التّحديد والتّشبيه لله تعالى، وماورد فى الآيات والاخبار من انّه تعالى رابع ثلاثة انّما هو للاشارة الى قيّوميّته تعالى لكلّ الاشياء وظهوره بكلّ مظهر ودخوله فى كلّ الاشياء لابالممازجة ولاكدخول شيء فى شيء [وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] هو الحقيقة الغيبيّة الظّاهرة فى كلّ المظاهر [وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ] حتّى يقول الاتباع بتقليد المتبوعين بالالهة الثّلاثة فيكفروا من

حيث لايعلمون [لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] اى الّذين قالوا انّ الله هو المسيح والّذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة [عَذَابٌ أَلِيمٌ] يعنى انّهم بقولهم على الله ما لايجوز فى حقّه ممتازون بالعذاب الاليم ، وامّا رؤساؤهم الّذين ما قالوا على الله ما لا يجوز فى حقّه ولم يكفروا مثل الاتباع من هذه الجهة فلهم عذاب ايضاً بانكارهم نبوّة محمّد(ص) والقاء كلمة لايدرك الاتباع المقصود منها [أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ] بعد ماعلموا انّ هذه الكلمة كفر واغواء للغير [وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] حال للتعليل [مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ] لا آله كما قال الفرقة الاولى ولا واحد الالهة كما قال الفرقة الثّانية [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ] صدقت عن الاعوجاج قولاً وفعلاً وحالاً ، وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه ورسله والدّليل على انّهما ليسا آلهين انّهما [كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ] فيشتركان معكم فى اخسّ احوالكم وهو الاحتياج الى الاكل ، وهو كناية عن الاحتياج الى التخلّى ومن كان محتاجاً مبتلى بأخسّ الاحوال لايصيرا آلهاً فى ارفع المقام [انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ] يعنى انظر الى بياننا العجيب لآيات القرآن فى بيان حال عيسى (ع) وامّه مناسباً لفهمهم وشأنهم بحيث لايمكن لهم انكاره ، اوانظر الى بياننا لآياتنا الّتى منها عيسى (ع) وامّه (ع) بحيث يدركه كلّ احد ولايبقى له ريب [ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] تخليل ثمّ للتّفاوت بين التّعجّبين يعنى انصرافهم عن الحقّ فى عيسى (ع) وامّه (ع) بعد هذا البيان اوبعد ماراٌوا منهم وعلموا هذه الحالة الخسيسة اعجب من كلّ عجيب [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] يعنى المسيح (ع) فانّه بعد ماعلم احتياجه الى اخسّ الاحوال وعدم مالكيّته لدفع ضرّ تلك الحاجة عن نفسه يعلم انّه لم يكن مالكاً للضرّ والنّفع لغيره فلم يكن اهلاً لان يعبد والمقصود التّعريض بالامّة فى طاعة من لايدفع ضرّاً عن نفسه [وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] يعنى والحال انّ سماع الحاجات وقضائها منحصر فيه ليس لغيره [الْعَلِيمُ] والعلم بمقدار الحاجات وكيفيّة دفع المضارّ وجلب المنافع أيضاً منحصر فيه [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ] غلوّاً غير الحقّ وهو القول و الاعتقاد فى الانبياء (ع) زائداً على مرتبة فهمكم اوزائداً على مرتبتهم هذا للمتبوعين [وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ] اى من قبلكم باستبدادهم فى الرّأى من المبتدعين الماضين او الحاضرين و هذا للاتباع المقلّدين [وَأَضَلُّوا كَثِيرًا] باستتباعهم ايّاهم فى رأيهم [وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] السّبيل المستوى الى طرفى الافراط والتّفريط والتّكرار باعتبار انّ الاوّل الضّلال عن احكام النّبوّة القالبيّة والثّانى الضّلال عن احكام الولاية القلبيّة وهذا تعريض بالامّة فى ضلالهم عن احكام محمّد (ص) واقواله وضلالهم عن ولاية علىّ (ع) واتباعه [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ] استيناف واقع موقع التّعليل، فى المجمع عن الباقر (ع): امّا داود (ع) فانّه لعن اهل ايلة لمّا اعتدوا فى سبتهم وكان اعتداؤهم فى زمانه فقال: اللّهمّ البسهم اللّعنة مثل الرّداء على المنكبين و مثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردةً ، وامّا عيسى (ع) فانّه لعن الّذين انزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك فصاروا خنازير [ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] فلاتعصوا انتم ولاتعتدوا واسمعوا يا امّة محمّد (ص) [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ] يعنى لا ينهى بعضهم بعضاً او لايرعوون

وعن علىّ(ع) لمّا وقع التّقصير فى بنى اسرائيل جعل الرّجل يرى اخاه فى الّذنب فينهاه فلاينتهى فلايمنعه ذلك من ان يكون اكيله وجليسه وشريبه حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول جلّ وعزّ: لعن الّذين كفروا (الآية) وفيه دلالة على ذمّ المؤانسة مع اهل المعصية [لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ] من عدم نهى بعضهم بعضاً قولاً وفعلاً وقلباً، اومن عدم ارعوائهم عن الشّرّ [تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] امّا بيان حال الامّة اوبيان حال اهل الكتاب والتّعريض بالامّة والخطاب لمحمّد(ص) اوعامّ [لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ] المخصوص بالذّمّ محذوف اى تولّيهم [أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ] بتقدير اللّام او الباء او هو مخصوص [وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ] بسبب ذلك التّولّى، عن الباقر(ع) يتولّون الملوك الجبّارين ويزيّنون لهم اهواءهم ليصيبوا من دنياهم [وَلَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ] الحاضر اعنى محمّداً(ص) على ان يكون بيان حال الامّة او نبيّهم على ان يكون بيان حال اهل الكتاب لكنّ الاوّل اولى لافراده [وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِ] يعنى فى علىّ(ع) اومطلقاً والمقصود ما انزل فى علىّ (ع) [مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ] لمجانبة الايمان للكفر و التّولّى يقتضى المجانسة [وَلكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ] خارجون عن الحقّ الّذى هو الايمان.

[الجزء السّابع]

[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا] لانّهم لتوغّلهم فى الدّنيا وعدم توجّههم الى الآخرة بسبب بعد زمان نبيّهم واندراس شريعته واستبدال احكامه صارت احوالهم بعيدة عن احوال المؤمنين لتوجّههم الى الآخرة وتلبّسهم الاحكام الشّرعيّة فلم يبق مجانسة بينهما بوجه من الوجوه، والعداوة ناشئة من عدم المجانسة كما انّ المحبّة ناشئة من المجانسة [وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا] وضع الظّاهر موضع المضمر ليكون تصريحاً بانّ ملاك عداوة اولئك ومحبّة هؤلاء هو الايمان لاغير [الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى] لم يقل النّصارى لانّ هذا الاسم لاشتقاقه من النّصرة يدلّ على انّهم انصار الله ولو كانوا انصار الله لكانوا تابعى محمّد(ص) كذا قيل، او لانّ التّنصّر يكون بالتّديّن بدين عيسى(ع) على شرائطها من البيعة مع خلفائه واخذ الميثاق منهم وهؤلاء انتحلوا التّنصّر كانتحال التّشيّع لاكثر الشّيعة من غير القائلين بالائمّة الاثنى عشر، وامّا اسم اليهود فانّه يطلق عليهم لكونهم من نسل يهودا بن يعقوب اومن اتباع اولاده الّذين فيهم النّبوّة وان كان اتّفق تديّنهم بدين موسى(ع) [ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ] العلماء الّذين يأمرونهم بأحكام الانجيل من العقائد والاحكام الفرعيه [وَرُهْباناً] الزّهّاد الّذين تركوا الدّنيا واشتغلوا بالعبادة وتحصيل العقبى، **اعلم** انّ كلّ شريعة من لدن آدم(ع) كانت مشتملةً على السّياسات و العبادات القالبيّة وعلى العبادات و التّهذيبات القلبيّة و لكلّ منهما كان اهل ورؤساء يبيّنها لمن اراد التّوسّل بها واتباع يعمل بها ويسمّى رؤساء كلّ منهما فى كلّ ملّة باسم خاصّ كالاحبار والرّهبان فى ملّة النّصارى والموبد والهربد فى ملّة العجم، والمجتهد والصّوفى، اوالعالم والعارف، اوالعالم والتّقى فى ملّة الاسلام، والمقصود انّ النّصارى بواسطة عدم بعد زمان نبيّهم وعدم اندراس احكامهم وعدم انقطاع علمائهم الّذين يأمرونهم بطلب الآخرة قالاً وعدم انقطاع مرتاضيهم الّذين يأمرونهم حالاً طالبون للآخرة ومجانسون للمؤمنين فهم محبّون لهم لمجانستهم [وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ] عن انقياد الحقّ [وَ إِذا سَمِعُوا

مٰا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّٰا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ] لانّهم كانوا طالبين للحقّ فاينماوجدوه عرفوه [يَقُولُونَ] انقياداً للحقّ [رَبَّنٰا آمَنّٰا] بما انزل الى الرّسول [فَاكْتُبْنٰا مَعَ الشّٰاهِدِينَ] بحقيّته [وَ] يقولون [مٰا لَنٰا لٰا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ] بعد معرفة الحقّ وطلبه [وَمٰا جٰاءَنٰا مِنَ الْحَقِّ] و قدكنّا طالبين له ووجدناه [وَ] الحال انّا [نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنٰا رَبُّنٰا] جنّته اومحضره [مَعَ الْقَوْمِ الصّٰالِحِينَ فَأَثٰابَهُمُ اللّٰهُ بِمٰا قٰالُوا] بلسان القال و الحال او بلسان القال قريناً بالاعتقاد فانّه عبادة لسانيّة وكمال الايمان باقرار اللّسان منبئاً عن الجنان [جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ] وقد نقل انّ نزول الآية فى النّجاشيّ و بكائه حين قرأ جعفربن أبى طالب (ع) وقت هجرته الى الحبشة عليه آياً من القرآن [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال فالّذين آمنوا وصدّقوا بآياتنااولئك اصحاب الجنّة والّذين كفروا الى آخرها وهولبيان حال منافقى الامّة اوللتّعريض بهم فانّ عليّاً (ع) اعظم الآيات [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة على ان يكون النّظر الى من نزلت فيه ، فانّهم كانوا ثلاثة منهم اميرالمؤمنين(ع) ولايكون مرافقة علىّ (ع) فى الارتياض الّا لمن كان مثله داخلاً فى قلبه الايمان سالكاً الى الله رفيقاً له فى الطّريق، اوبالبيعة العامّة النّبويّة على ان يكون النّظر الى التّعميم و ان كان النّزول خاصّاً لانّ النّهى عامّ للمسلمين [لٰا تُحَرِّمُوا] على انفسكم [طَيِّبٰاتِ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلٰا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لٰا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] اعلم ، انّ الانسان ذومراتب عديدة بعضها فوق بعضٍ الى ما لانهاية له ، والتّكاليف الالٓهيّة الواردة عليه ليست لمرتبةٍ خاصّة منه بل كماعرفت سابقاً للمفاهيم الواردة فى التّكاليف مصاديق متعدّدة بتعدّد مراتب الانسان بعضهافوق بعضٍ ، فكلّماوردفى الشّريعة المطهّرة من الالفاظ فهى مقصودة من حيث مفاهيمها العامّة باعتبارجميع مصاديقها بحيث لايشذّ عنهامصداق من المصاديق فالانسان بحسب مرتبته النّباتيّة له محلّلات الٓهيّة ، وبحسب مرتبته الحيوانيّة اخرى ، وبحسب الصّدر اخرى ، وبحسب القلب اخرى، و بحسب الرّوح اخرى ، والتّحريم الالٓهى فى كلّ مرتبة بحسبه ، وكذا تحريم الانسان على نفسه فالمحلّلات بحسب مرتبته الحيوانيّة و النّباتيّة ما اباح الله له من المأكول و المشروب و الملبوس و المركوب و المنكوح والمسكن والمنظور، وبحسب الصّدرماأباح الله له من الافعال الاراديّة والاعمال الشّرعيّة والتّدبيرات المعاديّة والمعاشيّة والاخلاق الجميلة والمكاشفات الصّوريّة ، وبحسب القلب ماأباح الله له من الاعمال القلبيّة والواردات الالٓهيّة والعلوم اللّدنيّة و المشاهدات المعنويّة الكلّيّة ، وهكذا فى سائرالمراتب ، والطّيّبات من ذلك فى كلّ مرتبة ماتستلذّه المدارك المختصّة بتلك المرتبة ، ومطلق المباح فى كلّ مرتبةٍ طيّب بالنّسبة الى مباح المرتبة الدّانية منه ، و انّ الله تعالى يحبّ ان يؤخذ برخصة كما يحبّ ان يؤخذ بعزائمه ، ولا يحبّ الشّره و الاعتداء فى رخصه بحيث يؤدّى الى الانتقال الى ماهوحرام محظورباصل الشّرع ، اوبحيث يؤدّى الى صيرورة المباح حراماً بعرض التّجاوزعن حدّ التّرخيص بالاكثارفيه كما لايحبّ الامتناع عن رخصه ، فمعنى الآية ياايّهاالّذين آمنوا لاتمتنعوا من الرّخص ولاتحرّموا بقسم وشبهة ولابكسل ونحوه على انفسكم ماتستلذّه المدارك بحسب كلّ مرتبة وقوّة ممّاأباحه الله لكم ،لانّ الله يحبّ ان يرى عبده مستلذّاً بماأباحه له كما يحبّ ان يراه مستلذّاً بعباداته ومناجاته، ولاتمتنعوا بالاكتفاء بمستلذّات المرتبة الدّانية عن مستلذّات المرتبة العالية ، فانّه يحبّ ان يرى عبده

مصرّاً على طلب مستلذّات المرتبة العالية كما يحبّ ان يراه فى هذه الحالة معرضاً عن مباحات المرتبة الدّانية مكتفياً بضروريّاتها وراجحاتها ، ولاتعتدوا عمّا اباح الله الى ما حظره اوفى المباح الى حدّ الحظر، والآية اشارة الى التّوسّط بين التّفريط والافراط فى كلّ الامور من الافعال والطّاعات والاخلاق والعقائد والسّير الى الله فانّ المطلوب من السّائر الى الله ان يكون واقعاً بين افراط الجذب وتفريط السّلوك [وَ كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً] فى كلّ مرتبة [وَاتَّقُوا اللهَ] فى الاعتداء عن حدّ الرّخصة الى مرتبة الحظر على ان يكون الفقرتان مطابقتين للفقرتين السّابقتين او فى الاعتداء و فى تحريم رخصه على ان يكون متعلّق التّقوى اعمّ من التّحريم والاعتداء [الَّذِى اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] توصيفه تعالى بهذا الوصف للتّهييج .

حكاية علىّ (ع) وبلال وعثمان بن مظعون عند قوله كلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً

روى عن الصّادق(ع) انّ هذه الآية نزلت فى مولانا امير المؤمنين(ع) وبلال وعثمان بن مظعون، فامّا امير المؤمنين(ع) فحلف ان لاينام باللّيل، وامّا بلال فانّه حلف ان لايفطر بالنّهار ابداً ، و نقل انّه حلف ان لايناجى ربّه ، و امّا عثمان بن مظعون فانّه حلف ان لاينكح ابداً ، ومضى عليه مدّة على مانقل فدخلت امرأة عثمان على عائشة وكانت امرأةً جميلة فقالت عائشة : ما لى اراك متعطّلةً؟ـ فقالت : ولمن اتزيّن؟! فوالله ماقربنى زوجى منذ كذا وكذا ، فانّه قد ترهّب ولبس المسوح وزهد فى الدّنيا، فلمّا دخل رسول الله(ص) اخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى الصّلوة جامعة فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: مابال اقوام يحرّمون على انفسهم الطّيّبات انّى انام باللّيل وانكح و افطر بالنّهار فمن رغب عن سنّتى فليس منّى ، فقام هؤلاء فقالوا: يارسول الله(ص) فقد حلفنا على ذلك فأنزل الله آيات الحلف الآتية ، والاشكال اوّلاً بانّ امثال هذه المعاتبات ونسبة التّحريم والاعتداء والتّقوى ولغو الايمان غير مناسبة لمقام علىّ(ع) وثانياً بانّه (ع) امّا كان عالماً بأنّ تحريم الحلال ان كان بالاستبداد والرّأى كان من البدع و الضّلال ، و ان كان بالنّذر و شبهه كما دلّ عليه الخبر كان مرجوحاً غير مرضىّ لله تعالى ومع ذلك حرّمه على نفسه ، اوكان جاهلاً بذلك، وكلا الوجهين غير لائق بمقامه(ع) منقوض بقوله تعالى فى حقّ رسوله (ص) : يا ايّها النّبىّ لم تحرّم ما احلّ الله لك تبتغى مرضاة ازواجك والجواب الحلىّ لطالبى الآخرة والسّالكين الى الله الّذين بايعوا عليّاً(ع) بالولاية وتابعوه بقدم صدق و استشمّوا نفحات نشأته حال سلوكه ان يقال : انّ السّالك الى الله يتمّ سلوكه باستجماعه بين نشأتى الجذب و السّلوك بمعنى توسّطه بين تفريط السّلوك الصّرف وافراط الجذب الصّرف ، فانّه ان كان فى نشأة السّلوك فقط جمد طبعه ببرودة السّلوك حتّى يقف عن السّير، وان كان فى نشأة الجذب فقط فنى بحرارة الجذب عن افعاله وصفاته وذاته بحيث لايبقى منه اثر ولاخبر ، وهو وان كان فى روح وراحة لكنّه ناقص كمال النّقص من حيث انّ المطلوب منه حضوره بالعود لدى ربّه مع جنوده وخدمه واتباعه وحشمه وهو طرح الكلّ وتسارع بوحدته ، فالسّالك الى الله تكميله مربوط بان يكون فى الجذب والسّلوك منكسراً برودة سلوكه بحرارة جذبه فالجذب والسّلوك كاللّيل والنّهار او كالصّيف والشّتاء من حيث انّهما يربّيان المواليد بتضادّهما فهما مع كونهما متنازعين متألّفان متوافقان، اذا علمت ذلك فاعلم، انّ السّالك اذا وقع فى نشأة الجذب وشرب من شراب الشّوق الزّنجبيلىّ سكر وطرب ووجد بحيث لايبقى فى نظره سوى الخدمة للمحبوب وكلّما رآه منافياً للخدمة رآه ثقلاً ووبالاً على نفسه و مكروهاً لمولاه فيصمّم فى طرحه و يعزم على ترك الاشتغال به وهو من كمال الطّاعة لا انّه

ترك الطّاعة كما يظنّ، فلا ضير ان يكون اميرالمؤمنين (ع) حال سلوكه وقع فى تلك النّشأة وحرّم على نفسه كلّما يشغله عن الخدمة لكمال الاهتمام بالطّاعة ، ولمّا لم يكن تحصيل الكمال التامّ الّا بالجمع بين النّشأتين اسقاه محمّد(ص) من شراب السّلوك الكافورىّ وردّه الى نشأة السّلوك لانّه كان مكمّلاً مربّياً له ولغيره ولذا قالوا: لابدّ ان يكون للسّالك شيخ وا ّلافيوشكك ان يقع فى الورطات المهلكة، ولامنقصة فى امثال هذه المعاتبات على الاحباب بل فيها من اللّطف والتّرغيب فى الخدمة مالايخفى ، وعلىّ(ع) كان عالماً بانّ الكمال لايحصل الّا بالنّشأتين لكنّه يرى حين الجذب انّ كلّما يشغله عن الخدمة فهومكروه المحبوب ومرجوح عنده فحلف على ترك المرجوح ، او يقال: انّ عليّاً(ع) لمّا كان شريكاً للرّسول(ص) فى تكميل السّلّاك لقوله : انت منّى بمنزلة هارون من موسى(ع)، وكان له شأن الدّلالة ولمحمّد (ص) شأن الارشاد، والمرشد بنشأته النّبويّة شأنه تكميل السّالك بحسب نشأة السّلوك و ان كان بنشأته الولويّة و شأن الارشاد شأنه التّكميل بحسب الجذب ، والدّليل بنشأته الولويّة شأنه التّكميل بحسب نشأة الجذب وان كان بنشأته النّبويّة ، وشأن الدّلالة شأن التّكميل بحسب السّلوك فالدّليل بولايته يقرّب السّالك الى الحضور ويعلّمه آداب الحضور وطريق العبوديّة من عدم الالتفات الى ماسوى المعبود وطرح جميع العوائق من طريقه ، والمرشد بنبوّته يبعّده عن الحضور و يقرّبه الى السّلوك و يرغّبه فيه فهما فى فعلهما كالنّشأتين متضادّان متوافقان ، فأميرالمؤمنين(ع) لمّا رأى بلال و عثمان مستعدّين لنشأة الجذب رغّبهما الى تلك النّشأة بطرح المستلذّات وترك المألوفات وشاركهما فى ذلك ليستكمل بذلك شوقهما و يتمّ جذبهما ، ولمّا مضى مدّة و رأى الرّسول(ص) انّ عودهما الى السّلوك اوفق وانفع لهما ردّهما الى نشأة السّلوك وعاتبهما بألطف عتاب ، ولايرد نقص على اميرالمؤمنين(ع)، ولمّا قالوا بعد عتابه(ص) قد حلفنا نزل [لَايُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي اَيْمانِكُمْ] وهوالّذى يؤتى به للتّأكيد فى الكلام كماهوعادة العوامّ [وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْاَيْمانَ] ما مصدرية و هو الموافق لقوله باللّغو فى ايمانكم او موصولة و المعنى بالّذى عقّدتم الايمان عليه من الامور المحلوف عليها من حيث الحلف عليها اذا حنثتم حذف لانّه معلوم ولكن جعل الله لكم لرفع المؤاخذة كفّارة يسيرة ترحّماً عليكم [فَكَفّارَتُهُ] اى مايستر اثمه اويزيله [اِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ اَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ اَهْلِيكُمْ] فاذا اطعمتم عشرة من المساكين الّذين هم عيالى جبرتم نقصان تعظيم اسمى و استحققتم رحمتى [اَوْ كِسْوَتُهُمْ اَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ] بان لا يملك طعاماً وكسوة ورقبة ولاثمناً لها [فَصِيامُ ثَلٰثَةِ اَيّامٍ] لانّ الله يريد بكم اليسر ولايريد بكم العسر [ذٰلِكَ كَفّارَةُ اَيْمانِكُمْ اِذا حَلَفْتُمْ] وحنثتم [وَاحْفَظُوا اَيْمانَكُمْ] بعدم بذلها لكلّ امر بتعظيم اسم الله وبعدم الحنث اذا بذلتموها وبالكفّارة اذا حنثتم [كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ] اى آيات حدوده وشرائعه [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة التّعليم والتّسهيل ، اعلم انّ اليمين امّا من المؤكّدات فى الكلام وهى المسمّاة باللّغو وامّا مع قصدونيّة لليمين فهى امّا على ترك برّ اوفعل شرّ ، وهى ايضاً لغو لكفّارتها فعل البرّ وترك الشرّ، اوعلى فعل برّ وترك شرّ وهى عزم يحفظ على متعلّقها ، واذا حنثت يكفّر عنها بما ذكر، وامّا يمين غموس وهى الّتى تقع على منع حقّ امرءٍ مسلم اواخذ حقّه بغير حقٍّ وهى الّتى توجب النّار ، وامّا اليمين على دفع الادّعاء الباطل اواحقاق الحقّ فهى مشروعة لقطع الخصومات لكن كراهتها والاهتمام بعدم الاتيان بها تستنبط من الاخبار [يا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ] كلّ ما تقومر به [وَالْاَنْصَابُ وَالْاَزْلَامُ] قد سبقا فى اوّل السورة [رِجْسٌ] قذر تستكرهه العقول [مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] اكدّ الحرمة باداة الحصر ، واطلاق الرّجس عليها وكونها من عمل الشيطان والامر بالاجتناب فانّه يفيد التّأكيد بالنّسبة الى النّهى عن الفعل والمقصود ههنا النّهى عن الخمر والميسر، وقرنهما بالانصاب والازلام مبالغة فى حرمتهما ولذلك لم يذكر فى بيان الغاية سواهما ، وذكر غايتهما والمفسدة الّتى تترتّب عليها مبالغة اخرى فى حرمتهما فقال [إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ] هذا بحسب الدّنيا [وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَعَنِ الصَّلٰوةِ] وهذا بحسب الآخرة ، وذكر الصّلٰوة بعد الذّكر من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاشارة الى انّهما صادّان عمّا هو عماد الدّين ليكون ابلغ فى المنع [فَهَلْ اَنْتُمْ مُنْتَهُونَ] اداء الامر بصورة الاستفهام لا الحكم تلطّف بهم يعنى بعد ما ذكر من المفاسد و الاوصاف فى الخمر و الميسر ينبغى لكم ان تنتهوا ان تأمّلتم فيها [وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ] فى خصوص النّهى عن الاربعة المذكورة او فى كلّ ما أمرتم و نهيتم عنه ، و العمدة فى الكلّ و غايته الامر بالولاية او فى الامر بالولاية مخصوصاً فانّ الاطاعة فيه غاية جميع الطّاعات ومستلزم لجميع الطّاعات [وَاحْذَرُوا] عن عقوبة مخالفتهما [فَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عنهما [فَاعْلَمُوا اَنَّمَا عَلٰى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] فلا يرد من تولّيكم منقصة عليه وقد بلّغ ما امر بتبليغه [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا اِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَاَحْسَنُوا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] هذه الجمل فى مقام التّعليل للامر بالاجتناب والطّاعة ، اعلم انّ للانسان من اوّل تميزه الى آخر مراتبه تطوّرات ونشآت ،وبحسب كلّ نشأة له اعمال وارادات وشرور وخيرات وللسّالك الى الله من بدو سلوكه الى آخر مراتبه الغير المتناهية مقامات ومراحل واسفار ومنازل ، والتّقوى تارة تطلق على التّحفّظ عن كلّ مايضرّ للانسان فى الحال اوفى المآل وهو معناها اللّغوىّ ، وبهذا المعنى تكون قبل الاسلام وقبل الايمان ومعهما وبعدهما ، وتارة تطلق على التّحفّظ عمّا يصرفه عن توجّهه الى الايمان ، وبهذا المعنى تكون مع الاسلام وقبل الايمان ومع الايمان لكن فى مرتبة الاسلام فانّه ما لم يسلم لم يتصوّر له توجّه واهتداء الى الايمان حتّى يتصوّر صارف له عن الايمان وحفظ عن ذلك الصّارف ، والتّقوى بهذا المعنى عبارة عن تحفّظ النّفس عن جملة المخالفات الشّرعيّة ، وتارة تطلق على مايصرفه عن الطّريق الموصل له الى غايته ويدخله فى الطّريق الموصلة الى الجحيم ، وبهذا المعنى لا تكون قبل الايمان لانّه لم يكن حينئذ فى الطّريق بل تكون مع الايمان الخاصّ الّذى به يكون الوصول الى الطّريق ، والايمان قد يطلق على الاذعان وهو معناه اللّغوى وقد يطلق على مايحصل بالبيعة العامّة وهو الايمان العامّ المسمّى بالاسلام ، وقد يطلق على ما يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وهو الايمان الحقيقىّ، وقد يطلق على شهود ما كان موقناً به وهو الايمان الشّهودىّ وقد سبق فى اوّل سورة البقرة تحقيق وتفصيل للايمان ، والتّقوى وصلاح العمل بخروج الانسان من امر نفسه فى العمل ودخوله تحت امر آمرٍ آلهىّ ، وفساده بدخوله تحت امر نفسه ، والجناح بمعنى الحرج والاثم ، والطّعم كما يطلق على الاكل والشّرب الظّاهرين يطلق على مطلق الفعل ومطلق الادراك من الجزئيّة والكلّيّة ففعل القوى المحرّكة اكلها،

وادراك المدارك الجزئيّة والكلّيّة اكلها، وكذلك تصرّفات القوى العلّامة لتهيّؤ القوى العمّالة اكلها، والانسان من اوّل تميّزه نشأته نشأة الحيوان لايدرى خيراً الّا مااقتضته القوى الحيوانيّة ولاشرّاً الّا مااستكرهته ولايتصوّر له التّقوى سوى التّقوى اللّغويّة، فاذا بلغ مقام المراهقة حصل له فى الجملة تميز الخير والشّرّ الانسانيّين وتعلّق به زاجر الٓهىّ باطنىّ بحيث يستعدّ لقبول الامر والنّهى من زاجر بشرىّ ، لكن لايكلّف لضعفه ويمرّن لوجود الاستعداد والزّاجر الباطنىّ ويتصوّر له التّقوى بالمعنى الاوّل والثّانى فى هذاالمقام بمقدار تميزه الخير والشّرّ الانسانيّين ، فاذا بلغ او ان التّكليف وقوى التميز والاستعداد والزّاجر الالٓهىّ تعلّق به التّكليف من الله بواسطة النّذر ، وبقبوله التّكليف بالبيعة و الميثاق يحصل له الاسلام ويتصوّر له التّقوى ايضاً بالمعنى الاوّل والثّانى ، ولايتصوّر له التّقوى بالمعنى الثّالث لعدم وصوله الى الطّريق بعد، وفى هذاالمقام يكلّفه المكلّف الالٓهىّ بالتّكاليف القالبيّة و ينبّهه على انّ للانسان طريقاً الى الغيب و له بحسب هذا الطّريق تكاليف اُخر و يدلّه على من يريه الطّريق ويكلّفه التّكليفات الاُخر اشارة اوتصريحاً ، اويريه بنفسه الطّريق فاذاساعده التّوفيق وتمسّك بصاحب الطّريق حتّى قبله وكلّفه بالبيعة و الميثاق التّكليفات القلبيّة صار مؤمناً بالايمان الخاصّ و متمسّكاً بالطّريق متّقياً بالمعنى الثّالث وسالكاً الى الله وله فى سلوكه مراحل ومقامات و زكوة وصوم وصلوة وتروك وفناءات .

ففى المرتبة الاولى يرى من نفسه الفعل والتّرك وجملة صفاته فاذا ترقّى وطرح بعض ماليس له ويرى الفعل من الله ولاحول ولاقوّة الّا بالله صار فانياً من فعله باقياً بفعل الحقّ، فاذا ترقّى وطرح بعضاً آخر بحيث لايرى من نفسه صفةً صار فانياً من صفته باقياً بصفة الله ، فاذا ترقّى و طرح الكلّ بحيث لا يرى نفسه فى البين صار فانياً من ذاته و فى هذا المقام ان ابقاه الله صار باقياً بعد الفناء ببقاء الله وتمّ له السّلوك وصار جامعاً بين الفرق والجمع والوحدة والكثرة ، وجعل العرفاء الشّامخون بحسب الامّهات أسفار السّالك وسيره اربعةً وسمّوها اسفاراً اربعة: السّفر الاوّل السّير من النّفس الى حدود القلب وهو سيره فى الاسلام وعلى غير الطّريق ويسمّونه السّفر من الخلق الى الحقّ ، والثّانى سيره من حدود القلب الى الله وهو سيره فى الايمان وعلى الطّريق و بدلالة الشّيخ المرشد و فى هذا السّير يحصل الفناءات الثّلاثة و يسمّونه السّفر من الحقّ فى الحقّ الى الحقّ ، و الثّالث سيره بعد الفناء فى المراتب الالٓهيّة من غير ذات وشعور بذات ويسمّونه السّفر بالحقّ فى الحقّ، والرّابع سيره بالحقّ فى الخلق بعد صحوه وبقائه بالله ويسمّونه السّفر بالحقّ فى الخلق ، اذا علمت ذلك فنقول: معنى الآية انّه ليس على الّذين بايعوا بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهره وأسلموا بقبول الاحكام القالبيّة وتوجّهوا من ديار الاسلام الّتى هى صدورهم الى ديار الايمان الّتى هى قلوبهم و عملوا الاعمال الّتى اخذوها من صاحب اسلامهم جناح فيما فعلوا وحصّلوا من الافعال والعلوم ، ولمّا كان المراد بالتّقوى فى لسان الشّارع هو المعنى الثّانى و الثّالث دون الاوّل لم يقل تعالى شأنه : ليس على الّذين اتّقوا وآمنوا فى تلك المرتبة و اقتصر على الايمان والعمل الصّالح، لكن نفى الجناح بشرط ان اتّقوا صوارفهم عن التّوجّه الى الايمان والترحّل الى السّفر الثّانى والوصول الى الطّريق ، وجملة المخالفات الشّرعيّة صوارفه عن هذا التّوجّه ، وآمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و عملوا الصّالحات الّتى اخذوها من صاحب الطّريق ثمّ اتّقوا نسبة الافعال والصّفات الى انفسهم وآمنوا شهوداً بما آمنوا به غياباً ، وفى هذاالمقام يقع السّالك فى ورطات الحلول والاتّحاد والالحاد وسائر انواع الزّندقة من الثّنويّة وعبادة الشّيطان والرّياضة بخلاف الشّرائع الالٓهيّة ومغلطة الارواح الخبيثة بالارواح الطّيّبة فانّه مقام تحته مراتب غير متناهية وورطات غير محصورة واكثر ما فشا فى القلندريّة من العقائد و الاعمال نشأ من هذا المقام ، و السّالك فى هذه المرتبة لا يرى صفةً ولا فعلاً من نفسه و لذلك

اسقط العمل الصّالح ولم يذكره ثمّ اتّقوا من رؤية ذواتهم وهذا هو الفناء التامّ والفناء الذّاتىّ، وفى هذاالمقام لايكون لهم ذات بعد التّقوى حتّى يتصوّرلهم ايمان اوعمل ، والسّالك فى هذا السّفر لانهاية لسيره ولاتعيّن لوجوده ولانفسيّة له و يظهر منه الشّطحيّات الّتى لاتصحّ من غيره كما تظهر منه فى المقام السّابق ايضاً وكما لايرى السّالك فى هذا المقام لنفسه عيناً ولااثراً لايرى لغيره ايضاً عيناً ولااثراً، ومن هذاالمقام ومن سابقه نشأت الوحدة الممنوعة ومايترتّب عليها من العقائد الباطلة والاعمال الكاسدة فان ادركته العناية وافاق من فنائه وصار باقياً ببقاءالله صارمحسناً بحسب الذّات والصّفات والافعال ، ولذلك قال تعالى بعدذكر التّقوى واحسنوا واسقط الايمان والعمل جميعاً ، لانّه بعد فنائه الذّاتىّ وبقائه بالله صار ذاته وصفته وفعله حسناً واحساناً حقيقيّاً، وامّا قبل ذلك فانّه لايخلو من شوب سوئة واسائة بقدربقاء نسبة الوجود الى نفسه قبل فنائه ، وايضاً قبل الفناء بقدرنسبة الوجود الى نفسه يكون مبغوضاً لامحبوباً على الاطلاق وبعد الفناء وقبل البقاء بالله لاموضوع له حتّى يحكم عليه بالمحبوبيّة والمبغوضيّة، وبعدالبقاء بالله يصير محبوباً على الاطلاق ولذلك قال: والله يحبّ المحسنين،فى آخر الآية [يٰاَيُّهَاالَّذِينَ اٰمَنُوا] بقبول الدّعوة الظّاهرة اى اسلموا [لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّٰهُ بِشَىْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ اَيْدِيكُمْ وَرِمٰاحُكُمْ] يعنى فى احرامكم قيل: نزلت فى غزوة الحديبية جمع الله عليهم الصّيد،وعن الصّادق (ع) حشر عليهم الصّيد فى كلّ مكان حتّى دنامنهم [لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَخٰافُهُ بِالْغَيْبِ] بترك الصّيد مع سهولته بمحض النّهى [فَمَنِ اعْتَدٰى بَعْدَ ذٰلِكَ] الابتلاء والنّهى [فَلَهُ عَذٰابٌ اَلِيمٌ يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَاَنْتُمْ حُرُمٌ] عن الصّادق (ع) اذا أحرمت فاتّق قتل الدّوابّ كلّها الّا الافعى والعقرب والفأرة ، و ذكر الوجه لكلّ وتفصيل ذلك موكول الى الفقه ، والحرم جمع الحرام بمعنى المحرم اوجمع الحرم بكسر الحاء وسكون الرّاء اوجمع الحريم بمعنى المحرم بالحجّ اوالعمرة وبمعنى الدّاخل فى الحرم و كلاالوجهين صحيح لفظاً ومعنى [وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزٰاءٌ مِثْلُ مٰاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوٰا عَدْلٍ مِنْكُمْ] فى اخبار كثيرة انّ المراد ذوعدل وهو العدل الا لٰهىّ من الرّسول (ص) والامام وتثنية ذواعدل خطأ من الكتّاب ولفظ الكتاب ذوعدل بدون الالف ، ولمّا لم يرخّص فى الشّريعة الا لٰهيّة لشيء من القياس كان هذه الكلمة ذاعدل بالافراد وكان ذاعدل مختصّاً بالحاكم الا لٰهىّ حتّى يسدّ باب القياس بالكلّيّة، وان لم يكن كذلك جاز لمجوّز القياس التّمسّك به فى جواز قياسه [هَدْياً بٰالِغَ الْكَعْبَةِ] كيفيّة بلوغه الكعبة موكولة الى الفقه [اَوْ كَفّٰارَةٌ طَعٰامُ مَسٰاكِينَ اَوْعَدْلُ ذٰلِكَ صِيٰاماً] كما فصّل فى الفقه [لِيَذُوقَ وَبٰالَ اَمْرِهِ] وثقل هتكه لحرمة الحرم [عَفَا اللّٰهُ عَمّٰا سَلَفَ] على زمان الحكم بحرمة قتل الصّيد [وَمَنْ عٰادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُوانْتِقٰامٍ] عن الصّادق (ع) فى محرم اصاب صيداً؟- قال: عليه الكفّارة ، قيل فان اصاب آخر؟- قال: فان اصاب آخر فليس عليه كفّارة وهو ممّن قال الله تعالى: **ومن عاد فينتقم الله** ، وفى معناه اخبار أخر، وعنه اذا اصاب المحرم الصّيد خطأ فعليه الكفّارة فان اصاب ثانية خطأ فعليه الكفّارة ابداً اذا كان خطأ، فان اصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة ، فان اصابه ثانية متعمّداً فهو ممّن ينتقم الله منه ولم يكن عليه الكفّارة، وعلى هذا فمعنى عفا الله عمّا سلف عفا عن الدّفعة الاولى السّابقة على الثّانية [اُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعٰامُهُ مَتٰاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيّٰارَةِ] مطلقاً حال الاحرام و غيره و الضّمير فى طعامه للصّيد اوللبحر [وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مٰادُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]

في مخالفة أمره ونهيه لانّ حشركم يكون اليه [جَعَلَ اللهُ] جملة مستأنفة في مقام التّعليل لتحريم صيد البرّحين الاحرام لزيارة البيت اوحين دخول الحرم الّذى هوحريم البيت ، وجعل بمعنى صيّراوبمعنى خلق [الْكَعْبَةَ] سمّى الكعبة كعبة لتكعّبه و العرب تسمّى كلّ مربّع وناتٍ كعباًوكعبة [الْبَيْتَ الْحَرامَ] مفعول ثانٍ او بدل من الكعبة والتّوصيف بالحرام لحرمة هتكه بأخذ الصّيد من حواليه واقتصاص الملتجي الى حريمه الّذى هو الحرم [قِياماً لِلنّاسِ] مفعول ثانٍ او حال من قام اذا اعتدل اى جعلها سبب اعتدال للنّاس اوجعلها معتدلة لانتفاع النّاس ، اومن قام المرأة اذا قام بشأنها وكفى امرها والمعنى جعلها كافية للنّاس اوبمعنى القوام الّذى هومايعاش به او بمعنى ملاك الامر وعماده يعني جعلها عماد جملة الامور للنّاس في معادهم ومعاشهم [وَالشَّهْرَ الْحَرامَ] اى جنس الشّهر الحرام وافراده اربعةٌ ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرّم ورجب اوالشّهر الحرام المعهود اى شهر الحجّ وهوعطف على الكعبة سواء قدّر توصيفه بكونه قياماً للنّاس اولم يقدر [وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ] اى ذوات القلائد او القلائد انفسها وقد مضى ذكرها في اوّل السّورة ، اعلم ، انّ جعل كعبة القلب بيت الله الحرام وسبب اعتدال للنّاس في العالم الصّغير وكافية لامورهم و ما به تعيشهم وملاك أمرهم وعمادهم واضح وكذلك كون الشّهر الحرام الّذى هوالصّدر وهدى القوى و قلائدها او ذوات القلائد منها ، وكون صاحب القلب وصاحب الصّدروالطّالبين للوصول اليهما قياماً للنّاس لاخفاء فيه ، وقد مضى في اوّل السّورة اشارة الى التّأويل فيهاوعند قوله: من دخله كان آمناً في سورة آل عمران وكون كعبة الاحجارقياماً للنّاس يظهر ممّاسبق منّا من انّهاظهور القلب ويجرى فيها كلّ مايجرى في القلب على انّهايربح فيهاتاجروها ويرزق ساكنوها ويؤمن ملتجئوها ويخلّف نفقات زائريها ويستجاب دعاء الدّاعين فيهالمعاشهم ومعادهم، وبقاء اهل الارض تماماً ببقائهافيهم وزيارة بعضهم لهاكما أشير اليه في الخبر، وكون الشّهر الحرام قياماً لما سبق من انّه مظهر الصّدرومظهر صاحب الصّدروكلّما يجرى فيه يجرى فيه على انّه شهر فراغة عن القتال وشهر اشتغال بمرمّة المعاش والمعاد ، وكون الهدى والقلائد قياماً للنّاس لانّهما مظاهر لطالبي العلم وهم بركات لاهل الارض على انّه ينتفع بايعوها بثمنها واكلوها بلحومها واهبها [ذٰلِكَ] يعني جعل الكعبة الّتي هي في بلد خال من الزّراعات و اسباب التّجارات من سائر منافع البرّ والبحروخال نواحيه القريبة والبعيده من الزّراعات والتّجارات سبب تعيّش النّاس وارباحهم الدّنيويّة والمنافع الغير المترقّبة وهو مبتدء خبره قوله تعالى [لِتَعْلَمُوا] بذلك [اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مافِي السَّمٰواتِ] من الاسباب الغيبيّة الرّوحانيّة والاسباب السّماويّة العلويّة البعيدة [وَ] يعلم [مافِي الْاَرْضِ] من الاسباب الطّبيعيّة الحسّيّة القريبة لانّكم بعد مارأيتم ارتزاق اهل هذا البلد الخالي من كلّ ماينتفع به مع انتفاعهم وارباحهم الكثيرة، علمتم انّه ليس الّا بتسبيبات آلهيّة من دون استقلال الاسباب الطّبيعيّة، بخلاف ما اذاكان الكعبة في البلاد المعمورة الكثيرة الزّراعات والتّجارات فانّه لا يعلم حينئذٍ انّ ارزاق اهلها باسباب آلهيّةٍ اواسباب طبيعيّة ، بل يعتقد انّهاباسبابٍ طبيعيّة كماعليه اصحاب الحسّ والطّبيعيّون والدّهريّون ، واذاعلمتم انّ ارزاق الخلق وارباحهم ليست الّا باسباب آلهيّة علمتم انّه تعالى يعلم جميع الاسباب القريبة والبعيدة والرّوحانيّة والجسمانيّة والعلويّة والسّفليّة وانّه تعالى يقدرعلى توجيه الاسباب نحوهذا المسبّب، ولم يقل لتعلموا انّ الله يقدر لانّ القدرة سبب قريب من المسبّب بخلاف العلم فكأنّها تستفاد من حصول المسبّب [وَ] لتعلموا [اَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

لانّ من علم الاسباب الخفيّة الرّوحانيّة والجليّة الجسمانيّة وتوجيه تلك الاسباب نحو مسبّب بعيد الحصول كان عالماً بكلّ شيء من الجليل والحقير وهوتأكيدٌ وتعميم بعد اطلاق وتخصيص [إِعْلَمُوا] بعد ماذكرشمول علمه لكلّ شيء اقتضى المقام ترغيب المنحرفين عن علىّ (ع) الى التّوبة والرّجوع اليه بسبب شمول غفرانه و رحمته و ترهيب المنحرفين عنه بشدّة عقابه واطّلاعه على سرائرهم فقال اذا علمتم انّه بكلّ شيء عليم من الاعلان والاسرار والضّمائر فاعلموا [اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] لمن تهاون فى حرمات الله واضمرفى حقّ علىّ (ع) خلاف ماقلت لهم [وَاَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر زلّات من تهاون فى الحرمات وزلّات من خالف عليّاً (ع) اذا تاب وعاد الى ماتهاون به والى علىّ (ع) [رَحِيمٌ] يتفضّل عليه بسبب رحمته [مَا عَلَى الرَّسُولِ] جواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: امايقدر الرّسول (ص) الّذى بين اظهرنا على دفع العقاب؟ اوقيل: امايقدر الرّسول (ص) على ان يحملنا على الطّاعة واستحقاق الرّحمة فقال: ما على الرّسول [إِلَّا الْبَلَاغُ] لاالحفظ من العقاب ولاالحمل على الطّاعة وقد بلّغ ماكان عليه تبليغه و اعظمها واشرفها واساسها الولاية و قد بلّغها على رؤس الاشهاد فى محضر نحو من سبعين الفاً [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ] من الاقوال والافعال من الطّاعة و المخالفة وتولّى علىّ (ع) والتولّى عنه [وَمَا تَكْتُمُونَ] من مكمونات نفوسكم الّتى لاتعلمونها ولاتستشعرون بها ومن عقائدكم ونيّاتكم وعزماتكم الّتى لايعلمها غيركم ، ومن اقوالكم وافعالكم الّتى تخفونها عن انسان آخر اوتخفونها عن غيررفقائكم فاحذروا ان تقولوا اوتفعلوا اوتضمروا خلاف ماقال لكم محمّد (ص) فى امردينكم ، اوماقاله فى حقّ علىّ (ع) [قُلْ] يا محمّد (ص) لامّتك [لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ] يعنى ذكّرهم بهذه الكبرى الكلّيّة البديهيّة حتّى يكونوا على ذكر منها و على الحذر من الخبيث و الرّغبة فى الطّيّب حين عراهم خبيث او طيّب من الاعمال والاخلاق والاوصاف والحيوان والانسان بان يقولوا هذا خبيث اوطيّب و كلّ خبيث مكروه و كلّ طيّب مرغوب فيه ، والمنظورهوالمقصود من كلّ مقصود وهوولاية علىّ (ع) وولاية اعدائه فانّ طيبوبة علىّ (ع) لاينكره احد [وَلَوْ اَعْجَبَكَ] كلام من الله والخطاب لمحمّد (ص) يعنى يا محمّد (ص) قل لهم لايستويان لو لم يعجبك ولواعجبك [كَثْرَةُ الْخَبِيثِ] او جزء مفعول للقول والخطاب حينئذ لغير معيّن يعنى قل لهم لايستويان ولو أعجبكم كثرة الخبيث فانّ السّنخيّة الغالبة فى وجود الاكثرمع الخبيث تقتضى اتّباع الخبيث وكثرته، وعدم السّنخيّة بين الخلق والطّيّب يقتضى عدم اتّباعه وكون القلّة فى جانبه [فَ] لا تنظروا الى الكثرة ولاتغفلوا عن الطّيبوبة و [اتَّقُوا اللّٰهَ] فى ترك الطّيّب واتّخاذ الخبيث [يَا اُولِي الْاَلْبَابِ] فانّكم المخاطبون المعتنى بكم لاغيركم فانّهم ليس لهم تميز الطّيّب من الخبيث حتّى يستحقّوا الخطاب بترك الخبيث [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَسْاَلُوا عَنْ اَشْيَاءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ اِنْ تَسْاَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ] يعنى ان تسألوا لامحالة عنها فحين يتنزّل القرآن نظهره عليكم فقوله حين ينزّل القرآن متعلّق بتبد، عن اميرالمؤمنين (ع) خطب رسول الله (ص) فقال : انّ الله كتب عليكم الحجّ فقال عكاشة بن محصن و روى سراقة بن مالك : افى كلّ عام يارسول الله (ص) فاعرض عنه حتّى عاد مرّتين اوثلاثاً فقال رسول الله : ويحك ومايؤمنك ان اقول : نعم والله لوقلت: نعم لوجبت ولووجبت مااستطعتم ولوتركتم كفرتم فاتركونى ماتركتم

فانّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه مااستطعتم ، واذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، فالمراد بالسّؤال عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم كثرة السّؤال والمداقّة فيما كلّفوا به وقد ورد ، انّ بنى اسرائيل شدّدوا على انفسهم بكثرة السّؤال والمداقّة عن البقرة الّتى امروا بذبحها فشدّدالله عليهم، وروى انّ صفيّة بنت عبدالمطّلب مات ابن لهافأقبلت فقال عمر غطّى قرطك فانّ قرابتك من رسول الله(ص) لا تنفعك شيئاً فقالت : هل رأيت قرطاً يا ابن اللّخناً ، ثمّ دخلت على رسول الله(ص) وبكت وشكت فخرج رسول الله(ص) فنادى: الصّلوة جامعة فاجتمع النّاس، فقال: مابال أقوامٍ يزعمون انّ قرابتى لاتنفع لو قدقمت المقام المحمود لشفعت فى خارجكم ، لايسألنى اليوم احدٌ من ابوه الّا اخبرته، فقام اليه رجل فقال من ابى يارسول الله؟- فقال : ابوك غير الّذى تدعى له ، ابوك فلان بن فلان ، فقام آخر فقال : من ابى يا رسول الله ؟ - قال : ابوك الّذى تدعى له ثمّ قال رسول الله(ص) مابال الّذى يزعم انّ قرابتى لاتنفع لا يسألنى عن ابيه ، فقام اليه عمر فقال له اعوذ بالله يارسول الله(ص) من غضب الله وغضب رسول الله اعف عنّى عفاالله عنك ، فأنزل الله الآية وعلى هذا فالمعنى لاتسألوا عن اشياء سترها الله عليكم من انسابكم ان تبدلكم تسؤكم، ويمكن التّعميم لكلّ ماكان ظهوره سبب الاساءة من التّكاليف والانساب والاخلاق والاوصاف والاعمال من السّائل ومن غيره [عَفَا اللهُ عَنْهَا] صفة اخرى لاشياء اى لاتسألوا عن اشياء تركهاالله ولم يبيّنها لكم او استيناف لاظهار العفو عن المسئلة الّتى سبقت [وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ] اى الاشياء الّتى فى ظهورها الاساءة لكم [مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ] حيث كرهوها فكفروا بها ولم يقبلوها اوكفروا برسلهم(ع) بسببها [مَا جَعَلَ اللهُ] استيناف لبيان حال الكفّار فى سننهم الرّديّة يعنى ما شرع الله وماسنّ [مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ] عن الصّادق(ع) انّ اهل الجاهليّة كانوا اذا ولدت النّاقة ولدين فى بطنٍ واحدٍ قالوا وصلت فلايستحلّون ذبحها ولاأكلها ، واذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولايستحلّون ظهرها ولاأكلها ، والحام فحل الابل لم يكونوا يستحلّونه وروى انّ البحيرة النّاقة اذانتجت خمسة ابطن فان كان الخامس ذكراً نحروها فأكله الرّجال والنّساء و ان كان الخامس انثى بحروا اذنها اى شقّوها وكانت حراماً على النّساء ، فأنزل الله عزّوجلّ انّه لم يحرّم شيئاً من ذلك وذكر غير ذلك فى تفسيرها [وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ] بنسبة التّحريم اليه [وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] يعنى انّ الاتباع المقلّدين لايعقلون شيئاً من الصحّة والفساد ولا من الافتراء وغيره حتّى يتنبّهوا انّ هذا افتراء على الله فلايقلّدوهم [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ] من حدود الشّرع [قَالُوا] اكتفاء بما اعتادوه و قلّدوه من غير تعقّل [حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا] يعنى لا حجّة لهم سوى فعل آبائهم وهو افضح من الاسناد الى علمائهم [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] عليكم اسم فعل بمعنى الزموا وقرئ برفع انفسكم فهو ظرف خبره والمعنى الزموا انفسكم لاتتجاوزوها الى غيركم ما لم تصلحوها ، فانّ الاشتغال بالغير قبل اصلاح النّفس سفاهة ويصير سبباً لفساد اخر مقتبس من الغير وسبباً لاستحكام الفساد الحاصل فيصير ظلمات النّفس مستحكمة متراكمة، فمادام الانسان يكون مبتلى فى نفسه بالفساد والمرض ينبغى ان يطلب من يطّلع على امراضه ومفاسده فاذا وجده فليتعلّم منه مايصلح به فساده ويعالج به امراضه، فاذا تعلّم ذلك فينبغى ان يشتغل عن كلّ شيء بنفسه ولايفارق اصلاحها

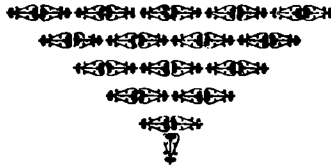
ما بقي الفساد فيها، وذلك الشّخص امّا نبيّ فيكون آمنوا بمعنى بايعوا على يد محمّد(ص) اوولىّ فيكون بمعنى بايعوا على يد علىّ(ع)، ويحتمل ان يكون اعمّ من النّبىّ(ص) والولىّ(ع) فيكون آمنوا ايضاً عاماً، ولمّا علمت سابقاً انّ الولاية هى حقيقة كلّ ذى حقيقة ونفسيّة كلّ ذى نفس وهذا المعنى يظهر لمن آمن بعلىّ(ع) واتّصل بملكوت وليّه، فانّه يرى انّ ملكوت وليّه مع انّها انزل مراتب الولاية كانت حقيقته ونفسه وانّه كان مظهراً لها تيسّر لك تفسيرها بان تقول: عليكم امامكم ويكون آمنوا بمعنى آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة، فانّ البيعة العامّة لاتجعل البايع متوجّهاً الى قلبه ونفسه لعدم اتّصالها بالقلب وما لم يتوجّه الى قلبه لايتيسّر له الحضور عند امامه، و ما لم يمكن له الحضور لم يؤمر بالملازمة، وبالملازمة يحصل له جميع الخيرات الدّنيويّة والاخرويّة، ولذا أمروا بتلك الملازمة والاعراض عن الكلّ، وماروى فى المجمع يشير الى هذا المعنى، فانّه روى فيه انّ اباثعلبة سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر فأذا رأيت دنيا مؤثرة و شحّاً مطاعاً و هوى متّبعاً واعجاب كلّ ذى رأى برأيه فعليك بخويصّة نفسك وذرعوامّهم، فانّه ليس المراد بهذه الخصوصيّة خصوصيّة النّسب الصّوريّة بل النّسب الرّوحانيّة ولا شكّ انّ امامه اخصّ هؤلاء الخواصّ [لَايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] يعنى اذا لم تهتدوا يضرّكم ضلال من ضلّ لسنخيّتكم لهم واقتباسكم الفساد منهم [إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فمن يلازم امامه اونفسه فله جزاء ومن يراقب النّاس وينظر الى مساويهم فله جزاء [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا فانّ الحكم الآتى من احكام الاسلام [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ] من حيث التحمّل [إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ] اى شهادة اثنين [ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] ايّها المسلمون [أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ] من اهل الكتاب [إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ] سافرتم [فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ] قاربكم الاجل ولم تجدوا منكم من يتحمّل الشّهادة [تَحْبِسُونَهُمَا] وقت الاداء اى تقفونهما [مِنْ بَعْدِ الصَّلٰوةِ] لتغليظ اليمين بشرف الوقت ولخوفهما من الافتضاح بين النّاس ان حرّفوا لاجتماع النّاس حين الصّلوة [فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ] اى الاخران من غيركم وذلك الحبس والحلف [إِنِ ارْتَبْتُمْ] والّا فلا، وهو جملة معترضة بين القسم والمقسم عليه ويجوز ان تكون من قول الحالفين و من قبيل ترادف القسم و الشرط و ان يكون الجواب للقسم لتقدّمه و لذلك لم يجزم [لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً] عرضاً من الدّنيا [وَلَوْ كَانَ] المقسم له [ذَا قُرْبَىٰ] لنا [وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ فَإِنْ عُثِرَ] اى اطّلع [عَلَىٰ أَنَّهُمَا] اى الشّاهدين من غيركم [اسْتَحَقَّا] استوجبا [إِثْماً] بتحريف وخيانة [فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا] بامر الورثة الّذين هم المشهود عليهم وقوله تعالى [مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ] بيان لهذا المعنى اى من جانب الّذين جنى باستحقاق الاثم عليهم الاحقّان بالشّهادة لكونهما اوّل من شهدا [فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ذَٰلِكَ] التّحليف الغليظ وقت احتمال الافتضاح باقامة آخرين مقامهما [أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ] اى ترجع ايمان على شهود الورثة وتقبل ايمان شهود الورثة و تكذّب

ايمانهم فيفتضحوا بتكذيب ايمانهم ، ونسبة الخيانة اليهم وجمع الضّمائر ليعمّ الشّهود وقد ذكر فى تفسيرالآية ونزولها اخبار فى الصّافى وغيره [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] ايّها الشّهود فى تحريف الشّهادة والمشهود عليهم فى ردّها بلاخيانة [وَاسْمَعُوا] ماتوعظون به سمع اجابة وقبول [وَاللّٰهُ لايَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ] الخارجين من امرالله [يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ] ظرف لقوله لا يهدى او لا ذكر او ذكّر مقدّر او المقصود التّعريض بمن لم يجب محمّداً (ص) فى ولاية اميرالمؤمنين (ع) [فَيَقُولُ ماذا اُجِبْتُمْ] فى دعوتكم العامّة او فى دعوتكم الخاصّة الى خلفائكم وفسّرت فى الخبربه ، فعن الباقر (ع) انّ لهذا تأويلاً يقول: ماذا اجبتم فى اوصيائكم الّذين خلّفتموهم على اممكم فيقولون لاعلم لنا بما فعلوا من بعدنا وقوله تعالى [قالُوا لاعِلْمَ لَنا اِنَّكَ اَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ] يشير الى هذا لانّ نفى العلم بعد رحلتهم صحيح وفى زمان حيوتهم علموا من اجاب ومن لم يجب وكيف اجابوا [اِذْقالَ اللّٰهُ] اذكر اوذكّر اوهو بدل من يوم يجمع الله [ياعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلى والِدَتِكَ اِذْ اَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً] يعنى فى جميع احوالك [وَاِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ] اى النّبوّة [وَالْحِكْمَةَ] اى الولاية [وَالتَّوْرٰيةَ وَالْاِنْجِيلَ] صورتى النّبوّة [وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِاِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِاِذْنِى وَتُبْرِءُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ بِاِذْنِى وَ اِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِاِذْنِى] تكرار باذنى لرفع توهّم الآلهة فانّ ذلك ليس الّا من جهة الآلهيّة [وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِى اِسْرائِيلَ عَنْكَ اِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ اِنْ هٰذا اِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَاِذْ اَوْحَيْتُ] وحى الهام لاوحى ارسال [اِلَى الْحَوارِيِّينَ اَنْ آمِنُوا بِى وَ بِرَسُولِى قالُوا آمَنّا وَاشْهَدْ بِاَنَّنا مُسْلِمُونَ اِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ] لمّاكان المقصود تنبيه الامّة على ما لا ينبغى لهم من مطالبة الآيات من الرّسول (ص) او من اميرالمؤمنين (ع) وكان ما ذكر سابقاً من نعم عيسى (ع) توطئة لهذا المقصد واشارة الى انّهم محض هوى النّفس سألوا المائدة والّاكان فيما انعم الله به على عيسى (ع) غنية عن غيرها من الآيات غيّر الاسلوب و اتى به من غير عطف حتّى لا يتوهّم انّه كسابقه من النّعم و قد سألوا رسول الله (ص) الآيات وبعد ما أتاهم بها كفروا وسألوا علياً (ع) وكفروا بها بعد الاتيان بها كما فى التّواريخ والاخبار [ياعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ] كأنّ السّؤال كان قبل ان يعرفوا معرفة تامّة اوالمقصود الاستطاعة المطابقة للحكمة وقرئ هل تستطيع بالخطاب اى هل تستطيع سؤال ربّك [اَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ] المائدة الخوان عليه الطّعام من ماد اذاتحرّك اومن مادة اذا اعطاه [قالَ اتَّقُوا اللّٰهَ] من الاقتراح على الله [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] به وبقدرته [قالُوا نُرِيدُ اَنْ نَأْكُلَ مِنْها] تمهيد عذر للسّؤال [وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا] لاكطلب ابراهيم (ع) اطمينان القلب بقرينة [وَنَعْلَمَ اَنْ قَدْ صَدَقْتَنا] فى ادّعاء النّبوّة من قادر بليغ القدرة اوكان مرادهم الاطمينان بالشّهود مثل ابراهيم (ع) بعد اليقين العلمىّ ويكون المقصود من قوله ونعلم ان قد صدقتنا العلم الشّهودىّ [وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشّاهِدِينَ] للغياب منّا اومن الحاضرين للاكل [قالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اَللّٰهُمَّ رَبَّنا] تكرار النّداء حين الدّعاء وظيفة الدّعاة [اَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً] اى يكون يوم نزولها يوم

عيد، اوتكون لناسروراً لانّ السّروريعود وقتاً بعد وقت [لِاَوَّلِنا وَ اخِرِنا] بدل تفصيليّ يعنى للحاضرين ولمن لم يأت الى يوم القيامة اولجميعنا [وَ ايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنا وَاَنْتَ خَيْرُ الرّازِقينَ] من وسائط الرّزق من افراد الانسان و من الاسباب العلويّة و الارضيّة و من القوى النّباتيّة الّتى هى اقرب الوسائط للرّزق الصورىّ و من افراد الانسان من الاعداء و الاحباب الّذين كانوا اسباب كمالٍ للعباد بالقهر و اللّطف و من معلّمى الحرف والصّناعات ومن مكمّلى النّفوس بالتّعليم الحقيقى الرّوحانىّ ومن المدارك الظّاهرة و الباطنة الحيوانيّة والانسانيّة للرّزق الحقيقىّ الرّوحانىّ [قالَ اللّهُ] مجيباً لهم [اِنّى مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَاِنّى اُعَذِّبُهُ عَذاباً لا اُعَذِّبُهُ اَحَداً مِنَ الْعالَمينَ] نزول الآية وكيفيّة المائدة وكيفيّة اكلهم مذكورة فى المفصّلات باختلافٍ فى الرّوايات من اراد فليرجع اليها [وَاِذْ قالَ اللّهُ] اتى بالماضى لتحقّق وقوعه او لانّه كان بالنّسبة الى الرّسول المخاطب ماضياً بحسب المقام [يا عيسَى بْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونى وَ اُمِّىَ اِلٰهَيْنِ] الخطاب لعيسى(ع) والمقصود تقريع امّته وتبكيتهم والمنظور التّعريض بامّة محمّد (ص) الّذين قالوا بآلهيّة الائمّة [مِنْ دُونِ اللّهِ] والسّرّ فى هذا التّقييد فى كثيرٍ من امثال هذه الآية انّ جعل الخلفاء مظاهر الهيّته وآلهة بآلهيّته كماورد عنهم فى قوله : **هو الّذى فى السّماء آله وفى الارض آله** انّه كناية عن تسلّط خلفائه لا ضير فيه ولاعقاب على قائليه وجعلهم اوغيرهم آلهةً مقابلة لله و مغايرة له كفر باعث للعتاب على قائليه [قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لى] ما ينبغى لى والتّعبير بالمضارع للاشارة الى انّه بعدكونه على اشرف الاحوال لايليق بحاله التّفوّه بمثل هذا المقال فكيف قال وهوفى اخسّ الاحوال، كأنّه قال لايليق بحالى واقرارى بعبوديّتك والخلوص فى طاعتك فى هذه الحالة [اَنْ اَقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقٍّ] فكيف قلته فى اخسّ الاحوال [اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ] لانّك [تَعْلَمُ ما فى نَفْسى وَلا اَعْلَمُ ما فى نَفْسِكَ] هو من باب المشاكلة اوالمعنى مافى ذاتك اوهذه الكلمة كناية عمّا يخفى الانسان عن الغير من غير ملاحظة نفس وروح [اِنَّكَ اَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ] تعليل للجملتين بمنطوقه ومفهومه [ما قُلْتُ لَهُمْ اِلّا ما اَمَرْتَنى بِهِ اَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ] ان تفسيريّة بمنزلة اى تفسير للقول بجعل القول بمعنى الامر اوتفسير لامرتنى بتقدير امر من القول بعد ان ، والتّقدير ماقلت لهم الّا ماامرتنى به ان قل اعبدوا الله وحينئذٍ لاحاجة الى تكلّف فى ذكر ربّى وربّكم بعد **اعبدوا الله** ، اومصدريّة بدلاً اوبياناً لما والقول بمعنى الامر اوللضّمير المجرور ولايلزم فى البدل جوازطرح المبدل منه حتّى يقال: يلزم منه بقاء الموصول بدون العائد ، او ان تفسيريّة تفسير لامرتنى من دون تقديرٍ ويكون ذكر **ربّى وربّكم** حكاية لما قال لهم من عند نفسه منضمّاً الى المحكّى اشعاراً بانّه حين أمرهم بالعبادة اقرّ لنفسه بالعبوديّة وانّ اقرارهم بالرّبوبيّة له كان لاتّباع الهوى لابشبهةٍ نشأت من قوله ويجوز ان يكون خبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف [وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهيداً] مراقباً لهم على اعمالهم [ما دُمْتُ فيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنى كُنْتَ اَنْتَ الرَّقيبَ عَلَيْهِمْ وَاَنْتَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهيدٌ] تعميم بعد تخصيص دفعاً لتوهّم التّخصيص [اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبادُكَ] تفعل بهم ماتشاء شروع فى الشّفاعة باحسن وجه [وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزيزُ] لامانع لك

من المغفرة [الْحَكِيمُ] تعلم بلطف علمك استحقاقهم لها وقدر استحقاقهم [قَالَ اللّٰهُ] انّى اغفر للصّادق منهم فى قوله غير متجاوز من حدّه وحدّ عيسى (ع) لانّ [هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا اَبَداً رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] وفى تقدّم رضا العبد على رضا الله اورضا الله على رضا العبد مامرّ عند قوله فتاب عليه انّه هو التّواب الرّحيم وعند قوله **فاذكرونى اذكركم** من سورة البقرة [ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] .

عن امير المؤمنين عليه السّلام قال : كان القرآن ينسخ بعضها بعضاً وانّما يؤخذ من امر رسول الله (ص) بآخره وكان من آخر مانزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء، ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحى حتّى وقفت وتدلّى بطنها حتّى رأيت سرّتها تكاد تمسّ الارض وأغمى على رسول الله (ص) حتّى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب ، ثمّ رفع ذلك عن رسول الله (ص) فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله (ص) وعملنا . و عن الصّادق (ع) : نزلت المائدة كملاً و نزلت معها سبعون الف الف ملك .



سورة الانعام

مكّيّة غيرستّ آياتٍ ؛ ثلاث منها من قوله : وَمٰا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ (الى آخر ثلاث آياتٍ) وثلاث من قوله : قُلْ تَعٰالَوا (الى آخر ثلاث آيات) اوغير الثّلاث الاخيرة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] قد مضى [الَّذى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] الخلق قد يطلق على مطلق الايجاد سواء كان مسبوقاً بمدّة ومادّةٍ و هوالخلق بالمعنى الاخصّ كالمواليد اومسبوقاً بمادّة دون المدّة وهوالاختراع كالافلاك و ما فى جوفها من العناصر ، او لم يكن مسبوقاً بشيءٍ منهما مع التعلّق بالمادّة وهوالانشاء كالنّفوس، اوبدونه وهو الابداع كالعقول، والجعل المتعدّى لواحد بمعنى الخلق لكنّ الاغلب استعماله فيما له تعلّق بمحلّ اوشيءٍ آخرعرضاً كان اوجوهراً كقوله هو الّذى انشأ كم وجعل لكم السّمع والابصار والافئدة لما فيه من شوب معنى التّصيير، ولمّا كان النّوروالظّلمة العرضيّان متعلّقين بالمحلّ ذكر الخلق بالمعنى الاعمّ فى ايجاد السّماوات والارض والجعل فى ايجاد النّور والظّلمة ، والسّماء اسم لما له ارتفاع و تأثير فيما دونه والافلاك الطّبيعيّة احد مصاديقها، فانّ العقول الطّوليّة يعنى الملائكة المقرّبين والّذين هم قيام لاينظرون والعقول العرضيّة يعنى الملائكة الصّافات صفّاً والنّفوس الكلّيّة المدبّرات امراً والنّفوس الجزئيّة الرّكّع والسّجّد والاشباح المثاليّة ذوات الاجنحة كلّها سماوات، والارض اسم لما فيه تسفّل وقبول عن الغير فالارض الغبراء وعالم الطّبع بسمائها وارضها والاشباح الظّلمانيّة يعنى عالم الجنّة والشّياطين بل الاشباح النّوريّة كلّها ارض بالنّسبة الى عالم الارواح لتسفّلها وتأثّرها عنه ، والمادّة الاولى المسمّاة بالهيولى والثّانية المسمّاة بالجسم والثّالثة المسمّاة بالعنصر والرّابعة المسمّاة بالجماد والخامسة المسمّاة بالنّبات والسّادسة المسمّاة بالحيوان والسّابعة المسمّاة بالبشر كلّها اراضٍ بالنّسبة الى الصّور والنّفوس وكلّها طبقات متراكمة ودركات متلاحمة فى وجود الانسان ، و الارض الغبراء ارض بالنّسبة الى الافلاك و دركات العالم الظّلمانىّ السّفلىّ الّذى فيه الجنّة و الشّياطين ودركات الجحيم ودار المعذّبين اراضٍ بالنّسبة الى عالم المثال، ومن الارض مثلهنّ اشارة الى ماذكر من مراتب العالم السّفلىّ او مراتب الموادّ و قد اطلق فى الاخبار السّماء والارض على غير ما ذكر من الصّفات و الاخلاق وطبقات السّماء باعتبار محيطيّتها ومحاطيّتها والكلّ راجع الى ما ذكر لهما من المفهوم وقد قيل بالفارسيّة :

آسمانهاست در ولايت جان　　　كارفرماى آسمان جهان

و فى الاخبار ما يدلّ على تعدّد السّماوات فى عالم الارواح ولتقدّم السّماوات شرفاً ووجوداً ورتبةً وعلّيّةً من حيث النّزول قدّمها على الارض ، وجمع السّماوات وافراد الارض ههنا وفى اكثر الآيات للاشارة الى كثرة السّماوات وقلّة الارض وانّ الارض مع تعدّدها وكثرتها من حيث محاطيّتها امر واحد وانّ طبقاتها متراكمة بحيث انّ الدّانية فانية فى العالية ومتّحدة معها ، وليست السّماوات كذلك فانّها كثيرة محيطة مستقلّة غير متراكمة، بين كلّ سماء وسماء مسافة بعيدة ، والنّور اسم للظّاهر بذاته والمظهر لغيره وهذا المعنى حقيقةً حقّ حقيقة الوجود الّتى هى حقيقة الحقّ الاوّل تعالى شأنه، فانّه ظاهر بذاته من غير علّة وفاعل يظهره ومظهر لغيره من الانوار الحقيقيّة و العرضيّة و ظلمات المهيّات و الحدود و نقائص الاعدام وطلسمات عالم الطّبع و عالم الجنّة و الشّياطين فالحقّ الاوّل تعالى احد مصاديق النّور و المقصود ههنا غيره تعالى لتعلّق الجعل به وليس الاوّل تعالى مجعولاً و الاولى بالنّوريّة بعد الحقّ الاوّل تعالى الحقّ المضاف الّذى هو فعل الاوّل تعالى وكلمته واضافته الاشراقيّة والحقيقة المحمّديّة (ص) والمشيّة الّتى خلق الاشياء بها وهو ايضاً حقيقة واحدة بوحدة الحقّ الاوّل وهو ظهوره و تجلّيه الفعلىّ واسمه الاعظم وهو تجلّيه تعالى على الاشياء . ولمّا كان الحقّ المضاف لابشرطٍ والّلا بشرط يجتمع مع الف شرطٍ كان متّحداً مع الاشياء الّتى ظهر هو فيها ومقوّماً لها ومعها وليست الاشياء سواها و الحقّ الاوّل من حيث فاعليّته هو الحقّ المضاف، فانّ الفاعليّة هى نفس الفعل ولولا الفعل لماكان الفاعليّة والفعل بوحدته عين المنفعلات من حيث انّها منفعلات فصحّ ما قيل انّ بسيط الحقيقة كلّ الاشياء يعنى من حيث الفعل وصحّ مانسب الى الفتوحات وهو قوله: سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها، يعنى بحسب الفعل ومثال ذلك النّفس حيث انّها بوحدتها كلّ القوى فانّها فى البصر عين البصر ، وفى السّمع عين السّمع ، و هكذا فى غيرها و مع ذلك ما انثلم وحدتها و ما تنزّلت عن مرتبتها العالية الغيبيّة ولولا هذا الاتّحاد والعينيّة لما صحّ نسبة فعل القوى اليها حقيقةً كما انّه لولا عينيّة الحقّ الاوّل مع الاشياء لما صح نسبة افعالها اليه حقيقة وكان قول القدريّة صحيحاً وقول الثنويّة حقّاً ، وهذا النّور حقيقة واحدة ظلّيّة مضيئةٌ لسطوح المهيّات و الحدود و الكثرة المتراائاة انّما هى بعرض المهيّات ولا ينثلم بها وحدتها الذّاتيّة كما انّ النّور العرضىّ الشّمسىّ حقيقة واحدة وتكثّره بتكثّر السّطوح لاينثلم به وحدته ، والظّلمة عبارة عن عدم النّور فهى خافية فى نفسها مخفية لغيرها وهذا شأن المهيّات والحدود والاعدام الّتى نشأت من تنزّل الوجود وضعفه، وكلّما زاد التنزّل والضّعف ازدادت الحدود والمهيّات والخفاء والاخفاء حتّى اذا وصل الى عالم الطّبع الّذى اختفى فيه صفات الوجود، وقد علمت انّ الكثرة بالذّات للحدود وبالحدود يتميّز الوجود كما انّ بالسّطوح تميّز النّور العرضىّ ولولاها لماظهر ،ولذلك قدّم الظّلمات مجموعاً واخّر النّور مفرداً عكس الاوّل فقال تعالى [وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ] و لمّا كان الدّهريّة و الطّبيعيّة و القائلون بالبخت و الاتّفاق و القائلون بالاجزاء الّتى لا تتجزّى وغيرهم من الفرق الملحدة قائلين بقدم العالم بصورته ومادّته اوبمادّته فقط كانت الفقرة الاولى منعاً لدعويهم ، ولمّا كان اكثر الثّنويّة قائلين بقدم النّور والظّلمة وانّها مبدءان للعالم وقد مضى وجه مغالطتهم فى اوّل سورة النّساء عند قوله انّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة، كانت الفقرة الثّانية منعاً لدعويهم [ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] فيه معنى التّعجّب، وتخلّل ثمّ للاشارة الى استبعاد التّسوية مع كونه خالقاً للسّماوات والارض والظّلمات والنّور، ولمّا كان الايمان به ينفتح باب القلب وبانفتاحه يوقن بالله وصفاته و ملائكته وكتبه ورسله ، و بدون ذلك الانفتاح لا يمكن الايمان بالله و لذا اختصّ الايمان بمن بايع عليّاً (ع)

و خلفائه و دخل البيعة فى قلبه ما به ينفتح بابه الى الملكوت كان الكفر هو ستر باب القلب وعدم انفتاحه بتلك البيعة فالكافر من لم يبايع عليّاً(ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة ، ولذلك فسّر الكفر فى اكثر الآيات بالكفر بالولاية و الكفر بعليّ (ع) والرّبّ المضاف كما ورد عنهم فى تفسير و كان الكافر على ربّه ظهيراً هو الرّبّ فى الولاية والرّبّ المطلق هو ربّ الارباب ، والوجه فى ذلك انّ الولاية هى اضافة الله الاشراقيّة الى الخلق فمعنى الآية بحسب المقصود ثمّ الّذين كفروا بعليّ(ع) بستر وجه القلب بترك بيعة عليّ(ع) وعدم دخول الايمان فى قلوبهم بعليّ(ع) يسوّون سائر افراد البشر ويمكن تعلّق بربّهم بكفروا وكون يعدلون بمعنى يسوّون او بمعنى يخرجون من الحقّ وبحسب التّنزيل ثمّ الّذين كفروا بالله بترك بيعة محمّد(ص) وعدم قبول الاسلام اوثمّ الّذين كفروا بالله بترك الاقرار بالله اوبوحدانيّته بربّهم الّذى هو ربّ الارباب يسوّون الاصنام، وهذه الفقرة ردّ بحسب الظّاهر على مشركى العرب وغيرهم من عابدى الوثن والعجل وغيرهما، وبحسب التّأويل ردّ على كلّ من انحرف عن الولاية [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ] باعتبار مادّتكم الاولى منع لمن ادّعى الآلهيّة لنفسه اولغيره من افراد البشر [ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا] اى حتم اجلاً لا تخلّف عنه [وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ] لايطلع عليه احداً من ملائكته و رسله فانّه علم استأثره لنفسه يقدّم منه مايشاء ويؤخّر مايشاء ، وامّا العلم الّذى يطلع عليه ملائكته ورسله فانّه محتوم لايكذب ملائكته ورسله والبداء والمحو والاثبات فى ذلك الاجل المسمّى عنده، وتحقيق مسئلة البداء والمحو والاثبات والحكمة المودعة فيه من التّرغيب فى الصّلات والدّعوات والتضرّعات والصّدقات وسائر العبادات، و سرّ استجابة الدّعوات مع عدم تأثّر العالى عن الدّانى موكول الى محلّ آخر من هذا الكتاب [ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ] فيه معنى التّعجّب واستبعاد الامتراء بالنّسبة الى الخالق [وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ] اعلم ، انّ الله فيه معنى الآلهة والتّصرّف بل جميع الاضافات الممكنة من الخالق بالنّسبة الى المخلوق فانّه الاسم الجامع وامام ائمّة الاسماء فاعتبر فيه معنى الوصف ولذلك جاز تعلّق الظّرف به ، وبيان اعراب الآية انّ لفظ هو مبتدء والله بدله او خبره و فى السّماوات ظرف لغو متعلّق بالله او بيعلم اوظرف مستقرّ خبر او خبر بعد خبر اوحال ، ويعلم الاتى خبر اوخبر بعد خبر اوحال اومستأنف ، وجملة هوالله عطف على جملة هو الّذى خلقكم اوحال وبعد ما علم معنى معيّته تعالى وقيّوميّته واحاطته بالاشياء يظهر معنى كونه آلهاً فى السّماء وفى الارض، وهذا ردّ على من اشرك معه غيره كبعض الثّنويّة القائل بانّ اهرمن او الظّلمة مخلوق الله لكنّه شريك له فى الايجاد والشّرور كلّها منسوبة اليه، وكجمهور الهنود القائلين بانّ الامور موكولة الى الملائكة ويسمّونهم باسماء، وكبعض الصّابئين القائل بانّ الكواكب مخلوقة لله لكنّها مدبّرة للعالم دون الله، وكبعض المشركين القائل بانّ العجل والوثن (وغيرهما) شفعاء عند الله ولها التّدبير والتّصرّف [يَعْلَمُ سِرَّكُمْ] من السّجايا والنّيّات والعقائد وجملة المكمونات الّتى لم تظهر بعد فى وجودكم ولم تشعروا بها [وَجَهْرَكُمْ] من الاقوال والاحوال والالوان والاشكال والنّسب والاموال [وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ] لانفسكم من تبعة اعمالكم الّتى تعملونها بجوارحكم تقرير لآلهيّته و وعد و وعيد للمحسن و المسيء منهم [وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ] عطف على يعلم سرّكم على ان يكون مستأنفاً اوحالاً اوهوحال ابتداء كأنّه قيل: ماحاله مع الخلق ؟ـ وماحال الخلق معه ؟ـ اوعطف على انتم تمترون وعلى اىّ تقدير ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة ، واعظم الآيات امير المؤمنين(ع) والمقصود من الآيات ههنا

اعمّ من الآيات التّكوينيّة والتّدوينيّة والآفاقيّة والانفسيّة [اِلّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ] الّذى هو اعظم آياته و هو الولاية كما سبق و تكذيبهم للحقّ لتمرّنهم على تكذيب مطلق الآيات [لَمّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ اَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] من الولاية [اَلَمْ يَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ] فاتّكلوا على حياتهم الدّائرة الفانية واستبدّوا بآرائهم الكاسدة وأعرضوا عن آياتنا، والقرن برهة كثيرة من الزّمان اوهو مدّة عشرة اوعشرين اوثلاثين اواربعين اوخمسين اوستّين اوسبعين اوثمانين سنة، أومائة اومائة وعشرين سنة، اواهل زمان واحد اوامّة بعدامّة، اوكلّ امّة هلكت فلم يبق منهم احد [مَكَّنّاهُمْ فِى الْاَرْضِ] بالصّحّة والقوّة فى الاجسام والسّعة فى الاموال والاولاد [ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَاَرْسَلْنَا السَّماءَ] اى المطر والسّحاب [عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَجَعَلْنَا الْاَنْهارَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ] يعنى هيّئنا لهم اسباب التّرفّه والسّعة والتّنزّه علاوة على تمكينهم فى الارض [فَاَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ] يعنى ما صار تمكّنهم حافظاً لهم عن بأسنا ولا امداد نالهم و استدراجنا ايّاهم [وَاَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ] تهديد بليغ لهم [وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِى قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِاَيْدِيهِمْ] مكتفين بالرّؤية لئلّا يقولوا سكّرت ابصارنا [لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبك [اِنْ هٰذا اِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ] لنهاية عتوّهم وتمرّنهم على الجحود [وَقالُوا] عناداً ولجاجاً [لَوْلا اُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ] ان كان رسولاً [وَلَوْ اَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِىَ الْاَمْرُ] امر حيوتهم اوالامر بقبض ارواحهم يعنى انّهم ضعفاء الابصار ليس لهم قوّة الجمع بين الطّرفين، والملك لا يدركه الّا بصيرة باطنة اخرويّة لا البصر الظّاهر الدّنيوىّ فلوانزلنا ملكاً حتّى يروه لا نسلخوا من ظواهرهم البشريّة ولا نقلب الدّنيا آخرة و الحيوة مماة فلقصورهم و ضعفهم لم ننزّل ملكاً بحيث يرونه، ولاينا فى هذا نزول الملك على الرّسل (ع) لجمعهم بين الدّنيا و الآخرة كما مضى تحقيقه وكيفيّة مشاهدة الملك فى المنام و اليقظة للرّسل و سماع قوله للانبياء و المحدّثين عند قوله و اثمهما اكبر من نفعهما من سورة البقرة [ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً] جوابٌ ثانٍ اوجواب لاقتراح ثان فانّهم تارة قالوا: لولا انزل عليه ملك، وتارة قالوا: لواراد الله ان يبعث الينا رسولاً لانزل ملكاً [وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ] يعنى لوانزلنا ملكاً امّا جعلناه بصورة ملكٍ ولم يقووا على ادراكه، اوجعلناه بصورة رجلٍ ولو جعلناه بصورة رجلٍ لا وقعنا عليهم الالتباس و الامتراء حتّى يقولوا فيه ما قالوا فى الرّسول البشرىّ، فالآية اشارة الى قياس استثنائىٍّ منفصل التّالى مرفوعة بكلاشقّيه ان كانت جواباً بكلاشقّيه لسؤال واحد، اواشارة الى قياسين استثنائيّين ان كانت جوابين لسؤالين منهم [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية له (ص) [فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] يعنى احاط بهم العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن، اووبال القوى الّذى كانوا بسببه يستهزؤن [قُلْ سِيرُوا فِى الْاَرْضِ] اى سيروا فى الارض الظّاهرة باقدامكم وفى ارض القرآن وتواريخ الامم الماضية بابصاركم، وفى ارض العالم الصّغير ببصائركم [ثُمَّ انْظُرُوا] اى تفكّروا، وتخليل ثمّ لانّ التّفكّر هوترتيب المقدّمات والانتقال منها الى النّتائج وبالسّير يحصل المقدّمات وبعد حصول المقدّمات يمكن التّفكّر [كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] بالرّسل (ع) فى شأن أنفسهم او فى شأن اوصيائهم

اوعاقبة المكذّبين بأوصيائهم [قُلْ] للمكذّبين و المقترحين [لِمَنْ مٰافِى السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] الزاماً لهم على الاقرار حتّى يتنبّهوا ان ليس لهم الاقتراح على المالك وانّه يفعل مايشاء ويرسل من يشاء [قُلْ] انت من قبلهم ولاتنتظر جوابهم فانّه لاجواب لهم سواه [لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] فبرحمته لا يهملكم و يرسل اليكم الرّسل ويرغّبكم فى طاعته ويحذّركم من مخالفته و يمهلكم فى معصيته [لَيَجْمَعَنَّكُمْ] قرناً بعد قرن الجملة الاولى و هذه امّا جزء مقول القول او استيناف من الله ، ويحتمل ان يكون هذه مستأنفة و الاولى مقولة القول ، ويحتمل ان يكون هذه بدلاً من الرّحمة لجواز تعلّق الكتب بالجملة [اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لٰارَيْبَ فيهِ] قد مضى نظيره [اَلَّذينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لٰايُؤْمِنُونَ] مستأنف لاستدراك ما يتوهّم من انّه لاينبغى لاحد ان يبقى على الكفر بعد وضوح الامر كأنّه قال لكنّ الّذين خسروا انفسهم لايؤمنون ، ودخول الفاء فى الخبر وتخلّل الضّمير للدّلالة على السّببيّة والحصر والتّأكيد ، وقيل موضع الّذين نصب على الذّمّ اورفع على الخبريّة اى انتم الّذين خسروا انفسهم [وَلَهُ مٰاسَكَنَ فِى اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] هذا ايضاً يحتمل كونه مقولاً للقول و مستأنفاً يعنى قل لهم بعد ماقلت انّ له ماسكن فى الامكنة له ماسكن فى الازمنة، وسكن من السّكنى اوالسّكون ، ولمّا كان التّجدّد والانطباق على الزّمان من خواصّ الطّبيعيّات الّتى هى المتحيّزات كان ماسكن فى اللّيل والنّهار يعنى ما دخل تحت الزّمان بعينه هوماسكن فى السّماوات والارض اى ماانطبق على المكان وان عمّم السّماوات والارض بين مطلق الارواح والاشباح فاللّيل والنّهار يعمّان، ولمّا كان مملوكيّة الاشياء له مهتمّاً بها اكّد الاوّل بالثّانى بتغيير العبارة ليتمكّن فى نفوسهم [وَهُوَ السَّميعُ الْعَليمُ] لا سمع الّا بسمعه ولا علم الّا بعلمه [قُلْ اَغَيْرَ اللهِ اَتَّخِذُ وَلِيّاً] بعد انّه مالك الكلّ [فٰاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] التّوصيف به للاشعار بالعلّة [وَهُوَ يُطْعِمُ وَلٰا يُطْعَمُ] علّة اخرى للحكم [قُلْ اِنّى اُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ] لايسبقنى احد فى ظاهر الاسلام ولا فى باطنه لانّى امرت تكويناً و تكليفاً ان اكون خاتم الرّسل و سابق الكلّ [وَ] قيل لى [لٰاتَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكينَ] اوهوعطف على قل [قُلْ اِنّى اَخٰافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّى عَذٰابَ يَوْمٍ عَظيمٍ] تعريض بهم فانّه ابلغ فى الانصاف والمقصود قطع اطماعهم عن اضلاله ، عن الصّادق(ع) ما ترك رسول الله(ص) انّى اخاف ان عصيت ربّى عذاب يوم عظيم، حتّى نزلت سورة الفتح فلم يعد الى ذلك الكلام [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] عن النّبىّ(ص) والّذى نفسى بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعمله، قالوا ولاانت يارسول الله؟- قال(ص): ولا انا الّا ان تغمدّنى الله برحمةٍ منه وفضل [وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبينُ] مقول القول اومستأنف من الله [وَاِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلٰا كٰاشِفَ لَهُ اِلّٰاهُوَ] عطف على قوله من يصرف (الى آخره) كأنّه قال ان يصرف الله العذاب عنك يؤمئذ فقد رحمك [وَاِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَديرٌ] من اقامة السّبب مقام الجزاء يعنى فلامانع له [وَهُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ] كيفيّة قهره للعباد بفناء الكلّ تحت سطوته يستفاد ممّامضى [وَهُوَ الْحَكيمُ] فى فعاله لايفعل مايفعل الّا بحكمة [الْخَبيرُ] بما يقتضى اختلاف التّدبير وانواع التّصرّف فيهم [قُلْ اَىُّ شَىْءٍ اَكْبَرُ شَهٰادَةً] توطئة لاشهاد الله يعنى انّهم يقرّون بأنّ الله أعظم وأصدق من كلّ شهيدٍ فنبّههم

على ذلك ثمّ قال [قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] ويحتمل ان يكون الله مبتدءً محذوف الخبر جواباً من قبلهم وشهيداً خبراً محذوف المبتدأ مستأنفاً لبيان المقصود [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْاٰنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ] في ايّ مكانٍ كان وفي ايّ زمانٍ الى يوم القيامة يعني لانذركم وانذر من بلغه القرآن اومن صار بالغاً مبلغ الرّجال و روى انّ من بلغ معطوف على المستتر في انذركم وترك التأكيد بالضّمير المنفصل للفصل والمعنى لانذركم اناومن بلغ من آل محمّد(ص) ان يكون اماماً كقوله تعالى، وقل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرةٍ اناو من اتّبعني [اَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ اَنَّ مَعَ اللّٰهِ اٰلِهَةً اُخْرٰى قُلْ لَا اَشْهَدُ قُلْ] بعد ماوبّخهم على شهادتهم انّ مع الله آلهةً اخرى [اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَاحِدٌ وَاِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ اَلَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] من اليهود و النّصارى [يَعْرِفُونَهُ] اى رسول الله (ص) بماذكر لهم في كتبهم من اوصافه اوالّذين آتيناهم الكتاب من امّة محمّدٍ(ص) يعرفون محمّداً(ص) بالصّدق في امر الولاية اويعرفون عليّاً(ع) بما شاهدوا منه من فضله وعلمه وصدقه وامانته [كَمَا يَعْرِفُونَ اَبْنَاءَهُمْ] مبالغة في اثبات معرفتهم [اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر اواستدراك توهّم متصوّر كأنّه قيل افامنوا به اوتوهّم انّه مابقي منهم كافر وتكرار الموصول لانّ كلّا جوابٌ او استدراك لما نشأ من امرٍ غيرمنشأ الآخر ، و يحتمل كون الثّاني بدلاً او مفعولاً لمحذوف اوخبراً لمبتدءٍ [وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] بادّعاء خلافة الله لنفسه او بنسبة ماقاسه برأيه الى الله ، اوبتوهّم انّ الرّسوم والعادات من الله ، اوبادّعاء النّيابة من الامام من غير اذنٍ واجازةٍ غفلة عن انّ النّيابة من الامام شفاعة عندالله للخلق ولاتكون الّا باذن الله ، اوبكتابة كتاب النّبوّة بأيديهم ونسبته الى الله ، اوبكتب صورة القرآن بأيديهم ونسبته الى الله [اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ] التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة واعظم الكلّ بل اصل الكلّ وحقيقته الانسان الكامل والاصل فيه عليّ(ع) امير المؤمنين ، ولفظ اوههنا لمنع الخلوّ فانّ اكثرهم جامعون بين الوصفين مع انّه لو لم يكن لهم الّا واحد منهما كفى [اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] كأنّه قيل: فما حال الظّالم حتّى يكون من هو اظلم اشدّ فيها؟ فقال جواباً : انّه لايفلح الظّالمون ولذا اكّده استحساناً [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً] واذكر اوذكّرهم [ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ اَشْرَكُوا] بالله في الآلهة اواشركوا بولاية عليّ(ع) ولاية غيره كذا ورد عنهم (ع) ههنا وفي اكثر موارد ذكر الشّرك والكفر ، والسّرّ في ذلك كما سبق مراراً انّ معرفة الله وصفاته و الايمان به لمّا كان موقوفاً على فتح باب القلب وفتحه يتوقّف على الولاية و البيعة الولويّة الّتي هي الايمان وبها يدخل الايمان في القلب وينفتح بابه ، ولذا ورد بنا عرف الله، ومعرفة الله ان تعرف امام زمانك وغير ذلك بطريق الحصر كان الكفر والشّرك هو عدم فتح باب القلب اوعدم معرفة الامام اوالكفر والاشراك بالامام و الكفر بالرّسالة يكون كفراً على كفرٍ [اَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ] من اصنامكم و غيرها الّتي جعلتموها بالمواضعة شركاء لله ويقال هذا تهكّماً بهم [اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء لله اوشركاء لعليّ(ع) [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ] اى عذرهم للخلاص كما في الخبر من : فتنت الذّهب اذا اخلصته [اِلَّا اَنْ قَالُوا وَاللّٰهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] يحلفون على كذبهم لله كما كانوا يحلفون في الدّنيا للنّاس [اُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من آلهتهم اومن شركائهم في الولاية، مضيّ الفعلين لتحقّق وقوعهما كأنّهما

وقعا سواء كان الخطاب عامّاً اوخاصّاً اوبالنّظر الى المخاطب المخصوص اعنى محمّداً (ص) فانّه ينظرويرى ما لم يجيء فى سلسلة الزّمان [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ] حين تتلو عليهم آيات الكتاب اومناقب وصيّك [وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً] جمع الكنان وهو ما يستر الشّيء كراهة [أَنْ يَفْقَهُوهُ] اولئلّا يفقهوه [وَفِي آذَانِهِمْ] اى اذان قلوبهم [وَقْرًا] كراهة ان يسمعوه فان تتل عليهم كلّ آية فى رسالتك اوخلافة وصيّك لايسمعوا [وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ] من آياتنا العظمى و معجزاتك [لَا يُؤْمِنُوا بِهَا] بسبب ازدياد قسوتهم و عنادهم فكيف يؤمنون بك او بوصيّك و ازدادت قسوتهم [حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ] فى نبوّتك او خلافة وصيّك [يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا] بك اوبوصيّك [إِنْ هَٰذَا] القول الّذى تسميّه قول الله او ان هذا الّذى تقوله فى ابن عمّك [إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] جمع اسطار جمع سطر اوجمع اسطورة كناية عن اسمارهم وخرافاتهم [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ] عن هذا اوعنك بطريق الالتفات اوعن علىّ (ع) بطريق التّورية [وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ] يعنى يمنعون النّاس عنه ويتباعدون عنه [وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ] بالتّباعد عنه [وَمَا يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ] قرئ بيناء المفعول والفاعل من وقف اذا قام اواقام اواطّلع يعنى لوترى اذاقيموا اواطّلعوا على النّار لرأيت عجيباً فظيعاً بحذف الجواب [فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا] لمارأوامن مقامك اومقام اوصيائك [وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بمحمّد (ص) او بأمير المؤمنين (ع) وهذا الكلام والتّمنّى منهم يكون لدهشة الخوف لالقائد الشّوق والّا لخلصوا وماا جيبوا بكلّا وانّها كلمة هو قائلها وامثال ذلك كما فى قوله تعالى كلماارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها يعنى ان كانوا يريدون الخروج منها من شوق لم يعيدوا فيها وقوله تعالى [بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ] دليل عليه فانّ المعنى ما حصل لهم حبّ وشوق الى علىّ (ع) لانّ فطرتهم فطرة البغض له بل بدالهم وبالنفاقهم فخافوا غاية الخوف فتمنّوا الخلاص من الخوف لاالوصال من الشّوق [وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ] لانّه ذاتىّ والذّاتىّ لايتخلّف بل قد يختفى بعارض فاذازال العارض ظهر [وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] فى ما يقولون من انّهم ان ردّوا لايكذبوا ويؤمنوا لما عرفت انّه ليس هذا التّمنّى من شوق ذاتىّ بل من امر عرضىّ يزول بزواله [وَقَالُوا] عطف على عادوا او عطف على يقول الّذين كفروا والاختلاف بالمضىّ للاشارة الى انّ ذلك قولهم قديماً وجديداً ، اواستيناف لذمّ اخروبيان عقوبة اخرى وهو انسب بمابعده من قوله ولوترى اذوقفوا على ربّهم يعنى تكذيبهم بالبعث يقتضى احضارهم عندالله بأفضح حال وتكذيبهم بالآيات يقتضى دخولهم فى النّار بأشدّ عذاب [إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ] كما يوقف العبد الجانى على مولاه للمؤاخذة و الرّبّ المضاف هو ربّهم فى الولاية وهو اميرالمؤمنين (ع) وقد قال فى بعض كلامه (ع) : و اياب الخلق الىّ و حسابهم علىّ ، و قد مضى فى مطاوى ما سبق بيان عدم تجاوز الخلق عن المشيّة الّتى هى الولاية وانّها مبدء الكلّ ومنتهاه [قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ] تعييراً لهم على تكذيب البعث [قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا] لظهوره ولذا اكّدوا الجواب بالقسم تأكيداً للازم الحكم الّذى هو علمهم بالحكم [قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بربّكم الّذى هو علىّ (ع)

[قَدْخَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقٰاءِاللّٰهِ] فى مظاهره الولويّة فانّ لقاءه تعالى اضافة بينه وبين عبده وحقيقة اضافاته تعالى هى اضافته الاشراقيّة الّتى هى الولاية المطلقة وهى علىّ (ع) بعلويّته [حَتّٰى إِذٰا جٰاءَتْهُمُ السّٰاعَةُ] ساعة الموت اوساعة القيامة او ظهور القائم(ع) يعنى ظهور الامام عند حضور السّاعة و قد فسّرت فى الاخبار بكلّ والكلّ راجع الى معنى واحد والتّفاوت اعتبارىّ [بَغْتَةً] ولقوا الله بظهور علىّ (ع) او ظهور القائم (ع) [قٰالُوا يٰا حَسْرَتَنٰا] جيئي فهذا او ان حضورك [عَلىٰ مٰا فَرَّطْنٰا] وقصّرنا [فِيهٰا] فى السّاعة ولقاء الرّبّ عندها [وَهُمْ] حينئذ [يَحْمِلُونَ أَوْزٰارَهُمْ] اثقالهم الّتى كسبوها فى الدّنيا [عَلىٰ ظُهُورِهِمْ] لانّه لايزر اليوم وازرٌ وزر آخر [أَلٰا سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا إِلّٰا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] لايليق بالحكيم ان يجعل مثلها غايةً لفعله، واللّعب ماكان له غاية خياليّة، واللّهو مالم يكن له غاية، وهو عطف على قالوا ان هى الّا حيوتنا الدّنيا، اوعلى اليس هذا بالحقّ، اوعلى بلى وربّنا، اوعلى فذوقوا العذاب، اوعلى قدخسر الّذين كذّبوا، اوعلى ياحسرتنا، اوعلى هم يحملون اوزارهم، اوحال متعلّق بواحدة من الجمل السّابقة [وَلَلدّٰارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] وامّا الّذين لايتّقون فهى اشدّ دار لهم عذاباً [أَفَلٰا تَعْقِلُونَ] انّه لايليق بالحكيم جعل الاولى غاية ويليق به جعل الثّانية غاية فاطلبوها [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ] فى حقّك بانّه ساحر او مجنون او غير ذلك اوفى حقّ خليفتك بان لايردّوا هذا الامر اليه وهو استيناف وتسلية للرّسول(ص) ولاينبغى لك ان تحزن [فَإِنَّهُمْ لٰا يُكَذِّبُونَكَ] من حيث انّك بشر مثلهم فقد لبثت فيهم وماقالوا فيك الّا خيراً وكنت معروفاً فيهم بالصّدق والامانة حتّى لُقّبتَ بمحمّد الامين [وَلٰكِنَّ الظّٰالِمِينَ] لانفسهم بتكذيب الآخرة ولقاء ربّهم [بِآيٰاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ] يعنى انّك بعد ماصرت رسولاً وآيةً لنا كذّبوك من هذه الحيثيّة ويرجع التّكذيب من هذه الحيثيّة الى الله لا اليك، اوانّهم لايكذّبونك من حيث انت رسول من الله ولكنّهم يكذّبون عليّاً(ع) وتكذيبك فيما قلت فى حقّه راجع الى تكذيب علىّ (ع)، وقرئ لايكذبونك من: اكذبه اذوجده كاذباً، اونسبه الى الكذب اوصيّره كاذباً، اى لايجدونك كاذباً ولا يأتون بامر يجعل صدقك كذباً، هكذا روى عنهم [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مٰا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتّٰى أَتٰيهُمْ نَصْرُنٰا] فتأسّ بهم واصبر ولاتحزن [وَلٰا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِ اللّٰهِ] عطف باعتبار المعنى اوجملة حاليّة كأنّه قال: لامانع من نصر الله ولامبدّل لكلمات الله اى مواعيده وآياته العظمى من الرّسل واوصيائهم(ع)، اوآياته القهريّة من مظاهر الشّرور فانّه لايقدر احد على تبديلهم عمّاهم عليه [وَلَقَدْ جٰاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ] و اقوامهم و انّ الغلبة بالآخرة لهم على اقوامهم لا لاقوامهم عليهم [وَإِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرٰاضُهُمْ] عنك اوعن علىّ (ع) [فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً] جحراً او منفذاً [فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمٰاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ] من تحت الارض او من السّماء وجوابه محذوف اى فافعل والمقصود التّعريض بمنافقى امّته والعتاب لهم واظهار انّه (ص) محزون على تولّى القوم عنه وعن علىّ(ع)، اوالمقصود التّعريض بمن هو حريص على اتيان الآية للمقترحين من موافقى امّته [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

الْهُدٰى] يعنى انّ هداهم وضلالهم بمشيّة الله وماكان بمشيّةالله فالرّضا به اولى من الحزن عليه [فَلاٰتَكُونَنَّ مِنَ الْجٰاهِلِينَ] انّ الكلّ بمشيّة الله ولمّا توهّم من هذا انّهم مجبورون فى افعالهم ولادخل لهم فى ضلالهم و هديهم رفع ذلك بانّ استعدادهم و استحقاقهم يقتضى تلك المشيّة فقال تعالى [إِنَّمٰا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ] يعنى الّذين يستعدّون للقبول فبقدر سببيّة القابل فى الفعل لهم سببيّة فى ضلالهم و هديهم و لمّا توهّم من انّ المستعدّ يجيب و غير المستعدّ لا يجيب انّه لا ينبغى لغير المستعدّ دعوة ولا امر ولا نهى ولا يلزم عليه ذمّ ولوم فأجاب عنه وقال [وَالْمَوْتٰى] الّذين لا استعداد لهم و المتوقّفون فى مراقد طبعهم اذا جاهدوا [يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ] من مراقد طبعهم [ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] فيسمعون بعد التّوجّه اليه ويجيبون بعد السّماع ليس الموت للموتى حتماً ولا الحيوة للاحياء حتماً [وَقٰالُوا لَوْلاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ] ولايشعرون قدرةالله على ذلك ولايشعرون الآيات وانّ الله اجلّ من ان يقترح عليه شيءٌ وعدم علمهم لكونهم موتى [وَمٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْأَرْضِ] توصيفه بوصف الجنس وكذا ما بعده للاشارة الى ارادة الجنس [وَلاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ] مخلوق مرزوق مدبّر والتّناسخيّة يتوسّلون بامثال هذا فى رواج مذهبهم و المقصود ذمّهم على عدم العلم و انّ الحيوانات العُجم مثلكم فى كلّ جهة وتميزكم عنها بالعلم والاشتداد فيه فاذا لم تكونوا تعلمون فلاتميز بينكم [مٰا فَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ] اى فى اللّوح المحفوظ الّذى هذا القرآن صورته التّامّة فما فرّط فيه ايضاً من شيءٍ وسائر الكتب صورته النّاقصة ولذا كان مهيمناً على الكلّ ناسخاً له ، وهومن فرّط الشّيء بمعنى ضيّعه واهمله لا من فرّط فى الشّيء بمعناه حتّى يكون فى الكتاب مفعوله ومن شيءٍ مفعولاً مطلقاً بل فى الكتاب ظرف و من شيءٍ مفعول به ، لانّ المقصود عدم اهمال شيءٍ فى الكتاب بترك ثبته فيه وهويستفاد صريحاً اذا جعل من شيء مفعولاً به، وامّا اذا جعل مفعولاً مطلقاً فلايستفاد الّا التزاماً والمقصود انّا كما احصيناكم فى الكتاب واحصينا ارزاقكم وآجالكم كذلك احصيناهم لافرق بينكم الّا بالعلم وعدمه [ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] كما تحشرون [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا] عطف على محذوف اى فالّذين آمنوا بآياتنا وصدّقوها خارجون من صمم الحيوانات وبكمها وظلماتها بامتيازهم بالعلم عنها، والّذين كذّبوا بآياتنا التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة وعلىّ(ع) اعظمها والانفسيّة والعقل اعظمها و هو مظهر علىّ (ع) [صُمٌّ وَبُكْمٌ] مثل سائر الدّوابّ وليس الفرق بينهم الّا بالايمان والعلم [فِي الظُّلُمٰاتِ] زائداً على سائر الدّوابّ فانّها غير خارجة من انوار نفوسها الضّعيفة بخلاف الكافر بالولاية فانّه يخرج من نوره القوىّ الّذى هو نورالنّفس الانسانيّة وهوجهة العلم و الايمان الى ظلمات الجهل السّاذج ثمّ ظلمات الجهل المركّب ثمّ ظلمات الاهوية الفاسدة ثمّ ظلمات الطّبع ثمّ استدرك توهّم انّ فى ملكه ، ماليس بمشيّته بقوله تعالى [مَنْ يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ] و يجعله اصمّ وابكم و فى الظّلمات [وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] الصّراط المستقيم كما سبق هو طريق الولاية وطريق القلب الى الله و هوالولاية التّكوينيّة وصاحب الولاية طريق ايضاً بمراتبه المنتهية الى الله والاصل فى صاحبى الولاية علىّ(ع) وطريق القلب وطريق

الولاية وصاحب الولاية متّحدة والتغائر اعتبارىّ فصحّ تفسير الطّريق المستقيم بالولاية وبعلىّ(ع) كلّما وقع كما فسّروه لنا، فالمعنى من يشأالله يضلله عن الولاية ومن يشأ يجعله على ولاية علىّ(ع) [قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ] هذه اللّفظة لكثرة استعمالها صارت كالمثل فلا يتغيّر الضّمير المرفوع بحسب حال المخاطب وقد يلحق صورة الضّمير المنصوب بها وقد لاتلحق واذا لحقت يلحظ فيها كثيراً حال المخاطب وهى حرف خطاب اوضمير نصب تأكيد للضّمير المرفوع اومفعول اوّل لرأيت و اذاكانت حرفاً للخطاب اوتأكيداً للضّمير المرفوع فمفعولا رأيت كانا محذوفين، اوجملة الشّرط والجزاء قائمة مقامهما معلّقاً عنها رأيت، اوجملة غيرالله تدعون معلّقاً عنها واذاكانت مفعولاً اوّلاً فالمفعول الثّانى محذوف او هو جملة الشّرط و الجزاء اوجملة غيرالله تدعون معلّقاً عنها العامل ولمّاكان الاستفهام استخباراًوكانت هذه الكلمة غيرباقية على صورتها ومعناها الاصيلين صار المقصود الاستخبار من مضمون ما بعدها من غير نظرٍ الى مضمون نفسها فكأنّه قال اخبرونى [إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ] فى الدّنيا اوالآخرة او المنظور منه عذاب الدّنيا فقط لاشعار السّاعة بعذاب الآخرة [أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ] فسّرت السّاعة بساعة الموت وساعة ظهور القائم عجّل الله فرجه وبساعة القيامة والكلّ صحيح اذالمقصود اتيان حالة لايثبت فيه الخيال ويفرّ الهوى والآمال وهذه الحالة تكون فى كلّ من هذه [أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ] يعنى لاتدعون فى هذه الحال الّاالله المتعال لانّ كلّ ماسواه ممّا هومتشبّث الخيال ومعتمد الهوى والآمال ينسى ولايبقى فى تلك الحالة الّاالفطرة الانسانيّة المفطورة على دعاءالله وجواب الشّرط محذوف اوهوجملة اغيرالله بحذف الفاء [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى اشراك الاصنام اوالكواكب فى الآلهة والجملة معترضة وجواب الشّرط محذوف والتّقدير ان كنتم صادقين فادعوا غيرالله فى تلك الحال [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ] تصريح بمفهوم مخالفه قوله اغيرالله تدعون [فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ] يعنى ليس اجابتكم حتماً [وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ] يظنّ انّه كان المناسب ان يقدّم النّسيان لكنّه اخّر النّسيان وحذف مفعول تدعون للاشعار بانّ نسيان الشّركاء كان بمرتبة كأنّه نسى نسيانهم ايضاً ولم يكن نسيانهم فى ذكر المتكلّم وكان اهتمامهم بكشف الضرّ بحيث لم يبق فى نظرهم الله الّذى يدعونه اليه [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية للرّسول(ص) وتهديد للامّة [فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ] البأساء الدّاهية سواء كانت فى الحرب او فى غيرها [وَالضَّرَّاءِ] النّقص فى الانفس والاموال، يعنى فى بدو ارسالهم ليتكسّر سورة خيالهم وقوّة اهويتهم حتّى يقبلوهم بسهولة اوبعد تكذيبهم وشدّة تعاندهم حتّى يرجعوا ويتوبوا [لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ] ويلتجئون الى رسلهم، اعلم، انّ الانسان وقت الامن والصّحّة وسعة العيش خصوصاً حين تشبّب القوى الحيوانيّة يعدّ نفسه من اعزّ الخلق ولايعدّ غيره فى شيء، ويظنّ انّه احسن الخلق رأياً ويفرّق نفسه على الاهوية والآمال، فاذا ابتلى ببلاءٍ فى نفسه اواهله اوماله انكسر سورة انانيّته وتضرّع الى ربّه والتجأ الى من يظنّ انّه من قبل ربّه، ولذلك كان تعالى اذا ارسل رسولاً الى قوم ابتلاهم ببليّةٍ ليلتجؤا الى الرّسل ويقبلوا منهم [فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا] اى فلولا تضرّعوا اذجاءهم بأسنا [وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] استدراك باعتبار المعنى يعنى لاعذرلهم حينئذٍ فى ترك التّضرّع ولكن قست قلوبهم [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ] من البأساء والضّرّاء بترك الاتّعاظ بها [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]

من المأمولات والمهويّات استدراجاً لهم وامهالاً [حَتّىٰ إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا اُوتُوا] ممّا يرونهم نعمة [اَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ] الابلاس اليأس والتّحيّر وقيل منه ابليس وقيل انّه اعجميّ [فَقُطِعَ دٰابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا] وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بالعلّة [وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ] جملة لانشاء الحمد والشّكر، اوعطف على دابر القوم، اوعلى قطع بمعنى بقي الحمدلله [رَبِّ الْعٰالَمِينَ] وفسّرت الآية في الخبر هكذا فلمّا نسوا ما ذكّروا به من ولاية اميرالمؤمنين(ع) وورد ايضاً انّه في ولد عبّاس [قُلْ اَرَاَيْتُمْ إِنْ اَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَاَبْصٰارَكُمْ وَخَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ] فيسلب تميزكم كالمجانين [مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيٰاتِ] آيات قدرتنا وشواهدها [ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ] يعرضون ولا يتأمّلون فيها [قُلْ اَرَاَيْتَكُمْ إِنْ اَتٰيكُمْ عَذٰابُ اللّٰهِ بَغْتَةً] من غير تقدّم امارة [اَوْجَهْرَةً] مع تقدّم امارته [هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظّٰالِمُونَ وَمٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلّٰا مُبَشِّرِينَ] بشأنهم الولويّ [وَمُنْذِرِينَ] بشأنهم النبويّ [فَمَنْ آمَنَ] بالايمان العامّ [وَاَصْلَحَ] بالايمان الخاصّ، اومن آمن بالبيعة على يد عليّ (ع) واصلح نفسه بالوفاء بالشّروط الّتي اخذت عليه كما عرفت انّ الاصلاح لايمكن الّا بدخول الايمان في القلب وهو مسبّب عن الايمان الخاصّ [فَلٰا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلٰا هُمْ يَحْزَنُونَ] لما سبق انّ الخوف والحزن من صفات النّفس والمؤمن المصلح قد سافر من حدود النّفس ودخل حدود القلب الّذي من دخل فيه كان آمناً، ويتبدّل خوفه بالخشية وحزنه بالاشتياق الّذي يعبّر عنه بالفارسيّة «بدرد» كما قيل:

قدسيانرا عشق هست و درد نيست　　　درد را جز آدمى در خورد نيست

وغيّر الاسلوب لانّ الخوف منشأه امر خارج فكأنّه من طوارى النّفس والحزن منشأه القلب فهو من صفات النّفس ولملاحظة توافق رؤس الآي وقد مضى تحقيق و تفصيل لهذه الآية في اوّل البقرة [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا] بلسان الحال اولسان القال [بِآيٰاتِنٰا] واعظمها الولاية ومن تكذيبها يسرى التّكذيب الى غيرها من الآيات [يَمَسُّهُمُ الْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ] بالخروج عن حكم العقل ومظهره الّذي هو النّبيّ (ص) اوالوصيّ [قُلْ لٰا اَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزٰائِنُ اللّٰهِ] يعني تنزّل الى مقام البشريّة و دارهم بحسب بشريّتك و أظهر ما هو لازمها حتّى يروك مثلهم فلاينفروا عنك فقل: ليس عندي خزائن الله فتطالبوني بمال كثيرٍ [وَلٰا اَعْلَمُ الْغَيْبَ] فتطالبوني بالاخبار المغيبات [وَلٰا اَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ] فتطالبوني بمايقدر الملك عليه من الصّعود في السّماء و اتيان كتابٍ منه و امثال ذلك [إِنْ اَتَّبِعُ إِلّٰا مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ] في كلّ بابٍ من الاحكام والآيات الّتي يظهرها الله على يدي والاخبار بالمغيبات [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمىٰ] عن النّبوّات وكيفيّتها [وَالْبَصِيرُ] بها و بانّ النّبيّ لايجوز ان يكون غير البشر و يجرى عليه كلّ ما يجرى على سائر افراده، الّا انّه يعلم بتعليم الله مالايعلمه غيره ويوحى اليه ولايوحى الى غيره [اَفَلٰا تَتَفَكَّرُونَ] في عدم التّسوية حتّى تخرجوا من ظلمة العمى الى نور البصر [وَاَنْذِرْ بِهِ] اى بالله اوبالقرآن اوبعليّ(ع) اوبما يوحى اليك [الَّذِينَ يَخٰافُونَ اَنْ يُحْشَرُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ]

المضاف الّذى هو ربّهم فى الولاية [لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ] الولىّ هو الشّيخ فى الولاية والشّفيع كالنّصير هو الشّيخ فى الدّلالة ، وبعبارةٍ اخرى الولىّ هو معلّم احكام القلب والشّفيع هو معلّم احكام القالب والاوّل شأن الولاية و الثّانى شأن النّبوّة و لمّا كان النّبوّة صورة الولاية وكلّ نبىّ له ولاية لا محالة وكذا كلّ ولىّ له خلافة للنّبوّة، فكلّ من النّبىّ والولىّ يصحّ ان يكون شفيعاً ووليّاً معاً والضّمير فى من دونه راجع الى ربّهم [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] عمّا يصرفهم عن ربّهم ،اعلم، انّ الانسان فطرىّ التّعلّق وكلّما انزجر ممّا تعلّق به من الدّنيا و اهلها طلب التّعلّق بمن يطمئنّ اليه ويسلم له من جهة الآخرة، وكلّما طلب ذلك التّعلّق والارادة والتّقليد هُيّج شياطينه الجنيّة والانسيّة لتحذيره عن هذا الامر وتخويفه وصدّه فكلّما هيّج الشّوق عزمه للطّلب صدّه الشّياطين عنه وخوفّوه وقيل بالفارسيّة :

تو چو عزم دين كنى با اجتهاد ديو بانگت بر زند اندر نهاد
كه مرو زينسو بينديش اى غوى كه اسير رنج و درو يشى شوى
سالها او را ببانگى بندهٔ كار او اينست تا تو زندهٔ

فمعنى الآية على هذا انذر بالقرآن الّذى هو صورة الولاية الّتى اصلها والمتحقّق بها امير المؤمنين (ع) الّذين يريدون و يطلبون الحضور عند ربّهم الّذى هو علىّ (ع) اوخليفته ويريدون التّعلّق به و التّقليد له بان يحشرهم الشّيخ الدّليل الّذى هو كالنّبىّ بالآداب المسنونة اليه، ويخافون بتخويفات الشّياطين الانسيّة والجنيّة عن الحضور لديه والتّعلّق به، فانّهم بكيد الشّيطان قاعدون وبمحض انذارك يرتفع كيد الشّيطان فانّ كيده كان ضعيفاً ، وانذرهم بأنّه ليس لهم من دونه ولىّ يتولّى امورهم ولاشفيع يشفع جرائمهم عندالله يعنى انذرهم بانّ ربّهم فى الولاية له شأنّ النّبوّة والشّفاعة وشأن الولاية والتّربية، فهو حقيق بان يخاف من التولّى عنه ولايخاف من التّوجّه اليه لعلّهم يتّقون تخويفات الشّياطين ولايبالون بتهديداتهم ويقطعون سلاسل تهديداتهم ويحضرون عنده كالعاشق الّذى لا يبالى بما قيل فيه و ما عرض له [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ] فى الولاية يعنى ادع الطّالب للدّين ولاتطرد الدّاخل فى الدّين بقبول ولاية علىّ (ع) والبيعة الولويّة معه فانّك بعثت لدعوة الخلق اليه لا لطردهم عنه او لاتطرد عن نفسك الّذين يدعون ربّهم فى الولاية [بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ] يعنى يدعون ذاته ويريدون الاتّصال بملكوته بعد الاتّصال بملكه ، فانّ الدّعاء قد يستعمل فى دعاء الشّيء لامر اخر من نصرته واعانته وغيرهما وقد يستعمل فى دعاء ذات الشّيء طلباً له من غير ارادة امر آخر منه وهذا هو معناه اذا استعمل مطلقاً و هو المراد ههنا لاطلاقه و لقوله بياناً لهذا المرام [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] يعنى لا يريدون من دعاء ربّهم غير وجه الرّبّ و وجه كلّ شيء هو ما به يتوجّه الى شيءٍ آخر ، و لمّا كان الكلّ متوجّهاً بحسب التّكوين الى الله فما به توجّههم الى الله هو ملكوتهم المثاليّة او ما فوقها بحسب مرتبة الدّاعى و هذا فى المربوب و امّا الرّبّ فلمّا كان متوجّهاً الى الخلق للتّكميل كان وجهه الى الخلق ما به يتوجّه اليهم و ما به يتوجّه الى الخلق هو ملكوته ايضاً ، وفى هذا دليل على ماقالت العرفاء العظام من انّ السّالك ينبغى ان يكون دائم الذّكر ، فانّ المراد بالغداة والعشىّ استغراق الازمنة ولذا لم يكتف الله تعالى فى الذّكر بالاطلاق بل قيّده بالكثرة فى اكثر ما وقع و ينبغى ان يكون دائم الفكر ودائم الحضور، فانّ الفكر والحضور فى لسانهم هو التّفكّر فى ملكوت الرّبّ والحضور عنده وغاية تلقين الشّيخ الذّكر للمريد ودعاء المريد بالذّكر المأخوذ هى حصول وجه الرّبّ له والى هذا المعنى

اشارت الآية فتذكّر، وقد نقل عن الصّادق(ع) وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك، ولهم على مرامهم شواهد كثيرة نقليّة وعقليّة وماكان قصدنا الى بيان مقصدهم [مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] من حيث شأن نبوّتك بل حسابهم على ربّهم [وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ] عطف على تطردهم اوجواب للنّهى كما انّ تطردهم جواب للنّفى، يعنى انّ حساب من دخل فى الولاية وطردهم وابقاءهم انّما هو على شأنك الولوىّ لاعلى شأنك النّبوىّ فلاتطردهم بشأنك النّبوىّ الّذى يراعى الكثرة و يربّى كلّاً فى مرتبته ويحفظ لكلّ ذى شأن شأنه عن ارادة شهود الرّبّ والاتّصال بوجهه، ولاتطردهم ايضاً بحسب الصّورة بشأنك الحافظ للصّورة عن مجلسك بطلب القوم طردهم فانّ شأنك النّبوىّ يستدعى ان لاتقرّب الفقراء الّذين لاشأن لهم فى انظار اهل الدّنيا اليك، وان لاتحضرهم فى المجلس العامّ النّبوىّ، وقد ذكر فى شأن نزول الآية انّها نزلت فى قوم من المسلمين مثل صهيب وخبّاب وبلال وعمّار وغيرهم كانوا عند رسول الله(ص) فمربّهم ملأ من قريش فقالوا: يامحمّد(ص) ارضيت بهؤلاء من قومك؟! افنحن نكون تبعاً لهم؟! اهؤلاء الّذين منّ الله عليهم؟! اطردهم عنك فلعلّك ان طردتهم اتّبعناك، وقيل انّه (ص) قبل منهم ان يطردهم من عنده حين وفود القوم عليه واراد ان يكتب لهم كتاب عهد بذلك، فنزلت الآية ونحّى الكتاب وذكر غير ذلك فى المفصّلات [وَكَذٰلِكَ] اى مثل ابتلاء اغنياء قومك بفقرائهم [فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا] حالاً وقالاً اى الّذين لااستحقاق لهم للدّين واردنا ان نصرفهم عنك اوعن الولاية [أَهٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا] استهزاء بهم وتنفّراً عنهم حتّى لايرغبوا فى الاسلام اوفى الولاية ولايؤذوا صاحب الدّين بتزاحمهم بالاغراض الدّنيويّة له، فاللّام للغاية لا لمحض العاقبة كما قيل [أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ] فما بالك تطردهم وما بالهم يستهزؤن ويطلبون طردهم والله تعالى يذكرهم بالشّكر الّذى هو ابتغاء وجه ربّهم ثمّ بعد نهيه عن طردهم امره بتقريبهم والتّلطّف بهم بالتحيّة عليهم وبشارتهم بالغفران والرّحمة فقال [وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا] يعنى يؤمنون بالايمان الخاصّ الولوىّ فانّ من بايع عليّاً (ع) بالبيعة الولويّة يؤمن بجملة الآيات وهم الّذين يدعون ربّهم فى جميع الاوقات والّذين هم على صلوتهم دائمون وهم الّذين لايبتغون فى دعائهم الّا الاتّصال بملكوت ربّهم والحضور عنده ولقاء وجهه [فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم وتلطّفاً بهم وقل لهم [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] بشارةً لهم وتطييباً لنفوسهم وتأنيساً لهم الى ربّهم [أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ] بيان لمنشأ السّوء لا تقييد له، يعنى من عمل منكم سوء بالتّنزّل عن دارالعلم الى دارالجهل و قبول حكومة الجهل فانّ الواقع لايكون الّا هكذا [ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ] عن دار الجهل [وَأَصْلَحَ] نفسه بالدّخول فى دارالعلم [فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] اى يغفر له ويرحمه لانّه غفوررحيم فهو من اقامة السّبب مقام الجزاء [وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ] آيات الكتاب التّدوينىّ فى بيان احوال الخلق و اصنافهم و آيات الكتاب التّكوينىّ من الاولياء و الاشقياء و اتباعهم بآيات الكتاب التّدوينىّ لتستبين سبيل المطيعين حذفه لادّعاء ظهوره كأنّه لاحاجة له الى البيان من حيث انّه المقصود من كلّ الاحكام [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ] تنبيه على

انّ منشأ عبادتهم اهويتهم و قطع لاطماعهم و تأكيد لضلالتهم [قَدْ ضَلَلْتُ اِذاً] اذ اتّبعت اهواءكم و عبدت مدعوّاتكم [وَماٰاَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ اِنِّي عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي] تسفيهاً لرأيهم وتعريضاً بهم وانّهم على اهويتهم وتقليدهم ولا بيّنة لهم والعاقل ينبغى ان يكون فى طريقه و دينه وجملة افعاله على بيّنة [وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ] بالقرآن اوبعلىّ(ع) [ماٰعِنْدي ماٰتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] قيل اشارة الى ما قيل فأمطر علينا حجارة من السّماء اوائتنا بعذاب اليم عند نصب علىّ(ع) بالخلافة [اِنِ الْحُكْمُ اِلّاٰ لِلّٰهِ] وليس لى حكم فيماتستعجلون به [يَقُصُّ الْحَقَّ] يفصّل الولاية كيف مايقتضيه الحكمة والحكم لما سبق انّ الولاية هى الحقّ وانّ كلّ ماسواها فحقّ بحقيّتها [وَهُوَ خَيْرُ الْفاٰصِلِينَ] بين الحقّ ومن اتّصل به والباطل ومن اتّصل به [قُلْ لَوْ اَنَّ عِنْدي ماٰتَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] من العذاب [لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْني وَ بَيْنَكُمْ] لرفع النّزاع بينى وبينكم باهلاكى ايّاكم [وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظّاٰلِمِينَ] فيه معنى الاستدراك يعنى لكنّ الامر الى الله وهواعلم بالظّالمين ، روى عنهم(ع) انّ ورودالآيات فى الولاية [وَعِنْدَهُ] ابتداء كلام من الله اوجزؤ مفعول القول حالاً كان اوعطفاً [مَفاٰتِحُ الْغَيْبِ] جمع مفتح بالفتح بمعنى المخزن او مفتح بالكسر بمعنى المفتاح و لمّا نفى عن نفسه علم الغيب والقدرة على ما يستعجلون به اثبت مخازن الغيب اواسباب العلم به والتّصرّف فيه لله تعالى بطريق الحصر وعلى الاوّل فقوله [لاٰيَعْلَمُهاٰ اِلّاٰ هُوَ] يكون تأسيساً وعلى الثّانى يكون تأكيداً، ولمّا حصر علم الغيب فيه تعالى عمّم علمه بجملة المحسوسات الخارجة عن حدّ الاحصاء فقال [وَيَعْلَمُ ماٰفِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَماٰ تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ] من اوراق شجرة الجسم او من اوراق شجرة العلم او من اوراق شجرة الولاية او من اوراق الشّجرة الانسانيّة من النّطف الّتى تقع فى الرّحم ثمّ تسقط قبل ان تستهلّ [اِلّاٰ يَعْلَمُهاٰ وَلاٰ حَبَّةٍ فِي ظُلُماٰتِ الْاَرْضِ] وقدعمّمت الحبّة فى الخبر ويسهل عليك تعميمها [وَلاٰ رَطْبٍ وَلاٰ ياٰبِسٍ اِلّاٰ فِي كِتاٰبٍ مُبِينٍ] اثبات المعلوميّة دون الثّبوت بالنّسبة الى الورقة السّاقطة ، ونسبة الثّبوت فى الكتاب الى الاشياء الثّابتة للاشعار بانّ السّاقط ساقط عن الكتاب والثّابت ثابت فى الكتاب ، والكتاب المبين هواللّوح المحفوظ وصورته النّبوّة وصورتها القرآن الّذى اعطاه محمّداً(ص) والكلّ صورة الولاية الّتى اصلها وصاحبها أمير المؤمنين(ع) فعنده علم الكتاب الّذى لارطب ولا يابس الّا فيه [وَهُوَ الَّذي يَتَوَفّٰيكُمْ بِاللَّيْلِ] التّوفّى اخذ الشّيء بتمام اجزائه و المراد منه هنا مطلق الاخذ و بعد ذكر احاطة علمه اراد ان يذكر احاطة آلهيّته وربوبيّته [وَيَعْلَمُ ماٰجَرَحْتُمْ] ماكسبتم [بِالنَّهاٰرِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ] من نومكم [فِيهِ] فى النّهار [لِيُقْضٰى اَجَلٌ مُسَمًّى] ليمضى مدّة عمركم او الى ان يقضى و يختم غاية عمركم [ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِماٰ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقاٰهِرُ فَوْقَ عِباٰدِهِ] يحكم فيهم مايشاء بلامانع ولا يكتفى بقهره وتسلّطه واحاطته [وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] يحفظونكم من مردة الشّياطين وهوامّ الارض وسائر الآفات ويحفظون اعمالكم بالكتب والثّبت [حَتّٰى اِذاٰجاٰءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُناٰ] وقدمضى بيان توفّى الله والرّسل والملائكة وملك الموت فى سورة النّساء [وَهُمْ لاٰيُفَرِّطُونَ] فلا يشذّ عنهم شيء من

قواه و جنوده و هو تأكيد لمفهوم توفّته بحسب المعنى [ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ] كما جاؤا منه [مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ اَلالٰهُ الْحُكْمُ] يومئذٍ اومطلقاً [وَهُوَ اَسْرَعُ الْحاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] يعنى الزمهم الاقرار [تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً] جهراً [وَخُفْيَةً] سرّاً قائلين [لَئِنْ اَنْجيٰنا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ] تهديداً لهم [هُوَ الْقادِرُ عَلٰى اَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ] كما بعث على قوم لوطٍ بامطار الاحجار [اَوْمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ] كغرق فرعون وقومه وخسف قارون [اَوْيَلْبِسَكُمْ] يخلطكم [شِيَعاً] فرقاً مختلفى المسلك متخالفى الاهواء كلّ فرقة مشايعة لامام [وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ] بالمقاتلة والمدافعة والسّرقة وقطع الطّريق [اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] آيات قدرتنا على التّفضّل على المؤمنين و الانتقام من الكافرين عن الصّادق(ع) من فوقكم من السّلاطين الظّلمة و من تحت ارجلكم العبيد السّوء و من لاخيرفيه ، ويلبسكم شيعاً يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة ويذيق بعضكم بأس بعضٍ هو سوء الجوار ، وامثال هذا الخبر تريك طريق التّعميم فى الآيات وفى الالفاظ بما امكن ووسع اللّفظ [وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ] اى بكونه قادراً اوبعلىّ(ع) اوبالعذاب اوبالقرآن الّذى فيه ذكره [وَهُوَ الْحَقُّ] المتحقّق [قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ] حتّى امنعكم من التّكذيب وانّما علىّ التّبليغ [لِكُلِّ نَبَاٍ مُسْتَقَرٌّ] يعنى لكلّ خبروقتٌ وهو كالمثل فى العرب [وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] اوان وقوعه [وَإِذا رَاَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ] الخوض الامعان فى السّير فى البرّ كان او فى البحر و الاكثر استعماله فى الماء و المراد به ههنا الامعان فى سير النّظر [فِي آياتِنا] التّدوينيّة والتّكوينيّة واعظمها الولاية، وعن الباقر (ع) فى هذه الآية قال: الكلام فى الله والجدال فى القرآن قال منه القصّاص [فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ] النّهى عن القعود معهم [فَلاتَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ] اشارة الى انّ من يخوض فى الآيات يشتغل عن نفسه ومن اشتغل عن نفسه فهو ظالم على انّ خوضه دليل عدم انقياده و هو ظلم آخر [وَما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ] الخوض فى الآيات و ان اتّفق جلوسهم نسياناً معهم [مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم [وَلٰكِنْ ذِكْرىٰ] ولكن عليهم ان يذكّروهم قبح الخوض و يمنعوهم منه بقدر ما يمكنهم [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] الخوض ، فلايذكروا الآيات بما فيه ازدراء ولايقعوا فى ضلالته وعقوبته ، عن الباقر (ع) فلمّا نزلت فلاتقعد بعد الذّكرى مع القوم الظّالمين قال المسلمون: كيف نصنع ان كان كلّما استهزء المشركون قمنا وتركناهم فلاندخل اذاً المسجد الحرام ولانطوف بالبيت الحرام..!؟ فأنزل الله تعالى : وما على الّذين يتّقون من حسابهم من شيءٍ امر بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا [وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً] اللّعب ما لم يكن له غاية عقليّة ولكن كان له غاية خياليّة كلعب الاطفال ، واللّهو مالم يكن له غاية عقليّة ولاخياليّة وان كان له غاية خفيّة كامضاء عادةٍ مثلاً ، والمقصود عدم التّعرّض لمن اخذ دينه بخياله ولا يتصوّر له غاية سوى الغايات الخياليّة الدّنيويّة من الجاه والمناصب اوالصحّة والسّعة اوالتّوافق مع الاقران اوالتّفوّق على الامثال اوالتّنعّم فى الآخرة

والنّجاة من العقوبة فيها، او القرب من الانبياء و الائمّة فى الجنّة، او القرب من الله و الاختصاص من بين الامثال بذلك القرب لانّهم اخذوا صورة الدّين للدّنيا وجعلوا آلة الدّين شركاً للدّنيا ، وقوله تعالى [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا] اشارة الى هذا [وَذَكِّرْ بِهِ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمٰا كَسَبَتْ] وذكّرهم الولاية بالقرآن اوذكّرهم بولاء علىّ (ع) اوبعلىّ (ع) كراهة ان تمنع نفس من موائد الآخرة بما كسبت من اعمالها لانّ كلّ نفس بما كسبت رهينة الاّ الّذين تولّوا اميرالمؤمنين (ع) [لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاٰ شَفِيعٌ] صفة بيانيّة لنفس ، او استيناف فى موضع التّعليل ، والولىّ والشّفيع قدمضى بيانهما [وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ] وان تفد كلّ فداء [لاٰ يُؤْخَذْ مِنْهٰا اُولٰئِكَ] المتّخذون دينهم لعباً ولهواً [الَّذِينَ اُبْسِلُوا بِمٰا كَسَبُوا] استيناف فى موضع التّعليل [لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذٰابٌ اَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ اَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ] تعريضاً بهم ومداراة معهم [مٰا لاٰ يَنْفَعُنٰا وَلاٰ يَضُرُّنٰا وَنُرَدُّ عَلىٰ اَعْقٰابِنٰا بَعْدَ إِذْ هَدٰينَا اللهُ] الى طريقه المستقيم الّذى هو الولاية [كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰاطِينُ] اذهبته الجنّة على غير طريق [فِي الْاَرْضِ حَيْرٰانَ] لا يدرى اين يذهب و اين يذهب به [لَهُ اَصْحٰابٌ] لهذا المستهوى رفقة يرحمونه و [يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى] الى الطّريق قائلين [ائْتِنٰا] ترحّماً عليه و هو لا يجيب لما خولط من مسيس الجنّ [قُلْ] لهم انّ مثلكم مثل هذا المستهوى فانّ الشّياطين قد غلبت عليكم وسلبتكم عقولكم وانا واصحابى كرفقاء المستهوى ندعوكم الى الطّريق المستقيم الّذى هو ولاية علىّ (ع) ونقول لكم : انّ ولاية علىّ (ع) هو هدى الله و [اَنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدٰى] لاهدى سواه [وَاُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ] من جملة المقول يعنى قل امرنا لنسلم لربّ العالمين اعراضاً عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم اوانصافاً لهم فى اظهار الدّعوى [وَاَنْ اَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] عطف على لنسلم وان تفسيريّة ، وقيل: عطف على نسلم بتقدير دخول اللّام عليه و ان مصدريّة لكن دخول ان المصدريّة على الانشاء قليل و الخطاب فى قوله اقيموا يمنعه [وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] جملة حاليّة او معطوفة على جملة انّ هدى الله هوالهدى [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ] سماوات الارواح وارض الاشباح بسبب الحقّ الّذى هو المشيّة الّتى هى ولاية علىّ (ع) كما سبق تحقيقه اومتلبّساً بالحقّ ، فانّ الولاية مع الكلّ و متقوّم بها الكلّ ولا يخلو منها الكلّ [وَيَوْمَ يَقُولُ] عطف على منصوب اتّقوه اوعلى السّماوات اوعلى قل ان هدى الله بتقدير اذكر او ذكّر ، اوخبر لقوله الحقّ والجملة عطف على جملة هو الّذى اليه تحشرون ، اوظرف متعلّق **بالحقّ** او بعالم الغيب والمعنى قوله الحقّ اوعالم الغيب يوم يقول للشّيء الّذى يريد ايجاده و انّما حذفه لقصد التّعميم مع الايجاز [كُنْ] ذلك الشّيء [فَيَكُونُ] ويوجد ذلك الشّيء بلاتأبٍّ ولا تأنٍّ ، اعلم، انّ اليوم كمايطلق على يوم عالم الطّبع مقابل ليله كذلك يطلق على كلّ من مراتب العالم، فانّ كلّاً بالنّسبة الى المرتبة الّتى دونها يوم والمرتبة الدّانية ليل بالنّسبة اليها ، ولمّا كان عالم الطّبع عالم الاسباب بمعنى انّ سنّته تعالى جرت بان يوجد الاشياء فيه بالاسباب، كان موجوداته كأنّها تتأبّى عن الوجود بمحض قوله من دون تهيّة اسبابه والمكلّفون فيه ايضاً يتأبّون عن قوله، ولمّا كان مراتب الآخرة بتمام موجوداتها غير مسبوقة بمادّة ومدّة وسائر الاسباب كان موجوداتها قائمة

بمحض قوله موجودة بنفس امره فكان يوم يقول: كن؛ فيكون مختصاً بايّام الآخرة [قَوْلُهُ الْحَقُّ] فاعل يكون والحقّ صفة القول اومبتدء و خبر اومبتدء و يوم يقول خبره و المعنى قوله الحقّ الّذى هوالمشيّة فانّها جملة اضافاته الى الخلق اوقوله حقيقة ثابتة هى عين فعله وليس صوتاً يقرع ولالفظاً يسمع [وَلَهُ الْمُلْكُ] الملك يطلق تارة على عالم الطّبع مقابل الملكوت والجبروت ، وتارة على مايعمّ جملة الموجودات الّتى هى مملوكة له تعالى وهذاهوالمراد ههنا، اواريد الاوّل على ان يكون المراد بقوله: له الملك؛ انّ الملك يوم ينفخ فى الصّور خالص له و فى غير ذلك يظنّ انّ غيره له تصرّف فيه ولذلك وهم الثّنويّة فقالوا: انّ الظّلمة مقابلة للنّور، اواهرمن ليزدان ، ولكلّ منهما تصرّف فى الملك [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ] بدل من يوم يقول ، او ظرف مستقرّ خبر لقوله الحقّ ، اوخبر بعد خبر لقوله ، اولغو متعلّق بقوله ، اوبالحقّ اوبالظّرف فى قوله له الملك اوبعالم الغيب ، والصّور القرن الّذى ينفخ فيه من صار بمعنى صوّت [عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ] كالنّتيجة للسّابق [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ] قيل ليس بين النّسابين اختلاف فى انّ اسم ابى ابراهيم تارخ و هو موافق لما عليه الشّيعة من انّ آباء الانبياء (ع) مطهّرون من الشّرك و انّ ازر كان جدّه لامّه او عمّه [أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى مثل اراءتنا ابراهيم بطلان الاصنام وضلالة قومه اريناه ملكوت السّماوات والتّعبير بالمستقبل لاحضاره لكونه من الامور الغريبة ، والملكوت مبالغة فى المالك كالجبروت فى الجابر، والطّاغوت فى الطّاغى، ولمّا كان عالم الطّبع لاجهة مالكيّة له بل ليس فيه الّا المملوكيّة الصّرفة لم يسمّ ملكوتاً بل ملكاً، وباطن عالم الطّبع من عالم المثال فما فوقه يسمّى ملكوتاً لمالكيّته و تصرّفه بالنّسبة الى مادونه ، و قد يطلق الملك على ما سوى الله وعلى المثال وعلى الرّسالة و غير ذلك باعتبار مملوكيّتها للحقّ الاوّل تعالى ، والمراد بالملكوت ههنا عالم المثال اوهو وما فوقه ان كان المراد بالاراءة اعمّ من الكشف الصوريّ ، والمراد بالسّماوات والارض هما الطّبيعيّان [وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ] اى ليأنس ويقرب منّا وليكون من الموقنين، والقمى عن الصّادق (ع) كشط عن الارض ومن عليها وعن السّماء ومن فيها ، والملك الّذى يحملها والعرش ومن عليه ، وهو يدلّ على انّه لم يكن كشفاً صوريّاً فقط [فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ] ستره بظلامه [رَأَىٰ كَوْكَبًا] هو الزّهرة كما فى الخبر [قَالَ هَٰذَا رَبِّي] هذا الكلام منه يحتمل ان يكون على سبيل المماشاة مع القوم باظهاره الدّخول فى دينهم ثمّ الاستدلال بالافول والزّوال على عدم تربيته بالاستقلال ليكون اقرب الى الدّعوة والانصاف و ابعد عن الشّغب والاعتساف، ولايلزم منه الكذب المحرّم لانّه كان فى مقام الاصلاح، اوقصد تربيته بنحو تربية الكواكب للمواليد باذن الله وورّى بحيث يظنّ انّه اراد المعبود، اوقصد الانكار وانّه لايصحّ ان يكون ربّاً لكنّه ورّى بصورة الاخبار وكان المقدّر فى نفسه الاستفهام الانكاريّ ، ويحتمل ان يكون على سبيل الاستفهام الانكاريّ للانكار على قومه لانّهم كانوا ثلاثة اصناف: صنف يعبد الزّهرة ، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشّمس ، فأنكر على الثّلاثة عبادتهم ، ويحتمل ان يكون على سبيل الاخبار الاحتماليّ الّذى يصحّ لكلّ مستدلّ ان يخبر على سبيل الاحتمال عمّا أدّى اليه دليله فى بادى الامر لانّه كان فى اوّل خروجه من السّرب الّذى اخفته فيه امّه ولمّا ظهر له بعد امعان النّظر انّ ما ادّى اليه دليله فى بادى النّظر لم يكن نتيجة صحيحة انكره وقال: ليس هذا مؤدّى الدّليل الصّحيح، ومثل

هذا ممدوح لكلّ من اراد التّحقيق والخروج عن التّقليد ولايكون هذا شركاً، وكلّ هذه مرويّ عنهم (ع) لانّ القرآن ذو وجوهٍ والحمل على جملة الوجوه ما لم يؤدّ الى فساد ورد عنهم (ع) هذا ما يقتضيه التّنزيل، وامّا بحسب التّأويل فنقول: انّ السّالك مادام يكون فى سرب نفسه المظلم ولم يخرج بالولادة الثّانية الى فسحة عالم الملكوت يكون متحيّراً لايدرى من اين والى اين و فى اين، ثمّ اذا ادركته العناية الآلهيّة وخرج يسيراً من قعر سربه يطرؤ وعليه حالات واطوار وظلمات وانوار ومنيرات فربّما يرى انواراً عجيبة متلوّنة بالوان مختلفة، و ربّما يرى كواكب و اقماراً و شموساً و يذهل عن التّفكّر و استعمال المقدّمات فيظنّ فى بادى رؤيته كوكباً اوقمراً اوشمساً انّه هو، فيصيح به جبرئيل العقل ويفيق من محوه وينظر الى افول المرئىّ وتغيّره فيعلم انّه ليس به، ولاضير ان يكون حال ابراهيم (ع) فى بادى خروجه من سربه حال سائر السّلاك فيحسب فى بادى رؤيته الكوكب انّه هو، ثمّ ينظر بعقله الى زواله و تغيّره فيرى انّه ليس به ولايلزم منه شرك ولاكفر لانّ تلك الانوار ظهورات نور الانوار، وقد يغلب حكم الظّاهر على المظهر بحيث يظنّ انّ المظهر هو الظّاهر [فَلَمّٰا اَفَلَ قٰالَ لاٰأُحِبُّ الْاٰفِلِينَ] لمّا لم يجد فى نفسه داعياً قويّاً على التّبرّى ونفى الرّبوبيّة وكان غرضه المماشاة مع القوم باظهار الانصاف من نفسه حتّى يدخل فى المجادلة الحسنة، نفى حبّ الآفل عن نفسه كناية خفيّة عن نفى الرّبوبيّة ولذلك لم يؤكّده بشيءٍ من المؤكّدات [فَلَمّٰا رَاَى الْقَمَرَ بٰازِغاً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي فَلَمّٰا اَفَلَ قٰالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّٰالِّينَ] لمّا قوى الدّاعى لنفى الرّبوبيّة فى نفسه ونبّه القوم بالكناية الخفيّة على نفى ربوبيّة مثل هذا كنّى كناية اظهر من الاولى بنسبة الضّلال الى نفسه اوّلاً ليكون اقرب الى الانصاف بالكناية بقوله لئن لم يهدنى ربّى، و نسبة التّمكّن فى الضّلال صريحاً ثانياً بقوله لاكوننّ من القوم الضّالّين واكّد الحكم بمؤكّدات عديدة [فَلَمّٰا رَأَ الشَّمْسَ بٰازِغَةً قٰالَ هٰذٰا رَبِّي هٰذٰا اَكْبَرُ] تذكير الاشارة باعتبار الخبر ولتنزيه الرّبّ عن سمة التّأنيث [فَلَمّٰا اَفَلَتْ قٰالَ يٰاقَوْمِ اِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ] بعدما قوى الدّاعى وتمّ الحجّة نادى القوم صريحاً و اظهر التّبرّى و نفى الرّبوبيّة صريحاً واكّد الحكم بانّ واسميّة الجملة ثمّ لم يكتف به واظهر ربوبيّة الله الّذى هو خالق الكلّ باخلاص الوجه له وصرّح بنفى الاشراك به مؤكّداً فقال: [اِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفاً] خالصاً [وَمٰا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحٰاجَّهُ قَوْمُهُ قٰالَ اَتُحٰاجُّونِّي فِي اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰانِ] فلاينبغى لكم ان تحاجّونّى لانّى على هداية وبيّنة وانتم على عمى وضلالة [وَلاٰ اَخٰافُ مٰا تُشْرِكُونَ بِهِ] كأنّهم كانوا يحاجّونه بالتّخويف من آلهتهم و بما اراهم الشّيطان منهم من بعض مالايعتاد [اِلاّٰ اَنْ يَشٰاءَ رَبِّي شَيْئاً] وحينئذٍ لايكون خوفى منهم بل من ربّى [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] فلاأخاف ان يصيبنى مكروه من غير علم ربّى به [اَفَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ] بما اقول لكم من انّ ربّى خالق آلهتكم وانّ علمه محيط بالكلّ ولاقدرة ولاعلم لآلهتكم كما انّ ربّى له القدرة الكاملة والعلم الكامل [وَكَيْفَ اَخٰافُ مٰا اَشْرَكْتُمْ] يعنى لا ينبغى لى ان اخاف ما اشركتم به بعد ما بان انّ الشّركاء عاجزون جاهلون وانّ ربّى قادر عالم [وَلاٰ تَخٰافُونَ اَنَّكُمْ اَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ] يعنى انّ هذا امر عجيب اى تخويفى من العاجز الجاهل مع عدم خوفكم من اشراككم الجاهل العاجز بالعالم القادر [مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰاناً]

بيان لحال الشّركاء لا انّه قيد للاشراك اوتقييد للاشراك باعتبار انّ الشّخص ما لم يخرج من بيت نفسه وسجن طبعه لايمكنه الخروج عن الشّرك بل ليس طاعته وتبعيّته للانبياء والاولياء الّاالاشراك بالله ورؤية الثّانى له لكن هذا الاشراك ممّا نزّل الله به سلطاناً وحجّةً وهو طريق الى التّوحيد ومجاز وقنطرة الى الحقيقة وقد سبق تحقيق ذلك [فَاَىُّ الْفَرِيقَيْنِ اَحَقُّ بِالْاَمْنِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] نبّه على غباوتهم بانّ من له علم يميّز بين الامن وغيره، وعدم تميزهم لعدم شعورهم [اَلَّذِينَ اٰمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ايمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ اولٰئِكَ] كرّر المسند اليه باسم الاشارة البعيدة احضاراً لهم فى الذّهن و اشعاراً بعظم شأنهم و تأكيداً للحكم و تمييزاً لهم بحصر الامن والاهتداء فيهم [لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] عن امير المؤمنين (ع) انّه من تمام قول ابراهيم (ع) ويحتمل بحسب اللّفظ ان يكون مستأنفاً من الله ، ونقل عن رسول الله (ص) انّ المراد بالظّلم ماقاله العبد الصّالح يابنىّ لا تشرك بالله انّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ و يستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالايمان الايمان الخاصّ الولوىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة وانّ تنكير الظّلم للتّفخيم، والنّفى وارد على تفخيمه وليس من قبيل النّكرة فى سياق النّفى ليفيد العموم [وَتِلْكَ] الّتى ذكرناها من استدلال ابراهيم (ع) بالزّوال والدّثور وعدم القدرة والشّعور على بطلان معبوداتهم وبعكسها على حقيّة معبوده [حُجَّتُنٰا اٰتَيْنٰاهٰا اِبْرٰهِيمَ عَلٰى قَوْمِهِ] الهمناها باستعداده و قوّة نفسه و قدسه [نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ] و لمّا توهّم انّه يرفع درجاتٍ من يشاء سواء كان باستحقاقٍ اوبعدم استحقاقٍ رفع ذلك الوهم حتّى يتنزّه عن ارادة جزافيّة غير مسبوقة بحكمة ومصلحة بقوله [اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ] لا يفعل الّا عن حكمة و اتقان للفعل [عَلِيمٌ] بقدر استحقاق كلّ و كيفيّته وما يقتضيه [وَوَهَبْنٰا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ] تعظيم له ببيان ما منّ به عليه [كُلّاً هَدَيْنٰا وَنُوحاً هَدَيْنٰا مِنْ قَبْلُ] عن الباقر (ع) فى بيان اتّصال الوصيّة من لدن آدم (ع) الى زمانه (ع) هديناهم لنجعل الوصيّة فى اهل بيتهم ، وفيه اشعار بانّ هدايتهم امتنان من الله على محمّد (ص) واهل بيته لانّهم آباؤهم واولاد آبائهم كما انّ هداية نوح (ع) امتنان من الله على ابراهيم (ع) لكونه جدّه [وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ] عطف على ابراهيم والتّقدير تلك حجّتنا آتيناها ابراهيم (ع) وآتيناها بعضاً من ذرّيّته اوعطف على اسحق اويعقوب ، اوعطف على نوحاً، اوعطف على وهبنا ، اوهدينا ، بتقدير أرسلنا و هذا على ان يكون من التّبعيضيّة واقعاً موقع الاسم الخالص لقوّة معنى البعضيّة فيها و يكون داود و سليمان (الى الآخر) بدلاً تفصيليّاً والّا فهو حال من داود وسليمان ويجرى حينئذٍ فى داود وسليمان الوجوه المذكورة فى عطف من ذرّيّته والضّمير المضاف اليه لابراهيم اولاسحق اوليعقوب ، وعلى هذا كان المعدودون فى الآية الثّالثة عطفاً على نوحاً لانّ لوطاً ليس من ذرّيّة ابراهيم (ع) وكذلك من ذكر فى الآية الثّانية على ان يكون الياس هوادريس جدّ نوح (ع) وعلى هذا لو كان الضّمير لنوح (ع) لم يكن من فى الآية الثّانية عطفاً على داود ، و يحتمل ان يكون الضّمير لنوح (ع) لانّه اقرب والامتنان بهداية ذرّيّته على ابراهيم (ع) لانّ اكثرهم كانوا ذرّيّة ابراهيم (ع) ومن لم يكن ذرّيّة كان ذرّيّة آبائه [دٰاوُدَ وَسُلَيْمٰانَ وَاَيُّوبَ] بن اموص من اسباط عيصابن اسحاق كذا قيل [وَيُوسُفَ وَمُوسٰى وَهٰرُونَ] لم يراع فى ذكر الانبياء التّرتيب الوجودىّ ولا التّرتيب الشّرفىّ [وَكَذٰلِكَ] الجزاء الّذى جزينا ابراهيم (ع) من ايتاء الحجّة ورفع الدّرجات و جعل الانبياء من ذرّيّته ومن

فروع آبائه وهداية كثير من آبائه وذرّيّاته [نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] يعنى انّ جزاءنا ابراهيم (ع) بماجزينا انّما هو لكونه محسناً فكلّ من اتّصف بصفة الاحسان نجزيه مثله [وَزَكَرِيّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ] قيل: هو ادريس، وقيل: هو من اسباط هرون اخى موسى (ع) [كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ] استيناف واشارة الى استعدادهم واستحقاقهم وانّ هداية الله منوطة بالاستعداد من قبل القابل لانّ له ارادة جزافيّة [وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ] بن اخطوب علم اعجميّ ادخل عليه اللّام كما يدخل فى بعض الاعلام [وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ] فى زمانهم [وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ] عطف على كلّاً اونوحاً وجعلت من التّبعيضيّة لقوّة معنى البعض فيهاموقع الاسم [وَاجْتَبَيْناهُمْ] عطف على فضّلنا اوهدينا [وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ] تكرار هديناهم لتعيين المهديّ اليه، اوالمراد بالاوّل الاراءة وبالثّانى الايصال اوالاوّل هداية طريق النّبوّة والثّانى هداية طريق الولاية والصّراط المستقيم قديراد به الولاية مطلقاً سواء كانت قبولاً ام تحقّقاً، وقد يراد به الولاية الجامعة بين الكثرة والوحدة والجمع والفرق وهو المراد هنا والاصل فى الكلّ ولاية علىّ (ع) وهى متّحدة مع علىّ (ع) ولذلك فسّر قوله تعالى وانّ من شيعته لابراهيم بشيعة علىّ (ع) مع رجوع الضّمير ظاهراً الى نوح (ع) [ذلِكَ] المذكور من الهداية الى الصّراط المستقيم الجامع بين طرفى الكثرة والوحدة [هُدَى اللهِ] واسم الاشارة البعيدة واضافة الهدى الى الله اشعاراً بتعظيمه اوذلك الّذى هؤلاء الانبياء عليه هدى الله لاهدى غير الله [يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا] اى هؤلاء مع علوّ شأنهم [لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] فيزول بسببه ماتفضّلنا به عليهم فكيف بكم ان تشركوا بولاية علىّ (ع) [أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ] قديرادبه النّبوّة فانّها انتقاش القلب بالاحكام الآلهيّة و قد يراد به الرّسالة فانّها انتقاش الصّدر بالاحكام الآلهيّة و الكتاب التّدوينىّ صورة ذلك والمراد به هنا المعنى الثّانى [وَالْحُكْمَ] بمعنى الحكمة الّتى هى الدّقّة فى العلم المستتبع للاتقان فى العمل وهى مسبّبة عن الولاية والمراد بها هنا الولاية [وَالنُّبُوَّةَ] يعنى انّا تفضّلنا عليهم بالمراتب الثّلاث الّتى لاكمال اتمّ منها [فَإِنْ يَكْفُرْ بِها] اى بالمراتب الثّلاث [هؤُلاءِ] يعنى انّهم مقرّون بالمذكورين فان كان اقرارهم لاجل اتّصافهم بتلك المراتب فينبغى ان يقرّوا بك ايضاً لاتّصافك بها، و ان كان اقرارهم لاشخاصهم البشريّة مع كفرهم بتلك المراتب ولذا كفروا بك فلايضرّونها شيئاً [فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ] وهم اهل بيت محمّد (ص) واتباعهم وقد قيل: انّهم ابناء الفرس [أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ] الهاء للسّكت، امره تعالى مع كمال مرتبته وجلالة قدره بالاقتداء تعظيماً لشأن الاقتداء وترغيباً للامّة عليه فانّه لايمكن خروج نفس من ظلمات اهويتها ومضيق سجنها الّا بالاقتداء والارادة الّتى هى التّولّى وقبول الولاية والانقياد لولىّ الامر ولذلك ورد: لو انّ عبداً عبدالله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية ولىّ امره (وفى خبر) ولاية علىّ بن ابى طالب لاكبّه الله على منخريه فى النّار، ونقل عن الصّادق (ع): لاطريق للاكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لانّه المنهج الاوضح والمقصد الاصحّ، قال الله تعالى لاعزّ خلقه محمّد (ص): اولئك الّذين هديهم الله فبهديهم اقتده، فلو كان لدين الله مسلك اقوم من الاقتداء

لندب اولياءه وانبياءه اليه، ويجوز ان يكون الخطاب عاماً لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [قُلْ] لهؤلاء الكافرين برسالتك [لَاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ [أَجْراً] حتّى يثقل عليكم فتكفروا برسالتى [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرىٰ] عظة [لِلْعٰالَمِينَ] فمن شاء اتّعظ ومن شاء كفر لكنّهم لايتّعظون وجهلوا الله وقيّوميّته [وَمٰا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ] حتّى يعلموا سعة رحمته وكمال حكمته ورأفته بخلقه و انّ الرّسالة غاية لطف منه بالخلق [إِذْ قٰالُوا مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ] وانكروا لطفه وحكمته فى ارسال الرّسول [قُلْ لَهُمْ] نقضاً عليهم [مَنْ أَنْزَلَ الْكِتٰابَ الَّذِي جٰاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنّٰاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرٰاطِيسَ] تجزّئونه [تُبْدُونَهٰا وَتُخْفُونَ كَثِيراً] يعنى انّهم يبدون مالايظهر فيه رسالتك ويخفون مافيه رسالتك، وكذا يبدون مايوافق اهويتهم ويخفون مالايوافقها، وهو تعريض بأمّته (ص) حيث يبدون بعده من الكتاب مايوافق أهويتهم ويخفون مالايوافقها [وَعُلِّمْتُمْ] بذلك الكتاب [مٰا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلٰا آبٰاؤُكُمْ] من احكام الشّرع وآداب المعاش والمعاد [قُلِ اللّٰهُ] ان لم يجيبوا لك وبهتوا لانّهم لاجواب لهم سواه ، ويحتمل ان يكون هذا مستأنفاً غير مرتبط بالسّؤال ويكون المقصود امره (ص) بالمداومة على ذكر الله حالاً وقالاً والاعراض عنهم [ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ] فى ظلمات اهويتهم ولجج آمالهم بحيث لم يتمكّنوا من تصديقك وداموا على تكذيبك [يَلْعَبُونَ وَهٰذٰا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ] مثل كتاب موسى (ع) [مُبٰارَكٌ] جعل فيه البركة لمن تعلّمه وعمل به ودام على قراءته [مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب الّتى قبله لتذكّر به [وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ] مكّة و الصّدر وصاحب الصّدر [وَمَنْ حَوْلَهٰا] من اهل الشّرق والغرب فى الصّغير والكبير ولمّا كان المراد بمن حولها من سكن الدّنيا بالنّسبة الى الملكوتين السّفلى والعليا صحّ تفسيره بمن فى الارض [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] اى مذعنون بها [يُؤْمِنُونَ بِهِ] يعنى يذعنون بالكتاب وانّه من الله وحقّ وصدق لانّه صورة الآخرة ومن اذعن بالآخرة اشتاق اليها ، ومن اشتاق اليها اذعن وصدّق بكلّ ما فيه ذكرها ، وليس فى الكتاب الّا ذكرها ، ومن اذعن بالآخرة والكتاب آمن بعلىّ (ع) لانّ الآخرة والكتاب صورتا علىّ (ع) كما انّ بشريّته صورته، ومن آمن به صار مصلّياً حقيقة ومن صار مصلّياً حقيقة شغله لذّة الصّلوة عن كلّ لذّة فهم لايفارقونها [وَهُمْ عَلىٰ صَلٰوتِهِمْ يُحٰافِظُونَ] اضافه الصّلوة اليهم للاشارة الى انّه كان لكلّ صلوة مخصوصة هى روح صلوتهم القابليّة المشتركة بين الكلّ [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ قٰالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قٰالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ] نزول الآية مشهور وفى التّفاسير مسطور ، من انّها فى عبدالله بن ابى سرح وانّه قدم المدينة واسلم وكان له خطّ حسن وكان اذا نزل الوحى على رسول الله (ص) دعاه فيكتب ما يمليه رسول الله (ص) وكان يبدّل الكلمة مكان كلمة بمعناها وكان رسول الله (ص) يقول هو واحد فارتدّ كافراً ولحقّ بمكّة وهدر رسول الله (ص) يوم فتح مكّة دمه وعثمان التمس العفو منه (ص) فصار من الطّلقاء ، لكن المقصود والتّأويل فى اعداء علىّ (ع) حيث ادّعوا الخلافة لانفسهم و يجرى فى من نصب نفسه للمحاكمة بين الخلق او للفتيا وبيان احكامهم من غير نصّ واجازة من الرّسول (ص) بلاواسطة اوبواسطة ، فانّ حكم مثله وفتياه افتراء على الله ولو اصاب الحقّ فقد أخطأ وليتبوّأ

مقعده من النّار وليست الاجازة الالهيّة باقلّ من الاجازة الشّيطانيّة الّتى عليها مدار تأثيرات مناظرهم ونفخاتهم ولذلك وردعنهم (ع): هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبيّ اووصيّ اوشقيّ، اشارة الى مجلس القضاء وليس الوصيّ الّا من نصّ المنصوص عليه على وصايته، وكانت سلسلة الاجازة بين الفقهاء كثّر الله امثالهم والعرفاء رضوان الله عليهم مضبوطة محفوظة وكان لهم كثير اهتمام بالاجازة وحفظها، حتّى انّهم كانوا لايتكلّمون بشيء من الاحكام ولايحكمون على احدٍ بل لا يقرأون شيئاً من الادعية والاوراد من غير اجازة، وقد نقل العيّاشى عن الباقر (ع) فى تفسير الآية انّه قال : من ادّعى الامامة دون الامام [وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ] للامام اولانفسهم بالافتراء على الله بقرينة مايأتى من قوله بماكنتم تقولون على الله غير الحقّ، اشارة الى الافتراء وبقرينة كنتم عن آياته تستكبرون اشارة الى الانحراف عن الاوصياء والظّلم لهم، فالمعنى لوترى اذالظّالمون للامام اولاتباعه اولانفسهم اوللخلق بادّعاء الامامة اوالحكومة بين النّاس والفتيا لهم من غير اجازة [فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ] وشدائدها الّتى تغمر عقولهم وتدهشهم بحيث يغشى عليهم [وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ] لقبض ارواحهم قائلين [أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ] غيظاً عليهم [الْيَوْمَ] متعلّق باخرجوا او بتجزون و الجملة جزؤ مقول الملائكة او استيناف من الله كأنّه صرف الخطاب عن الرّسول (ص) وخاطبهم بنفسه وقال اليوم [تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] فالويل لمن اعرض عن المنصوصين و ادّعى الرّأى والفتيا لنفسه من غير نصٍّ من المنصوصين [وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ] هو ايضاً امّاجزء قول الملائكة اومن قول الله سواءٌ جعل الجملة الاولى من الله اومن الملائكة ، والمراد بالفرادى الفرادى عن كلّ مايظنّ انّه له من العيال والاموال ومن القوى والفعليّات وعن كلّ مايظنّ انّه شفيعه عندالله ممّا جعله شركاء الله او شركاء خلفائه [كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] فرادى عن كلّ ذلك و هذا يدلّ على ما قاله العرفاء من تجدّد الامثال فانّه يدلّ على تعدّد الخلق [وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ] فى الدّنيا من الاموال والعيال والقوى والفعليّات [وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ] من الاصنام والكواكب وغيرها من المعبودات الباطلة وممّن ادّعى الخلافة من دون اذنٍ واجازةٍ وممّن ادّعى الرّياسة والحكومة والفتيا من غير اجازةٍ [الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ] لله اولعليّ (ع) [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] اى وصلكم على قراءة الرّفع والبين من الاضداد و على قراءة النّصب فالفاعل مضمر والبين ظرف [وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء الولاية والخلافة اوشركاء الله عن الصّادق (ع): نزلت هذه الآية فى بنى اميّة وشركاؤهم ائمّتهم ثمّ لمّا ذكر حال المنحرفين و ظلمهم و عقوبتهم ذكر كيفيّة تدبيره للعالم و آيات قدرته وعلمه ليكون كالعلّة للزوم كون الخلافة من الله المشار اليه بقوله وهو الّذى جعل لكم النّجوم (الآية) و حجّة على المنحرفين عنها فقال [إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ] بالنّجم و الشّجر اوالاسلام من طينةٍ طيّبةٍ والايمان من الاسلام والكفر من طينة خبيثة اوالصّدر المنشرح بالاسلام من طينةٍ طيّبةٍ والقلب من ذلك الصّدر والمنشرح بالكفر من طينةٍ خبيثةٍ ، اوطينة المؤمن ممّا يطرؤ عليها من السّجّين وطينة الكافر ممّا يعرضها من العلّيّين، اوالعلم من العلماء والجهل من الجهلاء، اوالنّور من المستنير والظّلمة من المظلم فانّ الكلّ يسمّى حبّاً ونوىً باعتبار محبوبيّته وبعده من الخير كمااشير اليه فى الاخبار [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ]

خبر بعد خبر واسقط العاطف ههنا وفي قوله فالق الاصباح واتى به في قسيم كلّ وكذا في قوله والنّوى للاشارة الى انّ كلّاً مع قسيمه كافٍ في الدّلالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتدبيره لعباده، لانّ كلّاً من قوله يخرج الحيّ وفالق الاصباح كأنّه كلام مستأنف غير مربوط بسابقه والمراد بالحيّ النّامي من النّبات والحيوان او ذو الحسّ والحركة من الحيوان وبالميّت غيره ، اوالمراد به المسلم و المؤمن والعالم و مقابلوهم ، و العدول عن الاسم الى الفعل المضارع للاشارة الى قلّة الحيّ كأنّه قلّما يحصل اخراجه من الميّت بخلاف الميّت فانّه بكثرته كأنّه مستمرّ اخراجه [وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمُ] اتى باسم الاشارة البعيدة للاشارة الى عظمة من كان هذه صفته [اللّٰهُ] اى المستحقّ للآلهيّة لاما تجعلونه آلهاً [فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ] تصرفون وجملة ذٰلكم الله معترضة ان كان قوله [فٰالِقُ الْإِصْبٰاحِ] خبراً بعد خبرٍ لانّ، اومستأنفة ان كان مستأنفاً، اوخبراً بعد خبر لذلكم [وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً] وقت راحة من سكن اليه اذا انس به واطمأنّ او وقت سكون عن الحركة و قرئ جاعل اللّيل وعلى قراءة جعل فالاختلاف بالاسم والفعل، كأنّه للاشارة الى انّ اقتضاء اللّيل السّكون امرذاتيّ له لاعرضيّ محتاج الى تجديد الجعل بتجدّد اللّيل، بل جعله سكناً لازم لخلقته اوّلاً بخلاف فلق الاصباح ، واللّيل اعمّ من ليل اليوم و ليل عالم الطّبع و ليل عالم الجنّة وليل صروف الدّهر من القحط والزّلازل وكثرة القتل والنّهب وكثرة الامراض وغيرها، وكلّ مرتبة من مراتب العالم الكبير او الصّغير جهتها الدّانية ليل بالنّسبة الى جهتها العالية، هذا في العالم الكبير وليل الطّبع والنّفس والجهل والشّهوات والامراض والبلايا والاحزان في الصّغير [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبٰاناً] سببى حسبان للاوقات لتجاراتكم و زراعاتكم و ديونكم ومواعيدكم وقد يعبّر عن الولاية والنّبوّة وعن الوليّ والنّبيّ بالشّمس والقمر ، والحسبان حينئذٍ يكون بمعنى المحاسب اوميزان الحساب فانّهما شاهدان ومحاسبان على الجليل والقليل وهما اللّذان يعبّر عنهما الصّوفيّة بالشّيخ المرشد والشّيخ الدّليل فانّهما في اصطلاحهم اعمّ من الوليّ والنّبيّ و خلفائهما والنّبوّة كالقمر تكسب النّور من الولاية كالدّليل من المرشد وقد يعبّر بهما عن العقل الكلّيّ والنّفس الكلّيّة وقد يعبّر عن العقل الجزويّ والنّفس الجزويّة اوالعقل الجزويّ والقلب اوآدم وحوّاء، كلّ ذلك في العالم الصّغير وعلى كلّ التّقادير ،فالحسبان بمعنى المحاسب اوميزان الحساب [ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] لمّا كان المراد من هذه المقدّمات تصوير تدبيره لمعاش الخلق بحيث لم يشذّ شيءٌ ممّا يحتاجون اليه في المعاش حتّى يكون برهاناً قاطعاً على عدم اهمالهم فيما يحتاجون اليه في امر المعاد المشار اليه بقوله [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا] واحضره باسم الاشارة وصرّح بأنّه تقديره ليكون كالمشاهد للسّامع فيصير قوله و هو الّذى جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها [فِي ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] غنيّاً عن الحجّة ، والنّجوم ان كانت اعمّ من الشّمس والقمر فذكرهما هناك لشأن الحسبان وههنا لشأن الاهتداء بهما ، والنّجوم في عالم الكون معلوم و في الصّغير القوى و المدارك الجزئيّة و الواردات الغيبيّة و الالهامات القلبيّة والاذكار السنيّة و في الكبير الائمّة(ع) وخلفاؤهم والمراد بالظّلمات الظّلمات الصّوريّة والمعنويّة من ظلمات النّفس وشبهاتها وزلّاتها وضلالاتها وقد فسّرت النّجوم بآل محمّد(ص) [قَدْ فَصَّلْنَا الْآيٰاتِ] آيات علمنا وقدرتنا وتدبيرنا للاشياء على طبق حكمتنا بنصب رئيسٍ في كلّ من مراتب العالم الكبير و الصّغير في الكتاب التّدوينيّ والتّكوينيّ الآفاقيّ والانفسيّ ، ليدلّ على وجوب رئيسٍ منّا في اشرف اجزاء العالم الكبير

و هو الانسان وليس تفصيلنا للآيات لكلّ ذى شعورٍ بل للانسان ولا لكلّ فرقة منهم بل [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] فانّ غيرهم لاينجع فيه تفصيل الآيات و كأيّن من آية فى السّماوات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، والعلم قد يطلق بمعنى مطلق الادراك تصوّراً كان اوتصديقاً ، وقد يطلق بمعنى العرفان وهو التّصوّر الجزئىّ وقد يطلق بمعنى ادراك النّسبة وهماً كان او شكّاً او ظنّاً او علماً عاديّاً او تقليديّاً او يقيناً تحقيقيّاً ، و قد يطلق على الاعتقاد الرّاجح ظنّاً كان اوعلماً عاديّاً ، اوتقليداً ، اويقيناً ، وقد يطلق على مايقابل الظّنّ من هذه الثّلاثة وهذه ليست بمرادة وهو واضح ، وقد يطلق على اليقين واليقين ان كان متعلّقاً بالامور المعاشيّة من غير توجّه وارتباطٍ بالآخرة كما قال تعالى ، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الاخرة هم غافلون، فليس تفصيل الآيات لهذا العالم لانّه لغفلته لا يدرك ذا الآية من الآيات بل ينفى عنه العلم و ان كان متعلّقاً بالامور الاخرويّة من العقائد العقليّة والاعمال القلبيّة و الاخلاق النّفسيّة والعبادات القالبيّة والاعمال المعاشيّة المؤدّية الى اصلاح المعاد فامّا ان لايقارن العمل ولايستخدم الخيال بل يستخدمه الخيال فى مآربه الكاسدة ومقاصده الفاسدة ويجعل آلة الدّين شركاً للدّنيا سواء قارن صورة العمل كما فى المتعبّدين المرائين او لا، كما فى المتهتّكين الّذين لايبالون بما عملوا ولا بما قيل فيهم اوقالوا ، فهذا لا يسمّى ايضاً علماً عند اهل الله لما فيه من عدم الاشتداد بل من عدم التّوجّه الى المعلوم، الا ترى الى قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتريه ماله فى الاخرة من خلاقٍ ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كيف اثبت لهم هذا العلم ثمّ نفاه عنهم لمّا لم يعملوا بمقتضاه، وامّا ان يقارن العمل فيما له تعلّق بالعمل ويقارن الاشتداد فيه وفيما لاتعلّق له بالعمل بان يستخدم الخيال و يستتبع المدارك والقوى ثمّ الاعضاء فى مآربه العقليّة ، ويترقّى القوى والاعضاء من حضيض التأبّى الى اوج الانقياد والتّسليم والعقل من مقام حصول صورة المعلوم عنده الى مقام حضوره، فانّ العلم يقتضى العمل فاذا قارن مقتضاه اشتدّ ولم يقف حتّى يتحقّق العالم بالمعلوم ويتّحد العلم والعالم والمعلوم، فهذا العالم هو الّذى يرى قدرة الله وعلمه وحكمته فى كلّ مقدور ولذا جعل تفصيل الآيات من فلق الحبّ الى جعل النّجوم سبباً للهداية لهذا العالم، وقدمضى تحقيق العلم ومراتبه فى سورة البقرة عند قوله تعالى لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون [وَهُوَ الَّذِىٓ اَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] نفس آدم(ع) بحسب الجسم اونفس النّبىّ(ص) بحسب الاسلام اونفس الولىّ(ع) بحسب الايمان اونفس الكلّ اوربّ النّوع بحسب الحيوة الحيوانيّة وبحسب الحيوة الانسانيّة [فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ] هذه الكلمة مجملة متشابهة من حيث اللّفظ والمعنى والاعراب، قرئ مستقرّ بفتح القاف اسم مفعول من استقرّه اذا وجده قارّاً ساكناً، اومن استقرّ اذا قرّ وسكن بمعنى مستقرّ فيه، اواسم مكان اومصدراً ميميّاً وهكذا الحال فى المستودع، وقرئ بكسر القاف اسم فاعل من استقرّ بمعنى قرّ والمعنى هو الّذى انشأكم فمنكم قارّ ومنكم غير قارّ ، اومحلّ قرارٍ ومحلّ عدم قرارٍ، اولكم استقرار وعدم استقرار، اومحلّ قرار وعدم قرارٍ ، اوفيكم استقرار وعدم استقرار اومحلّ قرار وعدم قرارٍ اوقارّ وغير قارّ ، والاصلاب والارحام والابدان والدّنيا والبرازخ بوجهٍ محلّ قرارٍ وبوجهٍ محلّ عدم قرارٍ للنّطف والنّفوس والابدان، وبعد القيامة محلّ قرارٍ على الاطلاق، والابدان والنّفوس والصّدور والقلوب محلّ قرار للحيوة الحيوانيّة والانسانيّة والاسلام والايمان والعلوم بوجهٍ ، ومحلّ عدم قرار بوجهٍ [قَدْ فَصَّلْنَا الْاٰيٰاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] و لمّا كان الاستدلال بالانشاء من نفس والاستقرار و الاستيداع على تدبيره و حكمته محتاجاً الى استعمال نوع فطنة فوق العلم ذكر الفقه معه [وَهُوَ الَّذِىٓ اَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ] سماء الطّبع و سماء الارواح و النّبوّة والولاية [مَاءً فَأَخْرَجْنَا] التفات اشعاراً بانّ نزول الماء من السّماء كأنّه يكفيه الاسباب الطّبيعيّة ولا حاجة له الى مباشر قريب سواها بخلاف اخراج النّبات الاخضر الطّرىّ من الحبّ الجماد اليابس فانّ له مباشراً قريباً مدبّراً حكيماً قديراً آلهيّاً سوى الاسباب الطّبيعيّة [بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ] من انواع النّبات اونموّ كلّ شيء من انواع الحيوان بمعنى سبب نموّه او نباتاً مناسباً لكلّ نوع من انواع الحيوان و لرفع كلّ حاجة من انواع الحاجات [فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ] اى من النّبات ورقاً و غصناً [خَضِراً] وصف مثل اخضر اومن اجل الماء زرعاً ونباتاً خضراً و على هذا يكون من عطف التّفصيل على الاجمال [نُخْرِجُ مِنْهُ] اى من النّبات اومن الخضر اومن اجل الماء [حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ] خبر مقدّم [مِنْ طَلْعِهَا] بدل اومن النّخل عطف على نبات كلّ شيء باقامة من التّبعيضيّة مقام الاسم اوعطف على منه و من طلعها خبر مقدّم والجملة حال اومستأنفة [قِنْوَانٌ] اعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو [دَانِيَةٌ] قريبة التّناول [وَ] أخرجنا به او منه اونخرج منه [جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً] فى الشّكل و الطّعم واللّون [وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ] اى ثمر كلّ واحد [إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ] اى نضجه حتّى تعلموا انّ لها مدبّراً حكيماً قديراً و انّ حالكم حالها [إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ او الخاصّ فانّ الايمان بوحدته كاف فى الاستدلال بالمذكورات وان لم يكن علم وفقه [وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ] بدل من شركاء اومفعول اوّل ولله حال من شركاء وذلك لانّ بعضهم يجعلون ابليس ذاا لهة ، وبعضهم قائلون بالظّلمة كناية عن دارالجنّة و الشّياطين ، و بعضهم يعبدون الارواح الخبيثة الّتى هى الجنّة والشّياطين زعماً منهم انّ تلك الارواح هى الارواح الّتى كانت واسطة بين الله وبين الخلق وجميع المشركين سواء صرّحوا بانّ معبوديهم الشّياطين والجنّة او لم يصرّحوا بل عبدوا الشّجر والصّنم والكوكب وغيرها لايعبدون الّا الجنّ فى عبادتهم المعبودات الباطلة كما قال تعالى : و يوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة اهؤلاء ايّاكم كانوا يعبدون قالواسبحانك انت ولّينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم يؤمنون والسّرّ فى ذلك انّ الجنّ من اتباع ابليس تزيّن لهم المعبودات الباطلة فيطيعونهم فى ذلك فيعبدون الجنّ من حيث لايشعرون [وَخَلَقَهُمْ] جملة حاليّة بتقدير قد او لا حاجة لها الى قد لورود الماضى حالاً كثيراً و فصيحاً بدون قد يعنى خلق الله الجنّ و المخلوق لا يكون معبوداً كالخالق ، و يحتمل ارجاع الضّمير الى الجاعلين يعنى و الخالق لهم لا يكون كغير الخالق لهم [وَخَرَقُوا لَهُ] جعلوا لله من عند انفسهم من غير حقيقة و برهان [بَنِينَ وَبَنَاتٍ] فقالوا نحن ابناء الله و المسيح ابن الله و عزيرٌ ابن الله و الملئكة بنات الله و جعلوا بينه و بين الجنّة نسباً [بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم بذلك [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] خالقهما من غير سبق مادّة ومدّة لا من اصل خلق ولا على مثال سبق بدعه انشأه كابتدعه و البديع الحادث لازم و متعدّ فسماوات الارواح و أراضى الاشباح كلّها مخلوقة [أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ] كيف يجوز ان يكون له ولد [وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ] على مثاله شريكة له غير مخلوقة [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ] فلم يكن شيء صاحبته ولا ولده بل الكلّ مخلوق له [وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

فلا يحتاج الى ولد و وكيل فى استعلام حال بعض الاشياء [ذٰلِكُمُ] الموصوف بالاوصاف المذكورة من قوله انّ الله فالق الحبّ الى ههنا و الاتيان باسم الاشارة البعيدة المشيرة الى الموصوف بتلك الاوصاف للتّعظيم ولا حضارها فى الذّهن وليكون اشارة الى علّة انيّته تعالى بطريق برهان الانّ والتّكرار مع سابقه للتّمكّن فى الاذهان [اللّهُ] اى المسمّى بالله الدّائر على السنتكم والموصوف بهذه الاوصاف حقيقة وجوديّة فالمسمّى بالله حقيقة متحقّقة [رَبُّكُمْ] اشارة الى قيّوميّته وربوبيّته لخصوص نوع الانسان [لاٰاِلٰهَ اِلاّٰهُوَ] نفى للتّشريك له فى الآلهة [خٰالِقُ كُلِّ شَىْءٍ] نفى للثّانى عنه تعالى، فانّ كلّ ما يسمّى شيئاً فهو مخلوق له تعالى متعلّق الوجود به تعالى و ليس ثانياً له [فَاعْبُدُوهُ] يعنى بعد ما ثبت انيّته وربوبيّته، وان لا ثانى له فينبغى العبادة له فاعبدوه [وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ] حافظ لا حاجة له فى تدبير الاشياء الى وكيل و واسطة من ولد و غيره لاحاطته بالكلّ، ولمّا صار المقام مظنّة ان يقال هل يدرك مع احاطته ؟ـ فقال جواباً: [لاٰتُدْرِكُهُ الْاَبْصٰارُ] لا ابصار العيون ولا ابصار القلوب لاحاطته وقصور المحاط عن ادراك المحيط ، و لكن تدركه القلوب بحقيقة الايمان [وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصٰارَ] لانّ شأن المحيط ادراك المحاط [وَهُوَ اللَّطِيفُ] لطفاً يقصر عن ادراكه الابصار لقصورها [الْخَبِيرُ] بالاشياء ومنها الابصار ومثل هذا يسمّى فى البديع بتشابه الاطراف [قَدْجٰاءَكُمْ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اذا لم يدركه الابصار فهل يمكن ادراكه ؟ـ فقال : قد جاءكم [بَصٰائِرُ] جمع البصيرة كالابصار جمع البصر و البصيرة للقلب كالبصر للبدن تطلق على قوّة بها يدرك المعقولات و على ادراكها وعلى الحجج الّتى بها يكون ذلك الادراك وهذه هى المرادة بالبصائر ههنا، وهى اعمّ من الانبياء والاولياء ومعجزاتهم وكراماتهم وسيرهم واخلاقهم وكتبهم وشرائعهم، ومن البلايا والواردات والعبر والآيات الّتى تكون لخصوص الافراد اولعموم العباد ، هذا فى الآفاق ، وامّا فى الانفس فهى عبارة عن العقول والزّواجر والنّفوس والخواطر والالهامات والمنامات خصوصاً الصّادقات منها ، فانّها ادلّ دليل فى العالم الصّغير على وجود الآخرة وبقائها ووجود كلّ جزء من اجزاء عالم الطّبع فيها ماضياتها وآتياتها، وهذا هو الدّليل الوافى لكلّ ذى بصيرة على بقاء الانفس بعد فناء الابدان فكلّ هذه بصائر [مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اَبْصَرَ] بها من اسماء الله وصفاته ومن امور الآخرة [فَلِنَفْسِهِ] ابصر [وَمَنْ عَمِىَ] عنها [فَعَلَيْهٰا] عمى [وَمٰا اَنٰا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] هذه حكاية قول النّبىّ (ص) بتقدير القول اوهى من الله لكنّها اشارة الى انّ حفظه تعالى وتدبيره للعباد موكول الى سبق الاستحقاق والاستعداد حتّى لايحتجّ عليه العباد [وَكَذٰلِكَ] التّصريف الّذى صرّفنا الآيات والحجج فى الالفاظ السّهلة التّناول بحسب المعنى [نُصَرِّفُ] متتاليات [الْاٰيٰاتِ] الآفاقيّة والانفسيّة فى العالم و فى النّفوس و فى الالفاظ ليعمى فرقة وليبصر فرقة اخرى [وَلِيَقُولُوا] اى الفرقة العاميّة و اللاّم للعاقبة [دَرَسْتَ] قرئ درست ودارست معلوماً بتاء الخطاب بمعنى قرأت وذاكرت وتعلّمت ، وقرئ درست بتاء التّأنيث بفتح الرّاء وضمّها ودارست بتاء التّأنيث ودرست ببناء المجهول وتاء التّأنيث ودرسن بنون جمع المؤنّث ودارسات بجمع اسم الفاعل والكلّ من الدّروس بمعنى الاندراس ، ويجوز ان يكون درست مجهولاً بمعنى قرئت ، وقرئ درس معلوماً بالغيبة بمعنى تعلّم محمّد هذه الآيات ودرس بكلّ من معنييه لازم ومتعدّ [وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اِتَّبِعْ مٰا اُوحِىَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ]

لا اهواء المشركين [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] بيان للموحى اواعتراض للتّعليل [وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ] ولا تبال بهم ولا تتبع اهواءهم ولا تحزن عليهم لشركهم و المقصود العمدة المشركون بالولاية [وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] حتّى تحزن عليهم وانّما انت منذر [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] عائدالموصول محذوف وفاعل يدعون راجع الى المشركين، والمقصود منه لاتسبّوا الّذين يدعوهم المنحرفون عن علىّ (ع) ممّن نصبوه اماماً لهم حالكونهم بعضاً من غيرالله ، وهذا النّهى جار للمؤمنين الى انقراض العالم ، اوالعائد فاعل يدعون و مفعوله محذوف ، اومن التّبعيضيّة قائمة مقام المفعول [فَيَسُبُّوا اللَّهَ] اى يسبّوا علياً (ع) فانّه مظهرالله و سبّه سبّ الله و سبّ الله لايتصوّر الّا فى مظاهره [عَدْواً] ظلماً لعلىّ (ع) اوتجاوزاً عن الحقّ فى سبّ علىّ (ع) [بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم انّه مظهرالله و نقل عن الصّادق (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال : ارأيت احدا يسبّ الله ؟- فقيل : لاوكيف ؟- قال : من سبّ ولىّ الله فقد سبّ الله، و قد ورد عنهم بهذا المضمون اخباركثيرة ، و ما ذكرناكان خلاصة المقصود ولا يخفى التّعميم لكلّ مشرك ومدعوّ غيرالله ولكلّ نبىّ (ع) ووصىّ (ع) ولكلّ مؤمن [كَذٰلِكَ] مثل ارتضاء كلّ منكم ماتدعونه وعدم ارتضاء ما يدعوه غيرهم [زَيَّنَّا] من لدن آدم (ع) [لِكُلِّ أُمَّةٍ] فرقة من الفرق المختلفة المحقّة و المبطلة [عَمَلَهُمْ] وقد سبق عند قوله تعالى، قل كلّ من عندالله ، انّ الفاعل فى الوجود مطلقاً هو الحقّ تعالى وليس من الموجودات سوى الاستعداد والقبول وانّ فعله تعالى امّا بلاواسطة اوبوسائط وانّ مظاهر قهره تعالى من جملة وسائطه وانّ الشّيطان من مظاهر قهره فصحّ نسبة التّزيين اليه تعالى فى الاعمال السّيّئة والى الشّيطان لانّه المباشر القريب والى القوابل نحو نسبة الشّيء الى القابل [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ] قد سبق انّ الرّبّ المضاف هوالولاية المطلقة وانّ مظهره الاتمّ علىّ (ع) وانّ رجوع الكلّ الى الولاية الّتى هى فعله تعالى و ظهوره لا الى الغيب المطلق فانّه لاراجع هناك ولارجوع [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من خيروشرّ [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] ممّا اقترحوا [لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا] اى ليذعننّ بالآية الجائية وانّها من الله او ليؤمننّ بمحمّد (ص) بسبب تلك الآية وهذا حكاية قولهم الكاسد النّاشى من تمحّلات النّفس فانّها كالمرأة الخبيثة تكون دائمة فى الاعذار الفاسدة والفرار من قبول حكم الازواج واتّهام غيرها بما ثمها [قُلْ] يامحمّد (ص) لهم او للمؤمنين الطّامعين فى ايمانهم الطّالبين منك الاتيان بمقترحاتهم [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ] وليست عندى وباختيارى [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] مااستفهاميّة للاستفهام الانكارىّ والخطاب للمؤمنين الطّالبين للاتيان بمقترحاتهم حرصاً على ايمانهم، اوللكافرين المقسمين بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب، اومانافية وفاعل يشعركم ضمير راجع الى الله وهوعطف على انّما الآيات، اوحال معمول لعندالله ومن جملة مقول القول ، اوعطف على اقسموا، اوحال معمول لاقسموا و من قول الله [إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ] قرئ بفتح همزة انّ معمولة مع ما بعدها ليشعركم بلاواسطة حرف، اوبتقدير الباء اوهى بمعنى لعلّ وقرئ بكسر الهمزة فتكون مستأنفة [لَا يُؤْمِنُونَ] قرئ بالغيبة وبالخطاب و لفظة لازائدة اواصليّة [وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ] عطف على لا يؤمنون عطف السّبب

على المسبّب اوعطف المسبّب على السّبب ، والفؤاد يطلق على القلب اللّحمانىّ وعلى النّفس الانسانيّة وعلى اللّطيفة السيّاره الانسانيّة و على القلب الّذى هو مرتبة من مراتب الانسان و على الجهة الرّوحانيّة من الانسان اذا علمت ذلك ، فاعلم ، انّ روحانيّة الانسان اى قلبه كبدنه خلق مستوى القامة رأسه من فوق و تقليبه عبارة عن تعلّقه بمشتهيات الحيوان واستقامته عبارة عن تعلّقه بما اقتضته انسانيّة الانسان ، واستقامة الابصار عبارة عن ادراك مايوافق الآخرة من كلّ ما يدركه البصر اوالبصيرة ، و تقليبها سبب لادراك مقتضيات الحيوان والاحتجاب عن الاعتبار بالمدركات [كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ] اى بما انزل من الآيات اوبالقرآن اوبالنّبىّ (ص) [أَوَّلَ مَرَّةٍ] اى قبل اقتراحهم ، او اوّل مرّة نزول الآية اوفى عالم الذّرّ او اوّل الدّعوة [وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ] متعلّق بنذرهم اوبقوله [يَعْمَهُونَ] اى يتردّدون فى الضّلال ويتحيّرون ، قرئ نقلّب ونذرهم بالتّكلّم وبالغيبة وقرئ تقلّب مبنيّاً للمفعول بتاء التّأنيث .

[الجزء الثّامن]

[وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ] ردّ لاقتراحاتهم و ردع للرّسول (ص) و للمؤمنين عن ارادة الاتيان بشيء منها فانّهم كما نقل قالوا يامحمّد(ص) كان للانبياء الماضين آيات، فقال: اىّ شيء تحبّون منها ان آتيكم به ؟ - فقالوا : اجعل لنا الصّفا ذهباً ، و ابعث لنا بعض موتانا نسألهم عنك ، و أرنا الملائكة يشهدون لك ، اوائتنا بالله والملائكة قبيلاً ، وسأل المسلمون الرّسول(ص) ان يأتى لهم، فأراد الرّسول(ص) ان يجيبهم فنزل جبرئيل(ع) وقال: ان سألت اجبت ولكن ان لم يؤمنوا عذّبتهم وان شئت تركتهم حتّى يتوب تائبهم، فقال رسول الله(ص) بل يتوب تائبهم، فأنزل الله تعالى ولوانّنا نزّلنا عليهم الملائكة [وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ] فى رسالتك [وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا] جمع القبيل بمعنى الكفيل اوجمع قبيل هو جمع القبيلة بمعنى الجماعة من النّاس اوهو مصدر بمعنى المعاينة والمقابلة والمعنى انّا لوجمعنا عليهم كلّ آية معاينة ومقابلة لهم ، اولوجمعنا كلّ شيء من الله والملائكة وغيرهم كفلاء بما بشّروا وانذروا اوجماعات وحمل الجمع على كلّ شيء باعتبار عمومه [مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] ردّ لسببيّة الاسباب الظّاهرة للايمان واثبات بسببيّة المشيّة له وردع للمشركين والمؤمنين من نظرهم الى الواسطة وغفلتهم عن سببيّة المشيّة واقتراحهم وتمنّيهم للآية، بانّ الوسائط ليست اسباباً ، بل هى مظاهر لمشيّته والسّبب لكلّ مسبّب هو المشيّة، فلوشاء الله لاتى كلّ نفس هديها من غير واسطة ولو لم يشأ لم تهتد و ان كان لها كلّ واسطة [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] اكثر المؤمنين او المشركين اوالجميع [يَجْهَلُونَ] انّ المشيّة هى السّبب للايمان لا الآية المقترحة والمتمنّاة ، ولذا يقترحون ويتمنّون او الفعل منسىّ المفعول و المعنى اكثرهم جهلاء [وَكَذَٰلِكَ] اى كما جعلنا لك عدوّاً من قومك [جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا] يعنى لاتحزن على معاداة قومك فانّ سنّتنا على وفق حكمتنا جرت بجعل العدوّ لكلّ نبىّ ليكون تكميلاً لهم و اصلاحاً لامّتهم و سبباً لامتياز المنافق منهم عن الموافق واظهاراً لفضائلهم على السنة حسّادهم، فانّ فضل المحسود كثيراً يظهر على لسان الحاسد واحتجاجاً على طالبى الدّين بمعاداة المعاندين، فانّ معاند الانبياء لايظهر بمعاداته الّا اتّباعه الهوى وارادة الدّنيا وادباره عن الآخرة، لانّ الانبياء لايعارضون احداً

فی امور الدّنیا بل یدعون النّاس فی کمال الشّفقة الی الآخرة ، وهذا تسلیة للرّسول(ص)وسائر المؤمنین، والعدوّ ضدّ الصّدیق یستوی فیه الواحد والکثیر والمذکّر والمؤنّث ولذا ابدل عنه الجمع [شَیَاطِینَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ] اعلم ، انّ الانسان وجملة عالم الطّبع واقع بین العالمین العلویّ والسّفلیّ کما سبق ولاهل کلّ من العالمین جهة تسلّط وتصرّف فی الانسان ، وعالم الطّبع والعالم السّفلیّ مهوی الشّیاطین والجنّ ودار الاشقیاء وجحیمهم ، والعالم العلویّ القریب من عالم الطّبع مقرّ الملائکة ذوی الاجنحة دون المقرّبین ، فانّ عالمهم اعلی من ذلک والانسان قابلٌ لتصرّف اهل العالمین وله امکان التّوجّه الی کلیهما، فمن توجّه بسوء اختیاره الی السّفلیّ وقبل تصرّف الشّیاطین والجنّة وتمکّن فی ذلک القبول ولم یبق له جهة استعداد قبول تصرّف الملائکة صار مظهراً للشّیاطین ومتحقّقاً بهم بحیث لم یکن فی وجوده الّا الشّیطان وکان فعله فعله و امره امره وخلقه خلقه و قوله قوله کما قیل بالفارسیّ :

چون پری غالب شود بر آدمی — گم شود از مرد وصف مردمی
هرچه گوید او پری گفته بود — زین سری نه زان سری گفته بود

وان کان مع ذلک باقیاً علیه بعض اوصاف الانسان کان شیطان الانس وان لم یکن کان شیطان الجنّ ، ویحتمل ان یکون المراد بشیاطین الجنّ ، الجنّة الّتی تؤذی من طریق الباطن وعلی ایّ تقدیر فالمقصود التّعریض بالحبتر والزّریق کما فی الخبر ، و من توجّه بتوفیق الله الی العالم العلویّ و قبل تصرّف اهله وتمکّن فی ذلک بحیث لم یبق له استعداد تصرّف الشّیطان صار مظهراً للملائکة بل لله وکان فعله وقوله وخلقه ظهور افعال الملائکة واقوالهم واخلاقهم کما قیل :

چون پری را این دم و قانون بود — کرد گار آن پری خود چون بود
پس خداوند پری و آدمی — از پری کی باشدش آخر کمی

وعن الصّادق (ع) : من لم یجعله الله من اهل صفة الحقّ فاولئک شیاطین الانس والجنّ [یُوحِی] ای یلقی اویوحی من طریق الباطن شیاطین الجنّ الی شیاطین الانس [بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ] حسن القول الکاذب بتمویهه [غُرُوراً] وحی غرور او للغرور او غارّاً [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ] فلاتبتئس بما فعلوا فانّه بمشیّتنا و فیه مصالح و حکم لکم [فَذَرْهُمْ] من غیر تعرّض لهم بالرّدّ والقبول [وَمَا يَفْتَرُونَ] لیقولوا مایریدون حتّی یجری حکمنا ومصالحنا [وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] عطف علی محذوف کما ذکرنا اوعطف علی غروراً [وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا] یکتسبوا [مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ] حتّی یتمیّزوا من المؤمنین ویخلصوا ایمان المؤمنین بایذائهم ایّاهم [أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً] بتقدیر قل او بتقدیر قال اویقول اویقال جواباً لسؤال مقدّرٍ [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ] القرآن اوالنّبوّة [مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ] یعنی الّذین آتیناهم النّبوّة بتسلیم احکامها وقبولها وآتیناهم کتاب النّبوّة فی صورة کتاب سماویّ کأهل الکتابین یعلمون انّ القرآن اوکتاب نبوّتک او ولایتک فانّهما روح القرآن منزّل من ربّک [بِالْحَقِّ] متلبّساً بالحقّ الّذی هو الولایة اوبسببه اومعه [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ]

و هو من قبيل ايّاك أعنى و اسمعى يا جارة [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] كلمة الرّبّ هى المشيّة الّتى هى الولاية المطلقة، وتماميّتها بظهورها بنحو الاطلاق فى هذا العالم، وظهورها كذلك ماكان الّا بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) فانّ سائر الانبياء والاولياء ولايتهم مقيّدة جزئيّة مقتبسة من ولاية علىّ(ع) الّتى هى المطلقة الكلّيّة [صِدْقاً] من حيث الصّدق او صادقة فانّ الولاية ما لم تخرج من التّقيّد والتّحدّد لم يتمّ صدقها [وَعَدْلاً] العدل ضدّ الجور و هو اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه كما انّ الجور منع المستحقّ من حقّه و بمعنى الاستقامة ضدّ الاعوجاج وبمعنى التّوسّط فى الامور ويصحّ اعتباره بكلّ من معانيه [لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] فلاتبال بمايقولون ولاتبتئس بما يكذبون [وَهُوَ السَّمِيعُ] لما يقولون فى علىّ(ع) والقادر على منعهم من امضاء مايقولون واظهار مايريدون [الْعَلِيمُ] بحال كلّ و استحقاقه [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ] لانّ الاكثر منكوسوا الرّؤس منحرفون عن الولاية الّتى هى سبيل الله الى عالم السّفل الّذى هو عالم الشّياطين و الارواح الخبيثة واطاعتهم تؤدّى الى الانحراف الى ما توجّهوا اليه ، وهو تعريض بالامّة وانّما قال اكثر من فى الارض لانّ الانسان ثلاثة اصناف: صنف عرجوا من ارض الطّبع الى سماء الارواح ، وشأنهم الطّاعة والانقياد لصاحب الرّسالة والولاية الكلّيّة لا الاستقلال والمطاعيّة ، وصنف وقفوا فى ارض الطّبع لكن لهم التّهيّؤ والاستعداد للعروج الى عالم الارواح فهم و ان كانوا فى ارض الطّبع لكن موافقتهم لا تصير سبباً للضّلال عن التّوجّه الى عالم الارواح ، وصنف واقفون فى ارض الطّبع منكوسون الى السّفل متوجّهون الى عالم الشّياطين وهم اكثر من فى الارض ، وطاعتهم وموافقتهم توجب الانحراف عن الولاية [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ] الظّنّ من صفات النّفس فانّ علومها وان كانت يقينيّة وادراكاتها غير ظنّيّة فهى ظنون وليست بعلوم لما مضى مراراً انّ العلم هو الّذى يكون وجهه الى العلوّ ويكون فى الاشتداد وعلم النّفس الغير المطيعة يكون وجهه الى السّفل ويكون فى التّنزّل، فالمعنى مايتّبعون الّا الادراكات النّفسانيّة الّتى هى مبادى الآراء الرّديّة والاهواء الخبيثه ، وايضاً لمّا كان علوم النّفوس مغايرة لمعلوماتها وجائزة الانفكاك عنها كان حكمها حكم الظّنون فى مغايرتها لمظنوناتها وجواز انفكاكها عنها [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] الخرص التّقدير والكذب والظّنّ وهو المراد هنا يعنى لايتّبعون الّا الظّنّ وليس لهم علم اصلاً حتّى يتصوّر منهم امكان متابعة العلم، لانّهم فى مرتبة النّفس المنكوسة لايتجاوزون عنها فلايكون لهم علم [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] فالمتّبع هو ماقاله الرّبّ لاماقالوه من نسبة الضّلال والاهتداء الى النّاس بظنونهم فلاتبالوا بماقالوا ولا بماحرّموا واحلّوا وائتمروا بأمور ربّكم [فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ] ولاتبالوا بما قالوا من انّكم تأكلون ماقتلتم بأيديكم ولاتأكلون ما قتله الله من الانعام ، وبعد ما علمت انّ الاكل أعمّ من فعل القوى والاعضاء وصفات النّفس وادراك المدارك الظّاهرة والباطنة والعقائد العقلانيّة، وانّ الاصل فى اسم الله هو الولاية وانّها الاسم الاعظم وان لااسم الّا وهو ظلّ لذلك الاسم الاعظم، وانّ عليّاً(ع) هو مظهره الاتمّ ولذا وردعنه: لااسم اعظم منّى، امكنك تعميم الاكل فى كلّ فعل وقول واكل وشرب وادراك وخاطر وعلم ومعرفة واعتقاد وكشف وشهود وعيان ، فانّ الكلّ اكل بالنّسبة الى القوى الّتى هى مبدأه ، وكذا امكنك تعميم اسم الله فى الاسم القولىّ والقلبىّ المتّصلين بصورته الملكوتيّة الّتى تسمّى فكراً وسكينةً وحضوراً وذكراً حقيقيّاً فى لسانهم ، فكلّ مافعل مع الحضور عند الاسم

الاعظم و تذكّره بصورته الملكوتيّة فهوحلال ولا وزرمعه ولا وبال ، ومع تذكّر الاسم الاعظم بما قلنا لا يقع منه ما هومكروه الاسم الاعظم ومكروهه مكروه الله فلا يقع منه حرام خارج عن السّنة ولذا قيل :

«كفر گيرد ملّتى ملّت شود »

ومع عدم ذكر الله لا بالقول ولا بالقلب ولا بالفكر كلّما فعل وان كان مباحاً كان حراماً كما قيل :

« هر چه گيرد علّتى علّت شود »

وعن الصّادق (ع) فى حديث ذكر الانهار انّه قال : فما سقت واستقت فهولنا وماكان لنا فهو لشيعتنا ، وليس لعدوّنا منه شيء الّا ماغصب عليه ، وانّ وليّنا لفى اوسع فيما بين ذه وذه مشيراً الى السّماء والارض ثمّ تلا : قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلاغصب ، وقد ورد: ولىّ علىّ (ع) لايأكل الّا الحلال كما قيل :

گر بگيرد خون جهان را سال سال كى خورد مرد خدا الّا حلال

[إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ] واعظم الآيات محمّد (ص) و علىّ (ع) وهوشرط تهييج على نفى التحرّج عن فعل ذكر اسم الله عليه وعدم الاعتناء بقول اصحاب التّخمين والظّنّ ، اوتقييد لاباحة ماذكر اسم الله عليه [وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] اىّ فائدة لكم فى ان لاتأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه [وَقَدْ] اباحه لكم [فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ] بالذّات ممّا سبق فى اوّل سورة المائدة فى آية تحريم الدّم و الميتة (الى آخرها) و ما حرّم عليكم بالعرض من الصّيد حين الاحرام و ما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكر اسم غيرالله عليه، وقرئ فصّل بالبناء للفاعل وحرّم بالبناء للمفعول ، وقرئ فيهما بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول [إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ] استثناء من المستتر فى حرّم اومن المقدّر بعده عائد للموصول [وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ] عطف على ما حرّم باعتبار جواز تعليق الفعل الغيرالقلبىّ اوبتضمين فصّل معنى اعلم اوحال متعلّق باجزاء جملة مالكم ان لاتأكلوا (الى آخرها) اوباجزاء جملة قد فصّل (الى آخرها) [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] استيناف جواب للسّؤال عن علمه تعالى بهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم فى اضلالهم معتدون وانّه تعالى كما يعلمهم يعلم اعتداءهم وتجاوزهم عن حدودالله وقد أخبركم بتجاوزهم فلا تبالوا بما قالوا فى حرمة الذّبيحة والميتة و حلّيّتهما وائتمروا بأمرالله [وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ] من قبيل اضافة الصّنف الى النّوع اواضافة جهتى الشّيء الواحد اليه اوجزئى الشّيء المركّب اليه .

اعلم، انّ الانسان اعنى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة واقع بين عالمى النّوروالظّلمة والاطلاق والتّقييد والوحدةوالكثرة والملائكةوالجنّة، ووجوده يكون دائماً فى الخروج من القوّة الى الفعل مثل سائر الكائنات، وهذا معنى قولهم : الكون فى التّرقّى فاذاكان افعاله واقواله و علومه وعقائده و خطراته و خيالاته ناشئةً من توجّهه الى عالم النّور، اوقرينة لذلك التّوجّه كان خروجه من القوّة الى فعليّة النّور و من التّقييد الى الاطلاق و من الظّلمة الى النّور وكانت هذه منه طاعة ومرضيّة وعبادة ؛ واذاكانت تلك ناشئة من توجّهه الى عالم الظّلمة اوقرينة لغفلته عن الله تعالى وعن عالم النّور كان خروجه من القوّة الى فعليّة الظّلمة و من الاطلاق الى التّقييد ومن النّور الى الظّلمة ، وكانت هذه منه اثماً وذنباً ومعصية سواء كانت بصورة الطّاعات اولم تكن ، والى هذا

اشار الصّادق(ع) بقوله : من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهومطيع ومن كان غافلاً عنه فهوعاص ، والطّاعة علامة الهداية والمعصية علامة الضّلالة واصلهما من الذّكروالغفلة وقوله تعالى : اللهُ ولىّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات الى النّور (الى آخرالآية) اشارة الى انّ الايمان يقتضى التّوجّه الى عالم النّور، وذلك التّوجّه يقتضى الخروج من القوّة الى فعليّة النّور، والكفربعكس ذلك ، وانّ الانسان اذا تمكّن فى التّوجّه الى عالم الظّلمة صارمتجوهراً بالظّلمةواصلاً لكلّ الظّلمات ومتحقّقاً بالاثم واصلاً لكلّ الآثام، واذاتمكّن فى التّوجّه الى عالم النّور صار متجوهراً بالنّورواصلاً لكلّ الانوار بعد نورالانوار، ولذلك كان محمّد(ص)وعلىّ(ع) اصلاً لكلّ حسن واليهما يرجع حسن كلّ حسن ، واذا لم يتمكّن فى شيءٍ منهما فامّا ان ينضمّ توجّهه الفطرىّ الى التّوجّه الاختيارىّ بالبيعة العامّة اوالخاصّة الصّحيحة اوالفاسدة اولاينضمّ، وكلٌّ من الثّلاثة ماصدرمنه من حيث التّوجّه الفطرىّ اوالاختيارىّ الى عالم النّور كان حسناً وصواباً ، وما صدرمنه من حيث التّوجّه الى عالم الظّلمة كان اثماً وذنباً، اذاعرفت هذا، فصحّ تفسيرظاهرالاثم بمخالفة علىّ(ع) وباطنه بالنّفاق معه وبالزّناالظّاهر والزّنا الخفىّ وبنكاح زوجة الاب والزّنا وبأعمال الجوارح السّيّئة والعقائد و الرّذائل والخيالات و الخطرات والعزمات والنّيّات، وباتّباع مخالفى علىٍّ (ع) والمنافقين معه وبالسّيّئات الشّرعيّة وصورالحسنات الشّرعيّة الفاسدة، والمقصود منه النّهى عن متابعة المخالفين والمنافقين وعن ارتكاب ما ينشأ عن متابعتهما كائناً ماكان كما انّ المقصود ممّا يأتى الامر بمتابعة محمّد(ص) وعلىّ(ع) المشار اليه بقوله تعالى فمن كان ميتاً فأحييناه (الآية) [إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ] يحصّلون ما ينشأ من متابعتهما [سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ] الاقتراف الاكتساب او فعل الاثم وهو فى موضع تعليل للاوّل [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] تصريح بالمفهوم تسجيلاً وتأكيداً [وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ] يعنى ما لم يذكراسم الله عليه خارج عن الحقّ كائناً ماكان وهوعطف على محذوف ، والتّقديرانّه اثم اوحرام اومثل ذلك وانّه لفسق اوحال [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ] من الكفّار [لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ] فى قولهم انّكم تأكلون ماتقتلون بأنفسكم ولاتأكلون ماقتله الله وان اطعتموهم مطلقاً فى هذا اوغيره [إِنَّكُمْ] بتقدير الفاء وانّما حسن حذفه لكون الشّرط ماضياً مضعفاً لحكم الشّرط [لَمُشْرِكُونَ] فانّ الاشراك هو طاعة غيرمن نصبه الله للطّاعة ، والمقصود انّ شياطين الجنّ ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فى علىّ(ع)، اوشياطين الانس ليوحون الى اتباعهم ليجادلوكم فى علىّ(ع) باظهار مايرى انّها مثالب لعلىّ(ع) وان اطعتموهم صرتم مشركين بالله بواسطة الاشراك فى الولاية [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا] عن الحيوة الانسانيّة وان كان حيّاً بالحيوة الحيوانيّة [فَأَحْيَيْنَاهُ] بالحيوة الانسانيّة بقبول الدّعوة النّبويّة والبيعة العامّة اوباستعداد قبول الولاية واستحقاق البيعة الخاصّة [وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا] اماماً اوايتماماً بامام منّا [يَمْشِي بِهِ] بسببه او معه [فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ] المثل بالتّحريك و المثل بالكسر والمثيل كامير الشّبيه، والمثل بالتّحريك الحجّة والحديث والصّفة والمعنى كمن هو شبيه من احييناه حالكونه [فِي الظُّلُمَاتِ] اوكمن شبيهه ثابت فى الظّلمات اوكمن حديثه او صفته ثابتة فى الظّلمات ، اوكمن صفته البقاء فى الظّلمات سواء كان حيّاً بالحيوة الانسانيّة وقبول الدّعوة النّبويّة ولم يكن له نورٌ اولم يكن حيّاً فضلاً عن النّور [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] عن الباقر(ع) الميت الّذى لايعرف هذا الشّأن يعنى هذا الامر ، واقول: المراد به الولاية اى الدّعوة

الباطنة وقبولها والبيعة لها وقال(ع) جعلنا له نوراً اماماً يأتمّ به يعنى علىّ بن ابى طالب (ع) كمن مثله فى الظّلمات قال(ع) بيده هذا الخلق الّذين لايعرفون شيئاً، وبهذا المضمون اخبار كثيرة، ويستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالميّت غير العارف بأمر الولاية سواء كان عارفاً بامر النّبوّة او لم يكن، والحيوة معرفة امر الولاية بقبول الدّعوة الباطنة فانّه لايتصوّر معرفة هذا الامر الّا بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الولويّة، والمراد بالنّور امّا نفس قبول الدّعوة والبيعة اوالامام الظّاهر عليه بشريّته، اوالمراد بالنّور الامر الدّاخل فى القلب بالبيعة الخاصّة او المراد به ملكوت الامام الظّاهر على السّالك فانّه به يحصل معرفة الامام بالنّورانيّة [كَذٰلِكَ] التّزيين الّذى زيّنّا لمن مثله فى الظّلمات [زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] فى ظلمات جهالاتهم محجوبين عن امر الولاية وضالّين عنه [وَكَذٰلِكَ] اى مثل ما جعلنا فى قريتك اكابر مجرميها [جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا] لتخليص المؤمنين وتميز المنافقين عنهم [وَمَا يَمْكُرُونَ] فى مكر الانبياء والمؤمنين [إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ] لانّهم فى مكرهم يخرجون اولاً انفسهم من حدّ الاعتدال والتّوجّه الى كمالها الى حدّ التّفريط والتّوجّه الى نقصانها [وَمَا يَشْعُرُونَ] انّ المكر فى الحقيقة بأنفسهم [وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] بيان لمكرهم اوتعنّت آخرلهم [قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ] وهذا ردّ عليهم بانّ الرّسالة ليست بالآية ولا بالنّسب والحسب والمال بل بعلم الله بمحلّه وصلاح محلّه وبمشيّته وحيث مفعول به ليعلم المقدّر، اوبتقدير افعل التّفضّل بمعنى اسم الفاعل لعدم جواز تعدية اسم التّفضيل الى المفعول به [سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ] فى الدّنيا اى ذلّة وهوان كما اصابهم يوم بدر ويوم فتح مكّة [عِنْدَ اللَّهِ] اى عند مظاهره او فى الآخرة عنده [وَعَذَابٌ شَدِيدٌ] فى الآخرة [بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ] الى الرّسالة الّتى جعلها حيث يشاء [يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ] الصّدر محلّ الاسلام و محلّ قبول الرّسالة واحكامها باعتبار وجهه الى القلب كما انّه محلّ الكفر وقبول احكام الشّيطان باعتبار وجهه الى الحيوانيّة والطّبع، وشرحه عبارة عن استعداده لقبول احكام كلّ من الطّرفين بجهتيه فشرحه للاسلام كمال استعداده لقبول مايرد عليه ممّا يوجّهه الى القلب، و شرحه للكفر عبارة عن كمال استعداده لقبول مايرد عليه ممّا يوجّهه الى الشّيطان و الى اهويتها، وارادة الله للهداية و الاضلال مسبوقة بحسن استعداد العبد و اختياره او سوء استعداده و اختياره فلا جبر كما انّه لاتفويض، وقد سبق تحقيق هذا المطلب فى سورة البقرة عند قوله ولٰكنّ الله يفعل مايريد ولمّا كان شرح الصّدر للاسلام عبارة عن توجّه النّفس الى القلب و انصرافها عن جهة الدّنيا ورد عن النّبىّ(ص) حين سئل: هل لذلك من امارة يعرف بها ؟- انّه قال : نعم ، الانابة الى دار الخلود ، والتّجافى عن دار الغرور ، و الاستعداد للموت قبل نزول الموت [وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا] عن قبول ما يوجّهه الى جهة القلب ، و الضّيّق الّذى بقى له منفذ و الحرج و قرء بكسر الحاء الّذى لامنفذ فيه كما فى الخبر [كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ] فى قبول الرّسالة والاسلام [كَذٰلِكَ] كما يجعل الشّكّ والضّيق على من يريد ان يضلّه [يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ] بكسر الرّاء وفتحها وكسر الجيم وبالتّحريك القذر والمأثم وكلّ ما استقذر من العمل والشّكّ والعقاب [عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهٰذَا] الّذى ذكر من جعل صدر بعض منشرحاً

للاسلام و بعض ضيقاً [صِراطُ رَبِّكَ] سنّة ربّك [مُسْتَقيماً] غير منحرف فى الارادتين عن ميزان الاستعدادين فانّ الارادتين بقدر استعدادهما واستحقاقهما ، اوهذا الّذى انت عليه من الولاية الّتى هى روح نبوّتك و رسالتك صراط ربّك مستقيماً فانّه لا افراط فيها ولا تفريط [قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ] التّدوينيّة فى بيان الآيات التّكوينيّة الواردة فى صدور النّاس بحسب استعداداتهم المختلفة اوالآيات التّكوينيّة مطلقة بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] يتذكّرون اشارة الى انّ الذّاكر باللّسان فقط لايتنبّه لتلك الآيات بل الذّاكر باللّسان و الرّاجع الى الجنان يتنبّه لها فانّ الانسان ما لم يرجع الى باطنه ولم ينظر ببصيرته الى حالاته الواردة عليه لايميّز بين ضيق الصّدروشرحه اوبين مطلق الآيات العلويّة والسّفليّة، والرّاجع الى نفسه يميّز بين الواردات فيتوب عمّا يؤذيه وينيب الى ماينفعه فيكون [لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ] اى دار السّلامة عن الآفات اودار الله الّتى اعطاها ايّاهم [وَهُوَ وَلِيُّهُمْ] لما انقطعوا عن غيره وتوسّلوا به [بِما كانُوا يَعْمَلُونَ] من الفرار عمّا يبعّدهم والعمل بما يقرّبهم [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعاً] بتقدير اذكر اوذكّر اونقول والضّمير للثّقلين [يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ] استكثره الماء اراد منه ماءً كثيراً واستكثر من الشّيء رغب فى الكثير منه والمعنى طلبتم كثيراً منهم اورغبتم فى الكثير منهم فجعلتموهم من سنخكم اواتباعكم [وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ] استمتاع الانس من الجنّ باتّباعهم فى الالتذاذ بالشّهوات واستمتاع الجنّ من الانس بحصول مرادهم منهم من اغوائهم وتمكّنهم منهم فى الامر و النّهى قالوها تحسّراً و اعترافاً [وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذى أَجَّلْتَ لَنا] من القيامة اومن امد الحياة [قالَ] الله لهم [اَلنّارُ مَثْويكُمْ خالِدينَ فيها إِلّا ما شاءَ اللهُ] قبل دخول النّارحتّى لاينافى مادّة العامل فى الاستثناء اوالّا ماشاء لمن يشاء بناء على خروج بعض من النّار، وبعض من قال بانقطاع العذاب لكلّ احد تمسّك بامثال هذه الآية من النّقليّات بعد التّوسّل بالعقليّات [إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ] فى عقوبة المعاقب لايظلم احداً [عَليمٌ] بقدر استحقاقه [وَكَذٰلِكَ] مثل مانولّى بعض الانس بعض الجنّ فى الدّنيا او فى القيامة [نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ] بالسّنخيّة الّتى يكسبونها باعمالهم السّيّئة اى نصرف وجوه بعض الى بعض ونتركهم ونصرف وجوههم عن اوليائى ، اوالمعنى نولّى بعض الظّالمين بعضاً للانتقام منهم كمااشير اليه فى الخبر [يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] بتقدير القول حالاً او مستأنفاً [أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ] من وجودكم فى عالمكم الصّغير او من سنخكم فى العالم الكبير وهو توبيخ لهم، وقد ورد انّ الله قد بعث من الجنّ رسولاً اليهم، ورسالة رسولنا(ص) كان الى الانس والجنّ كما ورد فى الاخبار [يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هٰذا قالُوا] اعترافاً بتقصيرهم [شَهِدْنا عَلىٰ أَنْفُسِنا] لمّا لم يجدوا مفرّاً اقرّوا [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيا وَشَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرينَ] عطف على قالوا [ذٰلِكَ] اى ارسال الرّسل و قصّ الآيات و الانذار من يوم القيامة [أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ] منه من دون اتمام الحجّة اوبظلمهم لانفسهم اولغيرهم [وَأَهْلُها غافِلُونَ] غير متذكّرين لثواب وعقاب [وَلِكُلٍّ] من افراد الجنّ والانس محسناً كان اومسيئاً اومن

اصناف المحسن والمسيء اومن جنس المحسن وجنس المسيء [دَرَجاتٌ] فى العلوّ والعالم العلوىّ وفى النّزول والعالم السّفلىّ ، والدّرجة بالضمّ والسّكون و بالتّحريك وكهمزة المرقاة و اذا اعتبر فيها الارتقاء كان تسمية دركات المسيء بالدّرجات من باب التّغليب او باعتبارها من الاسفل فانّ الاسفل بالنّسبة الى ما فوقه درجة [مِمّا عَمِلُوا] اى هى عبارة ممّا عملوا على تجسّم الاعمال اوناشئة ممّا عملوا ، و ما موصولة او موصوفة اومصدريّة [وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ] قرئ بالخطاب وبالغيبة والمقصود انّ درجات اعمال العباد ظاهرة عنده وهو غير غافلٍ عنها فيرفع كلّاً و ينزل بقدر درجات اعماله ودركاتها [وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ] جمع بين المتقابلين من صفاته من القهر واللّطف والتّنزيه والتّشبيه وعداً ووعيداً [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] باقتضاء غناه و عدم حاجته لكن يبقيكم مدّة لتستكملوا فيها باقتضاء رحمته [وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ] الاتيان بما للاشارة الى كمال قدرته بحيث لواراد ان يستخلف منكم غير ذوى العقول كان قادراً فضلاً عمّن هو من سنخكم و باعدادكم نطفهم و مادّتهم لقبول صورة الانسان [كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ] فى زيادة الذّريّة اشارة الى انّ هذا كان مستمرّاً [إِنَّ ما تُوعَدُونَ لَآتٍ] لمّا لم يقتض الشّرط وضع المقدّم صار المقام مظنّة السّؤال عن وقوع المقدّم فاجاب بانّ ماتوعدون من مشيّة الاذهاب والاستخلاف واقع [وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] له عن الاذهاب [قُلْ] تهديداً لهم [يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ] قرئ مكاناتكم حيثما وقع اى حالكونكم ثابتين على مقامكم ومكانكم فى الكفر او مشتملين على غايه تمكّنكم فانّ المكانة كالمكان بمعنى المقام او من التمكّن بمعنى الاستطاعة [إِنِّي عامِلٌ] على مرتبتى فى التّوحيد والاسلام [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ] امّا استفهام علّق الفعل عنه ، اواستفهام منقطع عن سابقه ، اوموصول مفعول لتعلمون وعلى ایّ تقدير فالمقصود بقرينة المقام انّكم سوف تعلمون انّ لناعاقبة الدّار ولذا علّله بقوله [إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ] كأنّه قال لانّكم ظالمون ولاعاقبة محمودة للظّالم اوهومن قول الله تعليلاً للامر اى قل لهم ذلك لانّهم ظالمون والظّالم لايفلح بحجّة [وَجَعَلُوا لِلّهِ] بيانٌ لظلمهم وعطف باعتبار المعنى اى انّهم ظلموا وجعلوا لله [مِمّا ذَرَأَ] اى خلق [مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هذا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ] من غير حجّة و سلطان [وَ هذا لِشُرَكائِنا] يعنى اصنامهم [فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللّهِ] لانّ الوصول الى الله لايكون الّا اذا كان الصّدور ايضاً من الله وليس لهم لطيفة آلهيّة تصير سبباً لان يكون الصّدور من الله [وَما كانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ] لما ذكر [ساءَ ما يَحْكُمُونَ] بتشريك المخلوق للخالق وجعل النّصيب من المخلوق للخالق من غير امرٍ منه ، روى انّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرثٍ ونتاجٍ لله ويصرفونه الى الصّبيان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم و ينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ، ثمّ ان رأوا ما عيّنوا لله ازكى بدّلوه بما لآلهتهم ، وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لهاحبّاً لآلهتهم واعتلّوا لذلك بانّ الله غنىٌّ. اعلم، انّ فى الانسان لطيفةً آلهيّة تسمّى عقلاً وعقل المعاش طليعة منه وهو المتصرّف والحاكم من الله فى وجوده ، ولطيفة شيطانيّة تتصرّف فيه وتحكم عليه و الاوّل هو الاله فى العالم الصّغير و الثّانى هو الشّيطان فى العالم الصّغير ، و الانسان واقع بين الحاكمين

والغرض من تكليف الانسان بالاعمال الشّرعيّة خلاصه من حكومة الشّيطان ودخوله تحت حكومة الله وخلوص حكومته، فمن أخلص نفسه لقبول حكومة الله فهو مؤمن ٌ موحّدٌ ومن اخلص نفسه لحكومة الشّيطان فهو كافر بل هو شيطان مريد ، ومن أشرك بين الحكومتين فهو مشرك موزّع لجملة اعماله ومكاسبه عليهما، ولمّا كان الله تعالى شأنه أغنى الشّركاء فما كان لشريكه فلا يصل الى الله، وما كان لله فهو يصل الى شريكه، لانّ الشّيطان مادام له حكومة ما فى وجود الانسان فكلّما عمل لله يداخله الشّيطان قبل العمل اوحينه اوبعده من مداخل خفيّة ، حتّى يجعل نفسه شريكاً للّطيفة الآلهيّة، ولمّا كان الله اغنى الشّركاء يترك ما جعل ما بشراكة غيره الى الشّريك فما كان خالصاً للشّريك كان له و ما كان لله يدعه الله للشّريك ، و فى لفظ ذرأ اشارة الى كمال سفاهتهم حيث جعلوا لله ممّا خلقه نصيباً له والخالق اقوى مالك لمخلوقه [وَكَذٰلِكَ] اى مثل تزيين جعل النّصيب لله من مخلوقاته [زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلٰادِهِمْ شُرَكٰاؤُهُمْ] وهم الّذين كانوا يرتكبون قتل اولادهم او وأدهم للعار اولخوف العيلة اوللاصنام وقرئ زيّن مجهولاً وقتل بالرّفع واولادهم بالنّصب وشركاؤهم بالجرّ بناءً على توسّط المفعول بين المضاف والمضاف اليه ، وقرئ زيّن مجهولاً وقتل بالرّفع و اولادهم بالجرّ و شركاؤهم بالرّفع على ان يكون شركاؤهم فاعل القتل ، و قرئ زيّن معلوماً وقتل بالنّصب واولادهم بالجرّ وشركاؤهم بالرّفع، وحينئذٍ يكون فاعل زيّن ضميراً راجعاً الى الله وشركاؤهم فاعلاً للمصدر اوشركاؤهم فاعل زيّن وفاعل المصدر محذوف يعنى المشركين اوشركاؤهم متنازع فيه لزيّن وللمصدر، وتعميم القتل والاولاد والشّركاء لما فى الكبير و الصّغير يناسب كون شركاؤهم فاعلاً للمصدر او متنازعاً فيه [لِيُرْدُوهُمْ] ليهلكوهم بالاغواء عن الحيوة الانسانيّة [وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ] ليخلطوا عليهم [دِينَهُمْ] الفطرىّ الّذى كانوا عليه بحسب الفطرة من التّوجّه الى الآخرة والتّوحيد اوطريقتهم الّتى كانوا عليها، آلهيّةً كانت اوشيطانيّةً حتّى لايستقيموا على تلك الطّريقة الّتى يسمّونها ديناً [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا فَعَلُوهُ] تسلية للرّسول (ص) بصرف نظره عن صورة افعالهم الى السّبب الاصلىّ لها ، حتّى لايضيق صدره بما فعلوا ولايتحسّر عليهم [فَذَرْهُمْ وَمٰا يَفْتَرُونَ] تسكين له (ص) عن تعب الدّعوة والاهتمام بمنعهم من شنائع اعمالهم [وَقٰالُوا] بيان لظلم آخر منهم [هٰذِهِ] الانعام والحرث [أَنْعٰامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ] الحجر بتثليث الحاء المنع والحرام [لٰا يَطْعَمُهٰا إِلّٰا مَنْ نَشٰاءُ] يعنى من نشاء بالمواضعة الّتى بيننا وفيه تعيير ٌ لهم، بانّ حكمهم ليس الّا بمقتضى اهويتهم كانوا يمنعون غير خدّام الاصنام من اكلها [بِزَعْمِهِمْ] متعلّق بقالوا يعنى قالوه بزعمهم من غير حجّة من الله [وَأَنْعٰامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهٰا] يعنى البحيرة والسّائبة والوصيلة والحام [وَأَنْعٰامٌ] عطف على انعام اى قالوا هذه انعام لا ينبغى ان يذكر اسم الله عليها ، او ابتداء كلام من الله والجملة معطوفة على قالوا اى لهم انعام اوانعام اخر [لٰا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا] فى الذّبح والنّحر اولايحجّون عليها يحرّمون ذكر اسم الله بالتلبية عليها [افْتِرٰاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ وَقٰالُوا] وجه آخر لظلمهم وانحرافهم عن الحقّ واستبدادهم برأيهم من غير حجّةٍ [مٰا فِى بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعٰامِ خٰالِصَةٌ] قرئ بالتّأنيث و التّذكير مرفوعاً ومنصوباً فى كلا الحالين، والتّأنيث باعتبار معنى ما، وهى الاجنّة، اوالتّاء فيه للمبالغة اوهو مصدرٌ كالعافية [لِذُكُورِنٰا وَمُحَرَّمٌ عَلىٰ أَزْوٰاجِنٰا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكٰاءُ] كانوا يحرّمون

الجنين الّذى يخرجونه من بطون الانعام المفصّلة السّابقة حيّاً على النّساء فاذا كان ميتاً يأكله الرّجال والنّساء على السّواء، وقيل: المراد بما فى بطونها البانها، وقيل: المراد الالبان والاجنّة كلتاهما [سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ] اى جزاء وصفهم هذا او نفس وصفهم على تجسّم الاعمال [إِنَّهُ حَكِيمٌ] يعطى حقّ كلّ ذى حقّ من الخير والشّرّ [عَلِيمٌ] بمقادير استحقاقاتهم [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ] تصريح بخسرانهم و ضلالهم بعد التّلويح تأكيداً وتفضيحاً، قيل: كانوا يقتلون الاولاد للاصنام ويقتلون بناتهم مخافة العار والسبى والعيلة [سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ] بانّ الله رازق لاولادهم وانّه خالقهم لمصلحة النّظام [وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ] من الانعام السّالفة على انفسهم اوعلى غيرهم من النّساء اوحرّموا ما رزقهم الله من الاولاد فانّهم نعمة ايضاً رزقهم الله [افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ] صرّح هنا بالافتراء تأكيداً لما سلف [قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] الى امر الحقّ تعالى وابتغاء رضاه [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ] مشتملات على الاشجار المثمرة من الكروم وغيرها [مَعْرُوشَاتٍ] مرفوعات على اصولها كالاشجار الّتى لها اصول اوعلى مايحملها كالكروم الّتى تحمل على غيرها [وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ] كالّتى تلقى على وجه الارض من الكروم [وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ] اكل ذلك المذكور من الاثمار و الحبوب و البقول فى الشّكل و اللّون والطّعم و الرّائحة والنّوع و الجنس مع اتّفاقها فى الارض و الماء [وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً] فى المذكورات [وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ] قائلاً [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ] على ألسنة الانبياء (ع) و الاولياء (ع) ترخيصاً لكم فى التّصرّف قبل اخراج حقوقه اوقائلاً بلسان الحال حيث اباحه لكم [إِذَا أَثْمَرَ] والمراد بالثّمر مطلق مايحصل منها من المنافع حتّى يدخل فيه ثمر الزّرع [وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] اى حقّه المفروض بناءً على وجوب الاداء اوّل وقت الامكان او حقّه المسنون من التّصدّقات على السّائلين و هكذا فسّرت فى الاخبار، فعن الصّادق: (ع) فى الزّرع حقّان حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه، امّا الّذى تؤخذ به فالعشر ونصف العشر، و امّا الّذى تعطيه فقول الله تعالى عزّ و جلّ: و آتوا حقّه يوم حصاده فالضّغث تعطيه ثمّ الضّغث حتّى تفرغ ويؤيّد كون المراد هوالحقّ المسنون قوله تعالى [وَلَا تُسْرِفُوا] فانّ المفروض لا يتصوّر السّرف فيه بخلاف المسنون [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] عن الرّضا(ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال كان ابى يقول: من الاسراف فى الحصاد والجذاذ ان يتصدّق الرّجل بكفيه جميعاً، وكان ابى اذا حضر شيئاً من هذا فرأى احداً من غلمانه يتصدّق بكفيه صاح به: اعط بيد واحدة [وَ] انشأ [مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً] مايحمل الاثقال [وَفَرْشاً] من شعرها و صوفها و وبرها قائلاً [كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ] من لحومها و البانها ولا تحرّموا شيئاً ممّا اباحه الله لكم منها [وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] بالاسراف فيما اباحه الله لكم والتّجاوز الى تحريم ما احلّه الله وتحليل ماحرّمه منها وقد سبق فى سورة البقرة تحقيق وتفصيل لخطوات الشّيطان والآية تكون كسابقها اشارةً الى التّوسّط بين الافراط والتّفريط [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ] الاهلىّ والوحشىّ [وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ] كذلك [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ] من الجنسين [حَرَّمَ] الله [أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ] من الجنسين [أَمَّا

اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ] اى الجنين من الجنسين ذكراً كان اوانثى [نَبِّؤُنِى بِعِلْمٍ] لابظنّ وهوى وخديعة من النّفس اوبما به يحصل العلم بانّ الله حرّم شيئاً من ذلك او بأمر معلوم مقطوع به لكم [إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى دعويكم حرمة شيءٍ من ذلك [وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ] العراب والبخاتى [وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ] الاهلىّ والوحشىّ [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ اَمِ الْأُنْثَيَيْنِ اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ] والمقصود انكار تحريم شيءٍ منها و الزامهم انّ قولهم بحرمة الذّكور منها تارة و الاناث اخرى والاجنّة اخرى كما سبق ليس عن علم وحجّة بل محض تخمين وظنّ من انفسهم [اَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ] حاضرين [إِذْ وَصّيكُمُ اللّهُ بِهذا] يعنى امثال ذلك امّا ان يعلم ببرهانٍ فيمكن اعلام الغير بذلك البرهان ، او يعلم بشهود و سماع حتّى يكون عن علمٍ وان لم يكن اعلام الغير به ، ولمّا لم‌يكن لكم برهان ولاشهود لم‌يكن حكمكم هذا الّا محض افتراءٍ على‌الله فلفظة ام وان كانت منقطعة لكنّها معادلة لقوله نبّئونى بعلمٍ باعتبار المعنى يعنى الكم برهان ام كنتم شهداء [فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً] تفريع على ما تقدّم باعتبار ثبوت الافتراء اوجزاء لشرطٍ مقدّرٍ بهذا الاعتبار، يعنى اذا لم‌يكن لكم برهان وعلم كما دلّ عليه نبّؤ نى بعلم ولم‌تكونوا شهداء كما دلّ عليه قوله ام كنتم شهداء فانتم مفترون ولا اظلم ممّن افترى على الله فهواشارة الى نتيجة قياس مستفاد من سابقه والى قياس اخر منتج اى انتم لاعلم لكم ولا شهود ، وكلّ من لاعلم له ولا شهود فى قوله فهومفتر، وكلّ مفترلااظلم منه فانتم لااظلم منكم [لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لايَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] وهذا الّذى ذكر من تفسير الازواج بما ذكر هوالّذى ورد فى الاخبار ولمّا امر الله تعالى نبيّه (ص) بالسّؤال عن حرمة شيءٍ من الازواج وعن البرهان عليها اوالشّهود بها امره ان يجيب، بانّ طريق العلم امّا برهان اوشهود وهما منتفيان عنكم كماسبق وامّا وحى بتوسّط سفراءالله وملائكته اوتقليد لصاحب الوحى وانتم اهله واناّاهل ذلك الوحى ومدّع له ، لانتم لعدم ادّعائكم ذلك و اعترافكم بانّكم لستم اهلاً للوحى فقال [قُلْ] لهم [لااَجِدُ فِيما اُوحِيَ اِلَيَّ مُحَرَّماً] من هذه الازواج كما تزعمون انّ بعضها محرّم على بعض كماسبق [عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ] وبهذا التّفسير يندفع عن هذه الآية الاشكال بانّ المحرّمات كثيرة وما ذكر هنا اقلّ قليل منها ، وامّا ما ذكر فى البقرة فقد سبق هناك ما يندفع به الاشكال عن الآيتين [إِلّا اَنْ يَكُونَ] اى الّا فى حال ان يكون الطّعام [مَيْتَةً] خرج عنها مقتول الكلاب المعلّمة والمقتول بآلة الصّيد على مافصّل فى‌الفقه لانّه فى حكم المذبوح [اَوْ دَماً مَسْفُوحاً] مصبوباً لا البقيّة الّتى تبقى فى لحوم الذّبائح وهومجمل تفصيله موكول الى بيانهم وقدفصّل فى‌الفقه [اَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَاِنَّهُ رِجْسٌ] بيّن وجه‌الحرمة فيه لانّ كونه رجساً مخفىّ على آكليه بخلاف سابقيه اوالضّمير راجع الى المجموع باعتبار المذكور [اَوْ فِسْقاً اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ] سمّى المذبوح للاصنام فسقاً مبالغة وقوله اهلّ لغير الله به بيان لعلة كونه فسقاً [فَمَنِ اضْطُرَّ] الى اكل شيءٍ من ذلك [غَيْرَ باغٍ] على الامام [وَلا عادٍ] حدّ الرخصة وقد مضى فى سورة البقرة تفصيل لهذه الآية [فَاِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] لايؤاخذه ويرحمه بترخصه فى الاكل حفظاً لنفسه [وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ] من الدّوابّ و الطّيور ذكر التّحريم على اليهود بطريق

الحصر عقيب هذه الآية و تعقيبه بكونه جزاءً لبغيهم للمنّ على امّة محمّد (ص) ولتهديدهم يؤيّد الاشكال بلزوم حلّيّة ذبيحة كلّ نوع من الحيوان [وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا] اى ماتعلّق بالامعاء [أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ] التّحريم [جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ] فى الاخبار [فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ] لانّه لامانع له من انفاذه [عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] جمع بين شأنى اللّطف والقهر و الارجاء والتّخويف والوعد والوعيد تعليماً لمحمّد (ص) واوصيائه (ع) طريق الدّعوة وتكميلاً له فيها وتثبيتاً له فى الدّعوة بين جهتى الرّضا والسّخط ، فانّه لايتمّ الدّعوة الّا بهما ، فالمعنى فان كذّبوك فلا تخرج عن التّوسّط وعدهم رحمة الرّبّ باضافة الرّبّ اليهم اظهاراً للّطف بهم وقل ربّكم ذورحمة واسعة فيرحمكم ولا يؤاخذكم بجهالاتكم، ولكن اذا اراد مؤاخذتكم فلا رادّ لمؤاخذته فاحذروها [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا] لرفع القبح عن اشراكهم بل لتحسينه بعد ان عجزوا عن الحجّة [لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ] كما هو ديدن النّفس والمرأة الفاحشة فانّهما لاترضيان بنسبة السّوء الى انفسهما بل تحسّنان القبيح بما امكن، فاذا عجزتا عن ذلك تنسبانه بالتّسبيب الى غيرهما من الشّيطان والقرين ومشيّة الله وهو كذب محض ، فانّ الشّيطان والقرين ليس لهما الّا الاعداد، والمشيّة وان كانت فاعلة اوسبباً للفعل لكنّ الفاعل مادام يرى نفسه فى البين ليس له نسبة الفعل الى المشيّة اوتعليقه عليها ولو نسب لاينبغى الغفلة عن استعداد القابل وبهذا يرتفع التناقض المترائى بين تكذيبهم فى قولهم هذا وبين تعليق ذلك على المشيّة فى قوله ولو شاء الله لهديكم [كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اى مثل تكذيبهم ايّاك بتعليق الاشراك والتّحريم على المشيّة دون نسبته الى انفسهم كذّب الّذين من قبلهم انبياءهم (ع) [حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا] يعنى ليس عندكم برهان على دعويكم يمكنكم الاحتجاج به على الغير، واطلاق العلم على البرهان من قبيل اطلاق المسبّب على السّبب، اولانّ البرهان هو العلم الّذى يحصل به علم اخر و لمّا كان البرهان هو الّذى يمكن اعلام الغير به قال فتخرجوه لنا فنفى بهذا عنهم البرهان وبقوله ان تتّبعون (الى آخره) نفى علمهم مطلقاً، يعنى لابرهان لكم ولاشهود ولاسماع عن صادق اووحى و بقوله قل هلمّ شهداءكم نفى صحّة تقليدهم لانّ التحدّى بمثل هذا يدلّ على عدم شاهد لهم يصحّ الاعتماد عليه [إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ] يعنى لاعلم لكم فى انفسكم بمدّعاكم كما لابرهان لكم لاعلام غيركم، ذمّهم اوّلاً على اتّباع الظّنّ فى اعمالهم ، وثانياً على انّ شأنهم الخرص والتّخمين لا العلم واليقين، والعاقل لايقف على الظّنّ والتّخمين بل يتعمّل فى تحصيل العلم و اليقين وما لم يحصل اليقين يقف عن العمل الّا اذا اضطرّ فيحتاط لا انّه يتّبع الظّنّ فيعمل ويفتى بظنّه من غير اذنٍ واجازةٍ ولا يحصل اليقين الّا بالبيان والبرهان ، اوبادراك مدارك الحيوان ، اوبالوحى والعيان ، اوبتقليد صاحب الوحى وخليفة الرّحمن، فمن ظنّ انّ الظّنّ مطلقاً والاستحسان طريق حكم الله اوالمخطئ له اجرٌ والمصيب له اجران فقد أخطأ طريق الجنان وسلك طريق النّيران فمن فسّر القرآن برأيه واحكام الله نزول القرآن فليتبوّء مقعده من النّيران ، وامّا الخاصّة فظنونهم قائمة مقام العلم بل نقول ظنونهم اشرف و اعلى من العلم فقد حقّقنا سابقاً انّ اجازة المجيز اذاكانت الاجازة الصّحيحة بلغت الى المجاز تجعل ظنّ المجاز اشرف من علم غيره لانّ العلم بدون الاجازة

لا اثر فى قول قائله و الظّنّ مع الاجازة يؤثّرو ليس الاجازة الآلهيّة بأقلّ من الاجازة الشّيطانيّة ، والحال انّ المرتاضين بالاعمال الشّيطانيّة ان تعلّموا تعلّماً صحيحاً مع تصحيح الالفاظ جميع المناظر لم يؤثّر شيء منها ما لم يجزه صاحب الاجازة ، واذا اجازه صاحب الاجازة يؤثّر قوله ولو كان مغلوطاً، فالاجازة تجعل المغلوط اشرف من الصّحيح و هكذا الحال فى الاجازة الآلهيّة و لمّا نفى البرهان عنهم فى تعليق الاشراك و التّحريم على مشيّة الله المفهوم من مفهوم الشّرط ، فانّ المراد بقرينة المقام من هذا الشّرط الدّلالة على تعلّق الاشراك بمشيّة الله وان كان بحسب اللّغة أعمّ ، ونسب تكذيب النّبىّ (ص) اليهم بذلك التّعليق مشعراً بذمّهم فيه واوهم ذلك نفى تعليق الافعال على المشيّة امر نبيّه (ص) بان يقول لهم : انّ البرهان منحصر فى الله وفيمن اخذ عن الله تمهيداً لتعليق الافعال على مشيّة الله رفعاً لتوهّم عدم سببيّة المشيّة النّاشى عمّا سبق فقال تعالى [قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ] فى كلّ ما قال وما فعل [فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰيكُمْ أَجْمَعِينَ] فله الحجّة فى صدق هذا القول وقد اظهرها لى يعنى لى الحجّة فى تعليق اشراككم وتحريمكم على مشيّة المفهوم من مفهوم قولكم لوشاء الله مااشركنا لالكم وله الحجّة فى ترك تلك المشيّة ومشيّة ضدّه ، اعلم ، انّ مشيّة الله وهى اضافته الاشراقيّة الّتى بها وجود كلّ ذى وجود كالرّحمة والارادة عامّة وهى الّتى بها وجود كلّ ذى وجود امكانىّ بكمالاته الاولويّة والثّانويّة فى سلسلة النّزول والصّعود مثل الرّحمة الرّحمنيّة وخاصّة ، وهى الّتى بها وجود الكمالات الثّانويّة للمكلّفين فى سلسلة الصّعود مثل الرّحمة الرّحيميّة وتسمّى بالرّضا والمحبّة ولا يرضى لعباده الكفر ، و يحبّهم و يحبّونه اشارة اليها فالمشيّة العامّة لها السّببيّة لكلّ ذات وفعل وصفة لكنّ الفاعل ما لم يخرج عن حدّ نفسه ولم ينظر الى مشيّة الله بنور بصيرته ويرى نفسه فاعل فعله كما يشعر به قولهم ما اشركنا بنسبة الاشراك الى انفسهم ماصحّ له نسبة الفعل او تعليقه على المشيّة وكان مذموماً كاذباً فى نسبة فعله الى المشيّة ، وبهذا ايضاً يصحّ ذمّهم فى قولهم لوشاء الله ما اشركنا بتعليق عدم الاشراك اى الاهتداء على المشيّة مع اثبات هذا التّعليق بقوله فلو شاء لهديكم اجمعين وكذلك المشيّة الخاصّة لها السّببيّة فى الافعال التّكليفيّة الصّالحة ، فلو ارادوا تلك المشيّة فالجمع بين ذمّهم على قولهم واثبات قولهم بمثل ما ذكر فى المشيّة العامّة ولمّا ابطل قولهم ذلك بعدم البرهان وعدم علمهم فى انفسهم اراد ان يبطل علمهم التّقليدىّ ايضاً باستحضار الرّؤساء الّذين قلّدوهم و الزامهم جهلهم و ضلالتهم حتّى يتبيّن لهم انّ تقليدهم فاسد ، وانّ التّقليد يصحّ اذا كان تقليداً لمن نصبه الله للتّقليد كالانبياء واوصيائهم وغيرهم كائناً من كان لاينفكّ عن الهوى وتقليده اتّباع للهوى فقال [قُلْ] لهم ايّها العاجزون عن البرهان و القاصرون عن العلم [هَلُمَّ شُهَدٰاءَكُمْ] اى رؤساءكم الّذين تقلّدونهم [اَلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذٰا] حتّى اظهر لكم جهلهم واتّباعهم للهوى [فَإِنْ شَهِدُوا] بذلك [فَلاٰ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا] وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ شهادتهم ناشئة عن اتّباع الهوى لانّهم موصوفون بتكذيب آيات الله والمكذّبون بآيات الله لايكونون الّا صاحبى الاهوية النفسانيّة [وَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] وصف آخر باعث لاتّباع الهوى [وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] اى يسوّون غيره به وصفهم باوصاف ثلاثة كلّ واحد منها يكفى فى ردّ شهادتهم [قُلْ] بعد عجزهم عن العلم واقامة البرهان والزامهم فساد تقليدهم لرؤسائهم [تَعٰالَوْا] الىّ فانّى منصوب من الله [أَتْلُ مٰا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ] حتّى تقلّدونى تقليداً صحيحاً [أَلاّٰ تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئاً] اعراب اجزاء الآية ان ّ مافيما حرّم مصدريّة اوموصوفةاوموصولة اواستفهاميّة وعليكم ظرف متعلّق بحرّم اوباتل اوبهما اوابتداء كلام، وان فى ان لاتشركوا مصدريّةولانافية اوناهية والنّهى اوفق بماياًتى من عطف الامرعليه ، وهوامّا بتقدير الّلام اوخبر مبتدء محذوف اى المتلوّ اوالمحرّم ان لاتشركوا واذا قدّر المحرّم مبتدءً كان لازائدةً اوهومفعول فعل محذوف، اى اعنى ان لاتشركوا اوعليكم خبرمقدّم وانلاتشركوا مبتدء، اوعليكم اسم فعل واّلا تشركوا منصوب به ، او ان لاتشركوا مفعول اتل على ان يكون ما فى ما حرّم مصدريّة اوهو بدل ممّا وابد اله ممّاباعتبارحرمة الاشراك، اويكون لازائدة اولفظة انتفسيريّة والجملة تفسير لاتل اولحرّم وتفسيره لحرّم باعتبارالاشراك ، او ان لاتشركوا مفعول لوصّيكم الله وهذا اوفق بقوله [وَبِالْوالِدَيْنِ اِحْساناً] وعلى الوجوه السّابقة فالتّقديراحسنوا بالوالدين وللاهتمام بالوالدين اسقط الفعل ايهاماً لعطفه على الجارّ والمجرور ليتوهّم انّ المعنى ان لاتشركوا بالوالدين احساناً ، واتى بالمصدر للاشعار بانّ المقدّر احسنوا واتى به موضع لاتسيئوا فانّه الموافق لسابقه ولاحقه للدّلالة على الاهتمام بالاحسان اليهما وعدم الاكتفاء بترك الاساءة، والوالدان اعمّ من الصوريّ والرّوحانيّ [وَلاتَقْتُلُوااَوْلادَكُمْ مِنْ اِمْلاقٍ] بالوءد و غيره [نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِيّاهُمْ] فلا تخشوا الفقر [وَلاتَقْرَبُواالْفَواحِشَ] ما استقبحه العقل واستكرهه الشّرع [ماظَهَرَمِنْها] كالّتى شاعت وصارت سيرة بينكم ،كنكاح زوجة الاب وعبادة الاصنام وغيرها من السّنن الرّذيلة الّتى لايرتضيها العقل ولم تثبت فى شريعةٍ الهيّةٍ ، والنّهى عن القرب مبالغة فى النّهى عن الفعل [وَمابَطَنَ] كالزّنا وكلّ ما لم يصرشائعاً وسيرة بينكم من المستقبحات العقليّة والشّرعيّة اوالمراد بما ظهر ماظهر قبحه كالزّنا و اللّواط لا ما ظهر ذاته كنكاح زوجة الاب وبمابطن ما بطن قبحه كنكاح زوجة الاب ، اوالمراد بما ظهر ماظهر منها على الاعضاء وبما بطن مابطن فى النّفوس كالرّذائل النّفسانيّة والخطرات السّيئة والخيالات الفاسدة والعقائد الكاذبة ، اوالمراد بالفواحش الزّنا فقط اواعمّ منه وممّاكان مثله فى القبح فى الانظار كاللّواط و هذا اوفق بترتيب المعاصى كما لا يخفى على من تأمّل فى الفقرات الثّلاث، ولذا ورد تفسيرها فى الاخبار بالزّنا ومثله ، اعلم ، انّ ظلم الانسان و عصيانه امّا ظلم لنفسه او ظلم لغيره ، و ظلم الغير امّا مسرٍ الى ذات الغير او الى ماله ، و اعظم مراتب ظلم النّفس الزّنا ، واعظم مراتب ظلم ذات الغيرازهاق روحه ، واعظم مراتب ظلم مال الغيرأخذ مال اليتيم عدواناً ، وبالفقرات الثّلاث المصدّرة باداة النّهى اشارتعالى شأنه الى هذه الثّلاثة [وَلاتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ اِلّا بِالْحَقِّ] ذكر خاصٍ بعد العامّ للاهتمام به كما انّ ما سبق على ذكر الفواحش كان ذكر خاصٍ قبل العامّ لذلك بناءً على تعميم الفواحش ، و امّا اذاكان الفواحش خاصّة بالزّنا و اللّواط كان ذكر قتل الاولاد مقدّماً على الكلّ ، وعدم الاكتفاء بذكر قتل النّفس للاهتمام بوأدالاولاد وقتلهم وللتّشديد فى حرمته [ذلِكُمْ وَصّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] قبحه وسوء عاقبته فتتركونه [وَلاتَقْرَبُوامالَ الْيَتيمِ اِلّا بِالَّتى هِىَ اَحْسَنُ] اى بالنّية الّتى هى احسن وهى نيّة حفظ ماله ونفسه وانماء ماله [حَتّى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ] جمع الشّدّ بالفتح كفلس وافلس اوالشّدّة كالنّعمة والانعم اومفرد ، وعلى جمعيّته فالمقصود الاشارة الى قوّة جميع قواه البدنيّة والنّفسانيّة وهوالبلوغ الشّرعيّ الّذى فيه قوّة قواه البدنيّة و النّفسانيّة بكمال تميزه و دركه الخير و الشّرّ البدنيّين و النّفسانيّين

[وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْميزانَ بِالْقِسْطِ] المراد بهما المعروفان وقد مضى فى بيان الميزان ما يمكنك التّعميم به وكذا فى سائر فقرات الآية ، والتّقييد بالقسط امّا للتّأكيد اوللمنع من اعطاء الزّيادة على قدر الاستحباب فانّه كالتّبذير الممنوع او مورث لجهالة المكيل و الموزون المفسدة للمعاملة ولذا جاء بقوله [لا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلّاٰ وُسْعَهٰا] معترضاً فانّ القسط الحقيقىّ فى الايفاء هواداء تمام ما حقّه ان يؤدّى بحيث لايزيد ولاينقص حبّة وهو أمر ليس فى وسع البشر [وَاِذٰا قُلْتُمْ] فى حكومة اذاحكّمكم النّاس اوفى شهادة اواصلاح اونصح اوترحّم اوسخط اومعاش اومعاد اوواجب اومباح بألسنتكم اوبسائر اعضائكم اوبقواكم العلّامة اوالعمّالة [فَاعْدِلُوا] توسّطوا بين الافراط والتّفريط فى الاقوال والاحوال والافعال ، والتّأدية بصورة الشّرط و بلفظ اذا والمضىّ للاشارة الى انّ القول غير مأمور به لكنّ الانسان لا يخلوعن قولٍ ما خصوصاً على التّعميم المذكور و يكون مأموراً بالتّوسّط فى القول [وَلَوْ كٰانَ ذٰا قُرْبىٰ] جسمانيّاً اوروحانيّاً فى العالم الكبير اوالصّغير [وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوا] تقديم المعمول للاهتمام به ولشرافته ولابراز العلّة للامر قبل الاتيان به لا لقصد الحصر اوللحصر ايضاً بناءً على انّ الوفاء بسائر العهود من شرائط عهدالله ، اعلم ، انّ العهد والعقد والميثاق والبيعة مع الله فى عرف اهل الله اذا اطلقت يراد بها البيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة ، وبالاولى يحصل الاسلام وبالثّانية يحصل الايمان وتسمّى تلك البيعة بيعة ومبايعة ، لانّ البائع بتلك البيعة يبيع نفسه وماله بثمنٍ هو الجنّة كما قال تعالى : انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنّة و تسمّى عهداً و معاهدةً لتعهّد البائع والمشترى القيام بماعليهما وعقداً لانعقاد يدالبائع على يدالمشترى وميثاقاً لاستحكام ذلك العهد بتقبّل الشّروط من الطّرفين ووثوق كلّ بالاخر بذلك العقد ، ولمّا كان المشترى منصوباً من الله ووكيلاً منه فى تلك المبايعة صحّ نسبتها الى الله انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله، يدالله فوق ايديهم ، انّ الله اشترى من المؤمنين، ومن اوفى بعهده من الله، واذاخذنا ميثاق بنى اسرائيل، اوفوا بعهدى اوف بعهدكم ، وغيرذلك من الآيات والاخبار الدّالّة على نسبة هذه الى الله [ذٰلِكُمْ وَصّيٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] التّذكّر هو الالتفات الى المعلوم والاستشعار به بعد الغفلة عنه اومطلقاً وهومن صفات العقل كما انّ الغفلة من صفات النّفس ولذا اخّره عن قوله تعقلون وكرّر ذلك للاشارة الى مراتب المعاصى وانّ بعضها لايصدرعن العاقل، وبعضها لايصدرعن المتذكّر وان كان قد يصدرعن العاقل الغافل، وبعضها لايصدر عن المتّقى وان كان قد يصدرعن العاقل المتذكّر والمراد بالتّقوى فى قوله لعلّكم تتّقون ، هو التّقوى الحقيقيّة الّتى هى الرّجوع عن طرق النّفس المعوّجة واتّباع ائمّة الجور الى طريق القلب و اتّباع الامام الحقّ ، والعاقل المتذكّر ما لم يصل الى الامام الحقّ لايمكنه الرّجوع الى طريق القلب ولذا اقتصر هناك على اتّباع الصّراط المستقيم [وَاَنَّ هٰذٰا صِراطى مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ] قرئ بفتح همزة انّ وتشديد النّون اوتخفيفه مخفّفة من المثقّلة وحينئذٍ تكون مع بعدها عطفاً على ان لا تشركوا واعتبار الحرمة فيه باعتبار ترك المتابعة ، اوتكون بتقدير اللّام متعلّقاً بقوله اتّبعوه وقرئ بكسر همزة انّ فتكون عطفاً على تعالوا، وقرئ صراط ربّك وصراط ربّكم وهذا اشارة الى المستفاد ممّا ذكر من قوله ان لا تشركوا

الى اخر الآيات وهوالتّوسّط بين الافراط و التّفريط فى الفعل والقول وهو صراط الولاية ، او هو اشارة اوّلاً الى طريق الولاية الّذى كان معهوداً عنده [وَلَاتَتَّبِعُواالسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] اصله تتفرّق حذف تاء المضارعة والفعل منصوب بان بعد الفاء والباء للتّعدية و المعنى لاتتّبعوا السّبل فان تتفرّق بكم اى تفرّقكم وتزيل اجتماعكم واتّحادكم فى الصّراط ، ولمّا كان التّوسّط بين الافراط والتّفريط لايحصل الّا بالولاية بل كان هوالولاية والولاية من شؤن الولىّ بل هى الولىّ صحّ تفسيره بالولاية وبمحمّد(ص) و بعلىّ(ع) كما ورد فى الاخبار ، ولمّا كان الانحراف عن التّوسّط والميل الى الافراط والتّفريط لايحصل الّا باتّباع الهوى بل هو اتّباع الهوى والهوى ليس الّا من شؤن اعداء اهل البيت صحّ تفسير اتّباع السّبل بمحبّة اعدائهم [ذٰلِكُمْ] التّوسّط [وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] السّبل المتفرقة فانّ التّقوى الحقيقيّة هى الاحترازعن الطّرق المنحرفة والثّبات على الصّراط المستقيم [ثُمَّ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ] كتاب النّبوّة اوالتّوراة الّتى هى صورة النّبوّة والعطف باعتبار المعنى كأنّه قال هذا ما آتينا محمّداً(ص) ثمّ آتينا موسى الكتاب والعطف بثمّ باعتبار الاخبارين والاعلامين اوباعتبار تفاوت الخبرين فى الشّرف باعتبار موضوعيهما ويحتمل العطف على جملة ذلكم وصّيكم به لكنّه بعيد عن الفصاحة لعدم المناسبة بينهما ، و امّا العطف على وصّيكم كما قيل فبعيد غاية البعد لعدم ظهور الرّابط لمبتدء المعطوف عليه [تَمٰاماً] من غير نقص فيه او تماماً للنّعمة و هوحال او مفعول مطلق او تعليل [عَلَى الَّذِيٓ اَحْسَنَ] صار ذاحسن او جعل عمله حسناً و بأحد هذين المعنيين ورد تفسيره بان تعبد الله كأنّك تراه اواحسن الى الغير ومنع اساءته عنهم ، اعلم ، انّ الحسن المطلق منحصر فى الولاية المطلقة الّتى صاحبها علىّ(ع) بعد محمّد(ص) وحسن غيرها من الذّوات والصّفات والافعال باعتبار اتّصاله بها ، وتفاوت الحسن فى الاشياء باعتبار تفاوتها فى القرب والبعد عنها، فالطّالب للولاية يكون فى نفسه حسناً وافعاله الّتى تصدر عن طلبه تكون حسنة ، والقابل لهايكون احسن وأفعاله الّتى تصدر عن جهة ذلك القبول أحسن من افعال الطّالب، والقابل المشاهد لصورة الولىّ والنّاظر الى ملكوته احسن من القابل الغائب عن المشاهدة ، وتلك المشاهدة هى الّتى تسمّى عند الصّوفيّة بالفكر وتمثّل صورة الشّيخ و النّظر الى صورته أحسن من جميع افعاله و المتحقّق بحقيقة الولاية وافعاله احسن من القابل المشاهد وافعاله [وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ] اعلم ، انّه تعالى وصف كتاب موسى(ع) بكونه تماماً وتفصيلاً لكلّ شيء ههنا وقال فى سورة الاعراف: و كتبناله فى الالواح من كلّ شيءٍ موعظةو تفصيلاً لكلّ شيءٍ و هذا يدلّ على انّه تعالى جعل فى كتاب رسالته كلّ شيء مشتملاً على كلّ شيء وكلّ شيء مظهراً تاماً ومرآة كاملة لكلّ شيء ، وقد قال بعض الصّوفيّة: كلّ شيء فى كلّ شيء لكن ليس لكلّ احد ان ينظر كلّ شيء فى كلّ شيء ، ولهذاقال : و كتبنا لموسى وماكان لغيره ذلك ، ولمّا كان موسى (ع) بعد نبيّنا(ص)وبعد ابراهيم(ع)اوسع نظراً من حيث النّظر الى الكثرات ومراتب كلّ ومباديه وغاياته ، وصف كتابه المنزل عليه بأنّه كتب له فيه من كلّ شيء تفصيلاً لكلّ شيء ، بمعنى انّه تعالى جعل لوح صدر موسى(ع) بحيث اذا انتقش فيه شيءٌ من الاشياء انتقش فيه جميع مباديه الى مبدء المبادى وجميع غاياته الى غاية الغايات، وانتقش جميع لوازم المبادى والغايات ، واذا انتقش جميع المبادى و الغايات ولوازمها فى شيء لم يبق شيءٌ الّا انتقش، فيه لانّ الموجودات كلّها متلازماتٌ اذ الكلّ معاليل علّة واحدة [وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ] اى

بنى اسرائيل [بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] ان كان المراد بربّهم الرّبّ المطلق فالمراد باللّقاء لقاء جزائه و حسابه وحُسّابه، وان كان المراد به الرّبّ المضاف وهو ربّهم فى الولاية فالمراد باللّقاء لقاء ملكوت ذلك الرّبّ وهو ادنى مراتب اللّقاء والمعرفة بالنّورانيّة وفوقه لقاء جبروته بمراتبها ، يعنى آتينا موسى الكتاب للدّعوة الظّاهرة حتّى يستعدّوا بقبول تلك الدّعوة لقبول الدّعوة الباطنة، ويستعدّوا بقبول تلك الدّعوة لفتح باب القلب ويشاهدوا بفتح باب القلب صورة ولىّ الامر بملكوته ، وهو لقاء ربّهم الّذى هو ولىّ امرهم وبهذا اللّقاء يحصل الفوز بالرّوح والرّاحة والامن والامان والسّلامة من حوادث الزّمان والنّجاة من مضيق المكان ؛ والى هذا اللّقاء اشار من قال :

كرد شهنشاه عشق درحرم دل ظهور قد ز ميان بر فراشت رايت الله نور

وقد فسّر السّكينة فى الاخبار بما يدلّ على ظهور ملكوت ولىّ الامر فى القلب حيث ورد ، انّها ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان ، فانّ الملكوت من الجنّة ، وكونها ذات وجه كوجه الانسان يدلّ على انّها من الذّوات الجوهريّة الملكوتيّة لكونها من الجنّة لامايفهم من لفظ الرّيح ، ويسمّى فى عرف الصّوفيّة ظهور ملكوت ولىّ الامر على قلب الانسان بالسّكينة كما يسمّى بالفكر والحضور، وهذا اللّقاء هو المراد بما يقولون: لابدّ للسّالك ان يجعل صورة المرشد نصب عينيه ، يعنى ينبغى ان يصفو نفسه بالعبادات حتّى يظهر فى قلبه ولىّ امره فيكون مع الصّادق معيّة حقيقيّة لامايتوهّم من ظاهر اللّفظ من انّه لابدّ ان يتعمّل ويتصوّر صورة مخلوقة له مردودة اليه، وقلور دمنهم، وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك؛ وعلى هذا كان المراد بالايمان ههنا الايمان الشّهودىّ لا الايمان بالغيب [وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ] كثير الخير والنّفع لانّ البركة الزّيادة والنّماء فى الخير وهو كلمة جامعة لكلّ ما ذكر فى وصف كتاب موسى (ع) مع شيءٍ زائدٍ وهو تعميم البركة لكلّ مايتصوّر فيه البركة ، وفى لفظ انزلنا دون آتينا دلالة على شرافة هذا الكتاب كأنّ كتاب موسى (ع) كان من سنخ هذا العالم فآتاه الله ، والقرآن كان فى مقام اعلى من هذا العالم فأنزل الله الى هذا العالم السّفلىّ وآتاه محمّداً (ص) [فَاتَّبِعُوهُ] حتّى تفوزوا من اتّباعه بولىّ امركم واتّباعه فانّ فيه حجّته وباتّباعه تفوزون بفتح باب القلب وبفتحه نزول الرّحمة من الله وادنى مراتب حقيقة الرّحمة هو ملكوت ولىّ الامر [وَاتَّقُوا] مخالفة ما فيه [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] بلقاء ملكوت ولىّ امركم فانّ دار الشّياطين هى حقيقة سخط الله والدّنيا هى مظهر رحمته وسخطه معاً والملكوت العليا هى حقيقة رحمته المتجوهرة وكذا الجبروت والمشيّة،وفى الاقتصار على لفظ ترحمون هنا والاتيان بقوله بلقاء ربّكم تؤمنون هناك دلالة على شرافة هذا الكتاب كما لايخفى [أَنْ تَقُولُوا] يعنى انزلنا الكتاب، كراهة ان تقولوا بعد ذلك او فى القيامة او لئلّا تقولوا كذلك اوكراهة هذا القول الواقع منكم على سبيل الاستمرار. اعلم، انّ مثل هذه العبارة كثيرة فى الكتاب والسنّة وجارية على السنة العرف والمقصود من مثلها انّ هذا القول كان واقعاً منكم وصار وقوع هذا القول سبباً لانزال الكتاب لكراهتنا وقوع هذا القول منكم ولئلّا يصدر مثله بعد منكم،ولمّا كان صدور هذا القول سبباً لكراهته، وكراهته لهذا القول الصّادر سبباً لانزال الكتاب، وانزال الكتاب سبباً لمنع هذا القول صحّ تفسيره بكراهة ان تقولوا، وبقولهم لئلّا تقولوا ، ولكن لاحاجة الى تقدير الكراهة اوتقدير لا وعلى هذا كان المعنى انزلنا الكتاب لكثرة ماكنتم تقولون اظهاراً للعذر فى تقصيركم فى العبادات و تحسّراً على كونكم امّيّين [إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ

مِنْ قَبْلِنا] والاتيان باداة القصر لشهرة الكتابين واهلهما عندهم كأنّهم كانوا لايعرفون اهل ملّة و كتاب غيرهما [وَإِنْ كُنّا] انمخففة من المثقّلة [عَنْ دِراسَتِهِمْ] قراءتهم وبيانهم للكتابين [لَغافِلِينَ اَوْ تَقُولُوا] اوللتوزيع يعنى كان بعضهم يقولون ذلك وبعضهم هذا [لَوْ اَنّا اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنّا اَهْدى مِنْهُمْ] لانّا احدّ ذهناً وادقّ فهماً، وهذا هو ديدن النّسوان لانّهنّ لا يرضين بنسبة النّقص الى انفسهنّ و يعتذرون بالاعذار الكاذبة ويفتخرن باستعداد الكمالات وقواها حين فقدانها على المتّصف بها ويتحسّرن على الفانية بالتّمنّيات والتّعليق على الفائتات [فَقَدْ جاءَكُمْ] جواب لشرط مقدّر، اى ان كنتم صادقين فقد جاءكم [بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] كتاب هو حجّة واضحة على كلّ شيء من صدق النّبىّ (ص) ونبوّته والاحكام الّتى هى معالم الهداية [وَهُدىً وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ] التّدوينيّة و التّكوينيّة واعظمها علىّ (ع) فانّ الآيات التّدوينيّة تدلّ على التّكوينيّة و تكذيبها مؤدّ الى تكذيبها ، وهو تعريض بانّهم كذّبوا بآيات الله بعد وضوحها ولا اظلم منهم [وَصَدَفَ عَنْها] اعرض اومنع لكنّ الثّانى اولى للتّأسيس يعنى ضلّ واضلّ [سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون [اِلّا اَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ] لقبض ارواحهم اولعذابهم حين الموت [اَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ] فى الولاية و هو علويّة محمّد (ص) و وجهة ولايته كما قال (ع) : يا حار همدان من يمت يرنى [اَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ] كأشياع علىّ (ع) الّذين هم آياته تعالى ، وتفسير الآيات فى الاخبار بالعذاب فى دار الدّنيا لاينافى كونها عند الموت قبل الارتحال من الدّنيا ولاينافى التّفسير باشياع علىّ (ع) لانّ العذاب آية علىّ (ع) النّازلة و اشياعه آياته العالية [يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ] يعنى حين معاينة الموت [لايَنْفَعُ نَفْساً ايمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِى ايمانِها خَيْراً] هواشدّ آية على اهل الايمان خصوصاً على من لايراقب جهة ايمانه الّذى هوذكره وفكره، وقدفسّرت الآيات فى هذه الآية بالائمّة (ع) وبطلوع الشّمس من مغربها وبخروج الدّجّال و بظهور القائم (ع) و بخروج دابّة الارض ، ولاينا فى ما ذكرنا [قُلِ انْتَظِرُوا] احدى الثّلاث [اِنّا مُنْتَظِرُونَ] لها فانّ لنا بذلك الفوز ولكم الويل [اِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] الدّين يقال لكلّ سيره وسنّة، النّاس على دين ملوكهم، وعلى السّيرة الشّرعيّة الآلهيّة، اليوم اكملت لكم دينكم ، و للجزاء مالك يوم الدّين ، ويطلق على الاسلام والعادة والعبادة والطّاعة والذّلّ والحساب والقهر والاستعلاء والملك والحكم والتّدبير والتّوحيد وجميع مايتعبّدالله به، والملّة والخدمة والاحسان وعلى غير ذلك من المعانى ، والتّحقيق انّ حقيقة الدّين هى الطّريق من القلب الى الله والسّير الى ذلك الطّريق اوعليه ويسمّى بالطّريقة وهما الولاية التّكوينيّة المعبّر عنها بالحبل من الله، والولاية التّكليفيّة المعبّر عنها بالحبل من النّاس وبالولاية التّكليفيّة ينفتح باب ذلك الطّريق وصاحب الولاية المطلقة هو علىّ (ع) وهو متّحد مع الولاية المطلقة ، والولايات المقيّدة اظلال من هذه الولاية ولذلك صار علىّ (ع) خاتم الولاية وكلّ الانبياء (ع) والاولياء (ع) يكونون تحت لوائه ، وكلّما يسمّى ديناً من الشّرائع الآلهيّة فانّما يسمّى ديناً لاتّصاله بالولاية وارتباطه بحقيقة الدّين، وتسمية السّيرة الغير الآلهيّة بالدّين من باب المشاكلة مع السّيرة الآلهيّة

فعلى قراءة فرّقوا ، فالمعنى انّ الّذين فرّقوا دينهم الّذى هوماوصل اليهم من طريق القلب بالولاية التّكوينيّة من فيض العقل على الاهوية الفاسدة اوما وصل اليهم من هذا الطّريق بالولاية التّكليفيّة من الايمان الّذى دخل فى قلوبهم على الاغراض الكاسدة والمهامّ المتبدّدة ، فانّ الانسان اذا صار مقبلاً على النّفس والدّنيا كان يفرّق كلّما يصل اليه من جهة الآخرة على جهات النّفس ونعم ما قيل :

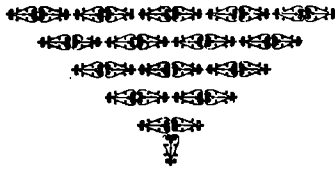
اقصتوا يعنى كه آبت را بلاغ هين تلف كم كن كه لب خشك است باغ

اوالمعنى فرّقوا دينهم وبعّضوه بان آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، اوالمعنى افترقوا فى دينهم بان اختار كلّ منهم ديناً غير دين الآخر ، كما ورد من افتراق الامّة على ثلاث وسبعين فرقة ، وقرئ فارقوا دينهم اى فارقوا ولايتهم التّكوينيّة من الغفلة التامّة عن طريق القلب اوفارقوا ولايتهم التّكليفيّة بالهجرة والغفلة عن ذكرهم الّذى دخل فى قلوبهم او فارقوا عليّاً (ع) كماعلمت ، وكما ورد فى الخبر انّ الآية فارقوا دينهم وانّ المراد المفارقة عن علىّ (ع) [وَكَانُوا شِيَعاً] متفرّقة يشيع كلّ منهم هوى اوغرضاً اواماماً باطلاً اويصير كلّ منهم مشايعاً لاهوية عديدة اواغراض عديدة اوائمّة عديدة بجعل كلّ واحد كأنّه فرق مختلفة كما قال تعالى: ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون وكما قيل بالفارسية : « ترا يكدل دادم كه دران يك دلبر گيرى نه آنكه آن يكدل را صد پاره كنى وهرپاره را دنبال مهمّى آواره » [لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ] اى لست متمكّناً منهم فى شيء من التّمكّن فانّ تمكّنك امّا بتمكّن صورتك الملكوتيّة فى قلوبهم ، اوبتمكّن الذّكر الّذى اخذوا منك بالولاية التّكليفيّة فى قلوبهم ، اوبتمكّن الانقياد الّذى اخذوه منك بالبيعة العامّة فى صدورهم فانّ الكلّ من شؤنك ونازلتك ، اولست من شفاعتهم فى شيء ، اولست من مسائلتهم ومحاسبتهم اوعذابهم فى شيء ، اولست من مجانستهم فى شيء ومرجع الكلّ الى تمكّنه (ص) فى قلوبهم باحد الوجوه المذكورة ، ولفظة منهم خبر لست اوحال مقدّم من شيء ، وكلمة من بيانيّة اوابتدائية اوتبعيضيّة [إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ] لانّك لست ولىّ امرهم بانحرافهم عنك فامرهم وحكمهم مفوّض اوراجع الى الله [ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] فى تفرّقهم فيجازيهم على حسبه [مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا] الحسنة وصف من الحسن والتّاء فيه للنّقل من الوصفيّة الى الاسميّة ، فانّها صارت اسماً لاشياء مخصوصة ورد عن الشّريعة حسنها اوللتّأنيث فى الاصل بتقدير الخصلة الحسنة ، وحقيقة الحسن هى الولاية المطلقة وهى علىّ (ع) بعلويّته والنّبوّات واحكامها القالبيّة والولايات الجزئيّة واحكامها القلبيّة اظلال الولاية المطلقة وقبول النّبوّات والولايات ايضاً ظلّها ، وكلّ فعل وقول وخلق كان من جهة الولاية كان حسناً بحسنها لكونه ظلّها ايضاً ، ويعلم السّيّئة بالمقايسة الى الحسنة فاصل السّيّئة اتّباع النّفس المعبّر عنه بولاية اعداء آل محمّد ومخالفيهم . واعلم ، انّ الانسان مفطور على السّير الى الآخرة ودار النّعيم وحيازة درجاتها ، فاذا فرض عمل يعينه على سيره وعمل آخر مثل هذا العمل يقسره على الحركة الى الجحيم والى خلاف فطرته ، فاذا كان تحريك العمل الى جهة خلاف الفطرة درجة مثلاً كان تحريك العمل الموافق للفطرة ازيد من تحريك العمل المخالف للفطرة بمراتب عديدة ، واقلّها عشر درجات واكثرها لاحدّ لها بتفاوت استعداد الاشخاص وهذا نظير تحريك الحجر هابطاً وصاعداً بقوّة واحدة ، فانّ الهابط يكون اسرع حركة من الصّاعد [وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ] اى المحسنون والمسيئون [لَا يُظْلَمُونَ] بنقص

الجزاء وتضعيف العقاب [قُلْ] لهم موادعة وتعريضاً بنصحهم بابلغ وجه [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي] فلاحاجة لى اليكم ولا تعرّض لى بكم فانتم وشأنكم [إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] هو صراط القلب وهو الولاية التّكوينيّة وبالولاية التّكليفيّة الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة ينفتح صراط القلب ، وهما ظهور الولاية المطلقة ونازلتها والولاية المطلقة متّحدة مع علىّ(ع) وعلويّته، فصحّ تفسير الصّراط بالولاية تارة وبعلىّ (ع) اخرى [دِينًا قِيَمًا] الدّين قد مضى قبيل هذا تحقيقه، والقيّم الدّين الّذى لااعوجاج له [مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] اظهارٌ لنصحهم بانّ دينه دين ابراهيم الّذى لااختلاف لهم فى حقّيّته [حَنِيفًا] الحنيف المستقيم والصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه وكلّ من حجّ اوكان على دين ابراهيم(ع) وهو حال من مفعول هدانى اوصفة ديناً اوحال منه اومن المسترفى قيماً اومن ملّة ابراهيم(ع)، والتّذكير باعتبار معنى الملّة وهو الدّين اومن ابراهيم على ضعف جعل الحال من المضاف اليه من دون كون المضاف عاملاً، اوفى حكم السّقوط [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] عطف على حنيفاً اوحالٌ من المسترفيه اوحالٌ بعد حالٍ بناءً على انّ حنيفاً حال من ابراهيم(ع) وهو تعريض بانّهم مخالفون لابراهيم(ع) فى شركهم فهم مبطلون لانّ ابراهيم(ع) كان محقّاً بالاتّفاق [قُلْ] بعد نفى الشّرك الصّورىّ عن نفسك نفياً للشّرك المعنوىّ تأكيداً لنفى الشّرك الصّورىّ [إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي] تعميمٌ بعد تخصيص اهتماماً بالخاصّ فانّه عمود الدّين واصل كلّ نسك [وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي] يعنى انّ افعالى التّكليفيّة الاختياريّة و اوصافى التّكوينيّة الا لهيّة خالصة من شوب مداخلة النّفس والشّيطان [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ] تعميم بعد تخصيص وتأكيدٌ لما يفهم التزاماً فانّه اذا لم يكن فى افعاله واوصافه شريكٌ لله لم يكن فى وجوده شريكٌ لله، و اذا لم يكن فى وجوده شريكٌ لله لم ير فى العالم شريكاً لله ، لانّ رؤية الشّريك فى العالم يقتضى السّنخيّة بين الرّائى والمرئىّ الّذى هو العالم الّذى فيه شريك، والسّنخيّة تقتضى الشّريك لله فى وجوده وكون الشّريك فى وجوده يقتضى الشّريك فى صفاته [وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ] تعريض بهم بانّ شركهم غير مبتنٍ على امرٍ [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] لانّ كلّ من أخلص ذاته وصفاته وافعاله وجميع ماله لله تعالى ، فهو مقدّم على الكلّ وخاتم سلسلة الصّعود و اقرب الصّاعدين اليه ، وهو اوّل من اقرّ فى الذّرّ بالوحدانيّة كما ورد فى الخبر ولانّه اوّل من اتّصف بدين الاسلام [قُلْ] لهم انكاراً لابتغاء غير الله ربّاً مع اقامة الدّليل على ذلك الانكار بانّ غيره مربوب تعريضاً بمن اخذ غيره ربّاً [أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] وغيره مربوب فماحالكم اذا انحرفتم عن الرّبّ وجعلتم المربوب ربّاً [وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا] هذا ممّا استعمل فيه سلب الايجاب الكلّىّ فى السّلب الكلّىّ ومثله كثير فى الآيات والاخبار واستعمال العرب، والمقصود انّ ابتغاء غير الله ربّاً مع كونه مربوباً وبال لامحالة ولايمكننى طرح هذا الوبال على غيرى، لأنّه لاتكسب كلّ نفس ماتكسب ممّا هو وبال الّا عليها يعنى كسبكم الوبال باتّخاذ غير الرّبّ ربّاً وبال عليكم [وَ] لا يمكن غيرى ان يحمل وبالى عنّى لانّه [لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ] هذه مجادلة بالّتى هى أحسن بحيث لايورث شغباً[1] ولجاجاً للخصم حيث نسب ابتغاء غير الله

١- الشّغب بالسّكون وقد يحرّك وقيل لا يحرّك - اصل تهييج الشّرّ .

ربّاً الى نفسه وذكر مفاسده وعرّض بهم [ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ] يوم القيامة نسب الرّجوع اليهم دون نفسه تنبيهاً على التّعريض بحيث لايمكنهم ردّه [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] وهوالدّين الّذى فرّقتموه على اهويتكم او اختلفتم فى بطلانه وحقّيّته، وفيه تعريض بالامّة كأنّه قال فتنبّهوا ياامّة محمّدٍ (ص) فلاتختلفوا بعده فى الدّين الّذى أتمّه بولاية علىّ (ع) [وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ الْأَرْضِ] عطف على قوله هو ربّ كلّ شيءٍ اوحال معمول لواحدةٍ من الجمل السّابقة وتعليل آخر لانكار ابتغاء غيره ربّاً و بيان لكيفيّة ربوبيّته بما فيه غاية الانعام على طريق الحصر، يعنى هو الّذى جعلكم خلائف الارض لاغيره الّذى هو مربوب و المقصود انّه جعلكم خلائفه فى ارض العالم الكبير بان اعطاكم قوّة التّميز و التّصرّف فيها باىّ نحوٍ شئتم واباح لكم التّصرّف فيها ، وفى ارض العالم الصّغير بان مكّنكم فيها وجعل لكم فيها كلّ ماجعل لنفسه من الجنود والحشم وسخّرها لكم مثل تسخّرها لنفسه، وهذه هى غاية الانعام حيث خلقكم على مثاله [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ] ايّها المرفوعون [فِيمٰا آتٰيكُمْ] من جاهكم ومالكم وقواكم وبسطكم واحتياج غير المرفوعين اليكم كيف تعاملون مع انفسكم ومع الله باداء الشّكر وصرف النّعمة فى وجهها ومع المحتاجين بايصال حقوقهم اليهم ، فعلى هذا كان الخطاب للمرفوعين ، اويكون الخطاب للمرفوعين وغيرهم جميعاً، فانّ المحتاج مبتلىً بحاجته كما انّ المرفوع مبتلىً بالمحتاج [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقٰابِ] استيناف من الله وخطاب لمحمّدٍ (ص) او خطاب عامّ و جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : مايريد بالابتلاء ؟ ـ فقال : يريد عقوبة المسيء ورحمة المحسن منهم لانّ ربّك سريع العقاب، وتقديم العقاب لقصد ختم السّورة بالرّحمة رحمةً بهم [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] عن الصّادق (ع) انّ سورة الانعام نزلت جملةً واحدةً شيّعها سبعون الف ملك حتّى نزلت على محمّد (ص) فعظّموها وبجّلوها فانّ اسم الله فيها فى سبعين موضعاً، ولو يعلم النّاس مافى قراءتها ماتركوها وكفى به فضلاً .



سورة الاعراف

مكّيّة وروى انّها مكّيّة غير قوله: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ (الى قوله) بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓمٓصٓ] قد مضى فى اوّل البقرة ، انّه فى حال المحو والغشى وانقلاب الدّنيا الى الآخرة يرى الانسان ويشاهد من الحقائق فيعبّر له عمّا يشاهده بالحروف المقطّعة ويفهم من تلك مايشاهد من الحقائق ، ثمّ بعد الافاقة لايمكنه القاء تلك الحقائق على الغير وافهامها ايّاه فضلاً عن التعبير عنها بتلك الحروف وافهامها بها ، واذا القى تلك الحروف على غيره مشيراً الى تلك الحقائق لايمكن له تفسيرها الّا بمايناسبها كالمنامات وتعبيراتها ، فانّ المناسبات الّتى تذكر للغير كالمناسبات الّتى يراها النّائم من الحقائق فى المنام ، فانّ حال الخلق بالنّسبة الى الحقائق كحال النّائم بالنّسبة اليها من غير فرق ، لانّ الخلق نائمون عن الحقائق ولذلك اختلف الاخبار فى تفاسيرها وتحيّر الخلق فى فهمها والتّعبير عنها وقد ذكر فى تفسيرها وجوه عديدة متخالفة متناسبة فى الاخبار والتّفاسير؛ و الكلّ راجع الى ما ذكرنا من التّعبير عن تلك الحقائق بما يناسبها و تفسيرها بحسب صورة تلك الحروف من حيث الخواصّ والاعداد والفوائد المترتّبة عليها والاشارات المستنبطة منها ،كقيام قائم من ولد هاشم عند انقضاء مدّة مقطّعات اوّل كلّ سورة منها ، وانقضاء ملك بنى اميّة عند انقضاء المص كما ورد فى الاخبار لاينافى ماذكرنا ، فانّها ممّا يستنبط من اعتبار حروفها ولاينافى ذلك اعتبار حقائقها [كِتٰابٌ] قد عرفت الفرق بين الكتاب والكلام وانّ العالم بوجهٍ كتابه وبوجهٍ كلامه تعالى، وانّ الانسان مختصر من هذا الكتاب، والقرآن ظهوره بصورة الحروف و الاصوات و نزوله فى لباس النّقوش والكتاب ترحّماً على العباد ، فانّ الانسان لمّا تنزّل الى مقام التّجسّم و احتاج فى ادراكه الى مدارك الحيوان انعم الله عليه بتنزيل تلك الحقائق فى صورة الحروف والعبارة ، اوالنّقوش والكتابة لتناسب مداركه النّازلة ونعم ما قيل :

چون نهاد آن آب وگل برسر کلاه	گشت آن اسماء جانى رو سياه
که نقاب حرف دم درخود کشيد	تا شود بر آب وگل معنى پديد

وانّ الرّسالة والنّبوّة ليست الّا التّحقّق بحقائق العالم فهما ايضاً مراتب العالم وقد عرفت ايضاً انّ الكلّ ظهور الولاية الّتى هى فعل الحقّ وتجلّيه الفعلىّ وانّها مبدء الكلّ و صورته وغايته ، فان كانت فواتح

السّور عبارة عن مراتب العالم الصّغير اوالكبير اومراتب النّبوّة اوالرّسالة او الولاية او مراتب وجوده (ص) كما ورد، انّها اسماء للنّبىّ(ص) اوكان المراد بها القرآن اوالسّورالمفتتحة بها، كمافصّل ذلك فى اوّل البقرة فلفظ كتاب خبرعن المص او خبر مبتدء محذوف، او مبتدء خبر محذوف، او مبتدء موصوف متضمّن لمعنى الشّرط وخبره قوله فلا يكن او لتنذر ويجرى فيه وجوه اخر كما سبق [أُنْزِلَ إِلَيْكَ] صفة لكتاب، او خبر بعد خبر، او استيناف لبيان الغرض منه و لمّاكان المقصود ترتّب النّهى عن وجود الحرج على نزول الكتاب المعلوم الّذى هو اصل كلّ النّعم وحقيقتها قال تعالى [فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ] قبل تمام الكلام بذكر الغاية ولواخّره لاوهم ترتّبه على غايته وهى الانذار [لِتُنْذِرَ بِهِ] المنحرفين والكفّار بالله او بالولاية او بما فى الكتاب [وَذِكْرَىٰ] لتذكّرتذكيراً فانّه اسم للتّذكيروقائم مقام الفعل وعطف على لتنذر اوعلى تنذراوهوبنفسه عطف على تنذر لانّه بتأويل الانذار او على كتاب اوعلى انزل بتأويل معنى الوصف، اوخبرمبتدء محذوف [لِلْمُؤْمِنِينَ] باللهبالايمان العامّ الّذىهوالبيعةعلى يدك وهوالايمان بك، اوبالايمانالخاصّ الّذىهوالبيعة الولويّة وهوالايمان بالولاية، ثمّ صرف الخطاب عنه(ص) الى قومه(ص) فقال [اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] من الكتاب الّذى هوصورة الولاية الّتى كانت متّحدة مع علىّ(ع) بقرينة قوله [وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ] اى من دون ما انزل فانّه ظاهر اللّفظ [أَوْلِيَاءَ] من شياطين الانس الّذين ما نزل اليكم من ربّكم فيهم شيء [قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] نحسّرعليهم لقلّة تذكّرهم [وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال اوبتقدير اردنا اهلاكها [بَيَاتًا] وقت غفلة وراحة [أَوْ هُمْ قَائِلُونَ] فى النّهاروهو ايضاً وقت دعة وراحة [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ] اى استغاثتهم اوادّعاؤهم حين نزول العذاب على سبيل التّهكّم يعنى انّ دعويهم قبل ذلك انّ آلهتهم شفعاءهم وانّ الآلهة تدفع عنهم الضّرّ وتجلب اليهم النّفع فيتبدّل تلك الدّعوى وماكان دعويهم [إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] الّا الاعتراف بالظّلم [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ] من امم الانبياء عن كيفيّة تبليغ الرّسل واجابتهم لهم واطاعتهم ايّاهم [وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] عن تبليغهم وكيفيّة اجابة اممهم [فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ] على الرّسل والمرسل اليهم [بِعِلْمٍ] يعنى انّ المقصود من سؤالهم تذكيرهم بما وقع منهم وتبكيت المخالف منهم، والّا فنحن نعلم جميع ذلك ونقصّ عليهم تمام ما وقع منهم [وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ] عنهم حين فعلوا ما فعلوا، اتى بما يوافق مقام التّهديد متدرّجاً من الادنى الى الاعلى [وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ] الوزن تعيين قدر الشّيء و وزن كلّ شيء بحسبه وكذا ميزانه، وتبادر تحديد الاجسام الثّقيلة من لفظ الوزن وما بهيوزن الاجسام الثّقيلة من الميزان بسبب شيوعه بين العامّة والّا فلا اختصاص له بها فميزان الاجسام الثّقيلة هوذوالكفّتين والقبّان والكيل وميزان المتكمّمات القارّة الشّبروالذّرع والفرسخ، و ميزان الغير القارّة السّاعات و الايّام و الشّهور والاعوام، و ميزان المغشوش من الفلزّات وغيره المحكّ والنّار، وميزان الاعمال صحيحها وسقيمها العقل، ولا سيّما العقل الكامل اعنى النّبىّ(ص) والولىّ(ع)، وما أسّسنا لتحديد الافعال والاقوال و الاحوال و العقائد و سائر العلوم فميزان الاعمال القالبيّة المعاشيّة هوالعقل الجزئىّ المدبّر لدفع الضّرّ وجلب النّفع، وميزان المعاديّة منها هوالاتّصال بالنّبىّ(ع) بالكيفيّة المخصوصة

المقرّرة عندهم بالبيعة العامّة النّبويّة وصدورها من جهة ذلك الاتّصال لامن تصرّفات الخيال والشّيطان، وثقل هذا الميزان باتّصال الاعمال بالنّبىّ (ع) اوخليفته وجذبها ايّاه الى جهة عاملها اوجذبها عاملها الى النّبىّ (ع) اوخليفته وخفّتها بانقطاعها عن هذا الميزان وعدم جذبها ايّاه الى عاملها ، ولمّا كان لكلّ من صفحتى النّفس العمّالة والعلّامة جهتان سفليّة وعلويّة، شيطانيّة وملكيّة فلاغروفى ظهورهما يوم العرض بصورة ذى الكفّتين ويظهر مثل تلك فى الآخرة ، لانّه كما سبق كلّ ماوجدفى النّفس والعالم الصّغير يظهر مثله فى العالم الكبير فى الآخرة فلا وجه لانكاربعض ظهورذى الكفّتين ووزن الاعمال به ، وكذلك ميزان الاعمال القلبيّة هوالاتّصال بالامام بالكيفيّة المقرّرة والبيعة الخاصّة الولويّة وصدورها من جهة ذلك الاتّصال وثقلها باتّصالها وخفّتهابانقطاعها مطلقاً اوحين العمل بالغفلة عن الاتّصال ، وبتفاوت الاتّصال بالشّدّة والضّعف يتفاوت الاعمال فى الثّقل فالمتّصل بالصّورة البشريّة اقلّ ثقلاً ، والمتّصل بملكوت الامام تعمّلاً اكثر ثقلاً ، و المتّصل بملكوته من غير تعمّل اكثر ثقلاً ، والمتّصل بجبروته بمراتبها اكثر ثقلاً ، والمتحقّق به هو الثّقيل المطلق، فلكلّ عمل موازين عديدة من بشريّة النّبىّ (ص) اوالامام (ع)، وقوله وفعله وملكوته وجبروته ، ولكلّ مراتب عديدة ، وكلّ مرتبة ميزان الاعمال المتّصل بتلك المرتبة ، هذا اذا اريد بالحقّ معناه الوصفىّ اللّغوىّ اى الثّابت المحقّق، وامّا اذا اريد معناه العرفىّ اى الحقّ المضاف والولاية المطلقة ولذا جيء به معرّفاً باللّام مشيراً الى الحقّ المعهود، فالمعنى انّ الوزن يعنى الميزان يومئذٍ الولاية ولمّا كان للولاية مراتب كما انّ لعلىّ (ع) مراتب بحسب بشريّته وملكوته وجبروته وحقّيّته، وكما انّ للعالم مراتب بحسب ملكوته السّفلىّ وملكه وملكوته العليا وجبروته بمراتب كلّ منها ، وكلّ مرتبةٍ منها ميزان لما يناسبها ويوافقها قال تعالى [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ] بصيغة الجمع و وجه الثّقل والخفّة قد عرفت [فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالانجذاب الى العلووالمتّصل منجذب الى العلوبخلاف المنقطع فانّه قد ينجذب الى السّفل وهو الجحيم [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] باهمال قوّة الاتّصال والاستعداد له الّتى اعطاهاالله تعالى بضاعة لهم [بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ] بعدم الاتّصال بالآيات القرآنيّة والنّبويّة والولويّة بمراتبها والانفسيّة وظلمها عبارة عن جحودها كما فى الخبر يعنى عدم الاتّصال بها بالكيفيّة المخصوصة وعدم التّوجّه اليها وعدم السّير اليها ، فانّ الظّلم منع الحقّ عن المستحقّ وقوّة قبول الولاية والتّوجّه اليها والسّير اليها والحضور عند صاحبها و الفناء فيه حقّ الامام، وبما ذكرنا فى كيفيّة الوزن والميزان يرتفع الاختلاف عن الاخبار مع غاية اختلافها [وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ] الطّبيعيّة اوارض البدن او ارض القرآن والسّير والاخبار لان تؤدّوا الحقوق الى مستحقّيها [وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ] لابدانكم وارواحكم [قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] باداء الحقّ الّذى هو استعداد الاتّصال والقبول من عقلٍ او نبىٍّ اووصىٍّ اليه [وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ] تعداد للنّعم و قبح الكفران بها [ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ] يعنى خلقنا اباكم آدم (ع) بجمع ترابه الّذى هو بمنزلة النّطفة ، ثمّ صوّرناه بعد اربعين صباحاً كذا قيل ، اوخلقناكم بالقاء نطفكم فى الارحام ، ثمّ بعد مضىّ زمانٍ صوّرناكم بالصّورة الجسمانيّة من امتياز العين والانف واليد والرّجل والحسن والقبيح والقصير والطّويل وغير ذلك ، وبالصّورة الرّوحانيّة من الاخلاق الحسنة والسّيّئة والسّعادة والشّقاوة، والى هذا أشير فى الخبر ولاينافى ذلك قوله تعالى [ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ] فانّ ذرارى

آدم(ع) بعد نزول اللّطيفة الآدميّة الى ارض البدن وهبوطها على صفا نفسها وهبوط حوّاء على مروتها اللّتين هما جهتا النّفس العليا والسّفلى ، يصيرون مثل آدم ابى البشرويؤمر الملائكة الّذين هم موكّلون عليهم بالسّجود لتلك اللّطيفة ، فيسجدون وينقادون لها غيرابليس الواهمة فانّه ما لم يكسرسورة كبريائه واستعلائه بالرّياضات الشّرعيّة والعبادات القالبيّة والقلبيّة لايسلّم لآدم(ع)ولاينقاد له ، وشيطانى اسلم على يدى ، اشارة الى ماذكرنا [فَسَجَدُوا اِلّاٰ اِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاٰجِدِينَ] لم يقل لم يسجد اشارة الى انّ فطرته كانت فطرة العتوّ والاستكباروانّه لم يكن من سنخ السّاجدين ولايمكنه السّجود الّا بتبديلها ، ولذا ورد ، انّه لم يكن من المأمورين بالسّجود و أدخل نفسه فى المأمورين [قاٰلَ ماٰ مَنَعَكَ اَلّاٰ تَسْجُدَ] اى ما منعك مضطرّاً الى ان لا تسجد او لازائدة و تزاد لا للتّأكيد خصوصاً بعد المنع [اِذْاَمَرْتُكَ قاٰلَ اَناٰخَيْرٌ مِنْهُ] يعنى حملنى على ترك السّجدة كونى خيراً منه وخيّرتنى منه بخيريّة مادّتى لانّك [خَلَقْتَنِى مِنْ ناٰرٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ] والنّار علويّة شفيفة سريعة الاثرمنيرة مبدلة كلّ مااتّصل اليهابسرعة ، والطّين خلافها ، وفى خبر: انّ اوّل من قاس ابليس ، وفى خبر: انّ اوّل معصية ظهرت الانانيّة من ابليس اللّعين ، وأقسم بعزّته لايقيس أحد فى دينه الّا قرنه مع عدوّه ابليس فى اسفل درك من النّار ، وفى خبر آخر: كذب ابليس ماخلقه الله الّا من طين قال الله الّذى جعل لكم من الشّجر الاخضر ناراً ، قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة والشّجرة اصلها من طين [قاٰلَ فَاهْبِطْ مِنْهاٰ] من السّماء [فَماٰ يَكُونُ لَكَ اَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهاٰ] فانّ المحلّ الرّفيع لمن تواضع لله [فَاخْرُجْ اِنَّكَ مِنَ الصّاٰغِرِينَ] الاذّلاء [قاٰلَ] بعد ما علم انّه لايعود الى السّماء ومحلّه اسفل السّافلين [اَنْظِرْنِى] أمهلنى [اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] فلا تعجل فى عقوبتى و اماتتى [قاٰلَ اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ] انظره ابتلاءً لعباده و تميزاً للطّيّب منهم عن الخبيث [قاٰلَ فَبِماٰ اَغْوَيْتَنِى] نسب الاغواء الى الله كما هوعادة المتأنّفين من نسبة القبيح الى أنفسهم والغالب فى ذلك هى النّسوان [لَاَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] مترصّداً لاغوائهم كما يترصّد قطّاع الطّريق للفرصة من المارّة ، و الصّراط المستقيم هو صراط القلب و هو الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [ثُمَّ لَاٰتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ اَيْدِيهِمْ] من جهة تزيين المشتهيات الاخرويّة و اتعابهم فى العمل لاجلها [وَمِنْ خَلْفِهِمْ] من جهة المشتهيات الدّنيويّة [وَعَنْ اَيْماٰنِهِمْ] بتزيين الاعمال الدّينيّة بحيث يستلذّها ويعجب بها فيفسدها [وَعَنْ شَماٰئِلِهِمْ] بتزيين الاعمال القبيحة بحيث يعدّون قبائحهم حسنات ويباهون بمعاصيهم وملاهيهم ومقصوده منه، تصوير المخاصمة معهم بكلّ مايتصوّر المخاصمة به من الخصمين من المباغتة من كلّ جهة ولذلك لم يذكر من فوقهم ومن تحتهم ، فانّه لايتصوّر للعدوّ الصّورىّ الاتيان منهما ولانّ جهة الفوق جهة الرّحمة الالهيّة ولايتصوّر نزول الشّيطان منها ، وجهة التحت هى جهة الموادّ من العنصريّة والجماديّة والنّباتيّة والحيوانيّة يعنى مقام الحيوان الخارج عن حدّ الانسان ، لا المشتهيات الحيوانيّة الّتى هى تحت الانسانيّة ومتّحدة معها والانسان بالطّبع نافر منها كلّ النّفرة متوحّش كلّ التوحّش لايمكن اغواؤه من تلك الجهة ، والاتيان فى الاوّلين بحرف الابتداء وفى الاخيرين بحرف المجاوزة لتصوير تلك المخاصمة بصورة المخاصمة الصّوريّة ، فانّ الخصم الآتى من القدّام متوجّه الى خصمه غير متجاوز عن جهة قدّامه ، وكذا الآتى من الخلف يباغت الخصم من خلفه لكنّ

الآتى من احد الجانبين يتجاوز عنه و يباغته ، اوينصرف المأتىّ اليه بوجهه الى الآتى من احد جانبيه فى الاغلب [وَلَاتَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] لغفلتهم عن الانعام وابتهاجهم بنفس النّعمة اوبصرف النّعمة التّى انعمت عليهم فى غيروجهها بتلبيسى عليهم وجهها [قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا] من السّماء [مَذْؤُماً] مذموماً [مَدْحُوراً] مطروداً [لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ] أقسم مقابلة لقسمه وتأكيداً [لَاَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اَجْمَعِينَ وَيَا اٰدَمُ] قال يا آدم [اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] قد سبق فى سورة البقرة [فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ] فعل الوسوسة وهى الصّوت الخفىّ فى الاصل ثمّ غلب على ما يلقى الشّيطان فى النّفوس من الخواطر الخفيّة السّيّئة او المؤدّية الى السّوء ، وان كان المراد ظاهر ماورد فى الاخبار من انّه اختفى بين لحيتى الحيّة وأظهر النّصح لهما بلسان ظاهرىّ وسمعاه بالسّمع الظّاهر ، فالمقصود انّه اظهر النّصح لهما بصوت خفىّ اظهاراً لهما انّه محض التّرحّم والشّفقة لهما مبالغةً فى الغرور ، فانّ الرّحمة والشّفقة تقتضيان اخفاء الصّوت لاالاجهار به ، والاتيان باللّام للاشارة الى انّه نصح نافع لهما [لِيُبْدِيَ لَهُمَا] اللّام للعاقبة اوللغاية على انّه كان عالماً بانّ قرب الشّجر مورث لان يبدى لهما [مَاوُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا] و قد ورد انّ المراد كان بالسوأة هو العورة و كانت قبل ذلك مختفيةً غير ظاهرة على انفسهما ولا على غيرهما ولكن اذا اريد بالشّجرة شجرة النّفس فانّها مجمع تمام الرّذائل والخصائل ، وبه يجمع بين ماورد فى تفسيرها مع اختلافها وتضادّها كما سبق ، وبآدم الرّوح المنفوخة فى جسده التّى هى طليعة العقل ، وبحوّاء جهتها السّفلىّ التّى خلقت من جانبها الايسر ، كان المراد بوسوسة الشّيطان الخطرات التّى تقرّب الانسان الى المشتهيات النّفسانيّة و بسؤاتهما الرّذائل المكمونة و الاهواء الفاسدة والآراء الكاسدة التّى تظهر بعد الاختلاط بالنّفس ومشتهياتها ، والمراد من ورق الجنّة مااقتضاه العقل من الحياء والتّقوى فانّهما من اوراق الجنّة ، وبهما وبسائر صفات العقل يستر المساوى ولايتجاهر الانسان بها الّا ان يهلك العقل ويخرج من الجنّة وحكومة العقل ، ونداء الرّبّ عبارة عن نداء العقل فى وجود الانسان بالتّوبيخ على مايصدر عنه ممّا فيه نقصه [وَقَالَ مَا نَهٰيكُمَا رَبُّكُمَا] عطف على وسوس وتفصيل لها [عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ اِلَّا اَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ اَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ] كأنّهما استشعرا ان ليس فى جبلّتهما ما فى الملك ولا ما يقتضى الخلود واستشعرا ما فى الملكيّة والخلود من الكمال بالنّسبة الى المخلوق المركّب من طباع العناصر ، فاشتاقا الى الوصفين فقال لهما : انّ الاكل من الشّجرة مورث للوصفين و انّ الله كرّه لكما الوصفين و لذلك نهاكما عن الاكل [وَقَاسَمَهُمَا] كأنّهما لم يعتمدا على قوله و طلبا منه البيّنة والقسم و عهدا قبول قوله ولذا أتى بلفظ قاسم [اِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلّٰيهُمَا] اى اهبطهما مع تعلّق منهما بمقامها العلوىّ [بِغُرُورٍ] بمعنى المصدر اوبمعنى ما يغرّ به من القسم الكذب وغيره [فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] قد مضى البيان [وَنَادٰيهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَاَقُلْ لَكُمَا اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ] تقريع وتوبيخ لهما على ارتكاب النّهى و الاغترار بقول العدوّ حتّى يتنبّها على نقصهما و يستدركاه بالتّوبة و لذلك ابتدرا بالاعتراف و الاستغفار [قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَ اِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخٰاسِرِينَ قٰالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ] قد سبق الآية في سورة البقرة [قٰالَ فِيهٰا] في ارض العالم الكبير والصّغير [تَحْيَوْنَ] بالحيوة الحيوانيّة اوبالحيوة الانسانيّة [وَفِيهٰا تَمُوتُونَ] بالموتين [وَمِنْهٰا تُخْرَجُونَ] فانّ السّعادة والشّقاوة تحصلان في الدّنيا وفي غلاف الطّبع وليس خروج الانسان وانتقاله الى الجنان اوالنّيران ، الّا من جهة المادّة والقوّة الّتي هي ارضيّة الدّنيا والطّبع لا من جهة الصّورة وفعليّتها الّتي هي سماويّتهما بوجه [يٰا بَنِي آدَمَ] خطاب منه تعالى لبني آدم (ع) اعتناءً بهم وتعداداً لنعمهم [قَدْ أَنْزَلْنٰا عَلَيْكُمْ لِبٰاساً يُوٰارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً] يعني خلقنا لكم ما يستر بشرتكم ويقيكم من الحرّ والبرد ومايستر عوراتكم البشريّة عن الانظار، وما تتجمّلون به من الملبوس الفاخرفانّ الرّيش هومايتجمّل به ، وريش الطّائر جماله والوصفان قد يجتمعان في واحدٍ ، ويطلق الرّيش على متاع البيت وعلى ما يعيش الانسان به وعلى سعته و مكنته ونزولهما بحسب نزول اسباب مادّتهما من الامطار و الآثار من تأثيرات الكواكب وحركات الافلاك ، ونزول اسباب تحصيل صورتهما من التّميز وقوّة التّدبير، واذا اريد باللّباس مايستر العورات المعنويّة من الافعال الحميدة والصّفات الجميلة ويؤيّده قوله [وَلِبٰاسُ التَّقْوىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ] فنزوله واضح ، واضافة اللّباس الى التّقوى من قبيل اضافة العامّ الى الخاصّ ، اواضافة المسبّب الى السّبب، اواضافة المشبّه به الى المشبّه ، فانّ التّقوى وان كان مفهومها راجعاً الى العدم لكن لها حقيقة وجوديّة بها يحصل التّنزّه عن الرّذائل من الافعال والاوصاف وبالتّنزّه تحصل الخصائل الّتي بهاتستر العورات المعنويّة والنّقائص النّفسانيّة و يحصل التّجمّلات الانسانيّة ، وفي الخبر: و امّا لباس التّقوى فالعفاف انّ العفيف لا يبدوله عورة وان كان عارياً من الثّوب ، والفاجر بادي العورة و ان كان كاسياً من الثّياب ، و تخلّل اسم الاشارة بين المبتدء و الخبر للاهتمام بذلك اللّباس و تصوير الامر المعنويّ متمثّلاً حاضراً وقرئ لباس التّقوى بالنّصب عطفاً على لباساً [ذٰلِكَ مِنْ آيٰاتِ اللّٰهِ] اي انزال اللّباس مع شدّة حاجتكم اليه ، اوكون لباس التّقوى خيراً بحيث لا يخفى عليكم اولباس التّقوى ، فانّ ذلك كلّه من آيات علمه وحكمته وقدرته [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] صرف الخطاب عنهم بطريق الالتفات وهوغاية لانزال اللّباس اولجعل ذلك من آياته [يٰا بَنِي آدَمَ] نداء آخر لهم بعد ذكر نعمة ستر عوراتهم لنهيهم عمّا يزيل تلك النّعمة [لٰا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطٰانُ] بتزيين شجرة النّفس و ثمرة مشتهياتها وايلاعكم بها فيزيل عنكم تلك النّعمة من، فُتِنَ الى النّساء ، على صيغة المفعول اذا اولع بهنّ واراد الفجور [كَمٰا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ] بالافتتان بشجرة النّفس [مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمٰا لِبٰاسَهُمٰا لِيُرِيَهُمٰا سَوْآتِهِمٰا إِنَّهُ يَرٰاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لٰا تَرَوْنَهُمْ] لانّهم من اهل الملكوت السّفلى ولا يراهم البشر ببصره الملكيّ بل ببصيرته الملكوتيّة والجملة تعليل للتّحذير والتّذكير المستفاد من النّهي تأكيداً له ، ولمّا كان هناك مظنّة سؤال ان لايمكن الخلاص لاحدٍ من فتنته لعداوته وخفائه وخفاء مخايل عداوته فلم يكن فائدة للنّهي والتّحذير عنه، قال تعالى جواباً انّ وجه الخلاص منه الايمان بالآخرة والخروج من الرّسوم والعادة ، لانّا لم نجعل للشّياطين تصرّفاً وتسلّطاً على من هذه صفته [إِنّٰا جَعَلْنَا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ لِلَّذِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ] لتخليتنا بينهم وبينهم بعدم محافظة الملائكة [وَإِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً قٰالُوا] لساناً او حالاً [وَجَدْنٰا عَلَيْهٰا آبٰاءَنٰا] يعني اعتمدوا

واطمأنّوا على ما اعتادوه ، ونسبوا عاداتهم الى الله كما هوشأن عامّة النّاس [وَ] قالوا [اللّٰهُ أَمَرَنا بِها قُلْ] ردّاً لهم فى نسبة العادات الى الله [إِنَّ اللّٰهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ] ليس المراد بالفحشاء ما يستقبحه العقل والشّرع بحسب الصّورة ، بل المراد ما صدرعن النّفس لغايات نفسانيّة سواء كان صورته صورة ما قرّره الشّرع اونهى عنه، فالصّلوة رياءً اولقصد الجاه اوالمال اوحفظ مال اوعرض اودم فاحشة [أَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ] فى الخبر انّه لايزعم احد انّ الله يأمر بالزّنا وشرب الخمروشيءٍ من هذه المحارم ، بل هذا فى ائمّة الجورادّعوا انّ الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم، وهويؤيّد ما ذكرنامن تفسير الفحشاء وكذا يؤيّده قوله [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ] فانّ القسط هوتوسّط النّفس فى الافعال والاقوال والاحوال والاخلاق والعقائد بين تفريط النّفس عن الاغراض العقليّة وافراطها فيها بحيث يؤدّى الى ما نهى عنه كالاغراض الدّنيويّة [وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] وهذا يؤيّد ماذكر فى الخبرمن تفسير الفحشاء ، واقامة الوجه صرفه عن الانحراف الى ماينبغى ان يتوجّه اليه من قبلته ، و قبلة وجه البدن اشرف بقاع الارض ، وقبلة وجه النّفس القلب ، و قبلة وجه القلب الرّوح ، وقبلة الرّوح هى الولاية المطلقة ، وقبلة الكلّ هى خليفة الله ، والمسجد ايضاً يعمّ المساجد الطّينيّة والمساجد الرّوحانيّة من القلب والرّوح والولاية المطلقة والايّام المتبرّكة والسّاعات الشّريفة من كلّ يوم ، والمساجد الحقيقيّة البشريّة الّذين هم خلفاء الله فى ارضه وبيوته لخلقه واصل الكلّ هوخليفة الله الاعظم اعنى عليّاً(ع)، وجمع الوجوه بجمع الكثرة مضافاً مفيداً للاستغراق والاتيان بكلمة كلّ فى جانب المسجد للاشارة الى تعميم الوجه والمسجد وقد فسّر المسجد ههنا فى الخبر بالائمّة(ع) [وَادْعُوهُ] اى ادعوا ربّى او ادعوا المسجد وهو عطف على اقيموا كما انّ اقيموا عطف على امر ربّى ليكون مقولاً لقل ، او عطف على امر بتقدير قال ليكون مقولاً لقول الله تعالى والمعنى ، ادعوا ربّى او المسجد بتصفية بيوت قلوبكم عمّا يمنعه من دخولها واستيلائه عليها ثمّ باستدعاء دخوله بالسنة قالكم وحالكم واستعدادكم، فانّ قلب المؤمن عرش الرّحمن وبيت الله الّذى اذن ان يرفع كما قيل :

هركه خواهد هم نشينى با خدا		گو نشيند در حضور اوليا

وكما قيل :

مسجدى كو اندرون اولياست		سجده گاه جمله است آنجا خداست

لكن لايدخله الّا بعد تصفيته عمّا لايليق به تعالى وقد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ومن أظلم ممّن منع مساجد الله (الى آخرها) تحقيق للمسجد [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى طريق الدّعوة من الاغراض والاهواء خارجين من ارادتكم واختياراتكم كالميّت بين يدى الغسّال مؤتمرين بأمره؛ موتوا قبل ان تموتوا: فانّه [كَما بَدَأَكُمْ] من غير ارادةٍ منكم واختيارٍ وغرضٍ وهوىً [تَعُودُونَ] فمن أراد العود اليه فليخرج من جميع ماينسب الى نفسه والّا فسيعيده الملائكة الغلاظ كاعادة العبد الجانى الآبق الى مولاه للمؤاخذة، اوالمعنى ادعوه متضرّعين منتظرين للورود عليه مخلصين له الطّاعة والعبادة لانّه كما بدأكم تعودون اليه فيجازيكم على طاعاتكم و على اىّ تقدير يكون قوله كما بدأكم تعودون فى مقام التّعليل [فَرِيقاً هَدىٰ] جملة حاليّة او مستأنفة لبيان

حال العباد حين العود كما فى الخبر اومطلقاً ترغيباً وتحذيراً [وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ اَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ] تعليل لحقيّة الضّلالة و المراد بالشّياطين شياطين الجنّ فى تزيين الاهواء والمشتهيات و شياطين الانس فى تزيين باطلهم بصورة الحقّ من ائمّة الجور و اظلالهم [وَيَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ] فى اتّباع العادات و الاهواء واستنباط احكام الله بالآراء و الاستبداد بالظّنون المستنبطة من الاقيسة والاستحسانات ، واخذ احكام الله ممّن لم يؤمروا بالاخذ منهم والايتمام بهم، والتّحاكم الى من أمر الله ان يكفروا به والعمل بما لم يأخذوا ممّن امروا ان يأخذوا منه ممّن نصّ الله ورسوله (ع) عليه ، وبالجملة كلّ من لم يكن منصوصاً من الله ولا من رسوله (ص) ولا اوصيائه (ع) خصوصاً ولاعموماً ولا آخذاً من المنصوص عليه كذلك فقوله وفعله وحاله كلّها ضلالة ، سواء استبدّ برأيه اواخذ من غير المنصوص عليه سواء كان ذلك الغير من ائمّة الجور والمستبدّين بالآراء او من المتقلّدين للعلماء والآباء ، وسواء كان الدأخوذ موافقاً لصور احكام الله اولا ، وسواء كان من العادات والرّسوم اولا، ثمّ بعد التّنبيه على وجوب اقامة الوجوه عند كلّ مسجد واخلاص الدّين لله صرف الخطاب عنه (ص) الى الخلق فقال : [يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ] ما به جمالكم من طهارة الابدان من الاخباث والاحداث والثّياب الجميلة الطيّبة وتحسين شعوررؤسكم ولحاكم بالمشط ، وغيره ممّا يتزيّن به من الادهان والخضاب ، ومن الافعال الحميدة والاقوال الفصيحة المفصحة عن أمور الآخرة ومن محبّة ذوى القربى و العقائد الصّحيحة ، و من الاحوال والاخلاق الجميلة و المكاشفات الصّحيحة والمشاهدات القلبيّة والمعاينات الرّوحيّة [عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] وقد سبق بيان المسجد ووجه دخول لفظ العموم عليه وانّ اصل الكلّ هو خليفة الله فى الارض ، وقد فسّر الزّينة والمسجد فى هذه الآية وفى غيرها بماذكرنا من اراد الاطّلاع على ماورد عن المعصومين (ع) فليرجع الى الكافى والصّافى وغيرهما [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا] فانّ التّزيّن و الاكل والشّرب مباحة لكم ولاتنافى اقامة الوجوه عند المساجد بل تقويكم على ذلك ، ولايخفى تعميم الاكل والشّرب كالزّينة [وَ] لكن [لا تُسْرِفُوا] بالافراط فى التّزيّن بحيث يمنعكم من اقامة الوجوه لاشتغال نفوسكم بتحصيلها وتحصيل ثمنها وحفظها عن التدنّس وبالافراط فى الاكل والشّرب وفى طيبوبة المأكول والمشروب لتضرّركم بالزّيادة على قدر اشتهائكم فى ابدانكم ونفوسكم وكسالتكم واشتغالكم [إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] فى اىّ شىء كان لانّ الاسراف يجرى فى جملة الافعال والاقوال والاحوال، كما ورد فى جواب من قال : افى الوضوء اسراف؟ ـ من قوله (ع) : نعم فى الوضوء اسراف ولو كنت على نهر، فانّ استعمال القوى والاعضاء فى كلّ فعل زائداً على تحصيل حقيقة ذلك الفعل واجباً كان ام مندوباً ام مباحاً وزائداً على تحصيل كمالاته اسراف ، هذا بحسب التّنزيل، وامّا بحسب التّأويل والباطن فالاسراف فى الاكل والشّرب واللّبس بانّه يكون كلّ منها بغلبة النّفس على العقل والغفلة عن الامر والنّهى ، فانّه اسراف استحصال النّفس فى مشتهياتها حتّى تصير غالبة على العقل والامر الآلهىّ [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبادِهِ] كأنّهم كانوا يعدّون ترك التّزيّن وترك الطّيّب من المأكول والمشروب من لوازم العبادة وطلب الآخرة، فأمرهم اوّلاً بالتّزيّن والاكل والشّرب ، وثانياً بانكار تحريمه تأكيداً، والتّوصيف بالاخراج لعباده اشارة الى انّ الزّينة اوّلاً وبالذّات لمن صار عبداً له ، ولغيره بتبعيّته لا انّه حرام

عليه لعباده [وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ] البدنىّ النّباتىّ والحيوانىّ والانسانىّ ومن الرّزق الرّوحانىّ من ارزاق النّفوس والقلوب والارواح [قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا] اعلم ، انّ الدّنيا والآخرة خلقتا لخليفة الله بالذّات وهذا احد وجوه قوله: لولاك لماخلقت الافلاك ، فمن اتّصل به بالاتّصال التّقليدىّ الّذى هو قبول الدّعوة الظّاهرة وقبول ما اخذ عليه بالبيعة العامّة وعقديده على يد الخليفة بالمعاهدة الاسلاميّة ، او اتّصل به بالاتّصال الايتمامىّ الّذى هو قبول الدّعوة الباطنة وقبول ما اخذ عليه بالبيعة الخاصّة وعقديده على يد الخليفة بالمعاهدة الايمانيّة ، فدخل الايمان الّذى هوصورة نازلة من الخليفة فى نازل مراتب قلبه الّذى هو الصّدر، ثمّ دخل صورة اخرى له ملكوتيّة فى مرتبةٍ اخرى من قلبه هى اعلى من تلك المرتبة ، وهكذا الى ان يتحقّق بحقيقة الخليفة فهما كانتا له بقدر اتّصاله ويرث من الخليفة بحسبه، ومن لم يتّصل به بشيءٍ من الاتّصال فهما عليه حرامان واذا ملك شيئاً من الدّنيا ممّا غلب عليه كان مغصوباً فى يده ، ولذلك قال : هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا ، من غير تقييد بالخلوص من يد الغير يعنى سواء غلب عليها غيرهم او لم يغلب عليها ، ولمّا لم يمكن غلبة الغير عليها فى الآخرة قال [خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ] قرئ خالصةٌ بالرّفع و بالنّصب واعراب الآية ان هى مبتدءٌ وللّذين آمنوا خبره ، اوحال و فى الحيوة الدّنيا خبر ، اوخبر بعد خبرٍ ، اوحال عن فاعل آمنوا ، اوعن المستتر فى الظّرف ، اوظرف لغو متعلّق بآمنوا ، او بقوله للّذين آمنوا ، او بعاملٍ من افعال الخصوص حال ، او خبر بعد خبر ، او خبر ابتداءٍ اى مغصوب عليها فى الحيوة الدّنيا ، و خالصة على قراءة الرّفع خبر هى ، او خبر بعد خبرٍ ، او خبر مبتدءٍ محذوفٍ ، وعلى قراءة النّصب حال من واحد من العوامل السّابقة ، وعن الصّادق (ع) بعد ان ذكر انهار الارض فما سقت واستقت فهو لنا وماكان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدوّنا منه شيءٌ الّا ما غصب ، وانّ وليّنا لفى اوسع ممّا بين ذه وذه ، يعنى ممّا بين السّماء والارض ثمّ تلاهذه الآية : قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصةلهم يوم القيامة بلاغصبٍ ،وفى قوله تعالى اليوم احلّ لكم الطّيّبات بعد قوله: اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم وبعد قوله : اليوم اكملت لكم دينكم اشارة الى ذلك [كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ] اى الآيات التّكوينيّة من استحقاق كلّ لما يحقّ له و اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] يشتدّون فى السّلوك الى الآخرة ويزدادون فى علمهم ، فانّ العلم هوماكان متعلّقاً بالآخرة مع ازديادٍ واشتدادٍ وكلّ ادراك لم يتعلّق بالآخرة اوكان متعلّقاً بها لكن لم يكن له اشتداد بل كان واقفاً اومنكوساً بواسطة الاغراض الدّنيويّة لايسمّى علماً عند اهل الله بل جهلاً ، واذا اطلق عليه اسم العلم من باب المشاكلة والموافقة لمخاطباتهم ، فقلّما ينفكّ عمّا يشعر بذمّه اوينفى اسم العلم عنه ولقد علموا لمن اشتريه ماله فى الآخرة من خلاق ، و لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ذلك مبلغهم من العلم ، و قد سمّاه اشباه النّاس عالماً ان يتّبعون الّا الظّنّ وان هم الّا يخرصون ، ولذلك سمّوا شيعتهم الّذين بايعوهم بالبيعة الخاصّة الولويّة الّذين دخل الايمان فى قلوبهم علماء وعرفاء: شيعتنا العلماء، شيعتنا العرفاء ، بطريق الحصر ، فمن لم يكن سالكاً الى الآخرة وسائراً الى الله بقدم الايتمام بامامٍ حقٍّ منصوصٍ من الله و ان بلغ ما بلغ فى علومه الحكميّة و ظنونه الفرعيّة لا يسمّى عالماً

وهو لاينتفع بتفصيل الآيات ، لانّ نظره الى الآيات من حيث انفسها ، اومن حيث جهاتها الدّنيويّه لا من حيث انّها آيات دالّات على الله وعلى امور الآخرة ، كما نقل عن الصّادق (ع) انّه قال لابى حنيفة فى جملة كلامه : وما اراك تعرف من كتابه حرفاً ، ومن توسّل بهم بالايتمام بالبيعة الولويّة وان لم يكن قرأ حروف التّهجّى فهو عالم عارف وهو المنتفع بالآيات وتفصيلها ، لانّ نظره الى الاشياء الآفاقيّة والانفسيّة من حيث صدورها عن الله ودلالتها عليه ، ولمّا اباح لهم الاكل والشّرب واكّد ذلك باختصاص الزّينة وطيّبات الرّزق بهم اراد ان يأمر نبيّه (ص) ببيان المحرّمات بالذّات والموجبات لحرمة المباحات بالعرض ، ليتبيّن الطّيّب من غير الطّيّب فقال تعالى [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] فذكر تعالى بطريق الحصر خمسة اشياء راجعة الى ثلاثة هى اصول المحرّمات ، اعلم ، انّ الله خلق الانسان من نطفة ضعيفة غير حافظة لصورتها واودع فيها لطيفة سيّارة سالكة الى الله بقدم الصّدق على الطّريق المستوى والخطّ المستقيم عن الجماديّة الّتى هى انزل مراتب المواليد الى النّباتيّة ثمّ منها الى الحيوانيّة ، ثمّ الى البشريّة الّتى هى ملكوت بين الملكوتين السّفليّة الّتى هى دار الشّياطين والجنّة وسجن المتكبّرين والمعذّبين من الآدميّين ، والعلويّة الّتى هى دار الملائكة ذوى الاجنحة ودار السّعداء واصحاب اليمين ، فاذا استحكم علمه بعلمه وشعوره بشعوره وتقوّى ارادته واختياره وتميّزه بين الخير والشّرّ الحقيقيّين ، استعدّ لقبول التّكليف والدّعوة النّبويّة ، فان ساعده التّوفيق وتداركه الدّعوة النّبويّة وقبل تلك الدّعوة وانقاد تحت حكم الدّاعى صار مسلماً ومشرفاً على التّوحيد الحقيقىّ والايمان وقبول الدّعوة الباطنة الولويّة ، ويسمّى حينئذٍ مؤمناً وموحّداً باعتبار اشرافه على الايمان والتّوحيد ، وان لم يتداركه الدّعوة العامّة او لم يقبلها او لم يعمل على مقتضاها حتّى ابطل استعداده القريب للدّعوة الخاصّة واختفى طريق القلب واماراته وطريق التّوحيد وعلاماته ، اولم يبطل استعداده القريب لقبول الدّعوة الخاصّة و بقى له استعداد قريب لذلك لكن لم يخرج تلك القوّة والاستعداد الى الفعل بعدُ وتوجّه تارةً الى مااقتضاه استعداده و طلب مايدلّه على طريق القلب و يخرجه من القوّة الى الفعل ، و تارة الى ما اقتضته نفسه و اهويتها من مشتهيات الحيوانيّة لم يكن حينئذٍ مؤمناً موحّداً لاحقيقةً ولامجازاً ، بل كان كافراً اذا لم يبق له استعداد قريب ، سواء اقرّ بدينٍ وكتابٍ ونبىٍّ وسمّى مسلماً ومؤمناً ام لم يقرّ وسمّى كافراً ، اوكان مشركاً اذابقى له استعداد سواء أشرك بالله فى الظّاهر صنماً وكوكباً وغيرهما ام لا ، وسواء اقرّ بدينٍ و نبىٍّ ام لا ، وسواء بايع نبيّاً اووليّاً بالبيعة العامّة او الخاصّة ام لا ، وسواء اتّصل اواعتقد بائمّة الجور ومظاهر الشّياطين ام لا ، وبهذا المعنى فسّر الكفر والشّرك فى الآيات بالكفر بالولاية والشّرك بالولاية و هذان غير الكفر والشّرك الظّاهرين لجواز اتّصاف المسلم والمؤمن بهما ، والكافر بهذا المعنى مطيع للنّفس والشّيطان ، وافعاله ليست الّا من طاعتهما وهكذا اخلاقه ، وهى امّا متناهية فى القبح بحيث يعدّها الشّرع والعقل والعرف قبيحة ، كالزّنا واللّواط والسّبعيّة المفرطة والشّرة المفرط ممّا يستقبحه كلّ احدٍ ويستخفى فاعله حين الفعل من النّاس حتّى من امثاله وتسمّى بالفواحش ، وافعال الجوارح الّتى كانت كذلك هى الفواحش الظّاهرة ورذائل النّفس هى الفواحش الباطنة ، وقد يسمّى بعض افعال الجوارح بالباطنة اذا صارت عادة بحيث لايستخفى فاعلها عن الخلق ، كنكاح زوجة الاب الّذى كان فى الجاهليّة وكنكاح المحارم الّذى كان بين الهنود ، وكالتّجسّس والغيبة والتّهمة والتّنابز بالالقاب مع انّها اشدّ من نكاح المحارم الّتى شاعت بين المسلمين ، لانّ كونها فاحشة مختفٍ عن انظار امثال فاعلها ، وقد يفسّر الفاحشة الباطنة بالّتى

يستخفى فاعلها كالزّنا واللّواط والظّاهرة بالّتى لايستخفى كنكاح زوجة الاب عكس ما ذكر وله وجه ، اوغير متناهية فى القبح بحيث لايعدّها العقول الجزئيّة من امثاله قبيحة ولايستخفى فاعلها من امثاله وهوالاثم كشرب الخمروالنّبيذ، اوبحيث يعدّها العقول الجزئيّة من امثاله خيراً ومدحاً لفاعله ويباهى فاعلها باعلانها كالحكومات والقضاوات الغير الشّرعيّة الّتى هى مثال القضاوات الشّرعيّة وسائرالمناصب الشّيطانيّة الّتى يتمنّاها امثاله من الجهلة ، وبعبارة اخرى امّاتظهرافعاله واخلاقه بصورة افعال النّساء اوبصورة افعال الخناثى اوبصورة افعال الرّجال ، وبعبارة اخرى فاعلها فى الانظار الجزئيّة المخطئة امّا ذوانوثة اوذوخنوثة اوذو ذكورة ، والى هذه الثّلاثة اشيربالفواحش والاثم والبغى وحاصل الحصر، انّ الانسان امّاكافر اومشرك بالكفروالشّرك الحقيقيّين اومؤمن ، والكافر جميع مايصدر عنه محرّم عليه قولاً اوفعلاً اوخلقاً لانّها تابعة للكفر المحرّم وهى تنقسم الى ثلاثة اقسام و اكتفى عن ذكر الكفر بما ذكر لاستلزامها ايّاه و شمولها المحرّمات المشرك و المؤمن من حيث الكفر، والمشرك له جهة كفروجهة ايمان ، وآثاره من حيث الكفرملحقة بآثارالكفرومن حيث الايمان بالايمان، و المؤمن آثاره من حيث الايمان حلال له الّا نسبة القول الى الله من غير علم على التّفصيل الاتى ، و لمّاكان المراد بالبغى مطلق التّبسّط والحكومة والرّياسة ، قيّده تعالى بقوله بغيرالحقّ من : بغى بغياً ، استطال ولاحاجة الى جعل القيد بيانيّاً خلافاً للظّاهروقيدالاشراك بما لم ينزّل به سلطاناً ، اشارة الى انّ المراد بالشّرك بالله الشّرك بالولاية والشّرك بالولاية التّكوينيّة امّا بمرمّة المعاش اوتلذّذ النّفس وهما انكانا من جهة امرالٰهىّ لم يكونا اشراكاً بالله ما لم ينزّل به سلطاناً ، والشّرك بالولاية التّكليفيّة انكان باشراك من امرالامام(ع) باتّباعه لم يكن اشراكاً بالله ما لم ينزّل به سلطاناً، وليس الشّرك بالله حالاً وشهوداً الّاالاشراك بالولايتين، فالتّقييدهناك ايضاًفى محلّه ولاحاجة الى التّكلّفات الّتى ارتكبوها، والموحّد الحقيقىّ اوالمشرف على التّوحيد امّا يكون قوله وفعله وخلقه و اعتقاده من حيث توحيده او لم تكن من حيث توحيده و ايمانه فماكان من حيث الايمان فهو حلالٌ :

كفر گيرد ملّتى ملّت شود

و ما لم يكن من حيث الايمان فهو ملحق بافعال الكافر و اخلاقه لكنّ المؤمن قد يجرى على لسانه بقوّة محبّته ، اولوجدانه وشهوده ، اولاعتياده السّابق من سهولة الخطب فى القول ما لم يأخذه من عالم وقته ولم يتيقّنه من شهوده ووجدانه ، او تيقّنه لكن لم يكن موافقاً لحاله ، او لم يكن موافقاً لحال السّامع بحسب الوقت والمكان فنهى الله تعالى عن ذلك ، وان كان من حيث ايمانه فعلى هذاكان تقديرقوله تعالى: مالا تعلمون مالاتعلمون عينه اووقته اومستمعه اوموافقته لحاكم، ولمّاكانت ائمّة الجورمتحقّقة بتلك المحرّمات وصارت تلك المحرّمات ذاتيّة لهم صحّ تفسيرها بائمّة الجور وفسّر فى بعض الاخبار بالسّلاطين من بنى اميّة و سائر ولاة الجور، ونقل عن الصّادق(ع)، انّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله فى القرآن هوالظّاهروالباطن من ذلك ائمّة الجور، وجميع ما احلّ الله فى الكتاب هوالظّاهر والباطن من ذلك ائمّة الحقّ . والسّرّ فى ذلك ما قلنا من انّ ائمّة الجور هم المتحقّقون المتجوهرون بجميع المحرّمات ، وائمّة الحقّ(ع) هم المتحقّقون المتجوهرون بجميع المحلّلات ، وعنه (ع) فى بيان ان تقولوا على الله مالا تعلمون : ايّاك وخصلتين فيهما هلك من هلك ؛ ايّاك ان تفتى النّاس برأيك وتدين بمالاتعلم ، وفى رواية ان تدين الله بالباطل وتفتى النّاس بما لاتعلم . و الغرض انّ الاعتقاد والفتيا اذا لم يكونا بوحيٍ او تحديثٍ ولابتقليد صاحب وحيٍ و تحديثٍ فهما قول على الله بمالايعلم ، فالويل ثمّ الويل لمن استبدّ برأيه فى دينه من غيراخذ من اهله ولمن افتى النّاس من غير

علم واخذ من صاحب وحى وتحديث حيث قرنه الله بالكافر والمشرك [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ] كأنّه قال فكلّ من المؤمنين ومرتكبى الفواحش والاثم والبغى والمشرك والقائل على الله مالايعلم امّة قاصدة جهة من جهات الآخرة وليس لواحدة منهم البقاء فلا يتّكلوا على قلائل ايّامهم لانّ لكلّ امّة اجلاً [فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] اى اذا قدّر و عيّن مجئ آخر وقتهم للموت او مدّة عمرهم لا يتأخّرون اقصر وقت ولا يتقدّمون لخروج ذلك عن اختيارهم ، اولايطلبون التّأخّر والتّقدّم لعدم علمهم بذلك الوقت ، اولعلمهم بانّه خارج عن اختيارهم او اذا قارن مجئ اجلهم لا يطلبون ذلك لدهشتهم و هو وعيد و تمهيد لقوله تعالى [يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي] التّكوينيّة بالآيات التّدوينيّة [فَمَنِ اتَّقَى] مخالفة الآيات التّدوينيّة بترك العمل بها و مخالفة الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة بترك الاتّعاظ بها والاعراض عنها والآيات العظيمة الّذين هم الانبياء(ع) والاولياء(ع) بترك اتّباعهم وتكذيبهم والاستهزاء بهم [وَأَصْلَحَ] بالاتّصال بالآيات العظمى بالبيعة العامّة والخاصّة بالاتّعاظ بالآيات الصّغرى [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى هذه الآية فى اوّل البقرة و فى سورة الانعام مفصّلاً [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا] بترك امتثالها والاتّعاظ بها والاتّصال بها باحدى البيعتين [أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] وقد اختلف القرينتان فى لفظ الموصول و دخول الفاء وعدمه والنّفى وعدمه و تكرار المبتدأ باسم الاشارة وعدمه ، والوجه فى ذلك الاشارة الى اتّحاد نفوس المتّقين والاختلاف و الفرقة فى المكذّبين والاشارة الى لزوم الخبر للصّلة فى الاولى دون الثّانية لعدم تخلّف وعده تعالى دون وعيده ، ولوجعل من شرطيّة كان ابلغ فى ذلك المعنى ولذلك أتى فى الاولى بمن المشتركة بين الشّرط والموصول واحضار المبتدأ بوصفه المذكور له تفظيعاً لحال المكذّبين وتحذيراً عن مثل حالهم مع قصد حصر صحابة النّار فيهم بخلاف الاولى ، فانّه لم يقصد فيها حصر لما سبق من جواز تخلّف الوعيد ودخول المكذّبين الجنان و رفع الخوف و الحزن عنهم ، ووجه الاختلاف بنفى ضدّ المستحقّ فى الاولى و اثبات المستحقّ فى الثّانية كون المقام مقام الوعيد والانذار ، فانّ ذكر المحرّمات توعيد لمرتكبيها لاوعد لتاركيها لانّ الفضل لمن امتثل الامر لا لمن ترك المنهىّ ولذا لم يكتف بقوله فمن اتّقى واضاف اليه اصلح فى جانب الوعد ، وكذا الاخبار بانقضاء الامد وفناء البسطة واتيان الرّسل بعد تلك الانذارات توعيد للمكذّبين ، ولكون المقام للانذار بسط فى جانب الوعيد دون الوعد والمناسب لمقام الوعيد نفى الخوف والحزن عن غير المستحقّ واثبات العقوبات للمستحقّ [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا] اتى بفاء التّفريع والاستفهام الانكارىّ اشارة الى استنباطه ممّا سبق وتأكيداً لاظلميّة المفترى، فانّ مفهومه وان كان لنفى اظلميّة الغير من المفترى لكنّ المقصود اثبات اظلميّة المفضّل عليه والمراد بالمفترى ائمّة الجور و رؤساء الضّلالة الّذين لم يكونوا اهلاً للرّياسة و يدّعون الخلافة وهم اشدّ ظلماً ممّن كذّب بآياته فقط ، والقائل على الله مالايعلم أخفّ ظلماً منهما فانّه لاينافى تصديق الآيات كماسبق [أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ] لانّه قد سبق انّه المستحقّ لصحابة النّار و المراد بالمكذّب بالآيات تابع ائمّة الجور و المقصود من الآيات اعظمها وغايتها الّتى هى الولاية ومن المفترين والمكذّبين منافقوا الامّة الّذين قبلوا الدّعوة الظّاهرة

وبايعوامحمـداً(ص) بيعة اسلاميّة بقرينةقوله: [أُولٰئِكَ يَنالُهُمْ نَصيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ] لانّ المراد بالكتاب الكتاب المعهود المفسّربكتاب النّبوّة ، ولمّا كان لقبول الدّعوة الظّاهرة والاحكام القالبيّة الاسلاميّة شرافة واثر فمن قبل وعمل ولم يكن له نصيبٌ من الآخرة يناله اثرذلك العمل والحظّ الموعود فى الدّنيا حتّى يخرج من الدّنيا و ليس له حقّ على الله ، من كان يريد ثواب الدّنيا باسلامه و قبول احكامه يؤته منها و ماله فى الآخرة نصيب [حَتّٰى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ] بقبض ارواحهم حال من الفاعل او المفعول او كليهما اومستأنف جواب لسؤال مقدّرٍ ، او هى جواب اذا وقوله و [قالُوا] حال او مستأنف ، او عطف على جاءتهم او يتوفّونهم يعنى قال الرّسل تقريعاً لهم [اَيْنَما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] بالاعراض عن خلفائه ومظاهره الولويّة ودعوة غيرهم من مظاهر قهره واعوان اعدائه ممّن ادّعى الخلافة فى مقابل اوصياء انبيائه (ع) [قالُوا ضَلُّوا عَنّا] قالوا ذلك لانّهم كانوا اصحاب الخيال والكثرات و دعوتهم لائمّة الجور كانت من جهة الحدود والتّعيّنات و حين المحاسبة و ظهور الوحدة لايبقى حدّ و تعيّن و يرون انّهم كانوا ساترين فى تلك الدّعوة جهة الوحدة والولاية [وَشَهِدُوا عَلٰى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرينَ] لوجهة القلب والولاية [قالَ] الله [ادْخُلُوا] بعد عودهم عن الوحدة الى مقرّ الكثرة حالكونكم [فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] الّذين كانوا من سنخكم داعين لمن لم يؤذنوا فى دعوتهم [فِى النّارِ] ظرف الدّخول ، و يحتمل ان يكون فى امم ظرف الدّخول و فى النّار بدلاً منه بدل الاشتمال ، اوحالاً من سابقه [كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها] امّاالمتألّفون والمتحابّون منهم فلظهور انّ مجالسة بعضهم بعضاً ومؤانسته ومحادثته منعتهم من الايمان بخلفاءالله واتّباع اوليائه، وامّا الاجانب وغير المعروفين فلاستحقاقهم اللّعن مثلهم وهذا بعينه ديدن اهل الدّنيا فانّهم وقت الدعة والرّاحة احبّاء، ووقت الشّدّة والبلاء اعداء ، ويلعن بعضهم بعضاًخصوصاً النّسوان ومن كان على طباعهنّ من الرّجال، والجملة امّا حال من فاعل ادخلوا او من امم اومن فاعل خلت او الجنّ والانس او من النّار والكلّ بتقدير العائد او معترضة ذمّاً للامم [حَتّٰى إِذَا ادّارَكُوا فيها جَميعاً] يعنى لحق التّابعون للمتبوعين فى الدّرك الاسفل [قالَتْ أُخْريٰهُمْ] التّابعون اللّاحقون [لِأُولٰيهُمْ] المتبوعين يعنى فى حقّهم [رَبَّنا هٰؤُلاءِ اَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النّارِ] لضلالهم واضلالهم [قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ] باعتبار قوّتى العلّامة والعمّالة او باعتبار تجسّم العمل فى النّفس و استتباعه لمثله فى الجحيم اوباعتبار الضّلالة و اهمال التميز ، او باعتبار صفحتى كلّ من العلّامة و العمّالة [وَلٰكِنْ لاتَعْلَمُونَ] انّ لكلٍّ ضعفاً لخفائه وخفاء سببه عليكم [وَقالَتْ أُولٰيهُمْ لِأُخْريٰهُمْ] مخاطبين لهم [فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ] لاستحقاقكم الضّعف جاؤا بالفاء تفريعاً لقولهم على قول الله لاثبات قولهم [فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ] امّا من قول الله تقريعاً و تهكّماً ، اومن قول الرّؤساء [اِنَّ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها] قد مضى تفصيل فى مثلها [لاتُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوابُ السَّماءِ] سماء الارواح لانّ بابها القلب و فتحه بالولاية التّكليفيّة و قدكذّبوا بها [وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فى سَمِّ الْخِياطِ] تعليق على مالايكون، اوالمراد انّ انانيّاتهم مانعة من دخول الجنّة

فلا يدخلونها مادام جمل انانيّاتهم باقية فاذا ذاب انانيّاتهم دخلوها [وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ] امّا من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر ابداءً لوصفٍ آخر لهم مشعر بالذّمّ واظهاراً لاستحقاق العقاب من جهة اخرى، اوالمراد بالمجرمين غير المكذّبين وهكذا الحال فى قوله نجزى الظّالمين [لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهٰادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوٰاشٍ] حال او استيناف لبيان حالهم ، و الغواشى جمع الغاشى بمعنى المغمى ، او جمع الغاشية بمعنى الغطاء اوالاغماء ، و فى لفظ مهادٍ وغواش بمعنى الاستارتهكّم بهم [وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الظّٰالِمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] قد مضى مثله ، وانّ المراد بالايمان ان كان الاسلام الحاصل بالبيعة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة فالمراد بعمل الصّالحات الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب و توابعه من الاعمال القلبيّة المستتبعة للاعمال القالبيّة ، و ان كان المراد به الايمان الخاصّ فالمراد بعمل الصّالحات مستتبعات هذا الايمان ، و لمّا جاء بالصّالحات معرّفة بلام الاستغراق و اوهم الاتيان بجميع الصّالحات و ليس فى وسع افراد البشر الاتيان بجميع الصّالحات استدركه بقوله [لٰانُكَلِّفُ نَفْساً إِلّٰا وُسْعَهٰا] معترضاً بين المبتدء وخبره [أُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] تكرار المبتدء باسم الاشارة اوّلاً وبالضّمير ثانياً لتأكيد الحكم و احضار المبتدء بوصفه المذكور و تفخيماً لشأنهم بالاشارة البعيدة وتثبيتاً لهم فى الاذهان بالتكرار [وَنَزَعْنٰا] فى الدّنيا او فى الجنّة [مٰافِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] الغلّ بالكسر الحقد وتشبيه الغلّ بالثّوب واستعمال النّزع فيه استعارة تخييليّة وترشيح للاستعارة، والمقصود انّه تعالى يطهّر صدور المؤمنين من موجبات الغلّ من الكدورات الدّنيويّة والصّفات الرّذيلة النّفسانيّة حتّى تصفو صدورهم من الحقد والحسد ، خصوصاً بالنّسبة الى اخوانهم المؤمنين وكذا من العجب والرّياء والشّكّ والشّرك الخفىّ فلا يبقى فى صدورهم الّا الودّ الخالص والصّدق التّامّ [تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهٰارُ] الجملة حاليّة اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اوخبرٌ بعد خبر [وَ] بعد ماصارت صدورهم مصفّاة ممّا يوذيهم ومقامهم مأمناً عمّا لايلائمهم ومجالسوهم فارغين ممّا يسوؤهم [قٰالُوا] تبجّحاً وشكراً [اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى هَدٰينٰا لِهٰذٰا] المقام اوهذا الفضل و المراد بالهداية الايصال الى المطلوب او الى طريق المطلوب مع تهيّة اسباب سلوكه [وَمٰا كُنّٰا لِنَهْتَدِيَ لَوْلٰا اَنْ هَدٰينٰا اللّٰهُ لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ] قالوا ذلك لانّهم كانوا مؤمنين بالغيب غير مشاهدين فلمّا شاهدوا ما آمنوا به فرحوا بما شاهدوا واظهروه لغاية السّرور [وَنُودُوا اَنْ تِلْكُمُوا الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهٰا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] يعنى ماكنتم تعملون سبب من طرف القابل لا انّه سبب فاعلىّ. **اعلم** ، انّ الانسان بانسانيّته له قوّة الوصول الى الجنان وبفطرته له النّسبة الى العقل الكلّىّ ومظهره الّذى هو النّبىّ(ص) والولىّ(ع) وبتلك النّسبة يصحّ نسبة الابوّة والبنوّة بينهما تكويناً ويصحّ نسبة الاخوّة بين كلّ الاناسىّ تكويناً ، فاذا اتّصل هذه النّسبة بالنّسبة التّكليفيّة بالبيعة العامّة النّبويّة اوالخاصّة الولويّة تقوى تلك النّسبة وظهرت بحيث يصير الولد والداً والوالد ولداً ، وبتلك النّسبة وقدر ظهورها يرث الولد من والده بعضاً من ملكه اوجميع ممالكه واذا لم يتّصل النّسبة التّكوينيّة بالنّسبة التّكليفيّة لابالبيعة ولاحال الاحتضار انقطعت لامحالة ، واذا انقطعت نسبته عن الوالد الّذى هو العقل الكلّىّ ومظهره لم يرث منه شيئاً وورثه ماكان ينبغى ان يرثه هواخوه المناسب له فى بعض الجهات

فصحّ ان يقال اورثتموها من الله أومن العقل اومن مظهرالعقل، وصحّ ان يقال اورثتموها من اهل الجحيم كما يصحّ ان يقال: اهل الجحيم اورثوا منازل اهل الجنّة من الجحيم وقدمضى تحقيق الابراث وكيفيّته [وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ] اظهاراً للنّعمة تبجّحاً وتقريعاً لاصحاب النّار [أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] من الله [بَيْنَهُمْ] والمؤذّن هوصاحب مرتبة الجمع و هو الّذى على الاعراف ولذا فسّر بأميرالمؤمنين (ع) و قال : انا ذلك المؤذّن [أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] ولمّا كان الظّلم الحقيقىّ هوستروجهة القلب الّتى هى الولاية التّكوينيّة، ثمّ الاباء عن الولاية التّكليفيّة الّتى بهايفتح باب القلب ويوضح طريقه الى الله، وبهذين الظّلمين ينسدّطريق القوى المستعدّة للاتّصال الى صاحب الولاية وهى باتّصالها بصاحب الولاية تصير من عترة الرّسول تكويناً ، فسدّ طريقهاظلم عليها وظلم على العترة بوجهٍ و ظلم على صاحب الولاية بوجهٍ ، ثمّ جحود الولاية ثمّ الاستهزاء بصاحب الولاية ثمّ سدّ طريق العباد عن الولاية وذلك ايضاً ظلم على عترة محمّد(ص) بالوجوه السّابقة ، فسّرالظّلم فى الكتاب بالظّلم على آل محمّد(ص) ووصف الظّالمين بقوله [الَّذِينَ يَصُدُّونَ] اى يعرضون اويمنعون [عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] تفسيراً للظّلم [وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ] فانّ سبيل الله هو وجهة القلب تكويناً و ولاية الامام الّذى هوالمتحقّق بتلك الوجهة تكليفاً ، والكفر بالآخرة هوالكفر بالولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة او مسبّب عنه [وَبَيْنَهُمَا] اى الفريقين اوالجنّة والنّار [حِجَابٌ] والمراد بالحجاب البرزخ الاخروىّ الّذى هوواسطة بين الملكوتين ولابدّ لاهل كلٍّ من العبور عليه ،كما انّ المراد بالسّور فى قوله فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب هو هذا البرزخ ، وتحقيق كون الدّنيا برزخاً والبرزخ الاخروىّ واسطةً بين الملكوتين وكون الملكوت السّفلى ظلّاً ظلمانياً للدّنيا والملكوت العليا عكساً نورانياً لها ، وبعدالخلاص من عالم الطّبع لابدّ من عبور كلٍّ على البرزخ الاخروىّ الّذى هوبوجهٍ جهنّم ،كما انّ عالم الطّبع ايضاً بوجهٍ جهنّم ، والبرزخ الاخروىّ هوالحجاب الّذى ظاهره يلى الملكوت السّفلىّ من قبله عذاب الملكوت السّفلى وباطنه الّذى يلى الملكوت العليا فيه الرّحمة الّتى هى نعم الجنان الصّوريّة ثمّ نعم الجنان المجرّدة عن الصّورة و التّقدّر قد مضى اجمالاً وسيجيء فى سورة الحديد [وَعَلَى الْأَعْرَافِ] اى اعراف الحجاب جمع العرف وهو ما ارتفع من الارض ومنه عرف الدّيك وعرف الفرس والمعنى على اعالى الحجاب [رِجَالٌ] مخصوصون وهم الّذين ادركوا البقاء بعدالفناء ووصلوا الى مقام الجمع وردّوا من الحضور الى الخلق لتكميلهم وهم الانبياء(ع) والاولياء(ع) ، فانّهم بعد ردّهم يقفون بملكوتهم على البرزخ لكن على جهاته الّتى فيها الرّحمة وهى اعاليه حتّى يمكنهم الاحاطة والاتّصال بالملك والملكوتين، لانّهم بشأنهم الجبروتىّ اجلّ شأناً من ان يراقبوا الكثرة لانّ العالى لاالتفات له الى الدّانى بالذّات وبشأنهم الملكىّ لاسعة لهم ولا احاطة حتّى يتيسّر لهم المراقبة و اعطاء كلّ ذى حقٍّ حقّه ، بل بشأنهم الملكوتى الّذى يتنزّلون به عن الملكوت العليا الى اعالى البرزخ فيراقبون اهل الملك والملكوت العليا والسّفلى ويعطون كلّاً حقّه ، ولمّا كان النّبوّات والولايات الجزئيّة اظلالاً من الولاية الكلّيّة وكان المتحقّق بالولاية الكلّيّة عليّاً واولاده الطّاهرين، صحّ تفسير الرّجال بهم وحصرهم فيهم ولمّا كان البرزخ مرتبةً من مراتبهم وشأناً من شؤنهم قال علىّ (ع) : نحن الاعراف و لمّا كان جهة البرزخ العليا

جهةً يعرف بها كلّ من عليها غيره من اهل الملك و الملكوتين وكانت سبيل معرفة الله لغير من عليها صحّ قولهم(ع): نحن على الاعراف ، نعرف انصارنا بسيماهم، ونحن الاعراف الّذين لايعرف الله عزّوجلّ الّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الاعراف يوقفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط فلا يدخل الجنّة الّا من عرفنا وعرفناه ، ولايدخل النّار الّا من انكرنا وانكرناه ، ولمّا كان المراد بالاعراف اعالي البرزخ صحّ تفسير اصحاب الاعراف بالّذين هم اصحاب البرزخ من الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، فانّهم اصحاب البرزخ وكون صحابتهم للاعراف غير كون صحابة الّذين على الاعراف فانّهم مالكون للاعراف بوجه ومتحقّقون بها بوجه ، بخلاف الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم فانّهم(ع) واقفون في البرزخ وتحت الاعراف للحساب [يَعْرِفُونَ كُلّاً] من اهل الجنّة والنّار [بِسِيمٰاهُمْ] بالعلامة الّتي هي على ظواهرهم من سرائرهم ، فالضّمير راجع الى كلّاً لاالى الرّجال [وَنٰادَوْا] الضّمير راجع الى اصحاب الاعراف من شيعة علىّ(ع) الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم كأنّهم ذكروا بالالتزام ذكر الاعراف [اَصْحٰابَ الْجَنَّةِ] الّذين تجاوزوا البرزخ و صحبوا الجنّة [اَنْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم ورجاء للوصول اليهم [لَمْ يَدْخُلُوهٰا وَهُمْ يَطْمَعُونَ] الدّخول [وَاِذٰا صُرِفَتْ اَبْصٰارُهُمْ تِلْقٰاءَ اَصْحٰابِ النّٰارِ] كان ابصارهم وانظارهم بالاصالة الى اصحاب الجنّة [قٰالُوا] تعوّذاً والتجاءً الى علىّ(ع) [رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ وَنٰادىٰ اَصْحٰابُ الْاَعْرٰافِ] الّذين هم على الاعراف [رِجٰالاً] من اهل النّار [يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمٰاهُمْ قٰالُوا مٰا اَغْنىٰ عَنْكُمْ] يعني ما اغنى الله عن عذابكم هذا بحسب مفهومه اللّغوىّ والمقصود ما دفع عنكم العذاب [جَمْعُكُمْ وَمٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ] ما موصولة او مصدريّة [أَهٰؤُلاٰءِ] اشارة الى اصحابهم الّذين معهم في الاعراف الّذين يطمعون دخول الجنّة ولم يدخلوها بعد لاختلاطهم السّيّئات بالحسنات [اَلَّذِينَ اَقْسَمْتُمْ] في الدّنيا [لاٰ يَنٰالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ] قالوها تقريعاً وشماتةً ثمّ صرفوا الخطاب عن اصحاب النّار الى اصحابهم الّذين معهم في الاعراف وقالوا لهم في حال شهود اصحاب النّار لازدياد تحسّرهم [اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاٰ اَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] و بما ذكرنا يمكن الجمع بين جميع ماورد في الاخبار في بيان الاعراف واصحاب الاعراف وكيفيّة وقوفهم على الاعراف مع كثرتها واختلافها [وَنٰادىٰ اَصْحٰابُ النّٰارِ اَصْحٰابَ الْجَنَّةِ اَنْ اَفِيضُوا عَلَيْنٰا مِنَ الْمٰاءِ] لانّ الحجاب الّذى بينهما مانع من الوصول لا من الرّؤية اذا شاء الله [اَوْ مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمٰا عَلَى الْكٰافِرِينَ] السّاترين وجهة القلب الّتي هي الطّريق الى الله [اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ] الّذى أخذوها من صاحب الدّين اى الاسلام الّذى اخذوها من النّبىّ (ص) بالبيعة و الميثاق او صورة الاسلام الّتي انتحلوها من دون اخذها من صاحبها والوقوف على شرائعها [لَهْواً وَلَعِباً] غير مغيىً بغاية اومغيىً بغاية خياليّة نفسانيّة راجعة الى دنياهم لانّهم سدّوا الطّريق الى الله وابطلوا استعداد سيرهم بواسطة الاسلام الى الطّريق فلا غاية لاسلامهم اولنحلتهم الاسلام سوى ماتصوّروه من الغايات الرّاجعة الى الدّنيا ولذا قال تعالى [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا] تعليلاً لاخذ دينهم لهواً ولعباً [فَالْيَوْمَ نَنْسٰيهُمْ] يعني لانلتفت اليهم وهذا على طريقة مخاطباتهم حيث يقولون نسينا فلان يعني لايلتفت

الينا ولايذكرنا بعطيّة [كَمٰا نَسُوا لِقٰاءَ يَوْمِهِمْ هٰذٰا وَمٰا كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ] وكما كانوا [وَلَقَدْ جِئْنٰاهُمْ بِكِتٰابٍ] اى كتاب النّبوّة [فَصَّلْنٰاهُ عَلىٰ عِلْمٍ] متعلّق بجئنا او بفصّلناه او متنازع فيه لهما على اخذ مثل معنى الايراد فى المجيء والتّفصيل اى اوردناه على علمهم بحقّيّة الكتاب اوالرّسول (ص)، اوهوحال عن فاعل جئنا او فصّلنا او عن مفعول جئناهم او عن كتاب [هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ لتوجّهم الى وجهة القلب و تهيّؤهم لقبول الولاية التّكليفيّة او بالايمان الخاصّ لكونهم على الطّريق وانارة كتاب النّبوّة الّذى كان الكتاب التّدوينىّ صورته طريقهم فيسرعون فى السّير اوالمراد بكتاب فصّلناه مكتوب مفروض عظيم و هو الولاية الّتى هى غاية النّبوّة ، لانّ جميع النّبوّات والكتب التّدوينيّة لتنبيه الخلق عليها واعدادهم لقبولها ولذلك جاء به مفرداً منكّراً مشيراً الى عظمته [هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون [إِلّٰا تَأْوِيلَهُ] مايؤل الكتاب اليه اوتأويلنا وارجاعنا ذلك الكتاب الى حقيقته الّتى هى مقام الولاية الّتى هى روحه واصله ومرجعه [يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ] ضمير المفعول راجع الى دينهم او الى لقاء يومهم هذا او الى كتاب فصّلناه او الى تأويله ومآل الكلّ واحد والمعنى يقول الّذين نسوا حقيقة الدّين اوالكتاب يعنى تركوها مع الاستشعار بها ، فانّ النّسيان قد يستعمل فى التّرك ، اوغفلوا عنها بعدالاستشعار والتّذكّر بها اولم يستشعروا بها ولم يتذكّروا بهافانّها كانت معلومة مشهودة وبعد تنزّل الانسان الى هذا البنيان صارت منسيّةً وجميع الشّرائع والعبادات والرّياضات لان يتذكّروا مانسوه من حقيقة الدّين واتّخذوا صورته للاغراض الدّنيويّة [مِنْ قَبْلُ] من قبل اتيان التّأويل تحسّراً واقراراً بحقّيّته [قَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ] و بالولاية الّتى كانت حقّاً او بالرّسالة الحقّة و قد اعرضنا عنه ظلماً على انفسنا [فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ] اليوم [فَيَشْفَعُوا لَنٰا] عند ربّنا فى الولاية الّذى هو ولىّ امرنا اوعند ربّ الارباب [أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّٰا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] بصرف دينهم الّذى هواعظم بضاعة لهم فى الاغراض الفانية [وَضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] اشراكه بالله وشفاعته عندالله من الاصنام والكواكب ورؤساء الضّلالة ، والمنظور هوالعجل وسامريّه ووجه ضلال مفترياتهم انّهم كانوا ينظرون اليها من حيث حدودها وتعيّناتها، لانّهم كانوا جعلوها مسمّيات ويفنى كلّ شيءٍ حينئذٍ من حيث الحدود من حيث كونه مسمّى لفناء التعيّنات والحدود حين ظهور الولاية الّتى هى الوحدة الحقّة الظّلّيّة كما سبق [إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ] اعلم، انّ فعل الله تعالى لايتقيّد بالزّمان وقد قالوا : انّ الافعال المنسوبة الى الله منسلخة عن الزّمان فانّ المحيط كما لايحاط ذاته بالزّمان لايحاط فعله بالزّمان ، و انّ ايّام الله محيطة بالايّام الزّمانيّة و مقادير ايّام الله متفاوتة بحسب تفاوت مراتب فعله فقد تتقدّر بالف سنة وقد تتقدّر بخمسين الف سنة ، وانّ السّماوات فى عرف اهل الله عبارة عن عوالم الارواح المجرّدة عن المادّة و عن التّقدّر ، و الارض عبارة عن عوالم الاشباح مادّيّة كانت او مجرّدة عن المادّة كعالمى المثال ومنها سماوات عالم الطّبع لتقدّرها وتعلّقها بالمادّة ، وانّ مراتب الممكنات الّتى هى مخلوقات الله وفيها تتحقّق السّماوات والارض بوجه ستّ وبوجه ثلاث صائرة بحسب النّزول والصّعود ستّاً وهى مرتبة المقرّبين المهيمين الّذين هم قيام لاينظرون ، ومرتبة الصّافّات صفّاً ويعبّر عن الصّنفين بالعقول الطّوليّة والعقول العرضيّة المسمّاة

بارباب الانواع فى‌لسان حكماء الفرس، ومرتبة المدبّرات امراً ومرتبة الرّكّع والسّجّد ، ومرتبة المتقدّرات المجرّدة عن‌المادّة، ومرتبة المادّيّات وخلقةالسّماوات والارض‌وتماميّتها فى‌تلك‌المراتب السّتّ، واذا اريد بالسّماوات والارض سماوات عالم الطّبع وارضه فخلقتها بوجودها الطّبيعىّ وان‌كانت فى عالم‌الطّبع لكنّها بوجودهاالعلمىّ موجودةفى‌المراتب العاليةعليه وهذه هى‌الايّام‌السّتّة الرّبوبيّة الّتى‌خلقت‌السّماوات والارض فيها ، وتلك‌المراتب مع المشيّةالّتى‌هى‌عرش‌الرّحمن بوجه وكرسيّه بوجه تصيرسبعاً نزولاً، وباعتبارصعودها تصير مثانى وهذه هى السّبع المثانى الّتى اعطاها الله محمّداً(ص) ، ولمّاكان المتحقّق بتلك‌المراتب نزولاً وصعوداً منحصراً فى الائمّة(ع)، لانّهم المتحقّقون بها على الاطلاق وغيرهم متحقّقون بها بتحقّقهم قالوا : نحن السّبع المثانى الّتى‌اعطاها محمّداً(ص) بطريق الحصر، ثمّ لمّاكان عرش‌الرّحمن الّذى هوالمشيّةالّتى هى‌الحقّ المخلوق به اضافته الاشراقيّة المأخوذة لابشرط وكان بهذاالاعتبارمتّحداً مع جميع الاشياء ، بل‌كان حقيقةكلّ ذى حقيقة وكان باعتباركونه اضافة ومأخوذاً لا بشرط لا تحقّق له الّا بتحقّق جميع ما ينضاف اليه ولايتمّ الّا بما ينضاف اليه ، قال بعد ذكرخلق السّماوات والارض الّتى هى جملة الاشياء [ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] معطوفاً بكلمةالتّراخى ، لانّ الاستواء فى‌العرف هوالجلوس‌على‌العرش‌ولايتمّ هذاالمعنى‌الّابتماميّة العرش‌وليس‌تماميّة العرش الّا بتماميّة السّماوات والارض ، ولذا فسّروا الاستواء لنا باستواء نسبته الى‌الجليل والدّقيق، ولمّاكانت المشيّةاضافته‌الحقيقيّة الى‌الاشياءكانت ذات‌جهتين جهة الى‌المضاف وجهة الى‌المضاف اليه ، وباعتبارجهتها الى المضاف تسمّى عرشاً ولذا يطلق عليها هذا الاسم حين تنسب الى الله ، وباعتبار جهتها الى‌المضاف اليه‌تسمّى كرسيّاً ولذايطلق‌عليها هذاالاسم‌حين‌تنسب الى‌الاشياء وسع كرسيّه السّماوات والارض، و ورد ان جميع الاشياء فى الكرسىّ و الكرسىّ فى العرش ، ووجه‌كون الكرسىّ فى العرش انّ الجهة المنسوبة الى المضاف محيطة بالجهة المنسوبة الى‌المضاف اليه ، وقد يسمّى عقل الكلّ بالعرش ونفس الكلّ بالكرسىّ لكونهما مظهرى الجهتين ، و قد يسمّى الفلك المحيط عرشاً و الفلك المكوكب كرسيّاً لكونهما مظهرى هذين المظهرين [يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهٰارَ] يغطّى بليل الزّمان نهارالزّمان ، وبليل عالم الطّبع نهارعالم‌الارواح، وبليل الملكوت السّفلىّ نهارالملكوت العليا ، وبليل طبع الانسان نهار روحه ، و بليل جهله نهار علمه ، و بليل شهواته وسخطاته نهاررغباته ومرضاته ، وبليل رذائله نهارخصائله ، وبليل اسقامه نهارصحّته، وبليل ضعفه نهار قوّته و هكذا [يَطْلُبُهُ] يتعقّبه‌كالطّالب له [حَثِيثاً] و فى استعمال الطّلب والحثّ هناك دليل على التّعميم وكان المناسب ان يقول : ويكشف‌النّهاراللّيل اويغشى‌النّهاراللّيل، ولكنّه تعالى‌تركه اشارة الى اصالةالنّهار وعرضيّة اللّيل ولوقال ذلك لأوهم اصالتها وانّ تقابلهما تقابل الوجوديّين [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ بِأَمْرِهِ] قرئ بنصب الشّمس و القمر و النّجوم و مسخّرات ، وقرئ برفعها فهى معطوفة على السّماوات على قراءة النّصب فيها ، اوعلى خلق بتقديرجعل ، اوعلى يغشى بتقديريجعل وعلى قراءة الرّفع فيها فهى مبتدء وخبر [أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] فذلكة لماسبق ولذا أتى باداة التّنبيه فانّه لمّا ذكرانّه خالق‌سماوات الارواح واراضى الاشباح وانّه المستوى القاهرعلى العرش الّذى هوجملة عالمى‌الامروالخلق ، ثمّ ذكرتدبيره للعوالم باغشاء اللّيل النّهارعلى وفق حكمته البالغة ، فانّه بهذا الاغشاء يتمّ تربية المواليد ولاسيّما غايتها الّتى هى الانسان ، فانّ الانسان بقالبه وقلبه تستكمل بتضادّ اللّيل والنّهاروتعاقبهما بجميع معانيهما وتسخير الشّمس

والقمر والنّجوم الّذى به يتمّ نظام العالم وينتظم معاش بنى آدم، استفيد منه مبدئيّته لعالمى الخلق والامر ومالكيّته لهما فنبّه على المستفاد واتى باللّام الدّالّة على المبدئيّة والمالكيّة والمنتهائيّة، مشيراً الى الاختصاص المؤكّد بتقديم الظّرف ثمّ مدح نفسه بكثرة الخيرات مؤكّداً بربوبيّة العالم بقوله [تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ثمّ فرّع عليه الامر بالدّعاء والتّضرّع، فانّ من لاشأن له سوى المخلوقيّة والمربوبيّة لاينبغى له الخروج عن التّعلّق والدّعاء والتّضرّع عند ربّه الّذى هو مالك الكلّ وصاحب الخيرات الكثيرة بقوله [أُدْعُوا رَبَّكُمْ] كأنّه قال اذا كنتم كذلك فادعوا ربّكم، والدّعاء يستعمل فى طلب ذات المدعوّ و فى طلب امرٍ آخر منه كأنّ المدعوّ فى الحقيقة هو ذلك الامر، والمدعوّ مطلوب من باب المقدّمة وكلّما اطلق الدّعاء كان المطلوب ذات المدعوّ لا امراً غيره الّا اذا اقامت قرينة على انّ المطلوب غيره، والمطلوب هناك ذات المدعوّ كأنّه قال انّه حاضر عليكم فى تدبير اموركم وانتم غائبون عنه فادعوه الى بيوت قلوبكم حتّى تحضروا عنده بخروجكم عن غيبتكم؛ وهو مشعر بما قالت الصّوفيّة من الفكر والحضور [تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً] مصدران لادعوا من غير مادّته فانّ التّضرّع و الخفية عبارة عن نوعى الدّعاء ما يظهر على اللّسان و ما لا يظهر، فانّ التّضرّع ملازم للظّهور على اللّسان اومايجهر به ومالايجهر به فانّ التّضرّع قلّما يخلو عن جهرٍ اوبتقدير المصدر اى دعاء تضرّع وخفية، اوحالان بكون المصدر بمعنى المشتقّ اوبتقدير مضافٍ اى ذوى تضرّع، ولااستبعاد فى ان يقال : المراد بالتّضرّع هو الدّعاء مع الشّعور به سواء كان بلسان القالب اوبلسان القلب، وبالخفية هو الدّعاء بلسان الحال والاستعداد من غير استشعارٍ به فانّ الخفية الحقيقيّة هى الّتى لايستشعر الدّاعى بها، وتعلّق الامر والتّكليف بها باعتبار مقدّماتها الّتى هى بشعوره واختياره، اويقال : المراد بالتّضرّع هو الدّعاء بلسان القالب وبالخفية هو الدّعاء بلسان القلب شاعراً بهما، وهما اللّذان يسمّيان فى عرف الصّوفيّة بالذّكر الجلىّ والذّكر الخفىّ [إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] المتكبّرين المستنكفين عن الدّعاء المتجاوزين مرتبتهم وشأنهم، لانّه من لا يدعو الله من العباد فقد تجاوز عن شأن عبوديّته، او المراد بالمعتدين المتجاوزون فى الدّعاء حدّ الدعاء و شأن الدّاعى من التّضرّع و الانكسار اوحدّ الوسط بالاجهار بالصّوت فى الدّعاء، اوحدّ الوسط بين التّرك والاصرار فانّه ورد : انّه مازال المظلوم يدعو على الظّالم حتّى يصير ظالماً [وَلَاتُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ] اعلم، انّ الانسان مالم يبلغ حدّ الرّشد والتّكليف شأنه شأن البهائم فى طلب المشتهيات بأىّ نحوٍ اتّفق و دفع المولمات كذلك وليس له شأن الايتمار و الانقياد الّا لمن يخاف منه على بدنه، وليس له شأن الاصلاح فى ارض العالم الصّغير ولا فى ارض العالم الكبير، فاذا بلغ وحصل له العقل حصل له شأنيّة الايتمار والاصلاح فى ارضى العالمين فى الجملة، فان ساعده التّوفيق ودعاه الدعاة الآلهيّون دعوةً عامّةً ظاهرة و قبل منهم وانقاد لهم بالبيعة العامّة النّبويّة وصار مسلماً كمل له شأنيّة الاصلاح وحصل له الانقياد فى الجملة، فان زاد توفيقه ودعاه الدّعاة الآلهيّون دعوة خاصّةً باطنة وقبل منهم وبايع معهم البيعة الخاصّة الولويّة وتمّ له الانقياد، فامّا ان يلتحق بملكوت الدّاعى ويحصل له حالة الحضور معه وهو المصلح الحقيقىّ فى العالمين، وامّا ان يطلب الالتحاق وشأنه دعاء ربّه والتّضرّع والالتجاء اليه فى غيبته حتّى يلتحق به وهو المصلح فى الجملة، وان خذله الله بعد حصول العقل وشأنيّة الاصلاح ولم يطلب الاسلام، اوطلب ودخل فيه ولم يطلب الايمان، اوطلب ودخل فيه ولم يكن يدعو ربّه ولم يطلب الالتحاق بملكوته صار مفسداً فى العالمين فكأنّه قال : ادعوا ربّكم ولاتتركوا الدّعاء فتفسدوا فى الارض [بَعْدَ إِصْلَاحِهَا] بالقوّة

لحصول العقل اوبالفعل بالاسلام والايمان وهكذا فى بواقى الاقسام فقوله: ولاتفسدوا فى الارض ، من قبيل اقامة المسبّب مقام السّبب كأنّه قال : لاتتركوا الدّعاء و الالتجاء و التّضرّع عليه فتفسدوا فى الارضين بعد شأنيّة اصلاحهما اوبعدفعليّة اصلاحهما ولكون هذا الدّعاء هوغاية كلّ عبادة وطاعة كرّره بذكرجهة اخرى من جهات الدّعاء فقال [وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً] مصدر ان اوحالان كما سبق والمعنى خوفاً من فراقه وعدم اجابته و طمعاً فى لقائه واجابته ، وسائر الوجوه المحتملة راجعة الى هذا ، اوضعيفة بحسب مقام دعوة الرّبّ؛ كخوف سخطه وخوف عقابه وخوف ردّه وخوف عدله وخوف ميزانه وخوف خذلانه والخوف من جلاله فانّ من استشعر فى حضور الملوك جلالهم استشعر خوفاً وهيبة فى نفسه من غير استشعار بسبب لتلك الهيبة ، واستعمال الطّمع للاشارة الى انّ الانسان لابدّ وان يكون مترقّباً للقاء الرّبّ ورحمته من غير نظر الى حصول اسبابه من قبله اومن قبل الله فانّ فعل الله لايناط بالاسباب ، لانّ الطّمع هوترقّب حصول الشّيء من غير تهيّة سبب لحصوله بخلاف الرّجاء ولمّا اوهم ذكر الطّمع قرينة للخوف ترجيح جانب الرّجاء وعدم الاناطة بسبب و شرط و استواء نسبة الرّحمة الى الكلّ بحسب القابل كماهو كذلك بحسب الفاعل، رفع ذلك بقوله [إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] تعليلاً للخوف والطّمع ، يعنى انّ رحمته من جهة الفاعل وان كانت مستوية النّسبة الى الكلّ غيرموقوفة على سبب و شرط لكنّها من جهة القابل متفاوتة النّسبة فليخف غير المحسن ولا يتّكل على عموم رحمته و استواء نسبتها وليطمع المحسن وليجدّ فى طلب لقائه ، وتذكير قريب بتأويل الرّحمة بالرّحم اوبتشبيهه بالفعيل بمعنى المفعول [وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً] قرء بالنّون و بالباء جمعاً للنّشوروالبشير وبالضمّتين على الاصل وباسكان العين تخفيفاً وبالفتح كالنّصر مصدراً وهو عطف على قوله، انّ ربّكم الله الّذى خلق السّماوات، وهولبيان الاعادة بطريق التّمثيل كما انّ الاوّل لبيان الابداء والتّدبير [بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ] يعنى المطر، فانّه يسمّى بالرّحمة فى العرف ولايخفى تعميم الرّياح والرّحمة وان كان التّمثيل بحسب ظاهر التّنزيل [حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً] بالاجزاء الرّشيّة المائيّة ، جمع الوصف وافراد الضّمير فى [سُقْنَاهُ] باعتبار معنى الجنس ولفظه [لِبَلَدٍ] اليه اولسقيه اولاحيائه [مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا] فى ذلك البلد الميّت [بِهِ الْمَاءَ] اى بالسّحاب اوالضّمير راجع الى البلد و الباء بمعنى فى [فَأَخْرَجْنَا بِهِ] بالماء اوبالسّحاب اوبالبلد [مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ] اى كما ترون من نشر الرّياح وحمل السّحاب وسوقه الى البلد الميّت واحيائه باخراج الثّمرات [نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ] عن الحيوة الحيوانيّة اوعن الحيوة الحقيقيّة الانسانيّة بنشر الرّياح المختلفة وسوق سحاب الرّحمة باعداد الرّياح المختلفه من الاستحالات والانقلابات والانتقالات والبلايا والامتحانات ، وتهييج الشّهوات وايذاء السّخطات ووسوسة الشّياطين الجنّيّة والانسيّة ، واذاهم الّذى عاهدناهم عليه بقولنا ولتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الّذين اشركوا اذىً كثيراً حتّى ينزعجوا عن قبر الطّبع الجماديّ اوالنّفس النّباتيّة اوالنّفس الحيوانيّة ويحيوا بالحيوة الانسانيّة و يخرج فى ارض وجودهم كلّ الثّمرات الآلهيّة [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] غاية للممثّل به اوللمثل او للتّمثيل [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ] كأنّه استدراك لما توهّم من تساوى البلاد فى خروج النّبات منها وتساوى الاموات فى كيفيّة الاحياء وحالة الحيوة ،كأنّه قال ولكنّ البلد الطّيّب يخرج نباته باذن ربّه يعنى يخرج جميع مايمكن ان ينبت فيه ، فانّه المستفاد منه بحسب مخاطبات العرف خصوصاً مع

اضافة النّبات المشعرة بالعموم و مع المقابلة مع قرينه وهوقوله [وَالَّذِى خَبُثَ] بالنّسبة الى الاراضى الصّالحة بسبب كونه سبخة [لَايَخْرُجُ] نباته [إِلَّانَكِداً] قليل المقدارعديم النّفع [كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ] نعمناالظّاهرة والباطنة وان كان بصورة الرّياح المختلفة والابتلاءات والنّقمات، فانّ تصريف امثال هذه الآيات لمن عرف انّها نعم لا لمن رآها نقماً ولايشكر بل يكفربسببها، فانّ كفره وكفرانه ليس غاية لفعلنا بل هومترتّب عليه بالعرض، ونقل انّه قال عمروبن العاص للحسين بن علىّ عليهما السّلام: مابال لحاكم اوفر من لحانا؟ فقرأ هذه الآية، وامثال هذا التّفسيرللآيات تدلّ على جواز تعميمها فى كلّ مايمكن ان تصدق عليه حقيقةً اومجازاً [لَقَدْأَرْسَلْنَانُوحاًإِلٰى قَوْمِهِ] بعد ذكر الابداء والتّربية والتّدبير والاعادة بالتّمثيل ذكر تعالى ارسال الرّسل ليكونوا على ذكر منه فلايستغربوا رسالة البشر، وذكرقصصهم مع اقوامهم وما قالوا لهم وما فعل بالمقرّ والمنكر منهم تسلية للمؤمنين وتهديداً للمنكرين المكذّبين [فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوااللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ] امرهم بالتّوحيد وعبادة ذلك الواحدكما هو ديدن جميع الانبياء [إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] ان تتركوا عبادته و توحيده [قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ] اى المترفون والرّؤساء، فانّ الاتباع لاشأن لهم الّاالقبول والتّقليد وعدم اتّباعهم للانبياء لانّ نظرهم الى الدّنيا وكان المترفون فى نظرهم اجلّ شأناً من الانبياء [إِنَّالَنَرٰيكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ] لما رأوه مخالفاً لسيرتهم المحبوبة الدّنيويّة الّتى يحسبونها احسن ما يكون فانّ كلّ حزب بمالديهم فرحون، ولذااكّدوه بتأكيدات [قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ] داراهم بنفى معتقدهم ولذا لم يؤكّده مثل تأكيداتهم [وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَكُمْ] اتى باللّام اشارة الى خلوص النّصح عن شوب الخديعة [وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ] يعنى من صفاته وتدبيره اوبافاضةالله [مَالَاتَعْلَمُونَ] بلّغ اوّلاً رسالته مع تعقيبه بالانذار و لمّاكذّبوه بابداء اعتقاد ضدّ الرّسالة و هو الضّلالة نفى معتقدهم واثبت دعواه مع لازمها الّذى هوالتّبليغ، ثمّ عقّبها بما لاينبغى ردّه من النّصح والعلم بما ليس لهم علم به مداراةً معهم و اظهاراً للرّأفة بهم [أَوَعَجِبْتُمْ] اى اكذّبتم وعجبتم يعنى لاينبغى التّعجّب منكم [أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ] اى ما به تذكّركم للآخرة [عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ] ابدل الرّسالة الّتى فيها الشّقاق والعناد بلازمها الّذى فيه صلاحهم وهوتذكّرهم بعواقب امورهم واضافه الى الرّبّ المضاف اليهم حتّى يكون اقرب الى النّصح والقبول، ثمّ عقّبه بغايات ثلاث مترتّبة منسوبة الى الرّسول والمرسل اليهم والمرسل و فى الكلّ صلاحهم و نفعهم لابداء انّ دعواه الرّسالة ليست الّا محض نفعهم حتّى يكون ابعد من الشّغب، فقال [لِيُنْذِرَكُمْ] عمّا انتم عليه ممّا ليس فيه الّا الشّرّ والسّوء [وَلِتَتَّقُوا] عمّا فيه فسادكم بالتّوجّه والرّغبة فيما فيه صلاحكم [وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] من ربّكم وهوحسن العاقبة [فَكَذَّبُوهُ] مع انّه لم يبق لهم عذر فى تكذيبهم [فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ] من المؤمنين [فِى الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ] ولم يبق لهم بصيرة حتّى نترقّب استبصارهم ولانؤاخذهم [وَإِلٰى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً] المراد اخوة العشيرة والقبيلة لا اخوة الدّين [قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوااللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَاتَتَّقُونَ قَالَ

الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ] تسفيه العقل فى الانظار اقبح من نسبة الضّلالة [وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ] كأنّه كان معروفاً بينهم بالامانة و لذا توسّل به [أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً] ذكّرهم بنعم‌الله عليهم بعد تذكيرهم ضمناً بنقم‌الله على قوم نوح تخويفاً لهم من زوالها بأحسن وجه [فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ] تعميم بعدتخصيص تأكيداً [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] عن‌الصّادق(ع) انّه قال : اتدرى ماآلاءالله ؟- قيل : لا ، قال : هى اعظم نعم‌الله على خلقه وهى ولايتنا [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] جعلوا لغاية سفههم مقلّدات آبائهم علوماً قطعيّةً ولذلك تحدّوا بما ذكر [قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ] اى عذاب اتى بقد والماضى تحقيقاً لتحقّقه ، او للاشارة الى انّ ماهم عليه من السّفاهة و الضّلالة والمجادلة مع رسول‌الله (ص) عذابٌ اليمٌ ، لكنّهم لايدركون ألمه لكون مداركهم‌خدرةً [وَغَضَبٌ] اخّر الغضب مع انّه بالتّقديم اولى لتقدّمه ذاتاً وشرفاً ، لانّه لايظهر الّابالرّجس المسبّب عنه فالرّجس اسبق‌ظهوراً منه [أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ] اعلم، انّ الاسم ما يدلّ على شيء آخربحيث‌لايكون حين‌الدّلالةعلى‌المسمّى منظوراً اليه ومقصوداً ومحكوماًعليه بشيء ، سواءكان ذلك الدّالّ لفظاً اونقشاً اومفهوماً ذهنيّاً اوذاتاً خارجيّاً مثل‌لفظ زيد ، فانّه اسم للّذات المعيّنةالمخصوصة واذا اريد دلالته‌على‌تلك‌الذّات‌فى‌قولنا: جاء زيدٌ، لم‌يكن ذلك‌اللّفظ منظوراً اليه ولامحكوماً عليه بهذا الاعتبار، بل‌النّظروالقصد الى تلك الذّات بحيث يكون اللّفظ مغفولاً عنه ، وبهذا الاعتبار هو اسم للذّات ولا يحكم عليه بشيء من الاحكام ، واذا اعتبرهذا اللّفظ من حيث اعتباره فى نفسه مع قطع‌النّظرعن اعتباردلالته على‌المسمّى بل من حيث انّه مركّب عن حروف ثلاثة متحرّك الاوّل ساكن الاوسط يصيرحينئذٍ محكوماً عليه ومنظوراً اليه ومسمّىً باسم‌اللّفظ والموضوع والاسم المقابل للفعل ، وهذان الاعتباران‌كما هما ثابتان للالفاظ الدّالّة والاسماء اللّفظيّة كذلك ثابتان لكلّ مايدلّ على‌غيره من‌الذّوات ، ثمّ اعلم ، انّ جميع‌الاشياء من‌الذّوات النّوريّة الملكيّة والظّلمانيّة الطّبيعيّة والشّيطانيّة‌آثار صنعه تعالى ودوالّ وحدته وعلمه وقدرته ومظاهرجوده ولطفه وقهره ، وهى بهذا الاعتبار اسماؤه ولاحكم لها ولا اسم ولا رسم و ليست مسمّيات وهى بهذا الاعتبار قضاؤه ؛ والرّضا بها واجب وعبادتها عبادة الله ومحبّتها محبّة الله لأنّها غيرمنظورات ولامقصودات بهذا الاعتبار، واذا جعلت منظوراً اليها ومحكوماًعليها ومسمّيات باسمائها الخاصّة كانت بهذا الاعتبارمقابلات له تعالى‌وثوانى ولم‌تكن‌دوالّ ذاته وعلمه وقدرته بل‌كانت حينئذٍ مدلولات ومسمّيات ومقضيّات ، والنّظر اليها وعبادتها والرّضا بهاكفر وشرك والنّاظر ملوم ومذموم ، وبهذا الاعتبارورد: الرّضا بالكفر كفر. ثمّ اعلم ، انّ الانسان ما لم يخرج من بيت نفسه ولم‌يهاجر الى رسول‌صدره ولم يتوجّه الى نبىّ قلبه باعانة ولىّ امره لايمكن له النّظرالى الاشياء من حيث انّها دوالّ ذاته تعالى بل لايرى فى‌الوجود الّا الاشياء المتكثّرة المقابلة للوحدة مستقلّات مدلولات‌مسمّيات وان‌كانت بحسب الواقع ونفس

الامر متعلّقات صرفة غير مستقلات لاحكم لها اصلاً، لكنّها فى نظر هذا المتوطّن فى بيت نفسه وبلد طبعه لاشأن لها الّا المباينة والاستقلال وعدم التّعلّق والدّلالة على شيء، لكنّه لمّا كان مأموراً بالخروج من هذا البيت وحجّ بيت الله القلب والطّوف به بل الاقامة عنده ثمّ الوصول الى ربّه والحضور لديه، ولا يمكنه الخروج الّا باعانة معاون خارجىّ و رفاقة رفيق بشرىّ و كلّما فرض معاوناً له ليس فى نظره الّا محكوماً عليه ومستقلاً و مسمّى غير دالّ على الله وغير اسم له، جعل الله تعالى له معاوناً يعينه على خروجه و امره باتّباعه ونصب له حجّة على جواز النّظر اليه و الاخذ منه والتّضرّع لديه وان كان فى نظره مسمّى ومحكوماً عليه ومستقلاً، فكونه مطاعاً ومتبوعاً ومعبوداً عبادة الطّاعة مع كونه ثانياً لله ومقابلاً ومسمّى ومحكوماً عليه فى نظره ممّا انزل الله به حجّة وسلطاناً وليس النّاظر اليه مذموماً وملوماً ولا كافراً ومشركاً، اذا علمت ذلك فمعنى الآية لاينبغى لكم المجادلة مع الرّسول فى تصحيح اسماء لا حكم لها و ليست مسمّيات و مستقلات بل متعلّقات صرفة و روابط محضة جعلتموها انتم وآباؤكم مسمّيات بمقتضى وقوفكم فى رساتيق انفسكم، والحال انّها [مَا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهَا] اى معها اوفيها او بسببها [مِنْ سُلْطَانٍ] اى سلطنة او حجّة و برهان من هذه الحيثيّة اى كونها مسمّيات و منظوراً حتّى يرفع اللّوم عنكم ويتبدّل شرككم بالنّظر الى الحجّة بالتّوحيد بوجه ما [فَانْتَظِرُوا] امر الله فى حقّكم وحقّى [إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ] آمنوا [مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا] التّقييد به تنبيه على انّه لايجوز لاحد النّظر الى عمله والاتّكال عليه، فانّ العمل ليس له الّا اعداد القابل للقبول وامّا فعل الفاعل فغير مسبّب عنه كما مرّ مراراً [وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] تكليفاً [وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ] تكويناً اوكلاهما عامّان اوخاصّان بمعنىً واحد، والثّانى تأكيد للاوّل ومعنى قطع الدّابر الاستيصال وعدم بقاء عقب لهم، وورد انّ هوداً (ع) و صالحاً (ع) و شعيباً (ع) واسمعيل (ع) ونبيّنا (ص) كانوا يتكلّمون بالعربيّة [وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً] ثمود اسم قبيلة مسمّاة باسم ابيهم ثمود من اولاد سام بن نوح (ع) وصالح (ع) كان من اولاده، اوثمود اسم قرية صغيرة على ساحل البحر لاتكمل اربعين بيتاً كما فى الخبر [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً] هذه ناقة الله مبتدء وخبر مستأنف لبيان البيّنة ولكم حال عن ناقة الله، اوعن آية، اوخبر بعد خبر، وآية حال مترادفة، اومتداخلة، اومنفردة، اوناقة الله بدل من هذه، اوعطف بيان و لكم خبر وآية حال من المستتر فيه [فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللّٰهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا] تذكير للنّعم بعد التّهديد من النّقم [إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ] الّتى هى خزنتها [بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللّٰهِ] تعميم بعد تخصيص [وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا] ديناً او مالاً او حالاً اوجسماً [لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ] بدل من قوله تعالى للّذين بدل الكلّ ان كان المراد الاستضعاف فى الدّين والطّريقة، اوبدل البعض ان كان المراد مطلق الاستضعاف [أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ] استهزؤا بهم [قَالُوا] فى جوابهم من غير مبالاة باستهزائهم زائداً على الجواب الّذى هو الاقرار برسالته بالانقياد لما ارسل به والطّاعة له [إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا

بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ] بتحريكٍ بعضهم ورضا بعضٍ وعقر بعضٍ [وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ] على لسان صالحٍ وهوقوله فذروها تأكل في ارض الله اوعن مطلق امره على لسان نبيّه ولم يطيعوه في شيءٍ منه ، اوعن امر ربّهم الّذى هو العقل وحكمه فانّه امر تكوينيّ [وَقَالُوا] تجرّياً على الرّبّ ورسوله [يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة ولاينافيها قوله تعالى فاخذتهم الصّيحة كما في سورتى هودٍ والحجر لانّ الزّلزلة كانت مسبّبة عن الصّيحة [فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] ملزقين بالارض و الجثوم اللّزوم بالمكان [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ] بعد ماابصرهم صرعى، والاتيان بالمضارع في قوله ولكن لاتحبّون النّاصحين لتصوير المضيّ حالاً احضاراً له واشارة الى انّ هذاكان ديدنهم كأنّه لاينفكّ عنهم حتّى بعدالموت ، اوالمعنى فتولّى عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم والاتيان به مصدّراً بالفاء بعد ذكر اهلاكهم لانّه تفصيل لسبب الاهلاك ومن قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [وَقَالَ] تحسّراً اوتبرّياً [يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] قصّة صالح وناقته وكيفيّة خروجها باقتراحهم عن الجبل ومتاركته مع نومه وكيفيّة عقر النّاقة واهلاكهم مذكورة في المفصّلات [وَلُوطاً] عطف على نوحاً ولوط (ع) كان ابن خالة ابراهيم (ع) وكانت سارة زوجة ابراهيم (ع) اخت لوطٍ وخرج ابراهيم (ع) من بلاد نمرود الى الشّام ومعه لوطٌ وسارة وخلّف لوطاً بادنى الشّامات للدّعوة وذهب هو الى اعلى الشّامات [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ] في الدّعوة والمعاشرة لافي النّسب والملّة [أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] المعهودة وهي اتيان الرّجال والاعراض عن النّساء [مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً] صرّح بما كنّى عنه اوّلاً تفضيحاً وتوبيخاً ولذلك اتى به مؤكّداً بتوكيداتٍ توكيداً للتّوبيخ [مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ] يعني لستم عادلين بل انتم قوم مسرفون ، فهو من قبيل العطف باعتبار المعنى [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ] يعني ماكان لهم جواب يصلح لمقابلة محاجّته ونصحه ولذا عدلوا عن المحاجّة اللّسانيّه الى المغالبة القالبيّة وعلّلوه بما هو دليل صحّة نصحه، فقالوا [إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] من الفواحش وامثال افعالنا [فَأَنْجَيْنَاهُ] بعد اتمام الحجّة عليهم [وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ] فانّها كانت تسرّ الكفر و توالى اهل القرية [كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً] عجيباً و هو امطار الحجر [فَانْظُرْ] يا محمّد (ص) اويامن يمكن منه النّظر [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] في الخبر انّ لوطاً (ع) لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثّهم على الطّاعة ، فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لايتطهّرون من الجنابة بخلاء اشحّاء على الطّعام فاعقبهم البخل الدّاء الّذى لادواء له في فروجهم، وذلك انّهم كانوا على طريق السّيّارة الى الشّام ومصر وكان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضّيف فضحوه ، وانّما فعلوا ذلك لينكل النّازلة عليهم من غير شهوةٍ لهم الى ذلك فأوردهم البخل هذا الدّاء حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجعل ، وكان لوط (ع) سخيّاً كريماً يقرى الضّيف اذا نزل بهم فنهوه عن ذلك ، فقالوا لا تقر ضيفاناً تنزل بك فانّك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط (ع) اذا نزل

به الضّيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه وذلك انّه لم يكن للوط (ع) عشيرة فيهم [وَإِلىٰ مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً] نقل انّهم كانوا اولاد مدين بن ابراهيم (ع) وشعيبٌ كان منهم وسمّوا باسم جدّهم وسمّيت قريتهم به ايضاً وهى لا تكمل اربعين بيتاً [قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] والبيّنة هى محاجّته الواضحة الّتى لا يمكنهم ردّها لانّها كانت ممّا يرتضيها كلّ ذى شعورٍ خالٍ عن اللّجاج ، فانّ معرفة الرّسول برسالته اولى من معرفته بالمعجزة او معجزة كانت له مثل معجزة صالح و لكن لم تذكر لنا [فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ] يعنى بعد اتيان البيّنة لاعذر لكم فى عدم قبون قولى فتقبّلوه واوفوا الكيل والميزان والايفاء اداء تمام ما حقّه ان يؤدّى و المراد ايفاء ما يتقدّر بالكيل و الوزن نسب اليهما لاستلزام نقصان المكيل نقصان الكيل وكذا الموزون ومايوزن به كما نسب النّقص اليهما فى محلٍّ اخر ، ولايخفى عليك تعميم الكيل والميزان للمحسوس منها و غيره من الانبياء و الاولياء و اخلاقهما و سننهما وآدابهما و من الكتب السّماويّة و الشّرائع الآلهيّة ، وهكذا التّعميم فى العالم الكبير والصّغير [وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ] امّا تأكيد لايفاء الكيل والميزان على ان يكون المراد بالاشياء هى المكيلات والموزونات اويكون المراد بالمكيل والموزون هومطلق الاشياء بناء على تعميم الكيل والميزان ، فانّه ما من شيءٍ جسمانىٍّ اوغير جسمانىٍّ الّا يمكن فيه تحديد اوتعميم بعد تخصيص على ان يكون المراد بالمكيل و الموزون المتقدّرين بالآلة المخصوصة ، او تأسيس و تفصيل مع سابقه لكيفيّة المعاشرة على ان يكون المراد ببخس النّاس اشياءهم اخذ الزّيادة عن الحقّ منهم ، اوتخصيص بعد تعميم بناءً على تعميم الكيل والوزن حتّى يكون اعمّ من المعاملة مع النّاس و من المعاملة مع الله و يكون شاملاً لجميع الاشياء و تخصيص البخس بالنّاس او بينهما عموم من وجه بناءً على تخصيص الكيل و الميزان بما يتقدّر بهما سواء كان المعاملة مع الله اومع النّاس وتعميم الاشياء وتخصيص البخس بالنّاس [وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] تعميمٌ بعد تخصيص كسابقه اوتأسيس على ان يكون المراد بالافساد اهراق الدّماء والقاء العداوة بين العباد والاسر والنّهب والتّعدّى عليهم ومنع جميع الحقوق من اهلها واعطائها لغير اهلها ، اوعلى ان يكون المراد بالافساد هومنع العباد من طريق الآخرة وهوطريق الولاية فيكون قوله: و لا تقعدوا بكلّ صراط توعدون تفسيراً له ، والمراد بالارض اعمّ من ارض العالم الصّغير والعالم الكبير [بَعْدَ إِصْلاحِها] بالعقل فى الصّغير وبالانبياء واوصيائهم فى الكبير ، والمراد بهذا القيد بيان انّ الواقع هكذا والاشعار بغاية قبح الافساد لا التّقييد به [ذٰلِكُمْ] المذكورمن الايفاء وترك البخس والافساد [خَيْرٌ لَكُمْ] ممّا تزعمونه خيراً من جلب النّفع بالتّطفيف والافساد ، اوالمراد مطلق الفضل لاالتّفضيل فانّه كثيراً ما يستعمل من غير ارادة التّفضيل [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] معتقدين بالله والآخرة شرط تهييج بناءً على كون ايمانهم بالله مقطوعاً به للمتكلّم والمخاطب بحسب اقرارهم ، اوشرط تقييد بناءً على كونه مشكوكاً فيه اومنزّلاً منزلة المشكوك سواء قدّر الجزاء موافقاً لاوفوا (الى آخره) اوموافقاً لقوله : ذلكم خيرلكم و على التّقييد يكون بمفهومه تهديداً لهم يعنى ان لم تكونوا مؤمنين فافعلوا ما شئتم او فليس ذلكم خيراً لكم بل لم يكن حينئذٍ فرق بينه و بين ضدّه لكم [وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ] اخّره عن قوله : ذلكم خير لكم اشارةً الى عدم تسويته مع ما سبق فى القبح و انّه لايتصوّر فيه خير

نفسانيّ ايضاً و انّه اقبح الاشياء للمؤمنين و غيره ، و قيل فى نزوله : انّهم كانوا يقعدون فى الطّريق يتوعّدون من اراد شعيباً ومن آمن به ويلقون الشّبهات على الخلق باظهاراعوجاج دينه واختلال طريقه كماكان ديدنالخلق كذلك قديماً وجديداً خصوصاً فى زماننا هذا ، اوالمقصود نهيهم من القعود فىطرق النّفوس كالشّيطان وصدّ سبيلهم الىالله والىخلفائه [وَتَصُدُّونَ] عطف على توعدون [عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ] اى بالله يعنى تصدّون من أيقن بالله عن سبيلالله الّتىهىقبول النّبوّة بالبيعة العامّة اوتصدّون منآمن بالله بقبول الدّعوة العامّة وبالبيعة النّبويّة عن سبيلالله الّتى هى قبول الولاية بالبيعة الخاصّة [وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً] تطلبون لسبيلالله اعوجاجاً حتّى تظهروه علىالخلق وتصدّونهمعنها اوتبغونها من حيث عوجها اوتبغونها حالكونها معوجّة يعنى انكانت معوّجة تطلبونها بخلاف ما اذا كانت مستقيمة ّلاعوجاجكم [وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ] بعد ما امرهم و نهاهم بضدّ فعلهم ذكّرهم نعمة الله الّتى هم فيها من البركة فى النّسل او فى المال ليكسر به سورة غضبهم حتّى يستعدّوا لقبولنصحه بتذكّر النّعمةوشكرها [وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] ذكّرهمالنّعمة الّتى هى اثر رحمته تعالى والنّقمة الّلاحقة لامثالهم بسبب الافساد الّتى هى اثرغضبه جمعاً بين اللّطف والقهر والتّبشيروالانذار كماهووظيفةالدّعوةوالنّصح [وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا] الاتيان باداة الشّكّ امّاللتّجاهل اولشكّ المخاطب [فَاصْبِرُوا] فانتظروا ، الخطاب لمجموع الطّائفتين وعداً للمؤمنين ووعيداً للكافرين [حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] امّا فى الدّنيا بنصرة المحقّ على المبطل او فىالآخرة بانعام المحقّ والانتقام من المبطل .

[الجزء التّاسع]

[قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا] بعد العجز عن المحاجّة و الحجّة اجابوه بالتّخويف كما هو شأن اهل الزّمان من المبادرة الى التّهديد بالقتل و نحوه عند العجز عن الحجّة [أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا] لمّا كان اعتقادهم انّ شعيباً كان على ملّتهم ثمّ خرج منها و ادّعى النّبوّة اعزازاً لنفسه قالوا : لتعودنّ ، اوكان (ع) قبل التّكليف مستنّاً بظاهر سننهم ثمّ خرج منها حينالرّشد اوحين اظهارالنّبوّة اوغُلّب جانب اتباعه فىاطلاقالعود ، عليه اوالعود بمعنى الصيرورة منالافعال النّاقصة ، وعلى ايّ تقديرٍ لا يلزم منه ان يكون(ع) على ملّة باطلة حتّى يرد انّ الانبياء(ع) معصومون عن الخطاء و الشّرك [قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ] تعيدوننا فى ملّتكم يعنى انّ الدّخول فى الملّة حقيقةّ لايكون الّا عن اعتقاد بصحّتها ، ولايقع الاعتقاد بصحّة ملّة الّا من حجّة ، ولاحجّة لكم علىصحّتها بل لى الحجّة على بطلانها فكيف يتصوّر لى الدّخول فىملّتكم مع كراهتى للدّخول فيها [قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً] مصدرٌ تأكيديٌ او الكلام مبتنٍ على تجريد الافتراء من مفهوم الكذب [إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ] يعنى ان عدنا فىملّتكم يلزمنا الافتراء علىالله وهوالّذى افرّ منه واذمّكم عليه ، ولزوم الافتراء امّا باعتبارادّعاء النّبوّة منالله ، اوباعتبار تصحيح ملّتهم مع انّها عندالله باطلة ، او باعتبار ابطال ملّتهم قبل العود فانّه يلزم عند العود

فيها افتراء ابطالها ، او باعتبار ابطال ملّته بعد الدّخول او باعتبار الكلّ [بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللهُ مِنْهَا] و فی اتيان نجّينادون اخرجنا دلالة على انّه (ع) لم يكن على ملّتهم، ولمّا كان المفهوم من قولهم اولتعودن فی ملّتنا بحسب المقام تهديدهم باجبار العود لم يكتف فی الجواب بقوله اولو كنّا كارهين واتى بما يدلّ على انّهم لايقدرون على الاجبار الّا اذا شاءالله ليكون ردّاً عليهم واظهاراً لدعوى التّوحيد بوجه آخر فقال [وَمَا يَكُونُ لَنَا] يعنى ما يمكن لنا فلا يمكن لكم اجبارنا ايضاً [أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا] التّوصيف للاشارة الى انّ له التّصرّف والتّعريض بعدم جواز تصرّف الكفّار فی وجودهم ليصير كالعلّة لتعلّق العود على المشيّة [وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] كرّر ربّنا لازدياد تمكّن ربوبيّته والجملة امّا حال من الله اومستأنفة جواباً لسؤال محتمل اوللمدح [عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا] وضع الظّاهر موضع المضمر تمكيناً له بالآلهيّة فی النّفوس واشعاراً بعلّة الحكم [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ] التجأ الى الله واستغاث منه بعد ماحاجّ قومه و أجابهم بما أجابهم ولم ينجع فيهم ، والفتح بمعنى القضاء اوبمعنى الفصل اومن الفتح الّذى يستعمل فی الامور الصّعبة [وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ] فی الدّنيا بعدم عزّتكم فی الخلق وعدم حسن معاشرتهم معكم ، وفی الآخرة باستحقاقكم العذاب لضلالتكم وعدم شفيع لكم لانحرافكم عن الاصنام وامثالها ، وعن السّيرة الّتى شاهدناها من آبائنا وكنّا عليها واعتدناها وما تضرّرنا بها [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة ولاينافى هذا ما فی سورة هود من قوله تعالى و اخذت الّذين ظلموا الصّيحة فی حقّ قوم شعيب لانّ الزّلزلة قلّما تنفكّ عن الصّيحة [فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] جثم الانسان من باب ضرب ونصر لزم مكانه فلم يبرح اووقع على صدره اوتلبّد بالارض [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا] اى فی الدّار سواء اريد منها القرية اوالدّور، والمعنى المنزل و وضع الموصول موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وذمّاً لهم بهذا الوصف وتمكيناً له فی الاذهان ليكون عبرة ولذلك كرّره وقال [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ] وهوردّ لقولهم لئن اتّبعتم شعيباً انّكم اذاً لخاسرون ولكونه ردّاً عليهم جاء بضمير الفصل للاشارة الى الحصر الاضافیّ [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ] بعداهلاكهم اوقبل اهلاكهم ، واتيان الفاء للتّرتيب فی الاخبار لا فی التّحقّق [وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ] اى كيف احزن عليهم لهلاكهم مع كفرهم اوكيف ادعولهم ولاادعوعليهم [وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ] البأساء الشّدّة والفقر والشدّة فی الحرب [وَالضَّرَّاءِ] فی الاموال والانفس [لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ] اعلم ، انّ المانع من قبول النّبوّة والانقياد تحت احكام القالب وكذا من قبول الولاية والانقياد تحت احكام القلب هواستبداد الانسان بالرّأى واستقلاله فی الأمر وظنّ عدم احتياجه الى غيره ، وكلّ ذلك من صفات النّفس والخيال ، وهذه هی المانعة من ظهور حقّيّة المحقّ وبطلان المبطل، ولمّا كان تماميّة الدّعوة بوجود الدّاعی ودعوته واستعداد القابل واستحقاقه وانتفاء المانع ومنعه فاذا اراد الله تعالى

هداية قوم ودعوتهم الى الحقّ، سواء كان ذلك فى العالم الكبير او الصّغير بعث اليهم من يدعوهم اليه ليتحقّق الدّعوة و اخذ المدعوّين بالبأساء والضرّاء، ليستعدّوا بذلك و يرتفع المانع من قبول دعوة الدّاعى والحاجب من ظهور حقّيّته وليتضرّعوا ويلتجؤا بترك الاستبداد والانانيّة حتّى يستحقّوا بذلك رحمة الله وقبول دعوة الدّاعى [ثُمَّ بَدَّلْنٰا مَكٰانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ] يعنى عادتنا الابتلاء تارة بالسّيّئات وتارة بالحسنات ليتمّ حجّتنا ودعوتنا ولم نجعلهم مسلوبى الاختيار فى قبول الدّعوة فانّه فى اجبارهم لايحصل المطلوب من امتياز السّعيد عن الشّقىّ و عمارة الدّارين [حَتّٰى عَفَوْا] محواً عن قلوبهم آثار البأساء والضرّاء و المهما اومحوا تضرّعهم والتجاءهم اوزادوا فى المال والاولاد اوزادوا فى العلم فبطروا [وَقٰالُوا] حالاً اوقالاً [قَدْ مَسَّ آبٰاءَنَا الضَّرّٰاءُ وَالسَّرّٰاءُ] يعنى انّ الضرّاء و السرّاء من عادة الدّهر قالوا ذلك للتّلويح بانّه لاينبغى ترك التّمتّع ولا الالتجاء والتّضرّع [فَأَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً] من غير تقديم امارات [وَهُمْ لٰا يَشْعُرُونَ] لعدم تقدّم الامارات [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ] قرى العالم الكبير اوقرى العالم الصّغير [آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَاتَّقَوْا] بالبيعة الخاصّة فانّ التّقوى الحقيقيّة لايمكن حصولها الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة، لانّ حقيقة التّقوى كماسبق هى التّحرّز عن الطّريق المعوجّة النّفس الّتى توصّل السّالك الى الملكوت السّفلىّ، وبعبارة أخرى هى التّحرّز عن السّلوك الى الملكوت السّفلى و دار الجنّة ولا يمكن ذلك التّحرّز الّا بامتياز الطّريق المستقيم الّذى يوصل سالكه الى الملكوت العليا وسلوك ذلك الطّريق، ولايحصل الامتياز الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة لانّ بها انفتاح باب القلب الى الملكوت العليا وظهور طريقه اليها الّذى هو الطّريق المستقيم، وللاشارة الى هذا المعنى اخّر التّقوى ههنا عن الايمان وان كانت بمعنى آخر مقدّمة على الايمان، اوالمعنى، لوانّ اهل القرى آمنوا بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة واتّقوا ماينافى ايمانه الدّاخل فى قلبه من الفعليّة الحاصلة فى قلب المؤمن من قبول الولاية ومن الذّكر المأخوذ من صاحبه ومن الفكر الحاصل من مداومة الذّكر الّذى هو ملكوت الامام وصورته المثاليّة الّتى تظهر على قلب المؤمن السّالك ويشاهدها فى مرآة صدره؛ هذا فى الكبير، وامّا فى الصّغير فالمعنى لوانّ اهل القرى آمنوا واذعنوا بحكومة العقل ولاسيّما العقل المنقاد لولىّ الامر واطاعوه فى حكومته واتّقوا من مخالفة احكامه [لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَالْأَرْضِ] اعلم، انّ الانسان بحسب التّحليل الاوّل ينحلّ الى جزءٍ روحانىّ سماوىّ وجزءٍ جسمانىّ ارضىّ، وله بحسب كلّ جزءٍ حاجات وطلبات وملائمات و منافرات وهما اللّتان يعبّر عنهما بالخيرات والشّرور، والبركة هى الزّيادة و الكثرة فى الخيرات فاذا آمن الانسان وانقاد لكثر خيراته الجسمانيّة الحاصلة من الارض وخيراته الرّوحانيّة الحاصلة من السّماء؛ و ايضاً كثر خيراته الرّوحانيّة والجسمانيّة من اعتناق سماوات الطّبع مع ارض الطّبع، ومن اعتناق سماوات الارواح مع اراضى الاشباح النّوريّة و الظّلمانيّة ذلك تقدير العزيز العليم [وَلٰكِنْ كَذَّبُوا] الرّسل (ع) واوصياءهم (ع) والعقل وحكمه [فَأَخَذْنٰاهُمْ] اى عاقبناهم [بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] من نتائج اعمالهم وتكذيبهم [أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرىٰ] امّا بتقدير معطوف بين الهمزة والفاء اى الم يؤمنوا بعد ذلك فأمنوا، اوهو على التّقديم والتّأخير معطوف على اخذناهم بتقدير القول والتّقدير فيقال بعد ذلك: اآمن اهل القرى [أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنٰا بَيٰاتاً وَهُمْ نٰائِمُونَ] والمقصود من اهل القرى المكذّبون لمحمّد (ص) والواقفون من الايمان به [أَوَأَمِنَ

اَهْلُ الْقُرٰى اَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنٰا ضُحىً] وقت ارتفاع الشّمس [وَهُمْ يَلْعَبُونَ] لمّا كان المقام مقام التّهديد كرّر اهل القرى ولفظ بأسنا جرياً على ما عليه العرف فى المخاطبات فانّهم كثيراً ما يكرّرون الالفاظ من شدّة الغيظ اولتمكين التّهديد [أَفَاَمِنُوا مَكْرَ اللّٰهِ] اتى بالفاء لتفاوت مابين البأس حين الغفلة و المكر بخلاف بأس اللّيل وبأس الضّحى ، فانّ اتيان عذاب الله امّا مع تقدّم امارات له اومن غير تقدّم امارات وهو البأس بغتةً حين النّوم اوحين اللّعب اومع تقدّم امارات ضدّه وهو المسمّى بالاستدراج والمكر لشباهته بمكر المخلوق [فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ] بنقص عقولهم الّتى هى بضاعتهم فانّ العاقل حين تجدّد النّعمة يحتمل النّقمة بالنّعمة فيخاف عاقبتها بخلاف الجاهل فانّ نظره الى صورة النّعمة لايتجاوزها الى احتمال اندراج النّقمة فيها [أَوَلَمْ يَهْدِ] قرئ بالنّون وبالغيبة وعلى هذا القراءة فالفاعل ضمير المصدر اى الم يقع الهدى او ضمير أخذ المكذّبين بماكانوا يكسبون ، أوالفاعل قوله ان لونشاء اصبناهم يعنى الم يهد قدرتناعلى الاصابة ان شئنا ، بمعنى علمهم بقدرتنا من ملاحظة حال الماضين [لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرْضَ] اللّام للتّقوية او لتضمين يهد معنى يبيّن اى الم يبيّن للّذين يرثون الارض [مِنْ بَعْدِ اَهْلِهٰا] او من بعد اهلاكنا اهل الارض [اَنْ لَوْ نَشٰاءُ] اى انّه لونشاء وهو مفعول ثانٍ ليهد اوفاعلٌ كما ذكر [اَصَبْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ] كما سمعوا و شاهدوا من الماضين [وَنَطْبَعُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] عطف على اصبناهم اوعلى الم يهد فانّ الاستفهام التّوبيخىّ يقرّر ما بعده نفياً كان اواثباتاً كأنّه قيل : ما يهتدون الى طريق الآخرة والتّوحيد و نطبع اوهومستأنف بمعنى ولكن نطبع على قلوبهم [فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ] الخبر [تِلْكَ الْقُرٰى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبٰائِهٰا] بعض انبائها [وَلَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ] استخدام فى الضّمير او المراد بالقرى اهلها مجازاً [بِالْبَيِّنٰاتِ] باحكام الرّسالات او الحجج والمعجزات الواضحات [فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا] دخول كان فى مثله لتأكيد النّفى [بِمٰا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ] من احكام العقل والنّبوّة التّكوينيّة ، فانّ من انقاد للعقل قبل ظهور دعوة النّبىّ يقبل دعوة النّبىّ ومن كذّب العقل يكذّب النّبىّ لامحالة لانّ النّبىّ عقل بوجهٍ والعقل نبىّ بوجهٍ ، اوبما كذّبوا فى الذّرّ كما فى الاخبار ، وبعد التّحقيق يرجع التّكذيب فى الذّرّ والتّكذيب بالعقل الى امر واحدٍ [كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِ الْكٰافِرِينَ] يعنى كما طبع الله على قلوب اهل هذه القرى حتّى لايؤمنوا مع ظهور الحقّ يطبع الله على قلوب جملة الكافرين [وَمٰا وَجَدْنٰا لِاَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ] بمنزلة التّعليل للطّبع و المراد بالعهد هو العهد مع النّبىّ (ص) اوالولىّ وبعبارةٍ اخرى هو عقد الاسلام او الايمان ، او المراد بالعهد هو الفعليّة الحاصلة من عقد البيعة يعنى ما عاهدوا اوعاهدوا وأبطلوا ؛ ولاينافى ذلك ما ورد فى الاخبار من تفسير العهد بوفاء العهد الحاصل فى الذّرّ فانّ المراد بالوفاء بالعهد فى الذّرّ هو قبول النّبوّة او الولاية [وَإِنْ وَجَدْنٰا] انّه وجدنا [اَكْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِينَ] خارجين من حكومة العقل ، فانّ الفسق هو الخروج من تحت حكم الله سواء كان على لسان النّبىّ الخارجىّ او الباطنىّ وبعد تفسير العهد بما ذكر فالاولى تفسيره بالخروج من حكومة النّبىّ الباطنىّ موافقاً لما سبق فى تفسير قوله : فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل [ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسٰى بِاٰيٰاتِنٰا] التسع [إِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلاٰئِهِ

فَظَلَمُوابِهٰا] يعنى ظلموها لانّهم وضعوا موضع الاقرار بما ينبغى الاقرار به لوضوحه وظهوره الكفربه ، ولذا بدلّ الكفربالظّلم وعدّاه بالباء على تضمين معنى الكفر، اومثل معنى الالصاق ، اوظلموا موسى بسبب الآيات الّتى هى اسباب الطّاعة فيكون اشارة الى نهاية وقاحتهم وظلمهم [فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] من اغراق فرعون و ملائه و اهلاك الامم السّابقة بما اهلكوا به [وَقٰالَ مُوسىٰ يٰافِرْعَوْنُ إِنّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِينَ] اليكم [حَقِيقٌ عَلَىٰ اَنْ لا اَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ] كان القياس ان يجعل ان لا اقول على الله الّا الحقّ مرفوعاً بحقيق ويجعل مدخول على هوالمتكلّم كما قرئ به ، لكنّه قلب مجازاً للمبالغة فى الصّدق كأنّه امر متجوهروالمتكلّم من اوصافه ، اوللاشارة الى ماهوحقيقة الامرمن اصالة الوجود واعتباريّة المهيّات فانّ الانسان على المذهب الحقّ نحومن الوجود متحدّد بالحدودالمتعيّنة وصفات الوجود متّحدة معه والتّغاير فى مفهومها فقط ، والحدود اموراعتباريّة عدميّة لا حقيقة لها والوجودات الامكانيّة لا استقلال لها ولا انانيّة بل هى متعلّقات محضة وفقراء الى الله والله هو الغنىّ ، والانانيّة الّتى هى عبارة عن الاستقلال انّما هى باعتبار الحدود العدميّة فهى من اعتبارات الانسان وتابعة لحقيقته لانّها حقيقته فهى تابعة لصدقه الّذى هوحقيقته ، فصحّ ان يقال انا حقيق على الصّدق بهذا الاعتبار كما يصحّ ان يقال حقيق ان لااقول على الله الّا الحقّ علىّ بتشديد الياء باعتبار ملاحظة مفهومى الانانيّة والصّدق وبهذا الاعتبار قيل: حقّ القضايا الّتى تنعقد بين الممكنات ان يجعل الموضوع نحواً من الوجود والمحمول مهيّة من المهيّات فيقال: الوجود انسان مثلاً ، لانّ الانسانيّة الّتى هى عبارة عن حدّ الوجود عرض تابع للوجود والوجود متبوع ، وقيل فيه بتضمين حقيق معنى حريص وكون على بمعنى الباء وغير ذلك من الوجوه ، وقرئ بوجوه اُخر غير ماذكر ايضاً ، ولمّا كانت الدّعاوى العظيمة من شأنها ان لايسامح فيها ولاتسمع الّا ببيّنة وشاهد بادر اليها قبل مطالبتها فقال [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] فاقبلوا قولى ولاتخالفوا [فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرٰائِيلَ] ولمّا كان صحّة الدّعوى وسقمها منوطة بالبيّنة طالبها منه ولم يتعرّض لغيرها و [قٰالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِاٰيَةٍ فَأْتِ بِهٰا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ فَاَلْقىٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِىَ ثُعْبٰانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذٰا هِىَ بَيْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِينَ قٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ] اى من خواصّهم خطاباً للملأ الاخرى حوله من غير الخواصّ ولعلّ فرعون شاركهم فى هذا القول بقرينة قوله فما ذا تأمرون فلا ينافيه ما فى الشّعراء من قوله تعالى: قال للملأ حوله ويحتمل ان يكون قوله تعالى : يريد ان يخرجكم مستأنفاً من فرعون وان يكون هذا مع ما فى الشّعراء فى مجلسين [إِنَّ هٰذٰا لَسٰاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ اَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ اَرْضِكُمْ فَمٰاذٰا تَأْمُرُونَ] وتشيرون [قٰالُوا] قالت الخواصّ او الملأ حوله غير الخواصّ [أَرْجِهْ وَاَخٰاهُ] من الارجاء بمعنى التّأخير يعنى اخّر امرهما حتّى يمكن لك التّدبير، قرئ ارجئه على الاصل بسكون الهمزة وضمّ الهاء ، وارجئه بسكون الهمزة وكسر الهاء على خلاف القياس ، وارجهى من ارجيت بكسر الهاء مع الاشباع ، وارجه بكسر الهاء بدون الاشباع وارجه بسكون الهاء مع الاشباع وارجه بكسر الهاء بدون الاشباع وارجه بسكون الهاء تشبيهاً له بالواو والياء الضّمير من كما قيل ، اوتشبيهاً لهاء الضّمير بهاء السّكت اواجراءً للوصل مجرى الوقف [وَاَرْسِلْ فِى الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ وَجٰاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ] يعنى فأرسل وحشروا

و جاؤا فرعون [قَالُوا ءَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ] وقرئ بهمزٍ واحدٍ على المعاهدة والميثاق [قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ] يعنى ابتداءً [وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ] خيّروه اظهاراً للادب اوالجلادة وعدم المبالاة بما يقابل سحرهم ، لكن لرغبتهم فى الالقاء ابتداءً غيّروا النّظم واكّدوا الجملة وان ذكروا القاءهم مؤخّراً جلادة اومراعاة للادب [قَالَ أَلْقُوا] قدّمهم على نفسه كرماً ومقابلة لادبهم بترجيحهم على نفسه وقلّة مبالاة بسحرهم [فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ] السّحر يقال لكلّ علم وعمل خفيّ مدركه ومأخذه سواء كان بتمزيج القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة اوبالتّصرّف فى القوى الطّبيعيّة فقط ، ويقال لتمزيج القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة واحداث آثار خارجة عن مجرى العادة ومنه التّصرّف فى المدارك البشريّة بحيث يرى ويسمع ما لاحقيقة له ، وكأنّهم سحروا بتسخير الرّوحانيات الخبيثة وتمزيجها مع القوى الطّبيعيّة واحداث آثار خارجة عن العادة ولذا قال سحروا اعين النّاس ، فما نقل : انّهم القوا حبالاً و عصياً مجوّفة مملوّة من الزيبق ؛ ان كان صحيحاً كان احد جزئى سحرهم من القوى الطّبيعيّة و الّا لم يكن لنسبة السّحر الى اعين النّاس حينئذٍ وجه [وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] نقل انّ السّاحة الّتى القوا سحرهم فيها كانت ميلا فى ميل وملاؤا الوادى من الحبال والخشب الطّوال المتحرّكة كأنّها افاعٍ عظيمة ولذلك اوجس فى نفسه خيفة موسى (ع) [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] من الافك بمعنى الصّرف وقلب الشّيء عن وجهه نقل ، انّها لمّا تلقفت حبالهم وعصيّهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك جمع كثير منهم ، ثمّ اخذها موسى (ع) فصارت عصاً فأيقن السّحرة انّها لولم تكن آلهية لبقى حبالهم وعصيّهم واعترفوا برسالة موسى (ع) ونقل، انّهم قبل الموعد آمنوا بموسى (ع) خفية و اظهروا ايمانهم يوم الموعد [فَوَقَعَ الْحَقُّ] اى ثبت [وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا] اى قوم فرعون والسّحرة جميعاً اوقوم فرعون [هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ] كأنّهم القاهم ملق من شدّة اضطرابهم كأنّه لم يبق لهم تماسك [قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ] بيّنوا المجمل بالابدال منه [قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ] اى مدينة مصر [لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا] المالكين لها المتصرّفين فيها وهم القبطيّة [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] تهديد لهم [لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ] اليد من جانب والرّجل من جانبٍ آخر [ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ] تعذيباً و تفضيحاً لكم و عبرةً لغيركم توعيد و تغليظ [قَالُوا] اظهاراً لعدم مبالاتهم بتوعيده [إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ] فالموت والقتل كان خيراً لنا فتهديدك بالقتل بشارةٌ لنا لاتهديدٌ كما زعمت ، وفى قولهم: لا ضير انّا الى ربّنا منقلبون ؛ اشارة الى هذا ، او المقصود انّا نحن و انتم الى ربّنا منقلبون آخر الامر فيجازى كلّاً بحسب عمله و فى قولهم [وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا] اشعارٌ بهذا المعنى يعنى نحن وانتم راجعون الى الله والحال انّ انتقامكم منّا ليس الّا بسبب ايماننا بربّنا فانتم اولى بالخوف منّا فيكون تهديداً لهم، ولمّا اظهرواعدم مبالاتهم بتهديده خافوا من عدم ثباتهم وصبرهم على القطع والصّلب فتضرّعوا الى الله تعالى

و استغاثوا و قالوا [رَبَّنٰا اَفْرِغْ عَلَيْنٰا صَبْراً] عظيماً و لذلك قالوا افرغ اشارةً الى كثرته تشبيهاً له بالماء الكثير ونكرّوا صبراً [وَتَوَفَّنٰا مُسْلِمِينَ] لنبيّك مسلمين لقضائك ، نقل انّه فعل بهم ما أوعدهم ونقل ، انّه لم يتيسّر له [وَقٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ] بعد ظهور امر موسى(ع) وقوّته لفرعون [أَتَذَرُ مُوسىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ] ارض مصر بتغيير الخلق و دعائهم الى مخالفتك و ترك دينك و ترك العبادة لك [وَيَذَرَكَ] اى عبادتك او سلطنتك [وَاٰلِهَتَكَ] اصنامك الّتى تعبدها او الاصنام الّتى صنعتها لان يعبدوها ليتقرّبوا بهاالیک كما قيل: انّه صنع لهم اصناماً ليعبدوها للتقرّب اليه ، وقرئ والٰهتك مصدراً بمعنى عبادتك [قٰالَ] جواباً لهم [سَنُقَتِّلُ اَبْنٰاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ وَإِنّٰا فَوْقَهُمْ قٰاهِرُونَ] قاله اظهاراً للتسلّط وتسكيناً لقومه مع خوفه من موسى(ع) ولمّا وصل ذلك الخبر الى موسى(ع) وقومه ورأى فزعهم من تهديده [قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ] تسليةً لهم ووعداً [اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ] بالتّضرّع عليه والالتجاء اليه [وَاصْبِرُوا] على يسير اذاه [إِنَّ الْاَرْضَ لِلّٰهِ] فى موضع التّعليل [يُورِثُهٰا مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ] لا لفرعون وقومه حتّى يفعلوا فيها مايشاؤن فالتجؤا اليه واسئلوا منه وخافوا منه لا من غيره [وَالْعٰاقِبَةُ] الحسنى الّتى هى الآخرة ودار الكرامة [لِلْمُتَّقِينَ] الجزع عند الشّدائد ، وعد وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتسليطهم على مصر فى الدّنيا ومن الجنان فى الآخرة [قٰالُوا] تضجّراً بوعده وعدم انجازه [أُوذِينٰا مِنْ قَبْلِ اَنْ تَأْتِيَنٰا] متسلّين بوعد مجيئك [وَمِنْ بَعْدِ مٰا جِئْتَنٰا] فبم نتسلّى بعد مجيئك [قٰالَ] بعد تضجّرهم بوعده [عَسىٰ رَبُّكُمْ] اتى بكلمة التّرجّى و صرّح بهم بعد ماوعدهم بالقطع وعرّض بهم خوفاً من انكارهم و ردّهم و تسلية لهم تصريحاً [اَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْاَرْضِ] ارض مصر [فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنٰا اٰلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ] السّنة غلبت على عام القحط ولذا اطلق السّنين [وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرٰاتِ] بعاهات اخرى غير الجدب [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] انّ الخصب والسّعة بقدرة الله لا باختيارهم فيؤمنوا برسله ولا يجحدوه ، فانّ المانع من قبول الحقّ هو قوّة الخيال و جولانه فى الخواطر و عند الشّدائد يضعف الخيال ولا يمنع من تذكّر الحقّ و قبوله [فَإِذٰا جٰاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قٰالُوا لَنٰا هٰذِهِ] بيان لغاية سفاهتهم ووخامة رأيهم حيث عقّبوا ماغايته التّذكّر وقبول الحقّ بالتّأنّف وجحوده ، وفى الاتيان باذا ومضىّ الفعل وتعريف الحسنة اشارة لطيفة الى كثرة الحسنة بحيث لاينكر تحقّقها و معهوديّتها لكثرة دورانها بخلاف قرينتها فانّها لندورها كأنّها مشكوك فيها ولم تتحقّق و ان تحقّق فردمنها فكأنّها امر منكور غير معهود ولذلك اتى بان واستقبال الفعل وتنكير السّيّئة فقال [وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ] والمراد بالحسنة ههنا مايعدّونه اهل الحسّ حسنة من الصّحة والخصب وسعة المال وبالسّيّئة مايقابلها [يَطَّيَّرُوا بِمُوسىٰ وَمَنْ مَعَهُ] كانوا اذا استقبلهم طائرٌ وقتما ارادوا مهمّاً فان طار الى اليمين او الى اليسار تفألوا وتشأّموا كما قيل (وقيل :كانوا يتشأّمون بالبارح و هو الّذى يأتى من قبل الشّمال و يتبرّكون بالسّابح و هو الّذى يأتى

من قبل اليمن) والاسم منه الطّيرة و الطّائر ثمّ غلب التّطيّر ، ومشتقّاته في التّشأّم كالتّفأّل في التيمّن ، ثمّ استعمل التّطيّر في كلّما يتشأّم به وكان رؤساؤهم جعلوا ما به التّفأّل والتّشأّم من امارات الخير و الشّرّ ثمّ عدّه جهلاؤهم من اسبابهما ولذلك قال في الرّدّعليهم [أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ] يعني سبب خيرهم وشرّهم عندالله [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] انّ سبب الخير و الشّرّ عندالله و انّ الفاعل هوالله و ان ليس للخلق الّا القبول و ليس ما يعدّونه سبب الخير اوالشّرّ الّا امارةً ان كان من الامارات [وَقَالُوا] زيادة في الوقاحة [مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا] لتتصرّف فيناوتغيّرنا عمّا نحن عليه بتصرّفاتٍ خفيّةٍ عنّا [فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ] مايطوف بهم من الماء و فسّر بالطّاعون [وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ] هو صغار الجراد الّتي لاجناح لها اوصغار الذّرّ اودويبة صغيرة لها جناحٌ احمر او دوابّ كالقردان ، وتفسيره بقمّل النّاس بعيد لانّ قمّل النّاس مفتوح الفاء مخفّف العين كما قرئ به ، وحينئذٍ يكون المراد به القمّل المعروف [وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ] واضحات اومنفصلات اذكان بين كلّ آيةٍ وآيةٍ سنة ، وامتداد كلّ منها كان اسبوعاً [فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ] العذاب فيكون عبارةً عن الآيات المذكورة ويكون الكلام بياناً لوقاحةٍ اخرى لهم وعدم ثباتهم على عهدهم ، اوالمراد به الثّلج كما نسب الى الرّضا(ع) وكانوا لم يعهدوا مثله قبله [قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ] كما هو ديدن ارباب النّفوس الّتي هي كالخبيثات من النّساء [فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ] من عطف التّفصيل على الاجمال اوبتضمين انتقمنا معنى اردنا [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ] من حيث انّها آيات و لذلك كذّبوا بها فيكون من العطف للتّعليل ، ورد في الخبر : انّ السّحرة لمّا سجدوا لموسى(ع) وآمن به النّاس قال هامان لفرعون: انّ النّاس قد آمنوا بموسى (ع) فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كلّ من آمن به من بني اسرائيل فجاءاليه موسى (ع) فقال له : خلّ عن بني اسرائيل؛ فلم يفعل ، فأنزل الله عليهم في تلك السّنة الطّوفان فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا الى البرّيّة وضربوا الخيام ، فقال فرعون لموسى(ع) : ادع حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى اخلّي عن بني اسرائيل واصحابك ، فدعا موسى(ع) ربّه فكفّ عنهم الطّوفان وهمّ فرعون ان يخلّي عن بني اسرائيل فقال هامان: ان خلّيت عن بني اسرائيل غلبك موسى(ع) وازال ملكك فقبل منه ولم يخلّ عن بني اسرائيل ، فانزل الله عليهم في السّنة الثّانية الجراد فجرّدت كلّ شيءٍ كان لهم من النّبت والشّجر حتّى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون لذلك جزعاً شديداً و قال : ياموسى ادع ربّك ان يكفّ عنّا الجراد حتّى اخلّي عن بني اسرائيل واصحابك ، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد فلم يدعه هامان ان يخلّي عن بني اسرائيل ، فأنزل الله عليهم في السّنة الثّالثة القمّل فذهبت زروعهم واصابتهم مجاعة شديدة ؛ فقال مقالته السّالفة فكشف عنهم القمّل وقال: اوّل ماخلق الله القمّل في ذلك الزّمان فأرسل عليهم بعد ذلك الضّفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم ويقال: انّها تخرج من ادبارهم وآذانهم وآنافهم فجزعوا وقالوا مثل مقالتهم الاولى ولم يفوا ؛ فحوّل الله عليهم النّيل دماً فكان القبطيّ رآه دماً

والاسرائيلى ماءً ، والقبطىّ يشرب به دماً و الاسرائيلىّ ماءً ، فيقول القبطىّ للاسرائيلىّ : خذالماء فى فمك و صبّه فى فىّ فكان اذا صبّه فى فمه يحول دماً ، فجزعوا وقالوا كما قالوا ؛ ولم يفوا فأرسل الله تعالى عليهم الرّجزوهو الثّلج فماتوا و جزعوا و اصابهم ما لم يعهدوه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بنى اسرائيل فاجتمعوا و خرج موسى (ع) من مصر واجتمع اليه من كان هرب من فرعون وبلغ فرعون ذلك فقال هامان : قد نهيتك ان تخلّى عن بنى اسرائيل فقد استجمعوا اليه فجزع فرعون وبعث فى المدائن حاشرين وخرج فى طلب موسى (ع) فغرق فى اليمّ [وَاَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْاَرْضِ وَمَغَارِبَهَا] يعنى مشارق ملك مصر ومغاربها اوملك مصر والشام [اَلَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا] بكثرة النّعم من الحبوب والثّمار وغيرها [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنٰى عَلٰى بَنِى إِسْرَائِيلَ] عدته الحسنى بايراث الارض بقوله تعالى: ونجعلهم الوارثين ، اعلم، انّ الكلمة غير مختصّة بالحروف المركّبة الحاصلة من تقاطع الهواء التّنفّسىّ مع مخارج الحروف الموضوعة لمعنى من المعانى بل كلّ مادلّ على غيره من الكلمات العينيّة فهو كلمة ، بل التّحقيق انّ الحقّ المضاف الّذى هو المشيّة الّتى هى نفس الرّحمن واضافته الاشراقيّة والرّبّ المضاف باعتبار تعلّقه بالمخارج الحقيقيّة الّتى هى الاعيان الثّابتة والمهيّات الاعتباريّة كلمته تعالى باعتبار وحدته وكلماته باعتبار تعدّده فانّ له فى نفسه وحدةً حقيقيّةً ظلّيّةً وباعتبار المهيّات كثرةً اعتباريّة ؛ ونحن الكلمات التّامّات ،كماورد عنهم عليهم السّلام بهذا الاعتبار ، وتسمية المشيّة بنفس الرّحمن باعتبار تطابق العالم الصّغير والكبير وتلك الكلمة باعتبارها فى نفسها تامّة ، و باعتبار ظهورها على غيرها توصف بالتّمام وعدمه ، وظهورها تامّة بان تظهر بصورة الولاية والنّبوّة والرّسالة ، وتماميّتها حينئذ كانت اضافيّة ، وتماميّتها الحقيقيّة اذا كانت بصورة الولاية المطلقة فيصير صاحبها خاتم الولاية ، وبصورة النّبوّة المطلقة والرّسالة المطلقة فيصير صاحبهما خاتم النّبوّة والرّسالة كمافى محمّد (ص) و علىّ (ع)، و تماميّة النّبوّة والرّسالة النّاقصة تماميّة اضافيّة ان تظهر بجميع ما من شأنه ان تظهر به من قبول احكامها و انجاز مواعيدها وترتّب فوائدها ، ومن جملة تماميّة نبوّة موسى (ع) ظهورها باتمام مواعيدها ورفع موانع رواجها من منع فرعون وقومه ، والتّوصيف بالحسنى للاشارة الى انّ كلماته باعتبارها فى انفسها تتفاوت وتتّصف بالحسن والاحسنيّة وان كان كلّها باعتبار اضافتها اليه تعالى حسنة غير متّصفة بعدم الحسن ، وبعدماعرفت انّ الرّبّ المضاف هو الولاية المتحقّق بمطلقها علىّ (ع) و انّ الرّسالات و النّبوّات و الولايات الجزئيّة هى مراتب الولاية المطلقة وتنزّلاتها وانّ النّبوّة المطلقة والرّسالة المطلقة ايضاً ظهور الولاية المطلقة وتحت تربيتها، علمت جواز تفسير الرّبّ بعلىّ (ع) والكلمة بموسى (ع) اوبرسالته ونبوّته [بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ] من الاصنام وعبادتها والصّنائع الدّقيقة وآلاتها والابنية الرّفيعة وزخارفها [وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] من كروم الجنان والقصور الرّفيعة ، وقوله دمّرنا عطف على تمّت اوعلى صبروا، وكون التّدمير سبباً لتماميّة الكلمة لما فيه من الدّلالة على القدرة و الرّسالة و العبرة لسالكى الآخرة [وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ] بعد مهلك فرعون وايراث الارض لدعوة العمالقة وقتالهم [فَأَتَوْا عَلٰى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلٰى أَصْنَامٍ لَهُمْ] اى على عبادتها [قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ] بيان لسفاهة رأيهم وانّهم لمّا استراحوا من فرعون وقومه تركوا الانقياد واظهروا الاستبداد لغاية حمقهم وجهلهم [قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] ذمّهم اوّلاً

على استبدادهم لجهلهم ثمّ بيّن لهم فساد عمل القوم وبطلانه فقال [إِنَّ هٰؤُلاٰءِ مُتَبَّرٌ مٰا هُمْ فِيهِ] من الاحوال والاخلاق والعقائد يعنى منكسرٌ منقطعٌ عمّا ينبغى الاتّصال به من النّبوّة والولاية المتّصلة بالآخرة الباقية [وَبٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فاسد لا اثر له ولافائدة مترتّبة عليه [قٰالَ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً] كرّر قال اهتماماً بمابعده فانّه المقصود وغيره كان توطئةً له فانّ انكار ابتغاء غيرالله آلهاً كناية عن ابتغاء الله آلهاً لكون المقام مقام ابتغاء الآله [وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰالَمِينَ] فى زمانكم ببعثة الرّسل منكم وخلاصكم من اعدائكم وانقيادكم للرّسل [وَإِذْ أَنْجَيْنٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ] عطف على قوله اغير الله ابغيكم آلهاً بتقدير اذكروا اى قال موسى (ع) اذكروا اذ انجيناكم، ونسبة الانجاء الى نفسه مع الله لكونه سبباً اوعطف على او رثنا بتقدير قلنا اذكروا اذانجيناكم فيكون خطاباً من الله معهم وتذكيراً لهم بالنّعمة العظيمة الّتى هى الخلاص من شدّة عذاب آل فرعون [يَسُومُونَكُمْ] يكلّفونكم [سُوءَ الْعَذٰابِ] والجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّرٍ اوحال [يُقَتِّلُونَ أَبْنٰاءَكُمْ] بدل من الاولى بدل التّفصيل من الاجمال اومستأنفة اوحال مترادفة ، او متداخلة [وَيَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ] يستبقون بناتكم للاسترقاق اويفتّشون حياء نساءكم اى فروجهنّ لتجسّس العيب كالاماء ، اوتجسّس الحمل وقد سبق فى اوّل سورة البقرة تفصيله [وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ] ابتلاء و محنة [مِنْ رَبِّكُمْ] على ايدى اعدائه [عَظِيمٌ] و تفسير البلاء بالنّعمة و جعل الانجاء مشاراً اليه بعيد [وَوٰاعَدْنٰا مُوسىٰ ثَلاٰثِينَ لَيْلَةً] وهى شهرذى القعدة كما نقل لاعطاء كتاب فيه بيان كل شيء [وَأَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ] من ذى الحجّة لسواك استاك آخر الثّلاثين قبل الافطار [فَتَمَّ مِيقٰاتُ رَبِّهِ] لاعطاء الكتاب [أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقٰالَ مُوسىٰ] حين خرج من بين قومه للميقات [لِأَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاٰ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَلَمّٰا جٰاءَ مُوسىٰ لِمِيقٰاتِنٰا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ] التفات من التّكلّم الى الغيبة اشارة الى انّ التّكلّم صدر من مقام ظهوره الّذى هوالولاية المطلقة المتحقّق بهاعلىّ(ع) كما انّ المتكلّم مع محمّد (ص) ليلة المعراج كان علياً (ع)، ولمّا سمع موسى (ع) كلامه تعالى اشتدّ شوقه والتهب حرارة طلبه ولم يتمالك ، فطلب وسأل ما ليس له من الشّهود والرّؤية مع انّه كان بعد فى الحدّ والغيبة وباقياً عليه الانانيّة وليس شأن المحدود ادراك المطلق ورؤيته ، فانّ من شرائط الرّؤية والادراك صيرورة الرّائى سنخاً للمرئىّ اوالمرئىّ سنخاً للرّائى والّافلايقع الرّؤية ولايحصل المشاهدة؛ الاترى انّ النّفس فى مشاهدة الاجسام محتاجة الى آلة جسمانيّة وقوّة جرمانيّة وتلك القوّة الجسمانيّة محتاجة الى تجريد الصّورة من المادّة لتجرّدها نحواً من التّجرّد، فلمّا لم يتمالك [قٰالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قٰالَ لَنْ تَرٰانِي] فانّك غير خارجٍ من حدودك ولوشاهدتنى بحدودك لفنيت فليس لك شأن رؤية المطلق [وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ] جبل الحجر او جبل انانيّتك [فَإِنِ اسْتَقَرَّ] الجبل لتجلّى نورٍ من انوار المطلق [مَكٰانَهُ فَسَوْفَ تَرٰانِي] مع جبل حدّك وانيّتك [فَلَمّٰا تَجَلّٰى رَبُّهُ] الّذى هو المطلق المضاف لا المطلق المطلق [لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ] الله او الرّبّ اوالتّجلّى [دَكًّا] متفتتاً متلاشياً [وَخَرَّ مُوسىٰ] لاندكاك انيّته [صَعِقاً فَلَمّٰا أَفٰاقَ قٰالَ سُبْحٰانَكَ] عن سؤالى عن مثلك ما ليس لى [تُبْتُ إِلَيْكَ] من سؤالى [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ] بأنّك لاترى لمثلى .

اعلـم ، انّ الادراك حقيقةٌ مشكّكةذات مراتب متفاوته فى الشدّة والضّعف، ولكلّ مرتبة من مراتبه اسم خاصّ و شرائط خاصّة لحصولها مثلاً ادراك زيد تصوّراً جزئيّاً مرتبة منه ادراكه بالبصر و يسمّى رؤية ، ومرتبة منه ادراكه بالخيال ويسمّى تخيّلاً ، ومرتبة منه ادراكه بالعين المثاليّة فى المنام ويسمّى رؤيا ، ومرتبة ادراكه بالعين المثاليّة بالكشف الصّورىّ فى عالم المثال ويسمّى كشفاً صوريّاً وشهوداً ؛ والكلّ ادراك النّفس الانسانيّة لشخص زيد بحيث لا يمكن لاحدٍ ان يقول : انّ زيداً بشخصه غيرمدرك فى مرتبة من تلك المراتب و التّفاضل بين تلك الادراكات بديهىّ وجدانىّ ، فانّ ادراك الخيال اضعف انواع الادراك واقواها الادراك بالرّؤية والادراك شهوداً بالعين المثالىّ ، وكما يسمّى الادراك البصرىّ رؤية يسمّى الادراك الكشفىّ رؤية كما لايخفى ، هذا فى التّصوّرات و الادراكات الجزئيّة وهكذا الحال فى التّصديقات والادراكات الكلّيّة ، فانّ الحكم بكون الامير فى البلد قد يدرك توهّماً ، وقد يدرك شكّاً وظنّاً ، وقد يدرك علماً عاديّاً وتقليديّاً و يقينيّاً برهانيّاً ويقينيّاً شهوديّاً والتّفاضل بينها غيرمخفىّ واقواها واتمّها واشدّها هوالعلم الشّهودىّ ويسمّى هذاالعلم الشّهودىّ فى ذلك التّصديق الشّخصىّ رؤية باعتبار، كما يسمّى علماً وشهوداً وعياناً وتصديقاً باعتباراتٍ اُخر ، وعلم من ذلك انّ الرّؤية غير مختصّة بالرّؤية البصريّة المشروطة بمقابلة المرئىّ للرّائى اوبحكم المقابلة كالرّؤية فى المرآة والماء وبتوسّط جسمٍ مشفّ وعدم القرب المفرط والبعد المفرط وعدم آفة فى العين وعمدتها التفات النّفس الى الالة وفعلها ، فانّ الادراك البصرىّ صفة النّفس لكن فى مقامها النّازل ومرتبة الباصرة بل مقولة على ادراك عين الخيال فى عالم المثال كرؤية المكاشفين والنّائمين الرّائين الرّؤيا الصّادقة ، وعلى ادراك عين الخيال فى عالم الخيال كرؤية المبرسمين والمبرسمين والنّائمين الرّائين الرّؤيا الكاذبة ، فانّه لايشكّك احد من هؤلاء ولا ممّن اطّلع على عالمهم وكيفيّة ادراكهم انّ مدركاتهم مرئيّات حقيقة وانّه لايصحّ سلب الرّؤية عنها . فالرّؤية فى المدركات المتقدّرة الجزئيّة عبارة عن قوّة الادراك وشدّته بحيث لايتصوّر ادراك اتمّ واقوى منه سواء كانت بالآلة المخصوصة ام بغيرها، وسواء كان المدرك مصاحباً للمادّة ام غيرمصاحب، فصحّ اطلاق الرّؤية على المتقدّر المجرّد عن المادّة كما يصحّ اطلاقها على المتقدّر المادّىّ ولا اختصاص له بالمادّىّ ، وهذا التّفاضل يجرى فى المدركات العقليّة المجرّدة عن المادّة والتّقدّر، فانّ العقول الكلّيّة والملائكة المقرّبين قد يتوهّم وجودها ثمّ يشتدّ هذا التّوهّم فيصير شكّاً ثمّ ظنّاً ثمّ علماً عاديّاً وتقليديّاً ثمّ علماً يقينيّاً برهانيّاً ، فاذااشتدّ هذا العلم بحيث يخلّص العالم من المادّة وغواشيها ويرفعه عن العالمين ويوصله الى المجرّدات حتّى يشاهدها ويلحق بهاصارادراكه اشدّ مايتصوّر وعلمه عياناً ، فان شئت فسمّ هذا العلم العيانىّ رؤيةً فانّه لامانع من اطلاق الرّؤية بهذا المعنى عليه بل حقيقة الرّؤية وهى الانكشاف التّامّ الّذى لايتصوّر فوقه انكشاف ، وادراك هنا اتمّ واقوى من الانكشاف بآلة البصر وقد عرفت ان لامدخليّة لخصوص آلة البصر فى الرّؤية ؛ وهكذاالحال فى الحقّ الاوّل تعالى شأنه وصفاته . **ثمّ اعلم** انّ المعلوم المدرك فى اىّ عالمٍ كان لابدّ وان يكون المدرك لذلك المعلوم بذاته اوبآلاته ، ووسائط دركه من سنخ ذلك العالم للزوم نحو من الاتّصال اونحو من الاتّحاد بين المدرك والمدرك كما قرّر فى الحكميّات و الفلسفة الاولى ؛ الاترى انّ المدركات المادّيّة الّتى هى من عالم المادّة لا تدرك الّا بآلاتٍ مادّيّة كالحواسّ الخمس الظّاهرة ، والمدركات الخياليّة والمثاليّة الّتى هى من سنخ عالم المثال لاتدرك الّا بالحواسّ الباطنة الّتى هى ارفع من عالم المادّة ، والمعقولات الّتى هى ارفع من العالمين لاتدرك الّا بقوّة ليست من سنخ عالم المادّة ولا من سنخ عالم المثال فاذا اريد ادراك العقول لابدّ وان يرتفع المدرك عن العالمين ويصير عقلاً مجرّداً عن المادّة والتقدّر اويتنزّل العقول عن عالمها العقلىّ و تتمثّل بصورٍ متقدّرةٍ

حتّى تدرك بالمدارك المثاليّة كما فى نزول الملائكة على الانبياء ، فما لم يرتفع الدّانى اولم يتنزّل العالى لايمكن ادراك الدّانى للعالى ، فاذا سأل الدّانى فى دنوّه بلسان حاله اوقاله رؤية العالى فى علوّه فجوابه العتاب على هذا السّؤال والمنع من مسؤله والزّجر على مأموله لسؤاله ماليس له ان يسأل. ثمّ اعلم انّ الانسان من اوّل استقراره فى الرّحم جماد بالفعل وله قوّة الانسانيّة و لمّا كان ضعيفاً غير قابلٍ لقبول اثر العقل جعل البارى تعالى نفس الامّ واسطة فى فيضان نورالعقل عليه حتّى اذا استكمل بحيث يستعدّ لقبول فيض العقل بلاواسطةٍ يتولّد وليس له حينئذٍ من اثر العقل الّا فعليّة المدارك الحيوانيّة الظّاهرة فيتدرّج فى الاستكمال بفيض العقل حتّى يتحقّق فيه طليعة ضعيفة من اشراق العقل، فيدرك البديهيّات الاوّليّة الكلّيّة الّتى من شأنها ان يكون مدركها العقل فيتدرّج فى الاستكمال و يتقوّى تلك الطّليعة حتّى يمكنه اكتساب الكلّيّات فيتدرّج فى ذلك حتّى يعاين مكتسباته فيتدرّج حتّى يتحقّق بها وصار عالماً علميّاً مضاهياً للعالم العينىّ بل عالماً غيبيّاً محيطاً بالعالم العينىّ ، وحينئذٍ يصير مطلقاً عن قيوده خارجاً من حجبه و حدوده وله استعداد شهود الحقّ الاوّل تعالى لكن اشتداده و ترقيه الى زمان البلوغ وهو زمان الاستبداد بالرّأى والاستقلال فى الاختيار، وبعبارةٍ اخرى الى زمان يمكنه ادراك خيره وشرّه الاخرويّين كان على الصّراط المستقيم بأسبابٍ آلهيّة لامدخل للعبد فيها ولااختيارله ولذا: قيل كن مع الله كماكنت حتّى كان معك كماكان ، واذا وصل الى مقام البلوغ وكله الله الى اختياره و نبّهه على خيره و شرّه على ألسنة خلفائه الظّاهرة والباطنة واعانه على اختياره الخير وخذله فى اختياره الشّرّ ، فان ساعده التّوفيق وتداركه جذبة من جذبات الرّحمن وهى خير من عبادة الثّقلين استراح من تعب السّلوك ورفع القلم عنه وصار من الشّيعة الّذين رفع القلم عنهم ، وان وكله الله الى نفسه وخذله باختياره الشّقاء التحق بالشّياطين ، وان وفّقه الله للسّلوك اليه باختياره الخير والتّقوى من الشّرّ، فامّا ان يسلك بقدم نفسه ويتعب نفسه فى السّلوك اليه ، وبعبارةٍ اخرى امّا ان يعبدالله مع بقاء حكم النّفس عليه و فى قيود انانيّته ويسمّى تقرّبه حينئذٍ بقرب النّوافل وهذا وان اتعب نفسه فى السّلوك و العبادة و جاهد غاية المجاهدة لم يكن له شأنيّة المشاهدة و المواصلة و ليس له الّا الفرقة والمباعدة ، او يسلك الى الله و يعبدالله من غير بقاء حكم النّفس و اثرها عليه و يسمّى تقرّبه بقرب الفرائض وهذا لخروجه من حدود نفسه وقيودها و ارتفاعه عن حجاب انيّته له شأنيّة المواصلة والمشاهدة بل يصير هو الشّاهد والمشهود فى كلّ شاهدٍ ومشهودٍ، والبصير والمبصر والسّميع والمسموع، والاوّل وان كان مستريحاً من تعب السّلوك ملتذّاً بلذّة الشّهود والهاً فى المحبوب ليس له كمال مقام الجمع والتجمّل بالاعوان والجنود ، والثّانى وان كان له جمعيّة وسعة وتجمّل ليست له لذّة المشاهدة والسّرور الاتمّ فهما ناقصان كلّ بوجهٍ ، والثّالث له الكمال الاتمّ والسّرور الا بهى والجمال الاجمل لجمعه بين كمال الشّهود والتجمّل بالاعوان والجنود، وله الخلافة الكبرى والرّياسة العظمى ؛ اذا عرفت ذلك فقس قوله تعالى: ولمّا جاء موسى لميقاتنا و كلّمه ربّه قال ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى ؛ الى قوله تعالى : سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السّميع البصير حتّى تعرف مقام محمّد (ص) فى العبادة والسّلوك ومقام موسى (ع) وتعرف انّ موسى (ع) سلك بقدم نفسه لا بربّه و لذلك كان مستحقّاً لجواب لن ترانى ، وانّ محمّداً (ص) سار باسراء ربّه لابسير نفسه ، وانّ محمّداً (ص) هو السّميع لكلّ مسموع فى مرتبته و البصير لكلّ مبصر فضلاً عن نعمة مشاهدة ربّه ورؤية آياته الكبرى كما هو الظّاهر من آخر الآية فانّ الظّاهر عدم الالتفات فى آخر الآية وتطابق ضمير انّه هو السّميع مع ضمير لنريه . ولمّا كان المتبادر الى

فهم العامة من الرّؤية رؤية البصر وهى ممتنعة فى حقّه تعالى وكان حقيقة الرّؤية فى حقّه تعالى غير ممنوعة اختلفت الاخبار فى نفى الرّؤية عنه تعالى و اثباتها له و بما ذكرنا من التّحقيق يجمع بين متخالفات الاخبار فى باب رؤية الحقّ تعالى و عدمها و فى تفسير هذه الآية و من اراد الاطّلاع عليها فليرجع الى الكافى و الصّافى [قالَ] الله تعالى بعد ما اندكّ جبل انيّته و مات عن انانيّته ثمّ احياه الله بحيوة اخرى غير الحيوة الاولى و استحقّ اعطاء كتاب النبوّة [يا مُوسىٰ إِنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتي] يعنى بما به الرّسالة و لذا جمعه وهو اسفار التّوراة اواحكام التّوراة [وَبِكَلامي] اى بشرافة كونك كليماً لى [فَخُذْ ما آتَيْتُكَ] من التّوراة او احكام الرّسالة اطلق الاخذ هنا و قيّده فيما بعد و فى قصّة يحيى و فى قصّة رفع الجبل فوق بنى اسرائيل بقوله بقوّة للاشارة الى عدم الحاجة اليها هنا لقوّة الآخذ و عدم حاجة المأخوذ الى قوّة و للاشارة الى قوّة المأخوذ و ضعف الآخذ فى قصّة يحيى و قصّة بنى اسرائيل [وَكُنْ مِنَ الشّاكِرينَ] بصرفه لاهله ومنعه من غيراهله ، وروى انّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة واعطاء التّوراة يوم النّحر [وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] ما يسمّى شيئاً [مَوْعِظَةً] فانّ فى كلّ شيء جهة وعظ ونصح للخير كما انّ فيه جهة كثرة وحجاب عن الخير فكتبنا من كلّ شيء جهة وعظ فى الواح التّوراة اوفى الواح نفسه النّبويّة [وَتَفْصيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ] عطف على مجموع من كلّ شيء موعظة لا على موعظة فقط او هو عطف على موعظة ، والمعنى وكتبنا له فى الالواح من كلّ شيء تفصيلاً لكلّ شيء ، فانّ البصير المرتفع عن عالم الطّبع بل عن عالم المثال يرى كلّ شيء فى كلّ شيء لكون الكلّ فى ذلك العالم مرائى متعاكسات يترائى كلّ شيء فى ذلك العالم فى كلّ شيء بل نقول : ظاهر الآية كون تفصيلاً معطوفاً على موعظة والقيود المتقدّمة على المعطوف عليه معتبرة فى المعطوف بحكم العطف و قد اشتهر عن الصّوفيّة انّهم يقولون :كلّ شيء فى كلّ شيء [فَخُذْها بِقُوَّةٍ] اى قائلين فخذ الالواح الّتى فيها الموعظة وتفصيل كلّ شيء ،اوخذ الموعظة وتفصيل كلّ شيء ،اومجموع الالواح والموعظة والتّفصيل ولاخذ تفصيل كلّ شيء من كلّ شيء ههنا فى المأخوذ اضاف قوله بقوّة [وَأْمُرْ قَوْمَكَ] بأخذ الالواح والموعظة اوبأخذ احسنها اوبأىّ امر كان [يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها] فى حذف متعلّق الامر وجزم الجواب ايهام سببيّة امره(ع) باىّ امر كان لاخذ قومه بأحسنها، كأنّه بامره وتوجّهه اليهم يؤثّر فيهم اثراً يفتح بصيرتهم بحيث يميّزون بين الاحسن وغير الاحسن ، وكلّ انسان مفطور على اخذ الاحسن اذا عرفه و فى امثال قوله تعالى لنبيّنا(ص) : قل للّذين آمنوا يغفروا للّذين لا يرجون ايّام الله وقوله تعالى : قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم دلالة على قوّة نفس نبيّنا(ص) بالنّسبة الى موسى (ع) لايهامه انّ محض تخاطبه(ص) مع المؤمنين امراً كان اونهياً اوحكاية وقصّة يؤثّر فيهم بحيث يصير سبباً لما ذكر بعده من افعالهم الحسنة بخلاف موسى(ع)، فانّه ان امر اثّر والّا فلا . و لمّا كان القوم غير جامعة لجملة المراتب لضيقهم و عدم سعتهم بل كلّ من كان منهم فى مرتبة لم يكن يجرى عليه حكم المرتبة العالية اوالدّانية لضيقه وكان الحسن والاحسن فى حقّه حكم تلك المرتبة وكان حكم المرتبة العالية اوالدّانية فى حقّه قبيحاً امره (ع) ان يأمر قومه ان يأخذوا احسن العظة او احسن الالواح باعتبار ما فيها من الاحكام الّتى هى موعظته تعالى ، فانّ الاحكام فيها كالقرآن متكثّرة مترتّبة بحسب تكثّر المراتب كالانتقام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء والاحسان اليه ، فانّ الاحكام الاربعة مذكورة فى القرآن لكن هى مترتّبة حسب مراتب الانسان ويختلف احسنها بجسب اختلاف الاشخاص فى مراتب العبوديّة، فانّ الواقع فى جهنّام

النّفس لايرتضى من المسيء بالانتقام بمثل اساءته بل لايرتضى باضعافها فالاحسن فى حقّه الانتقام بمثل اعتدائه كماقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، ومن خرج من تلك الجهنّام فالاحسن فى حقّه كظم الغيظ وترك الانتقام ولكن لا يتصوّر فى حقّه الصّفح و اخراج رين الاساءة من صدره ، والاحسن فى حقّ من خرج من حدود النّفس وتوجّه الى حدود القلب الصّفح وتطهير القلب من رين الاساءة ولا يتصوّر فى حقّه الاحسان، وفى حقّ الدّاخل فى بيت الله الّذى من دخله كان آمنا وهو القلب كان الاحسن الاحسان فالمراد باحسنها احسن مايتصوّر ويمكن فى حقّهم ، هذا اذا كان المراد بالاحسن الاحسن الاضافىّ و ان اريد بالاحسن الاحسن المطلق فليخصّص قومه بخواصّه ؛ هذا على ظاهر مفهوم اللّفظ والّا فالمراد به الولاية فانّها العظة الحسنى والحكم الاحسن حقيقةً والمعنى انّك لسعة وجودك واستقلالك فى جميع المراتب مأمور باخذ جميع الاحكام فى جميع المراتب ، ولكنّ قومك لضيقهم وعدم استقلال رأيهم مأمورون بأخذ الاحسن منها وهى الولاية حتّى يحصل لهم بتبعيّة وليّهم سعةٌ واستقلال فى رأيهم فيستحقّوا بذلك الامر بأخذ الجميع وبأحد المعنيين ورد قوله تعالى واتّبعوا احسن ما انزل اليكم من ربّكم ولمّا صار المقام مظنّة ان يقال: ما لمن خرج من الانقياد ولم يأخذ حكم الالواح وعظةً ؟ - قال جواباً [سَأُوْرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ] و جزائهم و الخطاب لموسى (ع) و قومه اولمحمّد(ص) وقومه ، ثمّ صار المقام مظنّة ان يقال: ما سبب خروج الفاسق ومَنِ المخرج له؟ ايخرج بنفسه ام يخرجه غيره ؟ - فقال [سَأَصْرِفُ] البتّة على ان يكون السّين للتّأكيد او سأظهر يوم القيامة انّ انصراف المنصرف كان بسبب تكبّره بغير الحقّ، ولمّا كان الاهتمام ببيان سبب الانصراف لا الصّارف لم يقل: انا اصرف بتقديم المسند اليه تقوية للحكم اوحصراً [عَنْ آياتِيَ] التّدوينيّة الّتى هى احكام نظام المعاش و حسن المعاد وظهور الآيات التّكوينيّة او عن الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة و اعظمها الآيات العظمى او عن الجميع [الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ] يظهرون الكبر اوينتحلون الكبر [بِغَيْرِ الْحَقِّ] فانّ التكبّر بأمره مع المتكبّر صدقة، والتكبّر بكبريائه تعالى كبرياء الحقّ وهما لايمنعان من انقياد الآيات [وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها] من عطف المسبّب على السّبب لتكبّرهم المانع من الاذعان بآياتى [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لادبارهم بتكبّرهم عن سبيل الرّشد [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لاقبالهم على الغىّ، والمراد بسبيل الرّشد والغىّ الاعمال والاخلاق الموصلة اليهما بل نقول: للنّفس طريق الى العقل وهو الرّشد وطرقٌ عديدةٌ الى الجهل وهى الغىّ ، والنّفس برزخ واقع بينهما والاعمال والاخلاق الحسنة من لوازم طريقها الى العقل، وضدّها من لوازم طرقها الى الجهل [ذٰلِكَ] التكبّر الّذى هو سبب الكلّ اوذلك المذكور من الصّرف و التّكبّر وعدم الايمان بالآيات وعدم اتّخاذ سبيل الرّشد واتّخاذ سبيل الغىّ [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا] فانّ سبب الكلّ التّكذيب بآياتنا العظمى اومطلق الآيات [وَكانُوا عَنْها] من حيث انّها آيات [غافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ] عطف على مدخول انّ وهو على صورة قياسٍ اقترانىٍّ من الشّكل الاوّل وصورته هكذا : ذلك بانّهم كذّبوا بآياتنا وكلّ من كذّب بآياتنا حبطت اعمالهم فلا ينتفعون بها حتّى يقرّبهم الى سبيل الرّشد والانقياد للآيات [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ] كأنّه قيل : حبط الاعمال لايشبه

العدل، فقال: ليس حبط الاعمال الّا جزاء اعمالهم [وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْ بَعْدِهِ] من بعد ذهابه الى الميقات تعريض بامّة محمّد(ص) يعنى لاتتّخذوا انتم من بعد محمّد(ص) عجلاً معبوداً [مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً] و فى ابدال جسداً رفع ايهام انّه كان عجلاً حقيقة [لَهُ خُوارٌ] روى عن الباقر(ع) انّ فيما ناجى موسى(ع) ربّه ان قال: يارب هذا السّامرىّ صنع العجل فالخوار من صنعه ؟ـ قال: فاوحى الله اليه ياموسى (ع) انّ تلك فتنتى فلاتفحص عنها، وعن الصّادق(ع) قال: يارب ومن اخار الصّنم؟ فقال الله تعالى: ياموسى انا آخرته، فقال موسى(ع): ان هى الّا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء، وعن النّبىّ(ص): رحم الله اخى موسى ليس المخبر كالمعاين ولقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه ولقد عرف انّ ما اخبره ربّه حقّ وانّه على ذلك لمتمسّك بما فى يديه فرجع الى قومه ورءآهم فغضب والقى الالواح [أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً] تقريع باعتبار ترك التّفكّر [اتَّخَذُوهُ] صفة سبيلاً اى لا يهديهم سبيلاً جعلوه سبيلاً الى الله او مستأنف اى اتّخذوا العجل الٰهاً [وَكَانُوا ظَالِمِينَ] فى ذلك الاتّخاذ او من قبيل عطف السّبب [وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ] هذا مثلٌ فى العرب والعجم جميعاً كناية عن غاية النّدم والتّحسّر والعجز عن دفع مايتحسّر على وروده يعنى ندموا وعجزوا عن رفع بليّة عبادة العجل [وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا] اعترافاً بالذّنب وتضرّعاً [لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسٰى إِلٰى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي] خلفه قام مقامه وعمل فى خلفه، ومانكرة موصوفة، اومعرفة موصولة، اومعرفة تامّة، واذا كانت معرفة تامّة كان خلفتمونى حالاً، وعلى اىّ تقدير فالعائد محذوف والمعنى بئس الّذى خلفتمونى فيه عبادة العجل فعبادة العجل مخصوصة بالذّم ومحذوفة، ويجوز ان يكون مامصدريّة ويكون المعنى: بئس الخلافة خلافتكم لى حيث عبدتم العجل وتركتم امر ربّكم ، ويجوز ان يكون الخطاب لهارون ولمن بقى معه ولم يعبد العجل ويكون المعنى: بئس الّذى خلفتمونى فيه من السّكوت عن نهى العابدين والمعاشرة معهم [مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ] اسبقتم امر ربّكم باتّباعى وانتظار الكتاب السّماوىّ وتركتموه ورائكم، وتعدية عجلتم بنفسه لتضمين مثل معنى السّبق اوالمعنى اسبقتم فى عبادة العجل امر ربّكم فعبدتم العجل من دون امرٍ منه او المعنى اسبقتم امر الرّب بانتظار اربعين ليلةً فما لبثتم انقضاء الوعد [وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ] من شدّة الغيظ لله فتكسّر بعضه ورفع بعضه وبقى بعضه كما روى [وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ] لانّه لم يفارقهم ولم يلحق بموسى (ع) بعد ما نهاهم فلم ينتهوا [قَالَ ابْنَ أُمَّ] نسبه الى الام استعطافاً لانّ بنى امٍّ واحدةٍ اقرب مودّة من بنى ابٍ واحدٍ وكان اخاه من اب وامّ وكان اكبر من موسى (ع) بثلاث سنين [إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي] اعتذر عن تقصيره المتراثى فى منع القوم من عبادة العجل [وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ] من غير تقصيرٍ لى [وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] فى نسبة التّقصير الىّ وجعلى مثلهم [قَالَ] بعد الافاقة من غضبه [رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي] فيما فرّط منّى فى حقّه ومنه فى حقّ القوم [وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ولمّا فرغ من الاستغفار وطلب الرّحمة صار المقام مقام ان يسأل الله: مالمن عبد العجل؟ فقال تعالى جواباً لسؤاله المقدّر: [إِنَّ الَّذِينَ

اتّخذوا الْعِجْلَ] معبوداً [سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فى الآخرة [وَذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيا] بقتلهم انفسهم [وَكَذٰلِكَ] الجزاء من الغضب والذّلة [نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ] فتنبّهوا ياامّة محمد(ص) ولاتفتروا ولاتأخذوا العجل والسّامرىّ خليفة بعد محمّد(ص) والافتراء اعمّ ممّا وقع قولاً اوفعلاً اوحالاً اواعتقاداً ، ولمّا توهّم انّ المفترى جزاؤه ماذكر مطلقاً وصار سبباً ليأس اهل المعاصى سيّما على تعميم الافتراء استدركه بقوله [وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها] بالتّوبة العامّة النّبويّة و البيعة الظّاهرة ان لم يكونوا من اهل البيعة الظّاهرة اوبالتّوبة الخاصّة الولويّة و البيعة الباطنة ان كانوا من اهل البيعة الظّاهرة او استغفروا بينهم و بين الله وندموا على معاصيهم [وَآمَنُوا] بقبول الميثاق العامّ واحكامه ، اوالميثاق الخاصّ واحكامه ، اوبالبيعة الخاصّة الولويّة ان كان المراد بالتّوبة التّوبة العامّة او اذعنوا بالله ان كان المراد من التّوبة الاستغفار بينهم و بين الله [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها] من بعد السّيّئات او التّوبة [لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ] استعار السّكوت للسّكون اوشبّه الغضب بالامر استعارة تخييليّة [أَخَذَ الْأَلْواحَ] الباقية بعد القائها و انكسار بعضٍ و ارتفاع بعضٍ وبقاء بعضٍ [وَفِي نُسْخَتِها] ما نسخ منها بالكسر و الرّفع اومانسخ وكتب فى الالواح الباقية [هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] فانّهم المنتفعون بالمواعظ دون من استمعها سماع الاسمار [وَاخْتارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ] من قومه [سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا] روى عن الرّضا (ع) انّه سئل: كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى (ع) بن عمران لايعلم انّ الله لايجوز عليه الرّؤية حتّى يسئله هذا السّؤال؟- فقال: انّ كليم الله علم انّ الله منزّه عن ان يرى بالابصار و لكنّه لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّاً رجع الى قومه فأخبرهم انّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمائة الفٍ فاختار منهم سبعين الفاً ثمّ اختار منهم سبعة آلاف ثمّ اختار منهم سبعمائةٍ ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه ، فخرج الى طور سيناء فاقامهم فى صفح الجبل و صعد موسى (ع) الى الطّور وسأل الله ان يكلّمه ويسمعهم كلامه و كلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق واسفل ويمين وشمال ووراء وامام ، لانّ الله احدثه فى الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بانّ هذا الّذى سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرةً ، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقة فاخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا ، فقال موسى (ع) : يا ربّ ماأقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم وقالوا انّك ذهبت بهم فقتلهم لانّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله ايّاك؟! فأحياهم وبعثهم معه، فقالوا: انّك لوسألت الله ان يريك تنظر اليه لاجابك فتخبر كيف هو ونعرفه حقّ معرفته فقال موسى (ع): ياقوم انّ الله لايرى بالابصار ولا كيفيّة له وانّما يعرف بآياته ويعلم باعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله فقال موسى (ع) يا ربّ انّك قد سمعت مقالة بنى اسرائيل وانت اعلم بصلاحهم فاوحى الله اليه: ياموسى (ع) سلنى ماسألوك فلم اؤاخذك بجهلهم، فعندذلك قال موسى (ع) : ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه و هو يهوى فسوف ترانى فلمّا تجلى ربّه للجبل بآية من آياته جعله دكّاً و خرّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت اليك و انّا اوّل المؤمنين [فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ] اهلاكنا [أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّايَ] يعنى من قبل وعدى بنى اسرائيل باسماع

كلامك واتيانى بهم الى ميقاتك حتّى لايتّهمونى بالكذب واهلاك من جئت بهم الى ميقاتك [أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا] من الجرأة على طلب الرّؤية [إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ] ان العجل و خواره الّا فتنتك على ان يكون مقطوعاً من سابقه على ماروى انّ الله اخبره بضلال قومه بالعجل، فقال : يارب ان كان السّامرىّ صنعه فمن أخاره؟ـ فقال: انا، فقال: ان هى الّا فتنتك، اوعلى ان يكون السّبعون المختارون من عبدة العجل اختارهم لميقات التّوبة فاخذتهم الرّجفة لهيبة الله، اوالمعنى ان اسماعهم لكلامك حتّى طمعوا فى سؤال الرّؤية الّافتنتك اوان الرّجفة منك الّافتنتك، وتأنيث الضّمير على الوجوه السّابقه لمراعاة الخبر [تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا] المنصرّف فى امورنا [فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً] لمّاكان الحسن الحقيقىّ هو الولاية فكلّ ماكان مرتبطاً بالولاية من علم وخلق وفعل فهو حسن بحسنها، والسّير على طريق الولاية ايضاً حسن بحسنها، وتسهيل السّير بقوّة الولاية ورفع موانع السّير وقلّة الامتحانات فى الطّريق والذّكر المأخوذ من الامام والاتّصال بملكوت الامام كلّها حسن بحسنها، والتّاء فى الحسنة للنّقل فتفسيرها بالولاية وبالطّاعة وبتوفيقها وبتسهيل السّير ورفع موانع السّير وتقليل الامتحانات ودوام الذّكر و تمثّل صورة الشّيخ كلّها صحيح [وَفِي الْآخِرَةِ] ايضاً حسنة و الحسنة فى الآخرة هو شهود الحقّ تعالى فى مظاهره بمراتبها : ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه بالفارسىّ فى تفسير الحسنة فى الدّنيا والآخرة :

راه را برما چو بستان كن لطيف مقصد ما باش هم تو اى شريف

[إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ] من هاد يهود اذا رجع [قَالَ] جواباً له: انّ لى سخطاً ورضى وعذاباً ورحمة ولكلّ اهل، فلى ان اعذّب من كان اهلاً للعذاب، وارحم من كان اهلاً للرّحمة [عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ] و لمّا لم يكن المعصية سبباً للعذاب على الاطلاق لم يقل من عصانى [وَرَحْمَتِي] الرّحمانيّة [وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ] لانّها صفة الوجود و الوجود قد احاط بكلّ موجودٍ فى الدّنيا و الآخرة [فَسَأَكْتُبُهَا] اى الرّحمة الرّحيميّة بطريق الاستخدام [لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] المحرّمات الّتى اصلها اتّباع ائمّة الجور الّذى اصله اتّباع اهواء النّفس [وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ] حقوق المال الحلال وفضول التّمتّعات المحلّلة والالتذاذات المباحة المأمور بها بان يتمتّع ويلتذّ ويقلّل منها تدريجاً وقوّة القوى العلّامة والعمّالة بصرفها فى قضاء حقوق الاخوان وعبادة الرّحمن [وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] وهذه صفات مترتّبة فانّ التّقوى بهذا المعنى مقدّمة على الزّكوة، والزّكوة الّتى هى تضعيف قوى النّفس مقدّمة على ادراك كون الآية التّدوينيّة اوالتّكوينيّة آية، والايمان بها بعد درك كونها آية وللاشارة الى انّ الايمان هو المقصد الاسنى كرّر الموصول [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ] ابدل عن الموصول الاوّل اوالثّانى للاشارة الى انّ الوصف الجامع للاوصاف الثّلاثة هو اتّباع الرّسول [الْأُمِّيَّ] المنسوب الى امّ القرى كما فى الرّوايات اوالمنسوب الى الامّ لكونه لم يكتب ولم يقرأ ولم يحصّل شيئاً من الكمالات الانسانيّة مثل زمان ولادته من امّه [الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ] باسمه ونعته وانصاره ومبعثه ومهاجره كما فى الرّوايات، فانّ الانبياء(ع) ولاسيّما موسى (ع) وعيسى (ع) بشّروا به اممهم واثبتوا خبره فى

كتبهم [يَـأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ] حال من فاعل يجدونه او مفعوله اوكليهما او المستتر فى مكتوباً بتضمين مثل معنى الاتّصاف اى حالكونه يتّصف بالامر لهم بالمعروف اومستأنفة جواب لسؤالٍ مقدّرٍ اونائب فاعل لمكتوباً ، واصل المعروف علىّ(ع) ثمّ ولايته ثمّ التّخلّق باخلاقه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ ، ثمّ النّبىّ(ص) ثمّ اتباعه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ وهكذا المنكر مقابلوا علىّ(ع) وهذا هو الدّليل التامّ على صدق الرّسول(ص) فى رسالته ، فانّ المعروف والمنكر معلوم اجمالاً لكلّ احد اذا خلّى وطبعه وترك الهوى واتّباعه كما فى حديث؛ اعرفوا الله بالله ، والرّسول بالرّسالة ، واولى الامر بالامر بالمعروف والنّهى عن المنكر [وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ] اصل الطّيّبات علىّ (ع) الى ماتستطيبه الطّباع وتستلّذه ، واصل الخبائث من كان مقابلاً لعلىّ(ع) الى ماتستكرهه الطّباع وتستقذره ، ومعنى احلال الطّيّبات و تحريم الخبائث اذا حملت على معانيها الظّاهرة ظاهر، واذا حملت على معانيها التّأويليّة فمعناهما تسهيل طريق اخذ الطّيّبات وسدّ طريق الوصول الى الخبائث [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ] الاصر الثّقل والمراد منه ثقل التّكاليف ، فانّ للتّكاليف فى بدو الامر ثقلاً عظيماً بحيث لايكاد يتحمّله المكلّف فاذا اخذها من الرّسول(ص) اوخلفائه يتبدّل ثقلها بالنّشاط والسّرور، وكمايتبدّل ثقلها بالنّشاط يتبدّل ثقيلها ايضاً بالخفيف الّذى دون طاقة المكلّف فى امّة محمّد (ص) كما فى الاخبار الّتى ورد فى تنزيل الآية [وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ] النّاشئة من الاهوية المختلفة المتكثّرة المانعة لحركة المكلّف نحو ولىّ امره فانّ لكلٍّ سلسلة تمنعه من الحركة لكنّ الانسان مادام فى الدّنيا لايشاهدها الّا من فتح الله عينيه وصار من اهل الآخرة وهو بعد فى الدّنيا [فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ] بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [وَعَزَّرُوهُ] عظّموه بمنع الاغيار من ايذائه وبمنع الاهوية الفاسدة والخيالات الكاسدة من الغلبة على اتّباعه وامتثال اوامره ونواهيه ، وبعبارة اخرى بالتّبرى عمّا يخالف امره ونهيه ، فانّ امر محمّد(ص) هو نازلة محمّد(ص) وظهوره فى المرتبة النّازلة وتعظيم امره(ص) ومنع الاهوية المانعة من امتثاله تعظيم له ومنع عنه [وَنَصَرُوهُ] بنصرة امره ودوام الاتّصال به حتّى يلحقّ امره القالبىّ بامر الولى الّذى هو وارد على القلب ، وبعبارة اخرى بالتّولّى له فانّ التّعزير كناية عن التبرّى والنّصرة عن التولّى الّذين يعبّر عنهما تارةً بالزّكوة والصّلوة، وتارةً بالتّقوى والايمان، وتارة بالتبرّى والتّولّى والمفاهيم الظّاهرة من تلك الالفاظ بحسب التّنزيل لاحاجة لها الى البيان [وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ] النّور هو الولاية و لذلك فسّر بعلىّ (ع) فانّه الاصل فيها و يعبّر عنها بالنّور لانّ النّور هو الظّاهر بالّذات والمظهر للغير، والولاية هى الّتى يفتح بها عين القلب فيظهر به الصّحيح من الاعمال والاحوال والاخلاق والعقائد من سقيمها ، وبه ايضاً يظهر دناءة الدّنيا و شرافة الآخرة ، واتّباع الولاية هو آخر مراتب التّكاليف القالبيّة وهو المقصود من البيعة العامّة النّبويّة الّتى يعبّر عنها بالاسلام وهو ما به ارتضاء الاسلام وما به تماميّة نعمة الاسلام وهو اسنى اركان الاسلام واشرفها وهو الّذى ليس وراءه مطلب سواه ، فانّ جميع المراتب الّتى تتصوّر للانسان فى سلوكه مراتب الولاية والمراد بمعيّة النّور لمحمّد (ص) معيّته القيّوميّة ، فانّ الولاية روح النّبوّة وقوامها و لذلك قال(ص) : يا علىّ كنت مع كلّ نبىّ سرّاً و معى جهراً [أُولَئِكَ] تكرير المبتدء باسم الاشارة البعيدة تعظيم لهم وتصوير لهم باوصافهم الشّريفة الجليلة و حصر للفلاح الحقيقىّ فيهم [هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ] يعنى

بعد ما اظهرنا اوصافك و ما به صدق رسالتك فأظهر رسالتك عليهم وقل [يٰاَيُّهَا النّٰاسُ إِنّى رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً] لا اختصاص لرسالتى بقوم دون قوم [اَلَّذى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ يُحْيى وَيُميتُ] ذكر اوصافاً ثلاثةً لله مشيراً الى مبدئيّته و مرجعيّته و مدبّريّته والى توحيد آلهيّته والى انّه الفاعل للحيوة والممات ، ردّاً بهاعلى الدّهرية القائلة بانّ العالم لامبدأ له ، والثّنويّة القائلة بانّ مدبّر العالم مبدءان قديمان مستقلّان ، النّور والظّلمة اويزدان واهريمن ، والثّنويّة القائلة بانّ مبدء العالم هوالله واهريمن خلق من فكر سيّىء ليزدان ولكن خالق الخير ومنه الحيوة يزدان وخالق الشّرّ ومنه الموت اهريمن [فَاٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] مقول قول النّبىّ (ص) اوقول الله تعالى بصرف الخطاب الى النّاس و التّفريع على قول النّبىّ (ص) والمراد بالايمان هنا الايمان العامّ بقرينة قوله لعلّكم تهتدون [النَّبِىِّ الْاُمِّىِّ الَّذى يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمٰاتِهِ] التّكوينيّه والتّدوينيّة المعبّرعنه بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الّتى هى اشارة الى مراتب العالم من الملائكة المقرّبين و الصّافات صفّاً و المدبّرات امراً و الملائكة الرّكّع والسّجّد و ذوى الاجنحة مثنى وثلث و رباع الّتى مقامها الملكوت العليا وعالم الخلق والملكوت السّفلى الّتى هى دار الجنّة والشّياطين وسجن الاشقياء والمذنبين؛ هذا بحسب النّزول، وقد يعبّر عنها بمراتب الولاية والنّبوّة الّتى يعبّرعنها بمائة واربعة وعشرين الف نبىّ وبمائة واربعة وعشرين الف وصىّ كما فى الاخبار وهذا بحسب الصّعود ، والمراد بايمانه (ص) بكلمات الله ليس الايمان بالغيب ولا الايمان الشّهودىّ بل الايمان التّحقّقىّ المعبّرعنه بحقّ اليقين فانّه (ص) المتحقّق بجميع المراتب والكلمات [وَاتَّبِعُوهُ] بامتثال اوامره [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى الولاية جعل الايمان بالنّبىّ (ص) واتّباعه هداية الى الايمان بعلىّ (ع) وقبول ولايته (ع) كما فى قوله تعالى : قل لا تمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هديكم للايمان اى لولاية علىّ (ع) ، فانّ الايمان المقابل للاسلام هو ولاية علىّ (ع) بالبيعة الخاصّة والميثاق المخصوص كما فى اخبارنا ؛ انّ الايمان هو معرفة هذا الامر او ولاية علىّ (ع) اوالدّخول فى امرهم [وَمِنْ قَوْمِ مُوسٰى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت انّ الحقّ الاضافىّ هو الولاية المطلقة و المتحقّق بها هو علىّ (ع) [وَبِهِ يَعْدِلُونَ] من العدل مقابل الجور وقد ورد فى الاخبار ، انّ هذه الامّة قوم من وراء الصّين بينهم وبين الصّين وادحار من الرّمل لم يغيّروا ولم يبدّلوا ليس لاحدهم مال دون صاحبه ، يمطّرون باللّيل ويضحون بالنّهار ويزرعون ، لا يصل اليهم منّا احد ولا يصل منهم الينا وهم على الحقّ [وَقَطَّعْنٰاهُمْ] اى قوم موسى (ع) اى فرّقناهم فرقة فرقة [اِثْنَتَىْ عَشْرَةَ اَسْبٰاطاً] السّبط القبيلة من اليهود وولد الولد قيل لا يثنّى ولا يجمع وجمع بعد اثنتى عشرة لانّه جعله بدلاً لاتميزاً ، اوهو تميز بجعل كلّ واحدة من الفرق اسباطاً ، اوبتقدير موصوف مفرد مثل الفرقة والقبيلة ويؤيّد جعله تميزاً باحد هذين الوجهين تأنيث اثنتى عشرة [أُمَماً] بدل اوصفة وسمّى اولاد يعقوب (ع) بالاسباط لانّهم كانوا اثنتى عشرة قبيلة كلّهم من اولاد ابنائه الّذين كانوا اثنى عشر ، كما سمّى اولاد اسمعيل قبائل (ع) [وَاَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسٰى إِذِ اسْتَسْقٰيهُ قَوْمُهُ] فى التيه [اَنِ اضْرِبْ بِعَصٰاكَ الْحَجَرَ] فضرب [فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَةَ عَيْناً] بعدد القبائل حتّى لا يقع بينهم نزاع فى الورد [قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ] اى فرقة من الاسباط

[مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى] المنّ التّرنجبين اوالعسل،والسّلوى طائريسمّى بالسّمانى قائلين [كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا] فى مظاهرنا و خلفائنا بترك القناعة والاستبدال بالّذى هوادنى [وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قِيلَ] عطف على اذاستسقيه اوعطف على اضرب بعصاكَ اوعلى آمنوا اوعلى اتّبعوابتقديراذكراوذكّراواذكروا،اذقيل [لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ] بيت المقدّس [وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ] على مغفرة الخطيئات [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ] مضى الآيات وتفسيرها مفصّلاً فى اوّل البقرة [وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ] حتّى تذكّرهم سوء عاقبة اهلها لسوء صنيعتهم حتّى يكون نصب اعينهم وتذكرة لقومك [إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ] هو بدل من القرية نحو بدل الاشتمال و المعنى اسئلهم عن حال اهل القرية عن وقت عدوهم والاتيان بالمضارع مع ارادة المضىّ للاشارة الى استمرارهم عليه كانوا يتجاوزون حدوداللهفى السّبت ، فانّ السّبت كان عيدهم وكان له حرمة عندهم وكان الاحدعيداً للنّصارى كماكان الجمعة عيداً لمحمّد(ص)، ومن هذا ادّعى الصّابئون انّ انبياء العرب كانوا يعبدون الكواكب، فقالوا انّ محمّداً(ص) كان يعبد الزّهرة ولذا اختارمن الدّنيا النّساء والطّيب لانّهما كانتا منسوبتين الى الزّهرة واختار من الايّام الجمعة لانّها منسوبة اليها ، وكان موسى(ع)يعبدالزّحل ولذا اختارالسّبت، وعيسى(ع)يعبدالشّمس ولذا اختار الاحد [إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ] وكانوا منهيّين عن الصّيد يوم السّبت [شُرَّعاً] ظاهرة قريبة التّناول ابتلاءً لهم [وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ] كانوا مشتاقين الى الصّيد منتظرين تمام الاسبوع ولم يتيسّر لهم فاذاكان يوم سبتهم وكانوا ممنوعين من الصّيد لحرمته و للعبادة فيه تأتيهم الحيتان ظاهرة قريبة بحيث لايمكنهم الصّبرعن الصّيد ؛ أعاذنا الله من امتحانه و ابتلائه [كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] يعنى انّ هذا الابتلاء كان بسبب فسقهم وعصيانهم، والاتيان بالمستقبل لاحضار الماضى اوالمراد انّا كما بلوناهم سابقاً نبلوهم فيمايأتى ، اوالمراد كذلك نبلو امّتك [وَإِذْ قَالَتْ] عطف على اذيعدون اوعلى اذتأتيهم والمعنى اذيعدون اذقالت [أُمَّةٌ مِنْهُمْ] من النّاهين الواعظين اومن السّاكتين الغيرالواعظين اومن العاصين قالوا استهزاءً اواعتقاداً [لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلٰى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] يعنى انّهم وان كانوا منهمكين فى الفسوق و العصيان لكنّا نؤدّى فى موعظتنا ما علينا من النّهى عن المنكر والتّرحّم على العباد باحتمال القبول وباحتمال نجاتهم من العذاب [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ] تركوا ما ذكّرهم الواعظون من التّحذير من العذاب او ماذكّرهم الله من حرمة السّبت وحرمة الصّيد فيه [أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] يعنى الواعظين لانّهم ماكانوا راضين بفعلهم ولا ساكتين عن نهيهم [وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بترك ما عليهم وارتكاب ماليس لهم فى السّبت [بِعَذَابٍ بَئِيسٍ] شديد [بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ] بسبب فسقهم الّذى هوسبب من جهة القابل لا الفاعل [فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ] من عطف التّفصيل على الاجمال [قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] مطرودين عن كلّ خير، عن علىّ بن الحسين (ع) انّه قال: كان هؤلآء قوم يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله تعالى وانبياؤه (ع) عن اصطياد السّمك فى يوم السّبت فتوصّلوا الى حيلة ليحلّوا بها لانفسهم ماحرّم الله ، فخدّوا اخاديد وعملوا طرقاً تؤدّى الى حياض يتهيّئ للحيتان الدّخول فيها من تلك الطّرق ولايتهيّئ لها الخروج اذا همّت بالخروج ، فجائت الحيتان يوم السّبت جارية على امان لهافدخلت الاخاديد وحصلت فى الحياض والغُدران ، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها الى اللّجج لتأمن من صائدها ، فرامت الرّجوع فلم تقدر وبقيت ليلها فى مكان يتهيّئ اخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه و عجزها عن الامتناع لمنع المكان لها ، وكانوا يأخذون يوم الاحد و يقولون : ما اصطدنا فى السّبت انّما اصطدنا فى الاحد ، وكذب اعداء الله بل كانوا آخذين لها باخاديدهم الّتى عملوها يوم السّبت، حتّى كثر من ذلك مالهم وثراهم وتلقّموا بالنّساء وغيرهنّ لاتّساع ايديهم به ، وكانوا فى المدينة نيّفاً وثمانين الفاً فعل هذا منهم سبعون الفاً وانكر عليهم الباقون كما قصّ الله ، واسئلهم عن القرية الّتى كانت حاضرة البحر الآية وذلك انّ طائفة منهم وعظوهم وزجروهم ومن عذاب الله خوّفوهم ومن انتقامه وشدائد بأسه حذّروهم فأجابوهم من وعظهم: لم تعظون قوماً الله مهلكهم بذنوبهم هلاك الاصطلام اومعذّبهم عذاباً شديداً، اجاب القائلون هذا معذرة الى ربّكم هذا القول منّا لهم معذرة الى ربّكم اذ كلّفنا الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم قالوا ولعلّهم يتّقون ، ونعظهم ايضاً لعلّهم ينجع فيهم المواعظ فيتّقوا هذه الموبقة ويحذروا عقوبتها ، قال الله تعالى فلمّا عتوا حادوا واعرضوا و تكبّروا عن قبول الزّجر عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، مبعدين من الخير مبغضين ، فلمّا نظر العشرة الالاف و النّيف انّ السّبعين الفاً لا يقبلون لو اعظهم ولايخافون بتخويفهم ايّاهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم الى قرية اخرى وانتقلوا الى قرية من قراهم ، وقالوا نكره ان ينزل بهم عذاب الله ونحن فى خلالهم ، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلّهم قردة وبقى باب المدينة مغلقاً لايخرج منه احد ولا يدخله احد ، وتسامع بذلك اهل القرى فقصد وهم وسموا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم فاذاهم كلّهم رجالهم و نساؤهم قردة يموج بعضهم فى بعض ، يعرف هؤلاء النّاظرون معارفهم و قراباتهم وخلطائهم يقول المطّلع لبعضهم: انت فلان وانت فلانة فتدمع عينه ويومى برأسه اوبفمه بلااونعم ؛ فمازالوا كذلك ثلاثة ايّام ثمّ بعث الله تعالى مطراً وريحاً فجرفهم الى البحر ومابقى مسخ بعد ثلاثة ايّام ؛ وانّما الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فانّما هى اشباهها لاهى بأعيانها ولا من نسلها [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ] عطف على اذيعدون او على اذ تأتيهم او على اذ قالت امّة اوعطف على اسئلهم بتقدير اذكر اوذكّر و تأذن واذّن من باب التّفعيل واذنه من الثّلاثىّ المجرّد واذن به بمعنى اعلم وكثر استعمال اذن مخفّف العين بمعنى علم واباح ورخّص وجاء تأذّن بمعنى اقسم [لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ] على العادين يوم السّبت او على اليهود مطلقاً بفعل العادين [إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ] يكلّفهم [سُوءَ الْعَذَابِ] بالقتل والاذلال بالجزية والاجلاء كما فعل بخت نصّر ومن بعده ومحمّد (ص) [إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ] فلا ينبغى الاغترار بحلمه [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] لمن ارعوى عن غيّه وتاب اليه [وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الْاَرْضِ أُمَماً] متفرّقين بحيث لا يخلو مملكة منهم و الاغلب انّهم اذلّاء عند غير مذهبهم

[مِنْهُمُ الصّالِحُونَ] جملة مستأنفة اووصفيّة اوحاليّة ومنهم مبتدء سواء كان من اسماً اوقائماً مقام الموصوف المبتدء او خبر مقدّم [وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ] منهم مبتدء كماسبق اومنهم خبر مقدّم والمبتدء محذوف اى منهم ناس دون ذلك اى منحطّون عن الصّلاح سواء لم يكونوا كافرين او كانوا كافرين، ويكون المرادبقوله فخلف من بعدهم خلف انّهم صاروا بعد جميعاً كافرين اوالمرادبمن دون ذلك من لم يبلغ درجة الكفر [وَبَلَوْنٰاهُمْ بِالْحَسَنٰاتِ] السّعة والدّعة والامن والصّحة [وَالسَّيِّئٰاتِ] ضدّ ذلك المذكور [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم كماهو ديدننا فى هداية من اردنا هدايته [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] ذووشرّ على ما قيل انّه بالتّسكين لذوى الشّرور وبالتّحريك لذوى الخيرات ، وهوتعريض بامّة محمّد(ص) حيث كانوا فى عهده امّاصالحين وامّا دون ذلك وبعده صاروا آخذين بعرض الدّنيا مغترّين بغرور النّفس مع انّه(ص) اخذ عليهم الميثاق بان لايستبدّوا بآرائهم ولا يقولوا على الله الّا الحقّ ولا يفارقوا الكتاب وعترته (ص) [وَرِثُوا الْكِتٰابَ] اى كتاب النّبوّة و احكامها اوالتّورية على تنزيله وظاهره [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنىٰ] من الدنوّ اوالدّناءة يعنى العرض الّذى هو عبارة عن متاع الدّنيا فانّه عارض وزائل لامحالة والجملة امّاصفة بعدصفة والاختلاف مع الاولى للاشارة الى استمرارهم فيه ، اوحال من خلف لاختصاصه بالصّفة، اومن فاعل ورثوا، اوجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مافعلوا بوراثة الكتاب؟- فقال: يأخذون وعلى اىّ تقدير فالمقصود ذمّهم على انّهم جعلوا الكتاب الّذى هو سبب لاخذ النّعيم الابدىّ والفوز بخير دار البقاء وسيلة لعرض الدّنيا الزّائل لحمقهم، فانّ اسناد الاخذ الى الخلف المقيّد بوراثة الكتاب يشعر باعتبار الحيثيّة؛ فالويل ثمّ الويل لمن انتحل الاحكام النّبويّة وجعلها وسيلة الى الاعراض الدّنيويّة كاكثر العامّة الّذين ادّعوا العلم و الفقاهة وانتحلوا الشّرع والوراثة [وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنٰا] فانّ النّفس فى توسّلها الى مشتهياتها تستدعى وجهاً لاطمينانها فيهافتارةً تقول: لاثواب ولاعقاب ولا آخرة ان هى الّا حيوتنا الدّنيا ، وتارةً تقول: انّ الله كريم، وتارةً تقول: ليس العذاب الّا ايّاماً معدودة، وتارةً تقول: من انتسب الى نبىّ(ع) لايعذّب ولوجاء بذنوب اهل الدّنيا ، وتارةً تقول : محبّ علىّ(ع) لايدخل النّار وحبّ علىّ(ع) حسنة لاتضر معها سيّئة ولاتدرى انّها كلّها غرور وماتوهمته انتساباً الى نبىّ اومحبّة لعلىّ(ع) انتساب الى الشّيطان ومحبّة له ؛ اعاذنا الله من شبهات انفسنا [وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ] يعنى ليس قولهم سيغفر لنا الّا عن غرور النّفس فانّ راجى المغفرة يرعوى عمّا ينافيها [أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثٰاقُ الْكِتٰابِ أَنْ لٰا يَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ] يعنى انّ وراثة الكتاب تستدعى الخوف من الله لا الاغترار به فانّ ميثاق الكتاب اى العهود الّتى تؤخذ عليهم بالبيعة العامّة النّبويّة ان لايغترّوا بالدّنيا ولا يقولوا على الله الّا الحقّ [وَدَرَسُوا] تعلّموا وتعاهدوا [مٰا فِيهِ] من الوعد والوعيد [وَالدّٰارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] يعنى انّ الافتتان باعراض الدّنيا يتصوّر لغفلتهم عن مفاسدها وسكوتنا عن بيانها وقدبيّنّاها ونبّهناهم عليها، اولرجحانها على متاع الآخرة وليس كذلك، اوللحمق وعدم العقل واليه اشار بقوله [أَفَلٰا تَعْقِلُونَ] او لانّ التّمسّك باحكام الكتاب و الاتّعاظ بمواعظها يصير ضائعاً عندنا [وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتٰابِ] اى كتاب النّبوّة بالبيعة الاسلاميّة [وَأَقٰامُوا الصَّلٰوةَ] بالبيعة الولويّة [إِنّٰا لٰا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى انّ التّمسّك بالكتاب والولاية مصلح

لا محالة فعلى هذا قوله تعالى و الدّارالآخرة (الى آخرها) جملة حاليّة والّذين يمسّكون بالكتاب عطف عليه و الاحتمالات الاخر فى تركيبها بعيدة عن سوق الكلام [وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ] رفعناه بالقلع [فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ] سقف يظلّلهم [وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ] استعمال الظّنّ مع انّهم كانوا متيقّنين لوقوعه لكونه معلّقاً وليس من عادة الاثقال ان تقف معلّقة لانّهم كانوا اصحاب النّفس وليس من صفة النّفس الّا الظّنّ وان كان متيقنة اولانّهم لمّا علموا انّه كان باعجاز احتملوا ان يقف باعجاز ايضاً ولايقع عليهم [خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ] على تقدير القول يعنى قائلين خذوا التّوراة واحكامها بقوّة وعزم من قلوبكم وامتثلوا احكامها بقوّة من ابدانكم [وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ] من العبر والاحكام [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] موبقات النّفس، عن الصّادق(ع) لمّا انزل الله التّوراة على بنى اسرائيل لم يقبلوه فرفع الله عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى(ع) ان لم تقبلوا وقع عليكم الجبل فقبلوه وطأطأوا رؤسهم وقد مضى فى سورة البقرة [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] وقرئ ذريّاتهم، **اعلم**، انّ آدم قد يقال على آدم ابى البشر وقد يقال على معنى موجود فى كلّ بشر وقد يقال على معنىً اعمّ منهما و بهذا المعنى يقال: آدم الملكىّ، وآدم الملكوتىّ وآدم الجبروتىّ، وآدم اللّاهوتىّ، وبهذا المعنى ورد فى بعض خطب مولانا أمير المؤمنين(ع): انا آدم الاوّل، وذلك لانّ كلّ ما فى عالم الطّبع وعالم الكثرة فله صورة ومثال بنحو الكثرة والتّفصيل فى عالم المثال بحيث لورآه راءٍ لقال: هو هو بعينه من غير فرق و تميز وله حقيقة فى عالم العقول العرضيّة و ارباب الانواع وله حقائق فى عوالم العقول الطّوليّة بنحوٍ اتمّ وابسط ممّا فى هذا العالم ويعبّر عمّا فى تلك العوالم بالذّرّ، وكلّ ما وجد فى ما فوق عالم الطّبع فكلّه علم وشعور وسمع وبصر ونطق، بخلاف ما فى هذا العالم فانّ شعوره وسمعه وبصره ونطقه بآلات متمايزةٍ ليس فى موضع السّمع بصر ولا فى موضع البصر سمع و نطق. **ثمّ اعلم**، انّ المراتب النّازلة كلّ بالنّسبة الى مافوقه رقائق وذرار وظهور له بنحو الكثرة والتّفصيل لكنّه فى عين التّفصيل اخفى منه واضعف والعالى فى عين اجماله اتمّ واشدّ واظهر و احقّ بالاسم المطلق عليه، فآدم اللّاهوتىّ الّذى يعبّر بالحقيقة المحمّديّة (ص) والحقّ المخلوق به والاضافة الاشراقيّة اشدّ ظهوراً واحقّ باسم آدم من آدم الجبروتىّ وهكذا الى آدم النّاسوتىّ وبنو آدم فى كلّ مقام هم المنتسبون اليه بلاواسطة مثلاً بنو آدم اللّاهوتىّ مافى عالم العقول الطّوليّة من التعيّنات الآدميّة، وبنو آدم الجبروتىّ ما فى العقول العرضيّة وبنو آدم فى تلك المرتبة الصّور المثاليّة، وبنو آدم المثالىّ الملكوتىّ الصّور الملكيّة البشريّة، وبنو آدم البشرىّ المنسوبون اليه بلاواسطة اوبواسطة، وبنو آدم فى العالم الصّغير المدارك والقوى البشريّة و ذريّة بنى آدم فى كلّ مرتبة ما يليق بتلك المرتبة كما لا يخفى على البصير، و التّعبير بظهر بنى آدم دون ظهر آدم كما فى الاخبار، لانّ آدم اللّاهوتىّ لبساطته و وحدته له وحدة حقّة ظلّيّة لايتصوّر فيه كثرة حتّى يتصوّر له ذرار ولاجهة وجهة حتّى يتصوّر له ظهر وبطن **وايضاً** الاقتصار على ظهر آدم يوهم الاختصاص بآدم ابى البشر ولمّا كان سلسلة النّزول بمنطوق صحيحة ماورد: انّ الله خلق العقل ثمّ قال له: أقبل اى الى الدّنيا والدّار السّفلى؛ فأقبل، متوجّهاً عن الحقّ الاوّل تعالى الى العالم الاسفل كان المنظور اليه والمترائى فيه فى كلّ مرتبة هو ظهرها، **وايضاً** لمّا كان كلّ مرتبة بالنّسبة الى دانيها ظهوره بنحو اتمّ واشدّ قال: من ظهور بنى آدم بخلاف سلسلة الصّعود فانّها بحكم قوله ثمّ قال له: أدبر اى عن الدّنيا فأدبر كان المنظور فيه منها هو البطن منها، **وايضاً** كلّ دان بالنّسبة الى العالى بطن ومحلّ اختفاء ولذا اطلق البطن فى سلسلة الصّعود اخرجناكم من بطون

امّهاتكم،والسّعيد سعيد فى بطن امّه،والتّعبير بأخذنا فى النّزول واخرجنا فى الصّعود لايخفى وجهه [وَأَشْهَدَهُمْ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلٰى شَهِدْنٰا] وبعد ما علمت انّ الاشياء كلّها خصوصاً مافوق عالم الطّبع بالنّسبة الى الله تعالى كلّها علم وشعور وسمع وبصر ونطق لايبقى لك التّأمّل فى انّ الاشهاد والاسماع والاقرار كلّها على حقائقها اللّغويّة بل الاحقّ بحقائقها هو مافيما فوق عالم الطّبع ولاحاجة لك الى تأويلات المفسّرين وتكلّفاتهم ومجازاتهم [أَنْ تَقُولُوا] كراهة ان تقولوا [يَوْمَ الْقِيٰامَةِ إِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] يعنى اشهدناكم و حملناكم على الاقرار هناك لكى تستقلّوا بالتّكليف وتتنبّهوا بالرّبوبيّة فلا تكونوا غافلين ههنا ولا تابعين ولا معلّقين سوء فعالكم على غيركم [وَكَذٰلِكَ] التّفصيل بالقول وبالفعل [نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ] التّكوينيّة فى مراتب التّكوين وفى كتاب التّدوين [وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عطف على كذلك نفصّل الآيات و سوّغ عطف الانشاء على الخبر تضمّنها للتّعليل كأنّه قال: لذلك تفصّل الآيات لرجوعهم [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنٰاهُ آيٰاتِنٰا] النّبويّة على لسان نبيّنا(ص)، اوآياتنا الولويّة على لسان خليفته، اوآياتنا الآفاقيّة الغير النّبويّة والغير الولويّة، اوآياتنا الانفسيّة الّتى شاهدها و ادراك حيثيّة كونها آيات من الآيات المنذرة والمبشّرة الجارية على السنة خلفائنا والواردة عليه ممّا ليس بقدرته واختياره والواقعة فى المنامات والواقعات و المنبّهة من اختلاف الحالات، والغرض من التّلاوة عليهم تذكيرهم بسوء عاقبة المنسلخ حتّى يتذكّروا ويكونوا على حذر فلاينسلخوا عن الآيات النّبويّة والاحكام الشّرعيّة ولايعرضوا عن خليفته محمّد(ص) والمنصوب بعده لهدايتهم، ونزول الآية فى بلعم بن باعورا كما فى اخبارنا اواحد علماء بنى اسرائيل اواميّة بن ابى الصّلت رجا لكثرة علمه واطّلاعه على الكتب السّماويّة ان يكون هو النّبىّ الموعود فلمّا بعث محمّد(ص) حسده وكفربه كما قيل [فَانْسَلَخَ مِنْهٰا] بترك العمل بمقتضاها و الغفلة عنها [فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطٰانُ] جعله تابعاً لنفسه بعد انسلاخه من الآيات الّتى هى الشّهب المتبعة للشّيطان والتّفسير بلحقه وادركه ايضاً مناسب لهذا المقام، مثله فى قوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب بمعنى لحقه و ادركه و قد جاء فى اللّغة بمعنى جعله تابعاً [فَكٰانَ] اى صار و التّعبير بكان للاشارة الى تمكّنه فى الغواية كما انّ لفظة [مِنَ الْغٰاوِينَ] ايضاً كذلك [وَلَوْ شِئْنٰا لَرَفَعْنٰاهُ بِهٰا] بالآيات ولمّا توهّم من لفظة انسلخ منها ولفظة فأتبعه الشّيطان انّه لادخل لله ومشيّته فى الانسلاخ واتّباع الشّيطان استدرك ذلك الوهم وقال : ان مشيّتنا هى السّبب الفاعلىّ وما من قبله هو السّبب القابلىّ والسّبب الفاعلىّ وان كان تامّاً لكنّه لم يقع جزافاً بل بحسب استعداد القابل وما استعدّ المنسلخ للارتفاع [وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ] ارض الطّبع وبعدها الى ارض الطّين لقضاء مشتهيات عنها [وَاتَّبَعَ هَوٰاهُ] من قبيل عطف السّبب على المسبّب فشئنا غوايته و ضلاله فأضللناه [فَمَثَلُهُ] بعد ما اخلد الى الارض فى شدّة تعبه وكثرة حركته لتحصيل مأموله من الارض لتسكين حرارة حرصه وعدم الانتفاع فى تسكين الحرص [كَمَثَلِ الْكَلْبِ] الّذى وقع فى الحرّ الشّديد فلهث وأخرج لسانه وفتح فاه لكثرة التنفّس لتسكين حرارة القلب ولم ينفعه ذلك بل يضاعف حرارته لكثرة وصول

الهواء الحارّ الى قلبه فقوله [إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] فى موضع حال مقيّدة للكلب باخسّ احواله، روى عن الرّضا (ع) انّه اعطى بلعم بن باعوراء الاسم الاعظم وكان يدعو به فيستجيب له ، فمال الى فرعون فلمّا مرّ فرعونَ فى طلب موسى (ع) واصحابه قال لبلعم: ادع الله على موسى (ع) واصحابه ليحبسه علينا ، فركب حمارته ليمرّ فى طلب موسى (ع) فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربنى ؟ ! اتريدان اجيء معك لتدعو على نبىّ لله وقوم مؤمنين !ـ فلم يزل يضربها حتّى قتلها وانسلخ الاسم الاعظم من لسانه ، ونسب الى الرّواية انّ قومه سألوه ان يدعو على موسى (ع) ومن معه ، فقال: كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوّا عليه حتّى دعا عليهم فبقوا فى التّيه ، ونقل انّه لمّا دعا على موسى (ع) خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب [ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] اشارة الى التّعميم فكلّ مكّذب بآيات الله هذا مثله [فَاقْصُصِ الْقَصَصَ] على اليهود وغيرهم كما عرفت انّ المقصود تنبيه امّة محمّد (ص) [لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فى مآل افعالهم واحوالهم [سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] التّكرار للمبالغة فى ذمّهم وللتّطويل المناسب لمقام التّهديد [وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ] كأنّه توهّم متوهّم ممّا رأى من تشديد الله عليهم أنّهم ظلموا الآيات بالتّكذيب فقال: ماظلموا (الآيات) ولكن انفسهم كانوا يظلمون وأسقط المعطوف عليه لاستفادته من الحصر المستفاد من تقديم المفعول [مَنْ يَهْدِي اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] استدراك لما توهّم من نسبة الاخلاد الى الارض واتّباع الهوى والتّكذيب اليهم من انّ الافعال منسوبة اليهم ، نسبة الفعل الى الفاعل واختلاف القرينتين بالافراد والجمع وتكرار المبتدأ وعدمه لكون المقام مقام التّهديد ومناسب مقام التّهديد الاكتفاء فى جانب الوعد والرّحمة بأقلّ مايكتفى به ، وتعجيل الانتقال الى المهدّدين والتّغليظ والتّطويل فيهم وللاشارة الى اتّحاد المهتدين واختلاف الضّالّين [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] ولرفع توهّم الجبر وتوهّم ان لامدخل للعبد فى ذلك كما يدلّ عليه ذرأنا قال: فعلنا ليس اجباراً منّا بل [لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا] فبعدم استعدادهم وعدم استحقاقهم ادخلناهم جهنّم ، ولمّا كان التّفقّه عبارة عن علم دينى يتوسّل به الى علم آخر كما مضى ولم يكن علومهم وان كانت كثيرة دقيقة باعثة لترقّيهم فى طريق القلب والآخرة نفى الفقه عن قلوبهم [وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا] من الاشياء مايدلّ على الله ومبدئيّته ومعاديّته فى عين حدّتها [وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا] من الاشياء و الاصوات ما ينفعهم فى آخرتهم فى عين حدّتها فى سماع الاصوات ولايسمعون اصوات الاشياء الّتى تنادى كلّا ليلاً ونهاراً ان : لا تقم فى دار طبعك ، ولاتنم فى مسبعك ، واستعدّ من يومك لغدك [أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ] فى عدم التّفقّه واشتداد العلم و فى عدم ابصار ماينبغى ان يبصر من المبصرات ، و عدم سماع ما ينبغى ان يسمع من المسموعات ، بل مداركهم موقوفة على درك اسباب التّعيّش فى الآجل وان كانت فى اعلى مرتبة الدّرك كاكثر الفلاسفة المنكرين للرّسالة المعتقدين انّ الرّسول هو العقل واحكامه هى الشّريعة ، كما انّ مدارك الانعام موقوفة على درك النّافع و الضّارّ فى الآجل [بَلْ هُمْ أَضَلُّ] لانّ ضلال الانعام بالنّسبة الى الانسان ضلال و الّا فهو بالنّسبة الى مقامها هداية فهى باقية على هدايتها التّكوينيّة، وايضاً ضلالها لايتخطّى بها عن مقامها الى ما يوذيها ويؤلمها [أُولٰئِكَ

هُمُ الْغٰافِلُونَ] تكراراسم الاشارة البعيدة لتحقيرهم ولتطويل التّغليظ عليهم كماهو المناسب لمقام الذّمّ والجملة تأكيدٌ للاولى باعتبار لازم معناها ولذالم يأت بالعاطف وأتى بهامؤكّدة محصورة ، والمقصود انّ الغفلة محصورة على الغافل عن دلالة الاشياء على ما هى موضوعة بالوضع الآلهىّ له لا الغافل عن الجهات الدّنيويّة ، ولاالغافل عن الشّعور بالشّعور حين مشاهدة شخص او سماع لفظ مع عدم الالتفات الى الرّؤية و الى مدلول المسموع فانّ هذا الغافل لايستضرّ بغفلته وان استضرّ فى جهة دنيويّته فليس ضرراً يعتنى به بخلاف الغافل عن جهة دلالة الاشياء و جذبها الى الآخرة فانّه يتضرّر بها البتّة ضرراً خارجاً عن التّهديد [وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ] الجملة حال من فاعل الافعال الثّلاثة على سبيل التّنازع و قوله اولئك كالانعام معترضة جواباً لسؤال مقدّر او انشاء لذمّهم بها ، والتّقييد بهذه الجملة للدّلالة على غاية مذمّتهم لانّ المعقول والمبصر والمسموع اذا لم يكن له جهة سوى المظهريّة والاسميّة لله ومع ذلك لم ير الرّائى منه ما هومرئىّ فيه ومدلول له ،كان ذلك منه غاية العمى والغفلة بخلاف مااذاكان ذاجهتين ، والمعنى لهم قلوب لايفقهون من معقولاتهم ومدركاتهم المعقولات الاُخر الاخرويّةالآلهيّة ولاينتقلون منها الى مايتراءى فيها من الصّفات الالهيّة والحال انّ اكثرها وهى الاسماء الحسنى لا جهة لها سوى اراءة الله ، لانّها مختصّة بالله ليس فيها دلالة على غيره وهم يدركون بهاغيره لغاية عماهم، ثمّ اعلم ، انّه لااختصاص لاسم الاسم بالاسماء اللّفظيّة ولابالمفاهيم الذّهنيّة ولابمادلّ بالمواضعة، بل يطلق حقيقةً على الموجودات العينيّة لانّ حقيقة الاسم مايحكى عن الغير لفظيّاً كان اوذهنيّاً اوعينيّاً ، كماورد عنهم : نحن الاسماء الحسنى ، وانا الاسم الاعظم ولااسم لله اكبرمنّى ، وحسن الاسم امّابحسن دلالته اوبحسن مدلوله اوبحسنه فى نفسه مع قطع النّظر عن حيثيّة اسميّته ودلالته،كالمرآة فانّ حسنها قد يكون بحسن اراءتها اوبحسن المرئىّ منها اوبحسنهافى نفسهافالموجودات العينيّة والمعقولات الذّهنيّة والاسماءاللّفظيّة كلّها اسماء الله كماقرّرفى محلّه:

و فى كلّ شىء له آيةٌ تدلّ على انّه واحدٌ

و كلّها حسنة باعتبار دلالتها على الله لكنّها متفاوتة فى الدّلالة و فى انفسها و بهذا الاعتبار توصف بالاحسنيّة فالعقول الّتى هى بشراشرها تحكى عن الله وصفاته واسمائه وهم الملائكة المقرّبون احسن من النّفوس باعتبار دلالتها وباعتبارهافى انفسها ، والنّفوس الّتى يعبّرعنها بالمدبّرات امراً لتجرّدهاعن المادّة والتّقدّراحسن من الاشباح النّوريّة ، وهى لتجرّدها عن المادّة احسن المادّيّات وهى احسن من اهل الملكوت السّفلىّ الّتى هى دارالشّياطين والجنّة وفيها جحيم الاشقياء ، لكنّ المادّيّات و السّفليّات لاحتجابها بحجب المادّة ولوازمها وانظلامها بظلمة المادّة كأنّها لادلالة لها على الله ولاحسن لها فى انفسها فلوسمّيتها بالاسماء الغير الحسنة اوالغير الحسنى، لكان حقّاً هذا بحسب سلسلة النّزول وامّابحسب سلسلة الصّعود فخاتم الانبياء (ص) اسم احسن بالجهات الثّلاثة لا احسن منه ثمّ خاتم الاولياء (ع) ثمّ سائر الانبياء(ع) والاولياء(ع) على تفاوت مراتبهم ، فالمعنى ولله خاصّةً الاسماء الّتى لادلالة لها على غيره وهى احسن من غيرها فى انفسها [فَادْعُوهُ بِهٰا] ولمّاكان الامر بدعائه تعالى مفروغاً عنه مسلّماً عندهم بحيث ما بقى لاحدٍ شكّ فى انّه مأمور بدعائه تعالى كان الغرض من تفريعه على تخصيص الاسماء الحسنى به تخصيصه بها اعتباراً لمفهوم القيد فى مثل هذا المقام فكأنّه قال فادعوالله بالاسماء الحسنى لا بغيرها من الاسماء الّتى لاحسن فيها اوليست بأحسن ، ولمّاكان الاسماء اللّفظيّة الآلهيّة كلّها متساوية فى انفسها وفى دلالتها ، لانّ الدّلالة وضعيّة فى كلّها والمدلول فى الكلّ هوالله واسماؤه وصفاته فلا يتصوّر فيها التّفاوت بالحسن و عدمه و الاحسنيّة و عدمها فليست هى مقصودة منها ، و الاسماء النّزوليّة

الّتي مقامها فوق مقام البشر، لمّا لم يمكن التّوسّل بها للبشر لارتفاعها عن مقام البشر وعدم سنخيّة البشر لها فهي ايضاً ليست مقصودة لعدم جواز الامر من الله بالتّوسّل بغير الممكن ، فبقى ان يكون المقصود الامر بدعائه بتوسّط الاسماء البشريّة الصّعوديّة فكأنّه قال تعالى بعد اعتبار مفهوم القيد: فادعوه باسمائه الحسنى من افراد البشر الّتي هي ببشريّتها سنخكم ويمكن لكم التّوسّل بها من الانبياء (ع) والاولياء (ع) و خاتم الكلّ و الحاضر فى زمانكم محمّد (ص) وعلىّ (ع)، فادعوه بهما كما فسّر قوله تعالى : ادعوا الله اوادعوا الرّحمن بهما ؛ ولاتدعوه باسمائه الغير الحسنى من الاشقياء وائمّة الجور وخاتم الكلّ والحاضر فى زمانكم مقابلوا محمّد (ص) وعلىّ (ع) وعلى هذا فقوله تعالى [وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمٰائِهِ] كان بياناً لمفهوم القيد و تأكيداً له ان كان معناه واتركوا دعاء الله بالّذين يلحدون فى اسمائه الحسنى ان جعل الاضافة للعهد اوفى مطلق اسمائه ان جعلت للاستغراق، وان كان معناه اعرضوا عن الّذين يلحدون فى اسمائه ولا تنظروا اليهم والى الحادهم كان تأسيساً يعنى لاتوسّلوا بهم حسب مفهوم القيد ولاتنظروا اليهم والى الحادهم بل اجعلوهم كالمعدومات ، والمراد بالالحاد فى الاسماء العدول عنها من حيث انّها اسماء و العدول بها عن اسميّتها لله و قوله [سَيُجْزَوْنَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] يناسب المعنى الثّانى لقوله وذروا الّذين يلحدون [وَمِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت ممّا مضى انّ الحقّ المضاف هو الولاية والنّبوّة والرّسالة صورتها [وَبِهِ يَعْدِلُونَ] من العدالة اويسوّون الاشياء الغير المتعادلة من قوى انفسهم فى مملكة وجودهم او من غيرها فى خارج وجودهم و قد فسّر هذه الآية فى اخبار عديدة بآل محمّد (ص) وأتباعهم وهو قرينة قوله تعالى: ولقد ذرأنا لجهنّم وكان المناسب للمعادلة ان يقول وخلقنا للجنّة امّة يهدون ، ولكن لمّا كان المقام مقام الوعيد دون الوعد ناسب تطويل الوعيد والاجمال فى الوعد ولذا بسط فى الوعيد بذكر الاوصاف العديدة لاصحاب جهنّم ، واكتفى بهذا القدر لاصحاب الجنّة وانتقل الى التّهديد والوعيد وهو معطوف على جملة ذرأنا باعتبار مناسبة المعنى كأنّه قال : و ممّن خلقنا امّة يستحقّون الجحيم ، و هذه المقابلة تدلّ على انّ قوله : و لله الاسماء الحسنى من متعلّقات الجمل السّابقة [وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ] الاستدراج الاستصعاد اوالاستنزال درجةً بعد درجةٍ والمراد به هنا الاستنزال ، عن الصّادق (ع) اذا أراد الله بعبدٍ خيراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار، واذا اراد بعبدٍ شرّاً فأذنب ذنباً فاتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها وهو قول الله عزّوجلّ : سنستدرجهم من حيث لايعلمون بالنّعم عند المعاصى [وَأُمْلِي لَهُمْ] من املى له امهله ، اومن املاه الله متّعه فيكون دخول اللّام للتّقوية وللاشعار باختصاص الاملاء بهم [إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] يعنى ماظاهره الاحسان وباطنه الاستدراج والاساءة من الاناسىّ ضعيف ومنّى متين بحيث لايعلم به اصلاً [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا] ءانكروا محمّداً (ص) ولم يتفكّروا [مٰا بِصٰاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ] كما يقولون انّه لمجنون] [إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ] ظاهر اومظهر ان انذاره من الله [أَوَلَمْ يَنْظُرُوا] عطف على قوله او لم يتفكّروا او على مقدّر اى اوقفوا عن النّظر ولم ينظروا [فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] ملكوت كلّ شيءٍ باطنه لانّ الملكوت مبالغة فى المالكيّة وباطن كلّ شيءٍ مالك لظاهره كباطن الانسان المسخّر لظاهره بحيث لا يتمكّن من عدم طاعته ، وباطن السّماوات المسخّر لاجرامها فى حركاتها

المتناسقة وملكوت الارض مثالها فى عالم المثال وهوعالم الملكوت الاعلى ، والمقصود من النّظر فى ملكوتهما النّظر فى دقائق الحكم المودعة فى حركاتها المتناسقة المنتظمة المترتّب عليها كلّيّات نظام العالم و جزئيّاته الّتى لايشكّ العاقل فى انّها ليست من اجرامها من غيرعلمٍ وشعورٍ ، بل لها مسخّرعالم شاعرحكيم واذاعرف الانسان ذلك من السّماوات والارض لم يتوقّف فى معرفة الآخرة ومعرفة الله وصفاته ومعرفة المعاد، وورد الامر بالنّظر فى السّماوات و الارض و آياتهما و آيات الآفاق و الانفس ليؤدّى بالنّاظر الى مدبّرهما و مسخّرهما وملكوتهما [وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يطلق عليه اسم الشّيء كائناً ماكان فانّ فى كلّ شيء آية قدرته وحكمته [وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ] او لم ينظروا فى انّه عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيستعدّوا له فيميزوا بين ما ينفعهم حين الاجل وبين مايضرّهم ، فانّ تذكّر الموت يعين على التّميزبين الحقّ والباطل وعلى رفع الغشاوة والعمه عن البصيرة [فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ] بعد الاجل [يُؤْمِنُونَ] ولا حديث بعده ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل [مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ] جواب لسؤال ناشٍ ممّا سبق كأنّه قيل: فما بالهم لايؤمنون بعدوضوح الحقّ ويتقّن الموت؟! [وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] يتحيّرون [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ] قد فسّر السّاعة فى رواياتنا بالقيامة وبظهور القائم عجّل الله فرجه وبوقت الموت والكلّ فى العالم الصّغيرراجع الى معنىً واحد وهو اوّل وقت الموت ، فانّه من مات قامت قيامته ويظهر القائم من آل محمّد(ص) حين الموت على المؤمن والكافر وكذا فى العالم الكبير ، فانّ الانسان بعد طىّ البرازخ سعيداً كان اوشقيّاً تقوم قيامته الكبرى وله اماتة اخرى ويظهر القائم حينئذٍ ظهوراً اتمّ من الظّهور الاوّل ويحاسب النّاس ويدخل اهل الجنّة فى الجنّة واهل النّار فى النّار ، وقوله تعالى : أمّتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين ؛ اشارة الى هاتين الاماتتين وهذين الاحيائين ولذا قدّم امّتنا والسّاعة بكلا معنييه من الامور الّتى لم يطلع الله عليها احداً من ملائكته المقرّبين وانبيائه المرسلين(ع) واوليائه الكمّلين ، فلايعلمها الّاالله ويقدّم منها مايشاء ويؤخّر فمن ادّعى علمها فهو كذّاب و قد ورد لعن الله الموقّتين ، بل التّحقيق انّ السّاعة خارجة من الوقت واقعة فوق الوقت ليس لها وقت زمانىّ بل هى من الملكوت والزّمان من الملك وتحديد الملكوت بالملك من غاية الجهل و لهذا نسب الله تعالى الى عدم العلم والجهل من سأل عنها [أَيَّانَ مُرْسَاهَا] وقوعها سؤال عن توقيت السّاعة [قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي] لانّه استأثره لنفسه [لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا] لا يظهرها فى وقتها [إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] لانّ صغريها وكبريها ترفع الحدود والتّعيّنات وتميت الانيّات وتظهر الحقّ وتبيد الباطل وليست السّماوات والارض وأهلهما الّا التّعيّنات والانيّات الباطلة ولاثقل اثقل ممّا يرفع الشّيء ولايبقى له اثراً [لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً] من غير تقدّم اثر وعلامة [يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا] يعنى يلحّون فى السّؤال عنك كأنّك ملحّ علينا فى السّؤال عنها [قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّهِ] تأكيد فى الرّدّ عليهم [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] انّها ممّا ليس يبذلها الله لغيره وانّها فوق الوقت لا يمكن توقيتها بوقتٍ [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا] فلا يكون لى الاطّلاع على الغيوب و هو تبرّءٌ من الانانيّة و اقرار بالعجز والعبوديّة ،كما هو شأن العارف بالرّبوبيّة وكناية عن نفى علم الغيب عن نفسه مطلقاً اشارة الى العجز فى قوّته العمّالة و الجهل فى قوّته العلّامة بحسب التّنزّل

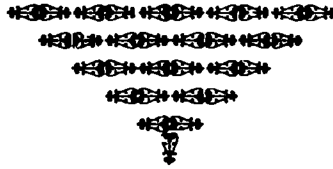
الى مقام البشريّة وماكان يظهرمنه من القدرة والعلم بالغيوب ، فانّما هو بحسب جنبته الملكوتيّة الّتى هى من عالم الرّبوبيّة [إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] ان يملكنى على ظاهره ويعلمنى على معناه المكنّى [وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ] تصريح بالنّفى المكنّى تأكيداً وتحقيق له بالبرهان الحسّىّ على زعمهم فانّهم لايرون خيراً الّا مازعموه خيراً من الاعراض الدّنيويّة [لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ] السّعة فى المال و الصّحّة والسّلامة [وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ] الآفة فى المال وفى الانفس [إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ] للكافرين بقرينة المقابلة مع بشير ، وتقييده بالمؤمنين او مطلقاً كما هو ظاهره لكن للمؤمنين من الجهات النّفسانيّة الّتى تؤدّى الى الكفر و للكفّار من كفرهم [وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] نفى لجملة الشّئون عن نفسه واثبات للانذار والتّبشير الّذين هما بأمر الله كأنّه قال: ليس لى شأن الّا امر الله وهو غاية التّوحيد فعلاً وصفةً ، ولمّا كان هذا منه(ص) توحيداً عقّبه تعالى شأنه باشراك آدم وحوّاء فى مخلوقه الّذى لاينبغى الاشراك فيه اشراكاً فى الآلهة ، وهو ينافى توحيد اله العالم الّذى هو دون توحيد الافعال والصّفات ابداءً لفضله(ص) وتقديماً لذمّ اولادهما فى الشّرك فى العبوديّة الّذى هو اقبح من الشّرك فى الآلهة ومستلزم له فقال [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ] منّاً منه سبحانه بنعمة الوجود واثباتاً لتوحيده فى العبادة ولذا وبّخهم على الاشراك معلّلاً بانّ ماجعلوه شريكاً لايخلق شيئاً [وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا] اذا رءاها من سنخها، وتذكير ضمير يسكن بلحاظ المعنى ويجوز ان يراد بنفسٍ واحدة ، حوّاء ويكون معنى جعل منها زوجها جعل من سنخها زوجها وهما آدم(ع) و حوّاء(ع) فى العالم الكبير و الجهتان العقلانيّة و النّفسانيّة للانسان اللّتان هما نازلتا العقل فى العالم الصّغير [فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا] لايظهر اثر ثقله [فَمَرَّتْ بِهِ] استمرّت مع الحمل [فَلَمَّا أَثْقَلَتْ] صارت ذات ثقل [دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا] فى النّفس والبدن [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا] منّة اخرى عليهما [جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا] بدّلا النّعمة بالكفران والوعد بالخلف . **اعلم ، انّ للاشراك بالله مراتب عديدة:** الاوّل ، الاشراك به فى وجوب وجوده كاشراك اكثر الثّنويّة القائلين بانّ للعالم مبدئين قديمين مسمّيين بالنّور والظّلمة اويزدان واهريمن، والثّانى، الاشراك فى الالهة كاشراك بعض الثّنويّة القائل بانّ القديم والواجب الوجود واحد والظّلمة اواهريمن مخلوق منه لكن له الالهة فى العالم وانّ الشّرور كلّها منه لامن الله ، والثّالث، الاشراك فى العبادة كاشراك اكثر الصّابئين واشراك الوثنيّين والعجليّين وغيرهم ممّن يعبد غير الله من مخلوقاته تقرّباً بها الى الله ، والرّابع، الاشراك فى الوجود كاشراك معظم النّاس الّا من شذّ الّذين لايرون فى الوجود الّا الموجودات المتكثّرة المتقابلة كلّ من الآخر والكلّ مع الله ، والخامس ، الاشراك فى الطّاعة كاشراك من اشرك فى طاعة الانبياء (ع) والاولياء(ع) وخلفائهما طاعة غيرهم من ائمّة الجور وعلماء السّوء والسّلاطين والامراء والحكّام، والسّادس، الاشراك فى المحبّة كاشراك من اشرك فى محبّة الله ومحبّة خلفائه محبّة غيره وكاشراك من اشرك فى المحبّة بان كان مصدرها الهيّاً ونفسانياً اوغايتها الهيّاً ونفسانيّةً ،والسّابع ، الاشراك فى الولاية وهى اشدّها واعظمها بان اشرك مع ولىّ الامر اونبىّ الوقت غيره فى البيعة الخاصّة الولويّة اوالعامّة النّبويّة اواذعن بنبوّة من ليس بنبىٍّ اوبولاية من ليس له الولاية، فقوله تعالى : ومايؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون، المقصود منه احد المعانى السّابقة غير الثّلاثة الاول وكلّ هذه المعانى غير الكفر بالله فى كلّ مرتبة فانّه يقتضى قطع النّظر عن الله واستبداد النّظر الى غيره، ومايجرى فى اهل العالم

الكبير يجرى فى اهل العالم الصّغير من غيرفرق ، ومعانى الاشراك غير الثّلاثة الاول وغيرالمعنى الاخير يجوز اعتبارها ههنا ان كان المراد انّ آدم و حوّاء حقيقةً جعلا له شركاء كمافى الخبروانّما شركهما شرك طاعة وليس شرك عبادة ، وفى حديث : جعلا للحارث نصيباً فى خلق الله ويناسب الشّرك فى المحبّة بأحد معانيه وقوله تعالى: شاركهم فى الاموال والاولاد يناسب هذا الشّرك والشّرك فى الطّاعة، وان كان المراد انّ اولاد آدم(ع) جعلوا له شركاء فيما آتاهم والنّسبة الى آدم(ع) وحوّاء كانت مجازاً كما فى الخبر ، ويؤيّده قوله تعالى فتعالى الله عمّا يشركون بصيغة الجمع امكن اعتبار جميع اقسام الشّرك ونسبة الشّرك الى اولادهما امّا بطريق المجاز فى الحذف بان يكون فاعل جعلا اولادهما ، لكنّه حذف و اقيم المضاف اليه مقامه اوبطريق المجاز فى الحكم بان يكون المحكوم عليه الاولاد لكنّه نسب اليهما باعتبار انّ الاتباع والاولاد كالاجزاء اوالنّسبة الى الاولاد باعتبار ان يراد الجنس من لفظ صالحاً وحينئذٍ يشمل الذّكور و الاناث ، وضمير جعلا يرجع الى صالحاً باعتبار الصّنفين كما فى الخبر، ولمّا علم من السّابق انّ الله خالق والخالق لايساوى المخلوق اتى بالفاء الدّالّ على التّسبيب والتّفريع فقال [فَتَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] عن الّذى يشركونه او عن اشراكهم [أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ] توبيخ بوجهٍ آخر فانّ الاوّل باعتبار انّ الخالق المنعم شأنه ان يوحّد ولاينظر معه الى غيره من غير اعتبار وصفٍ للشّريك وهذا باعتبار انّ مالايخلق بل هو مخلوق لاينبغى ان يجعل شريكاً للخالق [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ] ذكر اوصافه مترتّبة فى الذّمّ من الاخسّ فالاخسّ كما هو طريقة المبالغة فى الذّمّ و على هذا فمعنى ان تدعوهم الى الهدى الى ان تهدوهم انتم فضلاً عن انّهم يهدونكم [سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ] يعنى ما يجعل شريكاً للخالق ينبغى ان يكون خالقاً فان لم يكن خالقاً فلااقلّ من ان يكون مخلوقاً فان كان مخلوقاً فلااقلّ من ان يكون ناصراً لعابديهم، فان لم ينصروا عابديهم فلينصروا انفسهم فان لم ينصروا انفسهم فليتّبعوكم فى الدّعوة الى الهدى فان لم يتّبعوكم فليميّزوا بين الدّاعى وغيره ، فان انتفى ذلك كلّه فليس اشراكه الّا محض حمق المشرك وسفاهته [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ] و المعبود لا اقلّ من ان لا يكون عبداً [فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ] ولا اقلّ من السّماع والاستجابة [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا] ولا اقلّ من ان يمشى مثلكم [أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ] بعد اتمام التّوبيخ والتّفضيح تحدّياً [ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونَ] فانّى لاابالى بكم وبشركائكم بعد غاية ضعفكم وضعف شركائكم وقوّة ربّى وحفظه ونصرته [إِنَّ وَلِيِّيَ اللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ] فى موضع التّعليل والمراد بالكتاب كما عرفت الكتاب المعهود المعروف وهو كتاب النّبوّة والقرآن صورته [وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] لمّا كان التّحدّى باعتبار قوّة الله و ضعف الشّركاء علّله بهما فقوله الّذين تدعون من دونه عطف على مدخول ان [لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ] والتّكرار باعتبار التّعليل ومطلوبيّة التّكرار فى مقام المبالغة فى الذّمّ [وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ] صرف الخطاب منهم الى محمّدٍ(ص) اشعاراً بانّهم بعدماظهروقاحتهم

وسفاهتهم لاينبغي التّخاطب معهم [وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ خُذِ الْعَفْوَ] شبّه العفو بالوحشيّ النّشار دلتعسّر الاتّصاف به ثمّ استعمل الاخذ فيها استعارة تخييلية وترشيحاً لها والمراد منه اعمّ من الصّفح فانّهما كالفقراء والمساكين اذا اجتمعا افترقا، واذا افترقا اجتمعا [وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ] ولمّا لم يكن النّظر الى خصوص المعفوّ عنه والمأمور بالمعروف اسقط المفعول بخلاف الاعراض فانّه مختصّ بالجاهل ولذا قيّده فقال [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] وقد فسّر العفو فى الخبر بالميسور من الافعال والاخلاق وبالوسط من الاموال وهو من سعة وجوه القرآن ، **اعلم** انّ هذه الثّلاث امّهات اخلاق المعاشرة ونتائج امّهات الاخلاق الجميلة النّفسيّته فانّ المعاشر امّا معاند مسيء، وامّا محبّ مقبل، وامّا جاهل غير معاند وغير مقبل، وجميع آداب حسن المعاشرة مع المعاند مطويّة فى ترك مقابلة اساءته بالانتقام وهو العفو وتخلية القلب من تذكّر سوء صنيعته وهو الصّفح وهما من نتائج الشّجاعة والعفّة والحكمة الّتى هى من امّهات الخصائل، فانّ الجبان لايمكنه ترك الانتقام وان منع جبنه عن الانتقام فلايمكنه الصّفح، والمتهوّر لايترك الانتقام البتّة والعفيف يمنعه عفّته عن مطاوعة النّفس بخلاف الشّره، والحكيم يرى انّ فى ترك الانتقام راحةً فى العاجل ودرجة فى الآجل وكسراً لسورة عناد المعاند وجذباً للمحبّة والعدالة الّتى هى احدى امّهات الخصائل ايضاً تقتضى ذلك، فانّ اجمال العدالة اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وحقّ النّفس مطاوعتها للعقل وحقّ المسيء اصلاحه حتّى يترك الاساءة لاانتقامه حتّى يزيد فى الاساءة ، وآداب المعاشرة مع المقبل المحبّ مطويّة فى ارادة خيره فى كلّ حال وارادة خيره بان لايتركه ونفسه بل يعرّفه معروفه ويأمره به وهو من نتائج الحكمة والعدالة ، وآداب المعاشرة مع الجاهل الغير القابل للخير عدم معارضته وترك محادثته بخيره وهو من نتائج الحكمة والعدالة ايضاً وفى الخبر: امر الله نبيّه بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها [وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ] ان يغريك او يوسوسك من الشّيطان مغرٍ او موسوس او اغراء او وسوسة حتّى تحرّكك على انتقام المسيء وترك نصح المحبّ ومعارضة الجاهل [فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ] لاستعاذتك اولنزغ الشّيطان وان كان خفيّاً فى القلب [عَلِيمٌ] بعاقبة مايأمرك به اوبكيفيّة دفع نزغ الشّيطان [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا] ارادوا التّقوى من نزغ الشّيطان اواتّقوا موالاة الشّيطان اواتّقوا تقوى حقيقيّة حاصلة بولاية علىّ(ع) والبيعة الخاصّة الولويّة وعلى ايّ معنى فهو فى موضع تعليل للامر بالاستعاذة [إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ] خطرة و وسوسة لانّ الانسان قلّما ينفكّ منها فكأنّها طائفة بهم ودائرة معهم اوطائفٌ وشيطان من قبل ابليس الابالسة اوخيال من الطّيف بمعنى الخيال [مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا] اوامره تعالى ونواهيه ، اوتذكّروا سوء عاقبة الطّائف ، اوتذكّروا بالذّكر المأخوذ من ولىّ امرهم ، اوتذكّروا بالفكر الحاصل من الذّكر المأخوذ الّذى هو مثال شيخه [فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] سوء عاقبة الطّائف او انّ الطّائف من الشّيطان اوجذب الطّائف الى السّفل السّجّين او انّه شيطان يوسوسه من قبل ابليس [وَإِخْوَانُهُمْ] اى والحال انّ اخوان الّذين اتّقوا اواخوان الشّياطين من الانس [يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ] من المدّ بمعنى الجذب اومن المدد وقرئ يمدّونهم من الامداد يعنى يغرونهم على مخالفة الامر والمقصود الاشارة الى قوّة التّذكّر بحيث يمنع صاحبه من الغيّ وان كان شيطان الجنّ يغويه وشياطين الانس تجذبه اوتعينه فى غيّه [ثُمَّ لَايُقْصِرُونَ] لايمسكون من الجذب اوالامداد [وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ] من مقترحاتهم اوبآية من

القرآن فى احكامهم عند مسألتهم [قالُوا] اى المقترحون اوالمتّقون حرصاً على اجابة الكفّار الى مقترحاتهم طمعاً فى ايمانهم [لَوْلَا اجْتَبَيْتَها] لولا اخترت الآية المقترحة [قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي] ولست اختار من قبل نفسى آية ومعجزة من مقترحاتكم اوآية فى احكامكم [هٰذا] القرآن اوهذا المذكور من قوله واتل عليهم وهومن جملة المقول له(ص) اومستأنف من الله [بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] صفة للمجموع [وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا] يعنى اذاقرأ الامام الموثوق به فى الصّلوة القرآن اى الحمد والسّورة وانتم مؤتمّون به كما فى بعض الاخبار، اواذاقرأ الامام موثوقاً به اوغير موثوق به فى الصّلوة وانتم مؤتمّون به ، اواذاقرئ القرآن مطلقاً سواء كان القارى اماماً اوغير امام وسواء كنتم مؤتمّين اوغير مؤتمّين، وسواء كان القارى مصلّياً اوغير مصلّ ، وسواء كنتم مصلّين اوغير مصلّين كما فى بعض الاخبار، و وجه الجمع بين الاخبار المبالغة فى وجوب انصات المستمع فى الصّلوة مؤتمّاً حالكون القارى اماماً موثوقاً به وعدم المبالغة فى الوجوب فى غير الصّورة المذكورة ، او الوجوب فى الصّورة المذكورة والاستحباب فى غير الصّورة المذكورة كما عليه اصحاب الفتيا ، ووجه اختلاف الاخبار فى باب من ائتمّ بالمخالف بالنّهى عن القراءة والامر به باختلاف احوال الاشخاص فى امكان اخفاء القراءة عن المخالفين وعدمه [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ] المضاف او المطلق عطف على قوله تعالى : قل انّما اتّبع ما يوحى الىّ ، او مستأنفٌ و الامر له (ص) بحيث يشمل امّته او الخطاب عامّ و يصحّ عطفه على استمعوا اوعلى استعذ بالله ، اوعلى خذ العفو [فِي نَفْسِكَ] يعنى دون لسانك فانّه المتبادر ، ومقتضى المقابلة مع قوله ودون الجهر من القول، و هواشارة الى الذّكر الخفىّ الّذى هو مصطلح الصّوفيّة ولذاقدّمه والمراد بالذّكر اعمّ من الذّكر النّقشىّ المثالىّ المأخوذ عن ولىّ الامر ومن الذّكر التّمثالىّ المثالىّ الّذى يعبّر عنه بالفكر والحضور، وهو تصوّر مثال الشّيخ عند الذّاكر وهو أبلغ فى الذّكر من النّقشىّ المثالىّ وهو ابلغ من اللّسانىّ الغير المجهور و هو أبلغ من المجهور ، و يجوز ان يراد بالذّكر فى النّفس مطلق تذكّر الرّبّ اوتذكّر امره ونهيه عند كلّ فعال ، وقد سبق تفصيل الذّكر واقسامه وفضيلة كلّ قسم منه فى اوّل البقرة عند قوله فاذكرونى أذكركم [تَضَرُّعاً وَخِيفَةً] ذكر تضرّع اومصدران من غير لفظ الفعل على ان يكون المراد من كلّ من التّضرّع والخيفة احد انواع الذّكر او متضرّعاً و خائفاً ، ويحتمل ان يكون قوله تضرّعاً وخيفة مفعولاً له حصولياً اوتحصيلياً يعنى انّ الرّجاء والخوف من لوازم وجود الانسان ، اومن لوازم وجودك وهما يستلزمان الذّكر اوالرّجاء والخوف بمنزلة جناحى المؤمن لايمكنه السّير بدونهما اوهما لايحصلان الّا بذكر الرّبّ فاذكره لتحصيلهما اوالمقصود من التّضرّع الرّجاء بقرينة مقابلة الخوف فانّ التّضرّع و الابتهال و الالتجاء من متفرّعات الرّجاء والمقصود نفى الغرور بالله و نفى اليأس من رحمة الله والوقوع بين الخوف والرّجاء اللّذين هما من صفات المؤمنين [وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ] يعنى باللّسان من غير جهر وهو اشارة الى الذّكر الجلىّ الّذى هو من مصطلحات الصّوفيّة وامّا الذّكر اللّسانىّ المجهور كما هو شأن القرّاء والقصّاص والعوامّ فقد ورد مذمّته ولم يكن من سنّة الصّوفيّة الصّافيّة، فقد ورد عن مولينا ومقتدانا ومن به رجاءنا فى عاجلنا وآجلنا امير المؤمنين(ع) ورغم انف المعاندين، من ذكر الله فى السّرّ فقد ذكر الله كثيراً

انّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانيةً ولايذكرونه فی السّرّ فقال الله تعالى: يراؤن النّاس ولا يذكرون الله الّا قليلاً [بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ] فی جملة اوقاتك فانّه قديستعمل الغداة والعشیّ ومرادفاتهمافی لسان العرب والعجم فی استغراق الاوقات ، اوالمراد هذان الوقتان لشرافتهما على سائرالاوقات وفراغة الانسان من مشاغله الدّنيويّة والضّروريّات البدنيّة و الالتذاذات النّفسيّة غالباً فی هذين الوقتين [وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ] المنهمكين فی الغفلة ولم يقل : ولا تغفل ، كما هو طريقة المشاكلة فی المقابلة لانّ الانسان قلّما ينفكّ عن حدوث الغفلة [إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ] فی موضع التّعليل للامر والنّهی والمراد من حصل له الحضور عنده من الانبياء(ع) والرّسل(ع)وخلفائهم فی سلسلة الصّعود والملائكة المقرّبين فی سلسلة النّزول [لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ] على سبيل الاستمرار [وَلَهُ يَسْجُدُونَ] استمراراً فان اردت اللّحوق بهم والاتّصاف بصفاتهم فلا تغفل عن ذكره .



سورة الانفال

مدنيّة بأسرها وقيل مدنيّة غير سبع أياتٍ فانّها نزلت بمكّة وهى قوله :
واذيمكربك الّذين كفروا ، الى أخرهنّ وهى سبع اوستّ اوخمس وسبعون أيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ] جمع النّفل وهوالزّيادة و قد فسّرت فى بعض الاخبار بما هو مختصّ بالرّسول(ص) والامام (ع) ممّا لايوجف عليه بخيلٍ ولاركابٍ و بطون الاودية والآجام و الاراضى الموات والمعادن وميرّاث من لاوارث له وغير ذلك ممّا لاشركة لغيره فيه ، وفسّرت فى بعضٍ آخربالغنائم الّتى فيها الخمس للرّسول والبقيّة للمقاتلين ، وورد انّها نزلت فى غنائم بدرٍ حين اختلفوا فيها وتنازعوا وتشاجروا [قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ] لاشراكة لغيرالرّسول فيها فان فسّرت بالغنائم فهى منسوخة بآية التّخميس وان فسّرت بغير الغنائم فهى ثابتة [فَاتَّقُوااللّٰهَ] ولا تطمعوا فيها ولا تختلفوا ولا تشاجروا ولا تريدوا اصلاح امرالله ورسوله فانّهم كانوا يوم بدرثلاثة اصناف : صنف اغاروا على الغنائم ، وصنف تخلّفوا عندرسول الله(ص) ،وصنف ذهبوا فى طلب العدوّ ، وكان المال قليلاً والنّاس كثيراً وبعضهم ضعفاء وبعضهم اقوياء وكانت اوّل غنيمةٍ أخذوها فتكلّموا فيها و فى كيفيّة قسمتها وتنازعوا فى ذلك [وَأَصْلِحُواذٰاتَ بَيْنِكُمْ] ما بينكم لا ما بين الله والرّسول (ص) وبينكم فانّه ليس اصلاحه اليكم وذات هى الّتى بمعنى الصّاحبة ثمّ استعملت فى مثل ذات الصّدور وذات بينكم بمعنى ما فى الصّدور ومابينكم لمصاحبة مافى الصّدور وكذا مافى البين لهما [وَأَطِيعُوااللّٰهَ وَرَسُولَهُ] ولاتكلّموا فيما امره اليهما [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فانّ الايمان يقتضى تسليم أمرالله وتكلّمكم فى امرالله و رسوله (ص) يورث الشّكّ فى ايمانكم [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] تعليل لما يفهم من الشّرط من الشّكّ فى ايمانهم او جواب لسؤالٍ ناشٍ من الشّرط كأنّه قال قائل: ان كان هؤلآء مشكوكاً فى ايمانهم فمن المؤمن الّذى لايشكّ فى ايمانه؟- فقال : انّما المؤمنون [اَلَّذِينَ إِذٰاذُكِرَاللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] لذكره [وَإِذٰاتُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُهُ زٰادَتْهُمْ إِيمٰاناً] لكون قلوبهم خاليةً عن رين الاهوية فيؤثّر ذكرالله وآياته فيها وقد مضى انّ الايمان له مراتب ودرجات

و انّه يزداد و ينقص [وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] عطف على جملة الشّرط والجزاء الواقعة صلة لعدم تقيّده بحين دون حين و للاشارة الى انّ التّوكّل لابدّ و ان يحصل آناً فآناً اتى بالمضارع دون الماضى [اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] اشارة الى وصفى الايمان من التّولّى المعبّر عنه بالصّلوة والتّبرّى المعبّر عنه بالزّكوة ، والانفاق وهما اساسا جملة الاعمال الصّالحة البدنيّة وهو بدل من الموصول او مبتدء مستأنف وخبره الجملة الآتية اوهو خبر مبتدء محذوف جواباً لسؤال مقدّر [اُولٰئِكَ] الموصوفون بما ذكر ، و الاتيان باسم الاشارة البعيدة لاحضارهم بالاوصاف المذكورة ليكون كالتّعليل للحكم و تعظيماً لهم [هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً] ضمير الفصل وتعريف المسند للحصر والتّأكيد ، يعنى انّ هؤلآء الّذين قرنوا بين صورة الايمان العامّ الّتى هى البيعة مع النّبىّ (ص) بالبيعة العامّة وحقيقته الّتى تظهر بآثاره المذكورة الّتى هى تأثّر القلوب من آثار من آمنوا به وهو من لوازم المحبّة الّتى هى من لوازم صفاته الجماليّة و الاقرار به وتفويض الامور اليه الّذى هو من آثار صفاته الجلاليّة ، هم المؤمنون الّذين لا يشكّ فى ايمانهم لا البايعون بالبيعة العامّة فقط من غير التّحقّق بحقيقته فانّ ايمانهم مشكوك فيه [لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ] خبر بعد خبر اوحال اواستيناف جواباً لسؤال مقدّر [وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] ذكر اوصافاً ثلاثة لهم هى امّهات مايطلبه الانسان ، الاوّل سعة المقام ولوازمها وللاشارة الى انّ الدّرجات ليست مغايرة لذواتهم بل هى شؤنهم وسعة ذواتهم قال تعالى فى آية اخرى؛ هم درجات ، والثّانى ستر المساوى وما يلحقه منها ، والثّالث وجدان مايحتاج اليه [كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ] بالغاية الحقّة الثّابتة و هو اعلاء الدّين و اعزاز المؤمنين و انهزام المشركين او متلبّساً بالحقّ الّذى هو الولاية اومتسبّباً عن الحقّ الّذى هو الولاية وهو كلام مستأنف لبيان ضعف يقينهم كما انّ ماسبق ايضاً كان لبيان ضعف يقينهم ، والمراد بالاخراج الاخراج من مكّة اومن المدينة لعير قريش وغزو بدر فانّهم كرهوا خروجه لعدم عدّتهم و هو متعلّق بقوله : يجادلونك يعنى كما كرهوا ان اخرجك ربّك من بيتك بالحقّ يكرهون القتال مجادلين فيه كأنّما يساقون حين الذّهاب الى القتال الى الموت ، والاحتمالات الاُخر فى تركيبه بعيدة من سوق الكلام فانّه مسوق لتمثيل حالهم فى كراهة القتال جهلاً بعاقبته بحالهم فى كراهة الخروج جهلاً بعاقبته و فى الاخبار اشارة الى انّه منقطع عمّا قبله منزل وحده [وَاِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ] الجملة حاليّة [يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ] الّذى يستتبع غاية حقّة متحقّقة وهو القتال الّذى به ارتفع امر المؤمنين وتقوّوا بالغلبة واخذ الغنيمة وهو قتال البدر [بَعْدَمَا تَبَيَّنَ] الحقّ باعلام الرّسول انّ الغلبة لهم ومشاهدة صدق اخباره فى موارد عديدة [كَاَنَّمَا يُسَاقُونَ اِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ] اى الى الموت وذلك انّه اخبرهم الرّسول (ص) بعير قريش وانّ الله وعدهم عير قريش فخرجوا من المدينة، ثمّ اخبرهم انّ قريشاً خرجوا لحماية العير وانّ الله وعده النّصرة على قريش فكرهوا معارضة قريش لقلّة عددهم وعددهم فجادلوه فى ذلك لضعف يقينهم [وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ] عطف على بعد ماتبيّن اوبتقدير اذكروا عطف على جملة كما اخرجك (الى آخر الآية) فانّه فى معنى اذكروا وقت خروجكم ومجادلتكم كأنّه قال: اذكروا اذ أخرج الله نبيّه (ص) من بيته وكراهتكم له والحال انّ فيما كرهتموه اعلاء كلمتكم واذكروا اذيعدكم الله [اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ] و تكرهون قريشاً [وَتَوَدُّونَ اَنَّ غَيْرَ

ذٰاتِ الشَّوْكَةِ] السّلاح [تَكُونُ لَكُمْ] و هو العير فانّه لم يكن فيها كثرة عدد ولا كثرة سلاح بخلاف قريش فانّ عددهم كان قريباً من الالف و كلّهم كانوا شاكى السّلاح [وَ يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ] يثبّته و يظهره [بِكَلِمٰاتِهِ] بخلفائه و اتباعهم [وَيَقْطَعَ دٰابِرَ الْكٰافِرِينَ] بالاستيصال بحيث لا يبقى منهم اثر ولا عقب [لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبٰاطِلَ] يعنى انّ نفس احقاق الحقّ هو المطلوب منه لا امر آخر فهو من قبيل ماكان الفعل مطلوباً لنفسه لا مقدّمة لامر آخر فكأنّه قال : يريد الله ان يحقّ الحقّ لنفس احقاق الحقّ [وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ] ظرف لقوله يريد الله او لقوله كره المجرمون اوبدل من قوله اذ يعد كم احدى الطّائفتين بدل الاشتمال فانّ الوعدكان فى المدينة والاستغاثة حين القتال ومشاهدة قلّتهم وعدم عدّتهم وكثرة العدوّ عدّة وعُدّة [فَاسْتَجٰابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلٰائِكَةِ مُرْدِفِينَ] بعضهم بعضاً او مردفين لكم من اردفه اذاتبعه [وَ مٰا جَعَلَهُ اللّٰهُ] اى الامداد [اِلّٰا بُشْرٰى] اى لكم بانجاز الوعد بالنّصر [وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلّٰا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] ولكنّكم لضعف يقينكم وتوكّلكم لاتنظرون الّا الى الاسباب ولذا اجرى النّصر بتوسّط الاسباب [اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعٰاسَ اَمَنَةً مِنْهُ] ظرف لقوله استجاب او لممدّكم او لمردفين اولجعله الله او لتطمئنّ او لقوله من عند الله على الانفراد او على سبيل التّنازع ،ويحتمل ابداله من قوله اذ يعدكم وقوله اذ تستغيثون بدل اشتمال [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ] من الحدث والخبث [وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰانِ] الجنابة او وسوسته و تخويفه عن العطش، روى انّهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشّيطان وقال :كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلّون محدثين وتزعمون انّكم اولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا، فأنزل المطر فمطرّوا ليلاً حتّى جرى الوادى واتّخذوا الحياض على غدوته وسقوا الرّكاب واغتسلوا وتوضّأوا وتلبّد الرّمل الّذى بينهم وبين العدوّ حتّى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة [وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ] لمّا كان ربط القلوب تنزيلاً من اشرف خصائل الانسان والمرابطة تأويلاً من آخر مقامات السّلاك كرّر الّلام اشارة الى انّه مغاير مع سابقيه شرفاً و رتبةً و المعنى وليربط المحبّة على قلوبكم اوليربط الولاية الحقيقيّة الّتى هى مثال النّبىّ اوالولىّ على قلوبكم [وَيُثَبِّتَ بِهِ] اى بالمطر تنزيلاً و بالرّبط تأويلاً [الْاَقْدٰامَ] البدنيّة على التّراب لتلبّده و على الدّين لوصولكم الى مطلوبكم [اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰائِكَةِ] يجوز ان يكون ظرفاً لكلّ من الافعال المذكورة من قوله يغشّيكم الى قوله يثبّت به الاقدام منفرداً اوعلى سبيل التّنازع ، ويجوز ان يكون بدلاً من اذا الاولى ومن اذ الثّانية والثّالثة [اَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا] يعنى لست مخالفكم فى التّثبيت حتّى لايتيسّر لكم التّثبيت [سَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ] اعانة لكم فى التّثبيت حتّى يتمّ لكم امره [فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنٰاقِ] حتّى اطرقوا رؤسهم اوفاقطعوا رؤسهم [وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنٰانٍ] رؤس الاصابع، وتكرار اضربوا واضافة لفظة فوق من التّطويل المطلوب

فى مقام اشتداد الغضب وتنزيل ضرب البنان واضح وتأويله عبارة عن ضرب بنان نفوسهم الخبيثة الّتى بها يثلمون دين الاسلام و عقائد ضعفاء المسلمين [ذٰلِكَ] التّشديد الشّديد عليهم [بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَ رَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ] ايّها الكافرون فهو التفات وهو من باب الاشتغال وتخلّل الفاء بتقدير امّا اوتوهّمها وهو مبتدء محذوف الخبر اى ذلكم لكم اومفعول فعل محذوف اى خذوا ذلكم اوهو اسم فعل بمعنى خذوا لغلبة استعماله بعد حذف الفعل فى هذا المعنى [فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ] شأن نزول الآية وقصّة بدر مذكور فى الاخبار ويكفى منها للاطّلاع عليها ما فى الصّافى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً] كثيراً، والزّحف العسكر لانّهم يزحفون اى يدبّون [فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ] يوم اذلقيتم الّذين كفروا زحفاً [دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ] طالباً حرفاً من محلّ القتال للتّمكّن من المقاتلة اوللاحتيال مع العدوّ ليتخيّل انّه انهزم ليكيد بالعدوّ [أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ] للاستغاثة بهم [فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] هذه احدى الكبائر الّتى توعد عليها النّار وهو المسمّى بالفرار من الزّحف، ولمّا ذكّر المؤمنين نصرة الملائكة ومعيّته تعالى للملائكة وامره لهم بالضّرب فوق الاعناق وضرب كلّ بنانٍ وتوهّم انّ المؤمنين لادخل لهم فى القتال وفرارهم و ثباتهم ومجاهدتهم و قعودهم متساوية استدرك ذلك التّوهّم ، بانّ فعل الملائكة لا يظهر الّا بالمظاهر البشريّة فانتم وان لم تكونوا فاعلين حقيقة لكنّكم مظاهر فعل الملائكة فاذا لقيتم الّذين كفروا فلا تولّوهم الادبار حتّى يجرى قدر الله وفعل الملائكة بتوسّطكم ثمّ اثبت مقتضى نصره بالملائكة وامره ايّاهم بالقتل والضّرب فقال: اذا كان القتل بالملائكة والنّصرة بهم [فَـ] انتم [لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ] ثمّ صرف الخطاب الى نبيّه (ص) وقال [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ] اعلم، انّ حقّ هذه العبارة الّتى هى فى مقام قصر القلب اوالافراد ان يقال: فانتم لم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وماانت رميت ولكنّ الله رمى ، ثمّ حقّ القرينتين ان تكونا متوافقتين وقد اختلفتا فى اداة النّفى وذكر المفعول وحذفه ومضىّ الفعل ومضارعته واثباته لمن نفى عنه وعدمه؛ والوجه فى ذلك انّ الانسان له وجهة آلهيّة بها فاعليّته ووجهة نفسيّة بها ينسب الافعال الى نفسه وقد يرتفع عنه بالرّياضات والمجاهدات اذا كان سالكاً الى الله وجهته النّفسيّة بحيث لا يرى من نفسه اثراً فى البين ولا يرى فى الوجود الّا الله ووجهته ، فحينئذٍ يصحّ سلب الافعال عنه حقيقة وفى نظره ايضاً لانّه لايرى لنفسه وجوداً ولا اثراً ، ويسمّى هذا المقام فى اصطلاحهم مقام الفناء ، فاذا صحا من فنائه وغشوته صار باقياً بالله لا بنفسه يعنى يرى للوجود مراتب ولكن لايرى للحدود وجوداً فيرى وجوده مرتبةً من وجود الله لامبايناً لوجود الله، فحينئذٍ يرى لمرتبة نفسه وجوداً هو وجود الله فى تلك المرتبة وهو المسمّى بالبقاء بالله، فيصحّ منه نسبة الوجود الى نفسه ونسبة اثر الوجود اليها حسب استشعاره لمراتب الوجود لكن نسبة اثر الوجود حينئذٍ غير النّسبة الّتى كانت قبل الفناء ، وان لم يَصْحُ من فنائه فلم يكن نسبة للفعل اليه فى نظره لانّه لايرى فى الوجود الّا الله ولايرى الفعل الّا من الله ، وقد يذهل عن وجهته النّفسيّة باسبابٍ خارجةٍ وعوارض طاريةٍ كغلبة الخوف والغضب والفرح وغير ذلك ، وحينئذٍ لا يستشعر بنفسه ولا بفعل نفسه ولا يصحّ نسبة الفعل اليه فى نظره كمن يرى فى حال اشتغاله من كان فى مقابله ولا يستشعر برؤيته بل ينفى الرّؤية عن نفسه؛ اذا تقرّر هذا فنقول : انّ المؤمنين فى حال القتال ذهلوا عن انفسهم لغلبة الدّهشة عليهم بحيث لم يستشعروا

بأنفسهم ولا بفعل أنفسهم بل كانت الملائكة تقلّبهم و توقع الحركة فيهم و تظهر صورة القتال على ايديهم فلوقال تعالى: انتم لم تقتلوهم كان اثباتاً لنفسيّة لهم ونفياً للفعل عنهم، وكذا لوقال : اذ قتلتموهم كان اثباتاً للفعل والنّفسيّة جميعاً لهم ، والحال انّه لم يكن في نظرهم نفسيّة لأنفسهم ولافعل وايضاً لوقال : ماقتلتموهم ،كان اشعاراً بنفسيّة ما لهم حيث صرّح بالفاعل بخلاف لم تقتلوهم،فانّ الواووان كان ضميراً لكنّه مشترك بين الغائب و الحاضر و حرف الاعراب فكأنّه غير مصرّح بالفاعل ، و الرّسول (ص) لمّا كان له نفسيّة بنفسيّة الله و بقاء ببقاء الله اتى بالماضى المصرّح بالفاعل ثمّ اثبت له الفعل المنفيّ ولم يقدّم المسنداليه ههنا لانّه يقتضى المقابلة لله اوالمشاركة معه و كلاهما منتفٍ في الواقع وفى نظره (ص) ، لانّ نفسيّته لم تكن الّا بنفسيّة الله ومنه يظهر وجه اختلاف اداتى النّفى ايضاً . وامّا وجه الاختلاف بذكر المفعول وحذفه فهو انّ القتل ظهر على ايديهم وبحسب اقتضاء ظهوره فى المظاهر البشريّة وصل الى المقتولين بخلاف الرّمى ، فانّه وان ظهر على يده (ص) اذ روى انّه (ص) اخذ كفّاً من الحصا بوحيٍ من الله وقرأ: شاهت الوجوه للحيّ القيّوم،ورماه فلم يبق احدٌ الّا اشتغل بعينه لكنّ القوّة القسريّة المودعة فى الحصا من المظهر البشرىّ لم تقتض سعة كفٍّ من الحصا نحواً من الف رجلٍ ولانحرافها الى كلّ فى كلّ ناحية، فالرّمى كان منه بحسب مظهريّته والايصال الى المشركين لم يكن منه لاحقيقةً ولا بحسب مظهريّته فأسقط المفعول هنا اشعاراً بانّ اصل الرّمى ظهر على يده ولكنّ الايصال الى المشركين لم يجر على يده [وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً] اتى بالعاطف مع انّ المقصود انّ الله قتل ورمى ليبلى المؤمنين لانّ المقصود من الاوّل نفى القتل والرّمى عنهم واثباته لنفسه تعالى مع قطع النّظر عن السّبب والغاية ولواتى بالقيد لاوهم انّ المراد نفى الفعل عنهم مقيّداً بالغاية المخصوصة واثباته كذلك، مع انّه لم يكن المقصود الّا نفى اصل الفعل و اثباته فهو معطوف على قوله لـكنّ الله قتلهم ورماهم بتقدير قتلهم اوهو خبر مقدّم لقوله ذلكم والمعنى انّه قتلهم ورماهم لينعم على المؤمنين نعمة حسنة من الغنيمة واعلاء الكلمة ، اوالمعنى ليختبر المؤمنين من قبله اختباراً حسناً لا تعب فيه ولا انحراف عن الحقّ يعتريه ابتلاهم بمجاهدة الاعداء مع قلّة عددهم وكثرة العدوّ ، وكونه اختباراً و امتحاناً واضح ، وكونه حسناً لحسن عاقبته بحصول قوّة القلب لهم و قوّة الايمان مع الغلبة واعلاء الكلمة والغنيمة الوافرة وفداء الاسرى، ولعلّ هذا كان اوفق بسياق العبارة ومعانى اللّغة فانّ الابلاء والبلاء بمعنى الاختبار كثير الاستعمال وبمعنى الانعام لم يذكره بعض اللّغويّين [إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ] لدعاء النّبىّ (ص) واستغاثة المؤمنين [عَلِيمٌ] بمايصلحهم من الانعام وعدمه اوانّ الله سميعٌ لمقالتهم للنّبىّ (ص) وكراهة المقاتلة عليم بماهو صلاحهم من الجهاد مع العدوّ ومعارضة العير والغارة عليهم [ذٰلِكُمْ] البلاء اوالقتل والرّمى وهو مبتدأ مؤخّر او خبر مبتدءٍ محذوف [وَأَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ] عطف على يبلى اوعلى ذلكم [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا] ايّها الكافرون على ان يكون الخطاب لمشركى مكّة كما قيل : انّهم وقت الخروج من مكّة لغزو بدرٍ تعلّقوا بأستار الكعبة وطلبوا الفتح والنّصرة على محمّدٍ (ص) ونقل ايضاً انّ اباجهلٍ استفتح يوم بدر و طلب النّصرة من الله و قيل الخطاب للمؤمنين [فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ] تهكّماً [وَإِنْ تَنْتَهُوا] عن معاداة الرّسول (ص) وجحوده [فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ] يعنى هو المختار وليس المقصود اعتبار التّفضيل ، اوالتّفضيل مقصود بالنّسبة الى اعتقادهم [وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً] اى اغناءً اوضرّاً كما لم تغن هذه الكثرة [وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] الجملة حاليّة على قراءة انّ بالكسر، وعلى قراءة انّ بالفتح فهى معطوفة

على شيئاً يعنى لن تغنى عنكم فئتكم ضرّاً ولا كون الله مع المؤمنين الّذى هو سبب هزيمتكم وضرّكم [يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ما ذكر معيّته للمؤمنين ونصرتهم بالملائكة ناداهم تلطّفاً بهم وترغيباً لهم فى طاعة الرّسول (ص) الّتى هى ملاك الايمان وتحذيراً عن مخالفته الّتى هى تنافى الايمان [اَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَاَنْتُمْ تَسْمَعُونَ] تلك المواعظ ومعيّة الله ونصرته ، ولمّا كان طاعة الله بطاعة الرّسول (ص) لم يكرّر الفعل و افرد الضّمير المجرور [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا] سماع لفظ كالحيوان [وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ] سماع المعنى كالانسان [اِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ] عن المقصود [الْبُكْمُ] عن التّنطّق بالحقّ المقصود من السّماع [اَلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ] المقصود من اشارات المسموع [وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَاَسْمَعَهُمْ] هذه الشّرطيّة لانتفاء الثّانى لانتفاء الاوّل كما هو اكثر موارد استعمال لو لغةً وليست لمحض بيان الملازمة بين التّالى والمقدّم كما هو طريقة استعمال المنطقيّين [وَلَوْ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ] هذه الشّرطيّة لبيان الملازمة بين التّالى و المقدّم الّذى هو ضدّ ملزوم التّالى مع الاشعار بتحقّق ملزومه الواقعىّ مبالغة فى تحقّق التّالى مثل: لو لم يخف الله لم يعصه ، فليست القضيّتان على طريقة استعمال الشّرطيّات فى المنطق واقيستها حيث يظنّ انهما صورة قياسٍ اقترانىٍّ من الشّكل الاوّل، ولو سلّم فالكبرى مهملة غير منتجة فالبحث بانّه قياس من الشّكل الاوّل وينتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولّوا، ساقط من اصله ، ولو سلّم صحّة القياس فالنتيجة صحيحة من قبيل : لو لم يخف الله لم يعصه [يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] بالحيوة الانسانيّة وهو الايمان الخاصّ الحاصل بالولاية الّتى هى سبب دخول الايمان فى القلب الّذى هو سبب حيوة القلب، فالمعنى اذا دعاكم الرّسول (ص) لولاية علىّ (ع) ودعاؤه دعاء الله فاستجيبوه ، وقد فسّر فى الاخبار بولاية علىّ (ع) والسّرّ فى ذلك انّ حيوة الانسان بانفتاح باب قلبه الى دار الحيوان ووصول اثر الحيوة من تلك الدّار اليه و هو الايمان الدّاخل فى القلب ، و انفتاح باب القلب ووصول اثر الحيوة اليه لا يتصوّر الّا بالولاية الّتى هى الاتّصال بولىّ الامر الّذى هو الحىّ بالحيوة الاخرويّة وباعطاء اثر الحيوة بنفخته فى القلب بتلقين الذّكر الّذى هو سبب انفتاح بابه [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ] اى يصير حائلاً بين المرء و نفسه فان اراد سعادة المرء يمنع من وصول اثر عصيانها اليه لئلّا يقوده الى النّار ، وان اراد شقاوته يمنع من وصول اثر طاعتها اليه لئلّا يقوده الى الجنّة ، اويصير حائلاً بين المرء وقلبه الّذى به خيراته وحيوته الحقيقيّة فيمنع ان شاء من وصول اثر الحيوة الانسانيّة اليه ، اويصير حائلاً بينه وبين النّفس لئلّا يعلم انّ الحقّ باطل والباطل حقّ، اويصير حائلاً بين المرء حين اشتهى شيئاً من مشتهياته وبين قلبه الّذى فطر على الحقّ حتّى لا يخرج المشتهيات المرء عن الحقّ الى الباطل اويصير حائلاً بين المرء ونفسه اى مشتهياتها ، فلا يدع المرء ان يتّبع مشتهيات النّفس او يوقع الحالات بين المرء و قلبه يعنى بيده تسخير الاحوال او يتردّد بين المرء و قلبه فيعلم خفيّات احوالهما اويتردّد بين المرء وقلبه فيوصل الحيوة الابديّة الى المستجيب ويمنعها من غير المستجيب، والمقصود على كلّ المعانى التّحذير عن ترك الاستجابة والتّرغيب فى الاستجابة ، وفى الاخبار تصريح بالبعض وتلويح الى البعض الآخر [وَاَنَّهُ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً] لا تصيبنّ صفة لفتنة فانّ المقصود التّحذير عن فتنةٍ مخصوصة مقيّدة لا فتنةٍ ما ، ولا الفتنة المطلقة فانّ الاولى لا يتعلّق بها غرض والثّانية

يناسبها التّعريف باللّام ، ولاتصيبنّ منفيّ مؤكّد بالنّون يجبر شذوذ تأكيده بالنّون بمطلوبيّة المبالغة فيه اومنهيّ مقدّر بالقول، وفيه وجوه اُخر بعيدة عن اللّفظ غير متعلّق بها غرض معنوىّ. **اعلم**، انّ الظّلم عبارة عن منع الحقّ عن المستحقّ وايصاله الى غير المستحقّ وهذا المعنى لااختصاص له بشيءٍ دون شيءٍ وشخصٍ دون شخصٍ و حقٍّ دون حقٍّ، فمنع الاطفال والنّسوان و الاراذل عن مشتهياتهم ظلم بوجهٍ وان كان عدلاً بوجهٍ ولذا ورد ثلاثةٌ ان لم تظلموهنّ ظلموك: النّساء والصّبيان والسّفلة ، ومنع النّفس وقواها عن مشتهياتها ظلم بوجهٍ وبالنّسبة اليها وان كان بالنّسبة الى اللّطيفة الانسانيّة عدلاً « ظلم بين كز عدلها گوميبرد » ومنع النّفس من حكومة العقل والانقياد تحت امره ظلم، ومنعها من الانقياد تحت حكومة نبىّ الوقت بالبيعة العامّة ظلم، وحقيقة الظّلم واصله وملاكه هو منع اللّطيفة الانسانيّة من قبول الولاية وبواسطته يتحقّق حقيقة الظّلم فى كلّ ظلم ، ولولاه لم يكن الظّلم ظلماً، وان كان بصورة الظّلم كقتل محمّد(ص) ونهبه واجلائه كثيراً من مخالفيه وكقتل علىّ(ع) النّاكثين والمارقين والقاسطين ولكونه بصورة الظّلم حملوه على الظّلم وقالوا فيه ما قالوا وفعلوا ما فعلوا حتّى قتلوه ، ولولا الولاية لم يكن عدل وان كان الخالى عن الولاية بصورة العدل كفعل معاوية وعدله فى الامّة، والمقصود من الّذين ظلموهم الّذين كانوا من امّة محمّد(ص) وبايعوا بالبيعة العامّة بقرينة قوله منكم خطاباً للامّة وظلموا بمنع الاسلام عن حقّه الّذى هو الهداية الى الايمان وترك مودّة ذوى القربى الّتى هى غاية التّبليغ ، والبيعة كأنّ غيره من الخطايا لا تعدّ ظلماً منهم و ايضاً التّقييد بقوله منكم واعتبار حيثيّة القيد يشعر به ، فالظّلم الّذى هو بعد الدّخول تحت حكومة النّبىّ(ص) من حيث هو بعد الدّخول المذكور ليس الّا منع اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة عن الدّخول تحت حكم ولىّ الامر بالبيعة الخاصّة الّتى بها يدخل الايمان فى القلب وبها يتحقّق حقيقة العدل فى كلّ عدلٍ وبها ينفتح باب القلب الى الملكوت ، وبها يمكن السّير على الطّريق المستقيم الى الله ، والمراد بالفتنة المقيّدة هو الانحراف عن ولىّ الوقت فانّ من كان واقفاً على البيعة العامّة كان ظالماً على اللّطيفة الانسانيّة والفتنة المصيبة لهم هو الوقوف و الانحراف عن البيعة الخاصّة مع ولىّ الوقت الّذى هو علىّ (ع) وهى الفتنة المجاوزة عنهم الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع محمّد(ص) بعد رحلته والمبتاعين بالبيعة الخاصّة مع علىّ(ع) بعد رحلته و الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع الحسن (ع) بعد رحلته وهكذا الى انقراض العالم . و تفسير الفتنة بما يصل اثره الى غير الفاعل كالغيبة والبدعة وغيرهما يناسب ظاهر التّنزيل واللّفظ لكن ليست هى المقصوده ؛ وقد ورد فى الاخبار الاشعار بما ذكرنا غاية الامر انّها داخلة تحت الآية من باب سعة وجوه القرآن [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فاتّقوا مطلق الفتنة خصوصاً الفتنة المذكورة الّتى هى اصل كلّ الفتن [وَاذْكُرُوا إِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ] من حيث العدد اومن حيث المال ولفظ قليلٌ قد يفرد وقد يجمع [مُسْتَضْعَفُونَ فِى الْاَرْضِ] تذكيرٌ لهم بنعمه و المراد ضعفهم قبل المهاجرة [تَخَافُونَ اَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ] من قريش [فَآوٰيكُمْ] الى المدينة [وَاَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] من الغنائم وغيرها [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] و جعل الخطاب للعرب تماماً وجعل ضعفهم ذلّتهم عند الرّوم والعجم بعيدٌ جدّاً [يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا اَمَانَاتِكُمْ] ان كان نزوله فى ابى لبابة بن عبد المنذر الانصارىّ فى غزوة بنى قريظة و مشورتهم له فى نزولهم على حكم سعد بن معاذٍ كما قرّره الرّسول (ص) و قوله لهم : ان تنزّلوا على حكمه

تقتلوا ،كما فى الاخبار فالمقصود عامّ و المراد بخيانة الله والرّسول(ص) هوخلاف ما أظهر للرّسول (ص) فى البيعة و الميثاق من عدم مخالفته ظاهراً و باطناً و ارادة خير المؤمنين كذلك ، و المراد بالامانات امّا الامانات التّكوينيّة الّتى اصلها واسّها وملاكها الامانة المعروضة على السّماوات والارض ، الّتى هى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة المستتبعة لتمام القوى الانسانيّة المستلزمة لتمام التّكاليف الشّرعيّة النّبويّة والاصليّة الولويّة الحاصلة منها تمام المراتب الانسانيّة ، اوالامانات التّكليفيّة الولويّة القلبيّة من الذّكر المأخوذ من ولىّ الامروسائر مايؤخذ ، اوالامانات التّكليفيّة النّبويّة المأخوذة من نبىّ الوقت من الاعمال القالبيّة الشّرعيّة ، و تخونوا امّا معطوف على المنهىّ فيكون كلّ نهياً مستقلّاً او بتقدير ان بعد الواو بمعنى مع فيكون مشعراً بمعيّة الثّانى للاوّل معيّة المسبّب للسّبب [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] اى تشعرون غيرغافلين ووجه التّقييد بالحال الاشارة الى انّ الانسان قلّما ينفكّ عن غفلة عمّا امر به وانّه خيانة بوجه ما ، لكنّه غيرمضيّق عليه وغيرمشدّد عليه مثل عدم الغفلة ، ولمّا كان الخيانة كثيراً ما تقع بسبب الاموال والاولاد فانّ الانسان يدع دينه لاولاده عقّبه بذمّ الاموال والاولاد فقال [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ] امتحان لكم من الله هل تشغلون بها عن اماناتكم ام تثبتون معها على اماناتكم فمن شغل بها خلص شقاوته ومن ثبت على اماناته استحقّ اجراً عظيماً لخلوص سعادته [وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمن ثبت وخلص عن الفتنة سالماً ، اوالمعنى واعلموا انّما اموالكم واولادكم فتنة و فساد لكم فلا تغترّوا بها وانّ الله عنده اجرٌعظيمٌ فاطلبوه منه بترك الاشتغال بالاموال والاولاد [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ [إِنْ تَتَّقُوا اللهَ] فى مخالفة الرّسول (ص) [يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً] نوراً فارقاً بين الحقّ و الباطل وهونور الولاية ، فالمراد بالتّقوى هى التّقوى المتقدّمة على الايمان الخاصّ ، او ان تتّقوا الله فى الانحراف عن الطّريق المستقيم الى الطّرق النّفسانيّة المعوجّة بالولاية و الايمان الخاصّ الدّاخل فى القلب بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ حقيقة التّقوى وهى التّحفّظ عن الانحراف الى الطّرق النّفسانيّة لا تحصل الّا بالوصول الى الطّريق الى الله بالولاية ، يجعل لكم فرقاناً وتميزاً بين الحقائق وحدودها واصيلها واعتباريّها فالمراد بالتّقوى التّقوى الحقيقيّة الحاصلة بالايمان الخاصّ . **اعلم** ، انّ حقيقة التّقوى وهى التّحفّظ عن اتّباع النّفس فى الصّغير وعن اتّباع اصل الشّرور و اظلاله فى الكبير لاتحصل الّا باتّباع العقل فى الصّغير وباتّباع علىّ (ع) فى الكبير واتّباع العقل ايضاً لايحصل الّا باتّباع علىّ (ع) وقبول ولايته بالايمان الخاصّ ، لانّ الانسان مالم يدخل فى الولاية ولم يدخل الايمان فى قلبه لا ينفتح باب قلبه وكلّ ما فعل باعتقاده من آثار التّقوى كان صدوره من نفسه وغايته راجعةٌ الى نفسه ، فماتصوّره انّه كان تقوى لم يكن تقوى ، واذا قبل الولاية بشرائطها المقرّرة عندهم انفتح باب قلبه واقبل الى الوحدة وادبرعن الكثرة وحصل له امتثال امرالله بالاقبال عن الكثرة ، فكلّما فعل من هذه الجهة كان تقوى من طرق النّفس والكثرة مغيّىً بالوحدة ، فكلّما قرأ آية من آيات الايمان وهوالقرآن رقى درجة من درجات الايمان وهى درجات الجنان ، وكلّما رقى درجةً من درجات الايمان حصل له نور به يبصر الكثرات واعتباريّتها والوحدة واصالتها حتّى اذا وصل الى آخر مراتب التّقوى و هوالفناء الذّاتىّ و التّقوىّ الحقيقيّة حصل له آخر مراتب الفرقان وهوالحشر الى اسم الرّحمن والمالكيّة لماسوى الرّحمن وكأنّه للاشارة الى حصول الفرقان بتدريج الارتقاء اتى بالمضارع الدّالّ على الحصول بالتّدريج ، اوالمراد ان تنتهوا فى تقوى الله بالفناء من انفسكم يجعل لكم فرقاناً حاصلاً بالحشر الى الرّحمن وهذا الفرقان هوالنّبوّة او الرّسالة او الخلافة

[وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ] الّتى تحتاج الى التّعمّل فى الزّوال الّتى هى الحدود الظّلمانيّة و التّعيّنات الّتى هى مساوى الانسان اذ بعد حصول الفرقان لايرى الّا مراتب الوجود الّتى هى مراتب النّور لاحدوده الّتى هى مراتب الظّلمات الّتى بعضها فوق بعض [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] مساويكم الّتى لا تنفكّ عن الانسان وهى تبعة المراتب ونقائصها [وَاللهُ ذُوا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ] من قبيل اقامة السّبب مقام المسبّب اى ويتفضّل عليكم لانّ الله ذوالفضل العظيم ذكر اوصافاً اربعةً: النّور الفارق ، وتكفير المساوى ، وازالتها بواسطة النّور وغفران الصّغائر، والفضل العظيم الّذى لايحدّ ولايوصف [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ] واذكر اوذكّر اذيمكر بك [الَّذِينَ كَفَرُوا] تذكيرٌ لما انعم عليه من النّجاة مع غاية مكر قريش حين اجتمعوا و تشاوروا فى دار النّدوة و اجتمع رأيهم على قتله بالاتّفاق حتّى يكون من كلّ قبيلةٍ رجل فيتفرّق دمه على القبائل ولايتيسّر لبنى هاشمٍ القصاص، وقصّتهم مذكورة فى الصّافى وغيره [لِيُثْبِتُوكَ] بالحبس [أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ] واذيمكرون بأىّ نحويتصوّر فهومعطوف على يمكر اوهوعطف باعتبار المعنى كأنّه قيل: مكروا ومكر الله ويمكرون فى الحال [وَيَمْكُرُ اللهُ] بأخذهم من حيث لايعلمون اوهو استيناف [وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ] من حيث لايمكن الاطّلاع على سبب اخذه لغاية خفائه ومن حيث لايتخلّف المقصود من مكره [وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا] عطف على يمكرون [قالُوا قَدْ سَمِعْنا] استهزاءً [لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا] قيل قائله النّضر بن الحارث بن كلدة الّذى قتل يوم بدرٍ بعد اسره على يد علىّ(ع) [إِنْ هذا إِلّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ] اسمار الاوّلين فانّه يكنّى بالاساطير عنها [وَإِذْ قالُوا اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ] قيل: قائله كان بمكّة قبل الهجرة حين ادّعى النّبىّ(ص) النّبوّة ووعد قريشاً انّهم يملكون بتصديقه(ص) ملوك الارض وقائله كان النّضر اواباجهلٍ ، وقيل : قائله ابوجهل يوم بدرٍ ، وقيل : قائله كان بغدير خمٍّ ، و قيل : بمدينة بعد غدير خمّ [وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] يعنى انّ لهم امانين من عذاب الله انت والاستغفار، فما دمت فيهم لم يعذّبهم ، ومادامو استغفروا ايضاً لم يعذّبهم ، وتكرار الفعل و اختلافهما فى الخبر للاشارة الى انّ كلاً منهما امان بالاستقلال و الاوّل اتمّ و اقوى فانّ الاتيان بلام الجحود فى خبر كان للمبالغة [وَما لَهُمْ أَلّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ] يعنى انّ امهال الله ايّاهم ليس بسببٍ من انفسهم بل ليس من قبل انفسهم الّا استحقاق العذاب [وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ] يعنى يمنعون النّاس عن البقعة المخصوصة اوعن نبوّة النّبىّ(ص) و يمنعون النّاس فى العالم الصّغير عن الدّخول فى المسجد الحرام الّذى هو الصّدر المتّصل بالقلب اويعرضون، وعلى هذا ان كان النّزول خاصّاً فالمقصود عامّ يشمل الامّة المنافقة المنحرفة الى انقراض العالم [وَما كانُوا أَوْلِياءَهُ] كمايفتخرون بأنّهم اولياء البيت وكما افتخروا بأنّهم اولياء محمّد(ص) وغصبوا حقّ علىّ(ع) [إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ] بالتّقوى العامّة اوالخاصّة [وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ] معنى ولاية البيت و انّ ولاية البيت مخصوصة بمن اتّقى عن الشّرك و اتّباع النّفس و هواها [وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً] المكاء الصّفير، والتّصدية التّصفيق كانوا يطوفون

بالبيت عراةً يشبّكون بين اصابعهم و يصفرون و يصفّقون وكانوا يفعلون اذ اقرأ رسول‌الله (ص) فى صلوته يخلّطون عليه [فَذُوقُوا الْعَذابَ] بالقتل والاسر يوم بدرٍ اوبالنّار فى الآخرة [بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ] يستمرّون على الانفاق . **اعلم** ، انّه لا اختصاص للمال بالاعراض الدّنيويّة بل يعمّها والقوى البدنيّة والقوى النّفسانيّة بل هى اولى بكونها مالاً من الاعراض لانّ نسبة المملوكيّة هنا حقيقيّة وهناك اعتباريّة صرفة لاحقيقة لها ، والانسان مالم يخرج من هذا البنيان شغله اكتساب المال الصّورىّ والمعنوىّ وانفاقه ، فان كان متوجّهاً الى‌الله يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل‌الله اى حالكونه فى سبيله اوفى حفظ سبيله وتقويته وان كان متوجّهاً الى الملكوت السّفلى يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل الطّاغوت بمعنييه ويصدق عليه انّه ينفق لصدّ النّاس عن المسجد الحرام وعن سبيل‌الله صورةً ومعنىً ، ولصدّ القوى والمدارك عن التّوجّه الى القلب فالكافرون شغلهم الانفاق مستمرّاً [لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] اى سبيل الحجّ او النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) اوالصّدر المنشرح بالاسلام اوالقلب [فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً] لعدم عوض للمنفق بل لنقصان ذواتهم بالانفاق [ثُمَّ يُغْلَبُونَ] ظاهراً و باطناً ان كان نزول الآية فى قريش حين خروجهم لغزو بدرٍ و انفاقهم فى ذلك كما ورد فى الخبر فلا ينافى عمومها [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] تكرار الموصول للتّفضيح و الاشارة الى علّة الحكم [إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ] يعنى كما انّ شغلهم الانفاق للصّدّ كذلك سلوكهم ليس الّا الى جهنّم، لانّ شغلهم الانفاق فى سبيل الطّاغوت فسلوكهم على سبيل الطّاغوت وهو سبيل جهنّم ، وفعلنا ان نحشرهم آناً فآناً حشراً بعد حشرٍ الى جهنّم وغاية هذا الفعل كراهة اختلاط المؤمن والكافر وتميز الكافر من المؤمن ، هذا فى الكبير ، وامّا فى الصّغير فالقوى الحيوانيّة البهيميّة والسّبعيّة والقوى الشّيطانيّة اللّاتى شأنها الكفر بالعقل تنفق قوّتها لصدّ سائر القوى عن سبيل العقل و هو سبيل‌الله وهى متوجّهة الى السّفل الّذى هو دار الشّياطين والجنّة ، وفيه جهنّم فتحشر الى جهنّم آناً فآناً وفى الخبر اشارة الى التّعميم وذلك الحشر [لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ] لضيق السّفل وعدم سعته [فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً] فيجعله متراكماً متداقاً [فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ] بعد انتهاء حشره و تراكمه [أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ] فى موضع التّعليل و الاتيان بالمسند اليه باسم الاشارة موضع الضّمير لاحضار حالهم الفظيعة اشعاراً بعلّة الحكم ، وتعريف المسند وضمير الفصل للتّأكيد والحصر [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] مخاطباً لهم قولى [إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ] او مضمون ان ينتهوا يغفر لهم اوقل فى حقّهم فالعبارة على ماهو حقّها ، والمراد بالكفر الكفر بالله اوبالنّبىّ (ص) اوبالولىّ (ع) اوبالولاية التّكوينيّة الّتى هى وجهة القلب وطريق الآخرة ، ولذا ورد عن الباقر (ع) انّه قال لرجل: انّى كنت عاملاً لبنى اميّة فاصبت مالاً كثيراً فظننت انّ ذلك لايحلّ لى فسألت عن ذلك فقيل لى: انّ اهلك ومالك وكلّ شيءٍ لك فهو حرام فقال (ع): ليس كما قالوا لك ، قال فلى توبة ؟ـ قال (ع) : نعم ، توبتك فى كتاب‌الله قل للّذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ، فعدّه (ع) من الكافرين حيث كفر بالولاية التّكليفيّة اوالتّكوينيّة [وَإِنْ يَعُودُوا] الى ماكانوا فيه من الكفر باحد معانيه و لوازمه من معاداة الرّسول (ص) و مقاتلته مضت معاداتهم على نبيّنا (ص) ولم يبق عليه شينها و بقى عليهم عقوبتها [فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ] الّذين

كفروا وعادوا انبياءهم(ع) اوالمعنى ان يعودوا الى ماهم فيه فليتوقّعوا عذابنا وانتقامنا كما انتقمنا عمّن سلف ولا اختفاء فى انتقامنا عن السّالفين فقد مضت سنّة الاوّلين وصارت اسماراً بحيث لم يبق احد الّا و قد سمعها [وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] فساد من الشّرك ولوازمه [وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ] ولا يكون لكلٍّ دين اواديانٌ وكان بعضه للشّيطان كالاديان الباطلة وبعضه لله كدينك، هذا فى الصّغير ظاهر، وامّا فى الكبير فقدورد انّه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد انّ رسول الله(ص) رخّص لهم لحاجته وحاجة اصحابه فلو قدجاء تأويلها لم يقبل منهم ولكنّهم يقتلون حتّى يوحّدوا الله وحتّى لايكون شرك [فَإِنِ انْتَهَوْا] عن الكفر [فَإِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ] من الانتهاء والاسلام [بَصِيرٌ] فيجازيهم على حسبه [وَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الاسلام [فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَوْلَاكُمْ] فلا تحزنوا ولا تضيّقوا صدراً من تولّيهم [نِعْمَ الْمَوْلٰى] المتولّى اموركم و تربيتكم [وَنِعْمَ النَّصِيرُ] .

[الجزء العاشر]

[وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ] اسم الغنيمة قد غلبت على ماكان يؤخذ من الكفّار بالقهر والغلبة حين القتال والّا فهى اسم لكلّ ما استفاد الانسان من ايّ وجهٍ كان وايّ شيءٍ كان، فعن الصّادق(ع): هى والله الافادة يوماً بيوم [فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ] وقد فسّر ذوى القربى بالامام من آل محمّد(ص) فانّه ذوالقربى حقيقةً وفسّر الثّلاثة الاخيرة بمن كان من قرابات الرّسول(ص) جعل ذلك لهم بدلاً عن الزّكوة الّتى هى اوساخ النّاس تشريفاً لهم [إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ] جزاؤه محذوف اى فأعطوا خمسه فانّه عبادة ماليّة هى احد ركنى العبادة الّذين هما الصّلوة والزّكوة [وَمَا أَنْزَلْنَا] اى بما انزلنا [عَلٰى عَبْدِنَا] من احكام العبادات الماليّة و البدنيّة و من جملتها حكم الخمس او من الملائكة المنزلين [يَوْمَ الْفُرْقَانِ] يوم بدرٍ لظهور الحقّ عن الباطل والفرق بينهما فيه وهو متعلّق بآمنتم اوبانزلنا [يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ] لظهور دلائل صدق النّبوّة بظهور نصرة الحقّ بالملائكة اوبظهور نزول الملائكة وجنود الله للنّصرة ولذا فسّر ماانزلنا بانزال الملائكة والنّصرة فى ذلك اليوم تذكيراً لهم بدلائل صدق النّبوّة وقدرة الله على نصرهم حتّى لايشمئزّوا عن امره باعطاء مالهم ثقةً بامداده واعطائه ولذا قال [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميماً بعد تخصيصٍ وهو عطف على ما هو المقصود كأنّه قال فالله قادر على الامداد ونصرة القليل على الكثير فلا تخافوا من كثرة العدوّ وقلّتكم والله على كلّ شيءٍ قديرٌ فلاتخافوا من قلّة ما فى اليد والانفاق فانّه قادر على اعطائكم [إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا] بدل من يوم الفرقان اوظرف لالتقى اولقدير والعدوة مثلّثة شطّ الوادى [وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوٰى] و المراد الدّنيا من المدينة و القصوى منها [وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ] يعنى عير قريش والمراد تذكيرهم بقوّة المشركين وشدّة اهتمامهم بالقتال لحفظ العير واستظهارهم بمن كان فى العير وهم ابوسفيان واصحابه وكون مكانهم اثبت للاقدام و مكان المؤمنين يسوخ فيه الاقدام حتّى لايبقى لهم شكٌّ فى انّ غلبتهم لم تكن الّا بنصرة الله ولذا قيل :كان غزوة بدرٍ من ادلّ الدّلائل على نبوّة نبيّنا (ص) [وَ] الحال

انّكم لغاية ضعفكم وقوّة اعداءكم [لَوْ تَوٰاعَدْتُمْ] للقتال معهم [لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعٰادِ وَلٰكِنْ] ثبّتكم على القتال على هذه الحال ولم يدعكم حتّى تفرّوا [لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً] اى حقيقاً بان يفعل اومفعولاً في الذّرّ من اعلاء كلمته واعزاز دينه واذلال اعدائه ، اوهلاك الهالك عن بيّنة اوانزال الملائكة واظهار دلائل النّبوّة [لِيَهْلِكَ] بدل عن قوله ليقضى الله على ان يكون المراد بالامر المفعول اتمام الحجّة واهلاك الهالك وحيوة الحيّ بعدها اومتعلّق بيقضي والمراد الهلاك الصّوريّ اوالمعنويّ [مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ] بعد بيّنة اومتجاوزاً عن بيّنة هى اعزاز المؤمنين وغلبتهم فى مقام لايظنّ الّا ذلّتهم ومغلوبيّتهم ولم يكن ذلك الّا بنزول الملائكة وامدادهم بحيث لم يخف على احدٍ من الطّرفين [وَيَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ] لاستغاثتكم فيجيبكم [عَلِيمٌ] بصدوركم وخفيّاتها من الخوف والاضطراب و ما يصلحها من التّثبيت و الامداد او لسميع بمقال الهالك والحيّ عليم بحاله ، عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: انّ الله يقضى اوانّ الله يهلك وانّ الله لسميع اوهو استيناف [إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِي مَنٰامِكَ قَلِيلاً] لتخبر اصحابك بقلّتهم ليجترؤا على القتال وهو متعلّق بمتعلّق ليقضى اوبدل من ، اذانتم بالعدوة الدّنيا او بدل ثانٍ من يوم الفرقان او متعلّق بعليم [وَلَوْ أَرٰيكَهُمْ كَثِيراً] فاخبرت اصحابك [لَفَشِلْتُمْ] جبنتم [وَلَتَنٰازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ] امر القتال لانحراف آراء اكثركم عن القتال [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ] نفوسكم عن الفشل والتّنازع [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] بالخفيّات الّتى تصاحب الصّدور فيدبّر امركم عن علم بما لا تعلمون ، **نقل** انّ المخاطبة للرّسول (ص) والمعنى لاصحابه يعنى أرى اصحابه المشركين قليلاً فى منامهم ، وعن الباقر (ع) : كان ابليس يوم بدرٍ يقلّل المسلمين فى اعين الكفّار و يكثّر الكفّار فى اعين النّاس فشدّ عليه جبرئيل (ع) بالسّيف فهرب منه [وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً] تصديقاً لرؤيا الرّسول (ص) وتشجيعاً لكم [وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ] لئلّا يفرّوا من القتال فيقع ما اراده الله من القتال ونصرة المؤمنين واعلاء كلمتهم ، **نقل عن ابن مسعود انّه قال** : لقد قلّلوا فى اعيننا حتّى قلت لرجل الى جنبى ، اتراهم سبعين ؟- قال: اراهم مائةً ، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا : كم كنتم ؟- قال: الفاً، و قلّل المؤمنون في اعين الكفّار حتّى قال قائل منهم : انّماهم اكلة جزور ، هذاكان قبل المقاتلة و امّا حين المقاتلة فقد رأوا المؤمنين مثليهم رأى العين [لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً] كرّره تأكيداً و اشعاراً بان لاغرض من الامر بالقتال وتدبير امر المقاتلين من رؤيا القلّة ورؤية القليل وتشجيع المؤمنين وتثبيتهم الّا قضاء ما فى اللّوح و امضاءه من اظهار دينه على الاديان [وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] كما انّ منه تدبيرها و صدورها ثمّ بعد ما اظهر انّ النّصر من عنده وانّ اسبابه الظّاهرة ايضاً منه وشجّع المؤمنين وثبّتهم قال [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا لَقِيتُمْ فِئَةً] من المشركين والكفّار للقتال فانّ اللّقاء غلب فى القتال [فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً] ثقة بنصره واستظهاراً بذكره فانّ القلب يطمئنّ عن الاضطراب والخوف بذكره [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] بالظّفر على الاعداء [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فيما يأمركم به فى امر القتال وغيره [وَلٰا تَنٰازَعُوا] باختلاف الآراء [فَتَفْشَلُوا] تضعفوا عن القتال [وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] عظمكم فى نظر الاعداء شبّهت العظمة المعنويّة بالرّيح

الدّاخلة تحت الثّياب الّتى بها تعظم جثّة الانسان، او بالانتفاخ والانتقاش الّذى يكون للّسباع حين ثوران الغضب وهو مثل دائر فى العرب والعجم [وَاصْبِرُوا] على الجهاد [إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصّٰابِرِينَ وَلاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ] يعنى قريشاً حين خرجوا مع آلات اللّهو [بَطَراً وَرِئٰاءَ النّٰاسِ] ليثنوا عليهم بالشّجاعة والشّوكة فانّهم أخرجوا معهم القيان والخمور وآلات اللّهو [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] فلا يخفى عليه اعمالكم ولا نيّاتكم [وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ] عطف على اذ انتم بالعدوة او اذ يريكهم الله، او اذ يريكموهم على جواز عطف عدّة معطوفات كلّاً على سابقه [وَقٰالَ لاٰ غٰالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّٰاسِ] وكان تزيينه باذن الله ليقضى الله امراً كان مفعولاً [وَإِنِّي جٰارٌ لَكُمْ] مجير لكم اومجاور تمثّل لهم بصورة شخص بشرىّ يقال له سراقة كما فى الخبر ، او اوقع فى روعهم ذلك و وسوس اليهم انّ الثّبات على الاصنام وحفظ دينهم امرٌ آلهىّ وهو مجيرهم و يحفظهم [فَلَمّٰا تَرٰاءَتِ الْفِئَتٰانِ نَكَصَ عَلىٰ عَقِبَيْهِ] رجع القهقرى وهو مثل يضرب لمن خاب من مأموله ورجع عن طلبه [وَقٰالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرىٰ مٰا لاٰ تَرَوْنَ] يعنى الملائكة [إِنِّي أَخٰافُ اللّٰهَ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقٰابِ] من كلامه اومن كلام الله عطفاً على قال ، فى الخبر: انّ ابليس كان فى صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سراقة اتخذ لنا على هذه الحال ؟ ـ فقال: انّى ارى مالا ترون ، فقال : والله ماترى الّا جواسيس يثرب، فدفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، فلمّا قدموا مكّة قال النّاس: هزم سراقة فقال: والله ماشعرت بمسيركم حتّى بلغنى هزيمتكم فقالوا: انّك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلمّا أسلموا اعلموا انّ ذلك كان الشّيطان [إِذْ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] ممّن اسلم ظاهراً متعلّق بواحد من الافعال السّابقة او بدل من اذ زيّن لهم الشّيطان [غَرَّ هٰؤُلاٰءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ] عزّ وغلب [فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ] لا يغلب من يتوكّل عليه [حَكِيمٌ] يفعل بحكمته ما هو صلاح عباده من تجرئة القليل على الكثير وغلبتهم ليظهر حقّيّة دينهم [وَلَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا] لو للتمنّى لأنّه كثيراً مايستعمل لبت فى امثال تلك القضايا ولا مانع من جعل لو بمعناها مع انّه غنىّ عن تقدير الجواب ولو جعل لو للشّرط فالجواب محذوف اى لرأيت امراً فظيعاً والخطاب لمحمّد(ص) اوعامّ والمراد توفّيهم يوم بدر اوعامّ [الْمَلاٰئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبٰارَهُمْ] يعمّ الضّرب جميع اطرافهم اوالمراد الوجوه والاستاه كما فى الخبر لانّ الله حيى ويكنّى [وَ] يقولون [ذُوقُوا عَذٰابَ الْحَرِيقِ] اويقول الله : ذوقوا عذاب الحريق فى الدّنيا او فى الآخرة [ذٰلِكَ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ] من قول الله اوالملائكة [وَأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ] عطف على ماقدّمت والمقصود نفى سببيّة ظلمه تعالى وحقّ العبارة حينئذٍ ان يقول لا بانّ الله ظلّام للعبيد لكنّها لمّا كانت موهمةً لنسبة الظّلم اليه تعالى ونفى سببيّته للعقوبة ادّاه بصورة نفى الظّلم وسببيّة النّفى للعقوبة فانّه كثيراً ما يؤتى باداة التّسبيب و يراد نفى السببيّة كما يقال : فلان بنفسه يفعل كذا ويراد لا بسببٍ فهو نفى لنسبة الظّلم اليه تعالى صريحاً وبسببيّة الظّلم فحوىً لا انّه

بيان لسببيّة عدم الظّلم خصوصاً على قاعدة انّ الاعدام لاسببيّة لها لشيء اصلاً ومايقال : عدم الشّرط سبب لعدم المشروط فهو بالمقايسة الى الملكات ، والظّلام من صيغ النسب كتمّار لامن صيغ المبالغة [كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ] اى ماهم عليه من الكفر والمعاصى المستتبعة للعقوبة كدأب آل فرعون اوهو متعلّق بقوله يتوفّى والتّشبيه تمثيليّ والدّأب الخصلة والسنّة الّتى اعتادها وداوم عليها صاحبها [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كاقوام الانبياء(ع) السّلف [كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّهِ] استيناف جواباً للسّؤال المقدّر عن دأبهم كأنّه قيل : ماكان دأبهم ؟ و ما فعل بهم؟ [فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكَ] العقاب عقيب الكفر و العصيان بانّ عادةالله جرت بان يغيّر النّعمة عقيب تغيير صاحب النّعمة حاله فحقّ العبارة ان يقال بانّ الله يغيّر مابقوم من نعمة بتغييرهم احوالهم لكنّه قال [بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] افادة للحصر مع هذا المعنى و نفى التّغيير عنه لا التّصريح بنسبة التّغيير اليه ابتداء [وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] فيسمع مقالّتهم السّوءى ويعلم تغييرهم حسن أحوالهم فيجرى عادته بتغيير نعمته [كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ] يعنى ذلك التّغيير المستتبع لتغييرنا النّعمة المنعمة كدأب آل فرعون والتّكرار للتّأكيد ومطلوبيّة التّكرار حين الغضب [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ] ولكون التكرار للمبالغة ولابداء اشتدادالغضب بالغ وبدّل كفروا بكذّبوا [فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ] و هذا من مطلوبيّة التّطويل والتّفضيح فى مقام الغضب [إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] هذا ايضاً من التّفضيح والتّغليظ والتّطويل فى مقام الغضب مثل مابعده [الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ] قدفسّروا ببنى قريظة فالمرادبالمعاهدة عهد المتاركة و فسّروا ايضاً بمنافقى اصحابه فالمراد بالمعاهدة عهد البيعة و الاولى التّعميم [ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ] سخط الله او لايتّقون بأسك و بأس المؤمنين [فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ] ان كان المراد منافقى الامّة فجريان الامر على يد علىّ(ع) [فَشَرِّدْ بِهِمْ] بقتلهم والنّكاية فيهم [مَنْ خَلْفَهُمْ] من سائر الكفّار بان يتسامعوا بشدّة بأسك بقتل المقاتلين فلا يطمعوا فى مقاتلتك و هو امر بشدّة نكايتهم على ابلغ وجه [لَعَلَّهُمْ] اى من خلف المقاتلين [يَذَّكَّرُونَ] صدق نبوّتك و شدّة بأسك [وَإِمَّا تَخَافَنَّ] زيادة ما على اداة الشّرط هنا و فى سابقه ولحوق نون التّأكيد للمبالغة فى لزوم الجزاء [مِنْ قَوْمٍ] معاهدين بقرينة قوله ثمّ ينقضون عهدهم فى كلّ مرّة [خِيَانَةً] فى العهد بنقضه بان يلوح لك اثر المخالفة ونقض العهد، نقل انّها نزلت فى معاوية لمّاخان امير المؤمنين(ع) وهوممّا قلنا انّه ممّا جرى على يد علىّ(ع) [فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ] عهدهم ولاتراعه مشتملاً [عَلَىٰ سَوَاءٍ] اى استواء معهم اوحالة مساوية لحالهم فى نقض العهد فانّه منك غير مذموم بعد ابتدائهم بنقض العهد [إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ] تعليل للامر بنبذ العهد يعنى انّ الخائنين لاجهة محبّة لهم حتّى تراعيها ولا تنقض عهدك معهم [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع المظهر موضع المضمر تصريحاً بكفرهم وتفظيعاً لهم [سَبَقُوا] فاتوا عنّا اوغلبوا ولعلّه كان انسب لانّه لرفع الخوف

عنهم لمناقضة عهدهم [إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] لايفوتون اولايغلبون من اعجزه اذافاته اوجعله عاجزاً، وقرء لا يحسبن بالغيبة وانّ بالفتح ووجوه الاعراب لايخفى على البصير بالعربيّة [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] ممّا به قوّتكم وشوكتهم من الخيلاء بين الصفّين فانّ التكبّر ممدوح فى القتال ومن سلاحٍ وغيره، وورد فى الخبر انّ منها الخضاب بالسّواد [وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ] من عطف الخاص على العام اذالرّباط مصدر بمعنى المربوط اوجمع ربيط غلب على الخيل التى تربط للجهاد [تُرْهِبُونَ بِهِ] بما استطعتم من القوّة [عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] اى الّذين تخافون خيانتهم والاتيان بالمظهر للاشعار بالعلّة وذكروصف آخر للتّفظيع [وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ] من دون من تخافون خيانتهم من الكفرة الّذين لاعهد بينهم وبينكم اولاتخافون منهم نقض عهدكم [لَا تَعْلَمُونَهُمُ] خائنين كمنافقى الامّة الّذين اظهروا الاسلام واخفوا النّفاق او لا تعلمونهم بأعيانهم حيث غابوا عنكم كالعجم و الرّوم والشّام [اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ] فلاتخافوا من الفقر وتهيّؤا بما استطعتم من القوّة فى سبيل الله [وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] بنقص شيءٍ ممّا انفقتم [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ] اى الصّلح والدّخول فى الاسلام اوالدّخول فى الايمان كما عن الصّادق (ع) انّه الدّخول فى امرنا [فَاجْنَحْ لَهَا] فانّ قتالك ليس الّا مقدّمة الصّلح و السّلم بمعنى الصّلح يؤنّث سماعاً [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] ولا تخف من خديعتهم بالصّلح فانّ الله عاصمك [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لكلّ ما قالوا فيك فيدبّر ما فيه صلاحك [الْعَلِيمُ] يعلم نيّاتهم وعاقبة امرك وامرهم فلايفوته شيءٌ ولايسبقه شيءٌ [وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ] بالصّلح بان ارادوا اطفاء نائرة القتال بالصّلح حتّى يتهيّؤ اللقتال ويضع اصحابك اسلحة القتال فيباغتوكم فلاتخف [فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ] فى موضع التّعليل على الاستيناف البيانىّ والمراد نصره بالملائكة [وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] قلوب المؤمنين فيقدر ان يؤلّف بينكم وبين الخائنين ان ارادوا بالصّلح الخيانة [لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] فانّ تصريف القلوب بيده لابيدك البشريّة ولابيدك النّبوبّة [وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ] قيل: نزلت فى الانصار فانّ الاوس والخزرج كان بينهم مقاتلة ودماء وتؤالفوا وتحابّوا بالاسلام [إِنَّهُ عَزِيزٌ] لا يمنعه من مراده شيءٌ [حَكِيمٌ] يفعل بحكمته ما فيه صلاح عباده [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] كرّره مقدّمة للامر بالتّحريض ولانّ التّكرار مرغوب فيه فى مقام الامتنان واظهار المحبّة والاحسان [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ] لنصرة الله [وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] فلايثبتون ثبات من آمن بالله وعلم انّ النّصر بيدالله والظّفر من الله [الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً] هذه الآية نزلت بعد ماكثر المؤمنون ولذا ورد انّها ناسخة لما قبلها [فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] والمراد

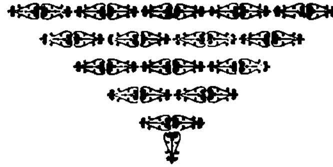
بالضّعف الضّعف فى القلوب لافى الابدان حتّى ينافى كثرتهم [مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ] جواب لاصحابه (ص) حين سألوه ان لايقتل الاسرى ويأخذ منهم الفداء والمقصود من الاثخان كثرة القتل من اثخن فى العدوّ اذا غلب واكثر الجرح فيهم [تُرِيدُونَ] بأخذ الفداء [عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ] لكم بان يكون جهادكم غير مشوب بالاغراض الدّنيويّة بل خالصاً للآخرة [وَاللَّهُ عَزِيزٌ] غالب لايخاف من ذلّة نبيّه على فرض اخذ الفداء من الاسرى فهو لاستدراك توهّم خوف الضّعف و المغلوبيّة [حَكِيمٌ] يأمر بالقتل لمصالح يعلمها [لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ] اى حكم سبق فى اللّوح من اباحة الفداء واعزاز المؤمنين او ابقاءهم الى اجلٍ موعودٍ حتّى يعزّ دين الله بهم و هو تهديد وردع عن مثل ما فعلوا ببدرٍ فى باب اخذ الفداء من الاسرى واصرّوا على ذلك مع انكار الرّسول (ص) حتّى رضوا بقتل عدد الاسرى ومن يأخذون منه الفداء من المؤمنين فى عام قابل [لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ] من الفدية اوفيما فعلتم من الاصرار على اخذ الفدية [عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا] اى اذا كان سبق كتاب فى اباحة الفداء و اعزازكم فكلوا [مِمَّا غَنِمْتُمْ] من الفداء فانّه غنيمة او هو اباحة للغنيمة كأنّهم أمسكوا عنها و تردّدوا فى اباحتها اى اذا كان سبق كتابٍ فى اباحة الفداء و اعزازكم واعلاء كلمتكم فلا تتحرّجوا من الغنيمة وكلوا منها [حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ] فى السّرف فيها ، او فى الخيانة فيها ، او فى مخالفته (ص) فيها و ارضوا فيها بما اعطاكم الرّسول (ص) [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] اذ غفر تجرّيكم على الاصرار فى الفدية [رَحِيمٌ] اذ رحمكم باباحة الغنيمة و الفدية [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ] اسرى بدر اوالعبّاس وعقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث خاصّة كما ورد فى الخبر انّ الآية نزلت فى العبّاس وعقيل و نوفل وقصّتهم وقصّة غزو بدر مسطورة فى الصّافى مبسوطة [إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا] رغبةً وميلاً فى الايمان [يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ] من الغنيمة فى الغزو ومن الفداء بعد الاسر [وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ] فيغفر لكم ما صدر منكم من معاداة الرّسول (ص) [رَحِيمٌ] فيؤتيكم خيراً ممّا اخذ منكم فحقّ العبارة ان يقول يغفر لكم و يؤتكم خيراً فانّ المغفرة وهى ستر المساوى مقدّمة على الرّحمة والانعام لكن لمّا كان المقام مقام الاهتمام باتيان العوض لما فاتهم قدّمه [وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ] عطف من الله على مقول الرّسول باعتبار المعنى وملاحظة نفس المحكىّ مع قطع النّظر عن كونه حكاية ومثله كثير كأنّه قال: ان يعلم الله فى قلوبهم خيراً يؤتهم خيراً ممّا اخذ منهم وان يريدوا خيانتك فلا غرو فيه [فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ارادة خيانتك بمخالفة حكم العقل الّذى هو رسولهم الباطنىّ فأمكن المؤمنين منهم فليحذروا من امكان المؤمنين ثانياً منهم وقد فسّر هكذا وان يريدوا خيانتك فى علىّ (ع) فلا غرو فيه فقد خانوا الله فيك من قبل [فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ] فلا تحزن لذلك فانّه يمكّن عليّاً (ع) واصحابه منهم [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] بارادة كلّ مريدٍ [حَكِيمٌ] يدبّر امرك وامر الخائنين على وفق حكمته [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ بقبول الدّعوة الظّاهرة و البيعة العامّة [وَهَاجَرُوا] من دار الشّرك الى مدينة الرّسول (ص) [وَجَاهَدُوا] مع اعداء الرّسول (ص) [بِأَمْوَالِهِمْ]

بذلها على أنفسهم وعلى المجاهدين فى الجهاد [وَأَنْفُسِهِمْ] يبذلها بالقتل فى سبيل الله حال كونهم [فِي سَبِيلِ اللهِ] او فى حفظ سبيل الله وهو النّبوّة اوفى تحصيل سبيل الله وهو الولاية ، اوالمعنى انّ الّذين آمنوا بالايمان العامّ من افراد الانسان فى العالم الكبير ومن اولاد آدم الّذين هم القوى الانسانيّة فى العالم الصّغير وهاجروا من اوطان شركهم النّفسانيّة الى مدينة صدورهم الّتى هى مدينة رسولهم الباطنىّ ، وجاهدوا فى سبيل الله الّذى هو سبيل القلب بأموالهم الحقيقيّة الّتى هى قواهم ومداركهم بتضعيفها بالرّياضات والمجاهدات ، اوالمعنى انّ الّذين آمنوا بالايمان الخاصّ بالبيعة الخاصّة وهاجروا من اوطان شركهم الى مدن صدورهم وجاهدوا بأموالهم الحقيقيّة وأنفسهم حال كونهم فى سبيل الله وهو طريق الولاية الموصلة لسالكها الى الفناء فى الله اوفى حفظ سبيل الله وكلّ المعانى لكونها مترتّبة متصاعدة طوليّة لاعرضيّة مرادة من غير لزوم استعمال اللّفظ فى اكثر من معنىً كما مرّ مراراً [وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا] هم الانصار الصّوريّة بحسب المعنى الاوّل وبحسب المعانى الاخر من يليق بها [أُولٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] اولياء المحبّة ادّاه بصورة الخبر اشارة الى انّ ولاية المحبّة لازمة لهم او اولياء الميراث كما ورد فى الاخبار و ورد انّها منسوخة بآية اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَلَمْ يُهٰاجِرُوا] من دار الشّرك الصّوريّة او من دار الشّرك النّفسانيّة [مٰا لَكُمْ مِنْ وَلاٰيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] لانّهم لم يقرنوا وصلهم الصّورىّ الحاصل بالبيعة الصّوريّة بالوصل المعنوىّ بالخروج فى طريق الخليفة الصّوريّة اوالباطنيّة فلم يتّصلوا معنىً بكم ولا بمن اتّصلتم به فلا ولاية ولا اتّصال بينكم وبينهم فلا توارث ولا موادّة بينكم وبينهم [حَتّٰى يُهٰاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ] لا فى الامور الدّنيويّة اعتباراً لمفهوم القيد [فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ] لانّ وصلتهم الصّوريّة لها حرمة وعليكم بها حقّ لهم [إِلاّٰ عَلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ] فانّ الميثاق و ان كان حقّه وحرمته ادون من البيعة و الاسلام لكن هو ايضاً وصلة بنحوولها حرمة ولا قوّة للوصلة الاسلاميّة من دون اقترانها بالوصلة المعنويّة بحيث تفوق تلك الوصلة [وَاللهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ] من موالاة من امرتم بموالاته وترك موالاة من امرتم بترك موالاته [بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بترك البيعة النّبويّة او الولويّة [بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] بحكم السّنخيّة والمجانسة والّا فهم كالكلاب الضّارية يعضّ بعضها بعضاً، نعم اذا رأت غيرجنسها اتّفقت وحملت مجتمعةً عليه:

جان گرگان و سگان از هم جداست — متّحد جانهاى شيران خداست

[إِلاّٰ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ] يعنى ما ذكرنا من الموالاة و تركها انّما هو لصلاح نظام المعاش مؤدّياً الى نظام المعاد لانّه يورث الاتّحاد فى الآراء ، وفى ترك موالاة المؤمنين المهاجرين وموالاة الكفّار وان كانوا ارحاماً يحصل اختلاف الآراء و به يحصل فساد نظام المعاش و فى فساده للنّاقصين فساد نظام المعاد فالمراد بالفتنة اختلاف الآراء المستتبع للفساد [فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير وارض العالم الصّغير [وَفَسٰادٌ كَبِيرٌ] لتجرّى الكفّار باختلاف آرائكم عليكم واطّلاعهم بموالاتكم على ما يمكنهم الغلبة به عليكم [وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَ هٰاجَرُوا وَجٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً] كرّره بلفظه احضاراً لهم بمديحتهم و اشعاراً بعلّة الحكم [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] علوىّ لا كالارزاق الارضيّة الّتى فى تحصيلها كلفة و مشقّة وحال الارتزاق فيها زحمة و بعد الارتزاق حاجة الى المدافعة [وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ] يعنى من بعد ايمانكم وهجرتكم [وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ] و يجب موالاتهم كموالاتكم [وَاُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اللهِ] فى مكتوبةٍ فى اللّوح و هو نسخ للتّوارث بالهجرة والنّصرة [اِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيحكم تارةً بالتّوارث بالهجرة وتارةً بالرّحم لمصلحةٍ يعلمها ويأمركم بموالاة انفسكم و ترك موالاة الكفّار ايضاً لمصلحة .



سورة التوبة

مائة وتسع وعشرون آية وهى مدنيّة كلّهاوقيل: غير آيتين و هماقوله‌تعالى: لقدجاء كم رسولٌ (الى آخرالسورة) واسماؤهاعشرة سورة براءة، والتّوبة، والفاضحة، والمبعثرة لبحثها عن اسرارالمنافقين، و المقشقشة لتبرئتها من النّفاق، و البحوث لبحثها عن اسرار المنافقين، و المدمدمة اى المهلكة، و الحافرة من الحفر بمعنى التّنقية، والمثيرة، وسورة العذاب. عن اميرالمؤمنين (ع) لم ينزل بسم‌الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءة لانّ بسم‌الله للامان والرّحمة ونزلت براءة لدفع الامان والسّيف، وعن الصّادق (ع) الانفال وبراءة سورةٌ واحدةٌ ولذلك لم ينزل بينهما بسم‌الله الرّحمن الرّحيم، وقيل: كان النّبىّ (ص) ينزل عليه الآيات فيدعو بعض الكتّاب فيقول: ضع هذه الآيات فى سورة كذا وكذا، وكان الانفال فى اوّل مانزلت فى المدينة وبراءة فى آخرمانزلت وقبض رسول‌الله (ص) ولم يبيّن انّها منهافوضعناهاعقيبهامن دون بسم‌الله الرّحمن الرّحيم؛

[بَرَاءَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] هذه من المصادر النّائبة عن افعالها و اصلها برء الله و رسوله براءة من الّذين عاهدتم ثمّ حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و وصل الفاعل بحرف الجرّ صفة له، نظيره مايقولون زعماًمنهم وخلافاً لهم فانّهمااصلهما زعمواوخالفوا وابدل لفظة من بلفظة الى اشعاراً بتضمين معنى الوصول اوتقديره، ثمّ عدل من نصب براءة الى الرّفع مبالغةً وتأكيداً وقد قرئ بالنّصب على اصله وعلى هذا فهى مبتدء مخصّص بالصّفة وخبره الى الّذين عاهدتم ويحتمل ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ ومن الله والى الّذين عاهدتم صفتين له اى براءة ناشئة من الله واصلة الى الّذين عاهدتم، اوهذه براءة واصله من الله الى الّذين عاهدتم ونسب المعاهدة الى المسلمين لانّها مع كونها من رسول‌الله (ص) كانت لمصلحة المسلمين فكأنّها كانت منهم، ونسب البراءة الى الله والرّسول مخاطباً للمسلمين اشارة الى وجوبها عليهم والّذين عاهدتم وان كان عاماً لكنّه مخصّص بالنّاقضين بقرينة الاستثناء الآتى، فالنّظر فى انّه كيف يجوز نقض العهد من الرّسول (ص)؟ ساقط من اصله [فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ] اعلام وامهال نصفاً ورجاءً ان يتوبوا والمراد باربعة اشهر عشرون من ذى الحجّة الى عاشر ربيع الثّانى، ونقل انّ فتح مكّة كان فى الثّامن من الهجرة ونزول سورة براءة فى العام التّاسع وحجّة الوداع فى العاشر واتّفق مفسّروا العامّة و الخاصّة انّه بعث رسول الله (ص) ابابكر اميراً على الموسم فقالت الخاصّة: بعثه بسورة براءة ثمّ نزل عليه الوحى ان لايؤدّى عنك الّا رجل منك فبعث علياً (ع) فلحق بأبى بكر واخذ سورة براءة منه وقالت العامّة: نزل براءة بعد بعثه (ص) ابابكر فبعث بعده علياً (ع) فقيل له (ص) فى ذلك فقال: لايؤدّى الّا رجل منّى وتفصيل قصّته مذكورة فى كتب الفريقين [وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّٰهِ] تهديد لهم بانّ الامهال لاينفعهم [وَأَنَّ اللّٰهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ]

هذا نظير براءة من‌الله فی نيابة المصدرعن‌الفعل والعدول الی الرّفع [إِلَى النَّاسِ] وهذا من‌التّكرارالمطلوب فی مقام التّهديد والغضب [يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ] سمّی يوم النّحر بالحجّ الاكبر فی مقابل العمرة ، او لانّ فی‌يوم‌النّحر معظم افعال الحجّ ، اولانّه كان‌سنة حجّ فيهاالمسلمون‌والمشركون [أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ] ای بانّ الله و رسوله عطف علی المستتر فی بریء وقرء بالنّصب عطفاً علی اسم انّ [فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ] هذا ايضاً من التّكرير المطلوب فی مقام التّهديد [وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] من قبيل استعمال الضّدّ فی الضّدّ تهكّماً [إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] استثناء من المشركين لبيان بقاء عهد غير النّاكثين [ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا] من شروط العهد [وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا] فانّ نقض الشّروط و مظاهرة العدوّ نقض فعلیّ [فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] من نقض العهد بلا سببٍ [فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ] هی اشهر السّياحة الّتی جعلهاالله حرماً لامان المشركين [فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ] من حلٍّ وحرمٍ [وَخُذُوهُمْ] بالاسر [وَاحْصُرُوهُمْ] عن المسجد الحرام [وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ] لئلا يبسطوا فی البلاد [فَإِنْ تَابُوا] بالتّوبة النّبويّة [وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ] بانقياد احكام الاسلام [فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ] لانّهم حينئذٍ يكونون امثالكم و لهم مالكم و عليهم ما عليكم [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما صدر عنهم بالتّوبة [رَحِيمٌ] برحمهم بالاسلام واقامة احكامه [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ] من شرّ المؤمنين او من غيرهم طلباً للامان فی الدّنيا [فَأَجِرْهُ] فانّ التّوجّه اليك و ان كان للدّنيا له حرمة فلا تهتكها كما انّ لنحلة الاسلام بواسطة التّشابه بالاسلام و انقياد احكامه لها حرمة و غاية الاجارة سماع كلام الله و فيه حصول المقصود من ارسالك [حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ] فانّ فی سماع كلام الله كسراً لسورة عنادهم واستمالةً لهم الی الحقّ ومقاتلتك ليست الّا لذلك [ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ] بعد ارادة العود الی وطنه بان لايتعرّض احدمن المسلمين له حتّی يبلغ بامانٍ منك وحافظٍ من المسلمين ان احتاج اليه الی وطنه اوالمكان الّذی هومأمنه [ذَٰلِكَ] الالجاء حين الالتجاء و ابلاغ المأمن حفظاً لحرمة التّوجّه اليك و ان كان لاغراضٍ دنيويّة و انتظار سماع كلام الله [بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] لاشتداد جهلهم بحيث ستر جهة علمهم الّذی هم مفطورون عليها و بسماع كلام الله يضعف جهة جهلهم و يظهر جهة علمهم فيرجی منهم قبول قولك بعد ظهور جهة علمهم [كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ] استفهام انكاریّ فی معنی النّفی و فيه معنی التّعجّب ای لا يكون للمشركين عهد عندالله وهوجواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: كيف يصحّ الغدر ونقض العهد ؟- فقال ليس لهم عهدٌ [إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] عن نقض العهد [كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ] تكرار كيف لمناسبة مقام الذّمّ و السّخط

[لَايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا] قرابة اوحلفاً وعهداً [وَلَا ذِمَّةً] عهداً على التّفسير الاوّل لأنّ "لا" اوحقّاً فى ذمّتهم على التّفسير الثّانى [يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ] عمّا يقولون بافواههم [وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ] خارجون عن حكومة العقل وحكومة خليفةالله و ذكر الاكثر لانّ بعض الكفّار لهم حالة انقياد لطاعة العقل ان نبّههم منبّه [اِشْتَرَوا بِآيَاتِ اللهِ] استيناف فى موضع التّعليل لفسقهم و الآيات اعمّ من الآيات التّكوينيّة النّفسانيّة والآفاقيّة والتّدوينيّة [ثَمَنًا قَلِيلًا] من الاعراض الدّنيويّة و الاغراض الفاسدة و التّمتّعات الفانية [فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ] اعرضوا او منعوا عن سبيله التّكوينىّ و هو سبيل العقل فى العالم الصّغير او عن سبيله التّكليفىّ وهو النّبوّة اوالولاية [إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من اشتراء الآيات والصّدّ عن السّبيل فانّ وباله لايرجى غفرانه [لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ] التّكرار باعتبار مطلوبيّة التّكرارفى مقام الذّمّ والسّخط [إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ] الكاملون فى الاعتداء [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ] التّكرار هنا ايضاً من التّكرار المطلوب [وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ] التّكوينيّة بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ] جمع اليمين بمعنى العهد لانّ العهد ينعقد باليمين اولانّ العهد شبيه باليمين بمعنى الحلف [مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ] وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بوصف ذمٍّ لهم [إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ] فانّ الايمان اذا لم تقترن بالوفاءكان وجودها كالعدم [لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ] عن الكفروالغدرفى الايمان ، اعلم، انّ تنزيل الآيات فى المشركين بالله وتأويلها فى المشركين بالولاية فانّ كلّ من بايع محمّداً (ص) اخذ عليه ان لايخالف قوله فكلّ من خالف قوله فى علىّ (ع) نكث عهده و يمينه كاصحاب السّامرىّ و عجله و كاصحاب الصّفّين وكلّ من بايع عليّاً (ع) ثمّ خالفه كاصحاب الجمل و النّهروان فقد نكث عهده و يمينه لكنّ القتال ما وقع الّا مع اصحاب الجمل و الصّفّين و النّهروان و فى الاخبار ورد تفسيرها بحسب التّأويل بالمشركين بالولاية [أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ] تحريص على القتال وتكرير للحكم بلفظٍ آخر لاقتضاء مقام الغضب له [وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ] قبل الايمان فانّ مشركى مكّة قبل المعاهدة والحلف مع الرّسول (ص) همّوا باخراجه عام الهجرة فانّ المشاورة والهمّة باخراجه كانت عام الهجرة قبل الهجرة كما مضى حكاية مشاورتهم فى دار النّدوة والمعاهدة والايمان كانت عام الحديبية و عام فتح مكّة [وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] بالمعاداة و مقابلة البادى بالمقاتلة كان جزاء عمله لا تعدّى فيها [أَتَخْشَوْنَهُمْ] لاينبغى لكم ان تخشوهم مع كونكم مؤمنين بالله مستظهرين به تجرئة لهم [فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] شرط تهييج فانّ ايمانهم العامّ محقّق و هو يقتضى الاستظهار به و عدم الخوف من غيره والخوف من سخطه [قَاتِلُوهُمْ] تكرار باعتبار اقتضاء السّخط ولبيان العلل المختلفة و الغايات المترتّبة فانّ قوله: فقاتلوا ائمّة الكفر ؛ معلّل بأنّهم لا ايمان لهم و قوله : الا تقاتلون قوماً نكثوا ؛ الّذى هو فى معنى قاتلوا معلّل بنكث الايمان وهمّة اخراج الرّسول والبدأة فى القتال ،وقوله قاتلوهم مغيّى بتعذيبهم على ايدى المؤمنين

والعمدة مطلوبيّة التّكرار لاقتضاء مقام السّخط له [يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ] ذكر غايات خمس : الاوّل ـ تعذيبهم بالنّسبة الى من يقتل و يجرح ، و نسب التّعذيب الى ايدى المؤمنين للاشارة الى انّ ايديهم كما انّها اجزاء لهم و منسوبة اليهم كذلك هى آلات لفعله تعالى و واسطة اثره ، والثّانى ـ اخزاؤهم بالاذلال و اتلاف المال بالنّسبة الى من سلم من القتل و الجرح و هما راجعان الى الكفّار ، و الثّالث ـ ظهور نصرته و غلبة المؤمنين عليهم فانّه لولا المقاتلة لم يظهر النّصرة ، والرّابع ـ شفاء صدور المؤمنين واستعمال الشّفاء والتّشفّى متنسبين الى الصّدر وباعتبار الالم الّذى يصل اليها من اعتداء المعتدى ، والخامس ـ اذهاب غيظ قلوبهم وغيظ القلوب عبارة عمّا يحمل الانسان على ارادة الانتقام وهو ناشٍ من الم القلوب ، وهذه الثّلاثة بالنّسبة الى المؤمنين ونسبة الشّفاء واذهاب غيظ القلوب الى قومٍ من المؤمنين للاشارة الى انّ بعض المؤمنين لا يتألّمون من اعتداء المشركين بل يرون اعتداءهم سائقاً لهم الى ربّهم، كما انّ مرافقه مولاهم قائدة لهم وقوله بالفارسيّة « دربلاهم ميچشم لذّات او » اشارة الى هذا [وَيَتُوبُ اللّٰهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ] ادّاه مرفوعاً بصورة الاستيناف للاشارة الى عدم لزومه للمقاتلة كسوابقه لكن اتى باداة العطف مشعراً بانّه ايضاً قد يترتّب على المقاتلة [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] بالغايات المترتّبة على المقاتلة ولذا يأمركم بها [حَكِيمٌ] لايأمركم الّا بمافيه صلاحكم وصلاح اعداءكم [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا] على فراغكم ولاتؤمروا بالمقاتلة [وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ] اى جهاد المجاهدين فانّ فى الاتيان بالموصول ايماءً الى اعتبار حيثيّة الصّفة و لمّا كان لعلمه تعالى مراتب وبعض مراتبه مع الحادث و فى مرتبة الحادث وان كانت بالنّسبة اليه تعالى قديمة واجبة بقدمه ووجوبه تعالى صحّ نفى العلم عنه باعتبار نفى حدوث الحادث ، اوالفعل مضمّن معنى الظّهور اى ولمّا يظهر علمه بالّذين جاهدوا منكم، اونسبة نفى العلم اليه تعالى باعتبار مظاهره اى لمّا يعلم النّبىّ الّذى هو مظهر الله [وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً] عطف على جاهدوا والوليجة الجماعة الّتى يكون الشّخص مراوداً لهم و مستظهراً بهم وخاصّتك من الرّجال ومن تتّخذه معتمداً عليه من غير اهلك واللّصيق بالشّخص الّذى لاينفكّ عنه ، والمراد بالمؤمنين الائمّة كما فى الاخبار لانّهم الكاملون فى الايمان و لانّهم الاصل فيه و ايمان غيرهم فرع ايمانهم ، ولانّهم يجعلون النّاس فى امان الله بالبيعة معهم ويجيز الله امانهم ، ويجوز تعميم المؤمنين ، وفسّر الوليجة فى الاخبار بالبطانة وبمن يقام دون ولىّ الامر [وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] فيعلم المجاهد ، وآخذ الرّسول (ص) والمؤمنين وليجة ، ويعلم القاعد ، والآخذ غير الله ورسوله والمؤمنين وليجةً ، وهو ترغيب فى المجاهدة والاعتماد على الله وتهديد عن القعود والاعتماد على غير الله [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّٰهِ] استيناف لردّ مفاخرة المشركين بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ وحجابة البيت وفكّ العناة كما فسّر فى الاخبار ، و فيه ايضاً ردع للمؤمنين عمّا يتخاطروا به من عدم جواز مقاتلة المشركين مع كونهم مباشرين لتلك الاعمال السّنيّة والمناصب الشّريفة ، والمقصود انّه ليس الاعتبار بمشاكلة صورة اعمال الابرار و ان صدرت من الاشرار بل الاعتبار بمصدر الاعمال فتعميرهم فى الحقيقة تخريب لمسجد القلب حيث يراؤن و يفتخرون به ، و سقايتهم صدّ متعطّشى مملكتهم عن ماء الحيوة حيث يعجبون به ، وحجابتهم حجابة الشّيطان لبيته الّذى هو بيت النّفس ،

وفكّ العناة اسر لاحرار قواهم وصدّ لهم عن الرّجوع الى مولاهم ، انّما يعمر مساجد الله من آمن بالله يعنى بالايمان بالله و مساجد الله هى الصّدور المنشرحة بالاسلام والقلوب المستنيرة بنور الايمان و عمارتها بالاسلام والايمان ؛ ولذا قال اشارةً الى هذا البيان [شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ] حالاً حيث يعملون اعمال الكفر وقالاً حيث يقولون مايلزم الكفر من عدم الاعتقاد بالبعث والحساب وبارسال الرّسول وانزال الكتاب وغير ذلك ممّا يستلزم الكفر وعدم المعرفة بالله [أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ] فلا يباهوا بصور اعمالهم ولاتنظروا ايّها المؤمنون الى صورها لانّها ساقطة بل هى كالاجساد الميتة الّتى توذى حاملها [وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ] لاغيرهم فهو تأكيد للنّفى السّابق بمفهومه ولمّا كان عمارة المساجد الصّوريّة مع الاتّصاف بالشّرك تخريباً للمساجد الحقيقيّة الّتى هى القلوب واربابها وكان حكم التّخريب غالباً وحكم العمارة مغلوباً كأنّها لم تكن ، وكان الايمان بالله واليوم الآخر الّذى هو كمال القوّة النّظريّة فى اعتقاد المبدء والمعاد وقد اندرج فيه جميع المعارف الرّاجعة الى المبدء والمعاد واقام الصّلوة وايتاء الزّكوة اللّذان هما كمال القوّة العمليّة ، وهما اصلان لجميع النّسك والعبادات عمارةً للمسجد الحقيقىّ الّذى هو القلب وصاحبه و صار حكمها غالباً بحيث تنسب الى المساجد الصّوريّة و ان لم تكن فيها عمارة قال بطريق الحصر : انّما يعمر مساجد الله آتياً بالجمع المضاف المفيد للعموم و بمن الموصولة المفيدة للعموم ، مع انّ اكثر المؤمنين لم يعمروا مسجداً قطّ ولو صحّح بتضمين يعمر معنىً يصحّ فالتّأدية بهذه الصّورة للاشارة الى هذا المعنى [وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ] تعريض بالضّعفاء من المؤمنين [فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ] اى كعمل من آمن او هو بتقدير مضاف فى جانب المسند اليه وهو خطاب للمشركين اوللمؤمنين اوللجميع [بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] وهو كمال العلم [وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] وهو اجمال الصّلوة والزّكوة اللّتين هما كمال العمل ، والتّكرار باعتبار مطلوبيّته فى مقام الذّمّ والمدح [لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ] بحسب العلم والعمل اى الحال الّتى هم عليه [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] فلا يستوون بحسب الغاية ايضاً لانّ الله يهدى المؤمنين ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بذمٍّ لهم وبعلّة عدم هدايتهم [الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ] تكرار الاوصاف باعتبار اقتضاء مقام المدح [وَأُولَٰئِكَ] الموصوفون بتلك الاوصاف العظيمة [هُمُ الْفَائِزُونَ] لاغيرهم [يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ] تفصيل لفوزهم ، والرّحمة هنا محمّد (ص) و نبوّته لانّها صورة الولاية الّتى هى الرّحمة ، و الرّضوان علىّ (ع) وولايته ، والتّنكير للتّفخيم [وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] كأنّه استكثر ماذكر فقال تعالى : هذا فى جنب ماعند الله لهم قليل فهو استيناف جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ [لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ] فانّ نسبة الايمان قطعت النّسبة الجسمانيّة فهى مقدّمة على نسبة القرابة الجسمانيّة، **ونقل عن الباقر (ع)** انّ الكفر فى الباطن فى هذه الآية ولاية

مخالفى علىّ(ع) والايمان ولاية علىّبن ابى‌طالب(ع)؛ وعلى هذا فليعمّ الايمان الايمان الخاصّ، ومعلوم انّ احكام الايمان العامّ جارية فى‌الايمان الخاصّ بل‌هواولى بهامن‌الايمان‌العامّ [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ] حيث وضع ولايته فى غير موضعها و ظلم نفسه بالصّرف عن جهة الايمان الى جهة الكفر [قُلْ اِنْ كانَ اٰباؤُكُمْ وَاَبْناؤُكُمْ وَاِخْوانُكُمْ وَاَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَاَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها] ذكر اصول مشتهيات النّفس [اَحَبَّ اِلَيْكُمْ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فى سَبيلِهِ] اعلم ، انّ الانسان واقع بين النّفس و العقل و مقتضيات النّفس هى الاعراض الدّنيويّة المعدودة واصولها فى الآية ومقتضيات العقل الامور الاخرويّة الباقية والانزجار عن الاعراض الفانية ورفضها الّا من باب‌المقدّمة ، والمبتلى بالنّفس ومقتضياتها واقع فى‌جهنّامها ولا محالة يكون سبيله الى السّجّين ودار الشّياطين، والمتنعّم بالعقل ومقتضياته واقع فى‌طرف الآخرة ولامحالة يكون سبيله‌الى‌الجنان ونعيمها،فمن‌غلب عليه حبّ الاعراض فليعالج نفسه وليتضرّع الى ربّه حتّى لا يكون ممّن او عده الله بقوله [فَتَرَبَّصُوا حَتّى يَأْتِىَ اللّهُ بِاَمْرِهِ] من ازهاق الرّوح وحضور الموت فانّه حينئذٍ ينكشف له انّه كان فى جهنّام النّفس وسبيله الى السّجّين [وَاللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقينَ] يعنى انّ اختيار الاعراض الفانية على الامور الباقية فسق و الفاسق لا يهديه الله الى سبيل الجنان فوضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على‌فسقهم وعلّة تهديدهم، **روى** انّه لمّا آذن اميرالمؤمنين (ع) بمكّة ان لايدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا : ذهبت تجارتنا و ضاع عيالنا وخربت دورنا فأنزل‌الله تعالى قل ان‌كان اباؤكم (الآية) [لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فى مَواطِنَ كَثيرَةٍ] فليرجّح طالب الاعراض الفانية محبّة‌الله و رسوله حتّى يحصل مأموله **روى** انّ المواطن كانت ثمانين وهى مواقع الحرب [وَيَوْمَ حُنَيْنٍ] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ و سبب غزوة حُنين وهوواد بين مكّة والطّائف انّ رسول‌الله(ص)حين خرج لفتح مكّة اظهرانّه يريد هوازن ، وبلغ الخبر اليهم فتهيّؤا وجمعوا اموالهم ونساءهم وذراريهم وحملوها معهم وقصدوا رسول‌الله (ص) ، فبلغ الخبر اليه (ص) فجمع القبائل ووعدهم النّصر والغنيمة فجمع اثنى عشر الفاً وخرج من مكّة يستقبلهم ، فقال ابوبكر معجباً لن نغلب اليوم فلمّا التقى‌الفريقان فى وادى حنين وهوواد له انحدار بعيد انهزم المسلمون هزيمة فاحشة ثمّ نصرهم‌الله‌بالملائكة‌فأخذواغنائم‌وافرة واسارى كثيرة بلغ عددالاسارى ستّة آلاف، ولمّا لم‌يخف نصرة‌الله فى ذلك اليوم على احدٍ حتّى على المشركين حيث قال بعض اساراهم : اين الخيل البلق ؟! و الرّجال عليهم ثياب بيض؟ـ وكان الغنائم والاسارى اكثرمايكون؛ خصّه‌الله بالذّكر [اِذْ اَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ] قد مضى انّ المعجب كان‌ابوبكروقدساء مقالته رسول‌الله(ص) [فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً] من‌الاغناء اوشيئاً من بأس الاعداء فانّ الكثرة اذا لم‌تكن قرينة للنّصرة لاتنفع ، والنّصرة هى‌المغنية سواء‌كانت قرينة للكثرة اوللقلّة [وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْاَرْضُ] حين غلبتم وانهزمتم [بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرينَ] عن رسول الله (ص) وعن‌الجهاد [ثُمَّ اَنْزَلَ اللّهُ سَكينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنينَ] يعنى بعد ماصرتم‌مغلوبين وعلمتم انّ الكثرة وتهيّة الاسباب لاتغنى‌ولاتصيرسبباً للغلبة انزل‌الله سكينته‌الّتى‌هى‌سبب‌اطميناكم‌وقوّة قلوبكم،والسّكينة‌على‌مافسّرت

فى الاخبار من، انّها ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، تناسب ما فسّرها به الصّوفيّة الصّافية من انّها صورة ملكوتيّة تظهر على صدر الانسان متصوّرة للاتباع بصورة الشّيخ المرشد وللمتبوعين بصورة مناسبة لهم تسمّى بالملك او بجبرئيل بحسب تفاوت مراتبهم، وحين تمثّل صورة الشّيخ او الملك يصير ملكوت المتمثّل له غالبة وملكه مغلوباً وحينئذٍ يكون له الغلبة على النّفس واهويتها وعلى الملك ومن وقع فيه، لانّه مؤيّد بالسّكينة الّتى هى من سنخ الملك وجاذبة للملائكة ولذا قال بعد انزال السّكينة [وَاَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهٰا] وقد مضى تحقيق السّكينة فى سورة البقرة عند قوله تعالى : انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم [وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالقتل والاسر ونهب الاموال [وَذٰلِكَ جَزٰاءُ الْكٰافِرِينَ] تعريض بالامّة حيث كانوا يكفرون بعد محمّد (ص) بالولاية ، و قصّة حنين مذكورة فى المفصّلات مفصّلة من أراد فليرجع اليها [ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] التّعذيب [عَلٰى مَنْ يَشٰاءُ] يعنى لاتنظروا اليهم بعد التّعذيب بنظر التّحقير لامكان تدارك رحمته تعالى لهم لانّهم عباد الله و صنائعه [وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] قد يؤاخذ عباده اصلاحاً لهم كما قد يؤاخذ نقمةً لهم والّا فمغفرته ورحمته سابقة [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ] ابداء حكمٍ آخر [فَلٰا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرٰامَ بَعْدَ عٰامِهِمْ هٰذٰا وَاِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً] بسبب قلّة تجارتكم لمنع المشركين عن التردّد الى بلدتكم فثقوا بالله وارجوا فضله [فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ اِنْ شٰاءَ] التّعليق على المشيّة لقطع الاغترار بالوعد ولانّه لم يكن لكلّهم وقد انجز وعده بعد اجلاء المشركين بتبسّط اهل المدينة و مكّة على سائر البلاد وبعد ذلك بتوجّه اهل الشّرق والغرب اليها [اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ] بعواقب اوامره ونواهيه [حَكِيمٌ] لايأمر ولا ينهى الّا لمصلحةٍ و حكمةٍ [قٰاتِلُوا الَّذِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلٰا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] بعد ما اظهر حكم المشركين واجلاءهم ومقاتلتهم بتأكيدٍ وتغليظٍ بيّن حكم اهل الكتاب ولم يصدّره بالنّداء اشارةً الى التّفاوت بينهم و بين المشركين فى التّغليظ [وَلٰا يُحَرِّمُونَ مٰا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَلٰا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ] لفظ من للتّبعيض [حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ] مايقرّر ويقضى من جزى دينه اذا قضاه [عَنْ يَدٍ] عن قوّة وبطشٍ منكم وهذا مثل سائر فى العرب والعجم يقول العاجز الذّليل تحت يد غيره : افرّ عن يده، كما يقول العجم « فرار كردم از دست فلانكس » و هذا المعنى هو المناسب للمقام ولتنكير لفظ اليد ، و قد ذكر له معانٍ اُخر مثل : منقادين ، وعن غنىً ، وعن انعامٍ ، وعن يدهم لايد غيرهم [وَهُمْ صٰاغِرُونَ] اذلّاء و حكم الجزية واهلها مذكور فى المفصّلات من التّفاسير والكتب الفقهيّة [وَقٰالَتِ الْيَهُودُ] امّا استيناف على القول بمجيء الواو للاستيناف ، اوعطف باعتبار المعنى فانّ تعليق الامر بالمقاتلة على الموصول للاشعار بعلّة الحكم فكأنّه قال: قاتلوا الّذين لايؤمنون بالله من جهة انّهم لم يؤمنوا وقالوا [عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ] ووضع الظّاهر موضع المضمر لارادة التّفصيل وتعيين قائل كلّ قول، اعلم، انّ القائلين عزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله، ونحن ابناء الله، لم يريدوا بتلك الكلمة ما يفهم منها بحسب الظّاهر من التّوليد والتّجسيم واثبات الزّوج لله ، بل ارادوا بيان النّسبة الرّوحانيّة بهذه الكلمة وقالوا من حصل له القرب من الله بحيث يأخذ الاحكام والآداب منه تعالى بلاواسطة بشرٍ فهو ابن الله ، وكذا من انتسب الى الله بواسطة الاتّصال بنبىٍّ اووليٍّ فهو ابن الله بياناً لشدّة القرب اولصحّة

الانتساب ولا شكّ فى صحّة هذا المعنى ، ولكنّها ممنوعة فى حقّه تعالى لايهامها معناها الظّاهر والتّجسيم و التّوليدكما حمل الاتباع هذه الكلمة على ظاهرها و قالوها بمعناها الظّاهر، ولاشكّ انّ معناها الظّاهر كفر و فرية ، و لهذا حكاها تعالى شأنه عنهم ذمّاً لهم [وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ] نقل انّه كان يقول : انّ ابى يقول كذا ، و ثبت هذا المعنى فى الانجيل [ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ] لا اعتقاد لهم به بأىّ معنىً كان فانّ الاعتقاد بهذا المعنى يقتضى العمل بمقتضاه وهو عدم التّخلّف عن قول من نسبوه بالنّبوّة الى الله و ليس كذلك مثل قوله تعالى يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم [يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا] اى يضاهئ قولهم قول الّذين كفروا ، بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ، والمضاهاة فى عدم كون قول كلّ عن اصل و عدم موافقته للاعتقاد وكون كلّ ناشئاً من محض التخيّل من غير حجّة عليه كقول المجنون ، والمراد بالّذين كفروا [مِنْ قَبْلُ] امّا اليهود على ان يكون المراد بهم النّصارى ، اومطلق الكفّار [قَاتَلَهُمُ اللهُ] باعدهم الله ولعنهم وكثيراً ما يستعمل فى هذا المعنى فى العرف ، ونقل عن علىّ(ع) انّه بمعنى لعنهم الله [أَنَّى يُؤْفَكُونَ] عن الحقّ [اِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ] قد مضى انّ الاحبار علماء الملّة والرّهبان علماء الدّين والطّريقة [أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ] يطلق الرّبّ على المطاع وهو الرّبّ فى الطّاعة ، وعلى المعبود وهو الرّبّ فى العبادة ، وعلى المدبّر فى الوجود وهو الرّبّ فى الوجود وبقائه ، وعلى الخالق وهو الرّبّ فى الايجاد والمقصود من الرّبّ ههنا هو الرّبّ فى الطّاعة حيث قالوا لهم : هذا حلالٌ وهذا حرامٌ ، وهذا من التّوراة والانجيل ، فسمعوا منهم من غير حجّةٍ ، والنّاس غير العلماء الالٓهيّين منهم لابدّ لهم من ربٍّ بشرىّ يطيعونه لعدم بصيرتهم بأمر دينهم وبأمر دنياهم على وجهٍ لايضرّهم فى عقباهم وذلك الرّبّ المطاع امّا منصوبٌ من الله فقوله قولٌ من الله وقول الله ، وطاعته طاعة الله ، وربوبيّته ربوبيّة الله ، وامّا غير منصوب من الله فهو غير الله و هو ناش من غير الله و طاعته غير طاعة الله فقوله من دون الله تقييد للارباب يعنى ارباباً ناشين من دون الله من حيث ربوبيّتهم ، اوارباباً هم بعض من غير الله على ان يكون من للابتداء اوللتّبعيض [وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ] عطف على احبارهم يعنى اتّخذوا المسيح بن مريم ربّاً فى العبادة ولذا جاء به بعد تمام حكم المعطوف عليه واخّره عن الاحبار ليكون ترقّياً الى الابلغ فى الذّمّ ، ان قلت : انّ المسيح منصوب من الله فهو ربّ من الله ولاذمّ فى اتّخاذه ربّاً ؟ ! فالجواب انّ ربوبيّته فى الطّاعة من حيث انّه من الله ممدوحة و امّا ربوبيّته فى العبادة كما تفهم من قولهم انّه آلهٌ او انّه ابن الله ، اوانّه ثالث ثلاثةٍ وكذا ربوبيّته فى الطّاعة من حيث انّه مستقلّ فى الرّبوبيّة فهى مذمومة واشراك بالله [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً] غير مركّب فى ذاته وغير متعدّد فى الوجود فطاعة الرّسل ان كانت من حيث انّهم رسل الله طاعة الله وطاعتهم لامن تلك الحيثيّة ليست طاعة الله [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] صفة بعد صفة اوحال او مستأنف و المقصود منه حصر الآلهة فيه كأنّه قال : ما أمروا الّا ليعبدوا آلهاً واحداً محصوراً فيه الآلهة [سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] فى الطّاعة والولاية كاشراك الاحبار والرّهبان او فى الطّاعة والعبادة والآلهة جميعاً كاشراك المسيح وهو تعريض بالامّة حيث اشركوا فى الولاية والطّاعة من لم ينصبه الله وللاشارة الى التّعريض قال تعالى [يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ] بالمضارع و الّا فالمناسب لحال اليهود و النّصارى

ان يقول : ارادوا مثل اتّخذوا بالماضى والمراد بنورالله ولاية علىّ (ع) فانّها نور يظهر به الحقّ ويتميّز به السّعيد عن الشقىّ، والمراد بالاطفاء بالافواه القاء الشّبهات والاحاديث الموضوعات والتّحريف فى الكتاب للتّدليس على الجهّال شبّه ذلك بالنّفخ فى السّراج و فى الاخبار مايدلّ على التّعريض المذكور [وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] بالله اوبالرّسالة بحسب التّنزيل اوبالولاية بحسب المراد [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ] امّا استيناف منقطع عمّا سبق لابداء حكم آخر قطعاً لاطماع المشركين فى ابطال رسالة محمّد(ص) وعلى هذا فاضافة الرّسول للعهد ، وامّا استيناف فى موضع التّعليل لقوله و يأبى الله الّا ان يتمّ نوره اى رسالة رسوله وعلى هذا فاضافة الرّسول(ص)، امّا لتعريف الجنس وتعميمه اولتعريف العهد و فيه ايضاً قطع لاطماع المشركين، والمراد بالرّسول امّامعنىً عامّ للرّسل(ع) واوصيائهم(ع) فانّهم رسل من الله بواسطة الرّسل، اومعنى خاصّ بالرّسل الاصطلاحيّة الّذين اوحى اليهم بشرع وتبليغه ، اوالمراد محمّد(ص) وعلى التّقديرين الاخيرين فالمقصود سراية الحكم الى اتباعهم اواتباعه ، امّا من باب الفرعيّة والتّبعيّة وامّا لانّهم اجزاء الرّسل بحسب سعتهم الولويّة وامّا لانّهم مظاهر الرّسل بحسب صدورهم وقلوبهم وعقولهم، فيصحّ تفسير الآية بخروج القائم عجّل الله فرجه و انّها ممّا لم يأت تأويلها و انّه (ع) اذا ظهر ظهر على الاديان كلّها [بِالْهُدَى] بما به الهدى وهو الاحكام القالبيّة الشّرعيّة كما اشير الى تسمية الاسلام واحكامها بالهدى فى قوله تعالى : ولكنّ الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] دين الحقّ هو طريق الحقّ وهو الولاية والايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الباطنة الولويّة وبعبارة اخرى الهدى هو الاسلام ودين الحقّ هو الايمان وقد فسّر دين الحقّ بولاية علىّ(ع) فى اخبارنا، فعن الكاظم(ع) فى هذه الآية والآية السّابقة: هو الّذى امر رسوله بالولاية لوصيّه والولاية هى دين الحقّ ليظهره على جميع الاديان عند قيام القائم (ع) والله متمّ ولاية القائم ولو كره الكافرون بولاية علىّ (ع) قيل : هذا تنزيل؟ـ قال: نعم هذا الحرف تنزيل وامّا غيره فتأويل [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] اتى بالمفرد المستغرق بقرينة التّأكيد بالكلّ دون الجمع روماً للاختصار واشعاراً بانّ الاديان الباطلة مع كثرتها و نهاية فرقتها متّحدة فى الغاية وهى الانتهاء الى السّجّين و الملكوت السّفلى [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ] بالله او بالرّسالة او بالولاية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ] اتى بالنّداء ومؤكّدات الجملة من انّ و الّلام و اسميّة الجملة امّا للاشعار بأنّ شأنهم التّحفّظ عن اموال النّاس بحيث ينبغى ان ينكر هذا منهم اويردّد فى وقوعه منهم حتّى يكون ابلغ فى الذّمّ والتّفضيح ، او لتأكيد لازم الحكم الّذى هو المقصود منه من ذمّهم وتفضيحهم وتنفير النّاس منهم ومن اقوالهم [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] عن النّبىّ(ص) اوعن الولىّ(ع) والمقصود التّعريض بأمّة محمّد(ص) ومن يأتى بعده بصورة الاحبار والرّهبان من المتسمّين بالعلماء والفقهاء و بالصّوفيّة والعرفاء الّذين لافقه لهم سوى مايحصل به الاعراض و الاغراض ولامعرفة لهم ولاتصوّف سوى الدّلق والحلق [وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ] امّا عطف على ليأكلون ووجه حسنه مع الاختلاف بالاسميّة و الفعليّة الاشعار بانّ الّذين يكنزون الذّهب مشهور ذمّهم بحيث لاينكر وانّ الاحبار والرّهبان هم الّذين يكنزون وقد اشتهر ذمّهم فلاتبالوا بقولهم ، وامّا عطف على اسم انّ عطف المفرد اوعطف على جملة انّ مع اسمها وخبرها بتقدير مبتدء اوبتقدير خبر اومستأنف بجعل الّذين مبتدء وقوله

فبشّرهم خبراً له وقد مرّ انّ مايسمّونه واوالاستيناف هوواوالعطف بلحاظ المعنى [وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] دخول الفاء في الخبر على كونه خبراً لكون المبتدء في معنى الشّرط [يَوْمَ يُحْمٰى] يوقد النّار [عَلَيْهَا] على الذّهب والفضّة وضمير المؤنّث باعتبار معنى الجمعيّة والكثرة فيهما [فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوٰى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ] ذكر تعالى اشرف الاجزاء و اقواها اشارةً الى شمول الكىّ اولانّهم ارادوا بالكنزالوجاهة ونعامة فراش الجنبين والظّهر مقولاً لهم [هٰذَا] الّذى تكوون به [مَا كَنَزْتُمْ] اوهذا الكىّ غاية ماكنزتم وهو ضدّ ما اردتم [لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ] اى وباله قد اختلف الاخبار فى حقيقة الكنز و فى قدر يصدق عليه الكنز و فى مالٍ يصدق عليه و قد ذكرت الاخبار فى المفصّلات، و تحقيق الحقّ فيه موافقاً لاشارات الاخبار انّ الانسان له مراتب كثيرة و حكمه و حاله فى كلّ مرتبة مخالف لحاله فى غيرها، مثلاً الواقع فى جهنّام النّفس الّذى لايرى الخير الّا مااقتضته نفسه ولايرى الّا الاسباب وكان محجوباً عن الله وتسبيبه، فكلّما جمع مالاً لايكون ذلك منه الّا محض حبّ المال اومحض الاتّكال فى المعاش عليه مع عدم الوثوق بالله والتّوكّل عليه، وهذا المال منه كنز قليلاً كان اوكثيراً تحت الارض كان اوفوقها مؤدّىً زكوته اوغير مؤدّى، بل هوشرك بالله وكفروصاحبه وثنىّ وذلك المال صنمه، وان توجّه من جهنّام النّفس الى الملكوت العليا ولامحالة يكون منزجراً عن النّفس وجهنّامها لكنّه مالم يخرج منها يكون مقيّداً مبتلى بمقتضياتها وسلاسل شهواتها ، فان جمع فى حال التّوجّه والانزجار متوكّلاً به على الله مصداقاً لماقيل فى مضمون الصّحيحة النّبويّة: (مثنوى) « باتوكّل زانوى اشترببند» معيناً به على خروجه وعلى معيشته لم يكن كنزاً ، لانّه حينئذٍ يؤدّى حقوقه الواجبة والمندوبة حيث يريد الخروج من تحت امر نفسه و الدّخول تحت امر ربّه ، وان جمع فى حال التّقييد بالنّفس ومشتهياتها ولامحالة يكون محجوباً من الله والتّوكّل عليه كان كنزاً ادّى حقوقه اولم يؤدّ ، وان خرج من تلك الجهنّام الى الجانب الايمن من طور الصّدر كان له الحالتان ايضاً لكن تقيّده بسلاسل شهواتها يكون اضعف ، و ان خرج من بيت نفسه الخراب الى بيت قلبه المعمور فهوايضاً ذووجهين وله الحالان ، وان دخل بيت قلبه فقد دخل دارالامان و فى حقّه قيل :

كفر گيرد ملّتى ملّت شود

فميزان الكنز وعدمه حال الانسان لاحال المال وقدره ، فالفقير المحبّ للدّنيا مكتنز ، والغنىّ المنزجر غير مكتنز ، والكنز عبارة عن محبّة الدّنيا المدّخرة فى بيت القلب اعتماداً عليها ووثوقاً بها لا المال المكتنز تحت التّراب [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّٰهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً] استيناف لابداء ذمٍّ اخر للمشركين وعلّة اخرى لمقاتلتهم اعلم، انّ الايّام والشّهور الزّمانيّة الّتى هى صور للدّهر والدّهر صورة للسرمد، والكلّ ظهور سير شمس الحقيقة فى بروجها السّتّة النّزوليّة والسّتّة الصّعوديّة وغروبها فى افق كرة ارض الطّبع وطلوعها منه و ظهور الكلّ علينا بهذا الزّمان الّذى يعبّر عنه باليوم واللّيل والشّهر والعام، فهذه الايّام والاشهر لها حقائق متمايزة فى مراتب الملكوت والجبروت وتلك الحقائق لها آثار وخواصّ ورقائق فى هذه ، وما قاله الانبياء(ع) واصحاب الوحى والتّحديث من خواصّها وماجرّ به المجرّبون منها عشر من اعشار خواصّها ، وما يترتّب عليها مثل ما قالوا من خواصّ ايّام الاسبوع اوايّام الشّهور ، ومثل ما قالوا من خواصّ الشّهور ولمّا جعل المشركون كالطّبيعيّين واكثر العوامّ ماسمعوه منها كالاسمار ولم يستمعوه بسمع الحقيقة والاعتبار بل قالوا: انّ الايّام متشابهة والاشهر

متوافقة لاتمايز بينها فی الحقيقة وانّ ما قيل فيها من التّمايز والخواصّ محض اعتبارٍ لاحقيقة له قال تعالی ردّاً عليهم، انّ عدّة الشّهور عندالله كما انّها عندكم اثنی عشر شهراً يعنی ماعندكم من اثنی عشراً قمريّةً فی كلّ عام تقريباً وشمسيّةً فی كلّ عام حقيقةً انّما هی رقائق للحقائق الّتی عندنا ، وكلّ منها مظهر لحقيقة من تلك الحقائق ولكلّ خواصّ وآثارٌ ليست لغيره و لذا أتی بالتّميز التّأكيدیّ لاسم العدد تمكيناً فی القلوب ولم يكتف بقوله عندالله وقال [فِی كِتَابِ اللهِ] ای مكتوب الله اوالكتاب المبين الّذی هوالعقل اواللّوح المحفوظ [يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] يعنی قبل استقرارها عندكم وبعد ما بيّن انّ حقائقها عندالله مؤكّداً هذا المعنی بالقيود الثّلاثة بيّن بعض خواصّها بقوله [مِنْهٰا اَرْبَعَةٌ حُرُمٌ] ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرّم ورجبٌ ثمّ أكّد حرمتها بقوله [ذٰلِكَ الدّينُ الْقَيِّمُ] الّذی لاعوج فيه يعنی اعتقاد حرمتها والتّصديق بهاهوالطّريق القويم الّذی كانت الانبياء عليه فمن عدل عنه كان خارجاً عن طريق الانبياء [فَلٰا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ اَنْفُسَكُمْ] بان يقتل بعضكم بعضاً اوينهب ويأسر، اوفلاتظلموا فيهنّ انفسكم بالاعتداء فيهنّ بهتك حرمتها بالمقاتلة فيها وارتكاب سائر ما لاينبغی [وَقٰاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كٰافَّةً] فی غير تلك الاشهر لانّهم هتكوا حرمتها بالنسیء بقرينة انّما النّسیء زيادة فی الكفر و فی تلك الاشهر حيث بدؤكم بالقتال فيها بقرينة [كَمٰا يُقٰاتِلُونَكُمْ كٰافَّةً] و اتّقوا هتك حرمة تلك الاشهر [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ اِنَّمَا النَّسِیءُ زِيٰادَةٌ فِی الْكُفْرِ] استيناف فی موضع التّعليل للامر بالمقاتلة والمراد بالنّسیء تأخير حرمة الشّهرالحرام الی شهرٍ آخروتحليل المقاتلة فی ذلك الشّهرالحرام كانوا اذاجاء الشّهرالحرام ولم يريدوا ترك المقاتلة فيه يقولون: هذا الشّهر كسائرالاشهر فنقاتل فيه ونترك القتال فی شهرٍ آخر ، وكونه زيادة فی الكفر لانّه بعد الكفر بالله بواسطة الكفر بالرّسول تبديل لاحكام الله المقرّرة عنده المكتوبة فی كتبه العالية قبل خلق هذا العالم [يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] حيث يخرجون من الطّريق القويم المستقيم بالخروج منه [يُحِلُّونَهُ] ای النّسیء او الشّهر الحرام المنسیّ [عٰاماً] بيان لضلالتهم [وَيُحَرِّمُونَهُ عٰاماً لِيُوٰاطِؤُا] يوافقوا [عِدَّةَ مٰا حَرَّمَ اللهُ] عددالاشهرالّتی حرّمهاالله [فَيُحِلُّوا] بالنّسیء [مٰا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ اَعْمٰالِهِمْ] جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ [وَاللهُ لٰا يَهْدِی الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ] الی الطّريق القويم ولذا احلّوا ماحرّم وحرّموا ما احلّ وزيّن لهم القبائح [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ اوبالايمان الخاصّ [مٰا لَكُمْ اِذٰا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِی سَبِيلِ اللهِ] ای الجهاد الصّوریّ او فی طلب الولاية اوفی طريق القلب بالجهادالباطنیّ والذّكر والفكر ورفض الهوی وترك مأمول النّفس [أَثّٰاقَلْتُمْ اِلَی الْاَرْضِ] ارض التّراب اوارض الطّبع اوارض النّفس ، ونزول الآية فی غزوة تبوك ، وسبب غزوة تبوك علی ما نقل انّ رسول الله(ص) كتب كتاباً الی بعض حكّام ممالك الشّام وأرسل حارث بن عمر والازدیّ ، ولمّا وصل الحارث الی موتة من قری بلقاء من اعمال الشّام ومنها الی بيت المقدس مرحلتان ، قتله شرحيل بن عمروالغسّانیّ احد امراء القيصر فوصل الخبر الی رسول الله (ص) فهيّأ سريّة موتة و جعل زيدبن حارثة اميراً عليهم و قال حين الوداع : ان قتل زيدٌ فالامير جعفربن أبی طالب ، وان قتل جعفر فالامير عبدالله بن رواحة ، وان قتل عبدالله فالامير من ارتضاه المسلمون ، وكان يهودیّ حاضراً فسمع مقالته فقال : يا ابا القاسم ان كنت صادقاً فی نبوّتك فكلّ من عيّنته للامارة فلابدّ

من ان يقتل ، لانّ انبياء بنىاسرائيل اذا وجّهوا عسكراً الى قتال الاعداء وعيّنوا جمعاً للامارة هكذاقتلوا جميعاً، فتوجّه زيدٌ مع العسكر الى المقصد وبعد المقابلة مع الاعداء والمقاتلة قتل الّذين سمّاهم الرّسول (ص) للامارة ، و روى انّه ما افلت من اهل الاسلام الّا قليلٌ ، وروى انّ كثيراً منهم بقوا وغيّروا بعد يوم المقاتلة اوضاعهم فتوهّم شرحيل وظنّ وصول المدد الى اهل الاسلام و ارتحل وصارمتحصّناً ، ورجع اهل الاسلام سالمين الى المدينة ، وكان ذلك فى العام الثّامن من الهجرة وفىهذا العام كان فتح مكّة وغزوة حنينٍ مع بنىهوازن ، ثمّ لمّا دخل العام التّاسع من الهجرة ورد عير الشّام المدينة واشاعوا فيها انّ سلطان الرّوم جمع الجنود يريد غزو المدينة، وانّ هرقل قد سار بجنودٍ عظيمةٍ وجلب معهم غسّان وجذام وبهراء وقد قدّم عساكره البلقاء ونزل هو حمص، فأمر رسول الله (ص) اصحابه بالتهيّؤ الى تبوك وهى من بلاد البلقاء ، وبعث الى القبائل حوله والى مكّة والى كلّ من اسلم وحثّهم على الجهاد وامر اهل الجدة ان يعينوا من لاقوّة له على الخروج، روى انّ ابابكرٍ عرض جميع أمواله ، وانّ عمر بذل نصف امواله ، وانّ عثمان جهّز مائتى ابلٍ ، وقيل : ثلاثمائة ابلٍ، وبذل ألف دينارٍ وعبد الرّحمن بن عوف بذل اربعين وُقيّة من الذّهب وأربعة آلاف درهمٍ ، وهكذا بذل كلّ بقدر همّته وسعته وبلغ عسكره (ص) الى ثلاثين الفاً، وقيل: الى اربعين الفاً، ولمّا كانت تلك الغزوة صعبةً لبعد السّفر وشدّة القيظ وكثرة جنود الاعداء تقاعد بعض عن الحركة والغزو فنزل : يا ايّها الّذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا (الآيات)، وسار الرّسول (ص) بالعسكر فى غاية المحنة والمشقّة فى شدّة حرارة الهواء وقلّة الماء حتّى نزل بعين تبوك وكانت عينه قليلة الماء فغسل (ص) يده ووجهه بمائها فنبع الماء منها بحيث أخذ جميع العسكر منه باعجازه (ص) ومكث (ص) فى ذلك الموضع عدّة ايّام، فصحّ عنده (ص) انّ خبر خروج عسكر الرّوم كان كذباً فشاور الاصحاب فى الرّجوع ورجع من هناك، وبعث (ص) خالد بن الوليد مع اربعمائة وعشرين فارساً ليغير على دومة الجندل، وبعد وصولهم الى نواحى دومة الجندل فى اللّيل وجدوا اُكيد رحاكمها مع اخيه حسّان ومعدودٍ من خدمه فى طلب الصّيد فقاتلوهم وقتلوا حسّاناً واسروا اكيدر وانهزم قليلٌ منهم، ودخلوا الحصار وتحصّنوا مع اخيه الاخر مصاد فقال الخالد لأكيدر: لا اقتلك وأذهب بك الى رسول الله (ص) ان امرت أخاك واهل القلعة ان يفتحوا باب الحصار ويسلّموا الينا الف ابلٍ وسبعمائة بردٍ واربعمائة سنانٍ واشترط لك ان آخذ حكومة دومة الجندل لك من رسول الله (ص)، فقبل اكيدر وصالح وأرسل الى اخيه مصاد ان : افتح باب الحصار وهيّئ مال الصّلح، وبعد اخذ مال الصّلح رجع خالد و معه أكيدر وأخوه مصاد و دخلوا المدينة سالمين غانمين [أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] استفهام توبيخ [مِنَ الْاٰخِرَةِ] بدل الآخرة [فَمٰامَتٰاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا فِى الْاٰخِرَةِ إِلّٰا قَلِيلٌ] الفاء للسّببيّة باعتبار انكار الرّضا بالحيوة الدّنيا [إِلّٰا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذٰاباً اَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ] بعد اهلاككم تهديد ووعيد بعد توبيخٍ وتفريعٍ [وَلٰا تَضُرُّوهُ شَيْئاً] بهلاككم اوبتقاعدكم اوبمكركم وهو اظهار للغنى عنهم وعدم الحاجة اليهم ، والضّمير المفعول امّا لله اوللرّسول (ص) بقرينة المقام ولتوافق ضمير ان لاتنصروه [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] يقدر على نصرة رسوله بدون امدادكم وعلى اهلاككم واستبدالكم قوماً غيركم [إِلّٰا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ] تذكيرٌ لهم بنصرته له (ص) حين لم يكن له معاون حتّى يتحقّق عندهم نصرته بدونهم استمالةً لقلوبهم [إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] حين شاوروا فى امره بالاجلاء و الحبس

والقتل فى دار النّدوة كماسبق [ثَانِيَ اثْنَيْنِ] يعنى لم يكن معه الّا رجلٌ واحدٌ وهو ابوبكر [إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ] غار ثور وهو جبل فى يمنى مكّة على مسيرة ساعة [إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ] والاتيان بالمضارع للاشارة الى انّه كرّر هذا القول لعدم سكونه عن اضطرابه [إِنَّ اللهَ مَعَنَا] و من كان الله معه لايغلب فلاتحزن من اطّلاع الاعداء وغلبتهم ، روى عن الباقر (ع) انّ رسول الله (ص) اقبل يقول لابى بكر فى الغار : اسكن فانّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهو لايسكن فلمّا رأى رسول الله (ص) حاله قال له : اتريد ان اريك اصحابى من الانصار فى مجالسهم يتحدّثون؟ واريك جعفراً واصحابه فى البحر يغوصون ؟- قال : نعم فمسح رسول الله (ص) بيده على وجهه فنظر الى الانصار يتحدّثون ، والى جعفرٍ واصحابه فى البحر يغوصون ، فأضمر تلك السّاعة انّه ساحر [فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ] السّكينة كما فى الخبر ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان ، وهى كمامضى قبيل هذا و فى سورة البقرة على ما حقّقها الصّوفيّة صورة ملكوتيّة ملكيّة آلهيّة تظهر بصورة احبّ الاشياء على صدر السّالك الى الله وأحبّ الاشياء الى السّالك هوشيخه المرشد ووليّه القائد، وتسمّى عندهم بالسّكينة و الفكر والحضور وهى السّلطان النّصير و الطمأنينة و اليها أشير بقوله تعالى : ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب ، و لذكر الله اكبر ، وهى النّور فى قوله الله نور السّموات والارض ، وبهايحصل معرفة علىٍّ (ع) بالنّورانيّة، وهى ظهور القائم عجّل الله فرجه فى العالم الصّغير وبها استنارة سماوات روحه واراضى نفسه وطبعه كماقال تعالى: واشرقت الارض بنور ربّها ، وهى الاسم الاعظم والكلمة الّتى هى اتمّ ، وهى حقيقة الرّحمة والهدى والفتح و النّصرة و الصّراط المستقيم و الطّريق القويم و السّبيل الى الله والفوز و النّجاح ، وغير ذلك من الاسماء الحسنى الّتى لاحدّ لها و اشير اليها فى الآيات و الاخبار ، و لذلك كان تمام اهتمام المشايخ فى تلقين الذّكر الخفىّ القلبىّ اوالجلىّ اللّسانىّ بتحصيل هذا المقام للسّلاك وكانوا يأمرونهم بالفكر الّذى هو هذا تعمّلاً حتّى تظهروتنزل تلك السّكينة من غير تعمّلٍ ورويّةٍ ، ولامقام لبشريّة الانسان نبيّاً كان اووليّاً اوتابعاً لهما اشرف من هذا المقام كما قال فى مقام الامتنان فى هذه السّورة : ثمّ انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فى غزوة حنين الّتى كانت فى الثّامن من الهجرة وحين كمال النّبوّة وتبليغ الرّسالة، **اذا عرفت هذا فاعلم**، انّ العامّة جعلوا هذه الآية دالّةً على فضيلة أبى بكرٍ حيث كان اولّ من هاجر و ذكر بمصاحبته للرّسول (ص) ولا دلالة فى الآية على فضيلةٍ له ان لم يكن دلالة على ذمّه ، فانّ الصّحابة البشريّة قد كانت للمشركين والكفّار والمنافقين المرتدّين بل الفضيلة فى الصّحابة الملكوتيّة الّتى هى ظهور ملكوت الصّاحب على ملكوت الصّاحب ، وفى الآية دلالة على عدمها حيث خاطبه (ص)، بلا تحزن ، فانّ الصّحابة الملكوتيّة مانعة من الحزن باعثة على السّكون والوقار، وايضاً هى دالّة على عدم حصولها له بعد هذا الخطاب حيث افرد الضّمير المجرور فهو امّا راجع الى النّبىّ (ص) او الى ابى بكرٍ ، ورجوعه الى ابى بكرٍ وان كان يتراءى انّه مناسب لاضطرابه ورعدته لكنّه يستلزم تفكيك الضّمير فى قوله وايّده بجنودٍ ويستلزم امّا عدم نزول السّكينة على النّبىّ (ص) وهو مستلزم لافضليّة ابى بكر اوعدم الاعتناء بذكر النّبىّ (ص) وهو ايضاً كذلك اوعدم الحاجة الى ذكره وليس به، لانّ الحاجة فى مقام اظهار النّعمة على الاحباب ماسّة الى ذكر مثل هذه النّعمة العظيمة الّتى لانعمة اعظم منها فى مقام البشريّة كما سبق من ذكره (ص) بهذه النّعمة بعد الثّامن من الهجرة وكمال النّبوّة ، ولوسلّم صحّة رجوعه الى ابى بكر

كانت الآية من المتشابهات الّتى لايستدلّ بها على منقبة تثبت بها الامامة ؛ هذا اذاكان عطفاً على اخرجه ، وامّا اذاكان عطفاً على قد نصره الله من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال فلايحتمل عود الضّمير الى ابى بكر [وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا] اى لم تقفوا على رؤيتها ان كان المراد بالجنود السّكينة ومحافظة الملائكة فى الغار واغماء الكفّار عنه بنسج العنكبوت وبيض الحمامة وانبات الشّجر على فم الغار او لم تقع رؤية منكم لها ان كان المراد مطلق جنود الملائكة فى غزواته [وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا] الكلمة كمامرّ مراراً تشمل الكلمات اللّفظيّة والكلمات التّكوينيّة من العقول والارواح وعالم المثال والقوى البشريّة والحيوانيّة والنّباتيّة والاخلاق والاحوال والافعال فى العالم الصّغير ، وهى ان كانت منتسبة الى الولاية الّتى هى كلمة الله الحقيقيّة بلا واسطة او الى من انتسب الى الولاية فهى كلمات الله ، لانّ كلمة الله الحقيقيّة هى المشيّة الّتى يعبّر عنها بالحقّ المخلوق به ، والاضافة الاشراقيّة والحقيقة المحمّديّة وعلويّة علىّ (ع) وهى الولاية المطلقة ، وكلّما كان منتسباً اليها كان كلمة الله ، وكلّما كان كلمة الله كانت عليا بعلوّ الله وكان العلوّ ذاتيّاً لها لاعرضيّاً محتاجاً الى الجعل والتّسبيب ، ولذا أتى بالجملة الثّانية مرفوعة المبتدأ مستأنفة او معطوفة على الجملة الفعليّة اوحالاً عن فاعل جعل اومفعوله ، اوالمستتر فى السّفلى مؤكّدة باسميّة الجملة وضمير الفصل وتعريف المسند الدّالّ على الحصر الّذى هو تأكيدٌ على تأكيدٍ لامنصوبة عطفاً على مدخول جعل ، وان لم تكن منتسبة الى الولاية فان كانت منتسبةً الى الشّيطان بان كان صاحبها متمكّناً فى تبعيّة الشّيطان بحيث لا يكون مدخل و مخرج فى وجوده الّا للشّيطان ، فهى كلمات الشّيطان والسّفليّة ذاتيّة لها ، وان لم تكن كذلك بان لم يكن صاحبها متمكّناً فى تبعيّة الشّيطان ولامنتسباً الى الله والولاية ، فهى ليست كلمات الله ولاكلمات الشّيطان بل هى منتسبة الى ماهو الغالب الظّاهر من احوال صاحبه كالاسلام والايمان والمحبّة والرّضا والسّخط والشّرك والكفر ، وهى بذاتها لاسفلى ولا عليا بل محتاجة الى جعل فى ذلك ، ولذلك اتى بالجعل فى الجملة الاولى من غير التّأكيد بضمير الفصل [وَاللهُ عَزِيزٌ] لن يغلب حتّى يتصوّر السّفليّة لكلمته [حَكِيمٌ] لايتطرّق الخلل الى ماكان منتسباً اليه حتّى يتصوّر طرّ والسّفليّة لكلمته فالعطف من قبيل عطف السّبب [انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا] شبّاناً و شيوخاً اومجرّدين عن الخدم والحشم والسّلاح ومثقّلين بها اوناشطين وغير ناشطين فى العالم الكبير اوفى العالم الصّغير امرهم بالجهاد بعد التّوبيخ بقوله : مالكم اذا قيل لكم انفروا ، وبقوله ارضيتم بالحيوة الدّنيا ، والتّهديد بقوله الّا تنفروا يعذّبكم الله ، والتّرغيب بتذكير نصرته لنبيّه (ص) وتأييده له (ص) حتّى يكون اوقع فى القلوب وابعد من الانكار [وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] الامور و عواقبها [لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا] غنيمةً قريبة الوصول [وَسَفَرًا قَاصِدًا] متوسّطاً غير بعيدٍ [لَاتَّبَعُوكَ] بيان لسبب تخلّفهم وتثبّطهم وانّ المانع لهم والباعث على العذر الكاذب هو بعد السّفر وكثرة المشقّة [وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ] الشّقّة بالضّمّ وبالكسر النّاحية يقصدها المسافر و السّفر البعيدة و المشقّة و تعدية بعدت بعلى لتضمينه معنى ثقلت [وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ] بعد رجوعكم اليهم [لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ] يعنى ماكان لنا استطاعة للخروج فلم نخرج ، اخبر نبيّه (ص) انّهم سيعتذرون بعدم الاستطاعة

كذباً و هو اخبار عن المستقبل [يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ] استيناف جواباً لسؤالٍ مقدّر اى مالهم فى هذا العذر والمقصود ، انّهم بعد التخلّف ان اعترفوا بتقصيرهم وتابوا أحيوا أنفسهم لبقاء استعداد الحيوة لكنّهم بالعذر الكاذب أبطلوا استعدادهم للحيوة وأهلكوا انفسهم من صورة الحيوة بالتّخلّف ، و من استعدادها بعدم التّوبة و العذر الكاذب [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ] بالغ فى تأكيد تكذيبهم بانّ واسميّة الجملة والّلام مبدّواً بعلم الله الّذى هو بمنزلة القسم [عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ] اى لمطلق المستأذنين فى القعود [حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ] فى الاعتذار و هذا فى الحقيقة عتاب و توبيخ للمستأذنين بغير عذرٍ على طريقة : ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، و هذا من ألطف طرق مخاطبة ذوى الحظر يعاتبون مقرّبيهم و يريدون غيرهم تعريضاً واسقاطاً لذلك الغير عن شأنيّة المخاطبة والمشافهة وبدء قبل التّوبيخ والمعاتبة بالعفو تلطّفاً به [لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا] عن ان يجاهدوا، اوكراهة ان يجاهدوا، او فى ان يجاهدوا فضلاً عن ان يستأذنوك فى التّخلّف عن ان يجاهدوا [بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ المؤمنين هم المتّقون وهو وعد لهم بانّ عملهم لايعزب عنه [إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ] فى تصديقهم بنبوّتك [فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ] يتحيّرون ويقفون عن السّير الى الله ، ولذا قال مولانا ومن به رجاؤنا فى عاجلنا و آجلنا اميرالمؤمنين (ع) : من تردّد فى الرّيب سبقه الاوّلون و ادركه الآخرون ووطئته سنابك الشّياطين [وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً] لامكن لهم تهيئة عدّته ومايحتاج اليه ، اوهيّؤا له اسبابه تهيّة ، فعدّة امّا مفعول به او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل و على التّقديرين يكون تكذيباً لنفيهم الاستطاعة عن انفسهم [وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ] لمّا توهّم من اسناد الافعال السّابقة اليهم انّهم مستقلّون فى افعالهم استدرك ذلك الوهم بسببيّة كراهته تعالى للخروج وانّ عدم خروجهم وعدم ارادتهم له مسبّب عن كراهته تعالى له لا انّهم مستقلّون [فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ] لمّا كان هذا القول من الله حقيقة وكان قائله ومن ظهر على لسانه ظاهراً و باطناً متعدّداً مختلفاً ولم يكن لخصوصيّة الفاعل مدخليّة فى المقصود من ذمّهم اسقط الفاعل فانّ هذا القول قد قاله باطناً ملائكة الله والشّياطين ، وظاهراً رسول الله (ص) حين اذن لهم فى القعود، واخوانهم من الانس حين خوّفوهم عن قتال الرّوم وبعد السّفر وشدّة القيظ [لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا] مستأنف جواباً لسؤالٍ مقدّر كأنّه قيل : ولم كره الله انبعاثهم؟ـ فقال : لانّهم لوخرجوا ما زادوا على ما انتم عليه الّا فساداً بالتّجبين والنّميمة والهرب من الزّحف حتّى يتقوّى قلوب اعداءكم بهربهم [وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ] وضع البعير و اوضع اسرع فى السّير ، و اوضعه حمله على السّرعة فعلى الاوّل فالمعنى انّهم لوخرجوا فيكم أسرعوا خلالكم بالافساد والنّميمة والتّخويف اوأسرعوا بالهرب، وعلى الثّانى لوخرجوا فيكم حملوا ركائبهم على السّرعة بالافساد و النّميمة و التّخويف خلالكم او حملوا امثالهم على السّرعة فى الفرار [يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ] حال من فاعل اوضعوا اومستأنف لتكرار الذّمّ الّذى هومطلوب فى المقام [وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ]

عطف على يبغونكم اوحال من فاعله اومفعوله والمعنى انّ فيكم سمّاعين لاقوالهم الفاسدة المفسدة اوسمّاعين لاقوالكم لان ينقلوها اليهم [وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ] وضع الظّاهر موضع ضمير السمّاعين اشارة الى صفة ذمّ لهم ووعيداً لهم، اوموضع ضمير المتقاعدين اشعاراً بذمّ آخر لهم ووعيداً لهم، واشارة الى انّ كراهته تعالى لانبعاثهم ليس جزافاً وبلاسبب انّما هو بسبب ظلمهم، فيكون استدراكاً لوهم متوهّم يتوهّم انّ كراهته تعالى انبعاثهم يكون نحو اجبار لهم على القعود، كما انّ قوله لكن كره الله انبعاثهم كان استدراكاً لمايتوهّم من استقلالهم فى افعالهم فليسوا مستقلّين فى الفعال ولا مجبورين فيها [لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ] قبل تلك الغزوة فى غزوة احد وغيرها من الغزوات من تجبين اصحابك وتدبير الفرار وتسليمك الى اعدائك [وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ] امور الغزو بان دبّروا خلاف ما امرت و دبّرت [حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ] فى كلّ ما دبّروا و هو تأييدك و نصرتك على وفق ما أمرت و دبّرت [وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ] اعلم ، انّ الحقّ المضاف هو المشيّة الّتى هى الحقّ المخلوق به وكلّ حقٍ حقّ بالاتّصال به وكلّ باطلٍ باطل بالانصراف عنه ، وانّ امرالله هوعالم المجرّدات الّذى ليس فيه الا امرالله لضعف الاثنينيّة بحيث لا يتصوّر هناك امرٌ و آمرٌ و مأمورٌ وايتمارٌ، وكلّ من كان من افراد البشر متّصلاً بهذا العالم متّحداً به فهو ايضاً امرالله وكلّ ما صدر منه من هذه الحيثيّة فهو ايضاً امرالله ، و لمّا كان خليفة الله نبيّاً كان ام وليّاً ذاوجهين ، وجهٍ الى الله وبه يأخذ من الله ، ووجهٍ الى الخلق وبه يوصل ما يأخذ من الله الى الخلق ؛ و يعبّر عن وجهه الى الله بالحقّ و الوحدة والولاية ، وعن وجهه الى الخلق بالامر والكثرة و الخلق والنّبوّة والرّسالة ، والولاية بمعنى تدبير الخلق من جهة الباطن والخلافة بمعنى تدبيرهم من جهة الظّاهر فالولاية بالمعنى الاوّل روح الولاية بالمعنى الثّانى ، وكذا روح النّبوّة و الرّسالة و الخلافة فالفرق بين الحقّ و الامر كالفرق بين المطلق والمقيّد والرّوح والجسد والولاية والنّبوّة ، فالحقّ هوالولاية فى العالم الكبير ومظهرها الاتمّ علىّ(ع) والامر النّبوّة ومظهرها الاتمّ محمّد (ص) والنّبوّة عالم يغلب عليها الولاية والاتّصال بالوحدة لم يظهر غلبتها فى العالم الكبير ، فمجيء الحقّ يعنى غلبة الولاية على النّبوّة سبب لغلبة النّبوّة على الكثرات ولذا قدّم مجيء الحقّ ، كما انّ اعانة علىّ (ع) ومجيئه فى الغزوات كان سبباً لغلبة محمّد (ص) ، فالمعنى حتّى جاء الولاية و غلب الوحدة و ظهر النّبوّة وغلبت [وَهُمْ] اى المقلّبون [كَارِهُونَ] توهين لهم وتسلية للرّسول (ص) والمؤمنين على تخلّفهم [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي] حكاية لقول بعضهم توهيناً وذمّاً له [وَلَا تَفْتِنِّي] لا توقعنى فى الفساد و الافتتان بنساء الرّوم كما روى انّه (ص) رغّب بعضاً فى الجهاد فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله والله انّ قومى يعلمون انّه ليس فيهم اشدّ عجباً بالنّساء منّى واخاف ان خرجت معك ان لا اصبر اذا رأيت بنات الرّوم فلاتفتنّى ، او فلا تفتنّى بضياع المال والعيال ، اوفلاتفتنّى بالامر بالخروج وتخلّفى عنك ومخالفتى لامرك ، اوفلا تفتنّى بضياع البدن بالحركة فى الحرّ [أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا] يعنى انّ رغبتهم عن الخروج وعن امتثال أمرك ومصاحبتك هى فتنة عظيمةٌ لنفوسهم تهلكهم عن الحيوة الانسانيّة الابديّة وقد وقعوا فيها ولايمكنهم الخروج عنها ، ولذلك اتى باداة الاستفتاح وقدّم المجرور و استعمل السّقوط [وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ] حال عن فاعل سقطوا او عطف على جملة فى الفتنة سقطوا ، و لمّا كان هذا الحكم من شأنه ان ينكر فى بادى النّظر اتى بالمؤكّدات الثّلاثة ووضع المظهر موضع المضمر اشارة الى علّة الحكمين

و ابداءٌ لذمٍّ آخرلهم، اعلم ، انّ عالم الطّبع واقع بين العالمين الملكوت العليا والملكوت السّفلى ، والانسان الّذى هوخلاصة عالم الطّبع ايضاً واقع بين هاتين الملكوتين ولهما التّصرّف فى هذا العالم وفى بنى آدم ، لكن تصرّف الملكوت العليا فى الخيرات والوجودات والجذب الى عالم الخيرات ومعدن النّور، وتصرّف الملكوت السّفلى فى الشّرور والاعدام والجذب الى عالم الظّلمة ومعدن الشّرور، والملكوت العليا عالم نورانىّ لاظلمة فيها والملكوت السّفلى عالم ظلمانىّ لانورفيها ؛ والحاكم فى الاولى هوالله وفى الثّانية هوالشّيطان ومن هنا وهم الثّنويّة حيث انسلخ مرتاضوهم عن الطّبع واغشيته واتّصلوا بالمجرّدات فشاهدوا العالمين ، فقال من لم يشاهد حكومة الملكوت العليا على السّفلى: انّهما قديمان حاكمان على العالم ، وقال من شاهد ايجاد العليا للسّفلى: انّ السّفلى حادثة لكن لها التّصرّف والحكومة بالاستقلال على العالم، وقال من شاهد انّ فى كلّ من العالمين حاكماً وله الحكومة على عالمه وعلى عالم الطّبع، انّ للعالم آلهين: يزدان واهريمن، وقال بعض: انّ كلاً قديمٌ، وقال بعض : انّ اهريمن مخلوق حادث والملكوت السّفلى دارالشّياطين وسجن اهل الشّقاء وفيها النّار والجحيم وكلّ ما ورد فى الشّريعة من عذاب الاشقياء والكافرين ومن الحيّات والعقارب والزّقّوم والحميم ، والانسان الواقع بين العالمين اذا توجّه الى تلك الملكوت باتّباع الشّياطين واختيار النّفس وشهواتها ، ما لم يتمكّن فى هذا الاتّباع كان على شفير جهنّم وشفاجرف هذا الوادى ، واذا تمكّن فى هذا الاتّباع بحيث لم يبق له حالة رادعة صار داخلاً فى هذا العالم وواقعاً فى مقام يحيط به لهب جهنّم وكان جهنّم محيطة به باعتبار جمراتها ولهباتها كما قال تعالى : وانّ جهنّم لمحيطة بالكافرين [إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ] غنيمة وغلبة فى تلك الغزوة [تَسُؤْهُمْ] استينافٌ فى موضع التّعليل يعنى انّهم احاط بهم الحسد الّذى هومن آثار السّجّين واشتعال نار الجحيم واحاطته دليل احاطة جهنّم بهم [وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ] قتل اوجرح اوانهزام [يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ] اى الامر الّذى هو لائقٌ بنا و بجودة رأينا من التّخلّف عمّا فيه الهلاك والاغترار بما لا حقيقة له من نصرة الله وملائكته [وَيَتَوَلَّوْا] عنك وعن المؤمنين [وَهُمْ فَرِحُونَ] بما أصابك لاقتضاء الحسد ذلك [قُلْ] لقومك تسلية لهم حين المصيبة عن المصيبة وعن شماتة القاعدين او قل للمتخلّفين ردّاً لهم فى فرحهم باصابة المصيبة و فى قولهم قد اخذنا أمرنا [لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا] وماكتب الّا ما فيه صلاحنا [هُوَ مَوْلانا] استيناف فى موضع التّعليل [وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] عطف على قل فهو من كلام الحقّ اوعلى مابعده فهو مقول القول ، والفاء امّا على تقدير امّا اوتوهّمه ، اوزائدة ، اوعاطفة على محذوف حذف و اقيم معمول مابعده مقامه اصلاحاً للّفظ ومثله فى تقديم معمول مابعد الفاء عليها لاصلاح اللّفظ قولك وامّا على الله فليتوكّلوا اوالاصل ليتذكّر المؤمنون فليتوكّلوا على الله وبعد حذف المعطوف عليه واقامة معمول ما بعد الفاء مقامه اظهر فاعل المعطوف لعدم تقدّم ذكر المرجع [قُلْ] تسليةً لقومك وردعاً للمتخلّفين الفرحين [هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ] الظّفر و الغنيمة او القتل و الجنّة [وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ] احدى السّوئتين [أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ] بالقتل والبلايا الشّديدة من دون واسطة بشرٍ [أَوْ بِأَيْدِينا] بالقتل والاسر و التّعذيب بأيدينا [فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ] فى الخبر فى تفسير الّا احدى الحسنيين امّا موت فى طاعة الله او ادراك ظهور امام [قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً] تزييف لاعمالهم القالبيّة كما انّ سابقه تزييف

لخواطرهم القلبيّة النّاشئة عن رذائلهم النّفسيّة والمقصود التّهكّم بهم والتّسوية من الانفاق بالطّوع والانفاق بالاكراه و ليس الامر على حقيقته [لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ] استيناف فى موضع التّعليل [إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فٰاسِقِينَ] تعليل لعدم القبول [وَمٰامَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰاتُهُمْ اِلّاٰ اَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ] عطف باعتبار المقصود ، فانّ المقصود من امره (ص) اظهار عدم قبول نفقاتهم فكأنّه تعالى قال لا يقبل منهم نفقاتهم الّتى انفقوها طوعاً اوكرهاً و ما منعهم ان تقبل نفقاتهم (الى الآخر) يعنى انّ كفرهم بالله منعهم من قبول نفقاتهم فانّ الاعمال كلّها قبولها بالايمان بالله [وَلاٰيَأْتُونَ الصَّلٰوةَ] القابليّة اظهاراً لاحكام الاسلام [اِلّاٰ وَهُمْ كُسٰالٰى] لعدم نشاطهم بالاعمال الاخرويّة لكفرهم [وَلاٰ يُنْفِقُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ اِلّاٰ وَهُمْ كٰارِهُونَ فَلاٰ تُعْجِبْكَ اَمْوٰالُهُمْ وَلاٰاَوْلاٰدُهُمْ] الخطاب للنّبىّ (ص) و المعنى على ، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة ، اوالخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [اِنَّمٰايُرِيدُاللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهٰافِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فى موضع تعليلٍ للنّهى [وَ تَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰافِرُونَ] الزّهوق الخروج بصعوبة، اعلم ، انّ النّفوس البشريّة لمّاكانت سفليّة ترى الخير فى الجهات الدّنيويّة وان لاخير سواها وهى محصورة فيما اقتضته قوّتاها الشّهويّة والغضبيّة، ومااقتضته الشّهويّة امّامحبوب لهامن غيرشعورمنها بغاية له اومحبوب لها لغيره ؛ والاوّل كالاولاد فانّ النّفوس مفطورة على محبّتهم غيرشاعرة بغاية لتلك المحبّة ، والثّانى كالاموال فانّها محبوبة لغايات عديدة هى محبوبة لها بذاتها ،كالمأكول والمشروب والملبوس و المسكون والمنكوحة و المركوب والحشمة والخدم والجاه والعرض وجذب القلوب والصّيت والثّناء وغيرذلك ، وقد يصير كثرة المال محبوبة لذاتها اذاغلب الحرص وأعمى صاحبه حتّى انّه يقترّ فى مااقتضته الشّهويّة حفظاً للمال وحبّاً له،كما انّه قد يصير الاولاد محبوبة لغيرها ، وما اقتضته الغضبيّة هو التّبسّط فى البلاد والتّسلّط على العباد وارادة الانتقام وسهولته وانقياد الخلق وطاعتهم وسياسة من خرج منهم من الطّاعة ويتولّد من هذه المذكورات جملة الرّذائل ويختفى بسببها جملة الخصائل ويتوسّل اليهاكلّها بكثرة المال والاعوان واقوى الاعوان الاولاد، وامّا الشّيطنة فانّها فى مقتضياتها خادمة للشّهويّة والغضبيّة بوجهٍ فمن رأته صاحب كثرة الاموال والاولاد حسبته صاحب خيرات كثيرة واعجبتها كثرة امواله واولاده وتمنّت ان تكون لها هذه ، ولم تدر أنّها شاغلة له عن العلوّ والتّوجّه الى الله متعبةٌ له فى جمعها وحفظها مولمة له بخوف تلفها وحين تلفها ؛ ولذلك اقتصر على ذكر الاولاد والاموال ونهى نبيّه (ص) تعريضاً بامّته عن الاعجاب بهاكصاحب النّفوس السّفليّة معلّلاً بعذاب الدّنيا والخروج الى الآخرة مع الكفر الموجب لعذاب الآخرة [وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ] عطف بلحاظ المعنى فانّ المقصود من السّابق انّهم خارجون عن المسلمين غير متّصفين بصفاتهم و كأنّه قال حين قال: ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم لم يكونوا على صفة المسلمين مقبولى النّفقات و يحلفون بالله [اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمٰاهُمْ مِنْكُمْ] تكذيب لهم فى حلفهم [وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ] يخافونكم على اموالهم وانفسهم [لَوْيَجِدُونَ مَلْجَأً] حصناً يتحصّنون فيه اوسلطاناً يتقوّون به وهو جواب سؤالٍ اقتضاه تكذيبهم [اَوْ مَغٰارٰاتٍ] فى الجبال [اَوْ مُدَّخَلاً] اسراباً فى الارض [لَوَلَّوْا اِلَيْهِ] وأعرضوا عنكم وما انتحلوا صورة الاسلام [وَهُمْ يَجْمَحُونَ] يسرعون اليه [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ] يعيبك

[فِي الصَّدَقَاتِ] فی قسمتها وجمعها وحفظها للايصال الى مستحقّها [فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ] لاتّباعهم لک فی الاغراض الفاسدة والاعراض الكاسدة لا لامر الدّين والآخرة، وقد ذكر شأن نزولها في الاخبار وانّها نزلت حين لمز الاغنياء رسول الله (ص) في تقسيم الصّدقات على الفقراء، وورد انّ اهل هذه الآية اكثر من ثلثی النّاس، والتّحقيق انّ كلّ من غلب حبّه للدّنيا على حبّه للآخرة فهو من اهل هذه الآية و اغلب النّاس ليس لهم حبّ للآخرة و أغلب من كان له حبّ الآخرة حبّه للدّنيا غالب على حبّه للآخرة [وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ] من الغنى والفقر والاولاد والعقم والعزّة و الذّلّة والصّحّة و السّقم والامن و الخوف وغير ذلک ممّا ليس بيد العبد، اوالمراد ما آتاهم الله من الصّدقات و الغنائم على يد رسوله (ص) فانّ الكلام فيها فيكون ذكر الله اشارة الى انّ اعطاء محمّد (ص) اعطاء الله وانّه لايفعل من عند نفسه وهو تعظيم لشأنه (ص) [وَرَسُولُهُ] من الغنائم و الصّدقات فانّ الرّضا بقضاء الله اذا قضى مالايلائم يهوّن امره و اذا قضى مايلائم يورث الشّكر و يجلب المزيد، والرّضا بما أعطاه الرّسول (ص) قليلاً كان اوكثيراً يورث المحبّة له والتّوجّه اليه والاتّباع له و فی الكلّ خير الدّنيا و الآخرة وعدم الرّضا يورث اضدادها [وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ] منقطعين من الكلّ اليه متوكّلين عليه راجين من فضله [سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ] فی موضع التّعليل [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ] المسكين كما مضى اسوء حالاً من الفقير وهما اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا، والفقير من لايقدر بالفعل اوبالقوّة على قوت سنته [وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا] اجرة لعملهم [وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ] فانّهم معدّون لحفظ ثغور المسلمين او مستمالون لاستماع آيات القرآن واحكام المسلمين حتّى يعرفوا انّ محمّداً (ص) رسول الله [وَفِي الرِّقَابِ] العبيد تحت الشّدّة او المكاتب العاجز عن اداء مال الكتابة او ما يلزم المسلمين من الكفّارات ولم يقدروا على ادائها [وَالْغَارِمِينَ] الّذين لم يستدينوا فی ما لم يأذن به الله [وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ] الجهاد او هو والحجّ اوكلّ سبيل خير [وَابْنِ السَّبِيلِ] المسافر فی سفر مباح لايقدر بالفعل ولابالقوّة ولو بالاستدانة على مؤنة سفره الى وطنه [فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ] فرض الله فريضة [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] بموارد الصّدقات [حَكِيمٌ] فی تسنينها و تخصيص مواردها [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ] يقبل كلّ ما يسمع من ایّ قائل اتّفق [قُلْ] هو [أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ] يسمع كلّ ما فيه صلاحكم وان لم تعلموا انّ فيه صلاحكم [يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ] امّا مقول قوله (ص) اومستأنف من الله والمقصود بيان حاله اوتعليل كونه اذن خير، **اعلم**، انّ للسّالک الى الله ايماناً بالله فی مقام الوحدة والتّوجّه اليه عن الكثرة و فی هذا الايمان لاتوجّه له الى الكثرة لابخير ولابشرّ، وايماناً فی مقام الكثرة والتّوجّه اليها بالله وفی هذا المقام له نحو تصرّف فی الكثرة امّا بخير اذاكان المتوجّه اليه ممّن يقبل التّصرّف بالخير كجملة اجزاء العالم سوى الاشقياء من بنی آدم، وامّا بشرّ اذاكان المتوجّه اليه ممّن يصير الخير فی وجوده شرّاً، لانّ الشّرّ ليس من المتصرّف فی الكثرة بالذّات بل تصرّفه يصير بواسطة القابل شرّاً، فقوله يؤمن بالله اشارة الى الايمان الاوّل وقوله يؤمن للمؤمنين اشارة الى الايمان الثّانی، والمعنى يؤمن بالله فی مقام الكثرة يعنی يصدق الكلّ فانّ كلّاً فی مقامه مسخّر لله و مظهر له و ما يظهر منه فی الحقيقة ظهور فعل الله لكنّه بحسب المظاهر يصير

فى بعض شرّاً وفى بعض خيراً ولاينتفع بهذا الايمان من محمّد(ص) الّا المؤمنون، لانّه كان بحسب هذا الايمان نافعاً للكلّ لكن يصير ذلك النّفع فى بعض القوابل ضرّاً وشرّاً، وبما ذكر يظهر صحّة الاخبار ووجه الجمع بينها والى ما ذكر اشار بقوله [وَرَحْمَةٌ] عطفاً على اذن خير ومابينهما اعتراض [لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] بالايمان العامّ اوالخاصّ وكان ارادة الايمان الخاصّ انسب بالمقام، لانّه اشير الى مطلق الانتفاع الّذى هو عامّ لجملة المسلمين الّذين بايعوه بالبيعة العامّة بقوله اذن خير لكم وبقوله يؤمن للمؤمنين، ولانّ الخطاب كان لعامّة المسلمين والمؤمن منهم لايكون الّا مؤمناً خاصّاً، ولانّ خصوص الرّحمة الرّحيميّة بقرينة ذكرها بعد الانتفاع المطلق الّذى هو مطلق الرّحمة الرّحيميّة مختصّ بالمبتاعين بالبيعة الخاصّة الولويّة الّتى هى الايمان حقيقة وكان الانسب بالمقابلة ان يقول تعالى وسخط للّذين لم يؤمنوا واوذوا رسول الله (ص) لكنّه عدل الى قوله [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] جملة معطوفة على الجملة السّابقة تبرئة له (ص) من نسبة السّوء والعذاب اليه لما عرفت ان ليس منه الّا الرّحمة والنّفع لكنّها بحسب القابل تصير ضرّاً وشرّاً [يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ] اى المؤذون يعنى اذا قال المؤمنون للمنافقين المؤذين لم تؤذون رسول الله(ص) وتلمزونه وتنمّون عليه يحلفون بالله لهم وهو استيناف لبيان حالهم، وانّهم بعد ايذائهم يعتذرون بالمعاذير الكاذبة و يحلفون على كذبهم ومقصودهم ارضاؤكم لا ارضاء الله ورسوله، فهم ينافقون بعد الايذاء حيث يظهرون مافى قلوبهم مطويّة على خلافه ويكذبون ويحلفون على الكذب وينصرفون عن الله ورسوله (ص) فهم فى هذا الاعتذار واقعون فى رذائل اربع كلّ منها بوحدتها مهلكة [لِيُرْضُوكُمْ] لعدم ايمانهم بالله ورسوله (ص) بل لمحض المماشاة معكم [وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ] توحيد الضّمير باعتبار بانّ رضى الله لا يظهر ولا يتيسّر الوصول اليه الّا برضى الرّسول [إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ] يعنى انّ الايمان يقتضى ارضاء الله ورسوله(ص) وان كان بسخط جميع الخلق [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] من يخاصم الله ورسوله(ص) [فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ] نزلت فى المنافقين المتخلّفين عن غزوة تبوك حين تحدّثوا انّ محمّداً(ص) يزعم انّ حرب الرّوم كحرب غيرهم لايرجع منهم احدوقال بعضهم استهزاءً: نحذر ان يخبر الله بذلك، وورد انّها نزلت فى اصحاب العقبة كمنوا له فى العقبة ليقتلوه وقالوا: ان فطن بنا قلنا انّما كنّا نخوض ونلعب وان لم يتفطّن قتلناه وقصّته مذكورة فى المفصّلات [لَا تَعْتَذِرُوا] بالاعذار الكاذبة استيناف من الله ردعاً لهم [قَدْ كَفَرْتُمْ] صرتم كافرين [بَعْدَ إِيمَانِكُمْ] بالتّوبة على يد محمّد(ص) والبيعة معه بالبيعة العامّة [إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ] بعد توبتها [نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] لعدم توبتهم اولانجرار كفرهم الملّىّ الى الكفر الفطرىّ الّذى لايقبل التّوبة معه وعلى قراءة يعف و يعذب بالغيبة يحتمل ان يكون من جملة قول الرّسول (ص) [الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ] ليسوا منكم كما ادّعوا والجملة خبر عن المنافقون او حال عن المنافقون

و المنافقات او معترضة [يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ] قالاً و حالاً و وجوداً فى عالمهم الصّغير و العالم الكبير لانّهم متصوّرون بصور المنكرات وكلّ يعمل على شاكلته فكلّ امرءٍ متصوّر بصورة المنكر يأمر على وفق صورته بالمنكر ولم يكن له شأن سوى الامربالمنكر لكون شاكلته المنكر وان كان صورة امره امراً بالمعروف ولذلك أتى بالمضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ] لانّهم ينأون عنه والنّائى عن الشّيء الغير المتصوّر به ينهى عنه لامحالة [وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ] الظّاهرة عن الانفاق ابتغاء رضى الله حرصاً بالمال غيرمعتقد بالاجروالعوض من الله وعن البيعة مع النّبىّ (ص) والولىّ (ع) وايديهم الباطنة عن التّوسّل بذيل النّبوّة والولاية ، وعن التبتّل الى الله والتّضرّع عنده ، وعن الامتدادالى الخيرات الكثيرة الرّوحانيّة ، وعن انفاق اموالهم الباطنة الّتى هى القوى البدنيّة والاخلاق النّفسيّة الرّذيلة الّتى فى انفاقها الوعد بالمائة الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء [نَسُوا اللَّهَ] جواب لسؤال ناشٍ عن ذكر اوصافهم الذّميمة الّتى تقتضى السّؤال عن علّتها اوعن وصفٍ آخر ذميم لهم فهو فى موضع التّعليل او بيان حال آخر ذميم لهم و النّسيان هو الغفلة عن المعلوم بحيث يزول عن خزانته و يحتاج الى مشاهدة جديدة ان كان من المشاهدات ، اوكسب جديد ان كان من الكسبيّات بخلاف السّهو ، فانّه الغفلة عنه بحيث لا يزول عن الخزانة ولا يحتاج الى سبب جديد بل يستحضر بأدنى تأمّل فالفرق بينهما بالشّدّة والضّعف ، ولمّا كان معرفة الله فطريّة لكلّ احد بل لكلّ موجود والانسان بمجاهداته ورياضاته اوبافكاره وانظاره يستكشف ذلك المعلوم الفطرىّ و بتدنّساته و معاصيه يستر ذلك المعلوم الفطرىّ استعمل النّسيان و من باب المشاكلة قال تعالى [فَنَسِيَهُمْ] مجازاً اى تركهم و أسقطهم عن نظره وافاضة رحمته [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] تعليل اوبيان ذمّ آخر ووضع المظهر موضع المضمر للتّكرار المطلوب فى مقام السّخط ولذا غلظ عليهم بالتّأكيدات الاربعة؛ انّ واسميّة الجملة وضمير الفصل وتعريف المسند ، وللتّفظيع وللاشارة الى علّة الحكم و اسقط المنافقات تغليباً و لعدم المبالاة بهنّ [وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ] وضع الظّاهر موضع المضمر لما مرّ و التّصريح بالمنافقات لدفع توهّم عدم كونهنّ محكوماً عليهنّ بما ذكر ولمطلوبيّة التّطويل فى مقام التّغليظ ولذلك بسط فى الاخبار عن حالهم [وَالْكُفَّارَ] عطف للعامّ على الخاصّ ان جعل الكفر اعمّ من النّفاق والّا عطف للمغاير على المغاير [نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ] عذاباً وايلاماً [وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ] تالله لقد شدّد عليهم بذكر اوصاف سبعة؛ وعدالنّار واضافتها الى جهنّم والخلود فيها وكفايتها لهم يعنى لايتصوّرفوقها عقوبة ولعنهم واختصاصهم بالعذاب واتّصاف العذاب بالدّوام [كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] حال من واحدة من الجمل السّابقة اومتعلّق بواحد من الافعال السّابقة اومستأنف خبر مبتدء محذوف اى انتم مثل الّذين من قبلكم فى نفاقهم واستمتاعهم وحبط اعمالهم وخسرانهم فهوالتفات من الغيبة الى الخطاب وتفظيع آخرلهم بتشبيههم بمن هومثل عندهم فى الفظاعة ، والتّعنّت تنشيطاً للسّامعين الى الاستماع [كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا] استيناف او حال من الموصول او من المستتر فى الظّرف والمقصود بيان قوّة اسباب الخوض فى الشّهوات فيهم ليكون غاية تفظيع لهم فانّ الخوض فى الشّهوات من الفقير اقبح فاذا كانوا مع ضعفهم فى اسباب الخوض فى الشّهوات مثل السّابقين الّذين كانوا اقوى منهم

فى اسباب الخوض فى الشّهوات كانوا اقبح منهم [فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلٰاقِهِمْ] نصيبهم من الشّهوات [فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلٰاقِكُمْ] مثلهم مع انكم كنتم أضعف منهم و أقلّ مالاً و اولاداً ، و لمّا لم يعلم من السّابق انّ اللّاحقين استمتعوا مثل السّابقين صريحاً و كان التّطويل مناسباً قال [كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلٰاقِهِمْ وَخُضْتُمْ] فى الشّهوات و الملاهى [كَالَّذِى خٰاضُوا] كالخوض الّذى خاضوا اوكالّذين خاضوا بجعل الّذى بمعنى الّذين لارادة الجنس منه [أُولٰئِكَ حَبِطَتْ اَعْمٰالُهُمْ فِى الدُّنْيٰا وَالْاٰخِرَةِ] اشارةٌ الى السّابقين وتعريضٌ باللّاحقين بانّهم اولى منهم بحبط الاعمال لضعفهم فى اسباب الشّهوات و خوضهم مع ذلك فيها مثلهم ، او اشارة الى السّابقين و اللّاحقين بصرف الخطاب الى محمّد (ص) ، او اشارة الى اللّاحقين لانّ الكلام فيهم و الاتيان باسم الاشارة البعيدة لتأكيد الحكم و تصويرهم باوصافهم الفظيعة و تبعيدهم عن مرتبة التّخاطب كما انّ تكراره فى قوله [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] و الاتيان بضمير الفصل و تعريف المسند كان لذلك وللحصر [أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] استفهام انكارىّ لتقريعهم على اشتغالهم بالملاهى مع وصول خبر السّابقين اليهم [قَوْمِ نُوحٍ] أغرقوا بالطّوفان [وَعٰادٍ] قوم هود (ع) اقتصر على اسمهم اختصاراً اهلكوا بالرّيح [وَثَمُودَ] قوم صالح (ع) [وَقَوْمِ إِبْرٰهِيمَ] ولمّا لم يكن لهم اسم خاصّ قال قوم ابراهيم (ع) اهلكوا بالبعوضة [وَاَصْحٰابِ مَدْيَنَ] قوم شعيب (ع) اهلكوا بالنّار [وَالْمُؤْتَفِكٰاتِ] اهل المؤتفكات وهم قوم لوط سمّيت قراهم بالمؤتفكات اى المنقلبات لانقلابها بهم بجعل عاليها سافلها كذا فى الخبر عن الصّادق (ع) [أَتَتْهُمْ] اى المذكورين كلّهم [رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ] بالاحكام الواضحات من احكام الرّسالة اوبالمعجزات [فَمٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ] بالاهلاك بما ذكر لاتمامه الحجّة عليهم بالرّسل والبيّنات وتخلّل كان مع لام الجحود للمبالغة فى نفى الظّلم عنه تعالى وقد مضى انّه لنفى المبالغة فى الظّلم وهو اعمّ من المبالغة فى نفى الظّلم لكنه فى العرف يستعمل فى المبالغة فى نفى الظّلم [وَلٰكِنْ كٰانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] لانّهم بانصرافهم بعد وضوح الحجّة و تكذيبهم عرضوها للعقاب الدّائم وتقديم المفعول للحصر لتوهّم انّهم بتكذيبهم ظلموا الانبياء (ع) و تخلّل كان للاشارة الى استمرار الظّلم بحيث كأنّه صار طبيعة لهم [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنٰاتُ بَعْضُهُمْ اَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] هذا فى مقابله قوله : المنافقون والمنافقات (الآية) وغيّر الاسلوب تنشيطاً للسّامع واشارة الى ان لاولاية حقيقة بين الكفّار والمنافقين ومايتراءى بحسب الصّورة انّه ولاية فهو عداوة حقيقة الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ، والى انّ المنافقين من حيث نفاقهم ينشأ بعضهم من بعض، بخلاف المؤمنين فانّهم من حيث ايمانهم ينشأون كلّهم من صاحب الايمان وهو النّبىّ (ص) او الولىّ (ع) وان كان ازدياد ايمانهم ناشئاً لبعضهم من بعض [يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] فى مقابل يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف [وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ] فى مقابل يقبضون ايديهم ، ولمّا كان اليد اعمّ من اليد الصّوريّة والمعنويّة وقبضها اعمّ من القبض عن الاعطاء والقبض عن الابتهال وجذب الخيرات الاخرويّة والتّفضّلات الآلهيّة ويعبّر عن ضدّ الاوّل بالاعطاء ، وأيتاء الزّكوة اعمّ من الاعطاء من الاموال والإبدان والقوى الشّهويّة

والغضبيّة والمحرّكة وعن ضدّ الاخير بالصّلوة بمراتبها، اتى فى مقابلة قبض اليد بالصّلوة والزّكوة جميعاً افادة لبسط اليد مع تفصيله لاظهار مدائح المؤمنين [وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ] فى مقابل نسوا الله و ضدّ نسيان الله تذكّر الله ولازمة المقصود منه اطاعته فى اوامره ونواهيه واطاعته فى اوامره ونواهيه لاتتصوّر الّا باطاعة رسوله (ص) فظهر وجه العدول عن يذكرون الله والاختلاف بالمضىّ و المضارعة للاشارة الى انّ النّسيان منهم قد وقع من غير تجدّد، فانّ تجدّده يستلزم التّذكّر بخلاف الطّاعة من المؤمنين فانّها مستمرّة التّجدّد منهم [أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ] فى مقابل: انّ المنافقين هم الفاسقون، و ظاهر المقابلة يقتضى ان يقول: انّ المؤمنين هم العادلون، اوهم المرحومون، اويقول هناك: اولئك سيعذّبهم لكن لمّا كان السّورة والآية لتوعيد اهل الوعيد و وعد المؤمنين وكلّ ما ذكر فيها كان لتقريع اهل الوعيد ولزيادة حسرتهم و المناسب لمقام الغضب والوعيد التّسجيل بالوعيد والتّغليظ بالتّأكيد والتّطويل، وكان النّفاق اصل جملة الشّرور والفسوق ومورث جملة العقوبات وكان نسبة الغضب الى الله بالعرض و نسبة الرّحمة اليه بالذّات، وكان المناسب لمقام الوعد التّسامح فيه والاتيان بعسى ولعلّ واداة التّسويف، والايمان وان كان اساس جملة الخيرات لكن قد ينفكّ الخيرات عنه كما قال او كسبت فى ايمانها خيراً اتى فى الاوّل بجملة اسميّة مؤكّدة بالمؤكّدات الاربعة مفيدة للتّسجيل غير مصرّحة بنسبة الغضب اليه، وفى الثّانى بجملة مصدّرة باسم الاشارة البعيدة تفخيماً واحضاراً للاوصاف المذكورة للمؤمنين مختتمة بالجملة الفعليّة المصدّرة باداة التّسويف المصرّحة بنسبة الرّحمة اليه تعالى [إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] لايعجز عن انجاز وعده ووعيده ولا يمنعه منه مانع [حَكِيمٌ] لا يعد الّا على وفق حكمته الّتى تقتضى الاعطاء والمنع بحسب القابليّات [وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] فى مقابل وعد الله المنافقين (الى آخرها) [جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ] اى جنّات الاقامة وهى منتهى مراتب الجنان الّتى لايتجاوز عنها بخلاف سائر مراتبها، فانّها يتجاوز عنها وهى مقام آل محمّد (ص) واتباعهم [وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ] لمّا كان وعد الخير منبئاً عن الرّضا فكأنّه قال: فلهم رضوان من الله ورضوان من الله اكبر من كلّ ذلك، اوالمقصود انّ هذا النّوع من الموعود اكبر من غير التفات الى التّفضيل [ذٰلِكَ] الرّضوان [هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] اعلم، انّ اعلى مقامات السّالكين الى الله هو مقام الرّضا كما سبق ولذا لم يذكره تعالى فى الاغلب الّا وعقّبه بمايدلّ على تفخيمه [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ] بالجهاد الصّورىّ والقتال بنفسك [وَالْمُنَافِقِينَ] بمظاهرك واوصيائك فانّه لم يقاتل المنافقين ومن هنا علم وجه تأخير المنافقين هنا مع انّ المقام للتّغليظ على المنافقين وذكر الكفّار لمحض بيان مساواة المنافقين لهم لذمّ آخر للمنافقين، ولذا اخّر الكفّار فى الآية السّابقة اوجاهد الكفّار والمنافقين فى العالم الكبير والصّغير بنفسك اوباوصيائك اوباتباعك المؤمنين، فانّ المؤمنين ايضاً مأمورون بالجهاد مع كفّار وجودهم ومنافقيه بالقتال الصّورىّ والمعنوىّ وبالمحاجّة والمجادلة الحسنة وبالمداراة وحسن العشرة وبادخالهم تحت سلطنتك واخذ الجزية والزام الفرائض والحدود على منافقى امّتك، فماورد فى الاخبار فى تفسير الآية مع اختلافها غير مختلف معنى [وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ] امّا جملة دعائيّة اوذمّيّة فلا اشكال فى عطفها على الانشاء ولا فى عطف ما بعدها عليها ايضاً، اوجملة

خبريّة وحينئذٍ فالعطف امّا بتوهّم جملة معطوف عليها او بتقديرها باعتبار المعنى ، فانّ الامر بالقتال والغلظة مشعر بانّهم لاخيرفيهم فكأنّه قال انّهم لاخيرفيهم ومأويهم جهنّم و التّعاطف بين غير المتناسبين بحسب اللّفظ والمفهوم المطابقيّ بلحاظ المقصود، والمعنى الالتزاميّ كثيرشائع فى كلامهم، ومن جوّزعطف الانشاءعلى الخبر وبالعكس نظر الى ظاهرماورد فى الكتاب و ظاهر ما رأى فى كلامهم مع الغفلة عن اللّطائف المندرجة فى العطف والقطع الملحوظة للفصحاء فى كلامهم [وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] ان كان الاولى ذميّة اودعائيّة فلااشكال فى العطف و ان كانت خبريّة فالعطف بلحاظ ذمّ مستفاد منها [يَحْلِفُونَ بِاللهِ ماقالُوا وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ] قابل حلفهم بالحلف المستفاد من اللّام [وَكَفَرُوابَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمالَمْ يَنالُوا] نزلت فى الّذين تحالفوا وتعاهدوافى مكّة بعدان علموا انّ محمّداً(ص) يريد ان يجعل الخلافة لعليّ(ع) على ان لايردّوا هذاالامر فى بنى هاشم اوفى الّذين قالوا بغديرخم: الاترون عينيه كأنّهما عينامجنونٍ ، اوفى الّذين تحالفوا على قتله فى العقبة بعدرجوعهم من تبوك والكلّ مرويٌّ [وَمانَقَمُوا] اى ماكافئوا بالعقوبة اوماكرهوا اوماانكروا [إِلّاأَنْ أَغْنيهُمُ اللهُ] مستثنى مفرّغ عن مفعول به عامّ اوعلّة عامّة اى مانقموا منهم لشيءٍ الّا لاغناءالله لانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى اوما نقموا منهم شيئاً الّا اغناءهم الله [وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ] من قبيل قول الشّاعر :

ولاعيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

[فَإِنْ يَتُوبُوا] عن النّفاق ولوازمه [يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا] عن التّوبة او عن الرّسول(ص) [يُعَذِّبْهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلانَصِيرٍ] قد مضى مراراً انّ الوليّ هو النّبيّ(ص) اوخليفته اوالمجازمنه بلاواسطة اوبواسطة من جهة تربية القلب وتعليم احكامه والنّصير كلّ واحد منهم من جهة الرّسالة وتربية القالب [وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَاللهَ لَئِنْ آتينا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ] نزولها فى ثعلبة بن حاطب من اصحاب رسول الله(ص) كان محتاجاً وسأل رسول الله (ص) ان يغنيه الله فقال له: يا ثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثيرلاتطيقه فقال: والّذى بعثك بالحقّ لئن رزقنى لاعطينّ كلّ ذى حقّ حقّه، فدعا له فاتّخذ غنماً وكثر غنمه حتّى ضاقت بهاالمدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجمعة والجماعة وخدمة الرّسول (ص)، فبعث رسول الله(ص) المصدّق فأبى عن الصدقة وبخل، لكنّها جارية فى كلّ من كان مثله وهم اكثر اهل الارض [فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا] عن عهدهم [وَهُمْ مُعْرِضُونَ] عن الله ورسوله(ص) [فَأَعْقَبَهُمْ] البخل و التّولّى [نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ] لا فى السنتهم وصدورهم فقط ، اوالمراد بالقلوب نفوسهم [إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوااللهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ] اعلم ، انّ الصّدق و الكذب كالحقّ و الباطل كما يجريان فى الاقوال اللّسانيّة و العلوم النّفسانيّة يجريان فى الافعال و الاخلاق والاحوال ، فكما انّ القول اخبار عن الواقع وصدقه باعتبارمطابقة نسبته للواقع وكذبه بعدم مطابقتها له كذلك فعل الانسان الجارى على جوارحه باعتبار نسبته الى صورته ينبئ عن انّه صادر عن انسانيّته و غايته استكمال انسانيّته ، فكلّما كان هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنى كون الفعل صادراً عن الانسانيّة وراجعاً الى استكمال الانسانيّة فالفعل صدق و الفاعل صادق ، وكلّما لم يكن هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنى انّ الفعل الجارى

على صورة الانسان لم يكن صادراً عن الانسانيـّة ، بل عن البهيميـّة اوالسبعيـّة اوالـّشيطانيـّة كان الفعل كذباً وفاعله كاذباً وهكذا الحال في الاخلاق والاحوال، ويجرى ايضاً هذا الاعتبار في الاقوال والعلوم فانـّها ان كانت صادرة عن الانسانيـّة وراجعة الى استكمالها فهى صادقة بهذا الاعتبار، وان لم يكن كذلك فهى كاذبة وان كانت صادقة باعتبارها فى انفسها ، والمعتبر عند اهل الله فى الصّدق والكذب فى الاقوال والعلوم هو اعتبار المبدء والمرجع دون الواقع فقط ، ولذا ورد عنهم (ع) : من فسـّر القرآن برأيه يعنى بحيثيـّة شيطانيـّته لا بحيثيـّة انسانيـّته واصاب الحقّ فقد أخطأ ، وورد نفى العلم عمـّن لم يكن عمله متوجـّهاً الى حيثيـّة انسانيـّته وآخرته من غير اعتبار مطابقته وعدم مطابقته كما قال تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق ، و لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، فقد نفى العلم عنهم مع اثباته لهم مطابقاً لما فى نفس الامر حيث كان الواقع كما علموا، لكن لمـّا لم يكن علمهم متوجـّهاً الى جهة استكمال الانسانيـّة نفاه عنهم واثبت الجهل لهم بنفى العلم عنهم ، اذا تقرّر هذا فاعلم ، انّ الانسان له مراتب، ولكلّ مرتبة منها درجات فهو مادام فى مرتبة نفسه فاذا كان فى درجة النّفس الامـّارة فكلّ ما يصدر عنه فهو كذب ، و اذا ترقـّى من هذه الدّرجة ووقع فى درجة النّفس اللّوامة فقد يكون ما يصدر عنه صادقاً وقد يكون كاذباً ، واذا ترقـّى الى درجة النّفس المطمئنـّة ولا يكون هذا التّرقـّى الّا اذا تمكّن فى مرتبة القلب فكلّ مايصدر عنه يكون صادقاً ، فالمنافق الواقع فى درجة النّفس الامـّارة لا يكون منه الّا الكذب ويصير الكذب سجيـّة له ولذلك اتى بالماضى فى قوله بما اخلفوا الله وبالمضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ فى الكذب مع تخلّل كان الدّالّ على انّ مدخوله صار سجيـّة [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ] خفايا امورهم من خطراتهم و خيالاتهم و اخلاقهم و احوالهم [وَنَجْوٰيهُمْ] ما يظهر على السنتهم بحيث يخفى على غيرهم ، اوالمراد بالـّسرّ الاخلاق والاحوال الموجودة ومكمونات النّفس الـّتى لم توجد بالفعل بعد وبالنّجوى ماظهر على اللّسان بطريق الخفية وماظهر على النّفوس من الخطرات والخيالات شيطانيـّة كانت اورحمانيـّة، والاستفهام للتّوبيخ و التّقريع [وَأَنَّ اللّٰهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] من ذكر العامّ بعد الخاصّ تحقيقاً للخاصّ وتأكيداً له [الَّذِينَ يَلْمِزُونَ] يعيبون [الْمُطَّوِّعِينَ] المعطين للصّدقات المستحبـّة اوالمعطين للصّدقات مطلقاً المبالغين المعتنين بها [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ] متعلّق بيلمزون اوبالمطـّوّعين او بهما على سبيل التّنازع وهو امـّا خبر مبتدءٍ محذوف ، اومبتدء خبرٍ محذوفٍ ، اومبتدء خبره فيسخرون او سخر الله منهم اوقوله استغفر لهم اوقوله ان تستغفر لهم (الآية) اوبدل من قوله من عاهد الله وقوله تعالى الم يعلموا (الى آخر الآية) معترضة [وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ] الّا قدر تعبهم فى التّحصيل والطّلب فيتصدّقون بما يتعبون انفسهم فى تحصيله ، وقد ذكر فى نزوله انّ سالم بن عمير الانصارى جاء بصاعٍ من تمر فقال : يا رسول الله (ص) كنت اجرت نفسى ليلتى بصاعين من تمرٍ فجئت بصاعٍ اليك وتركت صاعاً لعيالى، وذكر فى نزوله ايضاً انّ عليـّاً آجر نفسه فأتى باجرته الى النّبىّ (ص) فلمزه المنافقون [فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّٰهُ مِنْهُمْ] استعمال السّخريـّة فى الحقّ تعالى من باب المشاكلة اللّفظيـّة و المشابهة المعنويـّة وهى امـّا دعائيـّة فيكون عطف قوله [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] لكونه ايضاً دعائيـّاً او باعتبار الاخبار الـّلازم لذلك الدّعاء كأنـّه قال لهم سخط الله ولهم عذابٌ اليمٌ ، اوخبريـّة فلااشكال فى العطف

[إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ] الامر والنّهى ههنا للتّسوية غيرمنظور منهما حقيقة الامروالنّهى ، ولفظة او للتّخيير على ما روى انّه (ص) قال فى جواب من قال : امانهاك ربّك عن الاستغفار للمنافقين ؟ - حين صلّى على ميّت عبدالله بن ابىّ: انّ الله خيّرنى [إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ] وهذا عتاب له بايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، و عتاب المقرّبين تعريضاً بمن استحقّ العتاب فى الحقيقة تقريب لهم واهانة بالمستحقّين حيث اسقطهم عن درجة الخطاب والعتاب ولذا لم يقل: لم يجب الله لك بل قال لن يغفر الله لهم حيث لم يتوجّه العتاب اليه(ص) والاشكال بانّ استغفاره(ص) مجابٌ لامحالة لانّ غيره اذاتوسّل به الى الله اجابه فكيف اذا استغفرهو لم يجبه ولن يغفر للمستغفر له؛ مدفوع بانّ المراد المبالغة فى عدم استحقاقهم للمغفرة بحيث لو فرض استغفار الرّسول (ص) الّذى لاينفكّ الاجابة عنه لهم لما غفر لهم ، ومثل هذا كثيرٌ فى كلامهم حيث يعلّقون نفى الجزاء على امرٍ مستلزمٍ لتحقّق الجزاء مبالغةً فى عدم تحقّقه ، واستعمال السّبعين لاستعماله كثيراً فى معنى الكثرة لكونه من مراتب الاعداد التّامّة كالسّبعة والسّبعمائة ولذا يأتون بالواو بعد السّبعة ويسمّونه و اوالثّمانية ، او للاشارة الى مراتبه السّبعين مبالغةً فى عدم استحقاقهم للمغفرة [ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ] تدارك لما يتوهّم من عدم قبول مسئلته واستغفاره بانّ عدم المغفرة لهم ليس لعدم استحقاقك للاجابة بل لعدم استحقاقهم للمغفرة [وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى ذمٍّ آخر و علّة الحكم [فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ] جواب سؤالٍ عن حالهم او عن علّة التّغليظ عليهم وعدم مغفرتهم ، و تدارك آخر لتوهّم عدم قبول استغفار الرّسول (ص) وخلاف رسول الله(ص) امّاظرف لمقعدهم ان كان بمعنى العقب، اومفعول له لفرح اوالمخلّفون، اومقعدهم، على التّنازع اوعلى الانفراد [وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ] يعنى انّهم لغاية شقاوتهم جمعوا بين التّخلّف والفرح به وكراهة الجهاد ومنع غيرهم منه [قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً] فان كان الحرّ يتّقى فنار جهنّم احقّ ان تتّقى [لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ] لما اختاروا حرّ الآخرة على حرّ الدّنيا ، والفقه كمامرّ هو ادراك الاغراض والغايات خصوصاً الغايات الآلهيّة من الاشياء والاقوال لا لادراك المفاهيم من الالفاظ فقط كما ظنّ، ولذا فسّر بأنّه طلب علم دينىٍّ يتوسّل به الى علم آخر، وبعبارةٍ اخرى الفقه هو الادراك الّذى يحرّك الانسان من حضيض نفسه الى اوج عقله ومن دنياه الى آخرته وتفسيره بالعلم بالمسائل الدّينيّة الفرعيّة عن ادلّتها التّفصيليّة محض مواضعة اصطلاحيّة ، وامّا فى الشّريعة فهو باقٍ على معناه وعدم تسمية علم الله والملائكة بالفقه لعدم تصوّر استعدادٍ له تعالى ولا للملائكة حتّى يتصوّر التّرقّى ، بل كلّ ماكان هناك بالامكان العامّ فهو بالفعل، وعدم تسمية علوم الانبياء بالفقه لتبدّل استعدادهم بالفعليّة لا لماقالوا من انّ علومهم ليست من ادلّتها التّفصيليّة والحاصل انّ الاشتداد و التدرّج فى طريق الانسانيّة مأخوذ فى مفهوم الفقه فكلّماكان الادراك كذلك كان فقهاً و ما لم يكن كذلك لم يكن فقهاً ، فلوفرض نبىّ يكون له حالة اشتداد فى علمه كان علمه من هذه الجهة فقهاً [فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً] جواب شرط متوهّم اومقدّر والامر امّا على حقيقته والمراد منه الامر بالتّوبة سواء كان الضّحك والبكاء على حقيقتهما اومجازين عن السّرور والغمّ، وحينئذٍ فذكر الضّحك للاشارة الى انّ الانسان لاينفكّ عن ضحكٍ ما فليقلّ التّائب منه ، اومجاز عن تحتّم مايؤل اليه امرهم فهوأمر فى معنى

الاخبار، وذكر الضّحك للاشارة الى ماهم عليه فى بقيّة عمرهم و لذا قدّمه وقيّده بالقلّة [جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] تداركاً لاعمالهم السّيّئة على المعنى الاوّل وعقوبةً عليها على المعنى الثّانى ، وقوله بما كانوا امّا متعلّق بجزاء او بالامر استقلالاً اوعلى سبيل التّنازع [فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ] من غزوالرّوم [إِلىٰ طٰائِفَةٍ مِنْهُمْ] من المتخلّفين بلا عذرٍ بان ابقاهم الله الى زمان رجوعك [فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ] الى غزو آخر [فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً] اخبار فى معنى النّهى للاشعار بانّ سجيّتهم مقتضية لعدم الخروج [وَلَنْ تُقٰاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ] يعنى قبل ذلك والمراد القعود عن غزوة تبوك [فَاقْعُدُوا] امر للتهكّم [مَعَ الْخٰالِفِينَ] يعنى النّساء والصّبيان فانّكم صرتم مثلهم بتخلّفكم اوّلاً فليس لكم شأنيّة الجهاد و قابليّة المعيّة مع المجاهدين [وَلاٰ تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً] فانّ صلوتك سكن لهم و ليس لهم استعداد صلوتك و المراد صلوة الاموات اوالاعمّ [وَلاٰ تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ] للدّعاء عليه [إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمٰاتُوا وَهُمْ فٰاسِقُونَ] نقل انّه (ص) عاد عبدالله بن ابىّ واستغفر له وشيّع جنازته وصلّى عليه وقام على قبره ؛ كلّ ذلك باستدعاء ابنه الّذى كان مؤمناً خالصاً فأنكر عمر عليه (ص) وقال : او لم ينهك ربّك عن ذلك؟ـ وكره ذلك رسول الله (ص) وأجابه بماظهر منه الكراهة [وَلاٰ تُعْجِبْكَ أَمْوٰالُهُمْ وَ] لا [أَوْلاٰدُهُمْ إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِي الدُّنْيٰا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰافِرُونَ] قدمرّ تفسيره، وتكريره للتأكيد، لانّ كثرة الاموال و الاولاد فى انظار اهل الحسّ معجب لا محالة فالنّهى عنه مطلوب فيه التأكيد ولانّ التّكرار مطلوب فى مقام التّشديد [وَإِذٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللّٰهِ وَجٰاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقٰالُوا ذَرْنٰا نَكُنْ مَعَ الْقٰاعِدِينَ] لعذرٍ و هو ذمّ آخر لهم حيث انّهم لدناءتهم و تعلّق قلوبهم بدنياهم وزخارفها كالنّساء يستأذنونك للقعود ولذاقال [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ] جمع الخالفة يعنى انّهم لدناءتهم رضوا بان يعدّوا فى النّساء، واستعمال الخوالف فى النّساء والمخلّفون فى الرّجال لاستعدادهم للخروج وعدم استعدادهنّ له [وَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ] حيث لايدركون ادراكاً يؤدّى بهم الى الاغراض والغايات وان كانوا فى غاية الفطانة والمداقّة فى امور الدّنيا والادراكات الخياليّة بحيث يعدّون فى انظار اهل الحسّ علماء حكماء ، والّا فليعلموا الغرض من الجهاد وانّ فيه خير الدّنيا والآخرة ، باستكمال النّفس فى الدّنيا بالصّفات الحسنة من الشّجاعة والسّخاوة وعدم الاعتناء بالدّنيا وحيوتها ، وباستجماع الغنائم مع ما وعدوا من اجور الآخرة ، وليس فى التّخلّف الّا الاتّصاف بصفات النّساء والرّكون الى الدّنيا وقطع الطّمع عن العقبى ولمّا ذمّ الاموال والاولاد توهّم انّها مذمومة على كلّ حال، والحال انّ كثرة الاموال والاولاد تكون فى المؤمنين ولمّا ذمّ القاعدين عن الجهاد توهّم انّه فى المؤمنين يكون من يكره الخروج و يحبّ القعود فاستدرك ذلك بقوله [لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ] الّذين هم اولوا الطّول الحقيقىّ [جٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ] العظماء [لَهُمُ] خاصّة [الْخَيْرٰاتُ] النّفسانيّة والبدنيّة من استكمال النّفوس بالخصائل واخراجها من الرّذائل واستجماع الغنيمة مع النّصرة و الطّول مع الاولاد والصّيت والثّناء [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]

تكرار اسم الاشارة للتمكين وتصويرهم باوصافهم المذكورة ليكون كالعلّة ولاختصاص كلٍّ من المسندين على حياله [أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها] جواب لسؤالٍ عن حالهم و [ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ] من عذّر فى الامر اذا قصّر فيه وكأنّه كان فى الاصل بمعنى بالغ فى ابداء العذر لامرٍ قصّر فيه ، او من اعتذر اذا بالغ فى ابداء العذر ولم يكن المبالغة فى ابداء العذر الّا لامر يتراءى التّقصيرفيه وقرء المُعْذرون من باب الافعال بمعنى المعذّرون من باب التّفعيل [مِنَ الْأَعْرابِ] الاعراب الّذين لايسكنون العمران ويعيشون فى البادية جمعٌ لاواحد له كما قيل ، اوجمع للعرب خصّص ببعض افراده والعرب بالضّمّ وبالتّحريك الّذين يسكنون العمران اوهواعمّ [لِيُؤْذَنَ لَهُمْ] فى القعود حيث لايتفقّهون معنى الايمان وانّه يقتضى التّسليم [وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ] فى البيعة الاسلاميّة حيث شرط عليهم ان لايتخلّفوا قول الرّسول وان يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم، فقبلوه ولم يطيعوا الرّسول (ص) بعد فى امره ولم يوافقوا المسلمين فيما عليهم [سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] لا الّذين بقوا على اسلامهم وتصديق الرّسول(ص) كبعض الاعراب حيث لم يكن استيذانهم وتخلّفهم لانكار الرّسالة بل لعدم تفقّه الغرض من الاسلام و كبعض القاعدين لطلب الرّاحة وعدم تحمّل التّعب لا لانكار الرّسالة [عَذابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ] جواب لسؤالٍ اقتضاه السّابق كأنّه قيل: هل على المعذورين حرج فى التّخلّف؟- فانّ التّشديد والتّغليظ على المتخلّفين وكثرة ذمّهم يقتضى التّرديد فى حال المعذورين والسّؤال عنها [وَلا عَلَى الْمَرْضى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ] فى تخلّفهم عن الغزو [إِذا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ] خلصوا اواظهروا خير غيرهم ورغّبوه فيه خالصاً مترحّماً [ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ] فى موضع التّعليل يعنى انّ المتخلّف لعذرٍ بشرط النّصح مجاهد ومحسن ، وما على المحسنين من سبيلٍ للّوم والذّمّ والعتاب فى الدّنيا [وَاللهُ غَفُورٌ] لمن اساء فكيف بمن أحسن [رَحِيمٌ] فلا سبيل عليهم بالعقوبة فى الآخرة [وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ] حيث يجدون ما ينفقون و يقوون فى ابدانهم لكن لا طاقة لهم بالذّهاب معك راجلين ولا قدرة لهم على الحمولة ويسئلونك الحمولة [قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ] الدّمع واقع موقع التّميز و التّميز قد يجرّ بمن و قد ينصب ، اوفى الكلام قلب و الاصل والدّمع يفيض من اعينهم قلب للمبالغة فى كثرة الدّمع ، اومن للتّعليل والمعنى على المبالغة كأنّ اعينهم من كثرة الدّمع تذاب وتفيض [إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِياءُ] بدناً ومالاً [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ] التّكرار لمطلوبيّة التّطويل والتّأكيد والتّكرير فى مقام التّغليظ [وَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ] قد اخذ فى مصداق العلم الاشتداد والتّأدية الى علم آخر اخرويّ كما أخذ ذلك فى مفهوم الفقه ولذا يثبت وينفى عن موضوعٍ واحدٍ باعتبار مفهومه العرفيّ ومصداقه الحقيقيّ، فالعلم والفقه مختلفان مفهوماً متّحدان مصداقاً فهذا ايضاً تكرار لما ذكر .

[الجزء الحادى عشر]

[يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ] يبالغون فى ايتاء العذر اليكم وابدائه لكم من غيرحصول عذرٍ لهم بقرينة الرّدّ عليهم وان كان الاعتذار اعمّ من ابداء العذر من غيرعذرٍ او مع عذرٍ وهو اخبارٌ بما سيقع [إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ] من غزوتكم هذه وهى غزوة تبوك [قُلْ] فى جوابهم بعد رجوعك و اعتذارهم [لَا تَعْتَذِرُوا] لاتبدوا العذر من غيرحقيقةٍ [لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ] اى لن نصدّقكم [قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ] ومنه اعتذاركم هذا بالكواذب ولمّا كان اعتذارهم للتّدليس على النّبىّ (ص) واصحابه جميعاً ضمّ اصحابه الى نفسه واتى بلفظ المتكلّم مع الغير [وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] وضع الظّاهر موضع المضمر للتّهديد و انّه لا يخفى عليه شيءٌ من اعمالكم تأكيداً لما قبله [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ] اخبارعنهم قبل وقوعه ايضاً [لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ] ولا تخاطبوهم بما وقع منهم ولاتعاتبوهم بل تكونوا توافقونهم وترافقوهم كسائر المؤمنين [فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ] لاعن خطابهم وعتابهم فقط بل عن معاشرتهم وموافقتهم [إِنَّهُمْ رِجْسٌ] بحسب اصل ذواتهم فلايقبلون الطّهارة حتّى يؤذن لكم فى عتابهم او فى مرافقتهم باحتمال اصلاحهم [وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ] بدل من الاوّل نحو بدل الاشتمال، اوتأكيد نحو التّأكيد المعنوىّ حيث انّ الغرض من الاعراض الاعراض عن المعاتبة و الملامة المقارن للرّضا غالباً ، و لذا عقّب الامر بالاعراض بقوله انّهم رجسٌ للاشارة الى انّ الامر ليس لما قصدوه من الرّضا و ترك السّخط ، بل لعدم شأنيّتهم للمعاتبة و الملامة [فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] نهى عن الرّضا بألطف وجهٍ و ابلغه كأنّه قال : فان ترضوا كان رضاكم مخالفاً لرضا الله والايمان يقتضى ان يكون رضاكم تبعاً لرضاالله فلا ترضوا عنهم لانّ الله لايرضى عن القوم الفاسقين ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشارةً الى ذمٍّ آخر واشعاراً بعلّة الحكم [الْأَعْرَابُ] الاعراب فى اهل البد وكالعرب بالضّمّ والتّحريك فى اهل البلاد كما سبق لكنّهما قد يعتبران فى العالم الصّغير فيطلق الاعراب على الواقف فى تيه النّفس الامّارة والعرب على السّاكن فى عمران النّفس المطمئنّة ومدينة القلب، ولذا سمّوا فى الاخبار اعداء اهل البيت اعرابيّين وان كانوا قرشيّين اومكّيّين اومدنيّين ؛ وسمّوا شيعتهم عربيّين وان كانوا من اهل البد وواقصى بلادالهند [أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا] لقسوة قلوبهم و غلظة نفوسهم وعدم سماعهم لما يقرّبهم الى الحقّ ويرغّبهم فى الآخرة وعدم تفطّنهم بماخلقوا له [وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ] لعدم سماعهم لها وعدم تفطّنهم لمقصود المسموع وعدم اقتضاء حالهم لحفظ مايتفطّنون به ، والمراد بالحدود امّا الاحكام من العبادات والمعاملات اوالغايات المقصودة من احكامه وآدابه وقصصه ومواعظه [وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ] عطف على جملة الاعراب اشدّ كفراً ونفاقاً و الجامع بين المتعاطفين هوتقابل مسنديهما فانّ المراد بالحكمة هنا هوالحكمة العمليّة الّتى هى الاتقان فى العمل والمداقّة فيه المستلزمة للمداقّة فى العلم ويعبّر عنها بالفارسيّة: به «خورده كارى، وخورده بينى» والكفر والنّفاق ناشٍ عن عدم المداقّة فى العلم والعمل فبين ملزوم الكفر والحكمة تقابل السّلب والايجاب وهو الجامع ،وبين العلم وعدمه ايضاً كذلك، والمعنى انّ الاعراب فى طرف والله ومظاهره فى طرفٍ آخر، فبينهما مباينة تامّة فلايتفضّل الله عليهم ولايتوجّهون اليه والمراد بالاعراب ظاهراً ماعرفت وتأويلاً منافقوا الامّة فقوله والله عليمٌ حكيمٌ ذمّ آخر لهم حيث يشير الى بعدهم عن الله وكان الموافق تأخير الكفر والنّفاق او تقديم الحكمة ليكون المتعاطفان على ترتيبٍ واحدٍ، لكن لمّا كان الكفر والنّفاق سبباً للجهل الخاصّ المأخوذ فى المعطوف عليه وان كانا مسبّبين عن الجهل المطلق، والحكمة بهذا المعنى مسبّبة عن العلم المطلق المأخوذ فى المعطوف، عكس التّرتيب مراعاة للترتيب بين مسندى كلٍّ [وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ] فى الجهاد و على فقراء المسلمين من الحقوق المفروضة او الغير المفروضة [مَغْرَماً] خسراناً بلا عوضٍ لعدم اعتقاده بالله وبالآخرة وبالاجر والعوض من الله [وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ] الحوادث المقلّبة عليكم الامور، سمّيت دوائر لدورانها على البشر لكن استعمالها فيما فيه شرّ [عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ] اخبار عن حالهم الّتى هم عليها فى الآخرة لكن ادّاه بصورة الواقع لتحقّق وقوعه، اوعن حالهم الّتى هم عليها فى الدّنيا اشارة الى غرور الشّيطان ودواعى النّفس الّتى كلّها مهلكات، اودعاء عليهم ولمّا لم ينفكّ دعاء الله عن تحقّق المدعوّ به فهو مستلزم للاخبار و الاضافة الى السّوء هنا دون الاوّل لحرمة المؤمنين و اهانة المنافقين [وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] والجامع ههنا هو لازم المعطوف عليه ومتعلّق المعطوف المقدّر كأنّه قال: ومن الاعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً فيقول قد وقعت فى محذورٍ مع محمّد(ص) ويتربّص بكم الدّوائر فيضمر هلاككم وخلاصه والله سميعٌ لقوله عليمٌ بنيّته وهوتهديد للاعراب وتسلية للمؤمنين [وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ] لمّا كان قوله الاعراب اشدّ كفراً مقدّمة للتّفصيل الّذى بعده حكم فيه على الجنس للاشعار بانّه سجيّتهم ولازمهم، ليكون مذمومهم اشدّ ذمّاً وممدوحهم ابلغ مدحاً، وكرّر لفظ الاعراب ليكون تصويراً لهم بما وصفوا به من السّجيّة الخبيثة ليكون فى الذّمّ و المدح أبلغ [وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ] سبب دعواته لانّه(ص) كان يدعو للمصدّق بحسب الامر الآلهىّ بقوله: اللّهمّ صلّ عليه [أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ] لمّا صار المقام مظنّة السّؤال عن انّها قربة ام لا؟ وهل يكون سبباً لصلوات الرّسول(ص)؟ وهل يجاب الرّسول(ص) فى حقّهم ام لا؟ اتى بالجملة المذكورة مقطوعة عن سابقها مؤكّدة مصدّرة باداة الاستفتاح [سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ] تصديق بسببيّة انفاقهم لدعاء الرّسول (ص) واجابة الله له (ص) فى حقّهم، والسّين امّا للتّأكيد اوللتّسويف [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] تعليل لتأكيد الوعد و تحقيقه [وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ] عطف على من يؤمن بالله اى ومن الاعراب السّابقون فضلاً عن كون من يؤمن بالله منهم وعلى هذا فينبغى ان يراد بالاعراب الواقف فى بيداء النّفس لااهل البد وفقط، حتّى يصحّ كون السّابقين بلام الاستغراق منهم ويكون الآية حينئذٍ

اشارة الى انّ من كان فى تيه النّفس لاينبغى ان ينظر اليه نظر الحقارة ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم :

هيچ كافر را بخوارى منگريد   كه مسلمان مردنش باشد اميد

و التّوصيف للتّأكيد و رفع توهّم ارادة السّبق فى صورة الاسلام او الهجرة اوالاحتشام او الجنود اوالغزو اوالقتال فقط ، وللاشارة الى ارادة السّبق فى السّلوك الى الله وفى مراتب عبوديّته فانّه السّبق حقيقةً او السّابقون الاوّلون مبتدء وخبر فيكون من عطف الجملة ، والمعنى انّ السّابقين هم الاوّلون فى درجات القرب اومبتدء خبره من المهاجرين اورضى الله عنهم فيكون ايضاً من عطف الجملة والتّوصيف بالاوّلون لما ذكر [مِنَ الْمُهاجِرِينَ] الّذين هاجروا من مكّة الى المدينة لمحض خدمة الرّسول (ص) اومن مطلق اوطانهم اليها [وَالْأَنْصارِ] الّذين نصروه بعد الهجرة ، وقد ورد فى الخبر ، انّ المهاجر من هجر السّيّئات ، وفى خبرٍ : لايقع اسم الهجرة الّا بمعرفة الحجّة ، وعلى هذا فالمراد بالمهاجر من هجر دار نفسه المشركة الى مدينة الرّسول الّتى هى القلب ، ولمّا كان الزّمان منطوياً فى مكان النّفس والقلب فلا اعتناء بالهجر المكانىّ ولا بسبقه الزّمانىّ فلا يلزم ان يكون كلّ مهاجر صحابىّ بمحض الهجرة المكانيّة و سبقه فيها مهاجراً فضلاً عن ان يكون سابقاً فى الهجرة ، والمراد بالانصار السّاكنون فى مدينة القلب المتوجّهون الى عمران النّفس المطمئنّة واللّوامة المبلّغون النّاشرون احكام نبىّ القلب الى اهل بدو النّفس الامّارة وعمران النّفس المطمئنّة واللّوامة [وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ] عطف على السّابقون او على الاوّلون او على المهاجرين اومبتدء وخبر و الجملة عطف على السّابق والاحسان ضدّ الاساءة قد يعتبر بالنّسبة الى خارج وجود الفاعل فيقال احسن الى الخلق اوالى زيد وقد يعتبر بالنّسبة الى ماله من الحال و الفعل فيحذف المفعول فيقال : احسن زيداً و هو محسن بمعنى صار فى حاله اوفعله ذاحسنٍ والحسن الحقيقىّ قدمرّ مراراً انّه الولاية ، وكلّ حالٍ اوفعلٍ ينسب اليها يكون حسناً وان لم يرظاهره حسناً ، وكلّ ما لم يكن منسوباً اليها فهو قبيح وان كان ظاهره حسناً ، والمراد بالاحسان هنا هو جعل الحال والفعل متّصلاً بالنّبوّة و الولاية والمعنى والّذين اتّبعوهم باسلام و ايمان [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] قد مضى كيفيّة رضوان الله ورضا العباد فى سورة البقرة فى بيان توّابيّته تعالى [وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ] خبرٌ مقدّمٌ [مُنافِقُونَ] مبتدءٌ مؤخّرٌ والجملة عطف على جملة من الاعراب من يتّخذ والمعنى من الاعراب من دخل فى الاسلام مكرهاً و يتّخذ ماينفق (الى الآخر) ومنهم من دخل طوعاً لكنّه اخذ الاسلام بهوى النّفس و اشار اليه بقوله ممّن حولكم فانّه يدلّ على انّه يتملّق لكم ويرضى عنكم او ممّن حولكم مبتدء و من الاعراب خبره و منافقون خبر بعد خبرٍ اومستأنف اوحال بتقدير مبتدء ، او منافقون خبر و من الاعراب حال [وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ] عطف على ممّن حولكم اوعلى من الاعراب او مبتدء وما بعده خبره والجملة عطف على سابقها [مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ] تمرّنوا عليه و اعتادوه مستأنف اوخبر من اهل المدينة على جواز قيام من التّبعيضيّة مقام الاسم اوحال بتقدير قد [لا تَعْلَمُهُمْ] استيناف او حال او خبرٌ وهو اخبار للمؤمنين بحال المنافقين بايّاك

أعني واسمعي ياجارة ، حتّى يكونوا على حذر ممّن يحتملون نفاقه واعلامٌ لهم بمهارتهم فى نفاقهم [نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ] خبراومستأنف اوحال متداخلة اومترادفة [سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ] مرّة على كفرهم ومرّة على اظهارهم الاسلام نفاقاً اومرّة بنزعهم عن آمالهم ومتمنّياتهم ومرّة بمشاهدة ما اعدّ لهم فى الآخرة [ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذابٍ عَظِيمٍ] فى القيامة [وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ] عطف على مردوا اوعلى منافقون اوعلى من الاعراب او على من يؤمن بالله او اخرون مبتدء واعترفوا خبره والجملة عطف على سابقتها [خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً] نزولها فى ابى لبابة بن عبدالمنذر حين شاوره بنوقريظة فى النّزول على حكم سعدبن معاذ وقد مضى عند قوله لا تخونوا الله من سورة الانفال لكن معناها عامّ فى كلّ مؤمن احدث ذنباً فى ايمانه و اعترف به [عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] عسى من الله واجب وانّما يأتى تعالى شأنه بادوات التّرجّى و التّسويف جرياً على عادة الملوك و الاكابر فى مواعيدهم [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] و قد ورد انّ وحشيّاً منهم وورد ايضاً انّهم قوم اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطّيّار ثمّ تابوا وذكر ايضاً انّ من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة [خُذْ] بنفسك اوبعمّالك وهو جواب لما ينبغى ان يسأل عنه محمّد (ص) كأنّه قال : فما افعل بالمنافقين والّذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً؟ فقال تعالى: خذ [مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً] والامر هنا للوجوب كما ورد انّها وردت فى فرض الزّكوة وقد نزلت فى شهر رمضان وامر (ص) مناديه ان ينادى فى النّاس بفرض الزّكوة ، ومنه يعلم انّ وجوب الاخذ عليه يستلزم وجوب الاعطاء عليهم ، وهل يجب عليهم الايصال الى يده او يد نائبه كما يستفاد ذلك ايضاً من وجوب الاخذ عليه ، وورد بذلك الاخبار وافتى به بعضهم او لايجب بل لهم الاختيار فى الايصال اليه (ص) والاعطاء الى من شاؤا من المستحقّين ؟ والحقّ ان ليس لهم الاعطاء الّا الى الرّسول (ص) او نوّابه و خلفائه ، او من اذنوا لهم من المستحقّين و التّفصيل موكول الى الكتب الفقهيّة [تُطَهِّرُهُمْ] صفة لصدقة اومستأنف وهو امّا خطاب له (ص) اومسند الى ضمير الصّدقة ، وعلى الاوّل يكون المجرور فى قوله [وَتُزَكِّيهِمْ بِها] متنازعاً فيه ، والمراد بالتّزكية هنا الانماء فى المال والبركة لا التّطهير ليكون تأسيساً واشارة الى انّ الصّدقة توجب البركة فى المال ليكون ترغيباً لهم فيها [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ] و ادع لهم بطلب الرّحمة عليهم حين الاخذ اوبلفظ الصّلوة كما ورد انّه اذا اتى النّبىّ (ص) قوم بصدقتهم قال : اللّهمّ صلّ عليهم، اومطلقاً حيث استحقّوا بتزكية المال دعاءك حين التّصدّق وبعده بانواع الدّعاء للدّنيا و الآخرة [إِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ] سبب سكونهم واطمينانهم ونكرّ السّكن للاشارة الى انّه نوع سوى مايعرفه النّاس، فانّ الزّوج سكن والمال والمسكن والاولاد كلّها سكن و كذا ذكر الله سكن لكن كلّها لايخلو عن نوع اضطراب ومداخلة للشّيطان بخلاف توجّهه (ص) وعنايته ودعائه ، فانّه يفرّ منه الشّيطان ولا يبقى له مداخلة فلا يبقى للسّاكن شيءٌ من الاضطراب، مثل السّكينة القلبيّة النّازلة من الله فى قلب المؤمن [وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] عطف على مدخول انّ اوعلى انّ مع اسمها وخبرها وعلى كلا التّقديرين يستفاد منه التّعليل [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ] ترغيبٌ لهم فى التّصدّق وذكر التّوبة لمشاركتها للصّدقة فى قبوله تعالى على ايدى خلفائه ولانّها مقدّمة للصّدقة ولذا قدّمها فانّ من لم يتب الى الله لايمكنه التّصدّق حقيقة . **اعلم** ، انّ التّوبة هى رجوع الشّخص عمّا لاينبغى

الى الله سواء كان الرّجوع من جهة الباطن الى مظهر الله الباطنىّ الّذى هو القلب ، اومن جهة الظّاهر الى مظهره الّذى هو النّبىّ(ص) اوالامام(ع) اوخلفاؤهما، ولهذا الرّجوع وقبول التّوبة بهذا المعنى اعمال ومواثيق مقرّرة كانت جارية بينهم من لدن آدم(ع)، وان كانوا لشرافتها والضّنّة بها كتموها من غير اهلها ومحوا اثرها من صدور من اطّلع عليها ورجع عنها لئلّا تبتذل كسائر رسوم الملّة، والمستعمل فى الكتاب والسّنّة فى الاغلب هو التّوبة بهذا المعنى والقابل لهذه التّوبة هو النّبىّ(ص) اوخليفته كما انّ الآخذ للصّدقة ايضاً هو النّبىّ(ص) اوخليفته(ع)، لكنّه لمّا كان مظهراً لله وفانياً ببشريّته فيه خصوصاً وقت قبول التّوبة و اخذ الصّدقة نسب قبول التّوبة و اخذ الصّدقة الى نفسه بطريق الحصر بمعنى عدم انفراد الغير ولامشاركته له تعالى فيه ، هذا اذا كان الآخذ للصّدقة والقابل للتّوبة خلفاءه تعالى ، وامّا اذا كان الآخذ للصّدقة غيرهم كالفقراء السّائلين الآخذين للصّدقات المندوبة اوالمفروضة فالاخذ وان لم يكن الٓهيّاً لكنّ المتصدّق بنيّته الالٓهيّة الّتى هى شرط فى اطلاق اسم الصّدقة على ما يعطى يصيرا لٓهيّاً ومظهراً لله وبصيرورته مظهراً لله يجذب اللّطيفة الالٓهيّة فى الآخذ وان لم يصر الآخذ شاعراً به ، ولذا ورد تقبيل يد الامام اوالآخذ اوالسّائل وتقبيل المعطى يد نفسه وتقبيل الخير بعد الرّدّ من يد السّائل ووجه الكلّ قد علم ممّا ذكر [وَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوّابُ] كثير المراجعة على العباد بالعفو و التّوفيق و قبول توبتهم [الرَّحِيمُ] للعباد وقد مضى تحقيق التّوبة ومعنى توّابيّته فى اوّل البقرة فى مثل هذه الآية [وَقُلِ اعْمَلُوا] تهديد بعد ترغيب [فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ] الخالصون للايمان المتحقّقون به وهم خلفاء الله بعد رسوله (ص) والّا فاكثر المؤمنين النّاقصين لا اطّلاع لهم على اعمال الغير ، ولذلك ورد بطريق الحصر انّ المراد بالمؤمنون علىّ بن ابى طالب(ع) اوالائمّة(ع)، فانّ اعمال العباد تعرض صباحاً ومساءً فى الدّنيا على من جعله الله شهيداً على الخلق فاحذروا من ان يعرض منكم ما اذا شوهد يسؤكم و ما اذا عرض على امامكم يسؤه كما فى الاخبار ، والسّين للتّأكيد لا للتّسويف اوللتّسويف بتضمين يرى معنى يظهر رؤية الله لاعمالهم [وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] و يجازيكم عليه ان خيراً فخير وان شرّاً فشر [وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ] عطف على آخرون اعترفوا اوعلى ماعطف عليه آخرون اعترفوا، ولمّا كان نزول قوله آخرون اعترفوا فى ابى لبابة بن عبدالمنذر، وكان بعد قبول توبته تصدّق بتمام ماله و ابى رسول الله(ص) عن اخذ تمام ماله ، وقال يكفيك الثّلث ان تتصدّق به، وكان نزول قوله خذ من اموالهم صدقةً فى اخذ صدقته جاء به معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه والارجاء التّأخير ، يعنى انّهم مؤخّرون من غير تنجيز بالمغفرة اوالعذاب لكونهم واقعين بعد بين الملكوت العليا الّتى هى دار الرّحمة والملكوت السّفلى الّتى هى دار العذاب من غير حكم عليهم بكونهم من اهل احدى الملكوتين . **اعلم** ، انّ الانسان بعد البلوغ امّا قادر بحسب قوّته العمّالة والعلّامة على طلب الدّين والاستشعار بخيره وشرّه الانسانيّين اولا ، والثّانى هو المستضعف والاوّل امّا متّصل بنبىّ(ص) اوامام(ع) بالبيعة العامّة اوالخاصّة اولا ، والثّانى امّا منكر لله او لنبىّ وقته وهو الكافر المحكوم عليه بالعذاب ، اومتحيّر واقف وهو المرجى لأمر الله ، والاوّل امّا موافق اتّصاله ولسانه لجنانه بحسب قوّته العلّامة اولا ، والثّانى هو المنافق المحكوم عليه بالعذاب سواء كان دخوله وبيعته اكراهاً اوطوعاً، والاوّل امّا موافق عمله لعلمه ولايخالف بحسب قوّته العمّالة تبعيّته وعهده اولا ، والاوّل هو المؤمن المحكوم عليه بالرّحمة و الثّانى هو الخالط للعمل السّيّئ بالعمل الصّالح الّذى على الله ان يعفو عنه ، فآخرون مرجون

[لِاَمْرِ اللّٰهِ] اى لحكمه الّذى هو من عالم امره [اِمّٰا يُعَذِّبُهُمْ] حين خروجهم من الدّنيا بلحوقهم بدار العذاب بواسطة غلبة الحكم السّفلىّ عليهم [وَاِمّٰا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ] بلحوقهم بدار الرّحمة بواسطة غلبة الحكم العلوىّ عليهم [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] باستعدادهم واستحقاقهم لكلّ من التّوبة والعذاب [حَكِيمٌ] لطيف فى علمه لايعزب عنه قدر شعيرٍ وشعيرةٍ من استعدادهم واستحقاقهم متقن لطيف فى عمله يجازى كلاً بحسب عمله ولو كان بقدر شعيرةٍ وشعيرةٍ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً] عطف على منافقون اوكلّ من معطوفيه اوعلى مرجون من قبيل عطف اوصاف موصوفٍ واحدٍ، اوعطف المتغايرين اومبتدء خبرٍ محذوفٍ اوخبر مبتدءٍ محذوفٍ اومفعول فعلٍ محذوفٍ، روى انّ بنى عمرو بن عوف بنوا مسجد قبا وصلّى فيه رسول الله(ص) فحسدهم اخوتهم بنوغنم بن عوف، فبنوا مسجد الضّرار وارادوا ان يحتالوا بذلك فيفرّقوا المؤمنين ويوقعوا الشّكّ فى قلوبهم، بان يدعوا اباعامر الرّاهب من الشّام ليعظهم ويذكر وهن دين الاسلام ليشكّ المسلمون ويضطربوا فى دينهم ، فأخبر الله تعالى نبيّه(ص) بذلك، فدعوا رسول الله (ص) ليصلّى فى مسجدهم فأبى واعتذر بأنّى على جناح سفرٍ حين ارادة غزوة تبوك ، وبعد مارجع من تبوك امر بهدمه واحراقه وجعله كناسة يلقى فيه الجيف وقصّته مذكورة بتفصيلها فى المفصّلات ومافى الصّافى يكفى للتّبصّر [ضِرٰاراً وَكُفْراً] لحصول الكفر اولتحصيل ازدياد الكفر [وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاِرْصٰاداً] ترقّباً [لِمَنْ حٰارَبَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ] يعنى ابا عامر الرّاهب، نقل انّه كان قد ترهّب فى الجاهليّة ولبس المسوح فلمّا قدم النّبىّ(ص) المدينة حسده وحزّب عليه ثمّ هرب بعد فتح مكّة وخرج الى الرّوم وتنصّر ، وانّه كان يقاتل رسول الله(ص) فى غزواته الى ان هرب الى الشّام ليأتى من قيصر بجنودٍ يحارب بهم رسول الله(ص) ومات بقنّسرين [وَلَيَحْلِفُنَّ اِنْ اَرَدْنٰا اِلَّا الْحُسْنٰى] الّا الارادة الحسنى اوالعاقبة الحسنى او الخصلة الحسنى [وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ لٰا تَقُمْ فِيهِ اَبَداً] اى للصّلوة فانّ القيام لكثرة استعماله فى القيام للصّلوة يتبادر منه الصّلوة [لَمَسْجِدٌ اُسِّسَ عَلَى التَّقْوٰى] اعلم ، انّه كما انّ للبناء سقفاً وأساساً ومقرّاً يقوم الاساس عليه كذلك لكلّ عمل صورة واساس ومقرّ يقوم الاساس عليه ، فسقف العمل هو صورته الّتى هو عليها، واساسه هو نيّة العامل ، ومقرّه هو شأنه الّذى يقتضى تلك النّيّة ، فبالنّيّة يوجد العمل ومن شأن العامل ينشأ النّيّة وعليه تستقرّ والعمل مبتنٍ على النّيّة والنّيّة قائمة على شاكلة العامل قل كلّ يعمل على شاكلته والعمل ظهور النّيّة والنّيّة ظهور الشّاكلة لكن يخفى ذلك الظّهور على العميان مع ظهوره لاصحاب البصائر ، والعلم بمبنى العمل احد وجوه العلم بتأويل القرآن ، فمن كان شاكلته التّقوى من مقتضيات النّفس صارت نيّته آلهيّة ومن كان كذلك كان عمله مبتنياً على نيّة آلهيّة قائمة على شاكلة التّقوى ، واذا كان العمل مبتنياً على نيّة آلهيّةٍ كان العمل آلهيّاً لظهور تلك النّيّة فى العمل ولذلك اولكون قلب عاملها الواقف لها بيت الله يسمّى المساجد بيوت الله مع شركتها لسائر الابنية فى موادّها وصورها وبقاعها وعامل بنائها، وقد مضى تحقيق معنى المسجد فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ومن اظلم ممّن منع مساجد الله [مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ] من ايّام تأسيسها يعنى مسجد قبا [اَحَقُّ اَنْ تَقُومَ فِيهِ] للصّلوة من مسجد اسّس على النّفاق لانّه بمظهريّته لنيّة المتّقى مجانس لك [فِيهِ رِجٰالٌ يُحِبُّونَ اَنْ يَتَطَهَّرُوا] من الارجاس الباطنة والانجاس الظّاهرة [وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ] روى

عن النّبىّ (ص) انّه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون فى طهركم فانّ الله قد احسن عليكم الثّناء؟- قالوا نغسل اثر الغائط، قال : فأنزل الله فيكم : والله يحبّ المطهّرين [اَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ] بنيان وجوده [عَلىٰ تَقْوىٰ مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ] من الله عطف على محذوف مستفاد من سابقه والهمزة والفاء على التّقديم والتّأخير اوعلى تقدير المعطوف عليه بينهما تقديره امسجد اسّس على التّقوى خير ام مسجد اسّس على النّفاق فامّن اسّس بنيانه او فمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير [اَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلىٰ شَفا جُرُفٍ] الجرف جانب الوادى الّذى تجرفه السّيول وتذهب بتراب اصله فتنشقّ و الشّفا شفيره [هارٍ] اصله هائر وهورو هوالمنشقّ المشرف على السّقوط [فَانْهارَ بِهِ] اسقطه اى البنيان او من اسّس البنيان [فى نارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لايَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمينَ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال فمن أسّس بنيانه على شفيرجهنّم ظالم والله لايهدى القوم الظّالمين . اعلم ، انّ النّفس الانسانيّة فى اوّل الخلقة ليس لها الّا فعليّة الجماد ثمّ تتدرّج الى فعليّة النّبات ثمّ الى فعليّة مراتب الحيوان من مراتب الخراطين الى مراتب البهيميّة والسّبعيّة، ثمّ الى فعليّة الشّيطانيّة، ثمّ الى فعليّة الانسانيّة فى الجملة، وهى مقام تميزها للخير والشّرّ العقليّين فى الجملة فى اوّل مراتب البلوغ والتّكليف وحينئذٍ تقع برزخاً بين عالم الجنّة والشّياطين وفيه جهنّم ونيرانها، وبين عالم الملائكة بمراتبها وفيه الجنان ونعيمها وروحها وريحانها ، والانسان فى هذا المقام ليس الّا قابلاً صرفاً يتصرّف فيه الشّياطين ويجذبونه الى السّفل والى عالمهم ويتصرّف فيه الملائكة ويجذبونه الى العلو والى عالمهم وله القوّة والاستعداد للسير على تمام مراتب السّفل والاتّصاف بها وعلى تمام مراتب العلو والاتّصاف بها ، فان ساعده التّوفيق وادرك ببصيرته شروره وانّ جذب الشّياطين له ليس الّا الى دار الشّرور واتّقى ذلك ولم ينصرف الى ما اقتضيه القوّة الشّيطانيّة والسّبعيّة والبهيميّة، بل كان على حذرٍ من ذلك وقام فى مقام الانسانيّة متدرّجاً فى مراتبها فقد اسّس دار وجوده وتعيّشه على تقوى من لوازم سخط الله وهى مقتضيات القوى المذكورة، وان ادركه خذلان الله العياذ بالله ، وانصرف عن مقام الانسانيّة وانجذب بوسوسة الشّيطان الى مقام القوى المذكورة وهو اقرب مقاماته الى العالم السّفلىّ الّذى فيه جهنّم وقام فى هذا المقام الّذى هو اضعف مراتبه واوهنها فقد اسّس دار وجوده وتعيّشه على اوهن مقاماته الّذى اذا انهدم سقط فى جهنّم [لايَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذى بَنَوْا] يعنى اهل مسجد الضّرار [رِيبَةً فى قُلُوبِهِمْ] سبب شكّ [اِلّا اَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ] فلا يبقى منها اثر حتّى تتّصف بالرّيبة [وَاللهُ عَليمٌ حَكيمٌ] يعنى انّ بنيانهم سبب جهلهم وبلاهتهم والله عليمٌ حكيمٌ فيكون بنيانهم سبب بعدهم من الله فليهدم كما روى انّه (ص) امر بهدمه واحراقه [اِنَّ اللهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنينَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ] بعد ماذكر اصناف المنافقين واحوالهم ذكر اوصاف المؤمنين وماهم عليه وما لهم فى الآخرة لازدياد حسرة المنافقين . **اعلم** ، انّ النّفوس البشريّة خلقت متعلّقة بمعنى انّ التّعلّق جزؤ جوهر ذواتها و فصل مميّز لها عن الجواهر المجرّدة الصّرفة لا انّ التّعلّق وصف خارج عن ذواتها عارض لها ، وهذا التّعلّق الفطرىّ هو الّذى يكون منشأ شوقها الّذى يعبّر عنه بالفارسيّة بـ«درد» وهو يقتضى التّعلّق الاختيارىّ حين البلوغ فان ساعدها التّوفيق وتعلّقت اختياراً حسبما كلّفها الله بالعقول المجرّدة ومظاهرها البشريّة فازت بالحيوة الابديّة، وان خذلها الله وتعلّقت بالشّيطان ومظاهره البشريّة اعاذنا الله منها ، هوت الى المظاهر القهريّة وهلكت ، ولمّا كان فى بدو الامر مداركها العقليّة ضعيفة ومداركها الحيوانيّة والشّيطانيّة قويّةً بحيث لاتدرك الّا ماادركته المدارك الظّاهرة والباطنة الحيوانيّة

او ما اقتضته القوى الحيوانيّة والشّيطانيّة ، ولايتيسّر لها ادراك العقول و التّعلّق بها بلاواسطة بشريّة مدركة بمداركها الحيوانيّة ، امرهم الله تعالى شأنه بالتّعلّق بمظاهر العقول من الانبياء وخلفاءهم والانقياد لهم واتباعهم، ولتطابق العوالم وتوافق المراتب ولزوم سريان حكم كلّ عالم ومرتبته الى سائر العوالم والمراتب، امرهم الله تعالى بالبيعة الّتى هى مشتملة على التّعلّق الجسمانىّ بعقد يدى المتعلّق والمتعلّق به وتعلّق سمع كلّ بلسان الآخر وصوته ليكون التّعلّق النّفسانىّ موافقاً للجسمانىّ وسارياً الى المرتبة البشريّة ، وتلك البيعة كانت سنّة قائمة من لدن آدم (ع) الى زمان ظهور دولة الخاتم (ص) ،بحيث كان اهل كلّ دين لايعدّون من اهل ذلك الدّين احداً الّا بالبيعة مع صاحب ذلك الدّين اومع من نصبه لاخذ البيعة من النّاس ولتلك كانت شرائط وآداب مقرّرة مكتومة عندهم، ولشرافة تلك البيعة والضنّة بابتذالها عند من ليس لها باهلٍ كانت تختفى فى كلّ دين بعد قوّته و رحلة صاحبه واختيار العامّة له بأغراضهم الفاسدة على سبيل الرّسم والملّة ،وقوله و بئرٍ معطّلة اشارة الى التّحقّق بالدّين بالدّخول فيه بمابه تحقّقه من البيعة ، وقصر مشيد اشارة الى صورة الدّين المأخوذة على طريق الرّسم و الملّة من دون التّحقّق به اذا تقرّر ذلك، فاعلم، انّ تلك البيعة لمّا لم تكن الّا مع المظاهر البشريّة لعدم امكان الوصول الى الله والى العقول من غير توسّط تلك المظاهر وقد تحقّق انّ المظاهر يعنى الانبياء وخلفاءهم (ع) لفنائهم فى الله خصوصاً وقت اخذ البيعة واشتراء الانفس والاموال، وجودهم وجود الله لاوجود انفسهم لعدم نفسيّةٍ لهم حينئذٍ وفعلهم فعل الله لافعل انفسهم، وكان القاصرون لايرون البيعة الّا مع الوسائط من غير نظرٍ الى الظّاهر فيها، قال الله تعالى بطريق حصر القلب والتّعيين اوالافراد أنّ الله اشترى لا الوسائط البشريّة كمااعتقدوا لقصورهم وقدصرّح بالحصر فى قوله انّما يبايعون الله يعنى انّ المشترى هو الله لا انت ، وهكذا قوله يدالله فوق أيديهم للحصر اعتباراً لمفهوم اضافة اليد الى الله يعنى يدالله لا يدك، كما مضى عند قوله تعالى الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده انّه اشارة الى تلك البيعة وانّه للحصر فانّ قبول التّوبة من اجزاء تلك البيعة ومقدّماته، وقول المفسّرين انّ الآية وذكر الاشتراء تمثيل لاثابة الله ايّاهم على بذل الانفس والاموال انّما هو بالنّظر الى المبايعة الماليّة لاالمبايعة الاسلاميّة [يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] حال لبيان حالهم و ما يشترط عليهم حين الاشتراء او مستأنف جواب لسؤالٍ عن حالهم وما اشترط عليهم . **اعلم** ، انّ الدّاخل فى الاسلام بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة و الدّاخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة لاينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الباطنة وجنود الشّيطان ، وان كان قد ينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الظّاهرة وايضاً لاينفكّ عن قتل لشيءٍ من جنود الجهل واتباع الشّيطان وعن مقتوليه بحسب مراتب جنود الحيوان ما لم يمت اختياراً اواضطراراً ، ولذا اتى بالافعال الثّلاثة مضارعاتٍ دالّاتٍ على الاستمرار [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] قرئ الاوّل مبنيّاً للفاعل والثّانى مبنيّاً للمفعول و بالعكس [وَعْداً عَلَيْهِ] وعد المقاتلة بحسب الشّرط فى البيعة او وعد الجنّة بازاء الانفس والاموال وعداً ثابتاً عليه [حَقّاً] صفة لوعداً اوحال منه اومصدر لمحذوفٍ اى ثبت ذلك الوعد ثبتاً [فِي التَّوْرٰيةِ وَالْاِنْجِيلِ وَالْقُرْاٰنِ وَمَنْ اَوْفٰى] افعل التّفضيل او فعل ماض [بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ] الله بتوسّط مظاهره [بِهِ] ان كان اوفى افعل تفضيل ومن استفهاميّة فالفاء جواب شرطٍ محذوفٍ اى اذا لم يكن احد او فى بعهده من الله فاستبشروا ، وان كان فعلاً ماضياً و من شرطيّة اوموصولة فالفاء جواب

الشرط المذكور اذ الموصولة فى مثل هذا المقام متضمّنة لمعنى الشّرط لكن يقدّر حينئذٍ بعد الفاء القول اى فيقال لهم: استبشروا، والوجه الاوّل اولى لتناسبه لقوله وعداً عليه حقّاً [وَذٰلِكَ] البيع الّذى بايعتم على ايدى خلفائه اوذلك الوعد [هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التّٰائِبُونَ] هو على قراءة الرّفع مقطوع عن الصّفة للمدح اومستأنف مقطوع عمّا قبله جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: من المؤمنون المستبشرون؟- فقال: التّائبون، وعلى كلا التّقديرين فهوخبر مبتدءٍ محذوفٍ، ونسب الى المعصومين(ع) انّهم قرؤه بالجرّ صفة للمؤمنين والمراد التّائبون بالتّوبة الخاصّة على ايدى خلفاء الله الّتى هى من اجزاء البيعة المذكورة [الْعٰابِدُونَ] الصّائرون عبيداً خارجين من رقيّة انفسهم داخلين فى رقيّة مولاهم اوفاعلين فعل العبيد يعنى كان فعلهم بامر مولاهم لابامر أنفسهم [الْحٰامِدُونَ] المعتقدون المشاهدون كلّ كمال وجمال من الله فانّه الحمد حقيقةً الذّاكرون الله بكماله وجماله بألسنتهم طبق اعتقادهم وشهودهم [السّٰائِحُونَ] فى اراضى العالم الصّغير والعالم الكبير وفى اخبار الامم الماضية وفى شرائع الانبياء ومواعظ الاولياء ونصائحهم وفى الكتب السّماويّة ولاسيّما القرآن المهيمن على الكلّ وقداشير فى الاخبار الى كلٍّ، وفسّر ايضاً بالصّائمين وقد ورد انّ سياحة امّتى الصّيام وهو من قبيل التّفسير بالسّبب، فانّ الصّيام وهو منع القوى الحيوانيّة عن مشتهياتها يضعّفها و بتضعيفها يرتفع الحجاب عن المدارك الانسانيّة و ينفتح بصيرة القلب وينطلق رجل العقل فيسيح فى اراضى وجوده ويسرى سياحتها الى اراضى سيرة الانبياء(ع) والاولياء(ع) وكتبهم، اويسرى الى سياحة العالم الكبير بالنّظر فى آياته والعبرة من تقليباته بأهله فانّه السّياحة حقيقةً لاالمشى فى وجه الارض خالياً من ذلك النّظر وتلك العبرة [الرّٰاكِعُونَ] بالرّكوع المخصوص الّذى هو من اركان الصّلوة الصّوريّة اوباظهار الخضوع والذّلّ لله ولخلفائه [السّٰاجِدُونَ] بسجدة الصّلوة اوبمطلق السّجدة لله اوبغاية الخضوع والتّذلّل [الْاٰمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] لأهالى عوالمهم اولأهل العالم الكبير بعد استكمال اهالى عوالمهم والفراغ منهم [وَالنّٰاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ] هكذا، والاتيان بالعاطف لتماميّة السّبعة والعرب فى التّعداد اذا تمّ عدد السّبعة يأتى بالواو وتسمّى واو الثّمانيّة وسرّه تماميّة العوالم الكلّيّة الآلهيّة بالسّبع، وقد مضى فى اوّل سورة البقرة تحقيق للامر بالمعروف والنّهى عن المنكر عند قوله تعالى : اتأمرون النّاس بالبرّ (الاية) [وَالْحٰافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ] بعد الفراغ من الامر و النّهى بابقاء المأمورين والمنهيّين على الايتمار و الانتهاء فى العالم الصّغير والعالم الكبير والحافظون على حدود احكام الله من العبادات والمعاملات وغاياتها المقصودة منها، مثل ان يحفظ فى الصّلوة على الانقياد والخشوع والتّشبّه بالملائكة والشّخوص بين يدى الله والانصراف من التّوجّه الى عالم الطّبع والحيوان الى الله، ومثل ان يحفظ فى النّكاح على التّوالد وابقاء النّسل وازدياد المودّة والرّحمة والاستيناس، لا ان يكون نكاحه لمحض قضاء الشّهوة الحيوانيّة واللّذّة النّفسانيّة بل يكون حين اللّذّة حافظاً لتلك الغايات ناظراً اليها، وما ورد فى تفسيره بالحفظ على الصّلوة بحفظ اوقاتها وركوعها وسجودها اوبحفظ احكام الله فهو مشير الى هذا المعنى .

امّهات منازل السّالكين

اعلم، انّ الآية الشّريفة جامعة لامّهات منازل السّالكين الى الله واسفارهم مشيرة الى جميع مقامات السّائرين، فانّ التّائبون اشارة الى منازلهم الحيوانيّة و مقاماتهم الخلقيّة لانّ التّوبة هى السّير من الخلق الى الحقّ وهو السّفر الاوّل من الاسفار الاربعة وللانسان فى هذا السّفر مقاماتٌ ومراحل عديدة و ليس له الّا التّعب و الكلفة ولا يوازى لذّته كلفته، ولذا ترى اكثر السّالكين

واقفين فى هذا السّفر حائرين لا يمكنهم الرّجوع ولاالوقوف على مقامهم الحيوانىّ، لما ايقنوا من انّ ذلك المقام من مقامات الجحيم ولما رأوا لانفسهم فيه من العذاب الاليم ولايمكنهم التّجاوز والسّير الى مافوقه لكثرة المتاعب وضعف يقينهم وقلّة التذاذهم بالمقامات الانسانيّة وضعف نفوسهم عن التحمّل وقوّة قويهم فى طلب مقتضياتها، والعابدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة الخلقيّة ، لانّ العبوديّة هى السّير فى المقامات الانسانيّة وعلى المراحل الرّوحانيّة الى الانتهاء الى حضرة الاسماء والصّفات ، وهو السّفر الثّانى من الاسفار الاربعة اى السّفر من الحقّ الى الحقّ ، والحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة اى السّير فى حضرة الاسماء والتّمكّن فى التّحقّق بحقائق الصّفات الالهيّة، وهو السّفر الثّالث اى السّفر بالحقّ فى الحقّ ، والامرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله اشارة الى مقاماتهم الالهيّة و مراتبهم الرّبوبيّة اى السّير فى المظاهر الالهيّة متّصفين بصفات الرّبوبيّة مبدّلين للخلقيّة بالحقّيّة ناظرين الى المظاهر الى كلّ فى مرتبته معطين لكلّ ذى حقّ حقّه، وهو آخر الاسفار الاربعة يعنى السّفر بالحقّ فى الخلق . وبيان هذه الاسفار ومقاماتها وما يرد فيها وما يشاهد منها من الآيات ممّا يضيق عنه بيان البشر ولايسعه هذا المختصر، واجمال القول فيها: انّ الانسان فى زمان الصّبا الى اوان البلوغ حيوان كالخراطين والدّيدان او كالبهائم والسّباع لايدرى من الخيرات الّا ما اقتضته القوى الحيوانيّة ولا من الشّرور الّا ما تستضرّ به ، و بعد بلوغ الاشدّ و ظهور اللّطيفة الانسانيّة وتميز الخيرات والشّرور العقليّة الانسانيّة ، امّا يقف على الحيوانيّة باقياً فيه شيءٌ من الانسانيّة ، اويهوى عن الحيوانيّة الى اسفل السّافلين مهلكاً للطّيفة الانسانيّة ، اوينزجر عن الحيوانيّة و يرغب فى الخيرات الانسانيّة متدرّجاً فيه الى ان يطلب من يبيّن له طريق جلب خيراته ودفع شروره الانسانيّة ، لانّه خارج عن ادراك مداركه الحيوانيّة غير مدرك بمداركه العقليّة لضعفها، وذلك التّدرّج فى الانزجار وان كان توبة وانابة لغة لكنّه لايسمّى عند اهل الله توبة ولا انابة ، لانّ التّوبة والانابة عندهم اسم للرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة الالهيّة ولخفاء طريقها كثيراً ما يقع الرّاجع عن الحيوانيّة الى حيوانيّةٍ اوشيطانيّة بتدليس الشّيطان وظنّه انّها خيرات انسانيّة فيقع فيما فرّ منه ، فما لم يظهر صحّة رجوعه عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لم يطلق عليه اسم التّوبة وصحّة الرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لا تظهر الّا بقبوله من الله ، وقبوله من الله لايظهر الّا بقبول خلفاءه و هم المظاهر الانسانيّة و الكاملون الفارقون ببصيرتهم بينها و بين الحيوانيّة ، فاذا وصل الى نبىٍّ اوولىٍّ وتاب هو عليه وهى توبة الله عليه و استغفر له فى البيعة العامّة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة صدق على رجوعه التّوبة و الانابة بجهتيه وصار تائباً ، وبتلك التّوبة لا يحصل له الّا خيراته القالبيّة المؤدّية الى خيراته الانسانيّة ولايلتذّ بها بل لايرى فيها الّا التّعب والكلفة ولايسكن حرارة طلبه للخيرات الانسانيّة ولايتمّ توبته ، فاذا طلب ووجد وتاب بالتّوبة الخاصّة فى البيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب و هناك يتمّ صورة توبته فقد يلتذّ بانموذج خيراته الانسانيّة ، لكنّه ما لم يخرج من ملكه ولم يلج ملكوت السّماوات ولم يشاهد ملكوت شيخه كان تائباً ولم يخلص له اللّذّات الانسانيّة وكان بعد فى تعب وكلفة و ضيق لا يرضى بحالٍ من احواله ويتقلّب فى الاحوال، حتّى يشاهد ملكوت الشّيخ ويسكن الشّيخ فى ارض صدره ويتمكّن له دينه الّذى ارتضاه له و حينئذٍ يتمّ سيره من الخلق الى الحقّ ، فانّ ملكوت الشّيخ هى الحقّ بحقّيّة الحقّ الاوّل ويصير حينئذٍ سالكاً الى الله، لانّه كان قبل ذلك سالكاً الى الطّريق ويصير عبداً خارجاً من رقّيّة نفسه داخلاً فى رقّيّة الله ويصير فعله ايضاً فعل العبد حيث تمكّن الشّيخ فى وجوده وصار بالنّسبة الى شيخه كالملائكة بالنّسبة الى الحقّ

الاوّل ، لا يعصى الشّيخ وهوبأمره يعمل لا بأمرنفسه ويصدق عليه انّه عبد وعابد و يصير مسافراً بالسّفر الثّانى من الحقّ الى الحقّ لانّ المبدأ ملكوت الشّيخ وهى الحقّ ، والمنتهى هوالحقّ المضاف ، ومراحل هذاالسّفر ومقاماتها خارجة عن الحصر والعدّ ، والسّالك فى هذا السّفر واله غيرشاعر كالمجذوب فاذا وصل الى حضرة الاسماء والصّفات تمّت عبوديّته وفنى عن افعاله وصفاته وذاته واتّصف بالرّبوبيّة اذا تمّ له هذا السّفروصحا عن فنائه وصدق ما قالوا : الفقر اذا تمّ هو الله ، و انتهاء العبوديّة ابتداء الرّبوبيّة ، وفى هذا المقام يظهر بعض الشّطحيّات من السّالكين مثل: اناالحقّ ، وسبحانى ما اعظم شانى ، وليس فى جبّتى سوى الله، والسّالك حينئذٍ مسافر فى الحقّ و هو السّفر الثّالث ولا انتهاء لمقامات هذا السّفر ، وفى هذا السّفر لايرى فى الوجود الّا الله ولا يرى جمالاً وكمالاً الّاالله فينسب تمام الكمال والجمال اليه تعالى من غير شعورٍ بهذه النّسبة منه وهوحمده بل يتحقّق بالصّفات الجماليّة والاسماء الحسنى الآلهيّة وهوحامديّته حقيقة، ويصدق حينئذٍ عليه انّه سائح حيث انّ السّياحة هى السّير لمشاهدة غرائب صنع الله و هو فى السّفر الاوّل لا يمكنه مشاهدة صنع الله بل لا يرى الّا المصنوع ، و فى السّفر الثّانى امّا لا يشعر بصنع و مصنوع بل لا يشعر الّا بشيخه او لايرى الّا المصنوع بحسب تقليباته ذات اليمين وذات الشّمال ، وفى هذا السّفرحين يفيق من جذبته يرى ويشاهد لكن لايرى الّا صنع الله و غرائبه لخروجه من التّعيّنات الكونيّة فلا يرى فى الوجود الّا صفاته واسماءه تعالى ، وكلّ ما يشاهد يتذلّل ويخضع له وهوالرّكوع والسّجود بحسب تفاوت مراتب خضوعه، فاذا تحقّق باسمائه وصفاته وتمّ سفره هذا عاد الى ما منه رجع لاصلاح العباد وسافر بالحقّ فى الخلق وامر بامرالله ونهى بنهى الله وحفظ الامر والنّهى على المأمورين والمنهيّين، وكذا يحفظ غايات اوامره ونواهيه عليهم، والمسافربهذاالسّفرامّا نبىّ اورسول اوخليفة لهما ، ومقامات هذا السّفر ايضاًغير متناهية بحسب عدم تناهى كلمات الله وبحسب مقاماته يتعدّد ويختلف مراتب الانبياء والرّسل، وما ورد من تحديد الانبياء بمائة وعشرين الفاً اوبمائة واربعة وعشرين الفاً فهوامّا لمحض بيان الكثرة اولتحديد امّهات المقامات ؛ وما ورد عن المعصومين (ع) من تخصيص الاوصاف بأنفسهم قدعلم وجهه حيث لا يوجد تلك الاوصاف بحقائقها الّا فيهم لكن اذا صحّ ايمان المؤمن و صدق فى ايمانه توجد رقائقها و انموذجاتها فيه فليطلب المؤمن من نفسه فاذا لم يجد لم يكن صادقاً فى ايمانه [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] عطف على الامر السّابق و بينهما اعتراض لبيان حال المؤمنين و وضع المؤمنين موضع ضميرهم للاشعار بعلّة الحكم ولتصويرهم بأوصافهم المذكورة حيث انّ اللّام للعهد الذّكرىّ والمذكور المؤمنون الموصوفون بالاوصاف المذكورة [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا] يعنى ماصحّ [أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ] بلغ غاية الوضوح [لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] اعلم، انّ الكافرما لم ينقطع فطرته الّتى هى لطيفته الانسانيّة لا منع فى الاستغفار والدّعاء بالخير له حيّاً وميّتاً ولايجوز لعنه على الاطلاق بل يجوز من حيث كفره وشركه ، وللاشارة الى هذا المعنى قوله تعالى انّى لعملكم من القالين ؛ وانّى برىٌ ممّا تعملون ، واذا انقطع فطرته يجوز لعنه على الاطلاق ولا يجوز له الدّعاء بالخير ولا يعلم قطع الفطرة الّا بشهود مراتب وجوده اوبوحيٍ من الله اوبسماعٍ من صاحب الكشف اوالوحى ، وماورد فى الاخبار وافتى به العلماء (رض) ايضاً من انّ المرتدّ الفطرىّ لايقبل توبته ناظر الى هذا المعنى ، وما ذكروه من الفرق بين المرتدّ الملّىّ والفطرىّ كما فى الاخبار انّما هو باعتبار انّ التّولّد على الاسلام و التّولّد على الكفر ثمّ الخروج عن الاسلام كاشف

عن الارتداد ين وقد مضى تحقيق الارتداد فى سورة آل عمران عند قوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً، وللاشارة الى ما ذكرنا قال تعالى من بعد ماتبيّن بالكشف والوحى اوبالسّماع من صاحب الكشف والوحى لهم: انّهم اصحاب الجحيم منقطعوا الفطرة غير مرجّوى النّجاة يعنى لا قبل هذا التبيّن [وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ] عطف لاستدراك ما يتوهّم من انّ ابراهيم (ع) كان نبيّاً واستغفر لابيه المشرك [إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ] يعنى كان استغفاره وفاءً بوعده وهو خصلة حسنة وكان قبل ان تبيّن له انّه اصحاب الجحيم بقرينة قوله [فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ] اى فطرة بمعنى انقطاع جهة محبّته لله وهى اللّطيفة الانسانيّة [تَبَرَّءَ مِنْهُ] مع انّه كان اقرب قراباته وفسّر قوله تعالى الّا عن موعدة وعدها ايّاه بوعد آزر لابنه ان يسلم وهو يؤيّد ماذكرنا لانّ وعد الاسلام لا يكون الّا عن فطرة الانسان [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] الاوّاه الكثير التّأوّه واكثر ما يكون التّأوّه اذا كان حزن على فراق محبوبٍ وهو يستلزم كثرة الدّعاء و التّضرّع فى الخلوات و حال العبادات فما ورد من تفسيره بالدّعّاء اوبالمتضرّع تفسير باللّازم وهو تعليل لاستغفاره [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ] تكويناً بايصالهم الى مقام الانسانيّة الّتى بها يتميّز الخيرات والشّرور الانسانيّة اوتكليفاً بايصالهم الى من يبايعهم بيعة عامّة اوبيعة خاصّة وتبيّن لهم خيراتهم وشرورهم التّكليفيّة [حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ] تكويناً اوتكليفاً [مَا يَتَّقُونَ] ما ينبغى ان يتّقوه من شرورهم الانسانيّة لاتمام الحجّة [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] جواب سؤالٍ كأنّه قيل ايعلم دقائق ما يضلّون و يهتدون به وما يتّقون [إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ابتداء كلام غير مرتبط بالسّابق اوتعليل لعلمه بكلّ شيءٍ ، اوتعليل لنسبة الاضلال والهداية والتّبيين الى نفسه ، اوجوابٍ لسؤال عن حالهم مع الله ونسبته تعالى اليهم [يُحْيِي] بالحيوة الحيوانيّة اوبالحيوة الانسانيّة [وَيُمِيتُ] هكذا [وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ] يتولّى اموركم بجلب ماهو خيركم اليكم [وَلَا نَصِيرٍ] يدفع عنكم شروركم وقد مضى مراراً انّ النّبىّ (ص) بولايته هو الولىّ الّذى يتولّى امور التّابع من اصلاح حاله فى نفسه وبنبوّته و رسالته هو النّصير الّذى ينصر التّابع بدفع الشّرور عنه ، وهذا النّفى لدفع توهّم يرد على قلب المريد النّاقص حيث لايرى من شيخه المرشد الّا بشريّته وكذا من شيخه الدّليل فيظنّ انّهما بحسب البشريّة او بانفسهما يتولّيان مستقلّين اوبالاشتراك مع الله تعليم المريد واصلاحه ، فرفع هذا الوهم بحصر ذلك فى نفسه بمعنى انّهما فى تولّى أمور المريد ليسا الّا مظهرين و الظّاهر المتولّى هوالله لاهما وحدهما ولا باشتراكهما مع الله [لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ] و قرئ بالنّبى و على قراءة على النّبىّ فتوبته تعالى عليه باعتبار توبته على امّته اعطاءً لحكم الجزء للكلّ ، اولحكم التّابع للمتبوع ، اوالتّوبة بمعنى مطلق الرّجوع لانّهم وقعوا فى غزوة تبوك فى الشّدّة والقحط وشدّة الحرّ وقلّة الماء فرجع بالرّخاء والرّاحة وعدم الحاجة الى القتال والصّلح على الخراج بدون زحمة القتال [وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ] حيث تخلّف بعضهم وكره بعض آخر الخروج الى تلك الغزوة فلحق المتخلّفون ورغب الكارهون [الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ] حين خروجه على كراهة اوبعد خروجه بلحوقهم له [فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ] فى زمان العسرة فانّ غزوة تبوك اتّفقت فى شدّة الحرّ وزمان القحط مع بعد السّفر [مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ

يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ] عن اتّباعه واعتقاد رسالته وقيل: همّ قوم منهم ان ينصرفوا بعدالخروج بدون اذنه فعصمهم‌الله ، وروى انّ عددالعسكرفى تلكك الغزوة بلغ خمسة وعشرين الفاً سوى العبيد والاتباع ، وقيل: بلغ عدد جميعهم اربعين الفاً [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ] بعصمتهم عن الزّيغ [إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] الفرق بين الرّأفة والرّحمة كالفرق بين الاحوال والسّجايا فانّ الرّأفة عبارة عمّا يظهر من آثار الرّحمة من النّصح والحمل على الخير [وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا] استعمال الخوالف فى النّساء و المخلّف فى الرّجال للاشارة الى انّ التّخلّف شأنهنّ فتخلّفهنّ لا تعمّل فيه ، وامّا الرّجال فانّ شأنهم التّهييج للقتال وتخلّفهم كأنّه كان بتعمّل وقبول من غيرهم ، ولمّا فهم العامّة من ظاهره انّ رسول‌الله(ص) خلّفهم انكر المعصومون (ع) قراءة خلّفوا و قرأوا خالفوا و الّا فقد سبق استعمال المخلّف فى‌المتخلّفين المخالفين عند قوله فرح المخلّفون والمعنى فرح‌الّذين حملهم‌الشّيطان‌على‌التّخلّف لا الرّسول(ص)، والثّلاثة المخلّفون كانوا كعب بن مالكك ومرارة‌بن الرّبيع وهلال بن اميّة كانوا تخلّفوا عن غزوة تبوك واستقبلوا رسول‌الله(ص) بعدمراجعته ، فسلّموا عليه فلم يردّ عليهم الجواب و أمر اصحابه ان لا يسلّموا عليهم ولايكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ، فدخلوا المدينة ولايكلّم معهم احد ، ودخلوا المسجد فلا يسلّم عليهم احد ، وجاءت نساؤهم الى رسول‌الله(ص) وقالت: بلغنا سخطكك على ازواجنا ؛ انعتزلهم؟ـ فقال: لاتعتزلنهم ولكن لايقاربوكنّ ، فلمّا رأوا ما حلّ بهم قالوا: مايقعدنا بالمدينة فخرجوا الى‌الجبال وقالوا: لانزال فى‌هذه الجبال حتّى يتوب الله علينا ، وكان أهلوهم يأتونهم بالطّعام فيضعونه عندهم ولا يكلّمونهم فلمّا طال عليهم الامر قال بعضهم : يا قوم سخط الله علينا و رسوله و اخواننا واهلونا فلايكلّمنا احد فما لنا نجتمع ولايسخط بعضنا بعضاً، فتفرّقوا وحلفوا ان لايتكلّم احد منهم احداً حتّى يموتوا او يتوب الله عليهم ، فبقوا على هذه الحال فأنزل الله توبتهم على رسوله حين اشتدّ الامر عليهم [حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ] بعدم تكلّم رسول‌الله(ص) ولا اصحابه ولا أهليهم [وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ] بعدم اجتماعهم وعدم تكلّم بعضهم بعضاً [وَظَنُّوا] اى علموا وأيقنوا واطلاق الظّنّ على العلم لمامرّمراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّات فهى ظنون لتوجّهها الى السّفل وتخلّف المعلوم وغاياتها عنها بخلاف علوم العقل فانّ معلوماتها ثابتة وغاياتها غير متخلّفة ، و هؤلآء لمّا كانوا قبل قبول توبتهم واقعين فى‌مرتبة النّفس كانت علومهم ظنوناً [أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ] رجع بالرّحمة و التّوفيق عليهم [لِيَتُوبُوا] صادقين الى‌الله فيقبل توبتهم [إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ] كثير المراجعة على العباد بالرّحمة والتّوفيق سهل القبول لتوبتهم [الرَّحِيمُ] فلا يدعهم لرحمته ان يدوموا على العصيان [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بعد ما ذمّ المتخلّفين عن رسول‌الله(ص) رغّب‌المؤمنين فى‌طاعته وعدم‌التّخلّف عنه ليكون اوقع ولان يجمع بين الوعد و الوعيد كما هو شأن النّاصح الحكيم [اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] اعلم، انّ الايمان قد يطلق على‌الاسلام‌الحاصل بالبيعة العامّة وقبول‌الدّعوة الظّاهرة وانقياد النّفس والقالب تحت احكام‌القالب المأخوذة من نبىّ(ع) اوخليفته(ع) ،وقد يطلق‌على‌الايمان‌الخاصّ الحاصل بالبيعةالخاصّة الولويّة وقبول‌الدّعوة الباطنة وانقياد القلب تحت احكام القلب المأخوذة من صاحب أحكام القلب وهو الايمان حقيقةً لصحّة سلب

اسم الايمان عن الاسلام كما قال تعالى: قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا اسلمنا، يعنى ما اعتقدتموه ايماناً ليس بايمان بل هو اسلام، والتّقوى من سخط الله وعذابه قد تطلق باعتبار مطلق الانزجار عن النّفس ومقتضياتها وهو مقدّم على الاسلام الحقيقىّ الّذى هو هداية للايمان ، وقد تطلق باعتبار الانصراف عن النّفس وطرقها الى طريق القلب و السّلوك اليه والتّقوى بهذا المعنى لاتحصل الّا بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة ، لانّ الانسان ما لم يبايع بتلك البيعة لم يتّضح له طريق القلب فضلاً عن التّوجّه اليه والسّلوك عليه ولم يدخل الايمان فى قلبه ، فهذه التّقوى لا تحصل قبل الاسلام ولا قبل الايمان بل هى مع الايمان وتكون بعد الايمان الى ان تحصل التّقوى من ذاته من غير شعورٍ بتقواه و هو الفناء التّامّ الّذى لا فناء بعده و بعده صحو و بقاء بالله و اتّصاف بصفات الله الحقيقيّة و الاضافيّة الّتى هى داخلة تحت اسم الرّحمن كما قال تعالى : يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن وفداً يعنى بعد انتهاء التّقوى لهم صحو و اتّصاف بصفة الرّحمانيّة الّتى هى مجمع سائر الصّفات الاضافيّة وباعتبار هذا المعنى خصّصوا التّقوى بشيعتهم ، والصّدق لغةً وعرفاً مطابقة القول اللّفظىّ اوالنّفسىّ للواقع ، وعند اهل الله النّاظرين الى الاشياء بما هى عليه الصّدق مطابقة الاقوال والافعال و الاحوال والاخلاق والعلوم لما ينبغى ان يكون الانسان عليه ، ولما هو نفس الامر لما ينتسب الى الانسان بما هو انسان ، فانّ اللّطيفة الانسانيّة مظهر للعقل ان لم تكن محجوبةً باغشية الآراء النّفسيّة والكدورات الطّبيعيّة والعقل مظهر لله تعالى ومظهر المظهر مظهر ، وما ينسب الى مظهر شيءٍ من حيث انّه مظهر ذلك الشّيء ينسب الى ذلك الشّيء حقيقةً ويصحّ سلبه عن المظهر كما فى قوله تعالى : فلم تقتلوهم فى عين انّ القتل كان بأيديهم فسلب نسبة القتل عنهم حيث انّهم لغاية الدّهشة ونزول السّكينة الّتى هى ظهور الحقّ تعالى كانوا مظاهر للسّكينة والسّكينة مظهر لله تعالى فسلب القتل عنهم و اثبته للظّاهر فيهم و هو السّكينة اوّلاً و الحقّ الاوّل ثانياً فقال : و لـكنّ الله قتلهم اسقاطاً لحكم الظّاهر الاوّل ايضاً وكذا قوله تعالى : و ما رميت اذ رميت ولـكنّ الله رمى فما هو نفس الامر لما ينسب الى الانسان ان يكون بحيث ينسب حقيقة الى الله و يصحّ سلبه عن الانسان فما ينسب الى الانسان اذا لم يصحّ نسبته الى الله تعالى اولم يصحّ سلب نسبته عنه كان كذباً ، وكما انّ القول فعل اللّسان كذلك الافعال والاحوال والاخلاق والعلوم قول الاركان والجنان ، و صيغة الصّادق لغة تطلق على من اتّصف بصدقٍ ما من غير تعرّض لكونه سجيّة له اوعرضيّاً لكنّه غلب فى العرف على من صار الصّدق سجيّةً له ، فعلى هذا كان الصّادق من تمكّن فى الانسانيّة وصار كلّما صدر عنه موافقاً لما اقتضته انسانيّته ، وهذا المعنى مخصوص بالانسان الكامل ولذا حصروا الصّادقين فى انفسهم، وصيغة الامر من الكون تدلّ على الاستمرار اذا اطلقت خصوصاً اذا كان بعدها ما يدلّ على المعيّة المشعرة بالاستمرار و ان كان الامر من غير الكون مطلقاً عن التّقييد بالاستمرار و عدمه اذا اطلق ، والمعيّة تصدق على المصاحبة البدنيّة البشريّة لكن استمرار تلك المصاحبة غير ممكن لافراد البشر حيث تحتاج لبعض ضروريّاتها الى المفارقة البدنيّة على انّها لا تفيد فائدة اخرويّة يعتنى بها اذا لم تقترن بالمصاحبة النّفسيّة، اما سمعت انّ اكثر المنافقين كانوا اشدّ مصاحبة للنّبىّ (ص) من سائر الصّحابة ! وبعضهم سابقاً فى الهجرة ومذكوراً فى الكتاب بالمصاحبة ! ولمّا كان مصاحبتهم محض المصاحبة البدنيّة لم تنفعهم فى الآخرة ، ونصدق على المصاحبة النّفسيّة مع رقائق الصّادقين المأخوذة منهم من الفعليّة الحاصلة فى نفوس التّابعين بسبب البيعة والاتّصال الصّورىّ، وقبول الولاية الّتى هى بمنزلة الانفحة للبن الاعمال وبمنزلة البذر لزرع الآخرة ومن الذّكر

الّذى يلقّنهم الصّادقون قلبيّاً كان اولسانيّاً ، فانّ الذّكر المأخوذ من ولىّ الامر رقيقته ونازلته الّتى نزلت من مقامه العالى ولبست لباس الذّكر القلبىّ اواللّسانىّ وتحقيق هذا المطلب قد مضى شطرٌ منه ، وتصدق على المصاحبة النّفسيّة مع حقائقهم الملكوتيّة الّتى يعبّر عنها بصورة الشّيخ وبالسّكينة القلبيّة و بالفكر و الرّحمة و النّعمة و الآية الكبرى و الاسم الاعظم و للاشارة الى تينك المعنيين قال تعالى : والّذين هم على صلوتهم دائمون لانّ هذا الذّكر والفكر صلوة حقيقيّة والصّلوة القالبيّة صورة تلك الصّلوة وقالت الصّوفيّة : ينبغى للسّالك ان يكون دائم الذّكر والفكر وقيل بالفارسيّة : « خوشا آنان كه دائم درنمازند » واستمرار تلك المعيّة امر ممكن وان كان النّاقصون من السّلاك فى تعسّر منه ، فمعنى الآية يا ايّها الّذين أسلموا بالبيعة العامّة النّبويّة اتّقوا الله بالبيعة الخاصّة الولويّة وداوموا على الذّكر المأخوذ من الصّادقين ان لم تكونوا من اهل الفكر ، اوعلى الذّكر والفكر ان كنتم من اهل الفكر ، او يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة اتّقوا الله فى الانصراف عن طريق القلب وداوموا على الذّكر والفكر [ما كانَ] استيناف لتعليل الامر السّابق والمعنى ما ينبغى [لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ] من اهل الشّرق و الغرب فانّ ما حول المدينة بالنّسبة الى العوالم الاُخر تمام الدّنيا و اهلها ما لم يدخلوا فى الاسلام أعراب كلّهم وكذلك ماكان لاهل المدينة القلب و الصّدر المنشرح بالاسلام ومن حولهما [أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ] الّذى هو اصل فى الصّدق ، و صدق سائر الصّادقين فرع صدقه [وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ] بسبب محبّة انفسهم او فى انفسهم او لايرغبّوا انفسهم على ان يكون الباء للتّعدية [عَنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ] اى عدم جواز التّخلّف والرّغبة [بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ] عطش [وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ] مجاعة [فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً] من غلبة وقتل واسر ونهب [إِلّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ] يعنى سواء اصيبوا اواصابوا انيبوا ، وللفرق بين ماعليهم ومالهم اتى بقوله فى سبيل الله بين المتعاطفين كما انّ توسّط الاستثناء وتعليله بين المتعاطفات كان لذلك وللتّأكيد بالتّكرير [إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] يعنى انّهم باتّباعهم لرسول الله (ص) محسنون والله لايضيع اجر المحسنين [وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وادِياً إِلّا كُتِبَ] ذلك [لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] يعنى يكتب كلّما عملوا لينظر اليها ويجزى كلّها بازاء احسنها وليس المراد انّه لايجزى الّا احسنها ، و يجوز ان يراد هنا انّهم يجزون بأحسن ممّا عملوا . **اعلم** ، انّ الانسان كما يكون فى الاستكمال بحسب بدنه من اوّل صباه يكون فى الاستكمال بحسب نفسه وكلّ فعلٍ يصدر منه خيراً كان اوشرّاً يحصل منه فعليّة له ، ولمّا كان واقعاً بين عالمى الملائكة والشّياطين ، فان لم يتمكّن فى احد العالمين لايمكن الحكم عليه بكونه من اهل الرّحمة اواهل العذاب من غير تقييدٍ بشرط البقاء على الاسلام اوالكفر، وكان بحسب العاقبة محكوماً عليه بكونه مرجىّ لأمر الله وان لم يكن داخلاً فى صنفهم، وان دخل فى احدهما وتمكّن فيه صار جميع الفعليّات الحاصلة له مسخّرة لحاكم ذلك العالم اى العقل اوالشّيطان وصارت محكومةٌ بحكم احسنها اواسوئها، فانّ احسن الاعمال ماكان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للعقل وأسوأها ماكان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للشّيطان ، وغير هذين حسن وسيّئ باعتبار قربهما الى العقل والشّيطان فاذا صار الفعليّات كلّها مسخّرة للعقل بسبب تمكّن صاحبها فى اتّباع الاخيار والانقياد لهم كان جزاء كلّ الاعمال سيّئها وحسنها واحسنها

بجزاء احسنها ، واذا صارت مسخّرة للشّيطان كان الجزاء بالعكس ، وايضاً اذا صار الانسان متمكّناً فى اتّباع الابرار صار محبوباً لله بمنطوق فاتّبعونى يحببكم الله و اذا صار محبوباً لله صار كلّ اعماله محبوبةً سيّئها وحسنها كأحسنها فيجزى الكلّ بمثل أحسنها، واذا صار مبغوضاً صار كلّ اعماله مبغوضة مثل اقبحها فيجزى بأسوء الّذى كان يعمل من اوّل عمره ، وقد حقّقنا فى موضعٍ آخر انّ اسماء الاشياء اسماء لفعليّاتها الاخيرة واحكامها ايضاً جارية على فعليّاتها الاخيرة فمن كان فعليّته الاخيرة فعليّة الولاية كان جزاء جميع فعليّاته جزاء فعليّته الاخيرة وجارياً عليها [وَمٰا كٰانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كٰافَّةً] جميعاً عطف على ما كان لاهل المدينة و استدراك لما يتوهّم من الآية السّابقة من لزوم ملازمة النّبىّ (ص) لجميع المؤمنين وعدم جواز التّخلّف عنه فى حالٍ من الاحوال ، مع امتناعه عادةً لاختلال معيشتهم وعدم كفاية مافى يد النّبىّ (ص) بحاجتهم وضيق محلّه عن سكناهم، وكون الآية استدراكاً مبنٍ على تلازم العلم والعمل وانّ الغاية من جميع الاعمال حصول العلم ، وحينئذٍ فوضع المؤمنين موضع ضمير اهل المدينة للاشارة الى انّ ملازمة خدمة النّبىّ (ص) واجبة لاهل الشّرق و الغرب ما لم يحصّلوا الاسلام فاذا حصّلوا الاسلام فليس عليهم الّا خروج طائفة مستعدّة لتلك الملازمة حتّى يستكملوا بالعلم والعمل ويستحقّوا الاذن فى ارشاد قومهم ، وامّا اذا جعل الآية الاولى فى الجهاد والثّانية فى تحصيل العلم فهى عطف من دون اعتبار استدراكٍ [فَلَوْلاٰ نَفَرَ] الى الجهاد او الى خدمة النّبىّ (ص) اومشايخه لتحصيل العلم [مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طٰائِفَةٌ] مستعدّون لاستكمال القوّتين العلميّة والعمليّة [لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ] ليطلبوا الفقاهة اوليكمّلوها [وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذٰا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ] بعد استكمالهم فى القوّتين و اذنهم فى الارشاد وتعليم العباد . اعلم ، انّ الفقه كمامرّ علم دينىّ يتوسّل به الى علم آخر والمقصود العلوم العقليّة الانسانيّة فانّ العلم الدّينىّ هو العلم الانسانىّ العقلىّ عقليّاً كان اوخياليّاً ، لانّ الانسان بانسانيّته طريق الى الآخرة وواقع فى الطّريق وسائر عليه ، وحيث انّه بانسانيّته سالك على الطّريق يكون علمه فى الاشتداد والازدياد دون العلم الخيالىّ الّذى يحصل بتصرّف الواهمة دون العقل سواء سمّى عقليّاً اوخياليّاً ، فانّه علم نفسىّ حيوانىّ موصل الى الملكوت السّفلى صادٌّ عن طريق الآخرة وان كان صورته صورة علم الآخرة، فالفقه كما فى الصّحيحة النّبويّة امّا علم بالاحكام القالبيّة المسمّاة بالسّنّة القائمة ولا طريق اليها الّا الوحى الالٓهىّ لخفاء ارتباطها الى عالم الآخرة وخفاء كيفيّة ايصالها اليه ، واختلافها باختلاف درجات المكلّفين بها فهى لاتحصل الّا بالاخذ والتّقليد من نبىٍّ اوممّن اخذها منه ، وامّا علم بالنّفس واخلاقها واحوالها وهى الفريضة العادلة ، وامّا علم بالعقائد الحقّة الدّينيّة وهى الآيات المحكمات لكون كلّ منها آية وعلامة من الحقّ تعالى ومبدئيّته ومرجعيّته؛ هذا اذا جعل العقل ذلك وسيلة الى مقاصده الاخرويّة ، و امّا اذا جعله الوهم وسيلة الى آماله الدّنيويّة و مآربه الحيوانيّة فلم يكن فقهاً ولاعلماً واشباه النّاس سمّوه فقهاً وعلماً ، والمراد بالتّفقّه كمال الفقاهة سواء جعل الهيئة للمبالغة اوغيرها لانّه تعالى غيّاه بالانذار والمراد بالانذار ما يكون مؤثّراً فى المنذر ، ولا يكون الانذار مؤثّراً فى المنذر الّا اذا كان المنذر كاملاً فى قوتيه العلميّة والعمليّة ، والّا فلفظ الانذار كثيراً مايجرى على لسان غير المتفقّه كانذار خلفاء الجور وعلماءهم وقصّاصهم ووعّاظهم، الّذين كانوا يأمرون ولا يأتمرون وينهون ولاينتهون ويعظون ولايتّعظون ولم يحصل من ذلك الّا وبال اتمام الحجّة عليهم لا تأثّر المخاطبين ، ولخفاء كمال النّفس فى هاتين القوّتين على المتفقّه وعلى غيره كانوا يحتاجون فى الانذار والامر والنّهى الى الاذن والاجازة من الامام اونائبه وكانت

سلسلة الاجازة منضبطة فى سلسلة العلماء الظّاهرة والباطنة [لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] موبقات انفسهم وقد ورد فى تفسير قول النّبىّ (ص): اختلاف امّتى رحمة؛ انّه اختلافهم من البلدان اليه (ص) اوالى خلفائه (ع) للتّفقّه لا اختلافهم فى الدّين حتّى يكون اجتماعهم عذاباً، ويمكن تصحيح ظاهره بان يكون المراد اختلافهم فى كيفيّة التّكليف حيث انّ كلّا مكلّف على قدر مرتبته كما قيل: حسنات الابرار سيّئات المقرّبين، وقد ورد فى تعميم الآية انّه يجرى فى النّفر بعد وفاة الامام (ع) لتعيين الامام الّذى يكون بعده و درك خدمته و تجديد التّوبة والبيعة معه، وقد فسّرت ايضاً هكذا، فلولا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد واقام طائفة للتّفقّه ليتفقّه المقيمون [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ [قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ] اى يقربون منكم فانّ التجاوز عنهم الى الاباعد لايرتضيه العقل لانّه ايقاع للانفس بين الاعداء وترك للاحتياط بالنّسبة الى من خلّفتموه فى اوطانكم [وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً] و شدّة بأس حتّى لايجترؤا عليكم [وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] فاتّقوا اغراض النّفس فى القتال من المراياة والصّيت والغنيمة تنصروا فهو تخصيص على التّقوى [وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ] عطف على مقدّر كأنّه قال لكن اذا امروا بالقتال تثبّط بعضهم واذا ما انزلت سورة [فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ] استهزاءً [أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً] جواب ورّدٌ عليهم من الله [وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] بنزولها لانّهم يرونها نعمةً لهم [وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] تعريض بالمنافقين [فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ] شكّاً و وسوسة الى شكّهم [وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ] فاستحقّوا الخلود [أَوَلَا يَرَوْنَ] توبيخ لهم على عدم عبرتهم وعدم توبتهم [أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ] بالبلايا فى ابدانهم و فى انفسهم او يمتحنون بجهاد الاعداء و ظهور آثار صدق النّبوّة بغلبتهم مع عدم تهيّة اسباب الغلبة [فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ] من نفاقهم و كفرهم و خديعتهم [وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ] انّ الافتتان من الله و انّه قادر على عذابهم [وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ] ذمّ آخر يعنى اشاروا بأنظارهم استهزاءً اوغيظاً لما يرون فيها من عيوبهم قائلين [هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ] يعنى ان قمتم وصرفتم من هذا المجلس [ثُمَّ انْصَرَفُوا] قاموا من مجلس محمّد (ص) وانصرفوا عنه غيظاً [صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ] استيناف، دعاءٌ عليهم اواخبار عن حالهم [بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] لايدركون ادراكاً يوصلهم الى طريق الآخرة ويستعقب ادراكاً آخر من امر الآخرة [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ] من جنسكم بشر اوعرب اوانسان كامل على ان يكون الخطاب للائمّة، وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ] عنتكم [حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ] على حفظكم وايمانكم [بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] التفات من الخطاب الى الغيبة، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم، وعلى تخصيص الخطاب بالائمّة فالتّصريح بالمؤمنين للتّعميم كما ورد عنهم انّ من انفسكم فينا، وعزيز عليه ما عنتّم فينا، وحريص عليكم فينا، وبالمؤمنين رؤف رحيم شركنا المؤمنون فى هذه الرّابعة [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عنك وعن الايمان بك [فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ] استظهاراً به وباعانته [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] نفياً للغير فضلاً عن الحاجة اليه [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] من قبيل عطف العلّة .

سورة يونس

مائة وتسع آياتٍ،وقيل:عشر آيات وهي مكّية كلّها:وقيل:سوى ثلاث آيات فان كنت في شكّ ممّا انزلنا اليك (الى آخرها) وقيل : الّا آية هى ومنهم من يؤمن به (الاية)

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓر] قد مضى فى اوّل البقرة و فى مطاوى ما سبق انّ امثال هذا من الرّموز الّتى يعبّر بها عمّا عاينه المنسلخ عن هذا العالم من مراتب الوجود و آياته العظمى فيلقّيها الملك بالوحى او بالتّحديث مشاراً بها الى تلك المراتب والآيات ، واذا اريدالتّعبير عن المقصود بها للراقدين فى فراش الطّبع يعبّر بالمناسبات والتّمثيلات كما يظهر الحقائق للنّائم بالمناسبات والتّمثيلات فيحتاج الى تعبيرمن خبيربصير ، فما ورد فى تفسيرها من كون الالف اشارةً الى الله ، والّلام اشارةً الى جبرئيل ، والميم اوالرّاء اشارةً الى محمّد (ص) ، وكذا ماورد من انّ معناه : انا الله الرّؤف ، تمثيل محتاجٌ الى التّعبير ، وماورد انّ الحروف المقطّعة فى القرآن حروف اسم الله الاعظم يؤلّفها الرّسول (ص) اوالامام فيدعو بها فيجاب فهو اشارة الى خواصّها الّتى تترتّب عليها بحسب اعدادها و نقوشها كما اشير اليه فى الاخبار، اوكناية عن اتّصافه بحقائقها [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ] اشارة الى المراتب المشهورة المعبّر عنها بتلك الحروف ووجوه الاعراب فى امثاله والفرق بين الكلام والكتاب قد سبق فى اوّل البقرة [الْحَكِيمِ] ذى الحكمة فى العلم والعمل لانّ المراد بالكتاب مراتب الوجود من العقول والنّفوس وهى ذات حكمة فى العلم والعمل يعنى علمها وعملها مشتملان على الدّقائق اوالمحكم الّذى لا نسخ فيه فانّ المتشابه هو جملة عالم الطّبع بحقائقها وآثارها و منه الكتاب التّدوينيّ وعالم الطّبع من حيث ذاته متشابه وان كان من حيث انتسابه الى الله محكماً [أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ] لمّا اعتقدوا انّ الرّسول لابدّ وان يكون مناسباً للمرسل والمناسب لله هو الملك تعجّبوا من ادّعاء البشر لرسالةٍ من الله واعتقدوا انّه فرية عظيمة و هذا حمق وسفاهة منهم ، فانّ الرّسول كما يكون مناسباً للمرسل ينبغى ان يكون مناسباً للمرسل اليهم ولا يكون الّا من كان ذا شأنين ؛ شأن آلهيّ و شأن خلقيّ حتّى يناسب بشأنيّة الطّرفين فأنكر سبحانه تعجّبهم و وبّخهم على ذلك [أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ] وضع المظهر موضع المضمر لئلّا يتوهّم ارادة المتعجّبين منهم

[وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا] خصّ البشارة بالمؤمنين لانّ الانذارعامّ لهم و لغيرهم و البشارة بنعم الآخرة لاتكون الّا للمؤمنين و قد يخصّ الانذار بالكفّار لانّ انذار المؤمنين لا يكون الّا من جهة غفلتهم وكفرهم الخفىّ [أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ] كما يكون سلوك البدن بالمركب اوالرّجلين كذلك سلوك النّفس ومركبها ورجلاها الصّدق ، فالصّدق بحسب الظّاهراستعارة تخييليّة واثبات القدم له ترشيح وتنكير الصّدق وافرادالقدم اشارة الى كفاية ثبات قدمٍ واحدةٍ لشيءٍ من الصّدق [عِنْدَ رَبِّهِمْ] لانّه يجزيهم بأحسن ماكانوا يعملون فاذا ثبت لهم قدم واحدة من صدقٍ ما فازوا بكلّما وعدالله المقرّبين ، و قد فسّر فى الاخبار بالشّفاعة و بمحمّد (ص) وبالولاية والكلّ صحيح كماعرفت [قَالَ الْكَافِرُونَ] بيان لانكارهم الوحى المستفاد من تعجّبهم ولذا لم يأت بالعاطف وجعله جواباً للسّؤال عنهم [إِنَّ هَذَا] القرآن اوالادّعاء من محمّدٍ(ص) اوتصرّفه فى النّاس وصرفهم الى نفسه اوالمجموع [لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] كلّ فعلٍ اوقولٍ دقيق يؤثّر فى النّفوس ولا يعلم سبب تأثيره يسمّى سحراً سواء كان بالتّصرّفات الملكوتيّة السّفليّة اوالعلويّة اوامتزاجات القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة اوبالتّصرّفات الطّبيعيّة المحضة [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] صرف الخطاب اليهم بعد ما أنكر عليهم و وبّخهم مزجاً للوعد و الوعيد و الرّحم والغضب كما هو عادته تعالى وعادة خلفائه فى الوعظ والنّصح من الشّروع فى الانذاروالوعيد والختم بالبشارة والوعد ، ولذلك ختم بوعدالمؤمنين بأبسط وجهٍ وللتّباين بينهما لم يأت باداة الوصل، وقدسبق تفسيرالآية بتمام اجزائها فى سورة الاعراف [يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ او حال عن فاعل خلق او استوى منفرداً او على التّنازع و لمّا كان خلقة السّماوات والارض وكذا استواؤه على العرش امراً قضى بحسب ظاهر الحسّ والتّدبير امراً يحتاج اليه المخلوق ما بقى ادّاه بالمضارع الدّالّ على التّجدّد ، و الامر يقال على كلّ فعل كمايقال : باىّ امرٍ اشتغلت؟ وعلى حال الشّخص، وعلى طلب الشّيء بحكومة، وعلى فعل ذلك الطّلب،وعلى المجرّدات الاله الخلق والامر اشارة اليه، وعلى المشيّة الّتى بهاخلق الاشياء الّتى يعبّرعنهابوجهٍ بالعرش وبوجهٍ بالكرسىّ وهى الولاية المطلقة والحقيقة المحمّدية (ص) ، والتّدبيرعبارة عن النّظر فى ادبار الافعال والاحوال واختيارالاحسن غاية منها ، والمقصود انّ الّذى هو خالقكم غيرغافلٍ عنكم ينظرفى اموركم واحوالكم ويختارماهوخيرلكم بحسب دنياكم وآخرتكم ، ومنه ارسال رسولٍ من جنسكم ، اوينظرفى الامر الّذى هو عالم المجرّدات وكيفيّة تنزيله الى المادّيّات فينزلّه على وفق حكمته و ما ننزّله الّا بقدرٍ معلوم اقتضته قابليّاتكم اشارة اليه ، و منه ارسال الملك فانّه لايرسل الملك اليكم بلا واسطة بشرٍ استعدّ لمشاهدته لانّه لوارسل الى غير المستعدّ لاهلكه و هو خلاف التّدبير والنّظر فى عاقبة الامور وهكذا القول فى بيانه ان فسّر الامر بالمشيّة .

تحقيق تعلّق الشّفاعة و منها الالقاء للنّاس على الاجازة من الله

[مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ] استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل : اليس لاحدٍ دخل فى امر النّاس وحالهم ؟ او فى تعلّق فعل الله و امره بعالم الطّبع ؟ ولا شفاعة اصلاً ؟ ـ فقال: لاشفاعة الّا باذنه ودخل الشّفيع باذنه تدبيره تعالى لاغيره،اوحال متداخلة اومترادفة، والشّفاعة ههنا بمعنى مسئلة العفوعن ذى سلطنةٍ لغيره اومسئلة الاحسان اليه وشاع استعماله

فى سؤال العفو للغير والشّفاعة عندالله غير مختصّة بالآخرة كما يظنّ ، بل هى ثابتة فى الدّنيا للانبياء(ع) واوصياءهم اذ استغفارهم للتّائبين البائعين على ايديهم شفاعة ، واستغفارهم بعد ذلك لهم شفاعة ، وامرهم بالخير ونهيهم عن الشّرّ ونصحهم ووعظهم كلّها نحو شفاعة ، فمن اجترأ على امر الخلق ونهيهم وبيان حلال الله وحرامه بالفتيا والوعظ الّذى جعلوه صنعة كسائر الصّنائع المعاشيّة والقضاء بين النّاس من غير اذن من الله بلا واسطة اوبواسطة فقد اجترأ على الله، والاجتراء على الله نهاية الشّقاوة وهذا كسر عظيم على من دخل واجترأ على اخذ البيعة من النّاس من غير اذن من الله، كما كان ديدن الخلفاء من بنى اميّة وبنى العبّاس ، وكما اجترأ المتشبّهة المبطلة بالصّوفيّة فدخلوا فى ذلك من غير اذن من مشايخ المعصومين(ع)، ولذلك كانت السّلف لم ينقلوا الحديث فضلاً عن بيان احكام الله بالرّأى والظّنّ ما لم يجازوا من المعصوم(ع) اوممّن نصبوه ، ومشايخ الاجازة واجازة الرّواية مشهورة مسطورة و سلسلة اجازتهم مضبوطة ، وكذا الصّوفيّة المحقّة كانوا لا يدخلون فى الامر والنّهى وبيان الاحكام و الاستغفار للخلق و اخذ البيعة منهم الّا اذا اجيزوا وسلاسل اجازاتهم مضبوطة عندهم ، وذمّ الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر والاقدام على الفتيا و الوعظ ممّن ليس له باهل خصوصاً ممّن جعله وسيلة الى اغراضه الفاسدة ، من جمع المال والتّبسّط فى البلاد والتّسلّط على العباد والصّيت وصرف وجوه النّاس اليه وادخال محبّته فى قلوبهم قد كثر وروده فى الاخبار، اعاذنا الله من هذا العار وحفظنا من شرّ امثال هؤلآء الاشرار، وقد ورد فى وصف مجلس القضاء : هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبىٌّ اووصىّ اوشقىّ، ومعلوم انّ الوصاية اذن من النّبىّ(ص) فى التّصرّف فيما له التّصرّف فيه من حيث نبوّته وماله التّصرّف فيه من حيث نبوّته هو الاحكام الآلهيّة الّتى يبلّغها الى عباده وحديث: العلماء ورثة الانبياء ، يشعر بما ذكرنا، لانّ الوراثة ليست الّا بالولادة الجسمانيّة اوبالولادة الرّوحانيّة وليست الولادة الجسمانيّة مقصودة، والولادة الرّوحانيّة لاتحصل بمحض الادّعاء بل هى نسبة خاصّة واتّصال مخصوص ووراثة المتّصل بالنّبىّ(ص) بقدر اتّصاله وقربه وبعده عن النّبىّ الّذى هو مورّثه ، ولا يحصل اصل اتّصال النّسبة الرّوحانيّة الّا بالعمل الصّورىّ و التّفاضل فى الاتّصال بحسب التّفاضل فى القرب الحاصل بمتابعته وقدر الارث يختلف بحسب التّفاضل فمن كان له شأن الانوثة كان له قسط من الارث ، و من كان له شأن الذّكورة كان له قسطان ، و العارف لذلك التّفاضل لا يكون الّا النّبىّ (ص) اوخليفته فوراثته لا تكون الّا بايرائه وهو الاذن المذكور [ذٰلِكُمُ] الموصوف بالخالقيّة والاستواء على العرش الّذى هو جملة الاشياء وبتدبير امركم فى البقاء وعدم مداخلة احد فى امركم الّا باذنه [اللّٰهُ] خبر اوبدل اوصفة على تقدير اعتبار معنى الوصفيّة فيه [رَبُّكُمْ] خبر لذلكم اوصفة لله اوخبر بعد خبر [فَاعْبُدُوهُ] يعنى اذا كان الله الموصوف بتلك الصّفات ربّكم فافعلوا له فعل العبيد اوصيروا له عبيداً ، ولمّا كان المقصود ترغيبهم فى عبادته لم يصرّح بحصر العبادة فى نفسه و نفى استحقاق الغير [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] الا تفكّرون فيه و فى اوصافه و فى آلهتكم الظّاهرة من الاصنام و الكواكب و غير المستحقّين للنّيابة الآلهيّة و فى آلهتكم الباطنة من اهويتكم الفاسدة و اغراضكم الكاسدة فلا تذكّرون انّ الحقيق بالعبادة و الاطاعة هوالله و مظاهره البشريّة النّائبة عنه لا آلهتكم الّتى لاجهة استحقاق عبادة فيهم [إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً] استيناف جوابٌ لسؤال عن العلّة اوعن حاله مع خلقه وعلى الثّانى ايضاً يستلزم التّعليل [وَعْدَ اللّٰهِ] وعدالله وعداً [حَقّاً] مفعول مطلق تأكيد لنفسه ان جعل من قبيل له علىّ درهم حقّاً ، اوتأكيد لغيره ان جعل من قبيل: ابنى انت حقّاً، اوحال من وعدالله، والموعود داماً

ارجاع الکلّ الیه او بدء الخلق و اعادتهم للجزاء [إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] بیان للموعود ولذا لم یأت باداة الوصل ، اوتعلیل لرجوع الکلّ الیه ان جعل الموعود ارجاع الکلّ الیه [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ] بالعدل الّذی هو لائق به من جزاء کلّ اعمالهم بجزاء احسنها ، او ذکر القسط هنا تمهیدٌ لوعید الکفّار للاشارة الی انّه لاظلم معهم وهو لاینافی المعاملة معهم بالفضل بعد مراعاة القسط ، والحقّ انّ حقیقة القسط هی الولایة المطلقة المتحقّق بها علیّ(ع) ، وانّ کلّ قسط یوجد فی العالم انّما هو من فروع تلک الولایة ، لکن لایسمّی القسط قسطاً شرعاً الّا اذا اتّصل الولایة التّکوینیّة بالولایة التّکلیفیّة بالبیعة العامّة النّبویّة اوبالبیعة الخاصّة الولویّة ، فالقسط شرعاً یستلزم الاسلام اوالایمان والمنظور ههنا هو ذلک الّلازم کأنّه قال لیجزی الّذین آمنوا بالبیعة العامّة اوبالبیعة الخاصّة وعملوا الصّالحات بالبیعة الخاصّة ومایشترط فیها، اوبامتثال شرائط البیعة الخاصّة بالاسلام اوبالایمان ویؤیّد هذا المعنی موافقته لقرینته فی قوله تعالی: بما کانوا یکفرون، ولم یعیّن الجزاء تفخیماً له بابهامه اشارة الی انّه جزاء لائق باعطائه [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] عطف علی الّذین آمنوا، وعلی هذا فقوله [لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] جملة مستأنفة بیان للجزاء اوعطف علی انّه یبدؤ الخلق اوعلی مقدّرٍ مستفاد من قوله لیجزی الّذین آمنوا (الی الآخر) کأنّه قال: فالّذین آمنوا (الی آخر الآیة) والّذین کفروا (الی آخر الآیة) وعلی هذا فتغییر الاسلوب للاشارة الی انّ جزاء الکفّار من الغایات بالعرض وانّه ینسب الی انفسهم لانّهم اولی بسیّئاتهم من الله [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً] استیناف فی معرض التّعلیل للبدءة والاعادة للجزاء اوللتّدبیر اوفی معرض البیان لتدبیره تعالی، ولم یذکر منازل الشّمس ولاغایة ایجادها ومنافع سیرها لانّها کثیرة لایحیط بها البیان ولانّ اکثرها مشهودة للعوامّ ولعدم شهرة منازل للشّمس بخلاف القمر [وَالْقَمَرَ نُوراً] الفرق بین النّور و الضّیاء بالعموم والخصوص وحمل الضّیاء والنّور للمبالغة اوباعتبار مایری منهما من انّهما نوران متجوهران [وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ] قدّر له منازل اوقدّره ذامنازل اوسیّره منازل [لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] فانّ الاعوام والشّهور فی نظر العوامّ منوطة بدورات القمر دون الشّمس [مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ اوبالغایة الحقّة [يُفَصِّلُ الْآيَاتِ] قریٔ بالغیبة والتّکلّم [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] ای نفصّلها بالبیان و فی الوجود لقوم لهم صفة العلم .

اعلم ، انّ الانسان من اوّل استقرار نطفته فی الرّحم بل من اوّل تولّد مادّته من العناصر الی زمان بلوغه سالکٌ علی الطّریقة القویمة الانسانیّة بتسبیبات آلهیّة، ومدرک لخیراته بادراک جمادیّ اونباتیّ اوحیوانیّ لابادراک انسانیّ ، ولایسمّی ادراکه ذلک علماً کما لایسمّی ادراک غیر الانسان من الموالید علماً، فاذا بلغ بهذا السّلوک او ان بلوغه واستغلظ فی بدنه ونفسه وحصل له العقل الّذی هو مدرک خیراته وشروره الانسانیّة،فان کان ادراکه للاشیاء بقدر مرتبته الدّانیة وقوّته الضّعیفة من حیث انّها دوالّ قدرته تعالی وآیات حکمته واسباب توجّهه وسلوکه الی الحقّ القدیم سمّی ادراکه ذلک علماً، وان لم یکن ادراکه کذلک بل یدرک الاشیاء مستقلّات فی الوجود ولم یدرکها من حیث انّها متعلّقات دالّات علی صانعها لم یسم علماً، بل یسمّی جهلاً مشابهاً للعلم، مثل ان یری احد من بعید ظلّاً لشاخصٍ ویظنّ انّ الظّلّ شاخص مستقلّ فی الوجود، وهذا کما یجری فی الآیات الجزئیّة الآفاقیّة والانفسیّة یجری فی الآیات

القرآنيّة والاخبار المعصوميّة والاحكام الشّرعيّة خصوصاً في حقّ من جعلها وسائل للاغراض الدّنيويّة، والحاصل انّ كلّ ادراك يكون سبباً لسلوكه الفطريّ على الطّريق الانسانيّ ولاشتداد مداركه الانسانيّة وازدياد ادراكاته الاخرويّة يسمّى علماً، وكلّ ادراك يكون سبباً لوقوفه عن السّلوك اولرجوعه عن الطّريق الى الطرق السّفلية الحيوانيّة يكون جهلاً بل الجهل السّاذج يكون افضل منه بمراتب؛ اذا تقرّر هذا فتفصيل الآيات تكويناً وتدويناً لايكون الغرض منه الّا ادراك من له صفة العلم لعدم انتفاع الغير به [إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] جواب لسؤال ناشٍ عن السّابق وهكذا الجمل المذكورة فيما بعد الّتى لاعاطف فيها [وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ] لمّا كان الشّمس والقمر من الآيات الظّاهرة علّق كونهما آية على صفة العلم الّتى هى اوّل مراتب الانسانيّة بخلاف سائر المخلوقات وبخلاف اختلاف اللّيل والنّهار ولذلك علّق كونهما آيةً على التّقوى الّتى مرتبتها فوق مرتبة اصل العلم فانّ التّقوى عمّا يتّقى بعد العلم بما يتّقى [إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا] جواب لسؤال ناشٍ عن تعليق الآيات على العلم و التّقوى، وعدم رجاء اللّقاء كناية عن عدم العلم فانّ العالم بالله طالب للقائه و الطّالب راجٍ كما انّ قوله [وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا] كناية عن عدم التّقوى لانّ الاطمينان بالحيوة الدّنيا مضرّ بالحيوة العليا ومفنيها [وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ] من قبيل عطف المسبّب على السّبب [أُولَٰئِكَ] تكرار المسند اليه والتّعبير عنه باسم الاشارة لتصويرهم واستحضارهم بالاوصاف المذكورة [مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] فانّ الغافل كلّما كسب كان جاذباً له الى السّفل والجحيم وان كان كسبه صورة الصّلوة والصّيام [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة اوبالبيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اى البيعة الخاصّة وشرائطها اوشرائط البيعة الخاصّة والاعمال الّتى كلّفوا بها فيها [يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ] المضاف الّذى هو ولىّ امرهم الى ملكه و ولايته على الاوّل و الى ملكوته على الثّانى [بِإِيمَانِهِمْ] باسلامهم اوبايمانهم الخاصّ اويهديهم فى الآخرة الى الجنّة [تَجْرِي] حال اومستأنف جواب سؤال [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ] متعلّق بتجرى او ظرف مستقرّ حال متداخلة او مترادفة اومستأنفٌ جواب لسؤال مقدّرٍ بتقدير مبتداء محذوف [دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ] مستأنف اوحال من جنّات النّعيم او من المؤمنين على التّرادف اوالتّداخل [وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ان هى المخفّفة . **اعلم**، انّ فى الآية اشارة اجماليّة الى درجات المؤمنين ومقامات السّالكين فانّ، آمنوا اشارة الى البيعة الاسلاميّة، وعملوا الصّالحات الى البيعة الايمانيّة والاعمال القالبيّة والقلبيّة اوالمجموع الى البيعة النّبويّة والاعمال القالبيّة، ويهديهم الى البيعة الولويّة الايمانيّة والاعمال القلبيّة والسّلوك من مقام النّفس الى مرتبة القلب، و تجرى من تحتهم الانهار اشارة الى سيرهم فوق مرتبة القلب فى مراتب الرّوح والعقل، و دعويهم فيها سبحانك اللّهمّ اشارة الى انتهاء سيرهم و آخر مراتب فنائهم و هو فناؤهم عن ذواتهم و عن فنائها، و تحيّتهم فيها سلام اشارة الى بقائهم بالله فى الله من غير صحو و بقاء فانّ فيه السّلامة على الاطلاق

و آخردعويهم ان الحمدلله ربّ العالمين اشارة الى حشرهم الى اسم الرّحمن وبقاءهم بالله فى الخلق لتكميل الغير، وبعبارة اخرى اشارة الى اسفارهم الاربعة اى السّفرمن الخلق الى الحقّ بقوله: آمنوا وعملوا الصّالحات، و السّفر من الحقّ الى الحقّ بقوله : يهديهم (الى) سبحانك اللّهمّ ، و السّفر فى الحقّ بقوله تحيّتهم فيها سلام ، والسّفر بالحقّ فى الخلق بقوله وآخردعواهم ، رزقنا الله وجميع المؤمنين [وَلَوْيُعَجِّلُ اللهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ] عطف على انّ الّذين لا يرجون لقاءنا وتخلّل انّ الّذين آمنوا غيرمخلّ بالوصل والعطف لانّه جوابٌ لسؤال ناشٍ عن المعطوف عليه فكأنّه من متعلّقاته كأنّه قال : انّ الّذين لايرجون لقائنا حالهم كذا مع انّ حال المؤمنين كذا ولو عجّلنا لهم الشّرّ الّذى استحقوه لم يبقوا فى الدّنيا متمتّعين [اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ] تعجيلاً مثل تعجيله لهم الخير فالباء للتعدية اومثل حثّه وحمله ايّاهم على العجلة فى الخير اوبالخير فالباء بمعنى فى او للسببيّة او مثل عجلتهم فى الخير اوبسبب الخير [لَقُضِيَ اِلَيْهِمْ اَجَلُهُمْ] لاقضى اليهم قضاء مدّتهم الّتى اجلّوا فيها اولاقضى اليهم آخرعمرهم الّذى اجلّوا اليه [فَنَذَرُ الَّذينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنا فى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ] عطف على لو يعجّل الله باعتبار المعنى اى لم يعجّل فنذر الّذين لايرجون أو جزاء شرطٍ محذوفٍ اى اذا لم نقض اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم [وَاِذامَسَّ الْاِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ] حالكونه على جنبه فالّلام بمعنى على والمقصود مطلق القاء البدن على الارض سواء كان على الجنب اوالظّهر اوالوجه ويعبّر بالالقاء على الجنب عن مطلق احوال الالقاء كثيراً فى العرب والعجم [اَوْقاعِداً اَوْقائِماً] اى فى جملة الاحوال فلفظة او لتفصيل الاحوال [فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ] كان المناسب ان يقول فاذا كشفنا حتّى يصحّ تعقيبه للشّرط المستقبل لكنّه اداّه بالشّرط الماضى اشارة الى انّ مسيس الضرّ والدّعاء عقيبه سجيّة للانسان مستغرق للماضى والمستقبل كأنّه قال: اذا مسّ الانسان الضرّ دعانا وقد مسّه الضرّ فدعانا فلمّا كشفنا عنه ضرّه [مَرَّ كَاَنْ لَمْ يَدْعُنا اِلى ضُرٍّ مَسَّهُ] كناية عن اعراضه وعدم عنايته بشأن من كان محتاجاً اليه و متنعّماً به و قد صارهذه العبارة مثلاً فى العرب و العجم فى هذا المعنى اذا ذكر بعده ما يدلّ على تشبيه حال المحتاج بغير المحتاج [كَذٰلِكَ] اى مثل مازيّن للمكشوف الضرّ اعمالهم حتّى لايبالوا بمن دعوه لكشفه وغفلوا عنه [زُيِّنَ لِلْمُسْرِفينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] من اتّباع الشّهوات والانهماك فيها حتّى وقعوا فى الغفلات [وَلَقَدْ اَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَمُوا] انفسهم بالغفلة وعدم المبالاة بسخط الله ومكره وهوتهديد للغافلين [وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ] فما اكترثوابهم وببيّناتهم لغاية غفلتهم [وَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا] لغاية غفلتهم وانهماكم فى الشّهوات لتزيين الشّيطان لهم اعمالهم الشّهويّة [كَذٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمينَ ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ] اى خلائف لنا اوللاسلاف [فِى الْاَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَاِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ اٰياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذينَ لايَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْاٰنٍ غَيْرِ هٰذا] وهم الواقعون فى جهنّام النّفس والنّفس كالمرأة الخبيثة لاترضى بوضع يحصل لها وتتمنّى دائماً غير الوضع الّذى هو حاصل لها وهؤلآء باقتضاء فطرة النّفس سئلوا تبديل القرآن [اَوْبَدِّلْهُ] يعنى اترك هذا القرآن وائت بمكانه قرآناً نرتضيه، اوغيّره بتبديل مالانرتضيه

الى ما نرتضيه [قُلْ مٰا يَكُونَ] مايصحّ [لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ] اى اغيّره بترك اصله اوبتبديل آياته اواقتصر على الامتناع عن التّبديل ليدلّ على انّ تركه اصلاً اولى بالامتناع [مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسِي] بدون امر ربّى [إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ] يعنى ليس لى نفسيّة وامرنفس واتّباع لامر النّفس لانّ شأنى واتّباعى مقصور على امرربّى [إِنِّي أَخٰافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] جواب سؤال عن العلّة وتعريض بهم حيث يعصون ولايخافون [قُلْ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاٰ أَدْرٰاكُمْ بِهِ] اى لا اعلمكم الله به على لسانى يظنّ فى بادى النّظر انّ حقّ العبارة ان يقال : لو لم يشأ الله ما تلوته حتّى يفيد ترتّب عدم التّلاوة على عدم المشيّة و يستفاد من مفهومه ترتّب التّلاوة على المشيّة ، ومفاد الآية ترتّب عدم التّلاوة على المشيّة و استلزامه بحسب المفهوم لترتّب التّلاوة على عدم المشيّة والحال انّ الوجودىّ يحتاج الى العلّة الوجوديّة والعدم لاعلّة له ، وماقالوا: علّة العدم عدم ، فهو من باب المشاكلة ولوسلّم فيقتضى تعليق عدم التّلاوة على عدم المشيّة لاعلى نفس المشيّة ، والجواب انّه تعالى اراد ان يشير الى انّه لا شأن له (ص) عدميّاً كان اووجوديّاً الّا وهو متعلّق بمشيّة الله والعدم الصّرف وان كان لاعلّة له ولاتعلّق له بشيءٍ ، لكنّ الاعدام الشّأنيّة اى اعدام الملكات كالوجوديّات تقتضى علّة وتعلّقاً واذا كان عدم تلاوته مع انّه عدمىّ متعلّقاً بمشيّته تعالى فتلاوته كانت متعلّقة بالطّريق الاولى، لانّها حادثة وجوديّة مقتضيته للعلّة والتّعلّق، ومفهوم الآية تعلّق التّلاوة بعدم مشيّة عدم التّلاوة وهو اعمّ من مشيّة التّلاوة اوعدم المشيّة مطلقاً [فَقَدْ لَبِثْتُ] الفاء عاطفة على لوشاء الله ماتلوته بملاحظة المعنى مع اشعاره بالسببيّة للاثبات كأنّه قال : تلوته بمشيّة الله لابمشيّتى وادّعائى ذلك بسبب لبثى فيكم وعدم ظهور مثل ذلك منّى ،كأنّه اشار بتلك السببيّة الى قياسين اقترانيّين من الشّكل الاوّل وقياسٍ استثنائىّ مأخوذٍ من نتيجة القياس الثّانى واستثناء نقيض تاليه ترتيبه هكذا : لو لم يكن القرآن باتّباع الوحى ومشيّة الله لكان باختلاقٍ من تلقاء نفسى وكلّما كان باختلاقٍ من تلقاء نفسى ظهرمثل ذلك منّى قبل ذلك ؛ ينتج لو لم يكن بمشيّة الله لظهر مثله قبل ذلك وكلّما ظهر مثله قبل ذلك شاهدتموه وسمعتموه ولكن لم تشاهدوه منّى فقد لبثت [فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ] قبل القرآن مدّة اربعين سنة لايظهر عنّى امثال ذلك ، وماسمعتم منّى [أَفَلاٰ تَعْقِلُونَ] لاتدركون بعقولكم اولاتتصرّفون فى مدركاتهم بعقولكم او لا تصيرون عقلاء [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيٰاتِهِ] تعريض بنفسه و بهم على سبيل التّرديد على طريقة الانصاف مع الخصم بعد ما اثبت كونه غير مفترٍ كأنّه قال : ان كنت مفترياً على الله كما تكنون بذلك فانا اظلم النّاس وان كنت آتياً بآيات الله وتكذّبونها فانتم اظلم النّاس، اوتعريض بكلتا القرينتين بهم ويكون او للتّفصيل لا للتّشكيك كأنّه قال بعد ما اثبت انّى غير مفترٍ: فانتم اظلم النّاس من جهة افترائكم على الله بنصب الآلهة لانفسكم وبتكذيب آياته [إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ] فى موضع التّعليل [وَيَعْبُدُونَ] عطف بملاحظة المعنى المقصود بالتّعريض يعنى هم يفترون ويكذّبون ويجرمون ويعبدون [مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَضُرُّهُمْ وَلاٰ يَنْفَعُهُمْ] من الاصنام والكواكب عبادة العبيد ومن الاهوية والآراء والشّياطين عبادة اتّباعيّة ، ومن غير من نصبه الله من رؤساءهم الدّنيويّة اورؤساءهم الدّينيّة بزعمهم عبادة طاعةٍ ، والمقصود من نفى الضّرّ والنّفع نفى ما يتوهّمونه ضرّاً ونفعاً ممّا يؤل الى دنياهم من غير نظرٍ الى عبادتهم والّا فهى بعبادتهم

ايّاها تضرّهم غاية الضرّ ويقولون [هٰؤُلاءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَاللّهِ] كما يقول الوثنيّ : انّ اصنامنا شفعاؤنا عندالله ، وكما يقول اكثر الصّابئين : انّ الكواكب شفعاؤنا ، و بعض يقول : هى قديمة مستقلّة فى الآلهة ، كما يقول الزّرداشتيّون : النّار تشفعنا عندالله ، وكما يقول المطيعون لمن يزعمونهم رؤساء الدّين : هؤلآء وسائط بيننا و بين الله ، وكما يقول المتّبعون للاهواء و الشّياطين فى صورة الاعمال الشّرعيّة الصّادرة من اتّباع النّفس والشّياطين: هى وسائل بيننا وبين الله واسباب قربنا الى الله والحال انّها وسائل الشّيطان واسباب القرب الى الجحيم والنّيران [قُلْ] استهزاءً [اَتُنَبِّؤُنَ اللّهَ بِمٰا لايَعْلَمُ فِى السَّمٰواتِ وَلافِى الْاَرْضِ] بالشّفعاء من حيث شفاعتهم اوبشفاعتهم يعنى انّ ما فى السّماوات والارض معلوم له وما ليس معلوماً له فيهما فلايكون [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالىٰ عَمّٰايُشْرِكُونَ وَمٰا كٰانَ النّٰاسُ اِلّاٰ اُمَّةً واٰحِدَةً] يعنى قبل بعثة الرّسل البشريّة كانوا على مقتضيات شهوات النّفوس آمّة لهامتوجّهة اليها وبعد بعثة الرّسل انصرف طائفة عنها الى مادعتهم الرّسل اليه من الخيرات الاخرويّة الانسانيّة وابى طائفة [فَاخْتَلَفُوا] وقبل بعثة الرّسل الباطنة من العقول كانوا على مقتضيات النّفوس الحيوانيّة آمّة لها وبعد بعثة الرّسل الباطنة انصرف طائفة من قواهم الى مادعتها الرّسل اليه وبقيت طائفة فاختلفوا وتنازعوا و تقاتلوا [وَلَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] كلمة امهالهم وآجالهم المؤخّرة المعيّنة سبقت فيما كتبه الملك المصوّر فى أرحام أمّهاتهم اوسبق ثبتها فى الالواح والاقلام العالية [لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمٰا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] لحكم باظهار الحقّ والباطل وتميز الحقّ عن المبطل [وَيَقُولُونَ] استهزاءً اواستظهاراً [لَوْلاٰ اُنْزِلَ عَلَيْهِ] اى على محمّد(ص) [آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] ممّا اقترحناه اوممّا يدلّ على رسالته [فَقُلْ] الفاء جواب شرط محذوف اومتوهّم اى اذا قالوا فقل [اِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ] علم الغيب مختصّ به فلا اعلم انا ولا انتم ما يترتّب على انزال الآية من المفاسد والمصالح وهو يعلم فلا ينزل الآية لما فيها من المفاسد وفى تركها من المصالح اوعالم الغيب ملك الله ليس لى تصرّف فيه ولاتسلّط عليه حتّى اجيب مقترحكم اوانزل منه ما اريد ، فانا وانتم سواءٌ فى ذلك [فَانْتَظِرُوا] نزول الآية و الفاء مثل سابقه [اِنّى] مثلكم [مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ] ويحتمل ان لايكون قوله فقل انّما الغيب (الآية) مماشاةً معهم بل يكون تهديداً لهم على استهزاءهم والمعنى انّ الغيب لله ينزّل منه مايشاء من عذابكم وعذابى والرّحمة بكم و بى فانتظروا نزول عذابه انّى معكم من المنتظرين ويؤيّد هذا المعنى تهديدهم بالآية الآتية [وَاِذٰا أَذَقْنَا النّٰاسَ رَحْمَةً] سعة وصحّة و أمناً فانّها من آثار الرّحمة وان كانت قد تصير نقمة اوهى رحمة فى انظارهم القاصرة عن ادراك الغايات [مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُمْ] وهى ضدّ المذكورات [اِذٰا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيٰاتِنٰا] الكبرى البشريّة او الصّغرى الآفاقيّة والانفسيّة والتّدوينيّة فانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى، والمكر فى الآيات الكبرى بالاضرار بالحيل الخفيّة ، وفى الآيات الصّغرى فى المعجزات بحملها على السّحر ونحوه من الوجوه الخفيّة ، وفى غيرها باخفائها وتلبيسها على الغير اوتأويلها على مقتضى شهواتهم [قُلِ اللّهُ اَسْرَعُ مَكْراً] انفذ مكراً واسبق مكراً فانّ مكركم فى الآيات فى الحقيقة مكر الله فيكم فمكره اسبق من مكركم فى كلّ حال ونسبة المكر الى الله من باب المشاكلة اوالمشابهة والّا فالماكر يقال للعاجز عن اعلان المخاصمة المنصرف عنه الى اخفائها [اِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ] تهديدٌ لهم بظهور مايظنّونه خافياً عليه بواسطة

الرّسل وصرف للخطاب عنه (ص) اليهم والتفات من الغيبة الى التّكلّم ليكون ابلغ فى الانذار على قراءة تمكرون بالخطاب وهو جواب سؤالٍ ناشٍ عن سابقه كأنّه قيل: هل الله يعلم مانمكر حتّى يمكربنا [هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ] بمنزلة التّأكيد والاضراب من غير الابلغ الى الابلغ فى الجواب كأنّه قال: بل نعلم ماتمكرون بدون واسطة الرّسل وانتم بحسب الفطرة تعلمون ذلك لانّانحن الّذى نسيّركم، والتّسيير يستلزم العلم بدقائق احوال المسيّر والمسيّر فيه و المسيّر له وانتم اذا رفع عنكم غشاوة الخيال تعلمون ذلك، لانّكم تدعونه وقت انقطاع الوسائل وحيل الخيال عنكم فتعلمون انّه هو الّذى يعلم حالكم و دعاءكم و يقدر على اجابتكم و رفع البلاء عنكم فتدعونه مخلصين عن اغراض الخيال، لكنّكم اذا رفع عنكم البلاء وتسلّط عليكم الخيال احتجب بأغراضكم الخياليّة و اهويتكم النّفسانيّة معلومكم الّذى تكونون مفطورين عليه فتشركون به غيره، فهو تأكيد للجواب وتفظيع لهم بالتّبع، والمراد بتسييره تعالى تمكينه ايّاهم من السّير بتهيّة اسبابه الدّاخلة من قواهم العلّامة والعمّالة والخارجة من تسطيح الارض وتسخير المراكب وجعل ما يحتاج اليه من المأكول والمشروب والملبوس ممّا يمكن نقله، اونقول لكلّ متحرّكٍ محرّكٌ لامحالة والمحرّك الاوّل فى الحركات الاختياريّة هو النّفس المسخّر لها القوى والنّفس بالنّسبة الى الله تعالى مثل القوى بالنّسبة الى النّفس لااستقلال لها فى شأنٍ من شؤنها، فكما انّ فعل القوى ينسب الى النّفس حقيقة بل النّفس اولى بنسبتها من القوى فكذلك فعل النّفس بالنّسبة الى الله تعالى فالمسيّر وان كان هى النّفس اوّلا لكنّه الحقّ الاوّل تعالى حقيقة والنّفس كالآلة له؛ فصحّ نسبة التّسيير اليه تعالى بطريق الحصر [فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰى إِذٰا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهٰا] التفات من الخطاب الى الغيبة [جٰاءَتْهٰا رِيحٌ عٰاصِفٌ وَجٰاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكٰانٍ] من امكنة البحر يعنى من جميع جوانب السّفن [وَظَنُّوا] أيقنوا لمامرّ مراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّة فهى ظنون، او المراد حقيقة الظّنّ لانّ ظاهر الامواج وان كان مورثاً ليقينهم لكن رجاءهم بالغيب المفطور على العلم به وبقدرته على انجائهم مورث لاحتمال الانجاء [أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ] اى اهلكوا و التّأدية بالماضى للاشارة الى تحقّقه كأنّه وقع وهذا يؤيّد كون الظّنّ بمعنى اليقين وهو صار مثلاً فى الهلاك، واصله من قولهم: احاط به العدوّ فلاسبيل للخلاص له ولامسلك للخروج [دَعَوُا اللّٰهَ] بدل من ظنّوا بدل الاشتمال، اوجواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: مافعلوا؟ [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] طريق الدّعاء اوطريق النّفس الى الله اواعتقادهم التّوحيد وسائر عقائد الدّين اوملّتهم الّتى أخذوها ديناً من نبيّهم و وجه الاخلاص قد مضى من انّ تسلّط الخيال و تصرّفه يورث الشّرك الظّاهر و الباطن و حين تراكم البلاء و تلاطم امواجه ينقطع حيله ويفرّ و يقول كالشّيطان: انّى ارى مالاترون انّى اخاف الله ربّ العالمين فيبقى التّوحيد الفطرىّ بلا معارضٍ ولا حجابٍ [لَئِنْ أَنْجَيْتَنٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ] تفسير للمدعوّ به المحذوف تقديره: دعوا الله بشيءٍ لئن انجيتنا، اومفعول لقولٍ محذوفٍ حالاً [فَلَمّٰا أَنْجٰاهُمْ إِذٰا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ] يعنى خرجوا من الشّكر و نكثوا حلفهم ونقضوا عهدهم لعود الخيال وحيله واغشيته البهم بغى عليه عدا وظلم، وبغى وعدل عن الحقّ واستطال وكذب، وبغى فى مشيه اختال واسرع، وبغاه طلبه والكلّ مناسب ههنا [بِغَيْرِ الْحَقِّ] تقييد للبغى فانّ البغى باىّ معنىً كان قد يكون بالحقّ

مثل ما يرى من اهل الحقّ من التّجاوز عن الحدّ وصورة الظّلم والعدول عن الحقّ تقيّة والاستطالة والكذب فى موقعه والاختيال فى محلّه وطلب الدّنيا بامر الرّبّ [يٰاأَيُّهَا النَّاسُ] بعد ما ذمّهم بالنّكث و البغى توجّه اليهم بالنّداء وذكر انّ وبال بغيهم راجع عليهم ليكون اردع [إِنَّمٰا بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ] لايتعدّاها فى الحقيقة الى غيركم فانّ الانسان ما لم يفسد قوى نفسه بصدّها عن مطاوعة العقل لايفسد غيره، وافساده غيره وان كان افساداً له ظاهراً لكنّه اصلاح له حقيقة، فيبقى البغى افساداً لنفس الباغى فقط وعلى هذا فعلى انفسكم خبر عن بغيكم ويحتمل وجوهاً من الاعراب وهى كون بغيكم بمعنى اوبتضمين معنى يقتضى التّعلّق بعلى وكون الجارّ متعلّقاً به و [مَتٰاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] بالرّفع خبراً عنه او على انفسكم خبراً ومتاع الحيوة الدّنيا خبراً بعد خبر، اوخبر مبتدء محذوف حالاً من المستتر فى الظّرف اومستأنفاً، وعلى قراءة نصب متاع الحيوة الدّنيا فالخبر هو الظّرف ومتاع الحيوة الدّنيا نائب عن مصدر بغيكم، اومصدر لفعل محذوف حالاً اومستأنفاً، اومنصوب على الذّمّ اى اذمّ متاع الحيوة الدّنيا، وعلى قراءة نصب المتاع يحتمل كونه مفعولاً لبغيكم ايضاً، ويحتمل وجوهاً اخر بعيدة مثل كون الظّرف لغواً ومتاع الحيوة الدّنيا بالرّفع او بالنّصب بوجوه كونه غير خبر و الخبر محذوفاً مثل محذور اوثقل ووبال [ثُمَّ إِلَيْنٰا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] جواب سؤال ناش عن ذمّ متاع الحيوة الدنيا [كَمٰاءٍ] كمثل ماء [أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ] اختلاط النّباتات كثرتها وتداخل انواعها المختلفة بعضها بعضها خلال بعض [مِمّٰا يَأْكُلُ النّٰاسُ وَالْأَنْعٰامُ حَتّٰى إِذٰا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهٰا] الوان نباتها فانّ زخرف الارض الوان نباتها [وَازَّيَّنَتْ] تزيّنت باصناف النّبات وازهارها واخضرارها واختلاف الوان رياحينها واشكالها واختلاطها بحيث يعجب النّاظر اليها [وَظَنَّ أَهْلُهٰا] اهل الارض او اهل الزّخرف فانّه باعتبار معناه الّذى هو الوان النّبات اذا اضيف الى الارض يجوز ارجاع ضمير المؤنّث اليه [أَنَّهُمْ قٰادِرُونَ عَلَيْهٰا] على الارض بانباتها و انماء نباتها و ابقائه الى ان انتفعوا به اوعلى الزّخرف بانباتها و انمائها و ابقائها و ذلك لكمال غفلتهم و اغترارهم بتدبيرهم [أَتٰيهٰا] اتى الارض او الزّخرف [أَمْرُنٰا] باهلاكها و استيصالها بالعاهات و الآفات [لَيْلاً أَوْ نَهٰاراً فَجَعَلْنٰاهٰا] اى الزّخرف [حَصِيداً] محصودة و الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكّر والمؤنّث و هو فى اللّغة اسم لما حصده الانسان بالحديد لكنّه صار مثلاً فى كلّ ما استوصل بحيث لم يبق منه شيء [كَأَنْ لَمْ تَغْنَ] لم تقم اولم تكن [بِالْأَمْسِ] يعنى قبل ذلك الزّمان فهو ايضاً صار مثلاً فى الزّمان القريب، **اعلم**، انّ هذه التّمثيل من احسن اقسامه لتطابق جميع اجزاء الممثّل به والممثّل له فى التّشبيه حيث انّ النّفس الانسانيّة النّازلة من سماء الارواح كالماء النّازل من السّماء الدّنيا وبدن الانسان كالارض فى استقرار النّفس والماء وقواه كنبات الارض فى اختلاف انواعها و اغترار الانسان بقوّة قواه و اشتدادها كاغترار اهل الارض بزخرفها و استيصال قوى الانسان بالاجل كاستيصال اصناف النّبات بالآفة [كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ] آيات العالم الكبير و العالم الصّغير [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] يستعملون قوّتهم المتصرّفة فى معلوماتهم بالضّمّ و التّفريق الّتى تسمّى باعتبار استخدام العاقلة

لها مفكّرة وباعتبار استخدام الواهمة متخيّلة ، فانّ التّفكّر هو استعمال المفكّرة اوالمتخيّلة في التّصرّف في المعلومات ، وامثال هذه الآيات المتراكمة المتداخلة المتوافقة المتخالفة لا يدركها الّا من كان عالماً متفكّراً [وَاللهُ يَدْعُوا إِلٰى دٰارِ السَّلامِ] عطف على نفصّل الآيات او على كذلك نفصّل الآيات ومقتضى المقام ان يقول وندعو الى دار السّلام ليتوافق المتعاطفان في الفعليّة و في المسند اليه لكنّه عدل عن التّكلّم وعن الفعليّة الى الاسميّة ولذا يتراءى المنافرة بين المتعاطفين للاشارة الى علّة الحكم وانّ الآلهيّة تقتضي ذلك ، وتقديم المسند اليه لتأكيد الحكم ولشرافته وللاشارة من اوّل الامر الى علّة الحكم ، ودار السّلام دار الله لانّ السّلام من اسمائه تعالى ، اودار السّلامة من جملة الآفات البدنيّة والنّفسانيّة ، ولمّا كان الدّعوة عامّةً بخلاف الهداية الخاصّة اطلق هذه وقيّد الهداية [وَيَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ إِلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] والمراد بالدّعوة الدّعوة الظّاهرة الجارية على السنة الانبياء ولذا كانت عامّة و بالهداية الهداية الخاصّة الى وليّ الامر وهو الصّراط المستقيم و لذا اتى بها بعد الدّعوة ، لانّ تلك الهداية تكون بعد قبول النّبوّة والبيعة العامّة النبويّة وقيّدها بمن يشاء لانّ الدّعوة الباطنة و البيعة الخاصّة خاصّة بمن شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلاً [لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الْحُسْنٰى] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : مالمن انتفع بالآيات وقبل الدّعوة واهتدى ؟- فقال: للّذين احسنوا منهم العاقبة الحسنى ، اوالمثوبة الحسنى ، واصل الاحسان قبول الولاية وكلّ قول وفعل وحال وخلق يكون للانسان من جهة الولاية كان احساناً لانّ الحسن الحقيقيّ هو الولاية المطلقة الّتي مظهرها عليّ (ع) ، والولايات الجزئيّة حسنة بحسنها وكلّ من اتّصل بالبيعة الخاصّة بعليّ (ع) بلاواسطة اوبواسطة الاولياء الجزئيّة صار ذا حسنٍ ، وهو المراد بالاحسان هنا ، ومن صار ذاحسن ولم ينقطع حبل اتّصاله ولا ينقطع الّا نادراً اتّصل اتّصاله البشريّ بالاتّصال الملكوتيّ و الجبروتيّ بملكوت عليٍّ (ع) وجبروته ، وهو العاقبة الحسنى والمثوبة الحسنى لااحسن منها [وَزِيٰادَةٌ] هي لوازم الاتّصال بملكوت وليّ الامر من الرّاحة في الدّنيا والخلاص من آلامها والجنّة ونعيمها في الآخرة ، واختلاف الاخبار في تفسيرها يرفعه ما ذكرنا [وَلٰا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ] لا يغشيها [قَتَرٌ] غبرة فيها سواد [وَلٰا ذِلَّةٌ] و هما كناية عمّا يعروها من اثر الحزن وشدّة الحاجة و ذلك لما عرفت من انّ المتّصل بملكوت وليّ الامر ليس له الم حزن ولا حاجة [أُولٰئِكَ] التّأدية باسم الاشارة البعيدة للتّفخيم ولتصويرهم بما ذكر من الاوصاف [اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئٰاتِ] عطف على جملة للّذين احسنوا الحسنى من قبيل عطف الجملة اوعلى الّذين احسنوا الحسنى بتقدير الّلام من قبيل العطف على معمولي عاملين مختلفين عطف المفرد وهو اولى لموافقته لسياق الكلام ولسلامته عن الحذف [جَزٰاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهٰا] قد سبق انّ السّيّئة لمّا كانت مخالفة لمقتضى الفطرة لا تقوى على تنزيل الانسان زيادة على قدر قوّتها، والحسنة لمّا كانت موافقة لفطرته ترفعه زائداً على قدر قوّتها عشر امثالها الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء [وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مٰا لَهُمْ مِنَ اللهِ] من سخط الله اومن جانب الله [مِنْ عٰاصِمٍ كَاَنَّمٰا اُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا] لغاية الحزن وشدّة الالم [أُولٰئِكَ اَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] يعني المؤمنين والكافرين ، اوالكافرين وشركاءهم، اوالمؤمنين وأئمّتهم والكافرين وشركاءهم [جَمِيعًا] عطف على محذوفٍ متعلّق بالجمل

السّابقة من قوله للّذين احسنوا الى اغشيت وجوههم اى فى الدّنيا اويوم الموت اويوم الرّجعة و يوم نحشرهم اوالمعطوف والمعطوف عليه كلاهما محذوفان والتّقدير ذكّرهم بما ذكر و ذكّرهم يوم نحشرهم او متعلّق بزيّلنا على تقدير امّا او توهّمه او زيادة الفاء ، او متعلّق بزيّلنا المذكور تفسيره [ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا] بالله او بالولاية [مَكَانَكُمْ] الزموا ولا تبرحوا اوهو اسم فعل و [أَنْتُمْ] تأكيد للمستتر فيه تصحيحاً للعطف عليه [وَشُرَكَاؤُكُمْ] فى الاله او فى العبادة او فى الولاية او فى الطّاعة او فى المحبّة او فى الوجود [فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ] اوقعنا التّفرقة بين المؤمنين والكفّار او بين الكفّار وشركاءهم [وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ] باحد الوجوه [مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ] المرادبالعبادة ههنا اعمّ من العبادة المعروفة ، والمرادبشركاؤهم الشّركاء فى العبادة لانّهم فى الحقيقة عبدوا اهواءهم ومن عبادة اهواءهم تولّد عبادة الشّركاء الظّاهرة [فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] عطف على ماكنتم ولمّا كان مرتبة الاستشهاد بعد ابراز الدّعوى عطفه بالفاء واستشهد شركاءهم بالله على نفى عبادة المشركين لهم ، لانّه كان العالم بحقيقة الحال وانّهم بعبادة الشّركاء واطاعتهم ماكانوا عابدين الّا اهويتهم وما ارادوا بذلك الّا حصول مشتهياتهم فهم كانوا عابدين لانفسهم الخبيثة مصدراً ومرجعاً، اعاذنا الله من ان يقول يوم العرض لنا: ماكنتم ايّاى تعبدون، لانّ الدّاعى لعبادتكم كان اهويتكم لاامرى والمقصود كان حصول اغراضكم لارضاى [إِنْ كُنَّا] ان هى المخفّفة [عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ] نفوا دعوى المعبوديّة لانفسهم كما نفوا عبادة المشركين لهم [هُنَالِكَ] المقام اوالزّمان [تَبْلُو] تختبر [كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ] فتعرف حقّها عن باطلها او صحيحها عن سقيمها و جيّدها عن مغشوشها لحدّة بصرهم و صفاء ادراكهم فيدركون ايّها صدر عن النّفس الامّارة والشّيطان وايّها صدر عن العقل بشركة النّفس و ايّها صدر عن العقل ثمّ طرء عليه اغراض النّفس [وَرُدُّوا] بعد ما عرفوا اعمالهم [إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ] التّوصيف بالحقّ تعريض ببطلان معبوداتهم [وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الشّركاء لكونها باطلة [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بالرّزق الانسانىّ [وَالْأَرْضِ] بالرّزق الحيوانىّ اوبكليهما باعداد كليهما [أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ] اقتصر على المدارك الجزئيّة المحسوسة و منها على اشرفها وانفعها للانسان اعنى السّمع والبصر افادة لمملوكيّة غيرها بالطّريق الاولى والمراد بمالكيّته تعالى لهاكونها تحت قدرته بحيث لامدخليّة لاحد غيره فيها فيعطى و يمنع و يأخذ و يبقى ويجعل سليماً و مأوفا وقويّاً وضعيفاً مايشاء منها لمن يشاء [وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ] و المراد باخراج الحىّ اعمّ من اخراج الحيوان من مادّته الميتة وانشاء النّفس الحيّة بالذّات من البدن الميتة واخراجها منه بالموت اوبالنّوم واخراج المؤمن الّذى هو حىّ بالحيوة الانسانيّة من الكافر الّذى هو ميّت عنها واخراج المثال الصّاعد من عالم الطّبع وهكذا اخراج الميّت من الحىّ [وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] قد مضى تفسير هذه الكلمة فى اوّل السّورة [فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ] الفاء زائدة والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اوالفاء جواب شرط محذوف اوخالصة للسببيّة [فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ] توبيخاً لهم اوامراً لهم بالتّقوى بعد اقرارهم بكون الكلّ بقدرته [فَذَٰلِكُمُ] الموصوف بما ذكر [اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ]

تعريض ببطلان شركاءهم كمامرّ، وفي اعرابه وجوه احسنها ان يكون ذلكم مبتدء والله صفة او بدلاً منه وربّكم خبراً عنه والحقّ صفة له [فَمٰاذٰا بَعْدَ الْحَقِّ] بعد الانصراف عنه اوبعد الحقيّة [اِلَّا الضَّلالُ فَاَنّٰى تُصْرَفُونَ] وليس انصرافكم الّا الى الضّلال لعدم الواسطة [كَذٰلِكَ] متعلّق بتصرفون و [حَقَّتْ] ابتداء كلام او متعلّق بحقّت و على ایّ تقدير فالجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : فلا ينبغي لاحد ان ينصرف عنه فقال كحقيّة الرّبوبيّة اوككون الضّلال بعد الحقّ اوكانصرافهم عن الحقّ حقّت [كَلِمَةُ رَبِّكَ] اى الضّلال او حكمه بالضّلال او عدم ايمانهم [عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا] خرجوا عن الحقّ اوعن طاعة العقل او النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) [اَنَّهُمْ لاٰيُؤْمِنُونَ] بتقدير الباء اوالّلام اوبدل من كلمة ربّك [قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] ذكر الاعادة فى الالزام امّا لكون المخاطبين معتقدين بالاعادة اولوضوح برهانها اوللاكتفاء بالابداء فى الالزام و ذكر الاعادة للتّنبيه والاستطراد، اوالمراد بالاعادة هوتكميل المواليد بالبلوغ الى كمالاتها المترقّبة منها ولمّا لم يكن لهم جواب سوى الاعتراف بانّ الله هوالمبدأ و المعيد وليس هذا من فعل الشّركاء امر تعالى نبيّه (ص) ان يجيب عنهم فقال [قُلِ اللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ] الى اين تصرفون عن الله بعد قدرته وعجز الشّركاء [قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكٰائِكُمْ مَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقِّ] و لمّا كان ههنا عدم تبادرهم الى الجواب متوقّعاً لخفاء هداية الله عليهم اولاحتمالهم هداية اصنامهم امره (ص) بالتّبادر الى الجواب من قبلهم فقال [قُلِ اللّٰهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِى اِلَى الْحَقِّ] مقول قوله (ص) او استيناف كلام من الله [اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰيَهِدِّى] قرئ يهدّى بتشديدالدّال من اهتدى بابدال التّاء دالاً وادغامها وقرئ حينئذٍ بكسر الهاء على قانون تحريك السّاكن بالكسرة وبفتحها على نقل حركة التّاء، وقرئ فى صورة كسر الهاء بفتح الياء على الاصل وبكسرها على اتّباعها، وقرئ بتخفيف الدّال من الهدى بمعنى الرّشاد اوبمعنى الدّلالة [اِلّاٰ اَنْ يُهْدٰى] تنزيل الآيات فى الاشراك بالآله وتأويلها فى الاشراك بالولاية ولذا فسّر من يهدى بمحمّد (ص) وآله (ع) من بعده (ص)، وعلى التّأويل يجوز تفسير الآية هكذا قل هل من شركاءكم من يهدى غيره اويهتدى بنفسه الى الحقّ قل الله فى مظاهره النّبويّة او الولويّة يهدى غيره اويهتدى بنفسه الى الحقّ افمن يهدى غيره او يهتدى الى الحقّ احقّ ان يتّبع ام من لا يهدى غيره اولايهتدى على قراءة تخفيف الدّال، اوام من لايهتدى فقط على قراءة تشديد الدّال، وكأنّه للاشارة الى التّأويل اتى فى الكلّ بلفظ من الّتى هى لذوى العقول [فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] باىّ حكم تحكمون فتختارون ما ليس له جهة ادراك على من يملك المدارك كلّها [وَمٰا يَتَّبِعُ اَكْثَرُهُمْ اِلّاٰ ظَنًّا] استيناف على ماقيل باتيان الواو للاستيناف لكنّه بعيد لانّه ما لم يلاحظ ربط بين الجملتين لا يؤتى بالواو فان شئت فسمّ ذلك الرّبط بالعطف بجعل الجملة السّابقة فى امثال هذا معطوفاً عليها بلحاظ المعنى او بتقدير المعطوف عليه من معنى الجملة السّابقة، مثل ان يلاحظ انّ معنى مالكم اومعنى كيف تحكمون ليس لهم عقل اوعلم اويحكمون بالباطل، اويقدّر امثال ذلك بقرينة السّابق ثمّ يعطف عليه وان شئت فسمّه بشبه العطف والتّقييد بالاكثر امّا لانّ بعضهم يتّبعون رؤساءهم من غير حصول اعتقاد لهم لعدم شأنيّتهم لاعتقاد شيءٍ كالحيوان الّذى يتّبع صاحبه من غير شعورٍ له بنفع اوضرٍّ فى ذلك الاتّباع، اولانّ بعضهم كان يعلم

بطلان ما يعبد لكنّه كان يعبد المعبودات الباطلة ويطيع رؤساء الضّلالة لمحض اغراض فاسدة دنيويّة ، وتنكير الظّنّ للاشارة الى انّ ظنّهم ظنّ سفليّ مستند الى النّفس رديٌّ مهلكٌ و الّا فالظّنّ العلويّ المستند الى العقل قلّما ينفكّ الطّالب للآخرة عنه ما لم يدخل فى الولاية ولم يصر عالماً بواسطة اتّباعه للولاية و ذلك الظّنّ يجذبه الى دار العلم ويكون ممدوحاً [إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي] من اغنى عنه بمعنى ناب عنه و كفى كفايته [مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا] مفعول مطلق ومن الحقّ صلة يغنى اومفعول به ومن الحقّ حال منه، وتعريف الظّنّ امّا للاشارة الى الظّنّ السّابق اوللجنس باعتبار انّ بعض افراد الظّنّ وان كان قد يدعوا لى دار العلم لكنّه لايكفى كفاية الحقّ فلاينبغى الوقوف عليه فالظّنون المستندة الى الكتاب والسّنّة ان كانت عقليّة علويّة فهى ممدوحة لكن لاينبغى الوقوف عليها ما لم توصل الى العلم و ان كانت نفسيّة دنيويّة سفليّة فهى مذمومة [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ] جواب سؤال ناشٍ عن قوله ومايتّبع اكثرهم الّاظنّاً يعنى انّه عليم بصور افعالهم ومصادرها وغاياتها [وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى] اى لان يفترى بتقدير اللّام اى لايجوز كونه مفترىً فكيف بفعليّته اوافتراء من قبيل زيد عدل [مِنْ دُونِ اللَّهِ] من غير الله [وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب السّماويّة حيث يطابقها فى العقائد والاحكام ونصب التّصديق بالعطف على خبر كان او بتقدير كان على خلاف فى عطف المفرد الاتى بعد لكن مع الواو اوبكونه مفعولاً له لانزله مقدّراً [وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ] كتاب النّبوّة واحكامها وقدمرّ مراراً انّ الكتاب اشارة الى احكام النّبوّة كلّما ذكر مطلقاً [لا رَيْبَ فِيهِ] حال او مستأنف [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ظرف مستقرّ حال اوخبر مبتدء محذوف والجملة مستأنفة [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ] ان افتريته [فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ] فانّه ان كان كلام المخلوق و انتم فصحاء الخلق ينبغى ان تقدروا على مثله [وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ] للاستعانة به على الاتيان [مِنْ دُونِ اللَّهِ] كما ادّعيتم انّه من غير الله [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى دعوى الافتراء [بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ] انكروا ما لم يعلموا شبّه العلم الكامل بالشّيء بشيءٍ محاط من جميع جوانبه بحيث لم يشذّ عن المحيط شيءٌ منه، ففيه اشعار بانّ انكار ما لم يعلم بطلانه علماً يقينيّاً عيانيّاً اوبرهانيّاً اوسماعيّاً بتقليد من يعلم صدقه كذلك مذموم، فانكار بعضٍ على من لم يروه موافقاً لعاداتهم ورسومهم وتسميته حميّة للدّين وحفظاً للاسلام و عقائد المسلمين ليس فى محلّه [وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ] يعنى انكروا ما لم يعلموا و ما لم يعاينوا مصاديقه فيشاهدوا بطلانه فهو عطف على لم يحيطوا او على كذّبوا اوحال ، و يجوز ان يكون المراد تهديدهم باتيان مصاديق ما فى القرآن او ما فى اخبار النّبيّ(ص) اومافى الاخبار بولاية علىّ(ع) اوالمراد بما لم يحيطوا بعلمه القرآن او النّبوّة وبتأويله الولاية فانّها مايؤل اليه القرآن والنّبوّة لانّهماصورتاها [كَذَلِكَ] التّكذيب من غير علمٍ وعيانٍ [كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] من الامم السّالفة المعاقبة فى الدّنيا [فَانْظُرْ] بايّاك اعنى و اسمعى ياجارة اوهو(ص) مقصود بالخطاب اصالة وغيره تبعاً والغرض تسليته عن تكذيب قومه وتهديد القوم عن تكذيبه [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] اى عاقبتهم والتّعبير بالظّاهر لذمّ آخر [وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ] عطف على كذّبوا كأنّه قال: بل منهم من يعلم صدقه وينكر عناداً اومنهم من له استعداد التّصديق فيصدّق وينقاد بعد ذلك

و انكاره هذا محض الجهل من غير خبث من ذاته [وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ] الجاحدين عن علمٍ او بالمفسدين الغير المتوقّعين لايمانهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بافسادهم وذمّ اخر لهم [وَاِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ] اعراضاً عن الجاهلين اومتاركة لهم [لِى عَمَلِى] نافعاً كان او ضارّاً [وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ] كذلك [اَنْتُمْ بَرِيؤُنَ مِمَّا اَعْمَلُ وَ اَنَا بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ] تأكيد للاوّل و لذا ترك العاطف وعكس التّرتيب لانّه تأكيد للمفهوم لاللمنطوق كأنّه قال: لى عملى لا لكم بحسب مفهوم الحصرولكم عملكم لالى [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ اِلَيْكَ] ردّاً واستهزاءً، اولسماع المقصود منك [أَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ] حال بتقدير القول اوجواب عن سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه (ص) قال: فما شأنهم لايسمعون المقصودمنّى؟ـ فقال: شأنهم ان يقال افانت تسمع الصّمّ يعنى انّ آذانهم الانسانيّة صمّ عن سماع ما يسمعه الانسان ولاعقل لهم حتّى يمكن الافهام بالاشارة ونحوه فهم كالبهائم ولذاقال [وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْكَ] ويشاهد منك بيّنات صدقك و صدق كتابك لكنّهم عمى عن مشاهدة آثار الصّدق و دلالة دوالّه [أَفَاَنْتَ تَهْدِى الْعُمْىَ] الى مشاهدة آثار الرّبوبيّة و الآخرة [وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ] ببصيرة عقليّة يعنى ان كان لهم بصيرة يمكن افهام آثار الرّبوبيّة ولو لم يكن بصر لهم لكنّهم عمى وغير ذوى بصيرة والآية كالعلّة للاعراض و المتاركة [اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا] بمنع ما يستحقّونه منهم جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل فالله يمنعهم السّماع ويظلمهم [وَلَكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بابطال فطرتهم وافساد استحقاقهم وانفسهم مفعول ليظلمون او تأكيد للنّاس [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ] عطف على محذوف والتّقدير لكنّ النّاس انفسهم يظلمون فى الدّنيا ويوم يحشرهم اومتعلّق باذكر مقدّراً اوبيتعارفون اوبقد خسر [كَاَنْ لَمْ يَلْبَثُوا اِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ] حال من مفعول يحشرهم اوصفة لمصدر محذوف بتقدير العائد اى حشراً كأن لم يلبثوا قبله اومتعلّق بيتعارفون والمقصود انّهم استقلّوا لبثهم فى الدّنيا اوفى القبر لتمثّل الحال الماضية بحيث انّها كأن لم تغب ولذا قيّد بالنّهار [يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ] يعرف بعضهم بعضاً لاستحضارهم الحال الماضية و تمثّلها عندهم [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ] قالاً كالدّهريّة والطّبيعيّة وكلّ من اقرّ بالمبدء دون المعاد، وحالاً كاكثر من اقرّ بلسانه ولم يساعده حاله وهوجواب سؤالٍ كأنّه قيل: فما كان حال النّاس يومئذٍ؟ اوحال من فاعل يتعارفون بتقدير العائد، اومتعلّق ليوم يحشرهم، اوابتداء كلام منقطع عمّا قبله والتّعبير بالماضى والحال انّ حقّه الاتيان بالمستقبل على غير الوجه الاخير لتحقّق وقوعه [وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ] ان نرك [بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ] من العذاب والانتقام [اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ] قبل الاراءة [فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ] لا يفوتون عنّا فلاتحزن على تأخير الانتقام [ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ] وللتّفاوت بين الاخبارين فى الغرض المسوق له الكلام وهو تسليته ايضاً اتى بثمّ والتفت تجديداً لنشاط السّامع حتّى يتمكّن فى قلبه واشارة الى علّة الحكم كأنّه قال: ان نرك اونتوفّك فلاتحزن لانّ مرجعهم الينا فنجازيهم على سوء اعمالهم على انّ الله شاهد بالفعل على اعمالهم ومحيط بهم [وَلِكُلِّ اُمَّةٍ] من الامم الماضية [رَسُولٌ] من الله اعمّ من الرّسول الموحى اليه اووصيّه وعلى هذا فقوله [فَاِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ] مبتنٍ على تصوير الحال

الماضية حاضرة اوعلى كون اذا للزّمان الماضى وهذا على كون الآية تسلية للرّسول (ص) بتذكّره (ص) حال الانبياء الماضين، اولكلّ امّة من الامم الماضية والآتية رسول من الله نبىّ اوخليفته فاذا جاء رسولهم فكذّبوه [قُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين الرّسول والامّه اوبين امّة الرّسول (ص) باهلاك الامّة وانجاء الرّسول (ص)، اواهلاك المكذّبين وانجاء الرّسول والمصدّقين، اواذا جاء رسولهم يحاكم بينهم بالحقّ ولم يهملوا كما كانوا من قبل مجيء الرّسول (ص) [بِالْقِسْطِ] بالعدل [وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ] باهلاك المستحقّ للنّجاة و انجاء المستحقّ للهلاك او بالمحاكمة بينهم بهوى النّفس واغراضها، اوالمعنى لكلّ امّة رسول من الانبياء اوخلفائهم هوشاهد عليهم فاذا جاء رسولهم يوم القيامة للشّهادة عليهم وشهد عليهم قضى بين الامّة بالقسط بادخال من كان اهلاً للجحيم فيها ومن كان اهلاً للنّعيم فى الجنّة ، وعن الباقر (ع) تفسيرها فى الباطن انّ لكلّ قرن من هذه الامّة رسولاً من آل محمّد (ص) [وَيَقُولُونَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ] وعد مجيء الرّسول (ص) فى القيامة اووعد العذاب الّذى كان الرّسول يوعد هم به اووعد القيامة الّتى كان الرّسول يذكرها لهم استبطأوا الموعود استهزاءً [إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ قُلْ لٰاأَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلٰانَفْعًا] فكيف املك لغيرى اقامة القيامة اوالاتيان بالعذاب [إِلّٰامٰاشٰاءَاللّٰهُ] استثناء من ضرّاً ونفعاً اواستثناء منقطع بمعنى لكن ماشاءالله يقع [لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ] مقولٌ لقوله (ص) اوابتداء كلام من الله وعلى اىّ تقدير فهو جواب لسؤالٍ مقدّرٍ والمعنى لكلّ امّة من امم الرّسل (ع) مدّة لامهالهم اووقت معيّن لعذابهم [إِذٰاجٰاءَ أَجَلُهُمْ] اى انقضى مدّتهم او اتى وقت عذابهم بالاهلاك فى الدّنيا او بالعذاب فى الآخرة و اذا جاء اجلهم على تضمين التّقدير حتّى لاينافر مع قوله لايستقدمون اى اذا قدّر مجيء اجلهم [فَلٰايَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَلٰايَسْتَقْدِمُونَ] لايتأخّرون ولا يتقدّمون على وقت الاجل [قُلْ أَرَأَيْتُمْ] من الرّأى بمعنى الاعتقاد [إِنْ أَتٰاكُمْ عَذٰابُهُ بَيٰاتًا أَوْنَهٰارًا] يتراءى انّ التّقييد بهما تطويل حيث انّه يستفاد من الاتيان لكنّه اطناب مستحسن لانّه تكميل لسابقه ورفع لتوهّم اختصاص العذاب بالاتيان فى وقت مخصوص فالمقصود من ذكر الظّرف اطلاق الحكم لا تقييده [مٰاذٰا] اىّ شيءٍ اوماالّذى [يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ] من العذاب [الْمُجْرِمُونَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة التّهويل والانكار وتفضيحاً لهم بذمّ آخر والاستفهام الاوّل على حقيقته للاستخبار بحسب اصل المعنى والّا فهو مع الفعل بمعنى اخبرونى والاستفهام الثّانى للانكار والتّهويل متعلّق بأرايتم والفعل معلّق بسبب الاستفهام و المعنى اخبرونى بجواب هذا السّؤال وجملة الشّرط محذوفة الجواب معترضة بينهما وهذا انكار لاستعجالهم العذاب المستفاد من قولهم: متى هذا الوعد؟ [أَثُمَّ إِذٰامٰاوَقَعَ] الاستفهام مع العاطف على التّقديم والتّأخير والاستفهام للتّقرير والاتيان بثمّ للتّفاوت بين الاستفهامين فانّ الاوّل للانكار والثّانى للحمل على الاقرار والمعنى اثمّ اذا ما وقع العذاب حين ظهور القائم (ع) فى الكبير اوالصّغير اوحين الموت اوحين بأس علىّ (ع) بعد محمّد (ص) وقد اشير الى الكلّ فى الاخبار [آمَنْتُمْ بِهِ ءَآلْآنَ] تؤمنون بتقدير القول اى يقال: آلآن جملة مستأنفة اومقولاً لهم آلآن مفرداً حالاً [وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ] استهزاء لعدم اعتقادكم به [ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذٰابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلّٰا بِمٰا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ] العذاب

اوولاء علىّ(ع) كما فى الاخبار [قُلْ اِى وَرَبّى اِنَّهُ لَحَقٌّ وَمااَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ] جاعلين الله اوعلياً(ع) عاجزاً عن نفاذحكمه [وَلَوْاَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ] فى حقّ الله اوحقّ محمّد(ص) وآل محمّد(ص) [مافِى الْاَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ] عن نفسه من هول العذاب و شدّته [وَاَسَرُّوا النَّدامَةَ] كراهة شماتة الاعداء كما فى الخبر اوخوف اطّلاع ملائكة العذاب او اطّلاع الله على ندامتهم النّاشئة عن اعترافهم بالظّلم فانّهم يحلفون لله كما يحلفون لكم على انكار الظّلم والذّنب [لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ] بين المؤمنين والمنافقين او بين الظّالمين و المظلومين [بِالْقِسْطِ] باعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وكلّ ذى عقوبة عقوبته [وَهُمْ لايُظْلَمُونَ] بمنع الحقّ و عقوبة غير المستحقّ و بنقص الحقّ و زيادة العقوبة [أَلا اِنَّ لِلّهِ] مبدءً و مرجعاً وملكاً [ما فِى السَّمٰواتِ وَ الْاَرْضِ] فيفعل ما يشاء بمن يشاء من غير مانعٍ من حكمه ولارادٍّ من فعله [أَلا اِنَّ وَعْدَاللّهِ] بالعذاب والثّواب [حَقٌّ] لاخلف فيه من قبله كما لامانع له من غيره ولمّا كان الجملتان لتسجيل عقوبة المنافقين وكان التّأكيد بعد ذمّهم مطلوباً اتى فى الجملتين باداة الاستفتاح و مؤكّدات الحكم [وَ لٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لايَعْلَمُونَ] ليس لهم صفة العلم، فانّ العلم هو الادراك الّذى يحرّك صاحبه من السّفل الى العلو، وبعبارةٍ اخرى هو الادراك الّذى يحصل لصاحبه حال كونه فى السّلوك الى الله ولا محالة يشتدّ كلّ يوم وكلّ آن ويستلزم ذلك الادراك العمل بموجبه وحصول علم آخرله بآخرته ويحصل له ازدياد علمٍ بالله و قدرته و احاطته ، وهذا العلم غير حاصل لمن انكر الآخرة قالاً كاهل بعض المذاهب اوحالاً كاكثر المنتحلين للملل الحقّة فهم غير عالمين وان كانوا عالمين بجميع الفنون والصّناعات، وللغفلة عن حقيقة العلم سمّى ادراكاتهم اشباه النّاس علوماً ؛ وفى الخبر قدسمّاه اشباه النّاس عالماً وقد حقّقنا ذلك فى اوّل البقرة عند قوله: لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون و فى الرّسالة المسمّاة بـ«سعادت نامه» وعلى هذا فالتّقييد بالاكثر للاشعار بانّ اقلّهم ما ابطلوا علمهم الفطرىّ الّذى اعطاهم الله وبقى فيهم شيءٌ منه محجوباً احتجاباً عرضيّاً [هُوَ يُحْيى وَيُميتُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] تأكيد لقوله انّ لله ما فى السّماوات و الارض و لذا لم يأت بالعاطف او جواب لسؤالٍ مقدّرٍ او حال و الاحياء والاماتة اشارة الى مالكيّته والرّجوع اليه اشارة الى مرجعيّته [يا اَيُّهَا النّاسُ قَدْجاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ] دعوة من الشّرور الى الخيرات [مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ] من وساوس الشّيطان ولمّات النّفس واهويتها لمن استشفى به [وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ] والمراد القرآن فانّه موعظة وشفاء وهداية ورحمة اطلق الاوّلين لانّ الموعظة عامّة لمن اتّعظ ومن لم يتّعظ وكذا الشّفاء لكن لاينتفع بهما الّا من اتّعظ واستشفى، وقيّد الثّانيين لاختصاصهما بالمؤمنين وعدم تعلّقهما بغيرهم وحقيقة الموعظة هى الرّسالة واحكامها المتعلّقها بالقوالب والظّواهر وعمومها لكلّ الخلق ، وحقيقة الشّفاء النّبوّة لتعلّقها بالصّدور وعمومها ايضاً وحقيقة الهدى و الرّحمة الولاية لانّ الرّسالة والنّبوّة سبب لايقاظ الخلق من الغفلة وتنبيههم على الحيرة والضّلالة ليس فيهما من حيث انفسهما هداية ولارحمة، والولاية سبب لاراءة الطّريق وايصال الضّالّ المتحيّر بعد تنبّهه بضلاله وتحيّره الى الطّريق ، وبعد الوصول الى الطّريق موجبة لنزول الرّحمة آناً فآناً عليه ، ولمّا كان القرآن صورة للكلّ صحّ جعل الاوصاف كلّها اوصافاً له فصحّ التّفسير بالقرآن ،كماصحّ جعل الاوصاف لموصوفاتٍ متعدّدةٍ كماذكرنا والتّفسير بها

[قُلْ] تبجحاً و سروراً [بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ] قد مرّمراراً انّ فضل الله هو الرّسالة والنّبوّة اللّتان هما صورة الولاية والرّحمة هي الولاية ، و لمّا كان النّبوّة والولاية من شؤن النّبىّ (ص) والولىّ (ع) و متّحدتان معهما صحّ تفسيرهما بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) [فَبِذٰلِكَ] الفاء للعطف واسم الاشارة اشارة الى المذكور من الفضل والرّحمة ولمّا كان التّبجّح مقتضيا لتطويل ما يتبجّح به وتكريره والمبالغة فيه اتى بالفاء العاطفة لما بعدها على مغاير الدّالة على تعقيب ما بعدها لما قبلها بين المتّحدين اشارة الى انّ ما بعدها وان كان متّحداً مع ماقبلها لكنّه مغاير له باعتبار المبالغة والاشتداد فى الدّاعى للكلام ، وهوالتّبجّح اوالغرض المسوق له الكلام وهو ايضاً فرح المبشّرين فكأنّه عطف مغايراً بالذّات ولذلك الاقتضاء كرّر الجارّ [فَلْيَفْرَحُوا] هذه الفاء امّا زائدة اوبتوهّم امّا اوبتقديره اوعاطفة على محذوف مفسّر بما بعدها وهو ابلغ كلام فى الدّلالة على اشتداد تبجّح المتكلّم وعلى المبالغة فى المقصود [هُوَ] اى المذكور من الفضل والرّحمة واتى باسم الاشارة والضّمير مفردين للاشارة الى اتّحادهما حقيقة [خَيْرٌ مِمّٰا يَجْمَعُونَ] من صورة القرآن فانّهامسّا يجمعونه بايديهم ثمّ يقولون هومن عندالله وما هو من عندالله لجمعهم ايّاها و تصرّفهم فيها بآرائهم الفاسدة بخلاف الفضل والرّحمة فانّهما لا قدرة لهم على التّصرّف فيهما لانّهمامسّا لايمسّه الّا المطهّرون اومـمّا يجمعون من حطام الدّنيا [قُلْ اَرَأَيْتُمْ مٰا اَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ] ما استفهاميّة للتّعجيب اشارة الى شرافته وعظمته فى نفسه ومن حيث انتسابه الى الله والى كثرته وتوطئة لذمّ التّصرّف فيه بالاهواء وحينئذٍ فأرأيتم استفهام واستخبار مستعمل بمعنى اخبرونى كسابقه اوهوبمعنى أعلمتم والاستفهام للتّعجيب اوللانكار اوللتّقرير وقوله الله اذن لكم يكون مستأنفاً اولفظة ما شرطيّة وقوله : فجعلتم جزاءه بتقدير قدعلى القول بلزوم قد فى الجزاء اذاكان ماضياً لفظاً ومعنىً ولذا دخل الفاء وأرأيتم حينئذٍ بمعنى اخبرونى اوللتّعجيب اوللانكار التّوبيخىّ،وعلى التّقاديرفالفعل معلّق عن جملة ما انزل الله اولفظة ما موصولة مفعولاً اوّلا لرأيتم والمفعول الثّانى محذوف اى كذلك او ءآلله اذن لكم والفعل معلّق عنه و لفظة قل تأكيد للفظ قل الاوّل ، والمراد بانزال الرّزق فى الرّزق الصّورىّ النّباتىّ انزال اسبابه وفى الرّزق المعنوىّ الانسانىّ انزال حقيقته ، فانّ رزق الانسان وهو العلوم والاخلاق الحسنة تنزل بحقائقها من سماوات الارواح ولفظ لكم للاشعار بانّ الغرض انتفاعكم ومن الانتفاع يستنبط حلّيّته [فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرٰامًا وَحَلاٰلاً] بما أسّستم بجعلكم من حرمة بعض الانعام مطلقاً وحرمة بعضها على بعضٍ من افراد الانسان و حرمة شيءٍ من الحرث وغير ذلك وبما تقوّلتم من عند انفسكم من حرمة علم انتم جاهلوه لكونكم اعداءً لما تجهلون ،كتحريم بعض المتشبّهين بالفقهاء و منعه عن مثل علم الكلام والهيئة ، وكمنع المتفلسفة عن الحكمة الحقيقيّة والعلوم الشّرعيّة ما سوى اصطلاحاتهم واقيستهم المأخوذة من اسلافهم، وكتحريم المتصوّفه ماسوى مأخوذاتهم من اقرانهم، وامّا العالم الحقيقىّ فانّه لجامعيّته لا يقول بحرمة شيءٍ من ذلك بل يقول بحلّيّة الجميع بشرط كون الأخذ على اتّباعٍ وتقليدٍ من الانبياء(ع)واوصيائهم ونوّابهم وكان الأخذ باذنٍ منهم فيقول: جملة العلوم اذا اخذت من أهلها وعلى وجهها فهى محلّلة و اذا لم تؤخذ من اهلها او لا على وجهها فهى محرّمة ، و يقول الحلال ما احلّه الله والحرام ماحرّمه الله والمبيّن هو النّبىّ (ص) اومن كان مأذوناً منه بلاواسطةٍ اوبواسطةٍ ، فانّ الاذن والاجازة كمايصحّح العمل

يصحّح العلم ويجعل الظّنّ قائماً مقام العلم بل اشرف منه كمامضى؛ ولذلك قال تعالى [قُلْ ءَآللّهُ أَذِنَ] بلاواسطة او بواسطة [لَكُمْ] فى التّحليل والتّحريم بايّ نحوٍ شئتم اوفى خصوص تحليل اشياء خاصّة وتحريم اشياء خاصّة والاذن اعمّ من ان يكون بتكليم الله بلاواسطة اوبواسطة الملك وحياً اوتحديثاً اوبواسطة خلفائه البشريّة [أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ] فى ادّعاء الاذن اوفى نسبة التّحليل والتّحريم الى الله، ولمّا كان الحلال ما احلّه الله والحرام ما حرّمه الله لاغير فمن قال بالتّحليل والتّحريم باذن الله فحلاله حلال الله وحرامه حرام الله ، ومن لم يقل باذن الله فتحليله وتحريمه افتراء على الله سواء ادّعى الاذن فى ذلك وقال برأيه اوادّعى نسبة ذلك الى الله وادّعى أنّه مبيّن لحكم الله او لم يدّع شيئاً من ذلك ، لانّه قال فيما هو مختصّ بالله والقول فيما هو مختصّ بالله لايكون الّا من ادّعاء الاذن فيه اوادّعاء نسبته اليه تعالى وانّه مبيّنه فالمنفصلة حقيقيّة ، فاذاكان عدم الاذن معلوماً فالافتراء محقّق و لذا عقّبه بتهديد المفترين ، فمن ادّعى تبليغ الاحكام القالبيّة كما هو شأن علماء الشّريعة رضوان الله عليهم اوتبليغ الاحكام القلبيّة كما هو شأن علماء الطّريقة رضوان الله عليهم ولم يكن مأذوناً من الله بواسطة خلفائه كان مفترياً ومصداقاً لقوله تعالى: ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين ، ولذاكانت سلسلة الاجازة منضبطة متّصلة من لدن آدم (ع) الى الخاتم (ص) وبعده الى زماننا هذا بين الفقهاء رضوان الله عليهم ومشايخ الصّوفيّة [وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] ظرف مستقرّ حال من لفظة ما فانّه مفعول للظّنّ معنىً و فى معنى الحدث ، وامّا تعلّقه بالظّنّ فانّه يفيد خلاف المقصود لانّ المقصود تهديدهم على اعتقادهم الحاصل المستتبع لاعمال منافية لاعتقاد الجزاء يوم القيامة ، وتعلّقه بيفترون ايضاً مفسد للمعنى والمعنى ، ايّ جزاءٍ مظنون الّذين يفترون على الله حال كونه ثابتاً يوم القيامة؟ اوظرف لغو بتقدير فى اواللّام ومتعلّق بالظّنّ اوبيفترون والمعنى، ايّ شيءٍ ظنّ الّذين يفترون فى حقّ يوم القيامة اوليوم القيامة ؟ وقرئ ظنّ بلفظ الماضى وهذه الكلمة فى المبالغة والتّشديد فى التّهديد صارت كالمثل فى العرب والعجم ، ولمّا بالغ فى التّهديد فى المتصرّفين بآرائهم فى احكام الله وقل من ينفكّ عن التّصرّف فى احكام الله قالاً اوحالاً فى الصّغير او فى الكبير وصار المقام قريباً من مقام اليأس والمطلوب مزج الخوف مع الرّجاء حتّى لايترك العاصى الاستغفار ولايغترّ الرّاجى ، فرض سؤالاً عن فضله تعالى ورحمته فأجاب بقوله [إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَشْكُرُونَ] ما يتفضّل به عليهم وبعضهم يكفرون والاقلّ منهم يشكرون [وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ] الشّأن عبارة عن مراتب الانسان ومقاماته الحاصلة فى الكامل والمكمونة فى النّاقص والاحوال الطّارية له بحسب مقاماته [وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ] من الكتاب او من الشّأن او من الله [مِنْ قُرْآنٍ] تخصيص الخطاب فى هاتين الفقرتين به (ص) لاختصاص تلاوة القرآن من الله اومن الشّأن واختصاص ابتداء التّلاوة من الكتاب واختصاص الاستشعار بالشّؤن والمراتب به بخلاف العمل [وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ] تشريك للخطاب اوصرف للخطاب عنه (ص) اليهم لانّ شهود اعماله الجليّة مستفاد من شهود شؤنه الخفيّة [إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ] تخوضون [فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ] ومايفقد [عَنْ رَبِّكَ] عن تصرّفه اوعن علمه اوعن ذاته [مِنْ] ذات [مِثْقَالِ ذَرَّةٍ] على الاوّلين اومن علم مثقال ذرّة على الاخير، والذّرّة النّملة الصّغيرة ومائة منها زنة حبّة من الشّعير [فِى الْأَرْضِ] تقديم الارض لكونها اهمّ فى مقام بيان سعة علمه لانّ الارض ابعد الاشياء منه ومافيها اخفى الاشياء لانّ كلّاً منها فى الغيبة

بالنّسبة الى غيره بخلاف السّماء والسّماويّات سواء اريد بها سماء عالم الطّبع اوسماوات الارواح [وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ] لمّا كان المقام للمبالغة فى سعة علمه كان التّأكيد و التّكرير مطلوباً و لذا اكّد مثقال ذرّة فانّه صار كالمثل اذا وقع بعد النّفى فى المبالغة فى الشّمول ولا اصغر مع ما بعده جملة معطوفة على جملة ما يعزب ولا لنفى الجنس مركّبة مع اسمها و [إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] خبرها ومن قرأ بالرّفع فلا عاملة عمل ليس اوملغاة عن العمل بالتّكرير، ويحتمل العطف على لفظ مثقال على قراءة الفتح وعلى محلّه على قراءة الرّفع وحينئذٍ يكون الاستثناء منقطعاً [أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ] جواب لما ينبغى ان يسأل عنه من انّه هل يبقى احد بلا خطر [لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى بيان الخوف والحزن ووجه انتفائهما عن الاولياء ووجه اختلاف المتعاطفين فى طريق التّأدية [الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة والدّخول فى امر الائمّة ودخول الايمان فى قلوبهم لا من قبل الدّعوة الظّاهرة وبايع بالبيعة العامّة النّبويّة ودخل فى الاسلام من دون الدّخول فى الايمان [وَكَانُوا يَتَّقُونَ] غيّر الاسلوب للاشارة الى انّ الايمان امر يحصل بمحض البيعة الولويّة و امّا التّقوى الخاصّة فهى لابدّ منها الى تمام مراتب الفناء و الحشر الى الرّحمن بحيث تصير للمؤمن كالسّجيّة والموصول امّا صفة بيانيّة لاولياء الله ولذا اخّره عن الخبر اوخبر لمبتدءٍ محذوفٍ اومنصوب بفعلٍ محذوفٍ او مبتدء خبره [لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] **اعلم** ، انّ الولىّ يطلق على معانٍ منها المحبّ والصّديق و القريب بمعنى ذى القرابة والقريب ضدّ البعيد و منها النّصير والولىّ فى التّصرّف بمعنى الاولى بالتّصرّف والسّلطان والمالك ، وولىّ الله قد يطلق ويراد به من قبل الدّعوة الباطنة ودخل الايمان فى قلبه بالبيعة الخاصّة الولويّة باعتبار الصّنف الاوّل من معانيه ، وقد يطلق ويراد به الولىّ من الله باعتبار الصّنف الثّانى من معانيه و الاولياء بالاطلاق الثّانى هم الانبياء واوصياؤهم الكاملون المكمّلون ، وبالاطلاق الاوّل شيعتهم واتباعهم الّذين قبلوا ولايتهم ، ولهم مراتب من اوّل دخولهم فى الايمان وتدرّجهم فى مدارج التّقوى والايقان الى ان انتهوا فى التّقوى الى فنائهم من ذواتهم بحيث تحقّقوا فى المحبّة وكانوا لافرق بينهم و بين حبيبهم وكلّما ازداد مراتب تقواهم ومحبّتهم كان اطلاق الاولياء عليهم اولى، ولذلك اختلف الاخبار فى تفسير اولياء الله وكذا فى تفسير بشريهم فى الدّنيا بانّها الرّؤيا الحسنة الّتى يراها المؤمن اويراها غيره له وبأنّها تحديث الملائكة مطلقاً اوتبشيرهم عند الموت اوتبشير محمّد(ص) وعلىّ(ع) لهم عند الموت [لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّٰهِ] تأكيد لتحقّق البشرى لهم [ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] اى كونهم مبشّرين مع عدم تبدّله [وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ] فيك و فى اتباعك و هو عطف على مقدّرٍ تقديره اذا كان الاولياء(ع) يعنى انت واتباعك حالهم هكذا فلاتبال بالمكذّبين ولا يحزنك قولهم [إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا] تعليل للنّهى [هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] جواب سؤال كأنّه قيل : هل يسمع اقوالهم ويعلم احوالهم ؟ـ فأجاب بالحصر [أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تأكيد لعزّته ولذا لم يأت بالعاطف واكّده وتمهيد بمنزلة التّعليل لقوله [وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ] تأكيد للاوّل على ان يكون مانافية وقوله [إِلَّا الظَّنَّ] استثناء من مايتّبع اوقوله ان يتّبعون مستأنف

والاستثناء منه ومافى مايتبع استفهاميّة اوموصولة معطوفةعلى من فى السّماوات اونافيةوالمفعول محذوف اى ما يتّبعون حجّة وبرهاناً [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] يكذبون اويقولون بالظّنّ وعليه فالاوّل لبيان انّ فعلهم عن الظّنّ و الثّانى لبيان انّ قولهم عن الظّنّ و قد مضى انّ ادراك النّفس للاشياء يسمّى ظنّاً سواء كان شهوداً اويقيناً اوظنّاً لكون معلومها مغاير لادراكها كالظّنّ ، فانّه مغاير للمظنون على انّها لكونها سفليّة ادراكها للاشياء يكون على غير وجهها وعلى غير ماهى عليه ، فادراكها لها امّا مخالف لما هوواقعها عندالنّفوس فهوخرص وكذب او موافق لما هو واقعها عندها لكن لاعلى وجهها وعلى ماهى عليه فهو ظنّ لانّ شأنه ان لايكون ادراكاً محاطاً للمدرك على ما هو عليه [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ] لانتفاعكم [اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا] عن متاعب النّهار وكدّ طلب المعاش [فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا] لتطلبوا اسباب معيشتكم وحقّ العبارة ان يقول و النّهار لتطلبوا فيه معايشكم بذكر ماهوغاية له مطابقاً لذكر غاية اللّيل، لكنّه اكتفى عن ذكر الغاية بذكر سببها افادة لها مع سببها وغيّر الاسلوب اشعاراً بسببيّة النّهار للابصار، لانّه اسنده الى النّهار بطريق انمجاز العقلىّ فأفاد الغاية وسببها وسبب سببها باوجز لفظ وهومبصراً، وتقديم اللّيل مع كون النّهاراشرف من وجوه عديدة لكونه عدميّاً مقدّماً بالطّبع على الوجودىّ الحادث ولكونه بحسب التّأويل مقدّماً بالزّمان وبالطّبع فى سلسلة الصّعود الّتى هى من مراتب وجودالانسان ، ولانّ المقام مقام تعداد النّعم والاهتمام باللّيل فى عدّة من النّعم اكثر لانّهم يعدّونه زوال النّعمة وبعد ماأسلفنا لك لايعضل عليك تعميم اللّيل والنّهار [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ] عظيمة حيث انّ مواليد عالم الطّبع موقوفة عليهما وعلى اختلافهما بالزّيادة والنّقيصة والبرودة و الحرارة و الظّلمة والاستنارة ففى خلقهما للمتدبّر آيات كثيرة دالّة على كمال قدرة الصّانع وعلمه وحكمته وفضله ورحمته [لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] ينقادون فانّه يكفى فى ادراك آياتهما الانقياد للنّبىّ(ص) اوالامام(ع) وان لم يحصل بعد للمنقاد قلب اوعقل، واستعمال السّماع والاستماع فى الانقياد كثير [قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا] بعدماذكر سعة ملكه وانّ الكلّ مملوكون له وانّ اللّيل والنّهار الّذين هما عمدة اسباب دوران العالم وتعيّش مافيه مجعولان له غير قديمين، كمايقوله الدّهريّة والطّبيعيّة وغيرمجعولين لغيره ذكر قولهم النّاشى من غاية حمقهم ، من انّ الله اتّخذ لنفسه ولداً تسفيها لرأيهم حيث انّ اتّخاذ الولد بنحو التّوالد كما زعموه لا يكون الّا من المحتاج المحاط بالزّمان و المكان و هو تعالى فوقهما وجاعلهما [سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ] تعليل لنفى الولد ولانكار قولهم المستفاد من التّسبيح [لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] تعليل للغنى [إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا] ما عندكم حجّة مع هذا القول او ملصق بهذا القول بعد ماردّ قولهم بعدم جواز الولد له سبحانه ردّه بعدم الحجّة لهم اشعاراً بلزوم امرين فى صحّة القول بشىء احدهما امكان ذلك الشّىء فى نفسه والثّانى وجود حجّة للقائل على قوله وبانتفاء كلّ من الامرين يكون ذلك القول كذباً، ولذا وبّخهم على محض قولهم من غير علم وحجّة من دون التّعرّض لعدم جواز هذا القول على الله بقوله [أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ] قولاً مخالفاً للواقع اوقولاً بلاحجّة سواء كان مخالفاً ام موافقاً [لَا يُفْلِحُونَ] لانّ الافتراء لا يكون الّا عن حكومة النّفس و الشّيطان و محكومهما من حيث انّه محكومهما لاسبيل للنّجاة له غاية ما يترتّب على محكوميّته وافترائه انّه يتمتّع فى الدّنيا بمازيّنه النّفس والشّيطان

له ولذلك قال ذلك الافتراء [مَتَاعٌ] اى سبب تمتّع [فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ] تمهيد للتّهديد [ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ] تذكيراً و تهديداً لهم و تسلية لنفسك فى تكذيبهم [نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِى] بمعنى الاقامة او القيام او مكان القيام [وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ اللهِ] والمقصود انّه ان كان كبر عليكم كونى فيكم بالدّعوة فتريدون اجلائى اودفعى عن الدّعوة اواهلاكى [فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ] اجمعت الامر وعليه وجمعت عليه عزمت كأنّ الامر قبل العزم كان متفرّقاً وبالعزم تجمّعه وقرئ فاجمعوا من الثّلاثىّ المجرّد [وَشُرَكَائَكُمْ] قرئ بالضّمّ عطفاً على ضمير الفاعل وقرئ بالنّصب عطفاً على امركم بلحاظ اصل معنى الجمع او مفعولاً معه او مفعولاً لمحذوف تقديره و ادعوا شركاء كم و تحدّى معهم استظهاراً بالله و اطميناناً بنصرته [ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً] يعنى تدبّروا غاية التّدبّر فى اجماع الامر حتّى لا يبقى ضرّه ونفعه مستوراً عليكم او لا يصير عاقبته وبالاً وغمّاً لكم [ثُمَّ اقْضُوا] اقضوا الامر المعزوم عليه [إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] بتضرّركم بدنياكم [فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ] يعنى ان تولّيتم لكذبى وافترائى فقد تحدّيت فى غاية الاطمينان والكاذب لا يتحدّى كذلك وان تولّيتم لتضرّركم بدنياكم فما سألتكم من اجرٍ فلاوجه لتولّيكم لا من جهة الدّنيا ولا من جهة الآخرة [إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] المنقادين لحكمه [فَكَذَّبُوهُ] بعد اتمام الحجّة كما كذّبوه فى اوّل الدّعوة [فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ] من اذى قومه اومن الغرق [وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ] فى الارض لنفسى او للهالكين [وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ] حتّى تتسلّى و تطمئنّ بنصرتنا [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا] عطف باعتبار المعنى ومفاد المحكىّ كأنّه قال: بعثنا نوحاً الى قومه ثمّ بعثنا [مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] المعجزات الدّالّات على صدقهم اواحكام النّبوّة المتعلّقة بالقالب دون القلب فانّها تسمّى بالبيّنات كما انّ احكام القلب تسمّى بالزّبر [فَمَا كَانُوا] ثابتين [لِيُؤْمِنُوا] يعنى ما كان فى سجيّتهم قوّة الايمان فكيف بفعليّته [بِمَا كَذَّبُوا بِهِ] بالرّسالة الّتى كذّبوها [مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ان يبلغوا اوان الرّشد وجواز وصول دعوة الرّسالة اليهم ، اومن قبل هذا العالم فى عالم الذّرّ، اومن قبل زمانهم باعتبار تكذيب اسلافهم للرّسل [كَذَٰلِكَ] الطّبع الّذى طبعناه على قلوبهم [نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ] تهديد لمكذّبى قومه (ص) [ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا] التسع [فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ] تفصيل لاجمال استكبارهم و لذلك عطف بالفاء [مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ] انّه سحر بحذف المفعول اواتعيبون الحقّ والاستفهام للانكار [أَسِحْرٌ هَٰذَا] انكار لكونه سحراً [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ] حال على جواز الواو فى الحال المبدوّة بالمضارع المنفىّ بلا، اوبتقدير مبتدء [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا] لتصرفنا

[عَمّٰا وَجَدْنٰا عَلَيْهِ اٰبٰاءَنٰا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيٰاءُ فِي الْاَرْضِ] اى السّلطنة فى ارض مصر [وَمٰا نَحْنُ لَكُمٰا بِمُؤْمِنِينَ] تصريح بمااشعروا به فى ضمن انكارصرفهم وكبريائهمامن عدم انقيادهم لهما [وَقٰالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ] ماهر [فَلَمّٰا جٰاءَ السَّحَرَةُ] و امرهم فرعون باتيان السّحر و دبّروا ما دبّروا وتهيّؤا لمعارضة موسى(ع) [قٰالَ لَهُمْ مُوسىٰ] بعد ما خيّروه واختار موسى تقديمهم [أَلْقُوا مٰا اَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمّٰا أَلْقَوْا قٰالَ مُوسىٰ مٰا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ] ما مبتدأٌ وجئتم به صلته والسّحرخبره ؛ وقرئ السّحر بهمزة الاستفهام وحينئذٍ يكون مااستفهاميّة وجئتم به خبره والسّحر بدله والمعنى على الاوّل ما جئت بهاآلهىٌّ وماجئتم به بشرىٌّ مبنىّ على الاعمال الدّقيقة الخفيّة او شيطانىّ مبنىّ على تمزيج القوى الارضيّة مع الارواح السّفليّة [إِنَّ اللّٰهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللّٰهُ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ] التّكوينيّة من الآيات والمعجزات ولا سيّما الكلمات التّامّات من الانبياء والاوصياء [وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمٰا آمَنَ لِمُوسىٰ إِلّٰا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ] اى جمع قليل من شبّان قوم موسى لقلّة مبالاتهم بتهديد فرعون او من قوم فرعون بمقتضى شبابهم حالكون هؤلآء الشّبّان مع جرأتهم و عدم مبالاتهم مشتملين [عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلاٰئِهِمْ اَنْ يَفْتِنَهُمْ] يعذّبهم بالبلايا بدل من فرعون و ملائهم اومفعول الخوف او بتقدير لام التّعليل وجمع الضّمير فى ملائهم امّا لتعظيم فرعون اولانّ المراد من فرعون هووخواصّه فانّه كثيراً مايطلق اسم الرّئيس ويراد به الرّئيس واتباعه، اوباعتباررجوعه الى الذرّيّة سواء فسّر بذرّيّة من قوم موسى(ع) او من قوم فرعون وعلى هذا يجوز ان يكون مفعول يفتنهم هو الملأ وعلى غيرهذا الوجه فافراد الضّمير فى يفتنهم للاشعار بانّ الخوف من ملأه كان بسببه وانّ الملأ كانوا الاحكم لهم بالاستقلال [وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعٰالٍ فِي الْاَرْضِ] لقاهر غالب عطف باعتبار المعنى كأنّه قال انّه ليفتنهم وانّه لعالٍ اوحال ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بعلّة العلوّ لانّ اسم فرعون كان من القاب ملك مصر [وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ] اكتفى بالضّمير لانّ الاسراف لايتوقّف على السّلطنة والمراد الاسراف فى تعذيب قوم موسى(ع) [وَقٰالَ مُوسىٰ] بعد ما رأى تعذيب فرعون لمن آمن به واضطرابهم من خوفه تسلية لهم وتقوية لقلوبهم بالتّوكّل على القادر القوىّ [يٰا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ] اتى باداة الشّكّ اشعاراً بانّ الخوف والاضطراب يورث الشّكّ فى الايمان اواداة الشّكّ للتّهييج [فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا] لانّ الايمان يقتضى معرفته بانّه عليم بصير قادر رحيم بالمؤمنين و ذلك يقتضى التّوكّل [إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ] منقادين جزاؤه محذوف بقرينة السّابق والتّقدير ان كنتم منقادين فان كنتم مؤمنين بالبيعة العامّة اوالخاصّة فعليه توكّلوا يعنى انّ التّوكّل يقتضى امرين الانقياد والايمان بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة [فَقٰالُوا] اجابة له [عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنٰا] متضرّعين قائلين [رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً] سبب فتنة وشقاء [لِلْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ] بان يبلغوا باستعبادنا وتعذيبنا غاية الغرور والشّقاء يعنى لواردت بلوغهم غاية الشّقاء فاجعل سببه غيرعذابنا، اوالمراد لاتجعلنا محلّاً لفتنتهم وعذابهم لنا [وَنَجِّنٰا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر

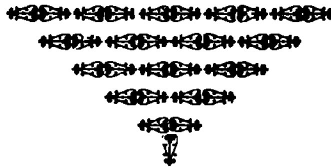
للاشعار بذمّهم بجمعهم بين الكفر والظّلم [وَاَوْحَيْنٰا اِلٰى مُوسٰى وَاَخِيهِ اَنْ تَبَوَّءٰا لِقَوْمِكُمٰا] ان اتّخذا لهم [بِمِصْرَ بُيُوتًا] مبوّءً و مرجعاً يرجعون وقت العبادة اليها [وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ] المبنيّة للعبادة [قِبْلَةً] تتوجّهون اليها وقت العبادة باقامة عبادتكم فيها او بتوجّهكم وقت عبادتكم نحوها [وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] فيها اواليها ، وفى الاخبار ما يشعر بانّ البيوت المأمور باتّخاذها كانت مساجدهم وكانوا يجتمعون وقت العبادة اليها [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] باجابة دعوتهم ونجاتهم ووراثتهم لملك مصر فى الدّنيا والجنّة فى الآخرة، فى الخبر: انّ رسول الله(ص) خطب النّاس فقال ايّها النّاس انّ الله عزّوجلّ امر موسى (ع) وهارون (ع) ان يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً وامرهما ان لا يبيت فى مسجد هما جنب ولا يقرب فيها النّساء الّا هارون وذرّيّته ، وانّ عليّاً (ع) منّى بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لاحد ان يقرب النّساء فى مسجدى ولا يبيت فيه جنباً الّا علىّ (ع) وذرّيّته فمن ساءه ذلك،فههنا، وضرب بيده نحو الشّام [وَقٰالَ مُوسٰى] متبتّلاً الى الله داعياً على فرعون وقومه [رَبَّنٰا إِنَّكَ أٰتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً] من الحلىّ و الملابس و المساكن و اثاثها و المراكب [وَاَمْوٰالاً] من الذّهب والفضّة والضّياع و الخيل والبغال والغنم والجمال [فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا رَبَّنٰا] تكرار النّداء لاقتضاء التّضرّع وحالة الدّعاء والمحبّة ذلك [لِيُضِلُّوا] النّاس [عَنْ سَبِيلِكَ] بطموح نظرهم الى الاعراض الفانية واتّباع من وجدوها فى يده [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰى اَمْوٰالِهِمْ] حتّى لا يفتتن النّاس بهالهم والطّمس المحق والافناء اصلاً [وَاشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] اوثق حبال القساوة على قلوبهم [فَلاٰ يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذٰابَ الْاَلِيمَ] عند الاحتضار ولا يؤمنوا مجزوم بلا اومنصوب بان مقدّرة دعاء عليهم بشدّ القلوب وعدم الايمان بعد ما علم انّهم لاخير فيهم ويئس من ايمانهم [قٰالَ قَدْ اُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمٰا] ورد انّه كان بين دعائه (ع) ووعد اجابته وبين اخذ فرعون وقومه اربعون سنة [فَاسْتَقِيمٰا] فيما انتما عليه من الدّعوة ولا تضطربا بتأخير الوعد كالجهلة، والاستقامة فى الامر عبارة عن التّمكّن فيه بحيث لا يخرجه منه مخرج [وَلاٰ تَتَّبِعٰانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ] سبيل الجهلة من عدم الثّبات على امرٍ [وَجٰاوَزْنٰا بِبَنِى إِسْرٰائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ] اتبع بمعنى تبع او بمعنى جعل غيره تابعاً اى تبعهم اواخرج النّاس فى عقبهم [فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا] بغى عليه بغياً عدا وظلم وعدل عن الحقّ واستطال وكذب، وفى مشيه اختال ، وعدا ضدّ احبّ وعدا عليه ظلمه والاولى ان يكون الاوّل بمعنى الاستطالة والثّانى بمعنى الظّلم وتقدير الكلام اتبعهم فرعون اتباع بغىٍ اوبغوا بغياً اوباغين وعادين اوللبغى والعدو [حَتّٰى إِذٰا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قٰالَ اٰمَنْتُ اَنَّهُ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير الباء اواللّام و قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف [لاٰ اِلٰهَ إِلَّا الَّذِى اٰمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرٰائِيلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ] اطنب فى الكلام حرصاً على القبول واظهاراً لشدّة الالتجاء حين الاضطرار [ءآلْاٰنَ] فقيل له: آلآن آمنت وقد اضطررت والقائل كان جبرئيل [وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ] حين الاختيار [وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ] من الماء لا بروحك من العذاب يعنى نخرجك ببدنك من غير روحٍ على نجوة من الارض ليشاهدوك و يروا ذلك [لِتَكُونَ لِمَنْ

خَلْفَكَ] من القبطىّ الباقى بعدك اوالسبطىّ الّذى عظم شأنك فى نظره وشكّك فى انّك عظيم من عظماء الخلق [آيَةً] على كذبك وذلك وكمال قدرتنا وحكمتنا اذا رأوا انّا اخذناك من حيث لم يكونوا يحتسبون لانّ القبطىّ وبعض السبطىّ يظنّون انّ له عظماً وشرافةً وانّه لايفعل به ماينقص شأنه بل لايموت [وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ] اى فانّا مظهرون للآيات و انّ كثيراً فهو عطف على محذوفٍ اوعطف بلحاظ المعنى اواستيناف شبيهٌ بالعطف [وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ] محلّ صدقٍ اوهو مصدر ميمىّ والمراد بمحلّ الصّدق منزل لايتأتّى فيه الّا الصّدق كالقلب والصّدر المنشرح بالاسلام المتعلّق بالقلب ، ومحلّ لاينبغى ان يتأتّى فيه الّا الصّدق كمحلّ يكون مايحتاج اليه اهله موجوداً سهل الوصول من غير مزاحمة احدٍ ، فلايكون فيه عداوة وحقد وحسد وتدافع وبخل، واذا لم يكن فيه هذه لم يكن فيه كذب لايراث هذه المذكورات الكذب واذا لم يكن كذب لم يكن الّا الصّدق ، والمراد بمبوء الصّدق مصر لوفور النّعمة فيها وعدم المزاحمة بعدهلاك اعدائهم او شام كما قيل [وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] الطّيّب من ارزاق الابدان ما لا تبعة فيه من الاسقام ومالا تبعة فيه من الآثام مع كونه ملذّاً للانام، ومن ارزاق الانسان العلوم والاخلاق الّتى تكون مأخوذة من اهلها و معتدلة بين الافراط و التّفريط [فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ] بحقّيّة موسى (ع) و دينه بالآيات الظّاهرات كما هو شأن امّة كلّ نبىّ [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] برفع اغشية الخيال و ظهور الحقّ و الباطل ، و الآية تعريض بأمّة محمّد (ص) فى اختلافهم بعده و حين حيوته بعد ما اظهر واعلى خلافة علىٍّ (ع)، وعلى هذا فربط الآية الآتية بهذه الآية واضح لانّها مفسّرة بولاية علىّ (ع) [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ] و المراد بما انزل خلافة علىّ (ع) اوما اوحى اليه (ص) ليلة الاسراء من عظمة مقام علىّ (ع) كما فى الخبر ولم يكن له شكّ لكنّه من باب ايّاك اعنى واسمعى يا جارة اوالخطاب عامّ [فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] قدمرّ مراراً انّ الحقّ المضاف هو الولاية المطلقة ومظهرها علىّ (ع) وكلّ حقّ حقّ بحقّيّته [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ] واصل الآيات هى الآية الكبرى الّتى هى ولاية علىّ (ع) [فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] لانفاقك فى ردّ الآيات بضاعتك الّتى آتاك الله لتنفقه فى تصديق الآيات [إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] تعليل للسّابق والمعنى لاتكن من الممترين الغير المؤمنين لانّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك [لَا يُؤْمِنُونَ] لا من هو مثلك و اصل الكلمات هى الولاية وهى واحدة كساير صفاته تعالى وافعاله وكلّ الكلمات من العقول والنّفوس والاشباح النّوريّة والاشباح الظّلمانيّة والعبارات والنّقوش الكتبيّة اظلال تلك الكلمة وتلك الكلمة تختلف بحسب القوابل ففى قابل تصير رضى ورحمةً رحيميّةً وفى قابل سخطاً وكلّ منهما امّا تحقّ وترسخ للقابل اوعليه وامّا لاتحقّ، والّذى حقّت له كلمة الرّضا لاينصرف عن الايمان والّذى حقّت عليه كلمة السّخط لا ينصرف عن الكفر، والمعنى لا يؤمنون بالله اوبالولاية اوبعظمة شأن علىّ (ع) او بالرّسالة اوبك [وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ] من الآيات المقتضية للايمان [حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ

الْاَلِيمَ] عندالاحتضار ولاينفع حينئذٍ نفساً ايمانها [فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ اٰمَنَتْ] جزاء شرط مستفادمن تعقيب عدم الايمان بالعذاب الاليم كأنّه قال اذاكان عدم الايمان مستلزماً لاليم العذاب فلو لاكانت قرية آمنت [فَنَفَعَهَا اِيمَانُهَا اِلَّا قَوْمَ يُونُسَ] استثناء باعتبارمعنى النّفى لا التّفريع [لَمَّا اٰمَنُوا] جواب سؤالٍ كأنّه قيل: ماكان حال قوم يونس ؟ و ما فعل بهم ؟ اوحال من قوم يونس [كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ] الخزى الفضيحة فالاضافة بتقدير الّلام اوالبليّة فالاضافة بيانيّة [فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ اِلٰى حِينٍ] حين آجالهم المقدّرة وقصّة قوم يونس (ع) وانكارهم عليه ودعائه عليهم ومسألته نزول العذاب وعدم اجابة الله له ومراجعته فى ذلك مراراً، حتّى اجابه الى ذلك ومشورته بعدذلك مع تنّوخا العابد وتصديقه وتحريصه له (ع) على ذلك، لعدم علمه ومشورته مع روبيل الحكيم وعدم تصديقه له وسؤاله عندالمراجعة فى دفع العذاب وردّ تنّوخا عليه ، وفراره من القوم مع تنّوخا واقامة روبيل فيهم وترحّمه عليهم ودعائه لهم الى التّوبة وتعليم طريق التّوبة لهم وكشف العذاب وفرار يونس بعدكشف العذاب وابتلائه ببطن الحوت وعوده الى قومه مذكورة فى المفصّلات [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَاٰمَنَ مَنْ فِي الْاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] مصدّقين لك اوللرّسالة او لعلىّ (ع) اوللولاية اولله اومؤمنين بالايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة ، يعنى انّ الايمان بأىّ معنى كان لايمكن اكراه البشراحداً عليه لانّ اكراه البشر لايتجاوز عن حدّ القالب والايمان امر قلبىّ، فالاكراه يتحقّق فى انقياد السّلطنة وصورة البيعة العامّة والدّخول فى احكام الرّسالة يعنى من كان مسخّراً ومحيطاً يمكنه اكراه المحاط لكن لايسمّى ذلك اكراهاً بل تسخيراً، وتقديم المسنداليه لافادة الحصر ان اريدانّ مثلك البشرىّ لايمكنه الاكراه بخلاف الملكوتيّين اولمحض افادة تقوىّ الحكم [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلَّا بِاِذْنِ اللهِ] الجملة حاليّة اومستأنفة والاوّل اوفق بترتّب الانكار على تعليق الايمان على المشيّة [وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ] حقّ المقابلة ان يقال ولا ان تكفر الّا باذن الله لكن لمّا كان الايمان هو الدّخول فى حريم قدسه تعالى كان موقوفاً على اذنه ، والكفر لمّا كان عدم الدّخول لم يكن موقوفاً على اذنه بحسب الظّاهر ولمّا كان تبعة الكفر بفعل الله جعل الرّجس الّذى هو تبعة الكفر الى نفسه [قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ] من الآيات الدّالّة على كمال قدرته تعالى و حكمته حتّى توقنوا به و تؤمنوا والاستفهام للتّعجيب والتّفخيم [وَمَا تُغْنِي الْاٰيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ] امّا من كلام الله اومحكّى بالقول وعلى اىّ تقدير فمانافية والجملة معطوفة على محذوف مؤلّف معه قياس من الشّكل الاوّل تقديره لكنّهم قوم لا يؤمنون وكلّ قوم لا يؤمنون لا تغنى الآيات والنّذرعنهم ، ويجوز ان يكون الجملة حاليّة عن فاعل قل او عن فاعل انظروا او مفعوله و تكون مشيرة الى القياس المذكور و يجوز ان يكون ما استفهاميّة معطوفة مع مابعدها على ماذا فى السّموات اوتكون الجملة حاليّة بتقدير القول [فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلَّا مِثْلَ اَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا] مضوا [مِنْ قَبْلِهِمْ] جواب شرطٍ محذوفٍ اى ان كانت الآيات لا تغنى عنهم ، او عطف على محذوف اى هل

يرجون الّا عقوبة الله ، اوعطف على ما تغنى الآيات باعتبار انّ معناه ما ينتظرون ، اوبتقدير القول اى فيقال لهم هل ينتظرون ، اوباعتبار كون ما استفهاميّة [قُلْ فَانْتَظِرُوا] امر للتّهكّم [إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا] عطف على محذوف تعليل للامر بالتّحدّى معهم تقديره فانّا ننزّل العذاب على المكذّبين ثمّ ننجّى رسلنا والّذين آمنوا [كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا] كذلك متعلّق بالفعل الاتى وحقّاً علينا مفعول مطلق لحقّ محذوفا معترض بينهما [نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ] لمّا كان المقام لتقريع المكذّبين والمقصود بالوعد زيادة حسرتهم وتجرئة نبيّه (ص) والمؤمنين فى التّحدّى معهم صار التّأكيد والتّكرار مطلوباً ولذلك كرّر الانجاء بالنّسبة الى المؤمنين مؤكّداً بحقّاً [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] يعنى بعد مابعثتك بالنّبوّة فاعلن دينك ولاتخف منهم ولا تخف دينك وان كنت قبل ذلك خائفاً خافياً [وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ] التّعليق على التّوفّى المتعلّق بهم لتهديدهم [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بكلّ من معانى الايمان [وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ] عطف على ان اكون وغيّر الاسلوب اشارةً الى انّه مأمور بالثّبات فى الايمان وادامته وامّا اقامة الوجه للدّين فانّ الثّبات والدّوام فيه للبشر غير مقدور لضرورة اشتغاله بالكثرات ، والاشتغال بالكثرات وان كان لمن لا يشغله شأن عن شأن غير مانع من اقامة الوجه للدّين لكنّه للاكثر مانع ولمن لا يشغله شأن عن شأن ايضاً مانع من قوّة الاقامة وكمالها ، و ان ، فى ان اقم مصدريّة اوتفسيريّة وعلى المصدريّة فالاتيان بالامر على حكاية حال الامر والخطاب [حَنِيفًا] حال عن فاعل اقم او عن الدّين [وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بجملة انواع الشّرك [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ] من الاصنام والكواكب والاهواء والمهويّات و من نصب دون الامام فانّ شيئاً من هذه لايقدر على نفعٍ وضرٍّ الّا باذن الله واذا لم يتصوّر فى المدعوّ نفع وضرّ كان دعاؤه لغواً و هذا على ايّاك أعنى و اسمعى يا جارة ، او صرف الخطاب عنه الى غير معيّن [فَإِنْ فَعَلْتَ] الفاء للسببيّة المحضة [فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ] حال اوعطف فيه معنى التّعليل [فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ] اختلاف القرينتين للدّلالة على تفاوتهما فى الارادة كأنّ الضّرّ يمسّ الانسان بفعله من غير ارادة الله وان كان الفاعل هو الله لانّه غير مراد بالذّات و انّ الخير بارادة الله كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك و وضع فضله موضع ضمير الخير للاشارة الى ما قلنا من انّ الشّرّ غير مراد بالذّات و يلحق العبد بعمله و انّ الخير مراد بالذّات كأنّه يلحق العبد بمحض الفضل من دون استحقاق بالعمل [يُصِيبُ بِهِ] بالخير [مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] عطف على يصيب والمقصود انّه لايمسّ الضّرّ اكثر المستحقّين لانّه هو الغفور الرّحيم فوضع موضع المعلول [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ] قدمرّ مراراً انّ الحقّ هو الولاية وانّ كلّ حقٍّ حقّ بحقيّته وانّ علياً هو مظهرها التّامّ ، فالمراد جاءكم علىّ (ع) باعتبار

ولايته او ولاية علىّ(ع) او الولاية المطلقة ومظهرها علىّ(ع) و يدلّ على هذا قوله تعالى [فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ] لانّ الاهتداء ايس الّا الى الولاية فانّ النّبوّة ما به الهداية كما قال الله تعالى ولكنّ الله يمنّ عليكم ان هديكم بالاسلام للايمان [وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ] حتّى اجبركم على الولاية و امنعكم عن الضّلالة [وَاتَّبِعْ ما يُوحىٰ إِلَيْكَ] جملة ما يوحى اليك و منها الولاية اوما يوحى اليك فى امر الولاية بخصوصه و اتّباع ما يوحى فى امر الولاية امتثال بتبليغها و عدم الخوف من القوم ولذا أمره بالصّبر فقال [وَاصْبِرْ] على اذاهم و نفاقهم [حَتّىٰ يَحْكُمَ اللّٰهُ] بينك وبين من نافق فى امر علىّ(ع) [وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ] .



سورة هود

مائة وثلاث وعشرون آية وهى مكيّه كلّها وقيل : سوى آية واقم الصّلوة ؛ فانّها مدنيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الر] قد سبق انّها اشارة الى مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) و لذلك ورد : انّ الحروف المقطّعة فى اوائل السّور اسماؤه ، ومضى انّه فى حال انسلاخه يشاهد من تلك الحروف ما لايمكن التّعبير عنه الّا بالمناسبات وانّ مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) كتاب حقيقىّ تكوينىّ و انّ الكتاب التّدوينىّ صورة تلك الكتاب [كِتَابٌ] خبر للحروف المقطّعة اوخبرمبتدء محذوف [أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ] فى مقامه العالى من مراتب العقول المعبّرعنها بالاقلام وفى مراتب النّفوس الكلّيّة المعبّرعنها بالالواح العالية، واللّوح المحفوظ واحكام الآيات فى تلك المراتب عبارة عن عدم الخلل والبطلان والتّغيير والنّسخ فيها فانّه فى تلك المراتب لا يمسّه الّا المطهّرون ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهوفى تلك المراتب محفوظ عن التّشابه بالباطل و بكلام غيرالحقّ تعالى وهو فيها بنحو الاجمال من غير تفصيل [ثُمَّ فُصِّلَتْ] بعد تلك المراتب فى مراتب النّفوس الجزئيّة المعبّرعنها بالالواح الجزئيّة وكتاب المحو و الاثبات ثمّ فى مراتب الاعيان المعبّر عنها بكتاب المحو والاثبات العينىّ ثمّ فى مرتبة الاصوات والحروف ثمّ فى مرتبة الكتابة والنّقوش ، وليست آيات الكتاب فى تلك المراتب محكمات لتطرّق المحو و الاثبات و النّسخ و التّبديل اليها و يتشابه حقّها بباطلها لتشابه المظاهر الشّيطانيّة بالمظاهر الآلهيّة وتشابه الاعمال والاقوال والاحوال والاخلاق، فانّ المظاهر الشّيطانيّة يعملون أعمالهم الشّيطانيّة بصور الاعمال الآلهيّة ثمّ يقولون هى بأمر الله والحال انّها بأمر الشّيطان ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ويقرؤن الآيات القرآنيّة بألسنتهم وهى ألسنة الشّيطان ويكتبون الآيات التّدوينيّة بأيديهم وهى أيدى الشّيطان ثمّ يقولون : هومن عندالله وما هومن عندالله ، بل من عند الشّيطان غاية ما فيه انّها مشابهة لما هو من عندالله صورة [مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] كامل فى العمل والعلم وذكر الوصفين للاشارة الى انّ كتابه التّكوينىّ والتّدوينىّ على كمال ماينبغى فليس لاحدٍ ان يردّ شيئاً منهما اويلوم احداً كما ورد : لواطّلعتم على سرّ القدر لا يلومنّ احدكم احداً ، ولدن الله وعندالله عبارة عن عالم المجرّدات و تفصيل الكتاب نشأ منها ولذا ورد ، انّ القرآن نزل جملة على البيت المعمور او على قلب محمّد (ص) ثمّ نزل منه نجوماً على صدره [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ] ان مصدريّة اى لان لا تعبدوا والفعل نفى اونهى اوتفسيريّة والفعل نهى يعنى انّ خلاصة

الغرض من تفصيل الكتاب نهيكم عن عبادة غير الله وامركم بالاستغفار والتّوبة [إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ] امّا من كلام الله ولا اشكال اومن كلام الرّسول (ص) حكاه الله كأنّه قال : فبلّغه رسولنا (ص) فقالوا : ما انت وذاك ؟ـ فقال : انّنى لكم من جانب الله نذير من موجبات سخطه وبشير برحمته [وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ] اعلم ، انّ اللّطيفة الانسانيّة السّيّارة الّتى يعبّر عنها بالرّوح خلق الله الارواح قبل الابدان بالفى عام وقديعبّر عنهابالامانة عرضنا الامانة على السّماوات والارض وقديعبّر عنها بالانسان وبفطرة الله وبقيّة الله وغير ذلك من الاسماء نزلت من عالم القدس ، ومقام الاسماء على الصّراط المستقيم الى عالم الطّبع فصارت جسماً وعنصراً وجماداً ونباتاً وحيواناً و انساناً الى ان بلغ اوان البلوغ وحدّ الانسانيّة ، وكان عوده الى ذلك المقام على الصّراط المستقيم بمحض تسبيبات آلهيّة من غير مدخليّة لاختياره، وفى هذا المقام يصير برزخاً بين عالمى الجنّة والملائكة ويصير مختاراً مريداً لخيراته نافراً عن شروره مميّزاً لهما، فان ساعده التّوفيق وصار اختياره موافقاً لفطرته سلك باختياره على الصّراط المستقيم الى الله ، و ان لم يساعده التّوفيق وصار اختياره مخالفاً لفطرته و موافقاً لمراد الشّيطان رجع عن الصّراط المستقيم الى دار الجنّة ومهوى الجحيم ، فان تنبّه وتذكّر انّ سلوكه كان الى الجحيم و انّ كلّما فعله فى هذا السّلوك كان موذياً للطيفته الانسانيّة صار حاله مثل من وقع فى سجن ضيّق مملوّ من العذرات والجيف المنتنة والحشرات الموذية مستدعياً من السّجّان ستر تلك ما لم يتخلّص من السّجن وهذا استغفاره من السّجّان، فاذا وجد مهرباً فرّ منه وهذا الفرار توبة عامّة اى التّوبة من المعصية ثمّ اذا وجد دليلاً يدلّه على الطّريق اوعلى المقصد فرّ الى طريق المقصد او الى المقصد وهذا الفرار توبة خاصّة اى التّوبة الى الله وهذه التّوبة لاتتصوّر الّا على يد نبيّ (ص) وتكون اسلاميّة ، اوعلى يد ولىّ وتكون ايمانيّة، وللتّوبة الاسلاميّة الّتى يحصل بها الاسلام وكذا للتّوبة الايمانيّة الّتى يحصل بها الايمان شرائط وآدابٌ وعهودٌ و مواثيق كانت مقرّرة عندهم فقوله تعالى: استغفروا ربّكم؛ خطاب لمن وقع فى سجن الطّبع يعنى اطلبوا ايّها الواقعون فى سجن الطّبع من ربّكم ستر عذرات الهوى وجيف الشّبه وموذيات الغضبات والشّهوات ما لم تجدوا فرصةً ومهرباً من السّجن، حتّى لاتفسد دماغكم بنتنها ولاتفسد فطرتكم الانسانيّة ثمّ فرّوا منه كلّما وجدتم فرصةً ومهرباً ثمّ فرّوا الى الله بالتّوبة على ايدى خلفائه والبيعة معهم بشرائطها اذا وصلتم اليهم فان تبتم اليه بشرائطها [يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا] مادمتم فى الطّريق [إِلَىٰ أَجَلٍ] وقتٍ [مُسَمًّى] معيّن لخروجكم من الدّنيا ووصولكم الى موطنكم بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ [وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ] فى الطّريق بكثرة المجاهدة وكثرة جنوده الآلهيّة فى مملكته [فَضْلَهُ] عين فضله لانّ الفضل يتصوّر بصور حسناء خصوصاً على ما قلنا من انّ الفضل لذى الفضل هو كثرة الجنود الآلهيّة اوعلى القول بتجسّم الاعمال او جزاء فضله كما فسّره المفسّرون [وَإِنْ تَوَلَّوْا] تتولّوا عن عبادة الله و الاستغفار و التّوبة [فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ] يوم القيامة الكبرى [إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ] تعليل او حال [وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ] ثنى الصّدر وثنى الظّهر كناية عن اخفاء الانسان نفسه حتّى لايراه احد وهو ابداء ذمّ بأنّهم لحمقهم يثنون صدورهم [لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ] من الله مع انّه عالم بسرائرهم فكيف يستخفون منه بعلنهم بواسطة تثنية ظهورهم ، روى انّ المشركين كانوا اذا مرّوا برسول الله (ص) حول البيت طأطأ احدهم ظهره و رأسه هكذا ، و غطّى رأسه

بثوبه حتّى لايراه رسول‌الله(ص)فأنزل‌الله الآية ، ونقل انّه كناية عن انطواء قلوب المنافقين على بغض‌علىّ(ع) [اَلاٰحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيٰابَهُمْ] حين دخولهم فى‌خلواتهم واستغشائهم ثيابهم للمنام وهوأخفى حالاتهم اوحين يستغشون ثيابهم لئلّا يراهم الرّسول (ص) [يَعْلَمُ] الله [مٰايُسِرُّونَ] من النيّات فيعلم نبيّه (ص) والمؤمنين [وَمٰايُعْلِنُونَ] من‌الافعال [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] بمكمونات الصّدور الّتى لم تخرج من القوّة الى الفعل بعد، ولاخبرة لهم بها فكيف بنيّاتها وخطراتها وحالاتها الّتى هى‌علانية بالنّسبة الى‌ذات الصّدورفانّ غير المكمونات لجواز زوالها عن الصّدور لايصدق عليها انّها صاحبة للصّدور وهوتعليل لسابقه .

[الجزء الثّانى عشر]

[وَمٰامِنْ دٰابَّةٍ فِى الْاَرْضِ] عطف على انّه عليم بذات الصّدور او حال من المستتر فى عليم [اِلاّٰ عَلَى اللهِ رِزْقُهٰا] فكيف لا يعلم حالها و ما يوافقها و ما يخالفها [وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهٰا] محلّ قرارها من الدّنيا او من‌الآخرة [وَمُسْتَوْدَعَهٰا] محلّها الّذى ينتقل منها من اصلاب الآباء و ارحام الامّهات ومن منازل الدّنيا و منازل الآخرة الى مستقرّها فى الآخرة ، و يجوز ان يكونا اسمى زمان او مصدرين ، و يجوز اعتبار الاستقرار بالاضافة وكذلك اعتبار الاستيداع وحينئذ يكون كلّ من منازل الدّنيا و الآخرة مستقرّاً و مستودعاً باعتبارين سوى المنزل الاخير من الآخرة لانّه يكون مستقرّاً على الاطلاق [كُلٌّ] من الدّوابّ اومن‌المستقرّ والمستودع [فِى كِتٰابٍ مُبِينٍ] هوالقلم العالى اواللّوح المحفوظ [وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] سماوات الارواح و ارض الاشباح الملكوتيّة النّورانيّة و الملكيّة الظّلمانيّة و السّفليّة السّجّينيّة و سماوات عالم الطّبع و ارض ذلك العالم [فِى سِتَّةِ اَيّٰامٍ] قدمرّ تفسير الآية و وجه التّقييد بستّة ايّام فى سورة الاعراف [وَكٰانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمٰاءِ] عرش الرّحمن مشيّته الّتى هى فعله وكلمته و الحقّ المخلوق به و الولاية المطلقة والحقيقة المحمّديّة(ص)واضافته الاشراقيّة وهى‌اضافة الحقّ الى‌الخلق، ولها وجه الى‌الحقّ المطلق وبهذا الوجه تسمّى عرشاً ووجه الى الخلق وبهذا الوجه تسمّى كرسيّاً، وهى بوجهها الاوّل ظهوره تعالى‌باسمائه وبوجهها الثّانى‌ظهوره تعالى بافعاله واذا اعتبرت اضافتها الى‌الخلق كان‌حاملها اقرب‌الممكنات اليها، وهم‌اربعة فى النّزول واذا اعتبر الصّاعدون معها صاروا ثمانية ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية واذا قطع النّظر عن‌اضافتها الى‌الخلق كان وجهها الخلقىّ وجوداً صرفاً ويعبّرعنه بالماء وكان‌الوجه الخلقىّ حاملاً لها من حيث وجهها الحقىّ فقبل‌اعتبار الخلق كان عرشه على الماء، وماورد فى‌الاخبار من‌التّفاسير المختلفة‌راجع الى‌ماذكرنا [لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً] ليعلم بالاختيار ايّكم احسن عملاً و لهذا التّضمين علّق يبلوكم باداة الاستفهام والمعنى انّا خلقنا السّماوات والارض فى المراتب السّتّ من مراتب العالم وخلقكم بين‌السّماوات والارض وجعل لكم‌طريقاً اليهما وسهّل‌لكم‌الصّعود الى‌السّماوات والنّزول‌الى‌الارض، واودع فيكم‌انموذجاً من‌كلّ ليبلوكم‌بذلك ويظهرمن‌كان منكم احسن عملاً ، وانّما اقتصرعلى ذكرحسن‌العمل‌واتى‌بصيغة‌التّفضيل اشارة الى انّ الغاية هوالّذى يكون احسن عملاً و الباقى منظور اليه بالتّبع وامّا قبح العمل فهو من الطّوارى فالآية اشارة الى شرافة الانسان وترغيبه فى‌محاسن‌الاعمال بألطف وجه [وَلَئِنْ قُلْتَ اِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ

الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالمعادسواء كفروا بالمبدء ام لا [إِنْ هٰذَا] القول بالعود [إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] السّحر يطلق على عدّة معان منها القول الباطل الّذى لايعلم وجه صحّة له وقد ابرز بتمويهات وتخييلات مبرز الحقّ [وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ] الّذى وعدناهم على لسانك [إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ] الامّة ههناالبرهة من الزّمان لكونهامقصودة متوجّهاً اليها والمعدودة القليلة، اوالمراد اصحاب القائم عجّل الله فرجه الثّلاثمائة وبضع عشر ؛ وقد اشيرفى الاخبارالى كليهما [لَيَقُولُنَّ] استهزاءً [مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ] يوم ظهورالقائم (ع) اويوم الموت او يوم عذاب الدّنيا او يوم السّاعة [وَحَاقَ بِهِمْ] قبل هذا الزّمان العذاب الموعود فانّ مادّته محيطة بهم و صورته مكمونة فيهم لكن لا يشعرون به لغشاوة أبصارهم [مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً] نعمة صحّة وسعة وولد [ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ] عن اعطائها لعدم صحّة اعتقاده بفضلنا [كَفُورٌ] لتعلّق قلبه بالنّعمة نفسها و بعد انتزاعها لا يبقى له حالة شكر على النّعمة لغفلته عن المنعم وانقطاعه بالزّوال عن النّعمة [وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ] كان حقّ العبارة ان يقول : ولئن اصبناه بضرّاء ثمّ كشفناهاعنه حتّى يوافق قرينته لكنّه تعالى ارادان يفتتح القرينتين بنسبة الانعام اليه ولاينسب مسيس الضرّ الى نفسه لانّه تابع لاعمال الانسان [لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي] لانّ نظره كان مقصوراً على صورة النّعمة غير متجاوز الى المنعم والى غاية النّعمة [إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ] جواب سؤال عن علّة القول اى يقول ذلك لانّ فى جبلّته الفرح بالنّعمة و الفخر على الخلق بها او جواب سؤال عن حال القائل [إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا] فانّهم لصبرهم وثباتهم على النّظرالى المنعم لايخرجهم زوال النّعمة الى اليأس و الكفران غفلة عن المنعم ولاتجرّهم النّعمة الى البطر والفخر لخوفهم عن الاستدراج وعن زوالها [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] والمراد بالصّبر حقيقة هوالدّخول فى الاسلام وتحت احكام النّبوّة ولقد فسّر الصّبر فى قوله واستعينوا بالصّبر بمحمّد (ص) لنبوّته و المراد بعمل الصّالحات حقيقة هوالدّخول فى الايمان و تحت احكام الولاية وقد فسّر الصّلوة فى الآية المذكورة وهى اصل الاعمال الصّالحة بعلىّ (ع) لولايته [أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ] فى فضيلة علىّ (ع) او فى ولايته كما روى انّه (ص) دعا لعلىّ (ع) فاستهزأ قومه اوانّه (ص) بعد مانزل الوحى بولاية علىّ (ع) خاف من تكذيب قومه فنزل الآية اوبعض ما يوحى اليك مطلقاً على ظاهره [وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا] لان يقولوا اوكراهة ان يقولوا [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ] ان كان صادقاً فى انّه ينزل عليه الوحى او فى انّه يجاب دعاؤه [أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ] فيعينه اويصدّقه [إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ] تعليل للمقصود من قوله لعلّك تارك يعنى لاينبغى لك التّرك لقولهم واستهزائهم لانّ شأنك الانذار وليس عليك قبولهم و ردّهم حتّى تترك شأنك لردّهم [وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] لا انت فعليه ترك الانذار والاهمال حيثما استحقّوا ذلك و الامر بالانذار والرّدع عن المساوى حيثما استحقّوا ذلك وعليه اثابة الفاعل وعقوبة المنكر فليس عليك الّا ما هوشأنك من الانذار والتّبليغ ما لم تنه عنه من الله [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ] متحدّياً معهم [فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ] فيما تدركون منه من حسن

النّظم و تناسق الحروف والكلمات وتأدية معان كثيرة بالفاظ قليلة والاتيان بحقّ مايقتضيه كلّ مقام و التّأدية بأحسن مايمكن التّأدية به بحسب كلّ مقام ، وامّامالاتدركونه منه ممّا يترتّب على حروفه من فوائدالعلوم المنوطة بحروفه من علم الاعداد والحروف والطّلسمات ، وممّا يستنبط منه من المغيبات الّتى كلّهاعنداهل القرآن وليس لاحدٍ الوصول اليها الّا بتطهير قلبه من الاحداث والاخباث ودخوله فى سلك المشاهدين اوالمتحقّقين بحقيقة القرآن، لانّ القرآن لايمكن مسيسه الّا للمتطهّرين فلا كلام فيه معكم فانّكم متباعدون عن التّخاطب بامثال هذه [وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ] من الشّياطين والجنّة الّتى يدعوها الكهنة، ومن الكواكب والاصنام الّتى يدعوها المشركون ، ومن الفصحاء الّذين يظنّهم النّاس قادرين على الاتيان بمثله [إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] انّه مفترى [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ] اى ان لم يستجب الشّركاء لكم ايّها المنكرون او ان لم يستجب المنكرون لكم ايّها المؤمنون الى ماتحدّيتم به ، ولمّا كان الغرض من هذا التّحدّى تسلية المؤمنين وتقوية ضعفاء المسلمين جعلهم شركاء له (ص) فى الخطاب على هذا الوجه ، ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام و يجوز ان يكون مقول قوله (ص) [فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ] القرآن [بِعِلْمِ اللهِ] اى باطّلاعه اوانّ الّذى انزل انزل باطّلاع الله لا بافتراء عليه [وَأَنْ لا إِلهَ إِلّا هُوَ] يعنى انّ الّذين يدعونه من دون الله من الشّياطين و الاصنام و الكواكب لا تصرّف ولا تسلّط لهم على شيءٍ ولا استحقاق للعبوديّة الّا له يعنى انّ عجزهم عن الاتيان دليل على صدق محمّد(ص) وعلى نفى استحقاق غيره للعبادة وعلى كذب المكذّبين فى دعوى الآلهة لغيره تعالى [فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] منقادون خالصون عن الرّيب ان كان الخطاب لضعفاء المسلمين او فهل انتم معتقدون لدين الاسلام داخلون فيه ان كان الخطاب للكفّار بصرف الخطاب عن المسلمين الى المشركين يعنى ان علمتم ايّها المؤمنون اوان عجزتم وعلمتم عجز شركائكم ايّها المشركون فهل انتم مسلمون [مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَيوٰةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها] باعماله الاسلاميّة وارتكاب صور الاعمال الحسنة وتحمّل المشاقّ وانفاق الاموال فى حفظ الاسلام واعلائه كمافعل المنافقون من اصحاب الرّسول(ص) واظلالهم من اتباعهم الى يوم القيامة وكلّ من تحمّل المتاعب الشّديدة من متاعب الغربة والاسفار البعيدة والصّبر على الجوع والحرّ والبرد فى تحصيل المسائل الدّينيّة لغرض الوصول الى المناصب الدّنيويّة داخل فى مصداق الآية و يدلّ على هذا التّفسير قوله تعالى [نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها] لانّ توفية الاعمال فى الدّنيا ليست الّا لمن عمل الاعمال الصّالحة صورة وذلك لان يخرجوا من الدّنيا ومالهم من صورة اعمالهم المشابهة لاعمال المؤمنين شيءٌ [وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ] هذا بحسب حال الاغلب والّا فقد يريد الدّنيا ويتعب نفسه فى تحصيلها و فى تحصيل العلم وارتكاب صور الاعمال الشّرعيّة لغرض من الاغراض الدّنيويّة ولا يصل اليها كماترى من حرمان بعض عن اغراضهم فليس له الآخرة لانّها لم تكن مقصودة له ولا الدّنيا لحرمانه عنها فيشبه دنياه آخرة يزيد لعنه الله وآخرته دنيا ابى يزيد ولهذا قيّد الاتيان فى آية اخرى بمايشاء لمن يشاء [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها] اى فى الدّنيا او فى الآخرة ظرف للصّنع اوللحبط [وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ] لمّا توهّم من ذكر الحبط انّ اعمالهم لها شوب من الحقيّة قال باطل اشارة الى انّه لاحقيّة لها اصلا بل هى بالفعل باطلة لا انّها يطرؤها البطلان فى الآخرة [أَفَمَنْ كانَ

عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسٰى إِمَامًا وَرَحْمَةً] الهمزة للانكار و الخبر محذوف ای کمن لیس له بیّنة فی دعویه ویرید الدّنیا ، والمراد بالموصول محمّد (ص) اوعلیّ (ع) اوجملة المؤمنین والمراد بالبیّنة الرّسول (ص) اورسالته اومعجزاته او کتابه اواحکام رسالته اوعلیّ (ع) اوولایته ، و یتلوه امّا من التّلاوة اومن التّلو وضمیر المنصوب امّا للموصول اوللبیّنة والتّذکیر باعتبار المعنی اوللقرآن بقرینة ذکره سابقاً والشّاهد امّا محمّد (ص) اوعلیّ (ع) اوالقرآن او البرهان الّذی یؤتیه الله المؤمن من الآیات الآفاقیّة والانفسیّة ، وضمیر المجرور امّا للموصول اوللرّبّ اوللبیّنة ، وضمیر من قبله راجع الی الموصول او الی البیّنة اوالی الشّاهد ، و من قبله کتاب موسی امّا جملة حالیّة او معطوفة علی خبر کان و الجملة امّا ظرفیّة مکتفیة بمرفوعها عن الخبر اواسمیّة وخبره مقدّم ، اومن قبله کتاب موسی (ع) عطف علی شاهد عطف المفرد ، واماماً و رحمة امّا حال عن الموصول او عن البیّنة اوعن الشّاهد اوعن کتاب موسی (ع) ، فهذه تسعة الاف و سبعمائة وعشرون (٩٧٢٠) وجهاً حاصلةً من ضرب بعض الوجوه فی بعض هذا بالنّظر الی المعنی ، وامّا بالنّظر الی وجوه الاعراب و اعتبارات النّحو مثل احتمال کونه اماماً حالاً من المستتر فی کان او فی علی بیّنة او من مفعول یتلوه او المجرور فی منه اوالمستتر فی من قبله و کذلک احتمالات کون جملة من قبله کتاب موسی (ع) حالاً من کلّ من المذکورات السّابقة ، فالوجوه والاحتمالات تصیر اکثر من ذلک و یسقط بعض الاحتمالات لعدم صحّتها اوتکرّرها اوبعدها ویبقی الباقی صحیحاً ، وقد اشیر الی اجمالها فی الاخبار وهذا من سعة وجوه القرآن وصحّة حمله علی کلّ وجه ویستفاد من تفاسیرهم (ع) انّ احسن الوجوه الّذی امروا بالحمل علیه فیما نسب الیهم (ع) من مضمون : انّ القرآن ذووجوه فاحملوه علی احسن وجوهه ؛ هومایوافق مقام البیان [أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ] بالقرآن اوالرّسول (ص) اوعلیّ (ع) اوماانزل من ولایة علیّ (ع) [وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ] من القرآن اوشأن رسالتك اوعلیّ (ع) اوشأن ولایة علیّ (ع) ، هذا علی ان یکون الخطاب لمحمّد (ص) وان کان الخطاب عامّاً فالمعنی فلاتك یامن یتأتّی منه الخطاب فی مریة من محمّد (ص) اورسالته اوالقرآن اوعلیّ (ع) اوولایته [إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلٰى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلٰى رَبِّهِمْ] صورة الآیة عامّة فی کلّ من ادّعی شیئاً وادّعی انّه من الله ، مثل الوثنیّ والصّابئیّ وغیرهم من المشرکین المدّعین انّ اشراکهم من الله ، ومثل المبتدعین من اصحاب الملل الآلهیّة مع ادّعائهم انّ ابتداعهم من نبیّهم ومن دینهم ، ومثل المنحرفین من اهالی المذاهب المختلفة من امّة محمّد (ص) ، ومثل اصحاب الفتاوی من العامّة ومثل اصحاب الفتاوی من اهل المذهب الحقّ من غیر اذن واجازة من المعصوم (ع) عموماً اوخصوصاً بواسطة اوبلاواسطة ، ومثل المنتحلین للتّصوّف من غیر اذن و اجازة صحیحة من المشایخ الحقّة سواء کانوا مدّعین للشّیخوخة من غیر اذن اوللسّلوك من غیر اخذ ؛ لکنّ المقصود اصل الکاذبین الّذین نصبوا انفسهم دون ولیّ الامر (ع) وادّعوا انّه من الله ومن رسوله (ص) والاشهاد خلفاء الله الّذین یشهدون علی اعمال اهل الارض ویقبل الله منهم الشّهادة یوم القیامة علی اهل عصرهم اوالملائکة الموکّلة علیهم [أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظَّالِمِينَ] من قول الاشهاد ومن قول الله ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم ظالمون وللاشارة الی انّ المراد مخالفوا آل محمّد (ص)

وصفهم بقوله [اَلَّذينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ] بيان للظّالمين يعنى انّ الظّالمين آل محمّد (ص) حقّهم هم الّذين يعرضون عن آل محمّد (ص) ويمنعون غيرهم عنهم، وسبيل الله هو الامام وولايته فى العالم الكبير والعقل او اتباعه فى العالم الصّغير، والاعراض عن الامام (ع) لايكون الّا بعد الاعراض عن العقل وكذا المنع بل هما متلازمان [وَيَبْغُونَها عِوَجًا] اى يطلبون لها عوجاً اويطلبونها معوجّة يعنى ان كانت معوجّة يطلبونها لااذا كانت مستقيمة امّا لانّ الانسان عدوّ لماجهل اولانّه بفطرته يطلب ان يكون كلّ طريق مثل طريقه اوالمعنى كمافى الخبر يحرّفونها عن اهلها الى غير اهلها او يخلطونها على الضّعفاء باظهار ما يظنّونه عيباً فيها [وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ] تكرير الضّمير لتأكيد الاختصاص [أُولٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزينَ فِى الْأَرْضِ] تهديدٌ لهم وتسلية للرّسول (ص) [وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ] حتّى يمنعوهم من عقوبة الله ويصلحوا مافسد من امورهم و من يظنّونهم اولياء ممّن نصبوهم دون ولىّ الامر (ع) فهم لايمنعون عن انفسهم ولا يصلحون انفسهم فكيف بغيرهم [يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ] جواب سؤال مقدّر عن حالهم اوعن حال الاولياء (ع) من دون الله كأنّه قيل: فماحال اوليائهم الّذين يتولّونهم من الاصنام والاحبار والرّهبان والرّؤساء الّذين يظنّونهم رؤساء الدّين والمقصود غاصبوا آل محمّد (ع) حقّهم، فقال يضاعف لهم العذاب فكيف ينصرون غيرهم وهذا انسب بالمقام [ما كانُوا يَسْتَطيعُونَ السَّمْعَ] حال من الضّمير المجرور اواستيناف اخريعنى لشدّة العذاب لاقدرة لهم على استماع شيءٍ اوكانوا لاقدرة لهم على سماع فضيلة علىّ (ع) فى الدّنيا لبغضهم له (ع)، واسم كان امّا ضمير الظّالمين اوالاولياء (ع) [وَما كانُوا يُبْصِرُونَ] بالوجهين [أُولٰئِكَ] الظّالمون او الاولياء او المجموع [الَّذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ] ممّا ادّعوا انتسابه الى الله من ادّعاء الخلافة والفتاوى الباطلة وادّعاء شفاعة الآلهة وشفاعة من يظنّونهم خلفاء الرّسول (ص) ورؤساء الدّين وشفعاء يوم القيامة [لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ] حيث بدّلوا بضاعتهم بما لم يبق منه عين ولا اثر وظنّوا انّه اجلّ عوضٍ اخذوه [إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا] ايماناً عامّاً بالبيعة العامّة النّبويّة او ايماناً خاصّاً بالبيعة الخاصّة الولويّة و دخول الايمان فى قلوبهم [وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ] بعد الايمان العامّ بالدّخول فى الايمان الخاصّ او العمل بشرائط الايمان الخاصّ ممّا اخذ عليهم فى الميثاق والبيعة الولويّة اذمرّ مراراً انّ اصل الصّالحات هو الولاية ولا يكون عمل صالح الّا بقبول الولاية ودخول الايمان فى القلب [وَأَخْبَتُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ] الاخبات الاطمينان مع الخشوع من الخبت بمعنى المتّسع من الارض المطمئنّة والمعنى اطمأنّوا اليه بالخشوع والانقطاع عن غيره ، والرّبّ المضاف هوالولىّ الّذى بايعوا معه بيعةً خاصّةً ولويّةً ولايصدق الاخبات الّا بعدلقائه بالوصول الى ملكوته والحضور عنده، فانّ تلك البيعة تورث المحبّة والمحبّة تورث الاضطراب وعدم الاطمينان دون الاتّصال بالمحبوب ولايقنع المحبّ بالاتّصال البشرىّ حتّى يحصل له الاتّصال الملكوتىّ و يجد المحبوب فى عالمه و يتّحد معه وهو الّذى يعبّر عنه بالفكر والحضور والسّكينة [أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدُونَ مَثَلُ الْفَريقَيْنِ] الصّادّين عن سبيل الله والمؤمنين به [كَالْأَعْمىٰ وَالْأَصَمِّ] كالّذى يعمى فى انّه لا يبصرطريقه وموبقات طريقه، وكالّذى

یصمّ فی انّه لایسمع من الصّوت ماهومقصوده اوفی انّه لایسمع نداء منادی الله فی العالم الکبیر ولافی العالم الصّغیر اوکالّذی یعمی ویصمّ لیکون تشبیهاً واحداً لا ان یکون التّشبیه تشبیهین [وَالْبَصِیرِ وَالسَّمِیعِ] تقدیم الکافرین لمراعاة اللّفّ [هَلْ یَسْتَوِیَانِ مَثَلاً اَفَلاَ تَذَکَّرُونَ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَی قَوْمِهِ اِنِّی لَکُمْ] بأنّی علی قراءة فتح الهمزة : وقائلاً انّی لکم [نَذِیرٌ مُبِینٌ] علی قراءة کسر الهمزة ، اوهو مستأنفٌ علی هذه القراءة جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ [اَلاَّ تَعْبُدُوا اِلاَّ اللهَ] ان تفسیریّة وتفسیر لأرسلنا اولنذیر اولمبین علی ان یکون بمعنی مظهر لانذاری او بمعنی ظاهر الانذار علی ان یکون النّهی عن عبادة غیرالله بیاناً للانذار من الله او للافعال الثّلاثة شبه التّنازع و ذلک لانّ ان التّفسیریّة فی الحقیقة تفسیر لمتعلّق مجمل للفعل المفسّر بها و یجوز ان یکون تفسیر واحد تفسیراً لعدّة اشیاء مجملة کأنّه قیل : لقد ارسلنا نوحاً بشیءٍ انّی لکم نذیر بشیءٍ مبین انذاری بشیءٍ هو النّهی عن عبادة غیرالله ، او ان مصدریّة بدلا من انّی لکم نذیر علی قراءة فتح همزة انّی اومتعلّقاً بارسلنا بتقدیر الباء اواللّام علی قراءة کسر همزة انّی اومتعلّقاً بنذیر اومفعولاً لمبین ویجوز تعلّقه بالثّلاثة علی سبیل التّنازع ولا تعبدوا حینئذٍ یجوز ان یکون نفیاً ونهیاً [اِنِّی اَخَافُ عَلَیْکُمْ عَذَابَ یَوْمٍ اَلِیمٍ] فی موضع التّعلیل [فَقَالَ] ای فقال نوح لهم ما ارسلناه به فقال [الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَیٰکَ اِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَیٰکَ اتَّبَعَکَ اِلاَّ الَّذِینَ هُمْ اَرَاذِلُنَا] یعنی انّ المطاعیّة تقتضی ان یکون المطاع افضل من المطیع و الفضیلة امّا اضافیّة بالاضافة الی من ادّعی الانتساب الیه اونفسیّة بکونه فی نفسه افضل من المطیع وکلاهما منتفٍ عنک ، امّا الاوّل فلکونک بشراً مثلنا والبشر لایکون مناسباً للخالق الّذی ادّعیت الانتساب الیه لکونک مادّیاً سفلیاً محدوداً متحیّزاً وکون الخالق بخلاف ذلک ولوفرض وجود بشرٍ علی خلاف ذلک فلست انت ذلک لکونک مثلنا، وامّا الثّانی فلکون اتباعک اراذل النّاس وبین التّابع والمتبوع یکون مناسبة فانت ارذل النّاس [بَادِیَ الرَّأْیِ] من بدا یبدو بمعنی ظهر اومن بدء بمعنی ابتداء وهومنصوب علی الظّرفیّة بتقدیر مضافٍ ای وقت بادی الرّأی والاتّباع وقت اوّل الرّأی اوظاهر الرّأی من غیر تعمّقٍ دلیل علی الارذلیّة [وَمَا نَرَیٰ لَکُمْ عَلَیْنَا مِنْ فَضْلٍ] یعنی لا فضل سوی ماذکر ولو فرض فضل سوی ماذکر لم تکن انت له باهلٍ لانّا لانری لکم علینا شیئاً من الفضل، اشرکوا اتباعه معه فی نفی مطلق الفضل لیکون کالدّلیل علی نفی مطلق الفضل عنه لانّه ان کان للمتبوع فضل یسرِ ذلک الفضل الی التّابع وان خفی فی بعضٍ ظهر من بعض آخر ، و یجوز ان یکون قوله و ما نری لکم کالنّتیجة للاولیین یعنی ان لم یکن لک فضل نفسیّ ولا اضافیّ فلا فضل لکم علینا [بَلْ نَظُنُّکُمْ کَاذِبِینَ] فی دعوی الرّسالة و تصدیقهم ایّاک ولمّا لم یکن مقدّماتهم یقینیّة بل کلّها کانت ظنّیّة خطابیّة صرّحوا بظنّهم اخیراً، ولکن قیاسهم یشبه ان یکون من القیاسات الشّعریّة المرکّبة من المقدّمات الوهمیّة المموّهة حیث انکروا الرّسالة بقصر النّظر فی الرّسول علی بشریّته وانّها تنافی الرّسالة عن الخالق ولم ینظروا الی روحانیّته وانّها مناسبة للخالق وانّ الرّسول بوجهه الرّوحانیّ یأخذ من الله وبوجهه البشریّ یبلّغ الی خلقه، وانّه لولم یکن ذا بشریّةٍ لایمکنه التّبلیغ الی البشر، وانکروا فضل الاتباع ایضاً بقصر النّظر علی بشریّتهم وجهة دنیاهم ولم ینظروا الی روحانیّتهم المناسبة لروحانیّة الرّسول المناسبة للارواح المجرّدة ولوادرکوا روحانیّتهم، وان لاروحانیّة لانفسهم لعلموا انّ لاتباع النّبیّ(ص) فضلاً

كثيراً جدّاً عليهم [قٰالَ يٰاقَوْمِ اَرَأَيْتُمْ] من الرّأى بمعنى الاعتقاد ولمّا كان حقيقة الاستفهام الاستخبار ومعنى الاستخبار طلب الاخبار عن اعتقاد المستخبر عنه استعملوا تلك الكلمة فى معنى اخبرونى مجرّداً عن الاعتقاد لئلّا يلزم التكرار وقد مرّ نظيره [اِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّى وَ آتٰانى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهٰا وَاَنْتُمْ لَهٰا كٰارِهُونَ] فعمّيت جواب الشّرط ، وجملة الشّرط و الجزاء متعلّق ارأيتم وارأيتم معلّق عنها والحقّ انّ التّعليق كما يقع باداة الاستفهام يقع باداة الشّرط ايضاً وحينئذٍ يكون جملة انلزمكموها مستأنفة منقطعة عمّا قبلها اوالفاء عاطفة وعمّيت معطوف على الشّرط والجزاء محذوف بقرينة ارأيتم اوبقرينة انلزمكموها و انلزمكموها مفعول ارأيتم معلّقاً عنه باداة الاستفهام، والبيّنة قد مرّ مراراً انّها النّبوّة كما انّ الزّبر هى الولاية واطلاقها على الرّسالة واحكامها وعلى المعجزة المبيّنة لصدق الدّعوى وعلى الكتاب السّماوىّ لكونها صورة النّبوّة وظهورها ، والرّحمة هى الولاية و النّبوّة وتوابعها صورة الرّحمة و لذا وحّد الضّمير فى عمّيت و نلزمكموها ولتوحيد الضّمير وجوه اخر لافائدة معتدّاً بها فى ذكرها [وَيٰاقَوْمِ لٰا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مٰالاً] بعد ما اظهر الدّعوى وادّعى خفاء المدّعى عليهم تعرّض لجوابهم لانّهم عرّضوا بتكذيبه الى انّه (ص) طالب للدّنيا والرّياسة وبتحقير الاتباع الى طردهم عنه بل صرّحوا بطردهم كما نقل فقال : ان كنت طالباً لدنياكم ينبغى ان يظهر منّى التعرّض لها حيناً ما ، والحال انّى لا اسألكم عليه مالاً [اِنْ اَجْرِىَ اِلّٰا عَلَى اللّٰهِ] وان كان ازدراء المؤمنين فى اعينكم سبباً لتوهينى ومانعاً من اتّباعكم لى فليس امرهم الىّ [وَمٰا اَنـَا بِطٰارِدِ الَّذينَ آمَنُوا اِنَّهُمْ مُلٰاقُوا رَبِّهِمْ] بملاقاة خليفته ومظهره وبملاقاة ملكوت ربّهم المضاف فى الدّنيا والآخرة ولذا أتى باسم الفاعل اشارة الى تحقّق الملاقاة فى الحال [وَلٰكِنّى اَرٰيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ] استدراك لما اوهم كلامهم واستدلالهم على تكذيبه من انّهم اهل علم وعقل ومقابلة لما قالوا له من قولهم ما نريك يعنى انّ تكذيبى وعدم اتّباعى ليس لماذكرتم بل لوقوعكم فى دار الجهل وبعدكم عن دار العلم والعقل [وَيٰا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنى مِنَ اللّٰهِ اِنْ طَرَدْتُهُمْ] يعنى انّ ايمانهم بمشيّة الله ولايجوز طردهم الّا بمشيّة الله فلو طردتهم بهواى اوباهويتكم سخط الله علىّ و من ينصرنى من سخطه [اَفَلٰا تَذَكَّرُونَ] ذلك حتّى لا تسألونى طردهم [وَلٰا اَقُولُ لَكُمْ عِنْدى خَزٰائِنُ اللّٰهِ] حتّى تكذّبونى و اتباعى بفقرنا و فاقتنا [وَلٰا أَعْلَمُ الْغَيْبَ] حتّى تكذّبونى بعدم اكثارى المال بالمكاسبات الرّابحة او تكذّبونى بعدم اجابتكم فى السّؤال عن المغيبات و الجملة معطوفة على جملة عندى خزائن الله ولا زائدة لتأكيد النّفى والعدول الى الفعليّة لكون العلم وصفاً للعالم دون الخزائن اومعطوفة على جملة لااقول ولانافية وعدم ادخاله فى جملة القول للاشعار بانّ علم الغيب خاصّ بالله لايوصف غيره به بخلاف الخزائن فانّه قديوكّل الله بعض خواصّه عليها لكن لايقول ذلك ولايدّعيه [وَلٰا اَقُولُ اِنّى مَلَكٌ] حتّى تكذّبونى بماترون من بشريّتى [وَلٰا اَقُولُ لِلَّذينَ تَزْدَرى أَعْيُنُكُمْ] تعيبهم اعينكم افتعال للمبالغة من زراه اذا عابه ونسبته الى الاعين للاشعار بانّ ازدرائهم انّما هو لأجل مارأوه من ظاهر حالهم من الرّثاثة والحاجة من غير تبصّرٍ بحالهم الواقعيّة [لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللّٰهُ خَيْرًا] حتّى تطالبونى بطردهم و تكذّبونى بقبولهم [اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا فى

اَنْفُسِهِمْ] تعليل [اِنّى اِذًا لَمِنَ الظّالِمينَ] تعليلٌ اخر وتعريض بهم حيث عابوهم [قالُوا] بعد عجزهم عن المحاجّة [يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَاَكْثَرْتَ جِدالَنا] وامللتنا بجدالك وكنت تعدنا العذاب من ربّك [فَأْتِنا بِما تَعِدُنا اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقينَ] فانّه لاينفع فينا جدا لك [قالَ] لست بقادر على اتيان العذاب ووعده و انّما نسبتموه الىّ بجهلكم [اِنَّما يَأْتيكُمْ بِهِ اللّهُ] لاغيره [اِنْ شاءَ وَما اَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ] فلاتجترئوا على التّحدّى [وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحى اِنْ اَرَدْتُ اَنْ اَنْصَحَ لَكُمْ] هذا الكلام منه تحسّر عليهم بانصرافهم عمّا يدعوهم اليه والاتيان باداة الشّكّ و ذكر الارادة مع انّه نصحهم و اكثر نصحهم للاشعار بانّهم لغاية بعدهم كأنّه لم ينصح ولاينبغى ان يريد نصحهم [اِنْ كانَ اللّهُ يُريدُ اَنْ يُغْوِيَكُمْ] جزاء الشّرط الاوّل محذوف بقرينة لاينفعكم نصحى و جزاء الشّرط الثّانى محذوف بقرينة مجموع الشّرط و الجزاء الاوّل [هُوَ رَبُّكُمْ] تعليل لعدم النّفع مع ارادة الله الاغواء [وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] تعليل للتّهديد من العذاب [اَمْ يَقُولُونَ افْتَريهُ] اى قال الله لنوح (ع) ام يقولون افتراه فهو حكاية قوله تعالى لنوح (ع) وضمير يقولون راجع الى قوم نوح او قال الله لمحمّد (ص) فهو اعتراض من الله خطاباً لمحمّد (ص) كأنّه بعد ما ذكر قصّة نوح (ع) مع قومه زعم بعض انّه افتراء من محمّد (ص) من غير وقوعه ومن غير وحىٍ فأتى الله بتلك الجملة المعترضة بين قصّة نوح (ع) [قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ اِجْرامى وَاَنَا بَرىءٌ مِمّا تُجْرِمُونَ وَاُوحِىَ اِلى نُوحٍ اَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ اِلّا مَنْ قَدْ امَنَ] بعد مادعى نوح (ع) بأنّى مغلوب فانتصر [فَلا تَبْتَئِسْ] لاتوقع نفسك فى شدّة الحزن وضيق الغمّ [بِما كانُوا يَفْعَلُونَ] لمّا كان لغاية رحمته عليهم مغتمّاً بصنائعهم القبيحة نهاه الله تعالى عن ذلك [وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِاَعْيُنِنا] اى بمحضرنا وفى مرآنا يقال: افعله فى محضرى لامر يكون به اهتمام، وجمع الاعين لكون المضاف اليه متكلّماً مع الغير او الاعين جمع العين بمعنى الدّيد بان والباء بمعنى فى اوللسّببيّة، ولمّا كان النّبىّ (ص) ذاشأنين وحين الاشتغال بالشّأن الخلقىّ لايبقى له الحضور التّامّ كما انّه حين الاشتغال بالشّأن الالهىّ لايبقى له الالتفات الى الكثرات لطروّ الغشى عليه اوشبه الغشى عليه ويكون موصوفاً بالحضور حينئذٍ امره بالقيام فى مقام الحضور وعدم الاشتغال بالكثرات حين نجرّ السّفينة [وَوَحْيِنا] تعليمنا بواسطة الملك اومن لدنّا [وَلا تُخاطِبْنى فِى الَّذينَ ظَلَمُوا] كأنّه (ع) من غاية رحمته كان يراجع الله تعالى فى دفع العذاب عن قومه بعد ما اخبره بنزول العذاب و هكذا كان شأن اكثر الانبياء (ع) خصوصاً اولوا العزم منهم [اِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] محكوم عليهم بالاغراق حتماً [وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ] روى عن الباقر (ع) انّ نوحاً (ع) لمّا غرس النّوى مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قد قعد غرّاساً، حتّى اذا طال النّخل وكان طوالاً قطعه ثمّ نحته فقالوا قدقعد نجّاراً، ثمّ الّفه فجعله سفينة فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون قدقعد ملّاحا فى فلاة من الارض، حتّى فرغ منها، وكأنّه اشارالى اجمال سخريّتهم والّا فانّهم سخروا منه بانواع مايسخر به كما نقل [قالَ اِنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَاِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ] وهكذا كان شأن كلّ محقّ ومبطلٍ لانّ كلّ من رأى غيره خارجاً من طريقته يسخرمنه لكن سخريّة المحقّ عقليّة و سخريّة المبطل خياليّة نفسيّة

[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ] من استفهاميّة مفعول تعلمون والفعل معلّق عنها ويخزيه صفة عذاب [وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] عطف على يأتيه اوموصولة مفعولاً لتعلمون بمعنى تعرفون وباقى اجزاء الجملة كما ذكر اوموصولة مفعولاً اوّلا لتعلمون ويخزيه مفعول ثان ويحلّ عطف على يخزيه اوموصولة مبتدء ويخزيه خبرها و يحلّ عطف عليه والجملة مستأنفة و تعلمون مطلق عن المفعول [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا] غاية لقوله قال ان تسخروا الآية اولقوله ويصنع الفلك [وَفَارَ التَّنُّورُ] فى التّنّور وموضعه وفورانه وموضعه اقوال والحمل على الظّاهر اظهر، وموضع التّنور معروف فى مسجد الكوفة اليوم وتفصيل نبع الماء وقصّة نوح (ع) وقومه والاختلاف فى التّنّور وموضعه ونبع الماء منه مذكورة فى المفصّلات واجمال الصّافى والمجمع يكفى للتّبصّر [قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] و من سبق عليه القول هى امرأته الخائنة امّ كنعان كما قيل [وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا] قرئ كلاهما بضمّ الميم وفتح الرّاء والسّين وقرئ بفتح الميم وفتح الرّاء والسّين وقرئ الاوّل فقط بفتح الميم وكسر الرّاء وهما امّا منصوبان على الظّرفيّة سواء اريد بهما المكان اوالزّمان اوالمعنى المصدرىّ اومرفوعان فاعلين لقوله بسم الله اومبتدئين وخبرهما بسم الله وبسم الله ظرف لغو متعلّق باركبوا ومجريها يكون منصوباً على الظّرفيّة اومستقرّ حال من الضّمير المجرور و مجريها فاعله اومن فاعل اركبوا بتقدير لكم حتّى يتمّ الرّبط اومستقرّ خبر لمجريها والجملة امّا حال من الضّمير الفاعل بتقدير لكم اومن الضّمير المجرور اومستأنفة جواباً لسؤال مقدّرٍ عن حال السّفينة او عن علّة الامر بالرّكوب ، وورد انّهم كلّما ارادوا جريها قالوا بسم الله مجريها وكلّما ارادوا ارساءها قالوا بسم الله مرسيها، وعلى هذا فالمناسب ان يكون جملة بسم الله مجريها محكيّاً لقول محذوف والتّقدير اركبوا قائلين بسم الله سواء قدّر مجريها مبتدء اومنصوباً على الظّرفيّة [إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] فمن تلبّس باسمه ادركته مغفرته ورحمته [وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ] وورد فى الاخبار انّه لم يكن ابنه انّما كان ابن امرأته وفى لغة طيّ يقال لابن المرأة ابنه بفتح الهاء وقد ورد قراءة علىّ (ع) والباقر (ع) والصّادق (ع) بفتح الهاء وروى ابنها والضّمير لامرأته [قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ] الّا من كان شأنه الرّحمة وهو الله اومن كان خليفةً له اوالّا لامكان من رحمة الله يعنى السّفينة اوالعاصم بمعنى المعصوم اوالاستثناء منقطع اوالعامل والمستثنى منه محذوف اى فليس اليوم معصوم من امر الله الّا من رحمه الله [وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ] فصار [مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ] اختلف فى تعيين الجودىّ فقيل: انّه بناحية آمل، وقيل: بقرب جزيرة الموصل، وقيل: بالشّام، وفسّر بفرات الكوفة، وقيل: انّه اسم لكلّ جبل وارض صلبة وكذلك اختلف فى مدّة كون نوح (ع) فى السّفينة، فورد انّها كانت سبعة ايّام بلياليها، وقيل: كانت مائة وخمسين يوماً، وقيل: اوّلها كان عاشر رجب وآخرها عاشر محرّم، ولا يخفى حسن نظم الآية وقد ذكروا وجوهاً عديدةً بيانيّةً وبديعيّةً

فى الآية الشّريفة من أرادها فليرجع الى التّفاسير الاُخر [وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ] باهلاك من لايدخل السّفينة وانجاء اهلى [وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ] بعد تضرّعه والتجائه ودعائه فى حقّ ابنه تبرّى عن مشيّته وحكومته و اقرّ بأنّه أحكم الحاكمين دفعاً لتوهّم عدم رضائه بحكمه [قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ] و ذلك لانّه على فرض صحّة ما اشتهر انّه كان ابنه كان نسبته جسمانيّة ونوح (ع) صار متحقّقاً فى الدّنيا بالرّوحانيّة والنّسب الجسمانيّة منقطعة فى العالم الرّوحانيّ والنّسب الرّوحانيّة معتبرة هناك كالقيامة ولمّا لم يكن له نسبة روحانيّة واتّصال ملكوتيّ لم يكن من اهل نوح (ع) [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] حمل المصدر للمبالغة و هو تعليل للنّفى ومن قرأ انّه عمل غير صالح بالاضافة كما فى بعض الاخبار نفياً لنسبته الجسمانيّة بجعله لغيّة العياذ بالله فقد أخطأ وقرئ انّه عَمِلَ غيرَ صالح فعلاً ماضياً و غير مفتوح الرّاء [فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] ما لم تعرف حقيقة مسؤلك حتّى تعرف صحّة سؤالك [إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] حيث يسألون ما لايعلمون [قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ] امتثالاً لحكمك و اتّعاظاً بعظتك [وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ] قاله تضرّعاً واستكانة [قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا] بسلامة [وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ] من الامم الّتى فى السّفينة فانّهم كانوا جماعات مختلفة من انواع الحيوان او من اصناف الانسان [وَأُمَمٌ] ممّن معك او ممّن يولدون ممّن معك [سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ] عن الصّادق (ع) فنزل نوحٌ (ع) من السّفينة مع الثّمانين وبنوا مدينة الثّمانين وكانت لنوح ابنة ركبت معه فى السّفينة فتناسل النّاس منها وذلك قول النّبىّ (ص) نوح (ع) احد الابوين [تِلْكَ] القصص [مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ] الحسنى فانّها غلبت فيها [لِلْمُتَّقِينَ] عن الجزع و التّسرّع الى الدّعاء [وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً] و قد مضى فى سورة الاعراف انّه كان احدهم [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ] فى نسبة الآلهة الى الاصنام وجعلها شركاء الله وشفعاء كم عنده [يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي] دفع لما يتوهّمونه قياساً على انفسهم من انّ ادّعاء الرّسالة للاغراض الدّنيويّة و لما يخافونه من تفويت مالهم باتّباعه [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] تدركون ادراكاً عقلانياً غير مشوب بتصرّفات الخيال فتعلمون انّ من ادّعى امراً لغرضٍ دنيوىّ يكون فى الاغلب مطمح نظره المال [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ] قد مضى فى هذه السّورة تفسيره [يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً] درّ السّماء بالمطر سالت به و المدرار بمعنى كثير الدّرّ حال من السّماء و ارسال السّماء عبارة عن ارسال السّحاب او المطر من جهة انّهما يجيئان من جهتها ، او المراد بالسّماء هو السّحاب اوالمطر من دون ملاحظة علاقة لاطلاقها على كلّ علوىّ [وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ] رغّبهم فى الايمان بذكر ترتّب الغايات الدّنيويّة عليه لانّ حالهم كانت كحال الصّبيان لا يرون الخير الّا فيما

احسّوه خيراً من الاعراض الدّنيويّة وكان المناسب لحالهم وعدهم بما يظنّونه خيراً، وقيل: لم يمطروا ثلاث سنين وكانوا قد اعقمت نساؤهم فكانوا طالبين للمطر وللاولاد و المراد بزيادة القوّة زيادة العدد [وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ] دالّة على صدقك قالوه عناداً [وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ] يعنى ما نقول و ما نحتمل فى حقّك شيئاً الّا هذا القول وهو قولنا اعتريك اى اصابك بعض الهتنا بسوء فصرت مجنوناً، اوما نقول معك الّا هذا القول يعنى لاتخاطب نا معك لانّك مجنون باصابة بعض آلهتنا .

اعلم ، انّ الشّياطين كانوا يظهرون حيناً ما على هياكل الاصنام بعض الغرائب مثل التّكلّم على السنتهم و لذا كانوا مغترّين بها مع انّها جمادات بلاروح و الّا فالعاقل لاينسب الى الجماد ما يخوّف به الانسان [قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ] اجابهم عن التّخويف بالاصنام بالتّحدّى وعدم المبالاة بها [فَكِيدُونِي] انتم وآلهتكم [جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا] كناية عن تسخيره تعالى وقهره لكلّ دابّة .

بيان فى وحدة الوجود

اعلم ، انّ الاصل فى التّحقّق هو الوجود كما سبق فى اوّل البقرة وعليه معظم الحكماء والمشّائين والاشراقيّين، وقرّره جميع اهل الذّوق من العرفاء والصّوفيّة الصّافية الطويّة رضوان الله عليهم وانّه حقيقة واحدة وسيعة ذات مراتب عديدة وبحسب تنزّلاتها وكثرة مراتبها يطرؤها الحدود الكثيرة ، و باعتبار الحدود ينتزع منها مهيّات عديدة متباينة ومتشاركة، وبكثرة الحدود والمهيّات لاينثلم وحدتها اذ وحدتها ليست اعتباريّة حتّى تنثلم باعتبار الكثرة، ولا جنسيّة حتّى تنثلم بانضمام الفصول، ولانوعيّة ولا صنفيّة حتّى تنثلم بالمصنّفات والمشخّصات، ولا عدديّة حتّى يتصوّر لها ثان، ولاتركيبيّة ولا اتّصاليّة حتّى تنثلم بالتّحليل والتّقسيم بل لاتركيب فيها من جنس وفصل ولانوع ومشخّص ولامهيّة ووجود ولاوجود وحدّ وجود ، ولذا كانت لااسم لها ولارسم وكانت غيباً مطلقاً لا خبر عنها ولا اثر والاسماء والرّسوم والكثرات المتراءات فيها انّما هى فى مقام ظهورها فحقيقة الوجوب هى الظّاهرة فى كلّ المظاهر وهى الغاية عن الكلّ ومن قال : سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها ؛ نظر الى تلك الحقيقة فانّها باعتبار مقام الغيب ومرتبة الوجوب خالق الكلّ ومظهرها، وباعتبار مقام الظّهور عين الكلّ وحقائقها فانّه ليس فى تلك العبارة اشعار بوحدة الوجود المؤدّية الى الاباحة والالحاد فانّه نزّهه سبحانه اوّلاً عن الاختلاط بالكثرات ثمّ اسند الاظهار اليه واثبت الاشياء فأشار الى الكثرات والى تنزّهه تعالى عن الكلّ وعلوّه على الكلّ ثمّ قال: انّه باعتبار حقيقة الوجود عين الكلّ والكلّ متحقّق به لاباعتبار مرتبة الوجوب و الّا لزم التّناقض فى كلامه و هو اجلّ شأناً من ان يأتى بالتّناقض فى كلام واحد، والى هذا المعنى اشير فى الكلام الالٓهىّ بقوله تعالى : هو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيءٍ عليم اى الله باعتبار حقيقة الوجود لا باعتبار مقام الوجوب ، وما ورد من امثال هذا فى كلمات الكبار من الصّوفيّة فهو ناظر الى تلك الحقيقة لا الى مقام الوجوب حتّى يرد عليهم ما اوردوه مثل قولهم :

غيرتش غير در جهان نگذاشت   زان سبب عين جمله اشياء شد
كه يكى هست و هيچ نيست جزاو   وحده لا اله الّا هو
جنبشى كرد بحر قلزم عشق   صد هزاران حباب پيدا شد
ليس فى الدّار غيره ديار

هر لحظه بشکلی بت عیار برآمد　دل بردو نهان شد　　هردم بلباس دگران یار برآمد　که پیرو جوان شد

الی آخرماقاله المولویّ من هذا القبیل، فانّ الکلّ اثبتوا الکثرات ثمّ ذکروا تحقّقها بحقیقة الوجود لا بمقام الوجوب و الّا لزم التّناقض فی کلامهم وتلک الحقیقة من حیث هی منزّهة عن جملة الکثرات و تمام القیود والاعتبارات حتّی اعتبارالاطلاق وقید الّلا بشرطیّة، ولذا صارت مقسماً لجملة المقیّدات والمطلّقات لاکمقسمیّة المفاهیم العامّة ولاکمقسمیّة الاجناس والانواع بل مقسمیّته فوق ما ندرکه مجهولة الکنه کنفس تلک الحقیقة، فاذا اعتبرت بشرط لاکانت مقام الوجوب، واذا اعتبرت مطلقة مقیّدة بالاطلاق کانت مقام الفعل ومرتبة المشیّة والصّراط المستقیم بین الخلق والحقّ، واذا اخذت بشرط شیءٍ کانت ممکنة ومخلوقة بمراتبها المتکثّرة، فالحقیقة فی الواجب وجود وفی مقام الفعل وجود وفی مقام الممکن وجود ولایلزم من ذلک تشبیه ولاتشریک، لانّ المخلوقیّة فی الحقیقة راجعة الی المهیّات الّتی ماشمّت رائحة الوجود ابداً ووجود المخلوق هو خالقیّته تعالی وفعله الّذی هو اضافته الی الاشیاء ولا حکم له علی حیاله بل هو باعتبار المهیّات محکوم علیه بالمخلوقیّة وباعتبار الفاعل بالوجوب فهو فی الخارجیّات کالمعنی الحرفیّ فی الذّهنیّات وهو لیس ایّاه ولیس غیره بل هو هو بوجهٍ وغیره بوجهٍ، فمن نظر الی وجود الممکنات من حیث تحدّدها وتعیّنها بالمهیّات فهو ناظر الی المصنوع مردود ملعون عن الله، ومن نظر الیه من حیث انّه فعل الرّبّ وصنعه فهو مرحوم مکرم :

عاشق صنع خدا بافرّ بود　　عاشق مصنوع او کافر بود

ناظر الی ماذکرنا والاشکال بانّ الرّضا بالقضاء واجب و الرّضا بالکفر کفر مع انّ الکفر من القضاء مشهود، مدفوع بماذکر، اذاتقرّر هذا فاعلم، انّ ناصیة کلّ شیءٍ ما به اوّل ظهوره وما به توجّهه الی مایتوجّه الیه وهی فی کلّ الممکنات جهة وجودها الّتی بهاظهورها وتحقّقها وبها توجّهها الی اصلها الّذی هو حقیقة الوجود والوجودات الامکانیّة اظلال الوجود المطلق الّذی هو ظلّ الحقّ تعالی، والاظلال الوجودیّة کلّها محاطة مقهورة مسخّرة تحت الوجود المطلق، والحقّ الاوّل تعالی شأنه محیط بفعله آخذ له قاهر علیه والوجود المطلق هو الصّراط المستقیم فقوله : ما من دابّة فی الارض اشارة الی جملة الممکنات بذکر اشرفها الّا هو اشارة الی مقام الوجوب آخذ اشارة الی الوجود المطلق بناصیتها اشارة الی الوجودات الامکانیّة ولذا علّله بقوله [اِنَّ رَبّی عَلٰی صِراطٍ مُسْتَقیمٍ] لانّه محیط بالوجود المطلق الّذی هو محیط بالوجودات الامکانیّة وباعتبار کثرة العوالم فی العالم الکبیر والعالم الصّغیر تتکثّر مصادیق الآیة الشّریفة ومظاهر مصداقها الحقیقی [فَاِنْ تَوَلَّوْا] ای تتولّوا [فَقَدْ اَبْلَغْتُکُمْ ما اُرْسِلْتُ بِهِ اِلَیْکُمْ] من الانذار بالعذاب الدّائم والعذاب الدّنیویّ ونصحت لکم واتممت الحجّة علیکم [وَیَسْتَخْلِفُ رَبّی] بعد اهلاککم بالعذاب المنذر به [قَوْماً غَیْرَکُمْ وَلا تَضُرّونَهُ شَیْئاً] بتولّیکم وهلاککم بالعذاب فانّه یستخلف امثالکم فلا ینقص فی ملکه ولا فی خلقه بهلاککم [اِنَّ رَبّی عَلٰی کُلِّ شَیْءٍ حَفیظٌ] فیحفظ نوع الانسان وجملة خلقه باستخلاف امثال الموجودین من بعد هلاکهم [وَلَمّا جاءَ اَمْرُنا] باهلاک القوم [نَجَّیْنا هُوداً وَالَّذینَ آمَنوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّا] علیهم لاستحقاقهم الرّحمة بایمانهم [وَنَجَّیْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلیظٍ] من قبیل عطف التّفصیل علی الاجمال والفائدة تأکید الانجاء و لذا کرّر نجّینا والتّصریح بما نجوا منه تهویلاً لعذابهم لتهدید السّامعین و یمکن ان یراد بالثّانی الانجاء من عذاب الآخرة [وَتِلْکَ عادٌ

جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ] بكفرانهم بهود (ع) ومعجزاته فكأنّهم جحدوا جميع الآيات وقد مرّ مراراً ان امثال هذه تعريض بامّة محمّد(ص) وجحودهم بعليّ (ع) وكفرهم به [وَعَصَوْا رُسُلَهُ] بعصيان هود (ع) فانّ من انكر واحداً انكر الجميع اوبعصيان رسل زمانهم وبلادهم [وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ] لانّهم اذا اتّبعوا امرجبّارمن الجبابرة والكلّ سنخ واحد فاتّبعوا امر كلّ جبّار اوباتّباع امرجبابرة بلادهم اوالاتيان بصيغة الجمع للاشارة الى جحود آيات العالم الصّغير وعصيان رسل ذلك العالم واتّباع كلّ جبّار فيه وهو تعريض بامّة محمّد(ص) كأنّه قال فلا تجحدوا يا امّة محمّد(ص) بآيات ربّكم وخلفائه ولا تعصوا رسوله فى مخالفة قوله فى عليّ (ع) ولا تتّبعوا امر الجبّار الّذى يتجبّر على عليّ (ع) ويعانده [وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ] المضاف الّذى هو هود(ع) ثمّ بربّهم المطلق فلاتكفروا انتم بعليّ(ع) فيقال بعداً لكم كما يقال [أَلَا بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ] وتكرير ألا وعاداً والابدال منه بقوم هود (ع) لكون المقام مقام السّخط والتّهديد والتّكرير والتّغليظ والتّطويل مطلوب فى ذلك المقام [وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] استبقاكم او اعطاكم وعلّمكم ما به تعمرون البلاد [فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً] للخير لما رأينا عليك من الصّلاح و العقل والكفاية [قَبْلَ هٰذَا] الزّمان الّذى أظهرت فيه ماننكره وما لم نعرفه قبل ذلك من غيرك [أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا] الهمزة للتّعجّب [وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ] صفة شكّ من قبيل ظلّ ظليل سواء كان بمعنى موقع فى الشّكّ او بمعنى ذى ريبة [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي] ان اتّبعتمونى فيكون بمنزلة قوله تعالى قل لاأسألكم عليه اجراً وابلغ منه و ان اتبعتكم فى دينكم برجوعى اليه كماسألتمونيه [غَيْرَ تَخْسِيرٍ] ايقاع الخسران علىّ اونسبتى الى الخسران [وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ] اجمل قصّته اتّكالاً على سائر ماورد فى الكتاب من حكايته [وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ] عاجل [فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ] تعيّشوا فى منازلكم اوبلدكم [ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ] وعيد بالعذاب والاهلاك بعد الثّلاثة [ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا] باهلاكهم [نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ] عطف على محذوف اى نجّيناهم من ذلك العذاب و من مسيس الخزى منه ايضاً فى يوم ذلك العذاب او فى يوم القيامة [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ] يقوى على عذاب جمع وانجاء جمع منهم [الْعَزِيزُ] غالب لا مانع له من مراده [وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ] ميّتين [كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا] يقيموا بها [أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِثَمُودَ] قدمرّ مراراً انّ امثال هذه تعريض بامّة محمّد(ص) [وَلَقَدْ جَاءَتْ

رُسُلُنَا] ای الملائکة وکانوا اربعة کماورد فی الخبر جبرئیل ومیکائیل واسرافیل وکرّوبیل [إِبْرٰهِیمَ بِالْبُشْرٰی] بشارة الولد ای اسماعیل من هاجر اواسحاق من سارة باختلاف الاخبار [قَالُوا سَلَامًا] حیّوه بتلک التّحیّة [قَالَ سَلَامٌ] اجابهم بابلغ من تحیّتهم حیث عدل عن النّصب الی الرّفع [فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاءَ] ای مالبث زماناً معتدّاً به الی ان جاء [بِعِجْلٍ حَنِیذٍ] یعنی اسرع فی قراهم وفی طبخه والحنیذ المشویّ النّضیج، فقال کلوا، فقالوا لانأکل حتّی تخبرنا ماثمنه؟ـ قال اذا اکلتم فقولوا بسم الله واذا فرغتم فقولوا الحمدلله، فقال جبرئیل لاصحابه حقّ علی الله ان یتّخذه خلیلاً [فَلَمَّا رَاٰی اَیْدِیَهُمْ لَاتَصِلُ اِلَیْهِ نَکِرَهُمْ] انکرهم واضمر انّهم اعداء لااضیاف [وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِیفَةً] احسّ و اضمر خوفاً [قَالُوا] بعد ما رأوا انّه خاف [لَاتَخَفْ اِنَّا] ملائکة الله و احبابک [اُرْسِلْنَا اِلٰی قَوْمِ لُوطٍ] و لیس شأننا الاکل [وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ] وهی سارة تسمع مکالمتهم [فَضَحِکَتْ] تعجّبت من مکالمتهم او حاضت بعد ما ارتفع حیضها منذ دهرٍ لانّها کانت حینئذٍ ابنة تسعین سنة وابراهیم (ع) ابن عشرین ومائة سنة وقد فسّر ضحکت فی الاخبار بکلّ من المعنیین وهذا من سعة وجوه القرآن [فَبَشَّرْنَاهُ بِاِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَاءِ اِسْحٰقَ] الظّرف حال ممّا بعده [یَعْقُوبَ قَالَتْ] بعدالبشارة تعجّباً من الولد بعد سنّ الیأس منه [یَا وَیْلَتٰی] کلمة تعجّب وان کان اصله ان یستعمل فی الشّرّ [اَاَلِدُ وَاَنَا عَجُوزٌ] آئسة من الولد [وَهٰذَا بَعْلِی شَیْخًا] لایرجی منه الاستیلاد [اِنَّ هٰذَا لَشَیْءٌ عَجِیبٌ قَالُوا اَتَعْجَبِینَ مِنْ اَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَکَاتُهُ عَلَیْکُمْ اَهْلَ الْبَیْتِ اِنَّهُ حَمِیدٌ] یفعل بمن استحقّ الاحسان فوق استحقاقه [مَجِیدٌ] لاینظر فی احسانه الی استحقاق فکیف ولکم الاستحقاق، وفی الخبر انّه اوحی الله تعالی الی ابراهیم (ع) انّه سیولد لک فقال لسارة فقالت ءالد وانا عجوز؟ـ فأوحی الله الیه انّها ستلد ویعذّب اولادها اربعمائة سنة بردّها الکلام علیّ قال: فلمّا طال علی بنی اسرائیل العذاب ضجّوا وبکوا الی الله اربعین صباحاً فاوحی الله الی موسی (ع) وهارون (ع) نخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم مائة وسبعین سنة وقال هکذا انتم لوفعلتم لفرّج الله عنّا فامّا اذا لم تکونوا فانّ الامر ینتهی الی منتهاه [فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ اِبْرٰهِیمَ الرَّوْعُ] سکن الخوف بمعرفته ایّاهم [وَجَاءَتْهُ الْبُشْرٰی یُجَادِلُنَا فِی قَوْمِ لُوطٍ] یعنی انّه بعد ما سکن الخوف و حصل له البسط ببشارة الولد و اخبره الملائکة بانّهم نزلوا لعذاب قوم لوط جادلنا یعنی بمجادلة رسلنا فی دفع العذاب عن قوم لوط وهذا من کمال رحمته علی خلق الله وسعة خُلقه وکمال مرتبة نبوّته فانّ قوم لوط بشؤم اعمالهم استحقّوا سؤال العذاب منه و هو یجادل الله فی دفع العذاب ، عکس ماروی عن بعض الانبیاء (ع) الجزویّة من سؤال العذاب بعد التّبلیغ وتأبّیهم عن الانقیاد من غیر صبر علی اذاهم فضلاً عن طلب الرّحمة ودفع العذاب عنهم، وصورة مجادلته الملائکة کما نقل انّه قال ان کان فیها مائة من المؤمنین اتهلکونهم ؟ـ فقال جبرئیل : لا ، قال : فان کان فیها خمسون ؟ـ قال لا ، قال: فان کان فیها ثلاثون؟ـ قال لا ، قال: فان کان فیها عشرون ؟ـ قال: لا ، قال: فان کان فیها عشرة ؟ـ قال: لا ، قال: فان کان فیها خمسة ؟ـ قال: لا ، قال : فان کان فیها واحد؟ـ قال: لا ، قال : فانّ فیها لوطاً ؛ قالوا نحن اعلم بمن فیها لننجیّنّه واهله، وهذا من استکماله (ع) فی نبوّته لانّه کماروی بعد ما أری ملکوت السّماوات

و الارض رأى رجلا و امرأته على معصية الله فدعا عليهما فأهلكا و بعد كمال النّبوّة يجادل فى قوم لوط مع انّه (ع) كان يراهم على معاصى الله وعلى اشدّها [إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ] غيرعجول على المسيء بالمؤاخذة و بالدّعاء عليه [أَوّٰاهٌ] كثير الدّعاء [مُنِيبٌ] راجع الى الله فى كلّ مايرى [يٰاإِبْرٰهِيمُ] قلنا على السنة رسلنا اوقالت الملائكة ياابراهيم [أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا] اى سؤال دفع العذاب والمجادلة فيهم [إِنَّهُ قَدْ جٰاءَ أَمْرُ رَبِّكَ] باهلاكهم ولامردّله [وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذٰابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ] فلافائدة فى جدالك [وَلَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ] لانّهم اتوه بصورغلمان فخاف تفضيحهم لعلمه بسيرة قومه [وَضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً] كناية عن العجز عن الحيل فى دفع الشّدّة كأنّه لايمكنه مدّ اليد الى شيء فى دفعها [وَقٰالَ هٰذٰا يَوْمٌ عَصِيبٌ] شديد بليّته لعدم حياء قومى وعدم قدرتى على دفعهم و كمال اهتمامى فى محافظة اضيافى [وَجٰاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ] يسرعون كأنّهم يدفعون لطلب الفاحشة من اضيافه [وَمِنْ قَبْلُ كٰانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئٰاتِ] بحيث لم يبق لهم حياء و تجاهروا بفعلهم وطلبوا الفاحشة من اضيافه [قٰالَ يٰاقَوْمِ] يعنى قالوا اعطنا اضيافك فانّك شاركتنا فى فعلنا فقال ياقوم [هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِي] يريد التّزويج بهنّ او مقصوده ازواجهم فانّهنّ كنّ بناته لكون كلّ نبىّ ابا امّته و مقصوده كما فى الخبر ان يأتوا من ادبارهنّ لانّه قد علم انّهم لايريدون الفروج [هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ] من حيث الاثم اومن حيث الجسم ولذلك وردعن الرّضا(ع) انّه قال احلّته آية من كتاب الله قول لوط هؤلآء بناتى هنّ اطهرلكم وقدعلم انّهم لم يريدوا الفروج [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى هذا الفعل الشّنيع [وَلاٰ تُخْزُونِ] لا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء اولاتفضحونى من الخزى [فِي ضَيْفِي] فانّ اخزاء ضيف الرّجل اخزاؤه [أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ] يهتدى الى الحقّ ويرعوى عن القبيح [قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِي بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ] حاجة وميل [وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِيدُ] من اتيان الذّكران [قٰالَ] بعد عجزه عن النّصح والمحاجّة متمنّياً ماليس له الوصول اليه باعتقاده [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ] بمدافعتكم [قُوَّةً] بنفسى [أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ] قوىّ على دفعكم حتّى ادفعكم به استعار لفظ الرّكن الّذى هوالجبل الّذى لا يمكن تحريكه اوقاعدة البيت الّتى هى كذلك للقوىّ الممتنع عن ازعاجه، نقل انّه قال جبرئيل انّ ركنك لشديدٌ افتح الباب ودعنا وايّاهم [قٰالُوا] اى الملائكة بعد مارأوا عجزه عن دفعهم ونهاية تضجّره بهم تعريفاً لانفسهم تسكيناً لاضطرابه [إِنّٰا رُسُلُ رَبِّكَ] فلا تغتمّ [لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ] بما يريدون [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ] مظلماً كذا روى عن علىّ(ع) [وَلاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ] يعنى لايتخلّف وعلى هذا فقوله [إِلاَّ امْرَأَتَكَ] استثناء من احدٍ اولاينظر الى ورائه وعلى هذا فهو استثناء من اهلك [إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ] تعليل [إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ اوكان مذكوراً فأسقطه تعالى ايجازاً كأنّه قال استعجالاً بالعذاب: متى كان موعدعذابهم؟- فقال: انّ موعدهم الصّبح، روى انّه قال: متى موعد اهلاكهم؟- قالوا: الصّبح، فقال: اريد اسرع من ذلك لضيق صدره بهم فقالوا [أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ] ومن هذا يظهر فضل مقام ابراهيم(ع) على مقام لوطٍ (ع) مع انّه كان يراهم على الفاحشة

مثل لوط اوازيد و اتمّ لانّه کان له رؤية الملكوت فيرى ماكان غائباً عن لوط (ع) ومع ذلك يجادل فی دفع العذاب و لوط (ع) يستعجل بالعذاب [فَلَمّا جاءَ اَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها] بان جعل جبرئيل جناحه فی اسفلها ثمّ رفعها الى السّماء ثمّ قلّبها عليهم [وَاَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجّيلٍ] معرّب «سنگ گل» ای الطّين المتحجّر [مَنْضُودٍ] نضد واعدّ لعذابهم اومتتابعٍ فی النّزول عليهم والصق بعضه ببعضٍ [مُسَوَّمَةً] معلّمة بالنّقاط للعذاب [عِنْدَ رَبِّكَ] متعلّق بمسوّمة اوظرف مستقرّحال من المستتر فی مسوّمة [وَما هِيَ مِنَ الظّالِمينَ بِبَعيدٍ] تعريض بأمّة محمّد (ص) والمراد مطلق من ظلم اومن ظلم مثل ظلمهم باتيان الذّكور روی انّه من مات مصرّاً على اللّواط لم يمت حتّى يرميه الله بحجرمن تلك الاحجار فيكون فيه منيّته ولايراه احد وقصّة لوط (ع) وقومه وسوء فعلهم وخراب ديارهم مذكورة فی المفصّلات [وَاِلى مَدْيَنَ اَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ اِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْميزانَ] كانوا يعاملون بنقص الميزان اذا اعطوا واستيفائه اذا اخذوا، فنهاهم عن سوء صنيعهم [اِنّی اَريكُمْ بِخَيْرٍ] ان تركتم البخس فی المعاملة [وَاِنّی اَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحيطٍ] بعذابه كلّ النّاس او بجميع جوانب كلّ احد او محيط بجميع ايّام الدّنيا ، وعدو وعيد كما هوشأن الانبياء (ع) فی دعوتهم حيث يجمعون بين التّبشير والانذار [وَيا قَوْمِ اَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْميزانَ] تصريح بمفهوم النّهی تأكيداً ورفعاً لتوهّم ان يريد بالنّهی عن النّقص الامر باعطاء الزّيادة فانّ مفهوم مخالفته اعمّ من الايفاء واعطاء الزّيادة ولذا قيّد الايفاء بقوله [بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ اَشْياءَهُمْ] تعميم لمطلق الاشياء مكيلةً كانت او موزونةً اوغيرها و تأكيد آخر فانّهم لمّا كانوا مصرّين على التّطفيف كان التّأكيد فی النّهی عنه والامر بالايفاء مطلوباً [وَلا تَعْثَوْا فِی الْاَرْضِ مُفْسِدينَ] حال تأكيدیٌّ و تعميم آخر و نهی عن مطلق الافساد . **اعلم** ، انّ الآية كما تجری فی الاعراض الدّنيويّة تجری فی الاوصاف النّفسانيّة من حسن المعاشرة وترك سوء الخلق مع المعاشرين والانصاف معهم وترك طلب الانصاف منهم وحسن الظّنّ بهم واتّهام نفسه فيهم وستر العيوب منهم ورؤية العيوب من نفسه والاعتذار لهم والملامة لنفسه ، وكما تجری فی العالم الكبير تجری فی العالم الصّغير والمعاملة مع اهل مملكته ، وكما تجری فی المعاملة بين الشّخص وسائر الخلق تجری فی المعاملة بينه وبين الله ، فلا تغفل عن تعميم الآية ، بل ينبغی للنّاظر المتدبّر فی الآيات الآلهيّة ان ينظر ويتدبّر اوّلاً فی مصداق كلّ آية فی وجوده ومملكته ثمّ ينظر فی مصاديقه الخارجيّة ولا يخصّص الآية بمن نزلت فيه ، مثلاً اذا تلا آية فيها ذكر فرعون وموسى (ع) فلينظر اوّلاً الى وجوده و فرعون مملكته الدّاعی للآلهة والاستقلال والاستبداد، وموسى وجوده الدّاعی لاهل مملكته وفرعونهم الى الاقرار بالله والانقياد له، ثمّ لينظر الى حال موسى (ع) وفرعون و مالهما و ما عليهما ليعتبر بذلك و يعين به موسى وجوده على دعوته ، ثمّ لينظر الى موسى زمانه وفرعونه ليعتبر بهما ويقيس حالهما الى من مضى وينتزجرعن فرعونه ويطلب موساه ليعين ايضاً بذلك موسى وجوده ويفرّ من فرعونه [بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ] يعنی ما يبقى لكم من مكاسبكم من دون ارتكاب البخس والتّطفيف و الاضافة الى الله للاشارة الى انّ المعطی هو الله وانّ المكاسب وسائل اعطاء الله ستراً على اعطائه لئلّا ينصرفوا عن المكاسب، اوبقيّة الله من الفطرة الآلهيّة واللّطفيّة السّيّارة الانسانيّة والعقل وجنوده

بعداحاطة النّفس وشهواتها والشّيطان واغوائه والجهل وجنوده بمملكتكم خيرلكم من قضاء الشّهوات والآمال الّتى زيّنها الشّيطان، اوبقيّة الله من خلفائه فى ارضه الدّاعين لكم اليه خيرلكم من رؤسائكم فى ضلالتكم وكان هذا القول منه تلويحاً الى نفسه [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] تقييدٌ بالايمان فانّ بقيّة الله لغير المؤمن نقمة وعذاب اوشرط تهييجيّ لانّهم كانوا مدّعين انّهم مؤمنون بالله و اصنامهم شفعاؤهم عندالله [وَمٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] ضمّنه مثل معنى الوكالة والمراقبة فعدّاه بعلى اى ما انا وكيل عليكم بحفظكم من الشّيطان ومن شرورانفسكم [قٰالُوا] فى جوابه عن دعوته الى التّوحيد وترك الفساد فى الاعمال [يٰا شُعَيْبُ أَصَلٰوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مٰا يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا] استهزأوا به بتحقير صلوته من حيث انّها كانت غريبة فى انظارهم شبيهة بافعال المجانين لانّهم مارأوا مثلها من امثالهم و بتعظيم عبادة اصنامهم متوسّلاً فى ذلك بانّها كانت فعل آبائهم و انّهم اعتادوها و اخذوها من اسلافهم [أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوٰالِنٰا مٰا نَشٰاءُ] بالتّطفيف [إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ] من قبيل استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً واستهزاءً اى انّك ذوطيش سفيه اوتهييج له على ارتداعه عن دعواه وموافقته لهم يعنى انّك كنت رجلاً حليماً لايرجى منك مايظهرمن امثال الصّبيان، رشيداً لا ينبغى ان يصدرمنك افعال السّفهاء و المجانين [قٰالَ يٰا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي] قد مضى بيان البيّنة [وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً] اشارة الى موائد الولاية فانّها الرّزق الحسن، والجزاء محذوف اى انصرف عن دعواى؟ واخف غير مولاى؟!

[وَمٰا أُرِيدُ أَنْ أُخٰالِفَكُمْ إِلىٰ مٰا أَنْهٰاكُمْ عَنْهُ] يعنى ليس مطمح نظرى دنياكم حتّى تكذّبونى بمنزلة ماأسألكم عليه مالاً [إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ] لمّا نسب الارادة الى نفسه تبرّى عن استقلاله فقال [وَمٰا تَوْفِيقِي إِلاّٰ بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] يعنى لاانظر فى فعلى ودعوتى الى نفسى وحولى وقوّتى ولافى غاية فعلى الى غير ربّى فالآية اشارة الى التّبرّى من حوله ومن النّظر الى غاية سوى مولاه [وَيٰا قَوْمِ لاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقٰاقِي] لا يكسبنّكم كسباً سيّئاً [أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مٰا أَصٰابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صٰالِحٍ وَمٰا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ] يعنى انكان زمان الامم السّالفة بعيداً منكم ولستم تعتبرون منهم لعدم مشاهدة آثار هلاكهم بعصيانهم فقوم لوط غير بعيدٍ منكم تشاهدون آثارهم و تتسامعون اخبارهم فاعتبروا بهم و اجتنبوا عن مثل افعالهم فى مخالفة نبيّهم و هو تهديد لهم بهلاك الامم الماضية بمخالفتهم رسولهم [وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ] قد مضى تفسيره فى هذه السّورة [قٰالُوا] بعد ما لم يقدروا على الاحتجاج معه [يٰا شُعَيْبُ مٰا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمّٰا تَقُولُ] استهزؤا بقوله وهدّدوه بقولهم [وَإِنّٰا لَنَرٰاكَ فِينٰا ضَعِيفاً وَلَوْ لاٰ رَهْطُكَ لَرَجَمْنٰاكَ وَمٰا أَنْتَ عَلَيْنٰا بِعَزِيزٍ] فيمنعنا عزّة وجودك علينا عن قتلك ورجمك [قٰالَ يٰا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ] يعنى ترقبون فى حقّى رهطى ولا ترقبون ربّى و ربّى الّذى ارسلنى اليكم اولى بالترقّب [وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرٰاءَكُمْ ظِهْرِيًّا] الظّهرىّ من كان وراء الظّهر منسوب الى الظّهر بالفتح بتغيير هيئته اومنسوب الى الظّهر بالكسر لكنّه لم يستعمل فى غير النّسبة وهو عطف بيان اوبدل اوحال تأكيدىّ اومفعول

ثان ووراءكم حال حينئذ اوظرف للظّهريّ اوهو مفعول بعد مفعول كالخبر بعد الخبر لانّه كان فى الاصل خبراً بعدخبر [إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] تعليل للانكار والتّوبيخ المستفاد من الهمزة، اوجواب للسّؤال عن حال الله معهم [وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] منزلتكم عند آلهتكم اورزانتكم فى انفسكم و هو تهكّم بهم لكنّه ابرزه فى صورة الانصاف ولذا لم يقيّد قوله [إِنِّي عَامِلٌ] بمكانتى [سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ] مضى مثله [وَارْتَقِبُوا] نصر آلهتكم وعذابى [إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] نصر الهىّ و عذابكم [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا] باهلاك قوم شعيب [نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا] الاتيان بالواو قبل لمّا ههنا و فى قصّة هود(ع) وبالفاء فى قصّتى صالح (ع) ولوط (ع) للتّصريح فى قصّتى صالح ولوط (ع) بوعد العذاب المستعقب لاتيانه المسبّب منه دون قصّتى هود(ع) وشعيب (ع) [وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ] روى انّه صاح بهم جبرئيل صيحة فزهق روح كلّ منهم [فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ] الآيات هى الآيات التّسع الّتى بها ظهور رسالته وسلطان مبين هو الولاية الّتى لها السّلطنة على الكلّ، ولمّا كان جعل عصاه الّتى كانت جماداً حيّة حيّة من ظهور سلطنة الولاية وبه صار سلطنته تامّة كان المراد به فى الظّاهر هو عصاه [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ] سبب رشد المأمور [يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] لانّه كان اصل ضلالتهم فى الدّنيا فهكذا يصير يوم القيامة رئيساً لهم فى الذّهاب الى النّار [فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ] لانّهم يتبعونه فى الذّهاب الى النّار والتّأدية بالمضىّ اشعار بتحقّقه تأكيداً [وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ] الدّنيا او فى هذه الخصلة [لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ] اى العطاء المعطى رفدهم واستعمال الورد والرّفد وتوصيفهما مبالغة فى الذّمّ وتهكّم بهم [ذَٰلِكَ] المذكور من انباء قرى نوح (ع) وهود(ع) وصالح(ع) ولوط (ع) وشعيب (ع) وموسى (ع) شيء يسير [مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ] وللاشارة الى قلّتها اتى باسم الاشارة مفرداً مذكّراً [نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ] من اسم بمعنى البعض مضاف الى الضّمير مبتدأ وقائم خبره اومنها لقوّة معنى البعض فى من قائم مقام موصوفه الّذى هو المبتدأ ومنها خبر مقدّم وقائم مبتدء مؤخّر والجملة حال، اومستأنفة، اومنها حال معتمد على ذى الحال عامل عمل الوصف ومبتدء وصفىّ وقائم مرفوعه ومغنى عن الخبر [وَحَصِيدٌ] والمراد بقيامها قيام اهلها وعدم ابادتهم اوقيام آثار القرى المهلكة وعدم انمحائها وهكذا الحصيد والحصاد هو القطع بالحديد لكن يقال للّذى استوصل بحيث لم يبق منه اثر حصيد ومحصود، ونسب الى الصّادق(ع) انّه قرئ فمنها قائماً وحصيداً بلفظ الفاء قبل منها ونصب قائماً وحصيداً فيكونان حينئذ خبرين لكان محذوفاً اومفعولين لنقصّ محذوفاً والتّقدير فمنها كان قائماً وحصيداً اوفمنها نقصّ قائماً وحصيداً [وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ] عطف لدفع توهّم انّ حصادهم واستيصالهم بالكلّيّة ظلم من الله [وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بارتكاب ما جلب عليهم العذاب من دعاء غير الله و شنائع الاعمال يظنّ انّ الاليق بسياق هذه العبارة ان يقال : وما نحن ظلمناهم ولكنّهم ظلموا انفسهم لانّه اذا اريد نفى الفعل عن فاعل واثباته لفاعل آخر يؤتى بالفاعل المنفىّ

عنه عقيب اداة النّفى و بالفاعل المثبت له عقيب اداة الاستدراك، لكنّه تعالى اراد ان يشير الى انّه لم يكن فى الاستيصال ظلم بل كان عدلاً وانّما الظّلم كان افعالهم الشّنيعة المؤدّية الى الاستيصال فنفى فى الاوّل اصل الظّلم بواسطة الاستيصال واثبت ظلماً آخر سوى الاستيصال لهم [فَمٰا اَغْنَتْ عَنْهُمْ] ولا دفعت [آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] من الاصنام السّفليّة والاجسام العلويّة والاشخاص البشريّة الّتى ما انزل الله بها من سلطان دون ولىّ الامر [مِنْ شَيْءٍ] من العذاب [لَمّٰا جٰاءَ اَمْرُ رَبِّكَ] بالعذاب والاهلاك [وَمٰا زٰادُوهُمْ] اى ما زادهم الآلهة [غَيْرَ تَتْبِيبٍ] غير الاهلاك والتّخسير [وَكَذٰلِكَ] الاخذ بالحصاد والاستيصال بالكلّيّة [اَخْذُ رَبِّكَ إِذٰا اَخَذَ الْقُرىٰ] اى اهلها [وَهِيَ ظٰالِمَةٌ إِنَّ اَخْذَهُ] فى موضع التّعليل [اَلِيمٌ شَدِيدٌ] و ذلك انّه تعالى يمهل الظّالم الّذى انصرف عنه الى الشّيطان حتّى استتمّ جهات الغواية و استحقّ كمال العقوبة [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] الاخذ والاهلاك الواقع بالامم الماضية الهالكة [لَآيَةً لِمَنْ خٰافَ عَذٰابَ الْآخِرَةِ] فانّه وان كان فى الدّنيا لكنّه من تصرّف الغيب وانموذج الآخرة [ذٰلِكَ] اليوم الّذى هو الآخرة والتّذكير باعتبار الخبر [يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ] لانّ المتعاقبين متلاحقون فى ذلك اليوم [وَذٰلِكَ] تكرار اسم الاشارة للتّهويل [يَوْمٌ مَشْهُودٌ] يشهد فيه كلّ حاضر وغائب او يقوم الاشهاد من الانبياء(ع) و اوصيائهم (ع) بالشّهادة فيه او يطلب منهم الشّهادة فيه [وَمٰا نُؤَخِّرُهُ إِلّٰا لِاَجَلٍ] اى الى وقت اوفى وقت اولانقضاء امد [مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ] ذلك اليوم على ان يكون الفاعل راجعاً الى اليوم المضاف اواليوم المشهود وقرئ يأتى باثبات الياء وحذفها اجراءً للوصل مجرى الوقف [لٰا تَكَلَّمُ] تتكلّم [نَفْسٌ إِلّٰا بِإِذْنِهِ] لظهور السّلطنة التّامّة و المالكيّة الكاملة بحيث يكون نسبة الكلّ اليه تعالى نسبة القوى والجوارح الى النّفس ، فكما انّ حركات القوى والجوارح اذا كانت سليمة باقية على طاعة النّفس ليست الّا بالاذن التّكوينىّ من النّفس الانسانيّة، كذلك لايكون حركات الموجودات تماماً ومنها نطق الانسان وتكلّمه فى ذلك اليوم الّا بالاذن التّكوينىّ من الله تعالى، ولاينافيه قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولايؤذن لهم، لانّ ذلك بالنّسبة الى العاصين اوبالنّسبة الى الاعتذار عن المعصية وهذا بالنّسبة الى المطيعين اوفى غير الاعتذار عن المعصية اوذلك فى يوم وموقف وهذا فى يوم وموقف آخر ؛ بل نقول ذلك ايضاً يدلّ على توقف التّكلّم على الاذن موافقاً لهذا [فَمِنْهُمْ] اى من النّاس المذكورين او من صاحبى النّفوس المدلول عليهم بالنّفس المنكّرة الواقعة فى سياق النّفى الدّالّة على العموم او من اهل المحشر المدلول عليهم التزاماً او من المتكلّمين وهو من عطف التّفصيل على الاجمال ولذا اتى بالفاء [شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ] اى ومنهم سعيد فهو من عطف الاوصاف المتعدّدة لذوات متعدّدة لا لذات واحدة واسقاط منهم للاشارة الى انّ القسمة غير مستوفاة امّا لانّ الضّمير راجع الى جملة المبعوثين من الحيوان والانسان ولايحكم على اكثرهم بالشّقاوة ولا بالسّعادة والاتيان بضمير ذوى العقول حينئذ للتّغليب اولانّ اكثر النّاس من السّواقط لا اعتناء بهم حتّى يدخلوا فى القسمة اولانّ الاكثر مؤخّر حكمهم الى الفراغ من حساب الاشقياء والسّعداء ، وتقديم الشّقىّ امّا لانّ المقام للوعيد ، اولكثرة الاشقياء بالنّسبة الى السّعداء ، ولان يختتم الآية بذكر السّعداء و الرّحمة [فَاَمَّا الَّذِينَ شَقُوا] قرئ معلوماً ومجهولاً من شقاه بمعنى أشقاه [فَفِي النّٰارِ] خبر الموصول [لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ] الجملة حاليّة اومستأنفة

جواب لسؤال عن حالهم، واذاكانت حالاً فامّا حال عن فاعل شقوا اوعن المستتر فی الظّرف اوعن النّار، او لهم حال عمّا سبق و زفير وشهيق فاعل للظّرف لاعتماده على ذى الحال وللآية وجوه أخر من الاعراب ، و الزّفير اخراج النّفس بشدّة والشّهيق ادخاله كذلك ، اوشبّه صراخهم بنهيق الحمير فانّ الزّفير والشّهيق حالتا نهيق الحمير [خالِدِينَ فِيها] حال عن واحد ممّا سبق بطريق التّداخل اوالتّرادف [ما دامَتِ السَّمٰواتُ وَالْاَرْضُ] ظرف للخلود اولكون الزّفير لهم اولثبوتهم فی النّار استقلالاً اوعلى سبيل التّنازع [اِلّاٰ ماشاءَ رَبُّكَ] استثناء من مدّة الخلود اومدّة كونهم فی النّار لامن مدّة زفيرهم وشهيقهم ليوافق قسيمه ولفظة مانافية اومصدريّة اوموصولة اوموصوفة ، ولمّاكان المتوهّم من استثناء مدّة عن مدّة ان يكون المستثناة آخر المدّة المستثنى منها اشكل الآية على القائلين بدوام العذاب والخلود فی النّار واستدلّ القائلون بانقطاع العذاب اوخروج اهل النّار من النّار بامثالها.

بيان فی خلود اهل النّار وعدم خلودهم

اعلم ، انّ المتشرّعين من المتكلّمين و الفقهاء رضوان الله عليهم قالوا بدوام العذاب و خلود اهل النّار الّذين لا يدركهم شفاعة الشّفعاء فی النّار و فی العذاب و استدلّوا على ذلك بظواهر الآيات و الاخبار ، وعلى هذا فالاستثناء من مدّة الخلود باعتبار اوّلها نظيره ان يقال : حبست يوم الجمعة الّا ساعة من اوّله ، فانّ اهل النّار قبل دخول نار الآخرة معذّبون فی البرازخ اوغير مستفيقين من غشيهم و اماتتهم بالنّفخة الاولى و حالهم حينئذٍ كحال النّائم و المغشىّ عليه ، او الاستثناء من مدّة الخلود باعتبار آخر المدّة لكن بالنّسبة الى من يدركه شفاعة الشّافعين كأنّه قال : الّا ماشاءالله لمن شاءالله او الاستثناء من مدّة الخلود باعتبار آخرها لكنّ المراد بالنّار نار البرازخ المعبّر عنها بنار الدّنيا كما فی الاخبار ، وتلك النّار وان مكثوا فيها مامكثوا لكنّهم يخرجون عنها اخيراً الى نار الآخرة وسنحقّق نار الدّنيا ونار الآخرة وكذا جنان الدّنيا وجنان الآخرة عن قريب ان شاءالله، وقد ذكر فی تصحيح الاستثناء وجوه اخر لافائدة فی ذكرها ولا تليق بهذا المختصر . وبعض الحكماء من المشّائين والاشراقيّين قالوا بخلود النّار وتسرمد العذاب على النّوع بتعاقب الافراد و امّا الافراد فلا يتسرمد العذاب عليهم بل امّا يصير العذاب عذباً كما قال بعض او يخرجون من الجحيم والنّار الى النّعيم ، اويخرج بعضهم ويصير العذاب عذباً على بعضهم ، واستدلّوا على ذلك باصولهم المقرّرة عندهم من انّ القسر لايكون دائمياً ولا اكثرياً والّا بطل الحكمة فی ايجاد القوّة المقسورة واذا لم يكن القسر دائمياً ولا اكثرياً فان كان الانسان مخلّداً فی النّار فليبدّل القوّة المتألّمة منه بقوّة ملائمة للنّار حتّى يستريح منها ويلتذّ بها، اويخرج من النّار ويصل الى مايلائمه، واعتقد جمع من المتصوفة ايضاً عدم تسرمد العذاب و استدلّوا على ذلك باصولهم الذّوقيّة و شواهدهم الكشفيّة من انّ الرّحمة ذاتيّة وسابقة على الغضب وشاملة للكلّ وانّ الغضب عرضىّ لاحق للمرحوم بالذّات،والعرضىّ يزول والذّاتىّ لايزول فبعد مدّة العذاب اللّائق بحال المعذّب يصير العذاب عذباً للكلّ كما قال بعض اويخرج المعذّبون جميعاً وينبت من قعر الجحيم الجرجير كما قال بعض ، اويتسرمد العذاب على النّوع بتعاقب الاشخاص وخروجهم تدريجاً كما قال جمع ، اويخرج بعض ويبقى بعض فی الجحيم ملتذّاً بنارها وحيّاتها وعقاربها مثل ماقال الحكماء ، ولا اشكال فی الاستثناء على قولهم لكن هذا القول يشبه قول اليهود و قد كذّبهم الله فی قولهم : لن تمسّنا النّار الا ايّاماً معدودة [اِنَّ رَبَّكَ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ] تعليل لسابقه [وَاَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا] قرئ بفتح السّين وضمّها من سعده الله بمعنى اسعده [فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمٰواتُ وَالْاَرْضُ اِلّاٰ ماشاءَ رَبُّكَ] الاستثناء هنا

باعتبار المبدء كماسبق او باعتبار المنتهى لكنّ المراد بالجنّة جنّة الدّنيا كما فى اخبارنا ، فالمعنى امّا الّذين سعدوا ففى جنّة الدّنيا خالدين فيها مادامت السّماوات و الارض الّا ماشاء ربّك ان يخرجوا منها الى جنّات المأوى ومقام الرّضوان ويدلّ عليه التّقييد بدوام السّماوات والارض فانّها باقية فى الجنّات الدّانية ، وامّا جنّات المأوى فليس فيها سماء ولا ارض ليس عند ربّنا صباح ولا مساء ويدلّ عليه ايضاً قوله [عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ] فانّهم ان خرجوا منها لا الى مثلها اومافوقها كان العطاء مجذوذاً لامحالة .

شرح فى عوالم البرازخ و المثال والآخرة

اعلم ، انّ الانسان من اوّل استقرار نطفته و مادّة بدنه فى الخلع و اللّبس و الموت و البعث فله فى كلّ آن موت و حشر و خلع لصورة و لبس لاخرى الى آخر حيوته الدّنيويّة و اوّل مماته الطّبيعيّة ، لكنّه لمّا كان بنحو الاتّصال التّدريجىّ فى عالم واحد طبيعىّ خصوصاً بعد تولّده الى آخر عمره ولا يظهر على اهل الحسّ ظهوراً غير مغفول عنه ما سمّوه فى الشّريعة المطهّرة موتاً و حشراً ، و يذهل اهل الحسّ عن تبدّله و خلعه ولبسه مع انّه مشهود معلوم لكلّ احد من حيث انّه يشهد انّ النّطفة اضعف جماد و يعلم انّه مادّة البدن ثمّ يراها حيواناً ثمّ انساناً صبيّاً ثمّ مراهقاً ثمّ شابّاً و كهلاً و هرماً ، لكن خلعه البدن و انتقاله الى عالم آخر لمّا كان من عالم الى عالم و من مادّة طبيعيّة الى صورة اخرويّة مجرّدة ودفعة لاتدريجاً صار ممتازاً عمّا قبله منظوراً اليه مسمّى بالموت والارتحال كما انّ خروجه من رحم امّه وانفصاله منها لمّا كان دفعة وانتقالاً من عالم الى عالم وخروجاً من مضيق الرّحم وظلماته الثّلاث صار ممتازاً منظوراً اليه مسمّى بالولادة ؛ وبعد خروجه من بطن الدّنيا ورحم غلاف البدن ومشيمة اغشية الاهواء ، وولادته فى الآخرة له حالات وانتقالات وفى كلّ انتقال موت وحيوة وخلع ولبس وقبر وبعث. فاوّل حالاته الاماتة التّامّة والغشى العامّ الحاصل بالنّفخة الاولى ونفخة الاماتة ويمكث فى تلك الحالة ماشاءالله كما اشير اليه فى اخبارنا ، وبعد مايبعث من تلك الحالة بالنّفخة الثّانية ونفخة الحيوة له حالات وانتقالات من صورة الى صورة بحسب ما اكتسبه فى الدّنيا من الاعمال والاخلاق، فان كان من اهل الشّقاوة يتقلّب فى الصّور الموذية والنّار الدّانية الى ان ينتهى الى نار الآخرة وان كان من اهل السّعادة وكان عليه شوب من الاعمال السّيئة والاخلاق الرّذيلة يتقلّب فى الصّور الموذية الى ان يتخلّص منها الى الصّور البهيّة ، وان لم يكن عليه شوب من ذلك يتقلّب فى الصّور البهيّة الى ان ينتهى الى جنان الآخرة وجنّة المأوى ويسمّى عالم التّقلّبات برزخاً بين عالم الطّبع وعالم الآخرة وفى هذا العالم يكون ترقّيات وتنزّلات فى الآخرة ، ونصوص الآيات والاخبار تدلّ على ذلك، وقرّره العرفاء الشّامخون والصّوفيّة المكاشفون والعقل لايأباه فلا اعتناء بما قاله بعض المتفلسفة من عدم التّرقّى و التّنزّل بعد الموت بناء على انكار عالم البرزخ و المثال او على انقطاع المادّة و الاستعداد وانّ التّرقّى والتّنزّل لايكونان الّا بالمادّة والاستعداد . امّا عالم البرزخ والمثال فقد اثبته الآيات والاخبار وحقّقه المكاشفون الاخيار واحتجّ عليه الاشراقيّون من الحكماء الابرار ومحلّ تحقيقه الحكمة العالية . وامّا انقطاع الاستعداد فمسلّم لكن لاينافيه ظهور المكسوبات بالاستعداد فى الدّنيا بعد الموت بصور مناسبة لها متعاقبة لعدم سعة النّفس لظهور الصّور تماماً واستجماعها دفعة حتّى تنتهى الصّور الى صورة لاخروج للنّفس منها بحسب آخر اعمالها فى السّعادة او الشّقاوة، كما هو شأن اصحاب اليمين واصحاب الشّمال، اوتخرج النّفس من عالم الصّورة الى عالم المجرّدات الصّرفة كما هو شأن المقرّبين، وهناك مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وخروجها الى عالم المجرّدات الصّرفة لاينافى سعتها وتنعّمها بنعيم الجنان الصّوريّة بحسب مراتبها النّازلة وجنودها الدّانية فانّ المقرّبين مشاركون لاصحاب اليمين فى لذّاتهم الصّوريّة وهم لايشاركون المقرّبين فى لذّاتهم المعنويّة

فالنّفوس الانسانيّة بعد الموت والخروج من غلاف البدن مثلها بعد التّولّد والخروج من غلاف الرّحم ، فكما أنّها بعد التّولّد تنمو و تشبّ بحسب بدنه و تخرج من الدّنيا، كذلك بعد الموت تنمو وتشبّ وتخرج من عالم الصّورة والمثال ان كانت من المقرّبين ، اوتخرج من البرزخ فقط وتقف فى صورة هى مقرّها ان كانت من اصحاب اليمين اومن اصحاب الشّمال سواء كان موتها اختياريّاً اواضطراريّاً ، وبعد خروجها من عالم الصّور الى عالم المجرّدات الصّرفة وانتهائها الى صورة لاتتجاوزعنها يكون قيامتها الكبرى ودخولها فى مقامها من جنّات عدن او الجنان الصّوريّة بمراتبها او الجحيم بمراتبها ، و قبل القيامة الكبرى تكون فى جنان الدّنيا او فى نار الدّنيا كما فى اخبارنا، وهما اللّتان تكونان فى البرازخ قبل الوصول الى محلّ القرار؛ وقد فسّر الجنّة والنّار فى هذه الآية بولاية آل محمّد(ص) و ولاية اعدائهم [فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد (ص) لكن على طريقة ، ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، والفاء للجزاء اى اذا علمت حال آلهة الامم السّالفة وانّها لا تغنى عن عابديها شيئاً بما قصصناه عليك وبما شاهدت من آثارهم فلاتك فى مرية [مِمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ] من عبادة هؤلاء لانّ عبادتهم مثل عبادة اسلافهم اومن الا لهة الّتى يعبدها هؤلآء فانّ حالها كحال آلهة السّالفين [مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ] اى الامم السّالفة الّذين قصصتهم عليك والتّقدير كما كان يعبدآباؤهم فحذف لدلالة قوله [مِنْ قَبْلُ] عليه [وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ] اى قسطهم من العذاب كآبائهم اونصيبهم من ارزاقهم الى آجالهم حتّى نذهب بهم الى دارشقائهم [غَيْرَ مَنْقُوصٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة وصورته التّوراة كما آتيناك الكتاب [فَاخْتُلِفَ فِيهِ] كما اختلف فى كتابك [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] بامهالهم حتّى يخوضوا فى طغيانهم [لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين المختلفين من قوم موسى(ع) او من قومك بتميز المبطل عن المحقّ واهلاك المبطل وابقاء المحقّ [وَإِنَّهُمْ] اى منكرون قومك [لَفِي شَكٍّ مِنْهُ] من كتابك [مُرِيبٍ] بالغ سواء كان من قبيل ظلّ ظليل اوبمعنى موقع للغير فى الشّكّ على ان يكون من ارابه بمعنى اوقعه فى الشّكّ [وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ] قرئ انّ بتشديد النّون وتخفيفها وعلى قراءة التّخفيف قرئ كلّاً بالنّصب وبالرّفع وعلى كلّ فلمّا بالتّشديد وبالتّخفيف وقرئ لمّاً بالتّنوين فعلى قراءة تشديد النّون فكلّاً اسم انّ ولمّا بالتّشديد مركّبة من لام الابتداء ومن الجارّة وما الموصولة اوما الموصوفة، ولام ليوفّينّهم موطّئة والجملة صلة مااوصفته والمعنى لمن الّذين ليوفّينّهم اولمن اشخاص ليوفّينّهم بتقدير القول، اولمّا نافية والمنفىّ محذوف وليوفّينّهم جملة مستأنفة والمعنى لمّا يوفّ ربّك اعمالهم ليوفّينّهم اعمالهم اولمّا اصله لمّاً بالتّنوين بمعنى جميعاًتأكيداً لكلّا ابدل النّون الفاً اجراءً للوصل مجرى الوقف، اولمّا فعلى من لمّ بالف التّأنيث بمعنى جميعاً لم ينصرف لمكان الالف وعلى قراءة تشديد انّ وتخفيف لمافلام لما لام خبر انّ ولام ليوفّينّهم موطّئة اوبالعكس ومازائدة للفصل بين اللّامين، اولام لما لام خبر انّ وماموصولة اوموصوفة اى انّ كلّاً من المؤمنين والمنكرين للّذين ليوفّينّهم ربّك اعمالهم، وهكذا تقدير الموصوفة، وعلى قراءة تخفيف النّون ونصب كلّاً وتشديد لمّا فان مخفّفة عاملة على اصلها وكلّاً اسمها و لمّا على الوجوه السّابقة او ان نافية وكلّا مفعول فعل محذوف ولمّا استثنائيّة والمعنى ان ارى كلّا الّا ليوفّينّهم ، اوان مخفّفة مهملة وكلّا مفعول فعل محذوف و لما على الوجوه السّابقة وعلى قراءة تخفيف ان ونصب كلّا وتخفيف لما فان مخفّفة عاملة مثل كونها مشدّدة عاملة مع لما

بالتّخفيف اوان مخفّفة مهملة وارى مقدّرة ولام لمّا موطّئة او لام خبر انّ وما للفصل بين اللّامين اولام لمّا خبر انّ ومامو صولة اوموصوفة، اوان نافية وارى مقدّرة ولام لمابمعنى الّاعلى قول من يجعل اللّام بعد ان بمعنى الّا وما للفصل اوما موصولة اوموصوفة ، وعلى قراءة ان بالتّخفيف وكلّ بالرّفع و لمّا بالتّشديد فان مخفّفة مهملة وكلّ مبتدء ولمّا على الوجوه السّابقة ، او ان نافية ولمّا استثنائيّة وعلى قراءة ان بالتّخفيف و كلّ بالرّفع ولمّا بالتّخفيف فان مخفّفة مهملة اونافية ولمّا على الوجوه السّابقة، والمقصود تهديد المنكرين فالمعنى وانّ كلّاً من المنكرين اوتهديد المنكرين وترغيب المؤمنين، فالمعنى وان كلّاً من المؤمنين والكافرين ليوفّينّهم ربّك اعمالهم [إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ] اى اذا كان الامر هكذا فاستقم و تمكّن والاستقامة من قام من الانحناء اومن قام بالامر بمعنى كفاه والهيئة للطّلب اوللمبالغة فمعنى استقام طلب القيام من نفسه اوالقيام بالامر من نفسه وهو ايضاً يفيد المبالغة اوبالغ فيه ، ومعنى الآية فاستقم استقامة مماثلة لمأموريّتك وموازية لها او استقامة مثل الاستقامة الّتى امرت بها .

اعلم ، انّ الانسان مأمور تكويناً بالسّير من ادنى مراتب الوجود وهو العناصر الاربعة بل مادّة الموادّ الى اعلاها وهو مقام الاطلاق والخروج من التّعيّن والتّقيّد وسيره من مقام الطّبع على مراتب الجماد والحيوان الى مقام البشر و ظهور العقل الجزئىّ الّذى هو مناط التّكليف وظهور الاختيار بمحض الامر التّكوينىّ من دون مداخلة اختيار و تكليف ، و بعد ظهور العقل و تمييز الخير و الشّرّ الانسانيّين لمّا كان قد يعارض اختياره الامر التّكوينىّ ويمنعه عن سيره على المراتب العالية ادركه الرّحمة والعناية الآلهيّة بالاوامر والنّواهى التّكليفيّة على السنة رسله واوصيائهم (ع) ، فان ساعده التّوفيق فى امتثال الاوامر والنّواهى وساربمقتضى فطرته على المراتب العالية من الملكوت والجبروت الى مقام الاطلاق المعبّر عنه باللّاهوت والمشيّة والحقّ المخلوق به والولاية المطلقة وتمكّن فى ذلك صار منتهياً فى سيره الى ماامر به وصار مستقيماً متمكّناً فى جميع ماامر به تكويناً وتكليفاً، وان لم يساعده التّوفيق وتنزّل الى الملكوت السّفلى وعالم الجنّة والارواح الخبيثة صار مخالفاً للامر التّكوينىّ والتّكليفىّ فضلاً عن ان يكون مستقيماً فيه ، فانّ الاستقامة هو التّمكّن فى المأمور به بحيث يصير راسخاً غير محتمل الزّوال بسهولة ، والسّالك الى الله عروجه على المقامات وان كان صعباً لكن تمكّنه فيها بحيث لايزول عنه اصعب من دخوله فيها فانّ الدّخول فى مقام التّوكّل صعب لكن تمكّنه فى التّوكّل بحيث لايزول عنه فى حال من الاحوال اصعب من دخوله فيه ، وهكذا الانسان الملكىّ عروجه الى الملكوت صعب لكن تمكّنه فيها بعد عروجه اليها بحيث لايشغله شأن من شؤنه عنها اصعب و قد اشار المولوىّ قدّس سرّه الى السّير على تلك المراتب والتّمكّن فيها والانتهاء الى مقام الاطلاق بقوله :

از جمادى مردم و نامى شدم — وز نما مردم بحيوان سر زدم
مردم از حيوانى و آدم شدم — پس چه ترسم كى زمردن كم شدم
حملهٔ ديگر بميرم از بشر — تا بر آرم از ملايك بال و پر
واز ملك هم بايدم جستن ز جو — كلّ شىءٍ هالك الّا وجههُ
بار ديگر از ملك پرّان شوم — آنچه اندر وهم نايد آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون — گويدم انّا اليه راجعون

فانّه اشار بذكر الموت الى التّمكّن فى المقام الّذى مات منه لانّه لو لم يتمكّن فى ذلك المقام لم يكن حيّاً به بل كان آثار ذلك المقام عرضيّاً لاذاتيّاً فلم يكن حيوته الّتى هى قوام ذاته به، وما لم يكن حيّاً به

لم يتصوّر موته منه واراد بالملك جنس الملائكة ذوى الاجنحة الّتى عالمها الملكوت، والمراد بما لم يدخل فى الوهم المجرّدات الصّرفة الّتى لايتصوّرها الواهمة لانّ تصوّرها لايتجاوز عن المتقدّرات وهى وجه الله الباقى بعد هلاك كلّ شيء، وصيرورته عدماً اشارة الى مقام الاطلاق او المراد بصيرورته غير موهوم مقام الاطلاق وصيرورته عدماً تأكيداً له، ولمّا كان التّمكّن فى جملة المراتب امراً عظيماً صعباً امره (ص) بالاستقامة فى جميع ماامر به دون المؤمنين لانّه لايتيسّر لهم التّمكّن فى جميع ماامروا به الّا من ندر منهم، فانّ تقديم كما امرت على المعطوف للاشارة الى هذه اللّطيفة و لذلك لم يصرّح بامرهم بالاستقامة فيما يتيسّر لهم بل جعل امرهم تابعاً لامره (ص) وقال من غير تصريح بامرهم [وَمَنْ تَابَ مَعَكَ] كأنّه صار مأموراً باستقامة المؤمنين دون المؤمنين ولهذا ورد عنه (ع): شيّبتنى سورة هود وورد انّه مانزلت آية كانت اشقّ على رسول الله (ص) من هذه الآية، ووجهه انّه امر فيها باستقامة امّته والّا فاستقامته بنفسه كانت سهلاً عليه ولم يقل: شيّبتنى سورة الشّورى، لانّ الآية هنالك مطلقة عن ذكر من تاب معه الّذين بايعوا معه البيعة العامّة النّبويّة الاسلاميّة فانّ التّوبة جزؤ للبيعة واحد اركانها سواء كانت البيعة اسلاميّة او ايمانيّة ومعك ظرف للتّوبة من حيث انّ النّبىّ (ص) او الولىّ يحصل له رجوع وانسلاخ من الكثرات حين البيعة وتوبة البايع اوظرف للاستقامة اوهو حال او المراد بمن تاب عموم المؤمنين بالبيعة الخاصّة خصوصاً امير المؤمنين (ع) او المراد امير المؤمنين خاصّة [وَلَا تَطْغَوْا] ولا تخرجوا من الاستقامة فانّه نحو من الطّغيان او لاتتجاوزوا حدود الله ولجواز اتّصاف المؤمنين بالطّغيان اشركهم معه (ص) فى النّهى او صرف الخطاب عنه (ص) اليهم [إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تهديد وترغيب للمستقيم والطّاغى [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ تأكيداً، والرّكون هو الميل اليسير والمراد بالظّلم ظلم آل محمّد (ص) ويجرى فى كلّ من ظلم غيره من حيث ظلمه، وامّا من ظلم نفسه فقط فهو وان كان من حيث ظلمه لنفسه ظالماً لكن لمّا كان حيثيّة ظلمه لنفسه خفيّة غير ظاهرة لغيره لم يكن داخلاً فيه ظاهراً وان كان بحسب الطّريق داخلاً والرّكون اليه موجباً لمسيس نار ظلمه النّاشئة من جهله [فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ] عن الصّادق عليه السّلام هو الرّجل يأتى السّلطان فيحبّ بقاءه الى ان يدخل يده كيسه فيعطيه، وعنه (ع) امّا انّها لم يجعلها خلوداً و لكن تمسّكم فلاتركنوا اليهم [وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ] فلا تتّخذوهم اولياء [ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ] الجملة الاولى حال عن مفعول تمسّكم والثّانية عطف على تمسّكم [وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ] عطف على استقم او لا تطغوا او لا تركنوا [طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ] المراد بطرفى النّهار كما فى الخبر الغداة والمغرب وزلفاً جمع زلفة بمعنى القريبه اى ساعات قريبة من النّهار والمراد العشاء [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ] تعليل لاقامة الصّلوة و المقصود دفع توهّم نشأ من النّهى عن الطّغيان بمعنى عدم التّمكّن والنّهى عن الرّكون الى الظّلمة كأنّه توهّم انّه لايخلو احد من عدم التّمكّن والرّكون الى الظّالم ولاسيّما الظّالم لنفسه، وفى الخبر انّ الصّلوة الى الصّلوة كفّارة ما بينهما مااجتنبت الكبائر، وورد انّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئة، وورد انّه ليس له شيء اشدّ طلباً ولااسرع دركاً للخطيئة من الحسنة امّا انّها لتدرك الذّنب العظيم القديم المنسىّ عند صاحبه فتحطّه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته، وذلك قوله سبحانه: انّ الحسنات يذهبن السّيّئات، وعن احد الصّادقين (ع): انّ عليّاً (ع) قال: سمعت حبيبى رسول الله (ص) يقول: ارجى آية فى كتاب الله اقم الصّلوة طرفى النّهار (الآية) وقال: يا علىّ

والّذى بعثنى بالحقّ بشيراً ونذيراً انّ احدكم ليقوم الى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذّنوب ، فاذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امّه [ذٰلِكَ] اى اذهاب الحسنات للسّيّئات او قول انّ الحسنات يذهبن السّيّئات [ذِكْرىٰ لِلذّاكِرِينَ] اى تذكّر لهم لما يرونه فى وجودهم وعالمهم من انمحاء السّيّئات بالحسنات ومن غسل الصّلوة لدرن الذّنوب عن وجودهم و المراد بالذّاكرين من كان شأنهم تذكّر المساوى الحاصلة لهم من افعالهم الشّنيعة وهم الّذين قبلوا الولاية ودخلوا الابيات من ابوابها وذكروا الله من جهة ذكره [وَاصْبِرْ] على اذى قومك حتّى لايخرجك عن الاستقامة ولايدخلك فى الطّغيان والرّكون الى غيرالله وعلى الطّاعات خصوصاً الصّلوات الخمس باتيانها بجميع شرائطها [فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] وضع المظهر موضع المضمر ليكون كالبرهان و يكون تلويحاً الى الامر بالاحسان الى المسئ و وجه اختلاف الخطاب فى تلك الآيات من قوله فاستقم الى قوله واصبر بالخصوص والعموم غير خافٍ على المتأمّل فى لطائف الخطاب [فَلَوْلاٰ كاٰنَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ] بعد ما نهى عن الطّغيان و ذكر مسيس النّار بالرّكون الى الظّالم وانّ الصّلوة حسنة وانّ الحسنات يذهبن السّيّئات وامر بالصّبر على الطّاعات واذى القوم و اشار الى الامر بالاحسان، وبّخهم على ترك النّهى عن الطّغيان والرّكون وعلى عدم الصّبر على الاذى والطّاعات مشعراً بتسبّبه عمّا قبله باتيان الفاء ، اى اذا كان الامر هكذا فانتم موبّخون على ترك النّهى عن هذا الامر العظيم الّذى يدخل بسببه عبادالله النّار ، والمراد بالبقيّة هو بقيّة الله وقد مضى فى تفسير بقيّة الله انّ العقل وجنوده رسول الله الى العالم الصّغير وبعد استيلاء الشّيطان على مملكة هذا العالم فان بقى من العقل وجنوده شيء كان الانسان ذا بقيّة من جنود الله والّا فلا [يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسٰادِ فِى الْأَرْضِ] ارض العالم الصّغير وارض العالم الكبير [إِلاّٰ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنٰا مِنْهُمْ] استثناء متّصل من اولوا بقيّة باعتبار النّفى المستفاد من اداة التّخصيص اى ماكان من القرون اولوا بقيّة من رسول الله الباطنىّ اوالظّاهرىّ الّا قليلاً هم من انجينا اوبعض ممّن انجينا او ناشئاً ممّن انجينا ومتولّداً منهم، ومنهم ظرف لغواى انجينا من بينهم حين هلاكهم اوانجيناهم من شرّ تلك القرون اوظرف مستقرّ اى ممّن انجينا حالكونهم بعضاً من القرون او متولّداً منهم [وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِيهِ] عطف للحاظ المعنى كأنّه قال : فنهى اولو البقيّة و اتّبع الّذين ظلموا ما اترفوا فيه وتركوا النّهى طلباً للرّاحة وخوفاً من اذى القوم وزوال النّعمة والآية توبيخ لاهل عصر الرّسول (ص) وبيان لذمائمهم [وَكٰانُوا مُجْرِمِينَ] تمرّنوا عليه و صار الاجرام سجيّةً لهم [وَمٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ] اى بظلمٍ صادرٍ من بعضهم اوبظلمٍ منّا لهم من دون استحقاقهم بسوء اعمالهم وجرائمهم [وَأَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ] تهديد عن الاجرام وترغيب فى الاصلاح فى العالم الكبير والصّغير [وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً] على دينٍ واحدٍ متوجّهين الى مقصدٍ واحدٍ دفع توهّمٍ نشأ من التّهديد والتّرغيب من انّهم مستقلّون فى الاصلاح والاجرام وتسلية للنّبىّ (ص) عن حزنه على اختلافهم [وَلاٰ يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ] ابداً كما لم يزالوا مختلفين ازلاً [إِلاّٰ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ] قد مرّ مراراً انّ الولاية المطلقة هى رحمة الحقّ و انّ صورتها النّازلة المتصوّرة بصور الحروف و النّقوش المعبّر عنها بالايمان الدّاخل فى القلب وانّ ملكوت الامام السّاكنة فى القلب صورة الرّحمة وحقيقتها وقد حقّق

ایضاً انّ الدّاخلین فی الولایة بالبیعة الخاصّة الولویّة وجهتهم واحدة ومقصدهم واحد الّا اذا خرجوا وارتدّوا فطرة بعد ما آمنوا و انّ غیرهم سواءکانوا منتحلین لملّةٍ واحدةٍ او لملل مختلفةٍ او لم یکونوا ینتسبون الی ملّة آلهیّةٍ کلّهم مختلفون لانّهم لاقائد لهم من ولیّ مرشدٍ ولا سائقٍ من دلیلٍ ناصرٍ ولا اتّصال لهم بشیخٍ واحدٍ وملکوتٍ واحدةٍ وقد قال المولویّ قدّس سرّه تفسیراً للآیة :

جان حیوانی ندارد اتّحاد	تو مجو این اتّحاد ازجان باد
جان گرگان و سگان ازهم جداست	متّحد جانهای شیران خداست
همچو آن یک نور خورشید سما	صد بود نسبت بصحن خانه ها
لیک یک باشد همه انوارشان	چونکه برگیری تو دیوار ازمیان

[وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ] لانّ فیه تعمیر الدّنیا وبه بقاء اهلها و تکمیل الاتقیاء وتطهیرهم من وسخ الدّنیا وقد فسّر المرحوم فی الاخبار بشیعة آل محمّد(ص) و انّهم متّحدون وانّ غیرهم مختلفون وان کانوا صورة علی طریقة واحدة [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] عطف علی خلقهم ای ولذلک تمّت کلمة ربّک فیکون اشارة الی حکمة الاختلاف اوعلی مجموع لذلک خلقهم [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَكُلًّا] ای من الاقتصاص علی ان یکون نائباً للمصدر اوکلّاً من الانباء علی ان یکون مفعولاً به [نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ] حتّی لایعتریه خوف واضطراب ولاشکّ وارتیاب ولاینصرف عن طریق الطّاعة الی غیرها ولفظة ما مفعولٌ به علی الاوّل وبدل اوعطف بیان علی الثّانی [وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ] القصص لافی غیرها [الْحَقُّ] فلاتملّ من تطویلها وتکرارها فانّ فائدتها وهی مجیء الحقّ وثبات الفؤاد اعظم الفوائد واسناها والمراد بمجیء الحقّ هو ظهور الملکوت والملکوتیّین علیه فانّها صورة الحقّ لانّ الحقّ هومقام الولایة والجبروت والملکوت صورتها والملک ایضاً بجهة حقیّة صورتها لکنّه لاکتناف الباطل به اختفی الحقّ عنه ولذلک لایسمّی حقّاً علی الاطلاق ولمّا لم یکن مجیء الولایة الّا بصورة ولیّ الامر علی الاشخاص البشریّة فالمراد بمجیئها هونزول السّکینة الّتی هی ملکوت ولیّ الامروبها ثبات فؤادالبشر [وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ] یعنی انّ الاولیین لک خاصّة و هاتین لجملة المؤمنین [وَقُلْ] عطف باعتبار المقصود ای فذکّرهم وعظهم بها وقل [لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] یعنی انذرهم [إِنَّا عَامِلُونَ] اشرک المؤمنین لانّ المراد بالعمل العمل علی الدّین المدّعی صحّته وهم شرکاء له (ص) فیه [وَانْتَظِرُوا] نزول ما تهدّد و ننابه من آلهتکم وانتظروا نزول ماتهدّدکم به [إِنَّا مُنْتَظِرُونَ] نزول ملنعدکم من الله اونزول ماتعدوننا [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ] اثبات لمبدئیّته ومرجعیّته تمهیداً للامر بالعبادة ولذلک اتی بالفاء السّببیّة فیه ای اذاکان الامر کذلک [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] انتم ومخالفوکم ؛ ترغیب وتهدید و تعلیل للعبادة .

سُورَةُ يُوسُف

مكّيّة ، وقيل : غير اربع آياتٍ نزلن بالمدينة ثلاث من اوّلها والرّابعة :
لقد كان فى يوسف واخوته آياتٌ للسّائلين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[الٓر] قد سبق انّ تلك الحروف تعبيرعن مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) المشهودة له حين انسلاخه عن غواشى الطّبع ولذلك عدّت من اسمائه(ص) فصحّ جعلها مناداة و جعلها مبتدءً وما بعدها خبرها و جعلها منقطعة غير عاملة ولامعمولة لمحض اظهار تلك المراتب فى نظره وعلى وجه الابتداء فقوله [تِلْكَ] بدل منها و [آيَاتُ الْكِتَابِ] خبرها اوتلك مبتدء ثان وآيات الكتاب [الْمُبِينِ] خبره والجملة خبرها والمبين بمعنى الظّاهر اوالمظهروالمراد القلم العالى اواللّوح الكلّىّ اوعالم المثال اوعالم الطّبع اوالقرآن اوجملة العالم [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] اى الكتاب فى صورة الحروف والنّقوش [قُرْآناً] جامعاً لجهتى الوحدة والكثرة والامروالخلق [عَرَبِيّاً] بلغة العرب اوعربيّاً ذاعلم وفقه لا اعرابيّاً ذاجهل وسبعيّة وبهيميّة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] اى يسهل عليكم تعقّله لكونه بلغتكم اوتصيرون ذاعقلٍ وفقه لاشتماله على ما يحصل به عقل وفقه [نَحْنُ نَقُصُّ] نملى [عَلَيْكَ] لاغيرنا على ان يكون تقديم المسند اليه لافادة الحصر والمقصود النّهى عن الاصغاء الى الغير بايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، او المقصود النّهى عن النّظر الى الواسطة من الملك الاتى به [أَحْسَنَ الْقَصَصِ] املاء احسن من كلّ املاء ، واحسنيّة الاقتصاص امّا باحسنيّة اللّفظ المقتصّ به اوبأحسنيّة الاخبار المقتصّة لاغريبيّتها اوابعديّتها عن الاذهان اواكثريّة فوائدها وانفعيّتها اواحسنيّة موضوعاتها ، اوكون محمولاتها اشهى والذّ عند النّفس ولايخفى انّ الكلّ مجتمعة فى القرآن خصوصاً فى سورة يوسف(ع) وقد ذكرلاحسنيّة قصّة يوسف اوجه أخرماذكرنا أوجهها والمقصود اقتصاص جملة القرآن لانّ فيه اخبار الانبياء(ع) والاخياروالاشرار اواقتصاص سورة يوسف(ع) [بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ] جملة القرآن اوسورة يوسف(ع) فانّ القرآن كان اسماً لمانزل عليه(ص) آية كان اوسورة اوجملة القرآن ثمّ غلّب على المجموع بكثرة الاستعمال وهومفعول

اوحينا او نقصّ اوكليهما على سبيل التّنازع على ان يكون احسن القصص مفعولاً مطلقاً والّافهومفعول اوحينا اوبدل من احسن القصص [وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ] لانّك مااختلفت الى العلماء ولاالى القصّاص و ما تجسّست الكتب و الغفلة من الله مذمومة و من غيرالله للاشتغال به ممدوحة و المراد الغفلة من تلك القصّة [إِذْ قَالَ] اذ اسم خالص مفعول نقصّ او اوحينا اوبدل من احسن القصص اوهذا القرآن ، او بتقدير الامر من الذّكر وعلى اىّ تقدير فليقدّر مثل المثل و الحكاية مضافاً الى كلمة اذقال [يُوسُفُ لِأَبِيهِ] يعقوب (ع) بن اسحاق(ع) بن ابراهيم(ع) وكان لقبه اسرائيل وهوفى لغةالعبرىّ خالص الله [يَا أَبَتِ] الحاق التّاء بالاب والامّ منادیین لاظهار الشّفقة و الاستعطاف كتصغير الابن منادى [إِنِّي رَأَيْتُ] من الرّؤيا [أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ] رأيتهم تأكيد لرأيت ولى ساجدين مفعول ثان لرأيت الاوّل او رأيتهم جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل : على اىّ حال رأيتهم ؟ - او جواب سؤالٍ كان مذكوراً فى المحكىّ فحذ ف من الحكاية كما قيل : انّ يعقوب (ع) قال على اىّ حال رأيتهم ؟ وتأخيرالشّمس والقمر للاشارة الى التّرتيب فى الرّؤيا ، وقيل :كان تحقّق تعبيرالرّؤيا ايضاً كذلك لانّ اخوته سجدوا اوّلاً ثمّ سجد ابوه وامّه ، اوللاهتمام بالشّمس والقمرشبه التّخصيص بعدالتّعميم ، والاتيان بضميرذوى العقول وجمعهم لنسبة السّجدة الّتى هى من افعال ذوى العقول اليهم [قَالَ يَا بُنَيَّ] صغّره شفقة [لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ] لمّا كان شفيقاً على اولاده لم يقتصر على نسبة الكيد اليهم و اعتذرعنهم بانّ الكيدكان من تصرّ ف الشّيطان، **نقل** انّ يوسف (ع) قال : يا ابة انّ كلماتك تدلّ على انّ اخوتى سيدخلون فى سلك الانبياء(ع) ولاينبغى الكيد من الانبياء ؟- فقال : لايتأتّى الكيد من الانبياء(ع) لكن قد يتصرّ ف الشّيطان فيهم كماوقع منه بالنّسبة الى آدم (ع)، انّ الشّيطان للانسان عدوٌّ مبين، نهاه(ع) عن قصَص رؤياه على اخوته لما شاهد منهم من حقدهم وحسدهم على يوسف(ع) وعلم انّهم عالمون بتعبير الرّؤيا وانّهم يحسدونه على ما يتفطّنون من تعبير رؤياه . **نقل** انّ يعقوب(ع) لمّا منع يوسف(ع) من قصص رؤياه على اخوته قبل تعبير رؤياه تغيّرلون يوسف (ع) و ارتعدت فرائصه لماكان قد علم من شدّة صولة اخوته و قوّتهم فأخذه يعقوب(ع) وعبّر رؤياه تسكيناً له فقال: [وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ] عطف على محذوفٍ اى يرفعك وكذلك يجتبيك ربّك ، ويحتمل انّه كان مذكوراً فى المحكىّ فأسقطه الله عن الحكاية ايجازاً ، اواستيناف شبه العطف بلحاظ المعنى لانّه بعد ما قال : لاتقصص رؤياك استنبط منه انّ تلك الرّؤيا دليل رفعته و المشار اليه الاجتباء باراءة سجدة الكواكب [وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ] أتى بمن للاشعار بأنّ لتأويل الاحاديث مراتب عديدة لايحيط بجملتها الّا الله ، والاحاديث ، قيل: اسم جمعٍ للحديث ، وقيل : جمعٌ له على خلاف القياس، و قيل : جمع الاحداث و هو جمع الحديث او جمع الحدث بمعنى ما يحدث آناً فآناً ، وتأويل الاحاديث عبارة عمّا تؤل اليه من مبدئها وغايتها ان كان التّأويل بمعنى المؤوّل اليه و ان كان بمعناه المصدرىّ فالمقصود كيفيّة ارجاعها الى مبدئها ومنتهاها، ومبدءالكلّ وكذا غايته هو الله بتوسّط المبادى والغايات المتوسّطة فهو مبدء المبادى وغاية الغايات، وتأويل الاحاديث بهذا المعنى امر عظيم غامض جدّاً لايتيسّر الّا لمن كان رسولاً بعد ماكان عبداً وليّاً ، والاحاطة بجميع مراتب التّأويل خاصّة بالله وبمن كان خاتم الكلّ فى كلّ الكمالات كما قال تعالى: لايعلم

تأويله الّاالله خاصّة على ان يكون والرّاسخون ابتداء كلام اولايعلم اجمال تأويل ماتشابه منه الّاالله والرّاسخون فى العلم خاصّة [وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ] اصل النّعمة هوالولاية و النّبوّة صورتها المكمّلة لها و هكذا الرّسالة والنّعم الدّنيويّة والاخرويّة صورتها الدّانية والمراد باتمام نعمته عليه اتمام نعمة الولاية بنعمة النّبوّة و الرّسالة والسّلطنة فى الدّنيا والآخرة هذا بالنّسبة الى من تحقّق بقبول الولاية او بحقيقة الولاية و امّا النّعمة و اتمامها بالنّسبة الى من لم يقبل النّبوّة بعد او قبل النّبوّة ولم يقبل الولاية فهى قبول النّبوّة و اتمامها قبول الولاية كما فى قوله : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى يعنى باتّصال البيعة الاسلاميّة النّبويّة بالبيعة الايمانيّة الولويّة [وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ] بواسطتك و اتمام النّعمة عليهم جمع خير الدّنيا و الآخرة لهم بعد ما ازلّهم الشّيطان [كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ] باستحقاق كلّ وقدره [حَكِيمٌ] ينظر الى دقائق الاستحقاق فيعطى بحسبها وانت مستحقّ بحسب فطرتك فيعطيك ماتستحقّه [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ] اى فى قصّتهم [آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ] اى السّائلين عن قصّتهم كما قيل : انّ رؤساء المشركين سألوا محمّداً (ص) بتلقين اليهود عن قصّتهم، اوالصّحابة سألوا عنه سورة مشتملة على الحكايات خالية عن الامروالنّهى ، اواليهود جاؤا ليسألوا قصّة يوسف (ع) عنه فرأوه يقرؤها كما وجدوها فى كتبهم . **اقول:** نزول الآية ان كان فيمن ذكر فالحقّ انّ السّؤال اعمّ من السّؤال بلسان القال و الحال والاستعداد ، وانّ كلّ طالب للآخرة و لما يعتبر به فى جهة الآخرة سائل عنها ، و فى تعليق الحكم على الوصف اشعار بانّ غير السّائل محروم عن ادراك آيات تلك القصّة وعبرها ، فانّ غير السّائل لايسمع من تلك القصّة غير ما يسمع من الاسمار و التذاذه بها مثل التذاذه بالاسمار سواء لم يكن سائلاً بلسان القال اوكان سائلاً بلسان القال دون لسان الحال كما قال : و كأيّن من آية فى السّماوات و الارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، وفى تلك القصّة آيات عديدة للطّالب المستيقظ دالّة على علمه وحكمته وقدرته وربوبيّته وتصريفه للاشياء على مايشاء ، وعدم انجاء الحذر من القدر ، وعدم الانتفاء بالتّدبير فيمايريد غيره ، وعدم الاضرار بمكر الماكرين ، وسببيّة حسد الحاسدين لدرجات شرف المحسودين وانتشار فضلهم ، وعلى فضل العفّة وحسن عاقبتها ، وانّ الانسان ينبغى ان يكون عفيفاً ولومع خوف التّلف ووخامة البغى وابتلاء الباغى بالالتجاء بنفسه اوبعقبته الى المظلوم وترك الكذب ولوتوريةً ، وابتلاء الكاذب بمثل كذبه ممّن كذّب له اومن غيره ومكافاة العمل فى الدّنيا وان كان من الانبياء (ع) على سبيل ترك الاولى وغير ذلك من الآيات المندرجة فى تلك القصّة [إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا] قالوا ذلك بعد اطّلاعهم على رؤيا يوسف (ع) وتعبير يعقوب (ع) رؤياه له وكانوا يكذّبون يوسف (ع) فى رؤياه ويقولون: انّه افترى ليصرف وجه ابينا الى نفسه ، **ونقل** فى سبب اطّلاع اخوته انّ امّ شمعون بن يعقوب (ع) كانت تسمع حين نقل يوسف (ع) رؤياه وتسمع تعبير يعقوب (ع) لها من حيث لا يريانها فأخبرت ابنها بذلك وقالت : التّعب لكم والشّرف لغيركم ، وقيل : انّهم اطّلعوا على انّ يوسف ذكر رؤياء ليعقوب (ع) وامره بالاخفاء فاحلفوه حتّى اخبرهم، وقيل: انّه رأى بعد ذلك رؤيا اخرى فأخبر أباه بمحضر اخوته فحسدوه وقالوا ماقالوا وعزموا على الكيد والغدر .ولفظة اذ بدل من يوسف واخوته بدل الاشتمال بتقدير قصّة اذقالوا ، او مفعول للسّائلين او استيناف كلام بتقدير اذكر فى جواب السّائلين قصّة اذقالوا، واضافة اخوّة بنيامين الى يوسف (ع)

لكونه من امّه دونهم [وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] جماعة اقوياء على دفع الضرّ وجلب النّفع له دونهما ، والعصبة كما قيل من العشرة الى الاربعين [إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] ظاهر رتّبوا قياساً بعقولهم منتجاً لضلال ابيهم وترتيب القياس هكذا: نحن اقوى منهما وكلّ من كان اقوى كان اولى بالمحبّة فنحن اولى بالمحبّة وابونا اختار غير الاولى على الاولى وكلّ من اختار غير الاولى على الاولى فهو ضالّ عن طريق العقل وحكمه فأبونا ضالّ ، لكن قياسهم الخياليّ كان سقيماً عقيماً عند العشق وسلطانه ، لانّ العشق ارفع من ان يعارضه الخيال اويداخله القياس واعظم شأناً من ان يناط بالاسباب بل هو من صفات الله العليا يعطى منه ما يشاء لمن يشاء ، كما سنحقّقه انشاءالله فى بيان عشق امراة العزيز ليوسف(ع) [اُقْتُلُوا يُوسُفَ اَوِ اطْرَحُوهُ اَرْضًا] مجهولة [يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ اَبِيكُمْ] عن مزاحمة التّوجّه الى يوسف(ع) [وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ] بعد يوسف وقتله اوطرحه [قَوْمًا صَالِحِينَ] بان تتوبوا الى الله ثمّ تعبدوه فى اوامره ونواهيه وهذا دليل على انّهم فى ذواتهم كانوا طيّبين وانّما عرض ذلك لهم من الشّيطان [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ] قيل : كان القائل يهودا وورد أنّه كان لاوى وهو الّذى بقى النّبوّة فى عقبه [لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ] عظّم القتل و نهاهم عنه و وضع الظّاهر موضع المضمر تعليلاً للنّهى بتذكيرهم انّه يوسف (ع) وابن ابيهم و أحبّهم اليه ليعظّموا قتله ايضاً [وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ] قعره الّذى يغيب عن الانظار [يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ] فيذهب به عن ارضكم ويبعّده عن ابيكم [إِنْ كُنْتُمْ] لامحالة [فَاعِلِينَ] به ما يفرّق بينه وبين ابيه [قَالُوا] بعد ماعزموا على ما أرادوا [يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ] اظهروا الشّفقة عليه بعد ما أنكروا عدم اطمينانه [اَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ] النّظر فى الازهار [وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] عطف على يرتع والعدول عن الفعليّة لتأتى التّأكيدات من اسميّة الجملة وانّ واللّام وتقديم الجارّ فانّه يشعر بالاهتمام به المستلزم لحفظه [قَالَ اِنِّي لَيَحْزُنُنِي اَنْ تَذْهَبُوا بِهِ] لشدّة محبّتى له وقلّة صبرى عن مفارقته [وَاَخَافُ اَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ] قيل: انّ الارض كانت مذئبة؛ ومافى الاخبار يشعر بأنّها لم تكن مذئبة لكنّه ورّى عن حسدهم وحقدهم واظهر انّه يخاف الذّئب الصّوريّ كما فى الخبر: لاتلقّنوا الكذب فتكذبوا فانّ بنى يعقوب (ع) لم يعلموا انّ الذّئب يأكل الانسان حتّى لقّنهم ابوهم ، وورد فى سبب ابتلاء يعقوب(ع) انّه ذبح كبشاً سميناً ورجل من اصحابه محتاج لم يجد مايفطر عليه فأغفله ولم يطعمه ، وورد انّه كان له جارية ولدت ابناً وماتت امّ يوسف(ع) فى نفاس بنيامين وكانت الجارية تربّى بنيامين وترضعه وكان ابنها رضيع بنيامين فأخذه يعقوب(ع) منها بعد كبره اوبعد مراهقته وباعه فأخذت الجارية من فراقة حرقة وتضرّعت الى الله فسمعت هاتفاً يقول: يبتلى يعقوب(ع) بفراق احبّ اولاده ولا يصل اليه الّا وتصلين انت قبل ذلك الى ولدك [وَاَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ اَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] جماعة اقوياء [إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ] هذا على عادة العرف تقول : ان وقع كذا فانا ملوم اوافعل بى ما شئت والّا فليس هو جواباً له(ع)، اوهو جواب بابلغ وجه كأنّهم ادّعوا بعصابتهم وقوّتهم محاليّة اكل الذّئب له فكأنّهم قالوا اكل الذّئب له مستلزم لخسراننا وخسراننا محال فهو محال [فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا اَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ] جزاؤه محذوف اى القوه فيها [وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِ] وحياً بتوسّط الملك كما فى اخبارنا؛ ورد انّه كان ابن سبع سنين اوتسع سنين وقيل:

انّه كان ابن سبع عشرة سنة [لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِاَمْرِهِمْ هٰذٰا وَهُمْ لٰايَشْعُرُونَ] بانّك يوسف (ع) وهو قوله هل علمتم ما فعلتم الآية [وَجٰاؤُا اَبٰاهُمْ عِشٰاءً يَبْكُونَ] بعد ما ذبحوا جدياً و لطّخوا قميصه بدمه [قٰالُوا يٰا اَبٰانٰا اِنّٰا ذَهَبْنٰا نَسْتَبِقُ] الاستباق التّسابق فى الرّمى، والتّسابق فى الخيل، والتّسابق فى العدو؛ وهو المرادهنا [وَتَرَكْنٰا يُوسُفَ عِنْدَ مَتٰاعِنٰا فَاَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمٰا اَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنٰا] مصدّق لنا [وَلَوْ كُنّٰا صٰادِقِينَ وَجٰاؤُا عَلٰى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] ذى كذب او مكذوبٍ او كاذبٍ او وصف بالمصدر للمبالغة و وصف الدّم بالكذب باعتبار انّه خلاف ما اظهروه ، ورد انّه (ع) قال بعداخذ القميص ما كان اشدّ غضب ذلك الذّئب على يوسف (ع) واشفقه على قميصه حيث أكل يوسف (ع) ولم يخرق قميصه [قٰالَ بَلْ سَوَّلَتْ] سهّلت [لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا] عظيماً هو اذى يوسف من غير جرمٍ واذى نبىّ الله و الكذب لنبىّ الله [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ] هذه الكلمات كانت فى الشّرائع الماضية مثل كلمة الاسترجاع فى الشّريعة المحمّديّة (ص) واصلها فاصبر صبراً جميلاً، اسقط الفعل واقيم المصدر مقامه ثمّ عدل الى الرّفع نظير سلاماً وسلامٌ فعلى هذا كان تقدير: لى صبرٌ جميلٌ، اولى من تقدير صبرى صبرٌ جميلٌ ، اوصبرٌ جميلٌ صبرى ، اوأمرى صبر جميل ، لانّ تعلّق المصدر بالفاعل والمفعول وربطه به بواسطة حرف الجرّ بعد حذف الفعل و اقامة المصدر مقامه منصوباً و مرفوعاً مطّرد مثل ظنّاً منهم و سلام منّا عليك والحمدلله و حمداً لله [وَاللّٰهُ الْمُسْتَعٰانُ عَلٰى مٰا تَصِفُونَ] من هلاك يوسف (ع) اى على الصّبر عليه [وَجٰاءَتْ سَيّٰارَةٌ] جماعة سيّارة للتّجارة وفى لفظ السّيّارة اشعارٌ بانّ السّير كان شغلهم وقصّته انّ مالك بن زعر الّذى كان امير العير وكان من ولد ابراهيم الخليل (ع) باربعة آباء ، رأى رؤيا عبّروها له بالتقاط غلام فى ارض كنعان يكون له فيه خير كثير فى الدّنيا والآخرة ، وكان رؤياه قبل ذلك بخمسين عاماً ، وكان يمرّ فى تلك المدّة على ارض كنعان بعيره كلّ عامٍ مرّة وفى ذلك العام ضلّ الدّليل الطّريق ومرّوا على ذلك البئر بعد مضىّ ثلاثة ايّام اوخمسة ايّام اوسبعة ايّام من القاء يوسف فيه، وقيل: انّ البئر كان على طريق المارّة ، ويستفاد من قوله تعالى يلتقطه بعض السّيّارة انّ البئر كان على طريق المارّة [فَأَرْسَلُوا وٰارِدَهُمْ] الّذى يرد الماء ليستقى للنّاس والدّوابّ [فَأَدْلٰى دَلْوَهُ قٰالَ يٰا بُشْرٰى] جواب سؤالٍ كأنّه قيل: مارأى وما فعل بعد اخراج الدّلو، ونداء البشرى اشارة الى غاية سروره واستبشاره كأنّه تمثّل البشرى لديه فاستبشرها بشهود الغلام، وقيل: كان له صاحب اسمه بشرى فناداه ليبشّره بشهود الغلام [هٰذٰا غُلٰامٌ وَأَسَرُّوهُ] اى الوارد وخواصّ اصحابه كتموا التقاطه من البئر لئلّا يمتدّ اليه اطماع الرّفقة، او كتموا انفس يوسف (ع) لئلا يراه رفقتهم فيطمعوا فيه، اواسرّوا بمعنى اظهروا، ويحتمل رجوع ضمير الفاعل الى اخوة يوسف (ع) كما يجيء [بِضٰاعَةً] حال من مفعول اسرّوه ، قيل: انّ يهوداً كان يأتى كلّ يوم الى البئر ويتعاهد يوسف (ع) ويأتى له بطعام فلمّا جاء اليوم الى البئر لم يجد يوسف (ع) فيه فأتى العير فوجده هناك واخبر اخوته فجاؤا الى العير وكتموا أمر يوسف (ع) وهدّدوه من القتل حتّى أقرّ بالعبوديّة فعابوه بالسّرقة والاباق [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ] منهم ويحتمل ارجاع ضمير الفاعل الى الوارد و رفقته او الى السّيّارة وكون الشّراء بمعنى الاشتراء [بِثَمَنٍ بَخْسٍ] مغشوش اوقليل [دَرٰاهِمَ مَعْدُودَةٍ] عشرين

اواثنين وعشرين اوثمانية عشر [وَكَانُوا] اى السّيّارة اواخوة يوسف [فِيهِ] فى يوسف او فى الثّمن [مِنَ الزّاهِدِينَ] غير راغبين اوناظرين بنظرالزّهد لابنظرالخيانة ، وكان المشترى من اخوة يوسف (ع) مالك بن زعر اميرالعيرفجاء به الى مصروكان من كنعان الى مصرمسيرة اثنى عشريوماً اوثمانية عشريوماً وقد ساريعقوب (ع) وولده بعد بشارة حيوة يوسف (ع) وسلطنته فى تسعة ايّام [وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ] بعد وصول العير الى مصر و ابراز يوسف (ع) فى معرض البيع و اشتراء عزيز مصر الّذى كان بحكم الملك على خزائن مصر والملك يومئذٍ ريّان بن الوليد وآمن بيوسف (ع) ومات فى حيوته [لِامْرَأَتِهِ] زليخا [أَكْرِمِى مَثْوَيهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا] بالاعانة فى امورنا وجمع اموالنا وتعهّد ضياعنا وعقارنا [أَوْنَتَّخِذَهُ وَلَدًا] لانّه لم يكن له ولد امّا لانّه كان عنّيناً ويكتفى من النّساء بالملامسة والملاصقة اوكان عقيماً، وقد نقل انّ زليخا كانت بكراً لعننه، اولانّه كلّما يريد الدّخول ضعف عن الرّجوليّة ولم يتيسّر له الدّخول [وَكَذَلِكَ] مثل ذلك التّمكين فى دار العزيز وهو عطف على محذوف اى فمكّنّا ليوسف (ع) فى دار العزيز ومثل ذلك [مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ] تمام ارض مصر اوالمراد مثل ذلك التّمكين المسبّب عن المتاعب حتّى يكون تسلية للمبتلى [وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ] عطف على محذوف اى ليعدل فى النّاس ولنعلّمه من تأويل الاحاديث فيدبّر على وفقها سواء اريد بالاحاديث ، الاحداث اواحاديث الرّؤيا اواحاديث الكتب السّماويّة واخبارالانبياء اواعمّ من ذلك [وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ] مسلّط على ما يريده لارادّ لمراده و قد ظهر ذلك فى قصّة يوسف (ع) لانّه اراد اعزازه فى الدّنيا والآخرة بابتلائه واراد يعقوب (ع) ان لايفارق عنه ففرّق بينهما ، واراد عدم اخبار يوسف (ع) اخوته برؤياه فاخبروا ، و أراد اخوته بحسدهم ان يقتلوه فصرفوا ، و ارادوا ان يذلّوه فصار عزيزاً باذلالهم ، وارادوا رقّيّته مادام عمره فصار مالك رقاب اهل مصر ، واراد زليخا اضلاله فعصمه ، وارادوا اتّهامه بسجنه فصار سبب ظهور طهارته وعلوّ مرتبته [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ] اللّعب المعكوس منه وجعله الاضداد اسباباً للاضداد واظهار الشّرّ بابتلاء العبد وكتمان الخير فيه [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ] قد سبق تفسير الاشدّ وانّه اوان كمال جميع القوى وهو سنّ الوقوف بين الثّلاثين والاربعين والحقّ انّ مبدأه الثّامن عشر و منتهاه الاربعون [آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] نبوّة و رسالة سواء اريد بالحكم كمال القوّة العمليّة بحيث ينقاد له جميع القوى النّفسانيّة اوالحكومة والتّسلّط او القوى النّفسانيّة ، فانّ الاوّل النّبوّة و الثّانى لازمها والعلم وهو الاستبصار بالاشياء على ماهى عليه من لوازم الرّسالة ، ويجوز ان يراد بالحكم لازم الولاية من التّسلّط على القوى و بالعلم النّبوّة والرّسالة فانّ النّبوّة ايضاً تستلزم الاستبصار بما فى العالم الصّغير ، وعلى اىّ تقدير فتقديم الحكم لتقدّم رتبته على العلم ولمكان هذا الحكم كان ليوسف (ع) كمال العفّة حين تهيّؤ اسباب الشّهوة والشّره ولذا قدّم ذكر اعطاء الحكم على المراودة [وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ] يعنى كما انّ يوسف (ع) كان محسناً فأعطيناه الحكم لاحسانه كذلك نعطى كلّ محسن لاحسانه، والاحسان قد مضى مراراً انّه الايمان الخاصّ وقبول الاحكام القلبيّة الولويّة بالبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب فالمراد بالمحسن ههنا هو الّذى صار ذا حسنٍ او الّذى احسن الى نفسه بادخالها تحت ولاية وليّه، والاحسان الى الغير لازم ذلك الاحسان [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ] راود ذهب وجاء لطلب شيء و لتضمين معنى الطّلب والسّؤال عدّاه بعن و المقصود تشبيه ملاطفاتها له وفتح ابواب الرّغبة عليه، وانّه كلّما سدّ باباً من ابواب ترغيبها فتحت باباً آخربالمراودةالصّوريّة ، والتّعليق على الموصول للاشعار بكمال قوّتها فى المراودة وعدم عذرٍ له من جهة الاسباب الصّوريّة و ارتفاع حجاب الحياء بكثرة المعاشرة ولذلك عقّبه بقوله [وَغَلَّقَتِ الْاَبْوابَ] حتّى يكون تعفّفه فى تلك الحال دالّاً على كمال قوّته الا ٓلهيّة وتسلّطه على قواه النّفسانيّة ، والتّضعيف للتّكثير فانّ الابواب كما نقل كانت سبعةً وكانا فى البيت السّابع . وقد ذكر فى التّواريخ انّها كانت تعشق يوسف (ع) وهو فى بيتها سبع سنين وكانت تكتم عشقها ولا يعلمه الّا الله و ما اظهرتها على يوسف (ع) ايضاً حتّى ذاب جسمها و اصفرّ لونها و اغورّت عيناها وكانت لها امرأة مربّية كانت صاحبة اسرارها ، فسألتها عن حالها فأظهرت حال عشقها و انّ يوسف (ع) لا يلتفت اليها ولا ينظر اليها كلّما تزيّنت له ، فأشارت اليها ان تبنى قباباً متزيّنة بانواع الجواهر وان تنقش فى جوانب كلّ قبّة صورتها وصورة حبيبها متعانقة وتجعل مسكن يوسف (ع) فيها وتظهر عشقها له لعلّه يرغب فيها بعد مشاهدة الصّور المنقوشة المرغّبة ؛ ففعلت وأدخلت يوسف (ع) فى القبّة السّابعة و غلّقت الابواب لئلّا يبقى له عذر فى عدم المخالطة معها. وقيل: انّها بنت قبّة نصبت فى سقفها وجميع جدرانها المرائى بحيث اذا أدخلت يوسف (ع) فيها لا تنظر الى شيء الّا تشاهد صورة يوسف (ع) ولا ينظر يوسف (ع) الى طرفٍ الّا يرى صورتها، وذلك انّها كلّما الحّت و دبّرت ان ينظر يوسف (ع) الى صورتها لعلّه يرغب فيها كان لا ينظر اليها فدبّرت ذلك لعلّه يرى صورتها ويرغب فيها وايضاً لغاية محبّتها كانت لاتريد النّظر الّا الى جمال يوسف (ع) [وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ] اسم فعل بمعنى أقبل اوبمعنى تهيّئت واللّام لتبيين الفاعل اوالمفعول وقرئ هيت بضمّ التّاء وهيت بكسرها مثل حيث وجير، وقرئ هيت بكسر الهاء وفتح التّاء ، وهئت مثل جئت بضمّ التّاء فعل ماض بمعنى تهيّئت [قالَ] فى جوابها اعتذاراً من عدم اجابتها مستعيذاً بالله خوفاً من ان يفتتن بصحبتها [مَعاذَ اللهِ] عذت بالله معاذاً ولمّا كان فى الاستعاذة اشعار بعدم الاجابة علّله بقوله [اِنَّهُ رَبّى] انّ العزيز سيّدى اشترانى بثمنٍ غالٍ لايليق بى الخيانة بأهله وحريمه ، او انّ الله ربّى ربّانى من اوّل استقرار نطفتى ومادّة بدنى فى رحم امّى فلا ينبغى مخالفته فيما نهى عنه [اَحْسَنَ مَثْوایَ] اظهر وصفاً آخر مقتضياً لقبح الخيانة ، ونسبة الاحسان الى المثوى كناية عن اكثار الانعام ووفور الاحسان ، ومن أساء الى المحسن فهو ظالم والظّالم لاينجو من العذاب الاليم [اِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ] ذكر فى الاعتذار ثلاثة اشياء : الرّبوبيّة وكثرة الاحسان وكون الخيانة ظلماً خصوصاً مع المنعم مع عدم فلاح الظّالم تعريضاً بنصحها وردعها عمّا أرادت .

بيان العشق ومراتبها ومراتب الحبّ

اعلم ، انّه لاخلاف ولاشكّ فى انّ زليخا تعشّقت يوسف (ع) ولم يكن مراودتها عن محض شهوة حيوانيّة وسفاد قوّة بهيميّة كما قال من لاخبرة له بالحقائق الا ٓلهيّة والصّفات الرّبوبيّة حيث نظر الى تهديدها له بالسّجن ورضاها بكونه فى السّجن، والحال انّ العاشق لايمكنه تهديد المعشوق ويعدّ البلاء والملامة فيه من شعار عشقه ومستلذّات لوعته وموجبات ازدياد محبّته واشتعال شوقته، بل الخلاف فى انّ عشقها أكان سفليّاً صارفاً لها عن الجهة الانسانيّة العالية الا ٓلهيّة داعياً لها الى الحيوانيّة البهيميّة المقتضية للسّفاح والفجور لانّ مراودتها كانت لذلك لدلالة هيت وقولها ولقد راودته فاستعصم وقولها لئن لم يفعل ما امره ليسجننّ وقول يوسف (ع) معاذ الله انّه ربّى احسن مثواى ام علويّاً صارفاً عن الجهة الحيوانيّة

السّفلیّة الی الانسانیّة العالیة مقتضیاً لنزاهة النّفس عن الادناس والارجاس موجباً لقرب الحقّ الاوّل تعالی، لانّ تعشّقها لیوسف انتهی بها الی محبّة الله و مشاهدة جماله و الاستغناء عن مشاهدة المظاهر فضلاً عن المواقعة والسّفاح کما ورد انّ یوسف (ع) افتتن بها وهی استغنت عنه بالله تعالی وتحقیق ذلک یستدعی تحقیق معنی العشق والمحبّة وبیان حقیقته ومراتبه؛ فنقول ومنه الاعانة والتّوفیق :

العشق من صفات الله العلیا وبه دعمت السّماوات والارضون وهو الّذی ملأ ارکان کلّ شیءٍ ولولاه لماکان ارض ولاسماء ولاملک ولاملکوت وهو یساوق الوجود ، حقیقته حقیقة الحقّ الاوّل تعالی وهو باطلاقه غیب مطلق لا اسم له ولا رسم ولا خبرعنه ولا اثر ولذا قیل :

هرچه گویم عشق را شرح و بیان		چون بعشق آیم خجل مانم ازان
عقل درشرحش چوخرد رگل بخفت		شرح عشق و عاشقی هم عشق گفت

لانّ العشق کالوجود لایکتنه ولا یحاط لانّه عین الواقع وحاقّ التّحقّق فلوادرک بالکنه لانقلب الواقع ذهناً والواقعیّ ذهنیّاً . وایضاً حقیقة العشق المطلق کحقیقة الوجود المطلق منزّه عن ادراک الحسّ والخیال والعقل للزوم السّنخیّة بین المدرک والمدرک بل لزوم الاتّحاد بینهما ولاسنخیّة ولا اتّحاد بین المطلق والمقیّد ولذلک ورد هو مع کلّ شیءٍ، هو معکم اینما کنتم وهو حقیقة کلّ شیءٍ وهو بفعله کلّ الاشیاء ولا شیء من الاشیاء معه:

آنجا که توئی چو من نباشد		کس محرم این سخن نباشد

و ایضاً العشق المقیّد الّذی هو من اجلّ اوصاف الانسان وبه تمیّزه عن سائر الحیوان و فی الحقیقة هو فعلیّته وبه تحقّق انسانیّته لایدرک حاله بالحال والقال ولا بالعقل والخیال لخروجه عن سلطان العقل فکیف بعقال الخیال ، فانّه یقتضی الدّهشة والحیرة والاسترسال عن انتظام الحرکات وتدبیر الامور کالجنون والاختبال ولا یدرک العقل المقتضی للتّدبیر وحفظ النّاموس حقیقة تلک الاحوال لتقیّده واسترسال العشق ، ولهذا ظنّ العقلاء من الحکماء انّه جنون من اختلال فی الدّماغ او فساد فی المزاج و ترقّی بعضهم لانّه لم یدرک له سبباً طبیعیّاً فقال: انّه جنون آلهیّ. **فالعشق کالوجود مرتبة منه واجب الوجود** ولیس لاحدٍ الکلام فیه اذا بلغ الکلام الی الذّات فأمسکوا ، ومرتبة منه العشق المطلق والحقّ المضاف الّذی به قوام کلّ شیءٍ وهو اضافة الحقّ تعالی الی الاشیاء وهو حقیقة کلّ ذی حقیقة وبه معیّته وقیّومیّته وهو الظّاهر والباطن والاوّل والآخر وهو بکلّ شیءٍ محیط ، وبه یقال بسیط الحقیقة کلّ الاشیاء ولیس شیئاً من الاشیاء ولا یبقی معه شیءٍ وان کان هو مع کلّ شیءٍ. ومرتبة منه المجرّدات الصّرفة بسعتها وعدم نهایتها ، ومرتبة منه النّفوس، ومرتبة منه الاشباح النّوریّة وعالم المثال وفیه جنان اصحاب الیمین ، ومرتبة منه المادّیّات وعالم الطّبع و فیه التّکلیف والتّرقّی الی عالم المجرّدات النّوریّة والتّنزّل الی عالم الارواح الخبیثة ، ومرتبة منه عالم الارواح الخبیثة وفیه جحیم الاشقیاء ، وهناک یتمّ نزول العشق ومن هناک ابتداء الصّعود کما اشیر الیه فی اخبارنا ، بانّ الجنّ منهم مؤمنون ای متصاعدون عن مقام الارواح الخبیثة اوابتداء الصّعود من عالم الطّبع کما علیه معظم اهل النّظر والبیان ، ولمّا کان عالم الطّبع مکتنفاً بالاعدام موصوفاً بالتّضادّ والتّعاند ملفوفاً بالغیبة والفقدان، بحیث لایدرک منه اهل الحسّ والخیال العشق والمحبّة لکونهما مسبوقین بالعلم والحیوة ولایدرکون منه حیوة ولاشعوراً ما سمّوا میل الطّبائع الی احیازها ولاعشقها لحفظ موادّها وصورها ولامیل النّبات فی حرکاتها ولامیل الحیوان فی ارادتها عشقاً، بل فرّقوا بین مراتب الطّلبات فسمّوا طلب الاجرام الثّقال والخفاف لاحیازها عند الخروج عنها میلاً، وعشق الجماد لبقاء صورته حفظاً، وعشق النّبات للنمّو وتولید المثل تنمیة وتولیداً ، وطلبه للغذاء جذباً ، وعشق الحیوان للغذاء والسّفاد شهوةً، وعشقها

لاولادها من حيث انّه يشبه انس الانسان حبّاً ، وسمّوا حبّ الانسان من حيث انّه انسان باعتبار مراتبه من الشّدّة والضّعف وباعتبار متعلّقه بالميل والشّهوة والحبّ والعشق والشّوق؛ فسمّوا اوّل مراتبه ميلاً ، واذا اشتدّ بحيث يتمالك معه شهوة وحبّاً ، واشدّ مراتبه بحيث لا يتمالك معه عشقاً ، اذا كان الحبّ للمحبوب الموجود، واذا كان للمحبوب المفقود يسمّى شوقاً ، وقد يطلق كلّ على كلّ . والحبّ على المعنى الاعمّ وعلى مراتب عشق الحيوان والنّبات حقيقة اوعلى سبيل المشاكلة ، ويسمّى عشق الانسان من حيث نفسه الحيوانيّة بالهوى والشّهوة ، ويطلق الحبّ على جملة المراتب فيكون اعمّ من الكلّ ، ولاشكّ انّ الهوى والشّهوة والميل والحبّ والشّوق الغير الشّديد من لوازم وجود الانسان ولايمكن بقاء الشّخص ولا بقاء النّوع ولاعمارة الدّنيا والآخرة الّا بها فهى من الكمالات المترتّبة عليها غايات ومصالح عديدة . وامّا العشق والشّوق اللّذان لايتمالك معهما الانسان ولايكونان الّا متعلّقين بصور الحسان وقد يتعلّقان باصوات القيان وتناسب الالحان فقد اختلف كلمات اصحاب البيان وارباب الذّوق والوجدان فى انّهما من الخصائل ام من الرّذائل؟ فقال اكثر العقلاء: انّ العشق رذيلة مستلزمة لرذائل كثيرة واوصاف مذمومة مثل البطالة فى الدّنيا والقلق والدّهشة و سهر اللّيالى واصفرار اللّون و اغورار العين و خروج الحركات عن ميزان العقل ، ولذا قيل: انّه جنون آلهىّ اومرض سوداوىّ وجنون حيوانىّ وعدم الانتزاع بالنّصح والرّدع بل اشتداده به كما قال المولوىّ :

سخت تر شد بند من از پند تو عشق را نشناخت دانشمند تو

وعدم الخوف من التّخويف بالحبس والقتل كما قال ايضاً :

تو مكن تهديدم از كشتن كه من تشنهٔ زارم بخون خويشتن
گر بريزد خون من آن دوست رو پاى كوبان جان بر افشانم بر او

والوحشة من ابناء النّوع وطلب العزلة والخلوة عنهم وجعل الهموم مقصورة على لقاء المعشوق نافراً عن كلّ شغل سواه ولوفى ترك العبادات والاعمال المعاديّة كما قال ايضاً :

غير معشوق ار تماشائى بود عشق نبود هرزه سودائى بود
عشق آن شعله است كو چون برفروخت هرچه جز معشوق باقى جمله سوخت

واقتضاؤه فى بعض الاحيان للفجور واشتداد الشّهوة الحيوانيّة بحيث لايتمالك عنه ويدخل فيما منعه الشّارع، وهذا كلّه من الرّذائل والمناهى الشّرعيّة التّحريميّة اوالتّنزيهيّة، وقال بعض اهل النّظر وجملة العرفاء والصّوفيّة : انّه من حيث هو من الفضائل النّفسانيّة وان صار بالنّسبة الى من غلب عليه البهيميّة رذيلة بالعرض وبالنّسبة الى من هو مشغول بالله صارفاً عن الاشرف الى الاخسّ .

و تحقيق الحقّ فى ذلك ان نقول : شرافة الاوصاف امّا بشرافة مباديها اومحالّها اوبشرافة لوازمها اومتعلّقاتها اوغاياتها ؛ والكلّ مجموعة فى عشق الانسان للصّور الحسان والحان القيان وتخلّف البعض فى بعض الاحيان بعارض لاينافى الاقتضاء الذّاتىّ لولم يعارضه عارض ، فانّ مبدأه القريب لطافة النّفس ودقّة الادراك و رقّة القلب ، ولذا ترى النّفوس الغليظة والقلوب الجافية منه خالية كالاكراد الّذين لايعرفون منه الّا السّفاد ومبدأه البعيد هوالله بتوسّط المبادى العالية باعداد الابصار اوالسّماع واستحسان شمائل المعشوق ، فانّ عشق كلّ عاشق ظلّ ومعلول لعشق الاوّل تعالى لاكمعلوليّة الاوصاف القهريّة له تعالى فانّها معلولة له بالعرض اوبتوسّط المبادى القهريّة، فانّ كمال الوجود من حيث هو وجود ينتهى الى الوجوب ومحلّ تحقيقه الحكمة العالية ولاشكّ فى شرافة ذلك كلّه و محلّه النّفس الانسانيّة الّتى هى الصّراط المستقيم الى كلّ خير وهى الجسر الممدود

بين الجنّة والنّار وهي الكتاب الّذى كتبه الرّحمن بيده ، ومن لوازمه جعل الهموم همّاً واحداً وكفى العشق فضلاً ان يجعل الهموم همّاً واحداً وقد قال المولوىّ قدّس سرّه :

عقل تو قسمت شده بر صد مهم		بر هزاران آرزو و طمّ ورمّ
جمع بايد كرد اجزا را بعشق		تاشوى خوش چون سمرقند ودمشق

وطهارة النّفس عن جملة الرّذائل كما قال ايضاً :

هركه را جامه زعشقى چاك شد		او زحرص و عيب كلى پاك شد
شادباش اى عشق خوش سوداى ما		واى طبيب جمله علّتهاى ما
اى دواى نخوت و ناموس ما		اى تو افلاطون و جالينوس ما

فانّه لايبقى للعاشق المفتون دواعى الغضب ولا الشّهوة ولذا قيل: العشق يحرق الشّهوة لا انّه يوقدها ومايرى من هيجان الشّهوة فى بعض فانّما هى لبقاء النّفس البهيميّة وغلبتها على النّفس الانسانيّة ، اولسعة النّفس الانسانيّة واخذ البهيميّة من العشق حظّها ، وقد علمت انّ حظّ البهيميّة من العشق هو قضاء الشّهوة ، ومنها رقّة القلب فى كلّ حال والتّواضع لكلّ احد ولاسيّما المنسوب الى المعشوق والقرب من عالم المجرّدات والتّشبّه بالملائكة ولذلك ورد : من عشق وعفّ وكتم ومات مات شهيداً ؛ وقد قال المولوىّ بلسانه:

خونبهاى من جمال ذوالجلال		خونبهاى خود خورم كسب حلال

ومنها الزّهد الحقيقىّ فى الدّنيا بلا تكلّفٍ ولا تعبٍ فى الاتّصاف به :

عاشقان را با سرو سامان چه كار		بازن وفرزندو خان ومان چه كار

والرّغبة فى الآخرة وطلب الخلاص من سجن الدّنيا :

عاشقان را هر زمانى مردنيست		مردن عشّاق خود يك نوع نيست
او دوصد جان دارد از نور هدى		وان دو صد را ميكند هردم فدا

ومتعلّقه بحسب الظّاهر هو الا وجه الحسان باعداد الابصار اوالسّماع ونغم الالحان باعداد السّماع فقط ، وقد يكون تعلّق العشق بالاوجه الحسان باعداد غلبة الشّهوة مع النّظر اوالسّماع ، وشرف حسن الصّورة ثابت بالكتاب والسّنّة والعقل والفطرة والمنكر له خارج عن الكلّ ومن لايميّز بين الصّور الحسان وغيرها ليس بانسان، ودقيق النّظر يقتضى ان يكون متعلّق العشق امراً غيبيّاً متجلّياً على العاشق من مرآة جمال المعشوق، ولمّا كان ازدياد حسن الصّورة و بهاؤها دليلاً على ازدياد حسن السّيرة و صفاء النّفس وكان ازدياد صفاء النّفس موجباً لاشتداد تجلّى ذلك الامر الغيبىّ، فكلّما كانت الصّورة احسن كان تجلّى الامر الغيبىّ اشدّ وبحسب اشتداده يشتدّ العشق ، وممّا يدلّ على انّ متعلّق العشق هو الامر الغيبىّ لا الحسن البشرىّ فقط انّه لوكان المعشوق امراً جسمانيّاً لانطفى حرارة شوقه وانسلى من حرقة فرقته عند الوصول الى معشوقه والحال انّ العاشق اذا وصل الى المعشوق وحصل له الاتّصال الجسمانىّ ازداد حرقته واشتدّ لوعته كما قيل :

اعانقها والنّفس بعد مشوقة		اليها فهل بعد العناق تدانى
والثم فاها كى يزول حرارتى		فيزداد ما يبقى من الهيجان

وانّه لوحصل للعاشق اتّصالٌ ملكوتىٌّ بالمعشوق لتسلّى عن صورته الجسمانيّة كما نقل عن المجنون العامرىّ انّه وقفت على رأسه ليلى العامريّة فقالت: يامجنون انا ليلاك فلم يلتفت اليها وقال: لى منك مايغنينى، وقد قال المولوىّ قدّس سرّه برهانا على هذا المطلب :

آنچه معشوقست صورت نيست آن | خواه عشق اين جهان خواه آن جهان
آنچه بر صورت تو عاشق گشتهٔ | چون برون شد جان چرايش هشتهٔ
صورتش برجاست اين زشتى زچيست | عاشقا وابين كه معشوق توكيست
آنچه محسوس است اگرمعشوقه است | عاشق استى هركه اورا حسّ هست
چون وفا آن عشق افزون ميكند | كى وفا صورت دگرگون ميكند

وغايته قد علم انّها التّجرّد من مقتضيات الشّهوة والغضب ومن ادناس الدّنيا والتّعلّق بالآخرة بل بالله ولاشرف اشرف منها ، فعلم انّ المحبّة الشّديدة للاوجه الحسان من الخصائل الشّريفة وقد يعرضها ماتصير بسببه مذمومة كتعشّق المقرّبين وافتتانهم بالصّور الملاح اوالسّماع ، فانّ هذا العشق من اوصاف الاواسط واصحاب اليمين وهو سيّئةٌ بالنّسبة الى المقرّبين . و قد نقل عن بعض الكمّلين من المشايخ افتتانهم بالسّماع او الاوجه الحسان ، ومثل تعشّق من اشتدّ بتعشّقه نار الشّهوة سواء كان نفسه البهيميّة غالبة على نفسه الانسانيّة اومغلوبة ، فانّه بسبب اشتداد الشّهوة و اقتضاء الفجور يصير مذموماً عقلاً و ذوقاً وحراماً شرعاً . و لمّا كان عشق اكثر الخلق مورثاً لاشتعال نار الشّهوة و مؤدّياً بهم الى الفجور ورد النّهي عن النّظر الى الامارد و التّشبّب بالاجانبة و ذمّ اهل الذّوق ذلك كما قال المولوىّ :

عشقهائى كز پى رنگى بود | عشق نبود عاقبت ننگى بود

ولا يوجد آثار العشق الممدوح فى ذلك بل هو من توابع الشّره المذموم ، وعشق زليخا و ان كانت البهيميّة اخذت منه حظّها واستدعت الفجور كما يدلّ عليه ظواهر الآيات والاخبار ، لكنّ الانسانيّة كانت غالبة والعشق نشأ منها و البهيميّة اخذت حظّاً منه تبعاً ولذا كانت كاتمة له سبع سنين و انتهى العشق بها الى الانسلاخ ممّا كانت مقيّدة به من الافتتان بصورة يوسف (ع) والى الافتتان بالمعشوق الحقيقىّ فارّة من المعشوق المجازىّ.

بيان البرهان الّذى رآه يوسف (ع)

[وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ] بمخالطته وقصدت الفجور [وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ] همّ بها فى المعنى جزاء للولا كأنّه قال : لولا انرآى برهان ربّه لهمّ بها يعنى انّ ترك الهمّة منه كان مسبّباً عن رؤية برهان الرّبّ لا عن امرٍ آخر من عننٍ و ضعفٍ او مانعٍ ، وتقديم الجزاء لايهام تحقّق الهمّة اشعاراً بقوّة المقتضى من حيث بشريّته وعدم المانع من قبلها بل شدّة الاقتضاء منها وعدم مانع آخر لكونهما فى بيتٍ خالٍ من الاغيار وعدم احتمال دخول النّظّار وهذا غاية المدح له (ع) وقيل : الكلام ليس على تقدير التّقديم والتّأخير والمعنى وهمّ بها لولا ان رآى برهان ربّه لعزم على المخالطة اولفعل ، لكنّ الهمّة عبارة عن الشّهوة الفطريّة والرّغبة الاضطراريّة والخطرة القلبيّة الّتى لامدخليّة للاختيار فيها و هوبعيد عن مفهوم الهمّة لغة وعرفاً ، فان المتبادر من الهمّة هيجان النّفس للفعل بعد تصوّره والرّغبة فيه اختياراً و هو بعيد عن عصمة الانبياء و حرمتهم (ع) . و ورد فى الاخبار ما يشعر بعدم تقدير التّأخير لكن فرّق بين الهمّتين وانّ المعنى ولقد همّت بمخالطته وهمّ بالفرار اوبقتلها لوالجأتها اوبدفعها اوبوعظها لولا ان رأى برهان ربّه لهمّ بمخالطتها بحسب بشريّته ، وقالت جماعة من المعترفين بجواز الخطاء على الانبياء(ع): انّه همّ بمخالطتها وقالوا مالايليق بادنى عبدٍ من عباد الله ممّا لاينبغى ذكره. ونسبوا الى الباقر(ع) انّه نقل عن امير المؤمنين(ع) انّه همّ ان يحلّ التّكّة ، وذكر انّ يوسف (ع) حين قال اظهاراً لطهارته ذلك ليعلم انّى لم اخنه بالغيب نزل جبرئيل(ع) وقال : ولاحين هممت يا يوسف ؟ فقال يوسف (ع) و ما ابرّئ نفسى انّ النّفس لامّارة بالسّوء، وحاشا مقام النّبوّة عن التّلوّث بامثال هذه الخطايا ، والعجب انّهم يذكرون انّ الله تعالى أخذ يوسف (ع) حين

قال: ربّ السّجن احبّ الیّ، بالسّجن بسبب توجّهه الی السّجن وغفلته عن العصمة واخذه(ع) حين قال اذكرنی عند ربّك، بتوسّله الی المخلوق باللّبث فی السّجن بضع سنين ولم يذكروا انّه تعالی أخذه بتلك المعصية العظيمة كأنّهم سفّهوا الحقّ تعالی بالمؤاخذة علی الالتفات الی الغير فی محضر حضوره وعدم المؤاخذة علی المخالفة وارتكاب معصية عظيمة فی حضوره بل ذكروا انّ الآية فی مدحه(ع) بطهارة ذيله، ولو كانت كماذكروها لكانت غاية الذّمّ له(ع)، وقد ذكر انّ كلّ من كان له ارتباط بتلك الواقعة شهد بطهارته وهم اغمضوا عن ذلك ونسبوه الی التّلوّث، فانّ الله تعالی قال كذلك لنصرف عنه السّوء والفحشاء، والعزيز قال انّه من كيدكنّ والشّاهد الصّبیّ قال: ان كان قميصه قدّ من قبل الی الآخر والنّسوة قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء وزليخا قالت الآن حصحص الحقّ انا راودته عن نفسه وانّه لمن الصّادقين وابليس قال: لاغوينّهم اجمعين الّا عبادك منهم المخصلين وقد كان بنصّ الآية من المخلصين.

والمراد بالبرهان هو السّكينة الّتی كانت تنزل علی الانبياء(ع) والمؤمنين وبها كانت نصرتهم علی الاعداء فی العالم الكبير والصّغير، وقد مضی انّها تجلّی ملكوت الشّيخ علی صدر السّالك وانّها الاسم الاعظم الّذی يفرّ منه الشّيطان، وقد كان شيخ يوسف(ع) الّذی تاب علی يده وبايعه البيعتين اباه يعقوب(ع)، وبرهان الرّبّ هو صورته الملكوتيّة النّازلة علی صدره، وذكر الرّؤية يشعر بها وفی الاخبار مايدلّ عليه نصّاً اواشعاراً، واختلاف الاخبار فی تفسير البرهان يمكن رفعه بماذكر، فقد ورد انّ البرهان كان جبرئيل(ع) لانّه نزل حين همّتها وقال: يا يوسف(ع) اسمك فی الانبياء مكتوب فلا يكوننّ عملك عمل الفجّار، وورد انّه رأی صورة يعقوب(ع)، ونقل انّه رأی يداً بينه وبين زليخا، وفی اخبارنا انّ البرهان ماقاله لها حين سترت الصّنم: انت تستحيين من صنمٍ لايبصر ولا يسمع وانا لااستحيی ممّن خلق الانسان وعلّمه؟! ونقل انّ البرهان اسم ملك اوانّ طيراً ظهر عليه اوانّ حوراء من حور الجنّة ظهرت عليه اوانّه ايّد بالنّبوّة حين مراودتها، وقد قيل فيه اشياء اخر لاينبغی ذكرها، والحقّ انّ البرهان هو ما ذكرنا وانّه لغاية الانزجار عن مراودتها والدّهشة عن محادثتها انسلخ عن البشريّة واتّصل بعالم الملكوت وفاز بشهود الملكوت وانوارها واستلذّ بجمال شيخه بحيث لم يبق له حالة توجّه والتفات الی زليخا ومحادثتها، وما ورد فی الاخبار من انكار ظهور يعقوب(ع) اوجبرئيل(ع) اوغيرهما فانّما هو باعتبار ما يذكره العامّة من انّه ظهر حين اراد يوسف(ع) الفجور ومنعه عن الفجور فالانكار فی الحقيقة راجع الی ما يستفاد من قولهم من الاشعار بهمّة يوسف(ع) للفجور [كَذٰلِكَ] امّا متعلّق بقوله تعالی همّ بها ای همّ بها مثل همّها به، وتخلّل لولا ان رأی بينهما لئلّا يتوهّم تحقّق همّه مثل همّها وانقطاع لولا ان رأی عمّا قبله وقوله [لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشٰاءَ] جواب سؤالٍ بتقديرٍ اريناه وهذا اوفق بما ورد من تفاسير ائمّتنا(ع) من جعل همّ بها جزاء للولا فی المعنی اوهو مع عامله المحذوف جملة مستقلّة ولنصرف متعلّق به ای كذلك عصمناه لنصرف عنه السّوء ای الخيانة فی حقّ من اكرم مثواه والفحشاء ای الزّنا [إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِينَ] فی موضع التّعليل و قریٔ بفتح اللّام وكسرها [وَاسْتَبَقَا الْبٰابَ] تسابقا؛ بقصده الفرار منها وقصدها منعه [وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ] ای وصلت اليه وتمسّكت بقميصه لتمنعه من الخروج فقدّته [مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيٰا سَيِّدَهٰا] زوجها العزيز [لَدَی الْبٰابِ قٰالَتْ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ ای بعد ما رأت العزيز واستحيت منه ورأت افتضاحها وانّه لايمكن لها انكار الفضيحة قالت دفعاً للتّهمة عن نفسها ورمياً بها غيرها لايهام انّها فرّت منه كما هو شأن كلّ خائنٍ بعد

الافتضاح بخيانته [مٰاجَزٰاءُ مَنْ اَرٰادَ بِاَهْلِكَ سُوءً اِلّٰا اَنْ يُسْجَنَ اَوْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ] لفظة ما استفهاميّة انكاريّة اونافية اخباريّة [قٰالَ] دفعاً للتّهمة والعذاب عن نفسه [هِيَ رٰاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي] وألهمه الله ان يقول: سل هذا الصّبىّ الّذى فى المهد وكان الصّبىّ من اقارب زليخا ابن عمّها اوابن خالتها وقيل: كان ابن اخت العزيز جاءت الى دار العزيز حين سمعت النّزاع فيها ومعها ابنها ابن ثمانية ايّام اوثمانية اشهر وكان العزيز قدسلّ سيفه غضباً على يوسف (ع) وهمّ بقتله فالتجأ يوسف (ع) الى الله وقال: اللّهمّ ادفع عنّى هذه التّهمة والقتل؛ فنطق الصّبىّ من غيرسبق سؤال [وَشَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ اَهْلِهٰا] اى الصّبىّ [اِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّمِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰاذِبِينَ وَاِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّمِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] ادّى الشّهادة بما يكون دليلاً عليه [فَلَمّٰا رَاٰى قَمِيصَهُ قُدَّمِنْ دُبُرٍ قٰالَ] عتاباً عليها [اِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ] اشرك سائر النّساء اشارة الى انّ الكيد فى امثال تلك سجيّة للنّساء ليكون العتاب مشوباً بالاعتذار عنها مراعاة لما هو شأن النّصح والوعظ من امتزاج التّهديد والارجاء والرّحمة والغضب و حفظاً لعرضه عن الافتضاح ، ويدلّ عليه وصيّته ليوسف (ع) بالكتمان [اِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ] فى مراودة الرّجال لوجود المقتضى فى سجيّة الرّجال و عدم المانع حين مراودتكنّ و قلّما ينفكّ الرّجل عن شرّ كيدكنّ [يُوسُفُ] بحذف حرف النّداء [أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا] اوصاه بالكتمان صوناً لعرضه ، وقيل: ماوفى يوسف (ع) واخبر بماكان لانّ النّاس كانوا يلومونه على ماسمعوه منه ثمّ اعرض عن يوسف (ع) وخاطب زليخا بالامر بالاستغفار وبالتّلطّف معها فى ضمن التّعيير فقال [وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ اِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخٰاطِئِينَ] ذكر جمع المذكّر تغليباً وجرياً على ماهو الغالب على الالسن من الاتيان بجمع المذكّر [وَقٰالَ نِسْوَةٌ] اتى بالفعل بدون التّاء مع نسبته الى المؤنّث الحقيقىّ الغير المفصول نظراً الى صورة الجمع المكسّر؛ على ان يكون جمعاً للنّساء الّذى هو جمع للمرأة وقيل: النّسوة بكسر النّون وضمّها والنّساء والنّسوان والنّسون بكسرهنّ كلّها اسم جمع للمرأة، وقيل: كلّها جمع لا واحد لها من لفظها واسقاط التّاء للاشعار بانّهنّ كنّ موصوفات بخصال الرّجال لافتتانهن بجمال يوسف (ع) حين مشاهدتهنّ ايّاه، وقيل : كنّ اربعاً اوخمساً اواربع عشرة وقيل: صارت القضيّة منتشرة بين نساء مصر حتّى انّ اكثر النّساء كنّ يتحدّثن بها [فِي الْمَدِينَةِ امْرَاَةُ الْعَزِيزِ تُرٰاوِدُ فَتٰيهٰا عَنْ نَفْسِهِ] تعييراً لها بافتتانها بعبدٍ مملوكٍ لها وكأنّهنّ كنّ مفتتنات به وكنّ يردن بذلك ان يخرجه العزيز من داره لعلّهنّ يرينه بسبب ذلك ولذلك سمّاه مكراً فيما يأتى [قَدْ شَغَفَهٰا حُبًّا] احاط بها من الشّغاف بمعنى الغلاف يعنى اعميها واصمّها بحيث لا تبصر معايب المراودة ولا تسمعها ممّن يعيبها لانّها كانت كلّما تسمع الملامة يزداد عشقها ويشتدّ التهاب شوقها كما قيل :

نسازد عشق را كنج سلامت — خوشا رسوائى كوى ملامت
ملامت شحنهٔ بازار عشق است — ملامت صيقل زنگار عشق است

اووصل الى باطنها بحيث ملأ جميع اركانها من شغاف القلب بمعنى باطنها او وصل من باطن قلبها الى ظاهره فأحاط به من شغاف القلب بمعنى غشائه المحيط به .

بیان مراتب القلب

اعلم ، انّ اهل الله المکاشفین قالوا: انّ القلب تارة یطلق علی معنی یشمل اللّحمة المودعة فی أیسر الصّدر وتارة علی مراتب الرّوح المتعلّق به و بهذا المعنی یقال : للقلب اطوار سبعة اوّلها الصّدر وهو محلّ نور الاسلام وظلمة الکفر کما فی الکتاب الآلهیّ ، و ثانیها القلب وهو محلّ الایمان کتب فی قلوبهم الایمان ، ولمّا یدخل الایمان فی قلوبکم ، وثالثها الشّغاف وهو محلّ المحبّة الانسانیّة المتعلّقة بالخلق قد شغفها حبّاً ، و رابعها الفؤاد و هو محلّ المشاهدة للانوار الغیبیّة ما کذب الفؤاد ما رأی وخامسها حبّة القلب وهی محلّ المحبّة الآلهیّة ، وسادسها سویداء القلب وهی محلّ المکاشفات و العلوم الدّینیّة ، و سابعها مهجة القلب وهی محلّ تجلّی الله بأسمائه وصفاته .

[إِنَّا لَنَرٰيهَا فِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ] لانّها کانت قد خرجت من جادّة العقل وسهّلت علی نفسها الشّین و العار و اختارت عشق مملوك لها لایلتفت الیها [فَلَمّٰا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ] قد مضی وجه اطلاق المکر علی ذمّهنّ [أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ] للضّیافة وهیّأت مجلساً لائقاً بشأن الملوك وسألت یوسف(ع) ان یخرج علیهنّ اذا سألت الخروج [وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وٰاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا] احدّ مایکون بعد الفراغ من الغذاء واعطت کلّ واحدة منهنّ اترجاً [وَقٰالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ] بعد ما زیّنته بالالبسة الفاخرة وانواع ما یتزیّن به [فَلَمّٰا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ] بحیث لم یبق لهنّ شعور بانفسهنّ ومحین فی جماله، وقیل: اکبرن بمعنی حضن فانّ الاکبار ورد فی اللّغة بهذا المعنی لانّ الحیض علامة دخول المرأة فی الکبر کالاحتلام للمرء یعنی من غلبة الوله اومن غلبة الشّبق حضن [وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] جرحنها جرحاً کثیراً [وَقُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ] کلمة تعجّب و حاش حرف نزّل منزلة المصدر ای تنزیهاً لله وعلی هذا فالّلام للتّبیین مثل لام سقیاً لك ، اوللقسم سواء جعل حاش کلمة برأسه اوکان اصله حاشا خفّف الفه الاخیرة ، وقیل: اصله حاشا فعلاً خفّف بحذف الالف من الحشی بمعنی النّاحیة والفاعل ضمیر یوسف (ع) والّلام للتّعلیل والمعنی تنحّی یوسف عن التّلوّث لله او لتبیین المفعول والمعنی نزّه یوسف الله والفعل لازم والفاعل هو الله والّلام لتبیین الفاعل ، او الّلام للقسم سواء جعل الفعل لازماً اومتعدّیاً وفاعل الفعل ضمیر یوسف (ع) ، وقرئ حاشا الله فعلاً لازماً والله فاعله وحاشا لله بتنوین حاش حرفاً منزّلاً منزلة المصدر اومنزلة اسماء الاصوات ، اوبجعله اسم صوت ولام لله حینئذ تکون للتّبیین اوللقسم [مٰا هٰذٰا بَشَرًا] جرین علی عادة العرف من نفی البشریّة عمّن یبالغون فی کماله یعنی انّه فوق البشریّه فی جماله ولم یردن نفی البشریّة حقیقة ، او اردن ذلك حقیقة [إِنْ هٰذٰا إِلّٰا مَلَكٌ كَرِيمٌ] هذا ایضاً علی عادة العرف من اثبات الملکیّة لمن یبالغون فی کماله [قٰالَتْ] اعتذاراً عن افتتانها به ودفعاً لملامتهنّ اوتفاخراً بعشقه او جواباً عن سؤالهنّ لانّهنّ بعد مشاهدة جماله و قطع ایدیهنّ قلن: یا زلیخا من هذا الّذی اریتناه؟ـ قالت فی جوابهنّ [فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] یعنی انّ الملامة لیست فی موقعها لانّ جماله اقتضی الافتتان به ولا یمکن الصّبر عنه [وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مٰا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصّٰاغِرِينَ قٰالَ] بعد ما رأی انّ مدافعتهنّ اصعب شیء له [رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّٰا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلّٰا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ] واتنزّل من مقام العلم والعقل [وَأَكُنْ مِنَ الْجٰاهِلِينَ] السّاقطین فی مقام الجهل اشرك النّسوة مع زلیخا فی استدعائه الخلاص

منها لانّهنّ كنّ يرغّبنه على اجابة زليخا و يخوّفنه منها ويدعونه خفية الى انفسهنّ و لمّا كان المراد من اظهار احبيّة السّجن والصّبا اليهنّ لولم يصرف كيدهنّ دعاء الخلاص منهنّ قال تعالى [فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ] بنجاته من ايديهنّ بارادتهنّ السّجن له [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لدعاء كلّ داع اولكلّ صوت ومنه دعاء الدّاعين [الْعَلِيمُ] بمايصلح كلّ احد [ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ] لمّا رأت امرأة العزيز انّها افتضحت بين النّاس ولم تصل الى وصال يوسف (ع) شاورت خواصّها فدبّرن ان يرسلوه الى السّجن حتّى ينتشر فى النّاس انّ الاثم كان منه ، ولعلّه يرضى بمواصلتها بعد ماذاق مرارة السّجن فسألت زليخا من العزيز ان يرسله الى السّجن فشاور خواصّه فأشاروا اليه بذلك فاستقرّ رأى الجميع على سجنه و لذلك قال تعالى : بدا لهم اى للمرأة وخواصّها وللعزيز وخواصّه والمراد بالآيات آيات صدقه وطهارة ذيله من تنطّق الصّبىّ وقدّ القميص من الدّبر واستباقهما الباب حتّى سمع العزيز مجاذبتها ايّاه على الباب وقطع النّسوة ايديهنّ [لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ] مدّة قليلة ليحسب النّاس انّه كان الآثم [وَدَخَلَ] اُدخل [مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ] كانا عبدين للملك احدهما كان خبّازه و الآخر صاحب شرابه و استعمال الفتى و الفتاة فى العبيد و الاماء غالب فى عرفهم وقيل: انّه لمّا ادخل السّجن استدعى من السّجّان ان ينزله تحت شجرة يابسة كانت فى وسط السّجن فآواه هناك فتوضّأ(ع) تحتها وصلّى فأصبحت الشّجرة مخضّرة ، وكان ينصح اهل السّجن ويسلّيهم ويعظهم ويتعاهدهم كلّ صباح ومساء فعرفوه بالصّلاح واحبّوه وكان يبثّ كلّ شكواه اليه ورأى فى المنام صاحباه ماقصّ الله تعالى فاتيا [قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا] اى عصيراً اوعنباً، واطلاق الخمر للاشارة الى انّه يعصره للخمر اوالمراد انّى اعصر الخمر عن درديّها واصفيّها [وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا] جفنةً فيها خبز [تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ] ورد عن الصّادق(ع) انّه لمّا امر الملك بحبس يوسف (ع) فى السّجن الهمه الله تعالى علم تأويل الرّؤيا فكان يعبّر لاهل السّجن رؤياهم وانّ فتيين ادخلا معه السّجن يوم حبسه فباتا فأصبحا فقالا: انّا رأينا رؤيا فعبّرها لنا فقال: ومارأيتما؟ فقصّا [إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] من صاحبى السّجن اوممّن يحسن الى جلسائه ومعاشريه لانّه كان يقوم على المريض ويلتمس للمحتاج ويوسّع فى المجلس على جلسائه او ممّن يحسن تعبير الرّؤيا لانّه كان يعبّر لاهل السّجن و يوافق تعبيره الواقع [قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ] وكان وقت اتيان الطّعام لاهل السّجن [إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ] لمّا كان المستثنى مفرّغاً وحالاً ممّا قبله والحال تقتضى الاقتران بالعامل زماناً وكان مقصوده انّه يعبّره قبل الاتيان قيّده بقوله [قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا] وأخّر التّعبير لترغيبهم فى التّوحيد وتنفيرهم عن الاشراك بعد مارأى وثوقهما به وظنّ تأثّرهما بوعظه كما هو شأن كلّ ناصح اذا رأى التّأثّر بنصحه ولم يكن التّأخير لتأمّله فى التّعبير والّا لم يستجّل الاخبار به [ذَٰلِكُمَا] العلم بتعبير الرّؤيا [مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي] لا ممّا تعلّمته بنفسى من بشر مثلى كعلوم القافة و المشعبذة وغير ذلك ولا ممّا تعلّمته من الشّياطين والجنّ كعلوم الكهنة والسّحرة بل علّمنى ربّى بالوحى والالهام من غير كسب منّى علوماً كثيرةً هذا احدها ثمّ علّل تعليم الرّبّ بترك ملّتهم واتّباع ملّة الانبياء(ع) تنفيراً وترغيباً لهما بقوله [إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ] عرّض بهما وورّى عن ملّتهما

وكفرهماليكون اشدّتأثيراًواقرب قبولاً واوقع فى نفوسهما [وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ اٰبَاۤئِى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ] اضاف الملّة الى آبائه اشارة الى علوّ نسبته بانتسابه الى من كان ذاملّة وصاحب شريعة وصرّح باسمائهم لكونهم مشهورين بعلوّ الشّأن وشرافة الرّتبة و مقبولين عند الكلّ خصوصاً ابراهيم (ع) لذلك ، وبعد ما عرّفهم نسبه وانّه (ع) من اهل بيت النّبوّة والشّرف اثبت لهم مذهبه وانّه التّوحيد وعرّض بذمّ مذهبهما وانّه خلاف مذهب الانبياء (ع) والاشراف فقال [مَا كَانَ لَنَا اَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَىْءٍ] شيئاً يسيرا من اصناف الاشراك كالاشراك فى الوجوب كاشراك اكثر الثّنويّة القائلة بانّ للعالم مبدئين قديمين واجبين النّور والظّلمة اويزدان واهريمن، وكاشراك الزّنادقة من الدّهريّة والطّبيعيّة القائلة بانّ الدّهر اوالطّبع واجب ومبدء فانّ هذا القول اشراك بحسب نفس الامر، وكالاشراك فى الآلهة كاشراك بعض الثّنويّة القائلة بوحدة الواجب تعالى وآلهته المبدئين، وكاشراك الصّابئة القائلة بآلهة الكواكب وتربيتها لعالم العناصر ومخلوقيّتها للحقّ الاوّل تعالى على كثرة مذاهبهم، وكاشراك اكثر من قال بسلطنة الملائكة اوالجنّة على اختلاف طرقهم، وكالاشراك فى العبادة كاشراك الوثنيّة وعابدى العناصر و مواليدها من الاحجار و الاشجار و الحيوان ، وكالاشراك فى الطّاعة كاشراك من اطاع السّلاطين و الحكّام والاغنياء والشّياطين و الاهواء و منتحلى العلم والامامة والفتيا من غير اذنٍ و اجازةٍ من الله ولا ممّن اجازه الله كالرّهبان والاحبار ومترأسّى الملّة والطّريق من كلّ ملّة وطريق، وكالاشراك فى النّبوّة كاشراك من بايع من ليس نبيّاً ولاخليفة له بيعة عامّة نبويّة ، وكالاشراك فى الولاية كاشراك من بايع من ليس بولىّ بيعة خاصّة ولوية ، ولمّا كان هذا الاشراك مستلزماً لما سبق من انواع الاشراك وبتوحيد الولاية يحصل جملة انواع التّوحيد كمالايخفى على العارف بالولاية ، وانّها لاتحصل الّا بماقرّر من الائمّة (ع) فسّر الاشراك فى اكثر الآيات بالاشراك فى الولاية فى اخبارنا المعصوميّة ، وكالاشراك فى الوجود قالاً اوحالاً او شهوداً و قلّما ينفكّ الانسان عن هذا الاشراك والى هذا الاشراك اشار تعالى بقوله : وما يؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون فأشار (ع) بقوله من شىءٍ الى نفى جملة انواع الاشراك سواء جعل من شىءٍ مفعولاً مطلقاً كمامضى اومفعولاً به وهوتعريض بهما وبقومهما لانّهم اشركوا اكثر انواع الاشراك ، ولمّا لم يمكن الخروج من جملة انواع الشّرك الّا بالفناء التّامّ الّذى هو الفناء عن الفناء وكان هذا الفناء بحيث ان كان بعده بقاء لم يكن البقاء الّا بالنّبوّة والرّسالة والخلافة وكان الكلّ من شعب فضله تعالى، كما انّ الولاية الّتى هى اصل تلك رحمته وكان النّبوّة وتاليتاها كماانّها فضل على الموصوف بها فضلاً على من كان الموصوف فيهم ومبعوثاً عليهم قال [ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] لانّهم لايعرفون قدر النّبوّة ولايقومون بواجب حقّها بل يعرضون عنها ويجحدونها [يَا صَاحِبَىِ السِّجْنِ] الاضافة لأدنى ملابسةٍ سواء كان المراد صحابة يوسف (ع) فى السّجن اوصحابة نفس السّجن [ءَاَرْبَابٌ] متكثّرون والتّعبير بالارباب تعبير بما اعتقدوه ليكون ادخل فى النّصف [مُتَفَرِّقُونَ] غير قاهرين بعضهم لبعض وجمع العقلاء ايضاً لموافقة اعتقادهم [خَيْرٌ] افعل التّفضيل للمداراة والنّصف ايضاً [اَمِ اللّٰهُ] لم يصرّح بربوبيّته لتسليم الخصم اوادّعاء تسليمه وانّه ممّا لاينكر [الْوَاحِدُ] مقابل المتكثّرين [الْقَهَّارُ] مقابل المتفرّقين [مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ اِلَّا اَسْمَاۤءً] قد مضى انّ ما سوى الله من الملئكة باصنافهم و الطّبائع و مواليدها و الاناسىّ وصنائعهم كلّها اسماء لله تعالى و انّ الاسم لاحكم له ولا نظر اليه و انّ النّظر

الى الاسم والحكم عليه لايتصوّرا لا اذا جعل مسمّى مستقلاً وثانياً للمسمّى وانّه شرك بالله ، وانّ النّاقصين لمّا لم يمكن خروجهم من حدّ الاشراك فى الوجود اذن الله لبعض الاسماء ان يجعلوها مسمّين منظوراً اليهم كالانبياء واوصيائهم(ع) وانزل الله لهم سلطاناً على جواز جعلهم مسمّين من دلائل صدق دعويهم ولذا قال : ما تعبدون من دونه الّا اسماء لا مسمّين [سَمَّيْتُمُوهٰا اَنْتُمْ وَاٰبٰاؤُكُمْ] على مقتضى بشريّتكم النّاقصة وقد مضى فى سورة الاعراف فى نظير الآية وفى سورة البقرة فى بيان قوله تعالى وعلّم آدم الاسماء و فى بيان بسم الله الرّحمن الرّحيم من سورة الفاتحة تحقيق تامّ للاسم وكيفيّة اسميّته ومسمّويّته [مٰا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ] لفظة الباء تحتمل السّببيّة والمصاحبة والظّرفيّة ، والمراد بالسّلطان امّا الحجّة من المعجزات الدّالّة على جواز طاعتها وعبادتها اوالسّلطنة والتّصرّف فى الاشياء وكلتاهما كانتا للانبياء واوصيائهم (ع) فانّهم وان كانوا اسماء لكن انزل الله معهم حجّة دالّة على جعلهم مسمّين ومنظوراً اليهم و انزل معهم سلطنة وتصرّفاً مصحّحة لطاعتهم وربوبيّتهم كما لا يخفى [اِنِ الْحُكْمُ] فى العالم او فى حقّ العباد [اِلّٰا لِلّٰهِ] فلا حكم ولا سلطنة فى شيء لاربابكم [اَمَرَ اَلّٰا تَعْبُدُوا] ان مصدريّة اوتفسيريّة والفعل نهى او نفى [اِلّٰا اِيّٰاهُ ذٰلِكَ] التّوحيد من توحيد الله فى الوجود المستفاد من حصر المعبودات من دونه مع انّها اشرف الموجودات فى نظرهم فى الاسميّة و الاسم لا استقلال له فى الوجود كالمعنى الحرفىّ الغير المستقلّ فى لحاظ الذّهن وتوحيده فى الآلهة والسّلطنة المستفاد من قوله ان الحكم الّا لله وتوحيده فى استحقاق العبادة المستفاد من قوله امر ان لا تعبدوا الّا ايّاه ، وقد ذكر التّوحيدات الثّلاثة مترتّبة بحسب ترتّبها فى نفس الامر فانّ توحيد الوجود يستعقب توحيد الآلهة وهو يستعقب توحيد العبادة [الدِّينُ الْقَيِّمُ] الّذى لاعوج فيه وكلّ ماكان غيره فهو معوجّ لاينبغى ان يتّبع فانّه مفهوم الحصر المستفاد من تعريف المسند [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لٰا يَعْلَمُونَ] استدراك لمايتوهّم من انّه لاوجه للاشراك بعد الوضوح التّوحيد وبطلان الشّرك هذا الوضوح فما بال المشركين يشركون؟! ولعلّه كان لهم دليل وحجّة فاستدرك وقال: لاحجّة لهم ولكنّهم ليس لهم علم وانّهم ساقطون فى دار الجهل كالبهائم الّتى لاتستشعر بالبرهان وان كان اوضح مايكون، والتّقييد بالاكثر لانّ بعضهم يتفطّنون بالحجّة ويتّبعونها ويختارون التّوحيد وبعضهم يتفطّنون بها ويختارون الدّنيا ويعاندون الحقّ عن علم ، ولقد اجاد(ع) فى الدّعوة بالموعظة الحسنة اوّلاً والحكمة اليقينيّة البرهانيّة ثانياً، فانّه لمّا رأى وثوقهما به واقرارهما بحسن سريرته وعلمهما بكونه عالماً بتعبير الرّؤيا ادّعى ذلك العلم اوّلاً بقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الّا نبّأتكما بتأويله و ثانياً بقوله ذلكما ممّا علّمنى ربّى واسند ذلك الى تعليم الله رفعاً لوصم الكهانة والتّعلّم من البشر والجنّة والشّياطين ، ثمّ علّل ذلك العلم الّذى رأى اقرارهما به بترك ملّتهما تنفيراً لهما عنها ثمّ ورّى عنهما بذكر قومٍ منكرٍ موصوفٍ بعدم الايمان بالله تعريضاً بهما ليكون ابعد عن الشّغب واقرب الى القبول وباتّباع ملّة المعروفين بالصّلاح والسّداد مع انتسابه الصّورىّ اليهم وبنفى الاشراك عنهم تعريضاً بها وبتسميته ذلك فضلاً من الله عليه وعلى النّاس ، وصرّح بعدم معرفة النّاس لقدر تلك النّعمة وعدم شكرهم لها تعريضاً بهما، ثمّ لمّا رأى تأثّرهما بوعظه أعرض عن الخطابة وأقبل على الحكمة والبرهان بقوله ءارباب متفرّقون ووصف الارباب بالكثرة والتّفرّق الدّالّ على عدم انقياد بعضهم لبعض الّذى هو سبب النّزاع والفساد الواضح اشارة الى علّة انكار ربوبيّتهم ثمّ وصف الله بالوحدة اشارة الى جواز ربوبيّته ثمّ بالقهر اشارة الى وجوب طاعته فأبطل ربوبيّة الاصنام وأثبت لزوم طاعة الله بالبرهان ثمّ اقبل على تزييف معبوداتهم وعدم استقلالها فى الوجود

فضلاً عن الرّبوبيّة واستحقاق العبادة وعلى التّصريح بتوحيد الله فى الآلهة والسّلطنة وتوحيده فى العبادة بعد التّلويح الى التّوحيد فى الوجود، قيل: آمن بالله تعالى بدعوته المذكورة الصّاحبان السّائلان منه تأويل رؤياهما و جمع آخر من المسجونين و السّجّانين [يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ اَمَّا اَحَدُكُمَا] الّذى يرى أنّه يعصر خمراً [فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا] وهو الّذى كان قبل ادخاله السّجن صاحب شرابه [وَاَمَّا الْاٰخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَاْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ] وهو الّذى كان قبل ادخاله السّجن صاحب غذائه، قيل: انّهما مارأيا شيئاً وامتحناه بذلك، وقيل: انّهما رأيا رؤياهما، وقيل: انّ صاحب الشّراب رأى وكان صادقاً، وصاحب الغذاء مارأى شيئاً وكذب فى رؤياه وقال بعد ذلك: مارأيت شيئاً وانّما اردت امتحانك فقال فى جوابه [قُضِيَ الْاَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ] رأيتما او ما رأيتما [وَقَالَ] يوسف (ع) [لِلَّذِى ظَنَّ اَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ] نقل انّه لمّا قال ذلك نزل جبرئيل (ع) وقال: ربّك يقرئك السّلام ويقول: من حبّبك الى ابيك؟- فقال: ربّى، فقال: من أنجاك من الجبّ؟- قال: ربّى، فقال: من حبّبك الى العزيز حتّى اكرم مثواك؟- قال: ربّى، فقال: من انجاك عن كيد النّساء وعصمك عن الفحشاء؟- قال: ربّى، فقال: ربّك يقول: امااستحييت منّى التجأت الى غيرى؟- وقد كان مابقى من حبسك الّا ثلاثة ايّام وبجرم الالتجاء الى غيرى تمكث فيه سبعة اعوام وقد كان فى السّجن خمسة اعوام قبل ذلك فصار مدّة مكثه فيه اثنى عشر عاماً [فَاَنْسَيهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ] اى انسى الشّيطان صاحب الشّراب ذكر يوسف (ع) عند الملك او انسى الشّيطان يوسف (ع) تذكّر الله [فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ] بعد ماكان قد لبث خمس سنين ونسب الى النّبىّ (ص) انّه قال: رحم الله اخى يوسف (ع) لو لم يقل اذكرنى عند ربّك لمالبث فى السّجن سبعاً بعد الخمس، والبضع ما بين الثّلاثة الى التّسعة وقيل فيه شيء آخر وهو من البضع بمعنى القطع، قيل انّه وقع ليوسف (ع) ثلاث عثرات اوليها الهمّ الّذى وقع منه بالنّسبة الى زليخا فحبس بسببه فى السّجن وثانيتها الالتجاء الى غيره فلبث بسببه فى السّجن بضع سنين وثالثها ماقال لاخوته انكم لسارقون فأجابوه بكذب مثله، فقالوا: ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ولمّا انقضى مدّة رياضته (ع) وحبسه وحان اوان سلطنته ووسعته، رأى الملك انّه على سريره فخرج من النّيل سبع بقرات سمان احسن مايكون وجاءت الى جنب سريره ووقفت ثمّ خرج منه سبع بقرات اُخر عجاف فجاءت الى البقرات السّمان فأكلتها، ورأى انّه نبت فى جنب سريره سبع سنبلات خضر ثمّ سبع سنبلات يا بسات فالتفّت بالسّنبلات الخضر فاصفرّت ويبست، فتنبّه الملك وأحضر الكهنة والمفسّرين والمنجّمين وقصّ الرّؤيا عليهم كماحكى الله [وَقَالَ الْمَلِكُ اِنِّى اَرَى] التّعبير بالمضارع لاحضار صورة الرّؤيا او لانّه كان يرى هذه الرّؤيا مكرّرة او لانّه رأى اجزاء الرّؤيا متدرّجة فادّاه بالمضارع تصويراً للحال الماضية حاضرة مشعراً بتكرّرها اوتدرّج رؤيتها [سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَاُخَرَ يَابِسَاتٍ] اكتفى بذكر اكل العجاف عن ذكر التواء اليابسات [يَا اَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَايَ اِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ] وكأنّه كان فى رؤياه اشياء اخر دقائق لايمكن للمعبّر استنباط تعبيرها والّا فتعبير تلك غير خافٍ على المعبّر ولخفاء دقائقها [قَالُوا اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ] اى تلك الرّؤيا اضغاث احلام جمع الضّغث وهو الحزم من النّباتات المختلفة استعير للصّور المختلفة المختلطة من تخيّلات المتخيّلة، فانّ

من الرّؤيا مايشاهده النّفس فى عالمى المثال من صور الطّبيعيّات الموجودة اوالآتية اوالماضية لكن قلّما يتّفق ان تشاهد الماضية لتوجّه النّفس الى الحال والاتى وادبارها عن الماضى ، فما تشاهد فى المثال العلوىّ فهو امّا بشارة من الله اوتحذير وانذار اوتنبيه واخبار، وما تشاهد فى المثال السّفلىّ فهو امّا غرور من الشّيطان على المعاصى او تحذير منه عن الطّاعات او اخبار بالاتيات غروراً منه او استدراجاً من الله و منها ما تشاهده باراءة المتخيّلة وتصويرها ممّا لم يكن واقعاً وهو اضغاث الاحلام، والاحلام جمع الحلم وهو مايراه النّائم فى المنام مطلقاً اومايراه فى المنام من غير حقيقة له [وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ] كأنّهم اعتذروا عن عدم علمهم بكون الرّؤيا من اضغاث الاحلام الّتى لاتعبير لها وبينما ذاك السّؤال تذكّر السّاقى يوسف (ع) ومهارته فى تعبير الرّؤيا فذكر انّى اعلم عالماً بتعبير الرّؤيا كما قال تعالى [وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ] من الزّمان سبع سنين [أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ] الى من اريد فاذنوا له فجاء الى يوسف (ع) وقال [يُوسُفُ] يا يوسف [أَيُّهَا الصِّدِّيقُ] منصوب على الاختصاص او منادى ثان و المقصود ذكره بوصف مدحٍ ترغيباً فى الاهتمام بالتّعبير [أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ] يعنى بعلم تأويل ذلك لاستبعاد ترجّى الرّجوع المطلق [لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ] تأويله او يعلمون قدرك ومنزلتك فيخرجونك من السّجن قيل: انّه نسب الرّؤيا الى نفسه فقال يوسف (ع) :ماانت رأيت ذلك ولكنّ الملك رأى وعبّر الرّؤيا ثمّ بيّن لهم تدبير ذلك كما حكى الله بقوله [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا] قرئ بسكون الهمزة وفتحها وهما مصدرا دَأَبَ فى الأمر استمرّ على عادته فيه وهو جواب السّؤال كان مذكوراً لم يحك اولسؤال مقدّر كأنّه قال: ماندبّر لذلك؟- قال: تزرعون، ويجوز ان يكون تعبيراً للرّؤيا مع شيءٍ زائد فانّه افاد القحط والتّدبير والخصب قبل القحط [فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ] لئلّا يفسد ويتدوّد [إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ] فى تلك السّنين تخرجونه من سنبله [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ] نسبة الاكل الى السّنين مجاز عقلىّ ومراعاة للتّطبيق بين الرّؤيا وتعبيرها [مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ] لبذور الزّراعات واحتياط المجاعة قبل وصول الزّراعة [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ] من الغيث او من الغوث [وَفِيهِ يَعْصِرُونَ] قرئ بالبناء للفاعل اى يعصرون العنب والزّيتون وكلّما يعصر لكثرتها، وقيل: يعصرون الضّروع بمعنى يحلبون، وقرئ تعصرون بالخطاب تغليباً للخاطب على الغيّاب، وقرئ بالبناء للمفعول من عصره اذا انجاه اى ينجون من القحط ، اومن اعصرت السّحابة عليهم اذا امطرهم، وقرائة اهل البيت (ع) على ما وصل الينا كانت هكذا بمعنى يمطرون ، فخرج الرّسول من عنده و جاء الملك بالتّعبير والتّدبير فلمّا سمع الملك ذلك ارتضاه وطلب ملاقاة يوسف (ع) [وَقَالَ الْمَلِكُ] لخواصّه [ائْتُونِي بِهِ] فأرسلوا اليه لاحضاره [فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ] وقال انّ الملك يطلبك ويستحضرك [قَالَ] انّى اتّهمت عند الملك بالخيانة ومراودة النّساء و ما لم اخرج من الاتّهام لم آت الملك لعدم منزلة و عرض لى عنده [ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ] اى العزيز اوالرّيان [فَاسْأَلْهُ] ان يتجسّس ويطلب [مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] فانّى اتّهمت بهنّ حتّى يعلم انّى لم اكن خائناً وسجنت ظلماً ولم يذكر امرأة العزيز مع انّ الاتّهام و السّجن كانا منها تكرّماً وصوناً

لعرضها بخصوصه عن التّفضيح [إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ] تعليل لطلبه سؤال الملك عن النّسوة يعنى انّهنّ كدننى وانّى بريئٌ واكّد هذا المعنى بالاستشهاد بعلم الله فرجع الرّسول وحكى ما قاله يوسف للملك فأحضر الملك اى العزيز اوالرّيان النّسوة [قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ] ءانتن راودتنّ يوسف ام يوسف (ع) راودكنّ ؟ ام كانت المراودة من الطّرفين؟ـ [إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ] نسب المراودة اليهنّ مع انّ سؤاله يقتضى الجهل اوالتّجاهل اشارة الى انّ سؤاله كان لمحض احتمال ان يكون يوسف شريكاً لهنّ فى المراودة لانّ مراودتهنّ كانت مشهورة بحيث لم يكن لاحدٍ شكّ فيها [قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ] قد مضى بيان تلك الكلمة [مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ] بعد اعتراف سائر النّساء ببراءته وخروجها عن شدّة حيائها [الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ] ظهر غاية الظّهور [أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ] فى البراءة من الخيانة [ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ] ربّك امّا مرتبط بسابقه وقوله قال ما خطبكنّ الى الآخر معترض بينهما فى الحكاية ، اوقال ذلك يوسف (ع) بعد مارجع الرّسول اليه وسأل عنه لم تثبّتّ فى الخروج وطلبت مسئلة الملك عن حال النّساء؟ـ فاجاب وقال ذلك التّثبّت ليعلم العزيز وهو دليل على انّ المراد بالرّبّ هو العزيز لا الملك [أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ] متلبّساً بالغيب او واقعاً فى الغيب منّى ، حال من الفاعل اوالمفعول [وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ] يعنى ليعلم انّ امرأته كادتنى وانّ كيدها ما نفذ وما اثّر فىّ وهو مبالغة فى اظهار طهارته و لمّا بالغ فى اظهار طهارته اراد ان يدفع وصمة الاعجاب والتّزكية عن نفسه وينسب ذلك الى الله فقال :

[الجزء الثّالث عشر]

[وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي] فانّ شأنها التّلوّث بالواث الذّنوب لاالتّنزّه منها [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي] الّا وقت رحمة ربّى او الّا الّتى رحمها ربّى يعنى انّ التّنزّه من محض الرّحمة لا من فعل النّفس و قيل قوله تعالى ذلك ليعلم (الى آخرها) من تتمّة كلام زليخا اى ذلك الاعتراف بخيانتى وطهارته ليعلم يوسف (ع) انّى لم اخنه بالغيب بنسبة الكذب اليه و انّ الله لا يهدى كيد الخائنين بابقائه مستوراً من غير ان يظهره وماابرّء نفسى عن نسبة الخيانة والكذب اليه حيث ختنه بنسبتهما اليه انّ النّفس لامّارة بالسّوء فبأمرها اسأت الّا مارحم ربّى [إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ] لامر النّفس بالسّوء [رَحِيمٌ] بعصمتى عن اتّباعها و لمّا ظهر لهم طهارته و عفّته كمال الظّهور اشتدّ طلبهم له [وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي] بجعله من خواصّى من غير حكومة لغيرى عليه فذهب الرّسول واحضره [فَلَمَّا كَلَّمَهُ] ووجده صاحب رشدٍ و كمال وكلام وقد علم عفّته وامانته سابقاً [قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ] ذومكانة ومنزلة لرشدك وعقلك [أَمِينٌ] لظهور عفّتك وامانتك [قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ] اى خزائن النّقد والجنس فى ارض مصر [إِنِّي حَفِيظٌ] لما تحت يدى عن الخيانة لا اخون بنفسى ولايمكن الخيانة لغيرى لامانتى وحسن تدبيرى فى الحفظ [عَلِيمٌ]

بكيفيّة التّصرّف والحفظ عن الفساد والتّلف. نقل عن النّبىّ (ص): رحم الله اخى يوسف (ع) لو لم يقل: اجعلنى على خزائن الارض لولّاه من ساعته ولكنّه اخّر ذلك سنة، وعن الصّادق (ع) انّه قال يجوز ان يزكّى الرّجل نفسه اذا اضطرّ اليه اما سمعت قول يوسف (ع): اجعلنى على خزائن الارض انّى حفيظ عليم، **اقول**: كأنّ غرضه من ذلك تسلّطه على ما يحتاج النّاس اليه ليتوجّهوا اليه فيسمعوا بذلك كلامه ويبلّغ رسالته وآمن بعد ذلك الملك على يده ووكل الامر اليه ودبّر فى السّبع السّنين المخصبة فى تحصيل الحبوب و حفظها وشرع فى السّنين المجدبة ببيعها حتّى حصّل جميع اموال مصر ومواشيها وضياعها وعبيدها و امائها و رقاب اهلها له وصار مالكاً للكلّ، وفى بعض الاخبار انّه بعد الخصب قال للملك: ايّها الملك ماترى فيما خوّلنى ربّى من ملك مصر و اهلها اشر علينا برأيك فانّى لم اصلحهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم و لكنّ الله نجّاهم على يدى قال له الملك: الرّأى رأيك قال يوسف (ع) انّى اشهد الله واشهدك انّى قد اعتقت اهل مصر كلّهم، ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم، ورددت عليك ايّها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لاتسير الّا بسيرتى ولا تحكم الّا بحكمى، قال له الملك: انّ ذلك لشرفى وفخرى ان لا اسير الّا بسيرتك ولا احكم الّا بحكمك، ولولاك ماقويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطانى عزيزاً ما يرام وانا اشهد ان لااله الّاالله وحده لاشريك له وانّك رسوله فأقم على ماولّيتك فانّك لدنيا مكين امين [وَكَذٰلِكَ] عطف على محذوف اى فأنجينا يوسف (ع) من السّجن ومثل ذلك الأنجاء [مَكَّنّٰا لِيُوسُفَ] اومثل ذلك التّمكين المتعقّب للبلايا العديدة والمتاعب الكثيرة مكنّا ليوسف (ع) الّذى كان من ابناء انبيائنا (ع) وجعلناه نبيّاً فمن اراد التّمكين فى ارض العالم الكبير او ارض العالم الصّغير فليصبر على الرّياضات و البلايا وليتسلّ عن الجزع فى المتاعب [فِى الْأَرْضِ] ارض مصر ماجاوزها كما فى الخبر [يَتَبَوَّءُ مِنْهٰا حَيْثُ يَشٰاءُ] لتسلّطه على جميعها بل كون الجميع ملكها حقيقة و ان كان اودعها ملّاكها السّابقة كما سبق [نُصِيبُ بِرَحْمَتِنٰا مَنْ نَشٰاءُ وَلاٰ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] جواب سؤال كأنّه قيل: لم كان ذلك التّمكين؟- فأجاب بأنّ فعلنا لايسأل عنه ولأنّه كان محسناً [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] من تمكين يوسف (ع) فى الارض [لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكٰانُوا يَتَّقُونَ وَجٰاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ] بعد ماوقع القحط وأصاب كنعان ايضاً القحط ليمتاروا لأهلهم وذلك انّ يعقوب (ع) ارسل بنيه سوى بنيامين مع بضاعة قليلة وكانت مقلاً كما قيل [فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ] لعدم تغيّر حالهم وتفرّس يوسف (ع) [وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ] غير عارفين له لتغيّر حاله عمّا عاهدوه عليه سنّاً وصورةً ومرتبةً وهيبةً، **نقل** انّه كان بينه وبين ابيه ثمانية عشر يوماً وكان ابوه فى بادية وكان النّاس من الآفاق يخرجون الى مصر ليمتاروا به طعاماً وكان يعقوب (ع) وولده نزولاً فى بادية فيها مقل فاخذ اخوة يوسف (ع) من ذلك المقل و حملوه الى مصر ليمتاروا به، وكان يوسف (ع) يتولّى البيع بنفسه فلمّا دخل اخوته عليه عرفهم ولم يعرفوه كما حكى الله عزّ وجلّ [وَلَمّٰا جَهَّزَهُمْ بِجَهٰازِهِمْ] لمّا اعدّ لهم ماجاؤا لاجله وما يحتاجون اليه فى سفرهم، والجهاز مايعدّ للسّفر ممّا يحتاج اليه [قٰالَ ائْتُونِى بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ] وذلك انّه لمّا عرفهم جعل لهم مضيفاً مخصوصاً واحسن ضيافتهم وتلطّف بهم وسائلهم عن محلّهم ونسبهم وسأل عن حال ابيهم واولاده فأجابوه بالتّفصيل وقالوا: انّ لنا اخاً من ابينا

لا من امنّا فأحسن اليهم ووقّر ركائبهم من غير ان ينظر الى انّ بضاعتهم لاتفى بثمنها وجعل بضاعتهم اى ثمن المقل الّذى جاؤا به بضاعة فى رحالهم، وقيل: كانت بضاعتهم نعالاً وادماً، وقال [أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ] اؤدّيه من غير بخس [وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ] لما رأيتم من حسن ضيافتى لكم [فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ] بدخول بلادى بالغ فى اياس اخوته تأكيداً لهم على الاتيان به [قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ] ذلك الاجتهاد فى أخذه من ابيه اولفاعلون الاتيان به، قيل: لمّا دخلوا عليه وعرفهم قال: من انتم لعلّكم عيون؟- وكان مقصوده الحيلة فى ان يكون احدهم عنده من غير معرفة بحاله قالوا: لسنا عيوناً انّما نحن بنو اب واحد وهو يعقوب النّبىّ (ع) قال: كم كنتم؟- قالوا: اثنى عشر، ذهب واحد منّا الى البرارى فهلك وبقينا احد عشر، قال: كم انتم فى بلدنا؟- قالوا: عشرة، قال: فاين الآخر؟- قالوا: خلّفناه عند ابينا قال: فمن يشهد لكم؟- قالوا: لايعرفنا ههنا من يشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندى رهينة واتونى بأخيكم حتّى اصدّقكم فاقترعوا فأصاب شمعون [وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا] يعرفون حقّ ردّها اويعرفون اعيانها، فرغبوا فى الرّجوع [إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ] حكم بمنعه ان لم نذهب بأخينا [فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ] برفع المانع فانّ سبب المنع عدم ذهابنا بأخينا بنيامين، وقرئ يكتل اى بنيامين لنفسه اولنا ايضاً اى يصير سبباً للاكتيال او يكتل الكيّال لنا برفع المانع ولمّا كانوا مسبوقين بما فعلوا بيوسف (ع) وخدعوا اباهم فيه تبادروا الى قولهم [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ] تعييراً لهم على قولهم بما قالوا فى حقّ يوسف (ع) ولم يفوا به [إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ] يوسف (ع) [مِنْ قَبْلُ] ثمّ انصرف عنهم من الاعتماد على قولهم والتجأ الى الحافظ الحقيقىّ فقال: [فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] فعلى حفظه ورحمته أعتمد لاعلى قولكم فى حقّ يوسف (ع) واخيه، نسب الى الخبر انّه تعالى قال: فبعزّتى لاردّنهما اليك بعد ما توكّلت علىّ [وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ] اوعية متاعهم [وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ] ثمن مقلهم اونعالهم واديمهم [رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا] استبشاراً [يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي] يعنى لامزيد على ذلك الاحسان حيث احسن ضيافتنا ومثوانا وجعل بضاعتنا فى رحالنا [هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا] اى نذهب بأخينا و نمير أهلنا [وَنَحْفَظُ أَخَانَا] او نبغى من البغى اى لانبغى ونمير اهلنا [وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ] بمصاحبة اخينا [ذَلِكَ] الكيل الّذى كيل لنا [كَيْلٌ يَسِيرٌ] اوذلك الكيل المزيد على اكيالنا كيل يسير لايضايقنا الملك فيه اوهو من كلام يعقوب (ع) جواباً لبنيه ورداً عليهم يعنى ذلك الكيل المزيد كيل يسير لاينبغى للعاقل ان يجعل ابنه فى معرض المخاوف لمثل ذلك [قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ] بلاوثيقة كما أرسلت يوسف (ع) [حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ] عهداً وثيقاً من الله أثق به عليكم فى حفظه [لَتَأْتُنَّنِي بِهِ] جواب قسم محذوف اى احلفوا، اوجواب حتّى تؤتون موثقاً من الله فانّه فى معنى القسم [إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ] اى الّا ان تمنعوا و تغلبوا بحيث لا تقدرون او تهلكوا جميعاً فلا يبقى منكم احدٌ [فَلَمَّا آتَوْهُ

مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّٰهُ عَلٰى مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ] استشهد بوكالة الله تأكيداً للوثيقة او توكّلاً عليه لاعلى الوثيقة يعنى انّى توكّلت عليه و فعلت ما كان علىّ من التّوسّل بالاسباب او تيمّناً بذكره لامضاء الوثيقة [وَ قٰالَ يٰا بَنِيَّ لاٰتَدْخُلُوامِنْ بٰابٍ وٰاحِدٍ] لمّا علم انّ الملك واعوانه عرفوهم وعلموا انّهم بنواب واحد خاف عليهم العين فوصّيهم بحسب البشريّة بالتّدبير له فى العين [وَادْخُلُوامِنْ اَبْوٰابٍ مُتَفَرِّقَةٍ] ولمّا لم يعتمد على تدبيره قال [وَمٰا اُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ اِنِ الْحُكْمُ اِلاّٰ لِلّٰهِ] و امرى بهذا التّدبير كان لمحض التّوسّل بالاسباب الّذى امرالله عباده به فى التّوكّل [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمّٰا دَخَلُوامِنْ حَيْثُ اَمَرَهُمْ اَبُوهُمْ] من الابواب المتفرّقة [مٰا كٰانَ] ابوهم او تدبيره او دخولهم بحسب تدبيره [يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّٰهِ] من تقدير الله [مِنْ شَيْءٍ] شيئاً من الاغناء اوشيئاً من التّقدير فنسبوا الى السّرقة واخذ بنيامين [اِلاّٰحٰاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ] وهى التّوسّل بالتّدبير مع التّوكّل على الله مع العلم بعدم اغناء التّدبير عن التّقدير [قَضٰيهٰا] امضيها والاستثناء منقطع [وَاِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ] بانّ التّدبير لايغنى من التّقدير [لِمٰا عَلَّمْنٰاهُ] لاجل تعليمنا ايّاه اوبالّذى علّمناه لابكلّ الاشياء والآية اشارة الى سعته و كماله (ع) فى مرتبة البشريّة والعمل بمقتضاها من حيث انّها تقتضى التّوسّل بالاسباب و المرتبة العقليّة من حيث انّها تقتضى الانقطاع عن الاسباب و العلم باستقلال المسبّب فى كلّ ذى سبب و انّ الاسباب حُجُبٌ لظهور اثر المسبّب [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰيَعْلَمُونَ] انّ الحذر لا يغنى من القدر او لايتّصفون بمرتبة العلم استدراك لما يتوهّم من انّه ان كان ذوعلم ينبغى ان لا يظهر مقتضى البشريّة الّذى يوهم الجهل يعنى انّه ، وان كان ذوعلم ولكنّ اكثر النّاس ليس لهم علم فابرز مقتضى البشريّة لموافقتهم ومنهم أبناؤه المخاطبون له، اوالمعنى أنّه لذوعلم ومقتضى علمه التّوسّل بالاسباب فى التّوكّل ولكنّ اكثر النّاس لايعلمون انّ مقتضى العلم التّوسّل بالاسباب ما لم يخرجوا من عالم الاسباب [وَلَمّٰا دَخَلُوا عَلٰى يُوسُفَ اٰوٰى اِلَيْهِ اَخٰاهُ] وكيفيّة دخولهم عليه وايوائه ايّاه مذكورة بتفصيلها فى المفصّلات [قٰالَ اِنِّي اَنَا اَخُوكَ فَلاٰتَبْتَئِسْ] لاتحزن [بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] من الاساءة الىّ واليكم فانّها صارت سبباً لرفعتنا وموجباً لسلطنتنا ويجمع الله بيننا وبين ابينا واخوتنا فى احسن حال [فَلَمّٰا جَهَّزَهُمْ بِجَهٰازِهِمْ جَعَلَ السِّقٰايَةَ] المشربة الّتى بها تكال الاطعمة [فِي رَحْلِ اَخِيهِ] بنيامين [ثُمَّ اَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] من قبل السّلطان [اَيَّتُهَا الْعِيرُ] اسم للابل الّتى تنقل السّيّارة متاعهم عليها الى مقاصدهم ثمّ غلب على السّيّارة الّتى فيها تلك العير [اِنَّكُمْ لَسٰارِقُونَ] تورية عن سرقتهم يوسف (ع) وبيعه بعنوان الرّقّيّة اوعن سرقتهم ذرّيّة عقولهم واستخدامها بل استرقاقها لنفوسهم حتّى لايكون كذباً، وقيل بعد مافقد الصّواع نسب السّرقة اليهم من دون اذن يوسف (ع)، وفى الاخبار انّه كذب فى مقام الاصلاح وما سرقوا وما كذب لانّ الكذب فى مقام الاصلاح ليس بكذب وذلك لانّ يوسف (ع) اراد اصلاحهم باخذ اخيه وخلاصهم من نفوسهم الامّارة بتضرّعهم الى الله والتجائهم الى يوسف (ع) وتذلّلهم عند ابيهم [قٰالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ] حال بتقدير قد ، اوعطف قبل تمام المعطوف عليه، اواعتراض ووجهه التّنبيه على كمال اطمينانهم وتجرّيهم على المجادلة لقطعهم بأنّهم غير فاعلين [مٰاذٰا تَفْقِدُونَ قٰالُوا نَفْقِدُ صُوٰاعَ الْمَلِكِ

وَلِمَنْ جٰاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ] قيل: كان ذهباً اوفضّة مكلّلاً بالجواهر الثّمينة ولذلك وعدوا من جاء به حمل بعير من الغلّة مع انّها كانت غالية ولغلائها جعلوا مكيالها غالياً [وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قٰالُوا تَاللّٰهِ] قسم لتأكيد الدّعوى [لَقَدْ عَلِمْتُمْ] تأكيد آخر استشهدوا بعلمهم على صدق الدّعوى لانّهم كانوا اذا دخلوا بلاد مصر جعلوا على افواه رواحلهم اوكية لئلّا تدخل زراعاتهم كما قيل، و قيل: ردّوا البضاعة المردودة اليهم الى الملك ظنّاً منهم انّهم جعلوها فيها سهواً واشتهر بذلك امانتهم وصلاحهم [مٰا جِئْنٰا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمٰا كُنّٰا سٰارِقِينَ قٰالُوا فَمٰا جَزٰاؤُهُ] اى السّارق اوالسّرق [إِنْ كُنْتُمْ كٰاذِبِينَ قٰالُوا جَزٰاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزٰاؤُهُ] هوجزاؤه تأكيد للقضيّة الاولى ولذا أتى بالفاء اشارة الى ابلغيّته فى التّقرير، او من موصولة مبتدء اوشرطيّة وقوله فهو جزاءه خبره اوجزاء الشّرط ودخول الفاء على الاوّل لتضمّن المبتدء معنى الشّرط و الجملة خبر جزاؤه [كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰالِمِينَ] يدلّ هذا القول على انّ هذا كان من شريعة يعقوب (ع) لانّهم قالوه اطميناناً وتجريّاً ولا انّه كان دين الملك كما قيل [فَبَدَأَ] المؤذّن اويوسف (ع) لانّهم رجعوا اوردّوا الى العزيز بعد نسبة السّرقة اليهم [بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعٰاءِ أَخِيهِ] لئلّا يرتابوا انّه كان من فعلهم [ثُمَّ اسْتَخْرَجَهٰا مِنْ وِعٰاءِ أَخِيهِ كَذٰلِكَ] الكيد الّذى هو اخفاء الصّواع و تفويض الحكم الى اخوته حتّى بحكموا باسترقاق السّارق موافقاً لشريعة ابيهم [كِدْنٰا لِيُوسُفَ] وما يترائى من تخلّل اداة التّشبيه بين الشّيء ونفسه مدفوع بانّ ذلك مثل ان يقال : الانسان كزيد بتخلّل الكاف بين الكلّىّ والجزئىّ [مٰا كٰانَ لِيَأْخُذَ أَخٰاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ] فى طريقته وآداب سياسته [إِلّٰا أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ] وقوله كذلك كدنا ليوسف رفع لتوهّم الخديعة من يوسف (ع) وانّه ينافى مقام النّبوّة [نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ] الى عليم لاعليم فوقه، قيل: اخذ عمّال يوسف (ع) بيد بنيامين واسترقّوه فرجع اخوته ضرورة اليه ، وقيل: رجعوا اوّل المشاجرة اليه [قٰالُوا] لشدّة حزنهم وغيظهم [إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ] اشارة الى منطقة اسحاق (ع) الّتى ورثتها عمّته فربطتها فى حقوه لتأخذه حبّاً له، وقيل انّ: ليان ابارا حيل امّ يوسف (ع) كان يعبد الاوثان و كان له صنم من الذّهب فأخذه يوسف (ع) خفية واعطاه امّه ترحّماً على جدّه فى استخلاصه من عبادة الصّنم ، وعلى امّه فى استخلاصها من الفقر، وقيل: انّه كان يأخذ الطّعام من خوان ابيه ويعطيه الفقراء خفية، وقيل: انّه اخذ شاة من اغنام ابيه واعطاها فقيراً خفية، والاوّل هو المروىّ عن ائمّتنا (ع) والمشهور عند اهل مذهبنا [فَأَسَرَّهٰا يُوسُفُ] اى كلمة قد سرق اخ له من قبل ليعيّرهم بها ، اواسرّ هذه الكلمة من حيث كذبها ، اواسرّ كلمة انتم شرّ مكاناً فيكون من قبيل العود على ما تأخّر ويكون قوله قال انتم شرّ مكاناً بدلا منه ويكون المعنى اسرّ مقالة انتم شرّ مكاناً [فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهٰا لَهُمْ] يعنى [قٰالَ] فى نفسه [أَنْتُمْ شَرٌّ مَكٰاناً] مرتبة ومنزلة اى حالاً اونسب الشّرّ الى المكان والمحلّ مجازاً للمبالغة فى وصفهم بذلك يعنى ان كان نسبة السّرقة الى اخيه صحيحة فانتم شرّ منه حيث دخلتم فى امر فيه اذى ابيكم النّبىّ (ع) من الله وان لم يكن فى الشّرّ معنى التّفضيل فالمعنى واضح [وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا تَصِفُونَ] من نسبة السّرقة الى يوسف (ع)، ولمّا تذكّروا حال ابيهم وحزنه وعهدهم المؤكّد باليمين فى ردّ بنيامين انقبضوا

والتجأوا الى يوسف(ع) وعلى سبيل التّضرّع والاستكانة [قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا] ذكروا في مقام استرحامه اوصافاً ثلاثةً: ابوّته له الموجبة لحزنه بفراقه، وشيخوخته المستلزمة للترحّم، وغاية كبره في السّنّ مبالغة في الشّيخوخة او في المنزلة المستلزمة لمراعاته [فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] في أخذ أحدنا عوضه اومطلقاً اوالينا سابقاً [قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ] استثناء مفرّغ من الموجب لكون المستثنى منه محدوداً اى ان نأخذ احداً منكم الّا من وجدنا منكم متاعنا عنده، اومن المنفيّ باعتبار المعنى لانّ المعنى ما نأخذ الّا من وجدنا متاعنا عنده، اولفظة الّا بمعنى الغير وكان الاصل نأخذ واحداً الّا من وجدنا متاعنا عنده ثمّ حذف الموصوف و اقيم الصّفة مقامه [إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ] في استرقاق من لا يستحقّ الاسترقاق؛ هذا بحسب الظاهر وامّا بحسب الواقع فالمعنى انّا لظالمون في اخذ من لم يأذن الله لي اوفي اخذ من لم نجد متاعنا اى السّنخيـّة منّا عنده [فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ] بعد الالتجاء والمسئلة وعدم الاجابة [خَلَصُوا] من اصحاب العزيز وانفردوا عنهم [نَجِيًّا] للنّجوى اومتناجين والافراد لكونه مصدراً اووصفاً شبيهاً بالمصدر [قَالَ كَبِيرُهُمْ] في السّنّ وهوروبيل، اوكبيرهم في الامر والحكم وهوشمعون، اوكبيرهم في العقل وهويهودا كذا قيل [أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ] نسب الوثيقة الى الله لانّه(ع) استشهد به وقت العهد [وَمِنْ قَبْلُ] عطف على محذوف اى اخذ موثقاً حين المسافرة الى مصر ومن قبل، وعلى هذا فلفظة ما في قوله [مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ] نافية والجملة مستأنفة اوحاليـّة والمعنى ما فرّطتم في حقّ يوسف (ع) على سبيل التّهكّم اوما فرّطتم في التّعدّى على يوسف(ع) اوما استفهاميـّة تعجّبيـّة اوما زائدة وحينئذٍ فقوله من قبل مثل سابقه وفرّطتم جملة مستأنفة، اوحاليـّة اومن قبل متعلّق بفرّطتم والجملة حاليـّة، اومعطوفة على جملة الم تعلموا اوما مصدريـّة وما فرّطتم وفي يوسف معطوفان على اسم انّ وخبرها ومن قبل حال اوما فرّطتم عطف على انّ واسمها وخبرها ومن قبل حال، وفي يوسف متعلّق بفرّطتم، اومن قبل خبر ما فرّطتم والجملة عطف على اسم انّ وخبرها، اوعلى انّ وما بعدها اوما موصولة واعرابها كاعراب المصدريـّة [فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ] ارض مصر [حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي] باستخلاص اخي اوبالفرج لي باىّ نحو شاء [وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] حكاية مجادلة اخوة يوسف(ع) معه مذكورة في المفصّلات [ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ] على ما شاهدنا [وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا] حيث رأينا استخراج الصّواع من رحله [وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ] حتّى نعلم باطن امره و انّه سرق او نسب الى السّرقة من غيرجرم، وقيل: المعنى كنّا نحفظه حين حضوره عندنا عن امثال ما نسب اليه من السّرقة وما كنّا في غيبه حافظين له لعدم امكان الحفظ حينئذٍ، وقيل: الغيب بمعنى اللّيل في لغة حمير والمعنى وما كنّا في اللّيل حافظين له عن مثل السّرقة، وقيل: انّه جواب لسؤال يعقوب (ع) حين قال: من قال للملك جزاء السّرقة الاسترقاق؟ قالوا: نحن قلناه، قال: فلم قلتم ذلك؟- قالوا ما شهدنا الّا بما علمنا من شريعة الانبياء (ع) وما كنّا للغيب حافظين حتّى نعلم انّ الصّواع في رحله [وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ] بارسال من يسئل أهلها عن تلك القضيـّة اوبالمسئلة ممّن كان في العير من اهل مصر [الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] تصريح

بصدقهم اللّازم من اخبارهم تأكيداً ولذلك اكّدوه بانّ واللّام واسميّة الجملة وهوعطف على انّ ابنك سرق وتوسيط قوله واسئل القرية الى الآخر لاشعاربعلّة صدق ادّعاء الصّدق ، ويحتمل ان يكون وصيّة كبيرهم الى قوله واسئل القرية ويكون واسئل القرية من كلام الرّاجعين الى يعقوب(ع) حين المخاطبة معهم ويكون المعنى فرجعوا وقالوا لابيهم انّ ابنك سرق فكذّبهم يعقوب(ع) فقالوا واسئل القرية [قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ اَنْفُسُكُمْ اَمْرًا] معنى ظاهره انّ ابنى ما سرق وانّكم تكذبون وخدعتمونى فى اذها به،كما انّ معنى هذه الكلمة كان فى قصّة يوسف(ع) هكذا والحال انّهم ماخدعوا فى بنيامين وما كذبوا فى اتّهامه بالسّرقة وما سوّلت لهم انفسهم فى حقّه امراً ، ويعقوب(ع) كان نبيّاً ولم يفرّق بين القضيّتين والجواب انّ المعنى بل سوّلت لكم انفسكم فى يقينكم بنسبة السّرقة اليه والحال انّه ما سرق اوسوّلت لكم انفسكم وزيّنت اصراركم على اذهابه بمظنّة تكثير النّفع غافلاً عن تقدير الرّبّ فجعلتمونى مضطرّاً فى الاذن وادخلتموه فى الضّرر [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ اَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ] بثلاثتهم [جَمِيعًا] فانّ الصّبر مفتاح الفرج [اِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ] بعواقب الامور ولعلّ الابتلاء بفراقهم كان خيراً لى ولهم [الْحَكِيمُ] فى فعاله يفعل ما يقتضيه حكمته وهو تسلية لنفسه و تسهيل للصّبر على البلاء [وَتَوَلّٰى عَنْهُمْ] رغبة فى الخلوة و العزلة لغاية الحزن لمّا رأى انّ اقباله على اولاده و اعتماده عليهم ذهب بثلاثة منهم تنبّه انّ الاعتماد على الغير يوجب التّضرّر وتولّى عنهم و لكن لمّا كان حبّ يوسف(ع) قويّاً فى قلبه لم يقو على التّسلّى عنه [وَقَالَ يَا أَسَفٰى عَلٰى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ] كناية عن العمى، وقيل عن كثرة البكاء لانّ الحدقة اذا اغرورقت فى الدّمع تترائى مبيّضة [فَهُوَ كَظِيمٌ] بمعنى مكظوم اى مملوّ من الغيظ على اولاده اومن الحزن على يوسف(ع) اوبمعنى كاظم مثل الكاظمين الغيظ اى ممسك غيظه اوحزنه غير مظهراً لا الخير، والفاء للسّببيّة المحضة مشعرة بسببيّة مابعدها لما قبلها سببيّة ماقبلها الاعتقاد بمابعدها [قَالُوا] بعد ما رأوا انّه مازال يذكر يوسف (ع) بعد طول المدّة وكثرة البلايا لانّهم كانوا قد غلب عليهم القحط و طال مدّة فراق يوسف(ع) قريباً من ثمانين سنة او سبعين اواربعين او اثنتين و عشرين او ثمانى عشرة [تَاللهِ تَفْتَؤُا] بحذف لا اى لاتفتؤ [تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّٰى تَكُونَ حَرَضًا] مريضاً مشفياً على الهلاك [اَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ اِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي] بلائى من البثّ بمعنى النّشر [وَحُزْنِي] وما اتجرّعه من البلاء [اِلَى اللهِ] لا اليكم فدعونى وشأنى [وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ] من قبل الله بايحائه الىّ حيوة يوسف(ع) ووصاله لى اومن رحمته وانّه لايبتلى الّا ويأتى بعده بالفرج [مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا] تفحّصوا [مِنْ يُوسُفَ وَاَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ] من فرجه [اِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ] فخرجوا الى مصر فى طلب اخوتهم [فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ] على يوسف(ع) [قَالُوا يَا اَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَاَهْلَنَا الضُّرُّ] المجاعة [وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ] رديّة غير عزيزة القيمة و كانت مقلاً اودراهم رديّة لاتنفق فى ثمن الطّعام اوخلق الجوالق والحبل ورثّ المتاع اوالصّوف والسّمن اللّذين هما متاع العرب اوالصّنوبر وحبّة الخضراء او اقطاً اوالنّعال والادم [فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ] كما أوفيت لناسابقاً [وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا] بلاثمن اوبأخينا بنيامين [اِنَّ اللهَ

يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ] و قدكانت الشّدّة بلغت بهم الغاية مع الخجلة عمّا نسب اليهم من السّرقة و لذلك استكانوا غاية المسكنة وعرّفهم يوسف(ع) نفسه ورقّ لهم وفرّج عنهم و [قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ] ولمّا رأى خجلتهم من معرفته و ما صنعوا به اعتذرعنهم فقال [إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ] و لعلّه كان المراد بما فعلوا بأخيه اذلالهم له لأنّه ماكان يقدرعلى التّكلّم معهم الّا بالعجز و الانكسار . روى عن الصّادق(ع) كلّ ذنب عمله العبد وان كان عالماً فهوجاهل حين خاطربنفسه معصية ربّه فقد حكى الله تعالى قول يوسف(ع) لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذانتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم فى معصية الله [قَالُوا ءَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ] استفهام تقريرىّ؟ حيث علموا من مكالمته انّه يوسف (ع) ولذلك أكّدوه بتأكيدات، وقرئ بدون همزة الاستفهام على الاخبار اوعلى حذف اداة الاستفهام،وقرئ آئنّك بالمدّ على تخفيف الهمزة الثّانية [قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا] برفع منزلتنا واعطاء الملك والسّلطنة لنا [إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ] الله فى مخالفة رضاه [وَيَصْبِرْ] على البلاء والطّاعات وعن المعاصى [فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ] اعترفوا بخطائهم فى تدبيرهم فى مقابلة التّقدير اوبخطائهم فى خلاف طاعة الله ورضا ابيهم، ولمّا رأى خوفهم من عتابه ومن عقوبة الله آمنهم من ذلك و [قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ] فلا تخافوا من عتابى [يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ] فلا تخافوا من عقوبته [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] عطف فيه معنى التّعليل اوحال كذلك اوعطف او حال لازدياد رجائهم يعنى يغفر لكم ويتفضّل عليكم فوق المغفرة لانّه ارحم الرّاحمين [اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا] وقد ابتلّ القميص بدموعه اوكان قميص ابراهيم(ع) الّذى اتى به جبرئيل من الجنّة حين القاء نمرود فى النّارفصارت برداً وسلاماً وقد جعله ابراهيم(ع) تعويذاً لاسحاق(ع) وجعله اسحاق(ع) تعويذاً ليعقوب(ع) وجعله يعقوب(ع) تعويذاً ليوسف(ع) على اختلاف الاخبار [فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ] عير اخوة يوسف(ع) الّتى فيها القميص عن مصر [قَالَ أَبُوهُمْ] لمن حضره [إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ] تنسبونى الى الفند والخرافة من الكبر [قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ] يهودا ابنه اوابن الجارية الّذى باعه يعقوب(ع) فى صغره [أَلْقَاهُ] اى القميص [عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا] لانتعاش الشّوق والحرارة الغريزيّة [قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ] استفهام تعجّب والمحكّى محذوف يعنى انّ يوسف حىّ وانّى الاقيه اوالمحكّى قوله [إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] وقد نقل مكاتبات يعقوب(ع) وعزيز مصر بعد المجاعة و ارتهان واحدٍ من ابنائه واسترقاق بنيامين من غيرعلمٍ منه بانّ العزيز هويوسف(ع) وكيفيّة تظلّم يعقوب(ع) الى يوسف(ع) وتأديب الله ايّاه ببثّ شكواه الى غيره تعالى فى المفصّلات [قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا] تضرّعوا اليه وتابوا ممّا فعلوه واعترفوا بسوء فعالهم [إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي] تسويف الاستغفار كما فى الاخبار كان لانتظار وقت السّحر لانّ جنايتهم كانت على غيره

فانتظر اشرف الاوقات رجاء الاجابة، وامّا يوسف(ع) فانّ جنايتهم كانت على نفسه فبادر الى الاستغفار [إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] روى انّ بينهم وبين يوسف (ع) كان مسير ثمانية عشر يوماً واسرع العير الّتى جاءت بالبشارة فى تسعة ايّام وسافر يعقوب (ع) مع اولاده ايضاً فى تسعة ايّام [فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ] يعقوب وامّه راحيل وروى انّ امّه توفّيت فى نفاس بنيامين و تزوّج يعقوب باختها خالة يوسف (ع) واسمها كانت ياميل اوبامين وتسمية الخالة امّاً شائعة وكانت مربّية ليوسف (ع) وتسمية المربّية ايضاً أمّاً شائعة [وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ] الاستثناء للتيمّن و لذلك قدّمه على آمنين حالاً من فاعل ادخلوا و انّما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر لانّه استقبلهم و نزل لهم فى بيتٍ اومضربٍ خارج مصر . عن الصّادق (ع) انّ يوسف (ع) لمّا قدم عليه الشّيخ يعقوب (ع) دخله عزّ الملك فلم ينزل اليه فهبط عليه جبرئيل (ع) فقال : يا يوسف (ع) ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار فى جوّ السّماء فقال يوسف (ع) : يا جبرئيل (ع) : ما هذا النّور الّذى خرج من راحتي؟ـ فقال: نزعت النّبوّة من عقبك عقوبة لما لم تنزل الى الشّيخ يعقوب (ع) فلا يكون فى عقبك نبيّ، وفى خبرٍ آخر: جعلت النّبوّة فى ولد لاوى اخيه الّذى نهى الاخوة عن قتله ، وقال: لن ابرح الارض فشكر الله له ذلك وكان انبياء بنى اسرائيل (ع) من ولده [وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا] وكان سجودهم ذلك عبادةً لله [وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ] لم يذكر ما فعل اخوته به و نجاته منهم لئلّا يكون تثريباً عليهم [وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ] لانّهم كانوا اصحاب البدو والمواشى ينتقلون فى المياه والمراعى [مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ] وسوس وافسد [بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي] نسب فعل الاخوة الى الشّيطان مراعاة لهم [إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ] دقيق علماً وعملاً لما يشاء فيدبّره على ادقّ ما يكون بحيث لايدرك مسالك تدبيره احد [إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ] البالغ فى العلم [الْحَكِيمُ] الكامل فى العمل ، ولمّا تمّ له النّعمة بايتاء الملك والانجاء من المهالك والجمع بينه و بين ارحامه حين كمال العزّة و السّلطنة توجّه الى الله وتذكّر نعمه فقال [رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ] ظاهراً وباطناً [وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ] بعضاً من تأويلها [فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] ثمّ طلب حسن العاقبة كما احسن اليه فى الدّنيا فقال [تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] الكاملين فى الصّلاح، فى الخبر عاش يعقوب بن اسحاق (ع) مائة واربعين سنة ، وعاش يوسف (ع) مائة وعشرين سنة ، وفى الخبر : دخل يوسف (ع) السّجن وهو ابن اثنى عشر ومكث فيها ثمانى عشرة سنةً وبقى بعد خروجه ثمانين سنة ، وعاش يعقوب (ع) بمصر حولين ، وروى غير ذلك الى اربع وعشرين سنةً [ذَٰلِكَ] المذكور من قصّة يوسف (ع) واخوته وحزن يعقوب (ع) وامرئة العزيز ومراودتها وسجن يوسف (ع) وسلطنته واجتماعه مع ابويه واخوته [مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ] من انباء ماغاب عنك وعن غيرك [نُوحِيهِ إِلَيْكَ] يا محمّد (ص) [وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ] لدى اخوة يوسف (ع) [إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ] عزموا على الامر الّذى اتّفقوا عليه [وَهُمْ يَمْكُرُونَ] بالنّسبة الى يعقوب (ع) ويوسف (ع) فليس علم ذلك لك الّا بالوحى [وَمَا أَكْثَرُ

النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ] على ايمانهم [بِمُؤْمِنِينَ] استدراك بمنزلة ولكنّ ما اكثر النّاس مع ظهور امثال تلك الآيات والاخبار المغيّبة من مثلك الامّيّ بمؤمنين بك وبرسالتك ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فيه [وَمٰا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ اوعلى الاخبار بانباء الغيب اوعلى القرآن [مِنْ اَجْرٍ] حتّى يكون ذلك مانعاً من ايمانهم [اِنْ هُوَ] اى التّبليغ اوالاخبار بتلك الانباء اوالقرآن [اِلّاٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ وَ كَاَيِّنْ مِنْ اٰيَةٍ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضِ] فى سماوات العالم الكبير والعالم الصّغير وكذا فى اراضيهما [يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَهُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ] فلا غروفى اعراضهم عمّا ظهر منك من الآيات وهو تسلية له (ص) [وَمٰا يُؤْمِنُ اَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ] اى مايذعن اومايؤمن بالايمان العامّ او بالايمان الخاصّ [اِلّاٰ وَهُمْ مُشْرِكُونَ] فى الوجوب اوفى الآلهة اوفى العبادة او فى الطّاعة او فى الولاية و اقلّه فى الوجود و الشّهود [اَفَاَمِنُوا] اى الّذين انكروا رسالتك او الّذين آمنوا مع الاشراك تهديد لهم حتّى يخلصوا التّوحيد و يستوجبوا المزيد [اَنْ تَأْتِيَهُمْ غٰاشِيَةٌ مِنْ عَذٰابِ اللّٰهِ] عقوبة تغشاهم [اَوْ تَأْتِيَهُمُ السّٰاعَةُ] ساعة القيامة الصّغرى او الكبرى او ظهور القائم عجّل الله فرجه [بَغْتَةً] من غير ظهور علامة [وَهُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ] حتّى يستعدّوا و يتهيّؤا لها [قُلْ هٰذِهِ] الدّعوة الى التّوحيد والخلاص من الشّرك وتأسيس قانون المعاش بحيث يؤدّى الى حسن المعاد [سَبِيلِي اَدْعُوا اِلَى اللّٰهِ] تفسير لهذه سبيلى مع زيادة سواء جعلت بدلاً من هذه سبيلى اومستأنفة جواباً لسؤال مقدّر اوحالاً عن سبيلى بتقدير عائد لها [عَلٰى بَصِيرَةٍ] بصحّة دعوتى لكون دعوتى عن اذنٍ صريح من الله بلاواسطة بخلاف طريقة غيرى من الدّاعين الى الباطل فانّهم لابصيرة لهم بدعوتهم وصحّتها لعدم كونها باذنٍ صريحٍ من الله بلاواسطة اوبواسطة اوعلى بصيرةٍ بالمدعوّ اليه لكونه مشهوداً لى صحّته معايناً حقّيّته بخلاف غيرى من الدّاعين لعدم علمهم بصحّة المدعوّ اليه وحقّيّته فضلاً عن معاينتهم ايّاه اوعلى بصيرة بالدّعوة والمدعوّ اليه كليهما [اَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] من الدّاعين باذنى بلا واسطة او بواسطة فانّهم ايضاً على شهود بصحّة الدّعوة و المدعوّ اليه اوعلى يقين ان لم يكن شهود فمن لم يكن دعوته باذنٍ من الله اوممّن اذن الله له ولم يكن على يقين بالمدعوّ اليه لم يكن من اتباعه ولاعلى سبيله، ولمّا كان قوله هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة اناومن اتّبعنى مشعراً بالاشراك فى الوجود لانّه اثبت انانيّة لنفسه وسبيلاً ودعوة واتّباعاً قال [وَسُبْحٰانَ اللّٰهِ] اى اسبّح الله عن الاشراك فانّ اثبات الكثرة بحسب مراتب الوجود توسعة للوحدة و تأكيد لها لا انّها منافية لها و لذلك قال [وَمٰا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] فى الوجود فيما اثبتّه [وَمٰا اَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ اِلّاٰ رِجٰالاً] ردّ لانكارهم الرّسالة من البشر [نُوحِي اِلَيْهِمْ] ونميّزهم عن غيرهم بمحض الوحى وانت مثل سائر الرّسل (ع) اتى بالمستقبل احضاراً للحال الماضية واشعاراً بتكرر الوحى وتجدّده على الرّسل (ع) [مِنْ اَهْلِ الْقُرٰى] يعنى من الاناسىّ المتوطّنين فى الارض لا من الاملاك المتنزّلة من السّماء المتمثّلة بصور الرّجال اولامن اهل البدو فانّ البدوىّ لايستعدّ للرّسالة وقبول الوحى [اَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْاَرْضِ] ارض العالم الكبير او الصّغير اوارض القرآن اوارض احكام الشّريعة اوارض السّير والاخبار الماضية [فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] من الرّسل و المرسل اليهم المؤمنين و المكذّبين فيعتبروا بحالهم وينصرفوا عن تكذيبك ويقبلوا على تصديقك [وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] من حسن العاقبة فى الدّنيا الّذى عرفتموه من اخبارهم [لِلَّذِينَ اتَّقَوْا] الشرك وتكذيب الرّسل(ع) [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] من حسن العاقبة وسوئها فى الدّنيا حسن العاقبة وسوئها فى الآخرة ؛ وقد قال المولوىّ قدّس سرّه :

سحر رفت و معجزهٔ موسى گذشت هردو را از بام بود افتاد طشت

بانگ طشت سحر جز لعنت نماند بانگ طشت دين بجز رفعت نماند

[حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ] هو غاية لمحذوف مدلول عليه بسابقه و التّقدير فقد سمعتم طول تكذيب الامم الماضية للرّسل(ع) وامهال الله ايّاهم او فقد كذّب الامم الماضية الرّسل(ع) حتّى اذا استيأس الرّسل(ع) عن ايمان الامم وانجاز الله وعده [وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا] قرئ بالتّشديد والبناء للمفعول وبالتّخفيف و البناء للمفعول و الفاعل وعلى كلّ القرائات يحتمل ارجاع فاعل ظنّوا الى الرّسل و المرسل اليهم المؤمنين والمرسل اليهم المكذّبين وارجاع ضمير انّهم الى كلّ وقد ورد فى الخبر فى وجه تخفيف كذبوا والبناء للمفعول وارجاع الضّمائر الى الرّسل انّهم وكلّهم الله الى انفسهم طرفة عين اواقلّ حتّى ظنّوا انّهم قد كذبوا فى وعد النّصر و اتيان العذاب على المكذّبين بتمثّل الشّيطان لهم بصورة الملك الموحى و اخبار النّصر و العذاب [جَاءَهُمْ نَصْرُنَا] وذلك لانّه تعالى لغاية رحمته بعباده يتوانى بهم خصوصاً فى وعد نزول العذاب واهلاكهم [فَنُجِّيَ] قرئ نجّى ماضياً مبنيّاً للمفعول من التّفعيل ومضارعاً متكلّماً مع الغير من الافعال، وماضياً معلوماً من الثّلاثىّ المجرّد [مَنْ نَشَاءُ] من الرّسل(ع) واتباعهم [وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] اتى بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مصرّحاً بوصف المهلكين من الامم الماضية بالمجرمين اشعاراً بانّ ذلك ثابت لمن أجرم من اهل كلّ عصر تعريضاً بامّة محمّد(ص) [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ] قصص اخبار الرّسل(ع) واممهم المؤمنين والمكذّبين ، اوقصص اخبار يوسف(ع) وابيه(ع) واخوته [عِبْرَةٌ] ما يعتبر به ويستبصر [لِأُولِي الْأَلْبَابِ] فانّ غيرهم يمرّون عليها وهم عنها معرضون يستمعونها كالاسمار [مَا كَانَ] هذا القصص اوهذا الكتاب الّذى فيه قصصهم [حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ] كالاسمار المختلقة [وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] ولكن وحياً من الله لانّه تصديق الّذى بين يديه من الكتب السّماويّة السّالفة و الاخبار الحقّة الماضية فى احوال الامم الماضية والشّرائع السّابقة [وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ] من احوال يوسف واخوته وابيه اومن الامور الماضية والآتية والسّنن الحقّة والباطلة [وَهُدًى] يعنى هو حقيقة الهدى من الله تصوّرت بصور الحروف و النّقوش والمعانى الذّهنيّة اوهادياً فانّه هدى باعتبار و هاد باعتبار آخر [وَرَحْمَةً] من الحقّ تعالى متصوّرة كذلك نازلة اليكم او سبب رحمة [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] فانّ غيرهم يضلّهم ذلك القرآن اوالقصص ويصير نقمة عليهم ، نسب الى امير المؤمنين(ع) انّه قال : لاتعلّموا نساءكم سورة يوسف(ع) ولاتقرئوهنّ ايّاها فانّ فيها الفتن ، وعلّموهنّ سورة النّور فانّ فيها المواعظ ؛ والسّرّ فى ذلك انّهنّ لضعف نفوسهنّ سريعة التّأثّر بالمسموع .

سورة الرّعد

مكّيّة كلّها ، وقيل : مكّيّة الّا آية آخر السّورة ، فانّها نزلت فى مثل سلمان وعبدالله بن سلام ، وقيل : انّهامدنيّة الّا آيتين وهماقوله تعالى : ولو انّ قرآناً سيّرت ، ومابعدها.

عدد آيها عند قرّاء كوفة ثلاث واربعون آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الٓمٓر] قد مضى نظائره [تِلْكَ اٰيٰاتُ الْكِتٰابِ وَالَّذِى اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ] فى الآية وجوه من الاعراب نظيرما سلف فى اوّل البقرة ، والمراد بالّذى انزل القرآن اوالاحكام او القصص اوالولاية [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لٰايُؤْمِنُونَ اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ] مبتدء وخبراومبتدء وصفة والخبر يدبّر الامر اويفصّل الآيات مع كون يدبّر الامرحالاً اوصفةً لاجلٍ مسمّىً بتقدير فيه اومستأنفاً جواباً لسؤال مقدّرٍ [بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا] مفهوم القيد يدلّ على انّ هناك عمداً ولكن لاترونها ، كماروى عن الرّضا (ع) ولمّا كان تماميّة العرش بوجه بتماميّة خلقة السّماوات و الارض و الاستواء عليه و الاحاطة به بعد تماميّته اشار اوّلاً الى خلقة السّماوات مرتفعة المستلزمة لخلقة الارض ، فانّ الارتفاع لايتصوّر الّا بتحقّق الارض ثمّ اتى بالاستواء معطوفاً بثمّ للاشعار بذلك فقال [ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى معنى العرش والاستواء عليه فى سورة الاعراف [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِاَجَلٍ مُسَمًّى] فى مدّة معيّنة لانقضاء دورة من الفلك وبانتظام تلك المدّة فى دورانها ينتظم امور العالم كماهومشهود وهو دليل على كمال حكمته وعلمه، اوكلّ يجرى الى غاية معلومة لجريه و هو وقت خراب السّماوات و الارضين [يُدَبِّرُ الْاَمْرَ] المعلوم و هو فعله الّذى هواضافته الاشراقيّة المسمّاة بالمشيّة والولاية المطلقة والحقيقة المحمّديّة (ص)، ومعنى تدبيره انزاله من مقامه العالى وتعليقه بكلّ ما يتعلّق به على وفق التّدبير الكامل والحكمة البالغة فالمعنى ينزّل الامربالتّدبير الى اراضى القوابل ، ولمّا كان الآيات فى مقام الامر بنحو الاجمال والوحدة موجودة بوجود واحد جمعيّ وبعد التّنزيل الى مقام الكثرة تصير موجودة بوجودات منكثّرة مفصّلة قال بعدذلك [يُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة والتّدوينيّة

القرآنيّة [لَعَلَّكُمْ] بتدبير الامر على ما اقتضته الحكمة من غير نقص وفتور فيه وبتفصيل الآيات الدّالّة على كمال قدرة صانعها وتكثيرها تعلمون انّ لها صانعاً عليماً حكيماً قديراً ترجعون اليه وبعد ذلك العلم [بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ] فيكون عملكم على ما يرتضيه لا على مايسخطه [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ] بسطها لتسهيل توليد النّبات والحيوان فيها و تعيّشها على اكمل وجه [وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ] جبالاً ثوابت لتسهيل اخراج الماء من تحتها واجرائها على وجه الارض لسقي الزّروع والاشجار ولذلك ضمّ الانهار الى الجبال فقال [وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] فائدة التّأكيد بالاثنين الاشعار بانّ الاهتمام بالعدد لا بالجنس فقط والمراد بالاثنين الحاصل في الجبال والجزائر من دون تربية مربّ، والمغروس والمزروع في البساتين والمزارع بتربية الانسان كما في قوله ثمانية ازواج من الضّأن اثنين الآية [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] يستره ويحيط به [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ] المذكور [لَآيَاتٍ] عديدة [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال عقولهم في المبادي واستنباط الغايات منها وترتيب الحكم و المصالح عليها، و لمّا كان في رفع السّماوات و جعل الارض وسطها و تسخير الشّمس و القمر في جريهما و في تدبير الامر وتعليقه بكلّ على حسب حاله، وفي مدّ الارض وجعل الرّواسي والانهار والاشجار والاثمار و اللّيل والنّهار مصالح لا تحصى و حكم لا تنضبط وآيات لا تعدّ و الانتقال اليها يحتاج الى استعمال المتخيّلة باستخدام العقل والانتقال من المبادي اليها خصّصها بالمتفكّرين بخلاف ما بعده، فانّ كثرتها ليست بهذه المثابة و لذا اكتفى فيه بمحض العقل [وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ] متلاصقات مختلفات في الاثر و الزّرع [وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ] نخلات من اصل واحد [وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ] في الثّمر والحبوب من حيث المقدار و الشّكل و اللّون والطّعم [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ] دالّة على علمه وقدرته و كمال حكمته وعلى انّ الاناسيّ و ان كانوا من اصل واحد قد يختلفون في الآثار و الاعمال والاخلاق [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِنْ تَعْجَبْ] يا محمّد(ص) من انكارهم المعاد مع ظهور دلائله، اوان تعجب ايّها المنكر للمعاد والاحياء بعد الاماتة، اوالخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [فَعَجَبٌ] تعجّبهم عن الاعادة و [قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ]

اعلم، انّ الانسان كالعالم الكبير ذو مراتب كثيرة بعضها بالامكان وبعضها بالفعل فمرتبة منه البدن الجسمانيّ، ومرتبة منه النّفس النّباتيّة، ومرتبة منه النّفس الحيوانيّة، ومرتبة منه النّفس الانسانيّة، ومرتبة القلب، ومرتبة الرّوح، وهكذا الى ما لا خبر عنه ولا اسم ولا رسم واكثر النّاس لمّا لم يتجاوزوا المدارك الحيوانيّة ولم يشاهدوا بالشّعور التّركيبيّ المراتب المجرّدة من الانسان بل حصروه فيما شاهدوا منه من مرتبته الجسمانيّة وفعليّته الطّبيعيّة وشاهدوا انّ الموت يفني تلك المرتبة ويفسدها، ولم يعلموا انّ انسانيّة البدن انّما كانت عرضيّة بعرض تعلّق النّفس الانسانيّة به وانّه حجاب للانسانيّة مانع عن ظهورها وفعليّتها ولولاه لانجلت كمال الانجلاء قالوا متعجّبين: ائذا متنا! بنسبة الموت الى انفسهم باعتبار موت البدن و كنّا تراباً! بنسبة التّرابية والفساد الى انفسهم بترابيّة البدن وفساده ائنّا لفي خلق جديد؟! ولو انّهم علموا انّ البدن مرتبة نازلة من الانسان بل حجاب وقيد له وانّ الانسان حقيقة مجرّدة منزّهة عن الفساد باقية دائمة لما قالوا ذلك [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ] و قدرته وسعته

و نعمته البالغة فی حقّ الانسان و توسعته و بسطه بحسب مراتب العالم [وَأُولٰئِكَ الْأَغْلاٰلُ] النّاشئة من الطّبع و النّفس الحيوانيّة [فِي أَعْنٰاقِهِمْ] فلا يقدرون على ان يرفعوا رؤسهم فيشاهدوا مقامات الانسان فيعلموا انّ فساد البدن لا يفنيه بل يقويّه [وَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ] بالعذاب والعقوبة [قَبْلَ الْحَسَنَةِ] يعني دون الحسنة فانّه يستعمل تلك الكلمة فی هذا المعنی كثيراً [وَقَدْ خَلَتْ] و الحال انّه قد مضت [مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاٰتُ] جمع المثلة بفتح الميم وضمّ الثاء وفتحها بمعنی العقوبة من مثل بفلان نكّل والمعنی قد مضت العقوبات علی الامم الماضية الّذين صاروا امثالاً فی الاشتهار ولايعتبرون بها لغاية حمقهم وجهلهم،وقرئ المثلات بفتح الميم وضمّ الثّاء اوسكونها، وبضمّ الميم وضمّ الثّاء اوسكونها ، وبفتح الميم والثّاء ، ونسب الی امير المؤمنين وامام المتّقين(ع) انّه قال : احذروا ما نزل بالامم من قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكّروا فی الخير والشّرّ احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّٰاسِ عَلىٰ ظُلْمِهِمْ] فلذا لايجيبهم عن استعجالهم بالعذاب [وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقٰابِ] اذا اخذ العباد [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ كفرهم بالله سترعنهم الآيات الدّالّة علی صدقه فاقترحوا نزول آية من الآيات كأنّه لم ينزل عليه شيء من الآيات [إِنَّمٰا أَنْتَ] بشأن الرّسالة لا بشأن الولاية [مُنْذِرٌ] فلابأس عليك آمنوا اولم يؤمنوا ، قبلوا اولم يقبلوا ، وهو تسلية له(ص) عن عدم اجابة قومه [وَلِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ] فی عصرك ومن بعدك وقد مضی معنی الانذار وانّ الرّسول كمن ينبّه من النّوم وينذر من المخاوف من كان فی بادية لاطريق فيها الی عمران وكان فيهاسباع كثيرة وحيّات مهلكة و موذيات قويّة ولم يشعر بضلالته و بمهلكات تلك البادية فاذا تنبّه و أنذر طلب لامحالة من يدلّه علی طريق العمران ويخرجه من تلك البادية ، وذلك الدّالّ هو الهادی الّذی يوصله الی المعمورة [اَللّٰهُ يَعْلَمُ] استيناف كلام لاظهار كمال علمه وقدرته فی مقابل الآلهة الّتی هی فی كمال العجز و الجهل ليكون حجّة علی صحّة دعوته وبطلان دعوتها [مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ] من كلّ نوع من الحيوان يعلم عدد المحمول وذكره وانثاه وحسنه وقبيحه [وَمٰا تَغِيضُ الْأَرْحٰامُ] قد فسّر فی الاخبار غيض الارحام بنقصان عدد الايّام عن تسعة اشهر وبعدم الحمل ، وفسّر بمطلق النّقص سواء كان فی عدد الايّام او فی الخلقة اوفی نقص الرّحم بعدم الحمل اوفی اسقاط الجنين قبل التّمام ، وعلی هذا يجوز حمل ما تحمل علی مدّة تحمل فيها يكون ما مصدريّة او موصولة [وَمٰا تَزْدٰادُ] علی تسعة اشهر اومطلق الزّيادة فی الخلقة او فی عدد الايّام اوفی عدد المحمول بان يكون اثنين اوثلاثة ، وقد ورد فی الاخبار انّ المرأة ما رأت الدّم فی ايّام الحمل يزداد عدد الايّام علی تسعة اشهر بعدده [وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ] لا يتجاوزه ولا ينقص عنه [عٰالِمُ الْغَيْبِ] ما غاب عن المدارك البشريّة [وَالشَّهٰادَةِ] ما يشهده المدارك او عالم عالم الغيب وعالم الشّهادة [الْكَبِيرُ] الّذی لايوصف [الْمُتَعٰالِ] علی كلّ شیء بعظمته [سَوٰاءٌ مِنْكُمْ] فی علمه [مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ] يعنی قول من اسرّ القول [وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسٰارِبٌ] بارز [بِالنَّهٰارِ لَهُ] ای لله اولمن اسرّ القول و من جهر به [مُعَقِّبٰاتٌ]

ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً، من عقّبه تعقيباً اذا جاء بعقبه [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ] حفظاً ناشئاً [مِنْ أَمْرِ اللهِ] اومن اجل امر الله، عن الصّادق(ع) انّه قرئ الآية عنده هكذا فقال لقاريها: الستم عرباً؟! فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟- وانّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل: جعلت فداك كيف هذا؟- فقال: انّما انزلت له معقّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ومن ذا الّذى يقدر ان يحفظ الشّيء من امر الله وهم الملائكة الموكّلون بالنّاس، وعن الباقر(ع) من امر الله يقول بأمر الله من ان يقع فى ركيّ اويقع عليه حائط اويصيبه شيء حتّى اذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه الى المقادير وهما ملكان يحفظانه باللّيل وملكان بالنّهار يتعاقبانه، وقيل: يحفظونه من امر الله بالاستمهال والاستغفار [إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] من النّعم [حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] من حسن الحال والطّاعة والبرّ وصلة الارحام [وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ] يعنى لا ناصر سواه ولا متولّى لامور النّاس غيره [هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا] خائفين وطامعين او اراءة خوف وطمع اويريكم من البرق خوفاً وطمعاً يعنى يظهر فيكم ذلك [وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ] بالماء يعنى يرفعها الى السّماء [وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ] وتسبيح كلّ بحسبه وكذا حمده [وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ] واجلاله [وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ] فيهلكه [وَهُمْ] لغاية جهلهم وعنادهم وعدم تدبّرهم فى تسخّرهم تحت تلك المسخّرات [يُجَادِلُونَ فِي اللهِ] ومبدئيّته ومرجعيّته وتفرّده بالالهة و استحقاق العبادة و سائر صفاته [وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ] المماحلة المكائدة، او شديد القوّة من المحل بمعنى القوّة وفسّر بشديد الاخذ وشديد الغضب وهما من لوازم ما ذكر [لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ].

اعلم، انّ الحقّ المطلق هو الاوّل تعالى والحقّ المضاف هو فعله وكلّ حقّ حقّ بحقّيّة فعله بل متحقّق بفعله الّذى هو الولاية المطلقة كما مرّ مراراً، وكلّ قول وفعل وخلق يكون عن ولاية اختياريّة كما انّها آثار اختياريّة فهو حقّ بحقّيّتها، وكلّ مأذون من الله بلا واسطة لدعوة الخلق اليه تعالى اولدعوة الخلق ايّاه وسيلة بينهم وبين الله فهو داعٍ حقّ ومدعوّ حقّ، ودعوة كلّ داعٍ حقّ وكلّ مدعوّ حقّ هى دعوة الله تعالى ومنتهية اليه وخاصّة به لامدخليّة لاحد فيها من حيث انّ الدّاعى والمدعوّ الحقّين مظهران له تعالى و ما يظهر ويتعلّق بهما يظهر ويتعلّق بالله، وامّا دعوة الدّاعى الباطل كخلفاء الجور ودعوتهم الى الاسلام و الى الله وكذا دعوة الخلق المدعوّ الباطل كالاصنام و الكواكب وخلفاء الجور باطلة وضائعة كنفس الدّاعى و المدعوّ حيث لايترتّب عليه شيء ولاينتهى به الى شيء، وبالجملة كلّ من لم يأذن الله فى كونه داعياً للخلق اوللوسائط بينه وبين الله اومدعوّاً باطل كائناً من كان ودعوته ايضاً باطلة، وعلى هذا فقوله [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ] يحتمل ان يكون معناه و الدّاعون الّذين يدعون الخلق الى اتّباعهم من دون اذن الله او حال كونهم من غير الله لايستجيب المدعوّون لهم بشيء وان يكون معناه والمدعوّون الّذين يدعوهم الخلق من دون اذن الله اومن غير الله لايستجيب المدعوّون للخلق بشيء [إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ] الّا كاجابة الماء لمن بسط كفّيه مشيراً اليه و داعياً الى نفسه او مغترفاً له [لِيَبْلُغَ] الماء [فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ] لعدم استشعاره بالاشارة اوعدم حصوله فى الكفّ المبسوطة [وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ] لله [إِلَّا فِي ضَلَالٍ] لانّ الكافر دعاءه لله دعاء للشّيطان من حيث

لايشعر او ما دعاء الكافرين للخلق الى انفسهم او الى الله اوالى غيرهما ، اوما دعاء الخلق للكافرين الّا فى ضلال فى ضياع وعدم ترتّب الأثروهو كالنّتيجة لسابقه [وَ لِلّٰهِ] لالغيره [يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَ] من فى [الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا] السّجود لغة الخضوع و لمّا كان غاية الخضوع السّقوط على التّراب لمن يخضع له سمّى سجدة الصّلٰوة بالمواضعة الشّرعيّة بالسّجود واذاكان الخضوع عبارة عن كسر الانانيّة عند من يخضع له فكلّما كان هذا المعنى اتمّ كان الخضوع اكمل . ولمّا كان جميع الموجودات بالنّسبة اليه تعالى لاانانيّة لهابل كلّها لهاحكم الاسميّة وعدم النفسيّة بالنّسبة اليه تعالى ونفسيّة الكلّ هى انيّة الحقّ الاوّل تعالى كان الكلّ سماواتها وسماويّاتها وارضوها وارضيّاتها ذووعلمها وغيرذوى علمها ساجدة لله لعدم انانيّة لها بالنّسبة اليه تعالى،لكنّ الشّاعرين منها اكثرهم يسجدون طوعاً كالأملاك بانواعها وبعض الاناسىّ والجنّ وبعضهم لايسجدون الّا كرها كبعض الاناسىّ وبعض الجنّ فانّ الكفّار منهما لايسجدون لله طوعاً اختياراً ومن لايسجد طوعاً لله بلا واسطة يسجد له طوعاً بواسطة مظاهره ، فانّ نفوسهم فطريّة التّعلّق فاذا لم تتعلّق بالله تعلّق بغيره من مظاهره من كوكب وصنم وغيره واقلّه الدّراهم والدّنانير والمواليد الثّلاثة تسجد بصورها ونفوسها تكويناً طوعاً وبعناصرها تسجد لله كرهاً، لانّ العناصر مقسورة فى المواليد على الامتزاج ، وعلى هذا فالاتيان بمن الّتى هى لذوى العقول امّا من باب التّغليب اوباعتبار نسبة السّجدة اليها لانّ السّجود لا يكون الّا من ذوى الشّعور ويسرى حكم السّجدة الى نفس السّماوات والارض لما مرّ مراراً انّ نسبة الحكم الى المظروف تسرى الى الظّرف خصوصاً اذاكان المظروف اشرف من الظّرف [وَ ظِلٰالُهُمْ] جمع الظّلّ وهوالفيء الحاصل من الشّاخص الّذى ينتقل بانتقاله و يسكن بسكونه و بالجملة لا انانيّة له الّا انانيّة الشّاخص وكلّ موجود علوىّ او سفلىّ له فى مقامه الخاصّ به حقيقة وله اظلال فى العالم الاعلى والاسفل منه والموجودات الطّبيعيّة الارضيّة من المواليد لها اظلال صوريّة حاصلة من محاذاة الشّمس و الكلّ سجّدٌ لله و آخرون طوعاً [بِالْغُدُوِّ] جمع الغدوة [وَ الْأٰصٰالِ] جمع الاصيل و ما ورد فى الاخبار فى تفسير الظّلال يرتفع اختلافه ممّا ذكرنا ، والسّجود وكذا الغدوّ والآصال فى كلٍّ بحسبه [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ] اجب عنهم بذلك لانّه لاجواب لهم سواه [قُلْ اَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ اَوْلِيٰاءَ] تقريعاً و توبيخاً لهم على ذلك بعد الاعتراف بربوبيّته لهما [لٰا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَ لٰا ضَرًّا] فكيف بغيرهم من امثالهم فضلاً عن تربية السّماوات و الارض اللّتين لا يصلون اليهما ولايحيطون بهما ولا بعلمها [قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمىٰ] الّذى لايبصر طريق ضرّه ولانفعه [وَ الْبَصِيرُ] الّذى يبصر غيره ويحيط بضرّه ونفعه ويتصرّف فيه كيف يشاء اوهل يستوى الاعمى الّذى لايفرّق بين من لايضرّ ولا ينفع ومن يضرّ وينفع كالمشرك والبصير الّذى يبصر ذلك ويفرّق كالمؤمن [اَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمٰاتُ] كالكفر [وَ النُّورُ] كالايمان [اَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ] صفة لشركاء [فَتَشٰابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ] ولتشابه خلقهم وخلق الله حكموا باستحقاق عبادتهم والحال انّهم اتّخذوا شركاء عاجزين غير قادرين على ماقدروا بانفسهم عليه [قُلِ اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَىْءٍ] فهم مخلوقون فضلاً عن كونهم خالقين [وَ هُوَ الْوٰاحِدُ] الّذى لايبقى معه شيءٌ فى الوجود فلاوجود لشيءٍ سواه فضلاً عن الخالقيّة وغيرها من الاوصاف [الْقَهّٰارُ] الّذى كلّ شيءٍ فانٍ تحت وجوده مضمحلّ لا انانيّة له [اَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً] جواب لسؤالٍ كأنّه قيل: ان كان هوالواحد

الّذى لا ثانى له القهّار الّذى لا انانيّة لشيءٍ معه فما هذه الكثرات المشهودة ؟ـ فقال : انزل من السّماء ماءً فظهر الكثرات فلا انانيّة ولا ظهور لشيءٍ منها الّا بذلك الماء الّذى هو فعله بل هو هولاغيروالمقصود تمثيل ظهور الكثرات من امر واحد هو فعل الله و قوامها بذلك الامر بنزول الماء الّذى هو حقيقة واحدة من الجهة الواحدة الّتى هى السّماء وتكثّره بتكثّر الاودية و ظهور الزّبد الغير النّافع عليه [فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا] نسبة سالت الى الاودية مجاز [فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا] مرتفعاً على السّيل [وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ] ومن الفلزّات الّتى يوقد النّاس عليها النّارحالكونها فى النّار [ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ] كما يصاغ من الذّهب والفضّة و غيرهما [أَوْ مَتَاعٍ] ما يتمتّع به كالاوانى وآلات الصّنائع وغيرها [زَبَدٌ مِثْلُهُ] مثل زبد الماء يعنى انّ الزّبد الغير النّافع لا اختصاص له بالماء والسّيل بل يكون فى الجوامد والفلزّات الّتى تذاب بالنّار، والمقصود انّ الباطل لا اختصاص له بالتّعيّنات الامكانيّة الّتى هى كزبد الماء بل النّفوس البشريّة الّتى هى كالفلزّات فى شدّة تراكمها و صلابتها تتحمّل زبد باطل الاهوية [كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ] يعنى انّ مثل ظهور الحقّ و اختلاطه بالباطل مثل نزول الماء و اختلاطه بالزّبد فالممثّل له بحسب مراتب الوجود يحتمل وجوهاً وكذابحسب مراتب العلم اى الوجود الذّهنىّ . فنقول بحسب التّطبيق على الممثّل له ، انزل من سماء الاسماء ماء المشيّة فسالت اودية المهيّات بقدرها فاحتمل الماء السّائل فى اودية المهيّات زبد التّعيّنات والتّكثّرات ، فامّا الماء الّذى هو حقيقة متحقّقة فيبقى ، وامّا الزّبد وان كان ساتراً لوجه الماء ظاهراً فى الانظار دون الماء بحيث لايدرك القاصرون فى الادراك الّا ذلك الزّبد والتّعيّنات حتّى قالوا : انّ الوجود اعتبارىّ صرف وانّ المهيّات اصيلة فى التّحقّق فهوباطل مضمحلّ متلاشٍ كلّ شيءٍ هالك الّا وجهه ، وانزل من سماء المشيّة ماء وجودات الاشياء فسالت اودية المهيّات الى الآخر، وانزل من سماء العقول ماء وجود النّفوس ومادونها فسالت اودية النّفوس وعالم المثال وعالم الطّبع بقدرها الى الآخر، وانزل من سماء عالم المثال ماء وجود عالم الطّبع الى الآخر، هذا فى الكبير ، وامّا فى الانسان الصّغير فنقول: انزل من سماء الارواح ماء الحيوة فسالت اودية المدارك الحيوانيّة والمراتب النّباتيّة الى مقام الطّبع فاحتمل السّيل زبد الاخلاق الرّذيلة والاهوية الرّديّة والافعال الذّميمة كما انّ الاخلاق الحسنة والاشواق الا لٰهيّة والافعال المرضيّة متحقّقة بذلك الماء ، وامّا بحسب العلم والذّهن وهوعين وخارج بوجهٍ فنقول: انزل من سماء الولاية ماء النّبوّة والرّسالة فسالت اودية القلوب والصّدور بحسبها فبعض بحسب استعداد الاتّصاف بالنّبوّة والرّسالة وبعض بحسب استعداد قبول احكامهما فاحتمل السّيل زبد مقتضى الاهواء من الآراء الباطلة والبدع العاطلة المختلطة بمرور الازمان بأحكام الرّسالة والنّبوّة و منه الزّيادة والنّقيصة والتّحريف فى الكتاب الا لٰهىّ ، اوانزل من سماء النّبوّة ماء الرّسالة اومن سماء الرّسالة ماء الاحكام الا لٰهيّة ، اوانزل من سماء الرّوح ماء العلم فسالت اودية القلوب والصّدور فاحتمل السّيل زبد مداخلة الاهواء فى العلم ، اوانزل من سماء القلب ماء العلم فسالت اودية الصّدر [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً] مرمياً يرمى به السّيل [وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ] لانتفاع اهلها [كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ] كرّر ذكر كون الآية مثلاً تأكيداً وتنبيهاً على انّها بظاهرها ليست مقصودة ومنظوراً اليها بل المراد بيان حال الحقّ والباطل بالتّمثيل بأمرٍ حسّىّ [لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا] متعلّق بيضرب الامثال اى يضرب الامثال لحال هؤلآء و هؤلآء

يعنى حالهما كحال الماء والزّبد اويضرب الامثال لبشارة هؤلآء وانذاراولئك ، اويضرب الامثال لانتفاع الّذين استجابوا [لِرَبِّهِمُ] الاستجابة [الْحُسْنٰى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ] عطف على الّذين استجابوا على الاوّلين وهومع ما بعده جملة مستأنفة على الثّالث ويجوز ان يكون قوله للّذين استجابوا خبراً مقدّماً للحسنى مع كون الجملة مستأنفة جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ ويكون المعنى للّذين استجابوا لربّهم العاقبة الحسنى والّذين لم يستجيبوا له [لَوْ اَنَّ لَهُمْ مٰا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ اُولٰئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ الْحِسٰابِ] بان لاتقبل لهم حسنةٌ ولا تغفر لهم سيّئة كما نسب الى الصّادق (ع) او بان نوقش فى حسابهم و استقصى بهم كما فى خبرٍ آخر [وَمَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهٰادُ] المستقرّ [اَفَمَنْ يَعْلَمُ اَنَّمٰا اُنْزِلَ اِلَيْكَ] لفظة ماكافّة او موصولة اومصدريّة ، ومالنزل اليه امّاالقرآن تماماً اواحكام الرّسالة جملةً اوالولاية مخصوصة [مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمٰى] عن علم ذلك [اِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ] بعدم تشابههما [اُولُوا الْاَلْبٰابِ] لااصحاب الخيال وارباب الالف والعادات، عن الصّادق (ع) انّه خاطب شيعته بقوله انتم اولواالالباب فى كتاب الله، والسّرّ فى ذلك انّ اللبّ هو العقل الخالص من شوب الوهم والخيال ولايخلص العقل ما لم يتّصل بصاحب العقل ، والاتّصال ان كان بالبيعة العامّة النّبويّة لم يفد تخليص العقل من حيث انّ الرّسول (ص) ببيعته يؤسّس احكام العقل باعانة الوهم والخيال فليس شأن الرّسول تخليص العقل بل تخليطه بقشر الخيال، بخلاف الاتّصال بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ صاحب البيعة الخاصّة من حيث اصل الايمان شأنه تخليص العقل عن شوب الخيال وبهذا الاعتبار يصدق على المتّصل به انّه ذولبّ وان لم يحصل بعد له لبّ ، وايضاً صاحب الولاية باعتبار ولايته لبّ وصاحب الرّسالة باعتبار رسالته كالقشر والمتّصل بالولاية مظهر لصاحب الولاية فهوذولبّ بهذا الاعتبار ايضاً على انّ التّحقيق انّ الانسان بدون تلقيح الولاية كالجوز الخالى من اللبّ ولاينعقد لبّه الّا بالولاية ، فانّ البيعة الولويّة يدخل بها كيفيّة من ولىّ الامر فى قلب البائع وبها يتحقّق الابوّة والبنوّة بينهما وهى الايمان الدّاخل فى القلب كما سبق تحقيقه فى مطاوى ماسبق [اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ] صفة لاولى الالباب لبيان حالهم او استيناف كلامٍ والخبر اولئك لهم عقبى الدّار والمراد بالعهد هوالعهد العامّ النّبوىّ والوفاء به الانتهاء الى آخر اركانه الاسلاميّة وهوالبيعة الولويّة الّتى عبّروا عنها فى الاخبار بالولاية [وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثٰاقَ] الميثاق الولاية الّذى حصل لهم بالوفاء بعهد النّبوّة ، و تسميته ميثاقاً لكونه عقداً على عقد فانّه بعد عقد البيعة النّبويّة ، و فى الخبر اشارة الى ما ذكرنا [وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا اَمَرَ اللّٰهُ بِهِ اَنْ يُوصَلَ] اوّل ما امرالله به من صلة الارحام الوصلة مع نبىّ الوقت بالبيعة العامّة ، ثمّ الوصلة مع ولىّ الوقت بالبيعة الخاصّة ، ثمّ مع المسلمين بقرابة الرّحم المعنويّة ، ثمّ مع المؤمنين بقرابة الرّحم الولويّة ، ثمّ مع اقربائه بقرابة الرّحم الجسمانيّة وصلة الرّحم مع النّبىّ و الولىّ بعد ما هو أصل من البيعتين وكذا مع كلّ ذى قرابة عبارة عمّا به يحصل اظهار المحبّة و التّرحّم و اقلّه البشاشة فى وجهه عند لقائه و السّرور به و اهداء التّحف اليه و قضاء حاجته [وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخٰافُونَ سُوٓءَ الْحِسٰابِ] الخشية حالة حاصلة من ادراك لذّة وصال المحبوب و الم فراقه او سطوة عذابه ، و بعبارةٍ اخرى حالة حاصلة من ادراك ذى جمال و سطوة ، و بعبارةٍ اخرى حالة ممتزجة من الخوف و الرّجاء لا خوف صرف ولا رجاء محض و لذا خصّصها بالرّبّ والخوف بسوء الحساب [وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ] وجه الرّبّ

هو ملكوت وليّ الامر ، و ابتغاؤه عبارة عن طلب انفتاح باب القلب حتّى يظهر و يتمثّل له وليّ الامر بملكوته والصّبر لذلك الابتغاء ان لاينصرف عن ذكره القلبيّ الخفيّ اواللّسانيّ الجليّ، والصّبرعليه يستلزم عدم الجزع وعدم الخروج الى المهويّات [وَ اَقامُوا الصَّلٰوةَ] باقامة الصّلوة القالبيّة و حفظ حدودها ومواقيتها وادامة الذّكر الّذى هو صلوة الصّدر و اتّصاله بالفكر الّذى هو صلوة القلب وهو تمثّل ملكوت الشّيخ [وَأَنْفَقُوا مِمّٰارَزَقْنٰاهُمْ] من الاموال والاعراض الدّنيويّة والقوى والاعراض والجاه والحشمة ومن نسبة الافعال والصّفات والانانيّات الى انفسهم [سِرًّاوَعَلانِيَةً] السّرّ والعلانية فى كلّ مقام بحسبه ، فانّ الانسان من اوّل استقرار نطفته فى الانفاق والخلع واللّبس والاستعواض من الله تكويناً وبعد البلوغ بل وقت التّمرين يكلّف بالانفاق من الاموال بل من الفعليّات السّفليّة وان كان لا يشاهد الأعواض ولا المنفق من القوى والفعليّات سوى الاموال الدّنيويّة ، واصل الانفاق سرّاً ان ينفق من فعليّاته وانانيّته من غير شعورٍ منه بالانفاق والمنفق فضلاً عن اطّلاع الغير عليه [وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] الحسنة هى الولاية وكلّ فعل اوحال اوخلق كان متّصلاً بالولاية كان حسنةً ، والسّيّئة فى الحقيقة هى عدوّ عليٍّ (ع) وكلّ فعل وخلق وحال متّصل بجهته وطريقه سيّئة، ويجرى الحسنة والسّيّئة فى كلّ فعل يكون مشاكلاً لهما كافعال من كان غافلاً عن ولاية وليّ الامر [أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّٰارِ] عقبى الدّار غلبت على العاقبة الحسنى كأنّ من كان له العاقبة السّوءى لا عاقبة له [جَنّٰاتُ عَدْنٍ] اقامة [يَدْخُلُونَهٰا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ اٰبٰائِهِمْ وَاَزْوٰاجِهِمْ وَذُرِّيّٰاتِهِمْ] بتبعيّتهم فالمراد بالصّلاح ههنا عدم الفساد و الاستعداد للصّلاح الحقيقيّ والّا فلم يكن لهم حاجة الى ان يدخلوها بتبعيّة غيرهم [وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ] من ابواب قصورهم فى الجنان قائلين [سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمٰاصَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّٰارِ] غرف المؤمنين وقصورهم وكيفيّة زيارة الملائكة لهم مذكورة فى الاخبار بتفاصيلها [وَالَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَاللهِ مِنْ بَعْدِ ميثٰاقِهِ] اى عهد النّبوّة من بعد ميثاقه وتأكّده بعهد الولاية فانّه مرتدٌّ فطريّ لايقبل له توبة لاظاهراً ولا باطناً ، وامّا النّاقض لعهد النّبوّة والبيعة العامّة فانّه يقبل توبته ظاهراً وباطناً وهو مرتدٌّ مليّ لافطريّ وقد مضى تحقيقٌ وافٍ للارتدادين فى سورة آل عمران عند قوله : و من يبتغ غير الاسلام ديناً [وَيَقْطَعُونَ ما اَمَرَاللهُ بِهِ اَنْ يُوصَلَ] و يحصل اصل القطع بنقض العهد كما سبق [وَيُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ] ارض العالم الكبير والعالم الصّغير وقد مضى فى سورة البقرة تحقيق تامّ لقطع ما امر الله به ان يوصل وللافساد فى الارض عند قوله و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل [أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ اَللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ] النّباتيّ و الحيوانيّ والانسانيّ [لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا فِي الْاٰخِرَةِ] فى جنب الآخرة او بين الحيوة الآخرة [اِلّٰا مَتٰاعٌ] الّا شيءٌ قليل يتمتّع به يسيراً [وَيَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] كأنّهم لم يروا منه شيئاً من الآيات لعماهم وحملهم ما رأوا على السّحر والعادات [قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ] بجعله اعمى عن النّظر فى العواقب و فى دعوة الدّاعى وفى آياته ؛ وليست الهداية و الضّلالة بالآية وعدمها [وَيَهْدى إِلَيْهِ مَنْ اَنٰابَ] ورجع عن جهنّام الطّبع وفرّ من سجن النّفس [اَلَّذينَ اٰمَنُوا] بدل

ممّن اناب اواستيناف كلام مبتدء، وطوبى لهم خبره، اوخبر مبتدء محذوف والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بدل منه، اوالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات مبتدء ثان اومبتدء اوّل والمراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ] .

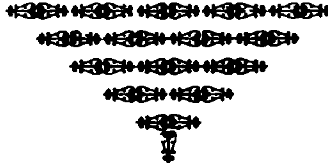
اعلم، انّ الانسان بعد ما آمن ودخل ما به حصول للايمان من الذّكر الّذى يلقّنه الولىّ فى قلبه يحصل له اطمئنان فى الجملة بالنّسبة الى حال طلبه واشتداد لوعته فيصدق عليه انّه اطمئنّ بذكر الله الّذى اخذه من ولىّ امره، لكن لا يحصل له اطمئنان تامّ الّا بالوصول الى ملكوت الامام والقرار معه فاذا وصل الى ملكوت الامام واستقرّ معه اطمأنّ من غير شوب اضطراب وهيجان، وملكوت الامام ذكر الله الحقيقىّ فالمعنى الّذين آمنوا واخذوا ذكراً ممّن آمنوا بواسطته وتطمئنّ قلوبهم بصورة ذلك الذّكر اوبحقيقته الّتى هى ملكوت الشّيخ، ولذا فسّر الّذين آمنوا بالشّيعة الّذين بايعوا بيعة خاصّة ولويّة و ذكر الله باميرالمؤمنين(ع) والائمّة(ع) و فسّر ذكر الله بمحمّد(ص) [اَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] معترضة لتأكيد هذا [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] حتّى انتهوا الى الذّكر الحقيقىّ فاطمئنّوا بها [طُوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ] الطّوبى وصف بمعنى الطّيّبة والطّيّب، اومصدر طاب كزلفى وبشرى، او جمع طيّبة كما فى القاموس اومؤنّث اطيب، و فسّرت فى الاخبار بشجرٍ فى الجنّة موصوف باوصاف عديدة اصله فى بيت محمّد (ص) اوعلىّ (ع) [كَذٰلِكَ اَرْسَلْنَاكَ] اى ارسلناك ارسالاً مثل ذلك الارسال من قبيل تشبيه الكلّىّ بالجزئىّ وتمثيله به اوكذلك خبر مبتدء محذوف اى الامر كذلك وارسلناك مستأنف [فِى اُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا اُمَمٌ] حتّى تكون الامم الماضية عبرة لهم و تكون انت فيهم اقرب الى التّصديق من الرّسل الماضية (ع) فى اممهم [لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ] من القرآن والاحكام وقصص الماضين بل اصل ما اوحينا اليك وهو ولاية علىّ(ع) [وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ] اى لتتلو عليهم حال كفرهم بالرّحمن لتصرفهم عن كفرهم اولكنّهم يكفرون بالرّحمن [قُلْ هُوَ رَبِّى لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ] تعميم بعد تخصيص يعنى هو ربّى وربّ كلّ شيءٍ اذ لا اله الّا هو [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] فى جملة امورى [وَاِلَيْهِ مَتَابِ] يعنى لا انظر فى مبدئى ومعادى ومعاشى الى غيره بل انظر الى ربوبيّته وآلهته لنفسى ولكلّ شيءٍ والى حفظه ونصرته فى كلّ حال ولذلك توكّلت عليه ولا ارى لنفسى مرجعاً آخر [وَلَوْ اَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ اَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْاَرْضُ اَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ] لكان هذا القرآن، لمّا كان المعروف بين النّاس انّ من النّاس من يقرأ ورداً و ينفخ فيما يريد من تحريك الاحجار و انزال الامطار و من اراءة الامصار واحضار الغيّاب كما هو المعروف فى زماننا هذا من المرتاضين المتشرّعين وغيرهم قال: لو انّ فى العالم مقروّاً يقرأ ويسيّر به الجبال الى الآخر لكان ذلك المقروّ هو هذا القرآن لاغيره وهذا اوفق بقوله [بَلْ لِلّٰهِ الْاَمْرُ جَمِيعاً] من حيث انّه اضراب عن تأثير المقروّ وحصر للتّأثير به تعالى فكأنّه قال: كلّ مقروّ له اثر فى العالم منحصر فى هذا القرآن بمعنى انّه غير خارج منه اذ لا رطب ولا يابس الّا فيه، ثمّ اضرب وقال: بل لا اثر لشيءٍ من الاشياء الّا لله بمعنى انّ كلّ مؤثّر فانّما هو مؤثّر بمؤثّريّة الله لا بنفسه [اَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا] فسّر ييأس بيعلم على لغة وقرئ يتبيّن

فى قراءة اهل البيت(ع) وان كان على معناه المشهور فالمقصود افلم ييأس الّذين آمنوا عن ايمان المشركين ويكون مابعده تعليلاً له [اَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ] مفعول افلم ييأس اوالمعنى لانّه لويشاءالله [لَهَدَى النّاسَ جَميعًا وَلايَزالُ الَّذينَ كَفَرُوا] والحال انّ اسباب الايمان حاصلة لهم من الانذارات البالغة لانّه لايزال الّذين كفروا [تُصيبُهُمْ بِما صَنَعُوا] فى كفرهم [قارِعَةٌ] داهية تقرعهم من البلايا [اَوْ تَحُلُّ قَريبًا مِنْ دارِهِمْ] بامثالهم فتدهشهم ويصل اليهم اثرها [حَتّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ] بالعذاب فى الدّنيا من القتل والاسر و النّهب او وعدالله بقبض ارواحهم [اِنَّ اللهَ لايُخْلِفُ الْميعادَ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية له (ص) [فَاَمْلَيْتُ لِلَّذينَ كَفَرُوا ثُمَّ اَخَذْتُهُمْ] تهديدٌ للمستهزئين [فَكَيْفَ كانَ عِقابِ] استفهام للتّهويل وتطويل فى مقام التّهديد [اَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ] مراقباً لها حافظاً عليها اعمالها [بِما كَسَبَتْ] كمن ليس كذلك [وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ] هل كان لهم اسم فى المسمّيات اواخترعتموهم من عند انفسكم واختلقتم لهم اسماء ، او المعنى صفوهم حتّى يعلم هل كان لهم ما يستحقّون به العبادة [اَمْ تُنَبِّؤُنَهُ بِما لايَعْلَمُ فِي الْاَرْضِ] يعنى بل اتخبرونه بشركاء لا يعلمهم فى الارض؟! وهو العالم بكلّ شيءٍ ، اواتخبرونه باستحقاق شراكة الشّركاء الّذى لايعلمه فى الارض؟ وهو غاية تسفيهٍ لهم [اَمْ بِظاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ] يعنى اتخبرونه بأمر خفيٍّ لايعلمه اوبأمرٍ جليٍّ يعلمه كلّ احد؟ والتّقييد بالقول لانّ الاخبار والانباء يتعلّق بالقضايا والنّسب وهى اقوال نفسانيّة، وقيل : المعنى ام تسمّونهم شركاء بظاهرٍ من القول من دون اعتبار حقيقة له كما تسمّون الزّنجيّ كافوراً لكن ليس لما جعلتموه شركاء شيءٌ من المذكورات [بَلْ زُيِّنَ لِلَّذينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ] مكر رؤسائهم الّذين وضعوا لهم عبادة الشّركاء واظهروا لهم بتمويهاتهم انّ الشّركاء يقدرون على ضرٍّ اونفعٍ كما كانوا يخوّفون الانبياء(ع) بالشّركاء والاصنام [وَصُدُّوا] بتمويه الرّؤساء [عَنِ السَّبيلِ] سبيل الحقّ و هو سبيل القلب الّتى بها ظهور الولاية التّكوينيّة وحصول الولاية التّكليفيّة [وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ] لانّ كلّ هادٍ لايكون هدايته الّا هداية الله فلا تعارض اضلال الله [لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَيوةِ الدُّنْيا] بانواع البلايا [وَلَعَذابُ الْاخِرَةِ اَشَقُّ وَما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ] فى الدّنيا ولا فى الآخرة [مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهارُ] لمّا كان المثل عبارة عن امرتركيبيٍّ جعل خبره جملة من غير عائدٍ لكونها عين المبتدأ [اُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها] لاكجنان الدّنيا من حيث انّهامنقطعة الاكل والظلّ فى الخريف والشّتاء [تِلْكَ عُقْبَى الَّذينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكافِرينَ النّارُ وَالَّذينَ اتَيْناهُمُ الْكِتابَ] كتاب النّبوّة و احكامها بالتّوبة على يدك وقبول الاحكام منك [يَفْرَحُونَ بِما اُنْزِلَ اِلَيْكَ] من صورة الكتاب وهو القرآن خصوصاً ما انزل فيه من ولاية علىّ(ع) [وَمِنَ الْاَحْزابِ] اى الفرق المتفرّقة الّذين آمنوا بك او لم يؤمنوا [مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ] بعض ماانزل اليك وهو مالايوافق أهوائهم وأغراضهم خصوصاً ولاية علىّ(ع) [قُلْ اِنَّما اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللهَ]

اطيعه [وَلاٰاُشْرِكَ بِهِ] فى الطّاعة شيئاً فكيف يصحّ لى ان اطيع أهواءكم فيما انزل الىّ فأترك بعضه الّذى لايوافق اهواءكم [اِلَيْهِ اَدْعُوا] لاالى غيره فلاانظر الى اهوائكم موافقة كانت اومخالفة [وَاِلَيْهِ مَاٰبِ] فلا انظر الّا اليه لا الى اهوائكم [وَكَذٰلِكَ] المذكور من عبادة الله وعدم الاشراك والدّعوة والرّجوع اليه [اَنْزَلْنٰاهُ] يعنى انزلناه حالكونه مثل ذلك المذكور يعنى انّه وان لم يكن كلّه صريحاً فى ذلك لكن كلّه راجع اليه [حُكْماً عَرَبِيًّا] صادراً عن حكمة بالغة له حقيقة فى عالم العقول لا اعرابيّاً لاحقيقة له ولا حكمة فيه وهو حال عن ذلك اوعن مفعول انزلناه [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوٰاءَهُمْ] فى اخفاء ما يكرهونه و خصوصاً ولاية علىّ (ع) [بَعْدَمٰا جٰاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] بحقيّته ومأموريّتك ان تظهره [مٰالَكَ مِنَ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ] يتولّى تربيتك [وَلاٰ وٰاقٍ] ينصرك فى شدائدك وقد مضى مراراً تفسير الولىّ والنّصير وانّهما كنايتان عن مظهر الولاية ومظهر الرّسالة [وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ] فما كنت بدعاً من الرّسل [وَجَعَلْنٰا لَهُمْ اَزْوٰاجاً وَذُرِّيَّةً] فلاينبغى ان يعيّروك على التّزويج و الذّريّة [وَمٰا كٰانَ لِرَسُولٍ] ممّن مضى [اَنْ يَأْتِيَ بِاٰيَةٍ اِلاّٰ بِاِذْنِ اللّهِ] حتّى يعيّروك على عدم اجابة اقتراحهم اوتحزن على عدم اتيان الآية المقترحة [لِكُلِّ اَجَلٍ كِتٰابٌ] لكلّ وقت حكم مكتوب فلا يمكنك الاتيان بالآية المقترحة فى غير وقته ، ولمّا كان ظاهره منافياً لما امر الله من الدّعاء والتّصدّقات وصلة الارحام لدفع الآلام والاسقام وطول العمر بحسب تعميم الاجل والكتاب قال [يَمْحُوا اللّهُ مٰا يَشٰاءُ وَيُثْبِتُ] فلاتتركوا الدّعاء والصّدقات وصلة الارحام [وَعِنْدَهُ اُمُّ الْكِتٰابِ] الّذى فيه كلّ شيء من غير تغيير حتّى محو المثبت و اثبات ما لم يكن ، وكتاب المحو و الاثبات فى مقام العلم هو النّفوس الجزئيّة المتقدّرة بالاشباح النّوريّة المعبّر عنها بعالم المثال ، وكتاب المحو والاثبات العينىّ هو عالم الطّبع [وَاِمّٰا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذى نَعِدُهُمْ] اى ان نرك [اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ] فلا بأس عليك ولاتحزن عليه [فَاِنَّمٰا عَلَيْكَ الْبَلاٰغُ] وقد بلّغت [وَعَلَيْنَا الْحِسٰابُ] ونحاسب لامحالة [اَوَلَمْ يَرَوْا اَنّٰا نَأْتِي الْاَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ اَطْرٰافِهٰا] والمراد بالاتيان اتيان الملائكة المأمورين لذلك اواتيان امره تعالى، ونقصها من اطرافها ذهاب اهلها تدريجاً ، وقد فسّر نقصها من اطرافها بفقد العلماء امّا لانّ العلماء لمّا كانوا من عالم الارواح و نزلوا الى الارض فبذهابهم تنقص الارض و امّا غيرهم فلكونهم مخلّدين الى الارض لا ينقص ذهابهم شيئاً من الارض ، اولانّ الاطراف جمع الطّرف بالتّحريك اوالطّرف بالسّكون بمعنى الشّريف ويجرى الآية فى العالم الصّغير ، ونقصان العالم الصّغير اظهر من العالم الكبير [وَاللّهُ يَحْكُمُ لاٰمُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ] لارادّ ولا دافع [وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] بانبيائهم (ع) ومن آمن معهم كما يمكر قومك فلا يفتروا بمكرهم [فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَميعاً] من حيث انّه يقدر على جميع اسبابه وعلى انفاذه بحسب مشيّته بخلاف غيره لانّ الغير ان هيّأ بعض اسباب المكر فات عنه بعضها وان نفذ مكره بعض النّفوذ لم ينفذ بتمامه على وفق مراده ، والمكر منه تعالى ابراز الاساءة فى صورة الاحسان استدراجاً [يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ] فى مقام التّعليل اوتأكيد للتّهديد المستفاد من قوله : فللّه المكر جميعاً [وَسَيَعْلَمُ الْكُفّٰارُ لِمَنْ عُقْبَى الدّٰارِ] للماكر اوالمخلص وهو تهديد بسوء العاقبة كما انّ سابقه تهديد

بالمؤاخذة فى الحال [وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا] انكروا رسالتك [قُلْ كَفى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ] .

اعلم، انّ خليفةالله لمّا كان ذاجهتين له وجهة آلهيّة بها يأخذ من الله ووجهة خلقيّة بها يوصل المأخوذ، فاذا تحقّق لوجهته الخلقيّة رجل واحد يأخذ منه كفاه وكفى فى صدق خلافته فقال تعالى : قل انّى رسول الله و فى رسالتى يكفى الله المعطى و الّذى عنده علم الكتاب آخذاً منّى و يكفينى شهادتهما لا حاجة لى فى صدق رسالتى وتبليغى اليكم انكرتم اواقررتم ، ومن عنده علم الكتاب لايجوز ان يكون غيرعلىّ (ع) وان كانوا فسّروه بغيره لانّ العلم المضاف من غير عهد يفيد الاستغراق ولم يدّع احد جميع علم الكتاب من الامّة الّا علىّ(ع) واولاده المعصومون(ع)، فعنه(ع) : الا انّ العلم الّذى هبط به آدم(ع) من السّماء الى الارض وجميع مافضّل به النّبيّون(ع) الى خاتم النّبيّين(ص) فى عترة خاتم النّبيّين (ع) ، و الاخبار فى هذا المعنى و فى تخصيص علم الكتاب بعلىّ(ع) او به وبالائمّة(ع) كثيرةٌ ، وقرئ مِن عندِه علم الكتاب بكسر الميم والدّال .



سورة ابراهيم

مكّيّة الّا آيتين نزلتا فى قتلى بدرٍ من المشركين قوله: الم تر الى الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً (الى قوله) فبئس القرار

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[الٓر كِتٰابٌ اَنْزَلْنٰاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّٰاسَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ] ظلمات الكفر، ولمّا كان الكفر ذاظلماتٍ كثيرةٍ متباينةٍ بحسب ما تنتزع الظّلمات منه جمع الظّلمات معرّفةً باللّام، بخلاف النّور فانّه حقيقة واحدة به وحدة المتكثّرات ولذا افرده فقال [اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ] فى اخراجك حتّى يصير طاعنهم لك طاعة لله ولايكون شركاً بالله او فى خروجهم حتّى يكون اخراجك موافقاً لاذن الله و مسبّباً عنه [اِلٰى صِراٰطِ الْعَزِيزِ الْحَميدِ] بدل من قوله الى النّور .

اعلم ، انّ الانسان فى اوّل خلقته طبع محض وله قوّة واستعداد بصيرورته نباتاً ، ثمّ يصير نباتاً بالفعل وحيواناً بالقوّة، ثمّ يصير حيواناً بالفعل وانساناً بالقوّة، ومازال يشتدّ تلك القوّة الى اوان التّميز الانسانىّ واستعداد ادراك الكلّيّات البديهيّة الّتى لايدركها سائر الحيوان ، وحينئذٍ يحصل له انسانيّة ما بالفعل بحيث يصحّ اطلاق اسم الانسان عليه ، ومازال يشتدّ ويتقوّى الى اوان البلوغ والرّشد وتعلّق التّكليف به وحينئذٍ يصير انساناً ممتازاً عن الحيوان نحو امتيازٍ اقوى من امتيازه السّابق، لانّه حينئذٍ يدرك الخير والشّرّ الانسانيّين وطريق تحصيل الخير ودفع الشّرّ، لكنّه لمّا لم يخرج بعد من تحت حكومة النّفس والنّفس لاترى خيراً الّا مايلائم قواها الشّهويّة والغضبيّة والشّيطانيّة ولاشرّاً الّا ما يضادّ تلك القوى ، فهو وقع فى ظلمة الطّبع والشّهوة والغضب والشّيطنة ومن كلٍّ ينشأ ظلمات بعضها فوق بعضٍ ؛ فان ساعده التّوفيق و دخل تحت حكومة نبىٍّ بالبيعة العامّة او ولىٍّ بالبيعة الخاصّة ينجيه ذلك النّبىّ اوالولىّ من حكومة النّفس ويخرجه تدريجاً من ظلماته ، وان لم يدخل تحت حكومة خلفاء الله يبقى فى تلك الظّلمات ابد الآباد ، اعاذنا الله منها . فارسال الرّسل وانزال الوحى والاحكام عليهم ليس الّا لاخراج العباد بالتّدريج من ظلماتهم الّتى كانوا فيها الى نور القلب و من جهنّام انفسهم الّتى هى سنخ جهنّم الآخرة الى ذروة القلب الّذى هوسنخ جنان الآخرة ، والاذن فى الاخراج عبارة عن امره تعالى

للرّسل(ع) بتبليغ الاحكام ، والاذن فى الخروج عبارة عن استعداد الخلق للسّلوك و الخروج من هذه الجهنّام الى تلك الجنان وعن امره التّكوينىّ والتّكليفىّ على السنة الخلفاء بالخروج ، ولمّا كان القلب صراطاً الى العقل والعقل صراطاً الى الحقّ العزيز ابدل من قوله الى النّور قوله الى صراط العزيز الحميد [اَللهِ الَّذى لَهُ ما فِى السَّمٰواتِ وَما فِى الْاَرْضِ] ابدل الله من العزيز اشعاراً بوصفه الى علّة عزّته ومحموديّته [وَوَيْلٌ لِلْكافِرينَ] بالله او بمحمّدٍ(ص) او بالكتاب او بالنّور او بالصّراط [مِنْ عَذابٍ شَديدٍ] الويل الهلاك اوهو وادٍ فى جهنّم اوبئر [اَلَّذينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيا عَلَى الْاٰخِرَةِ] صفة للكافرين وبيان له .

اعلم ، انّ الانسان واقع بين الدّنيا والآخرة وبعبارةٍ اخرى بين مراتب النّفس ومدارج القلب وهو فطرىّ التّعلّق ذاتىّ الرّبط فان كفر بالآخرة تعلّق بالدّنيا ، وان كفر بالدّنيا تعلّق بالآخرة ، وكلّ ما تعلّق به اختاره على ما لم يتعلّق به فالكافر بالآخرة لامحالة متعلّق بالدّنيا ومختار لها على الآخرة والمتمكّن فى الكفر يستمرّ استحبابه للدّنيا كما انّ المتمكّن فى الايمان يستمرّ استحبابه للآخرة، والمتلوّن فيهما قد يستحبّ الدّنيا وقد يستحبّ الآخرة ولمّا كان صيغة الكافرين بحسب الاستعمال يتبادر منها المتمكّنون فى الكفر اتى بالاستحباب بصيغة المضارع الدّالّ على الاستمرار وعقّبه بقوله [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَيَبْغُونَها عِوَجًا] مضارعاً دالّاً على الاستمرار والّا فالمتلوّنون فى الكفر كثيراً ما لايصدّون عن سبيل الله ولا يبغونها عوجاً بل يبغونها قيّماً [اُولٰئِكَ فى ضَلالٍ بَعيدٍ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز [وَما اَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ اِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ] كأنّهم توهّموا انّ الرّسول من الله لابدّ وان يكون لسانه لساناً عربيّاً لايعرفه احد من اصحاب اللّغات ولعلّهم اجروا على السنتهم ذلك فقال : وما ارسلنا رسولاً الّا بلسان قومه [لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] فانّ المقصود من الارسال التّبليغ ولايمكن الّا بالبيان الّذى يتفطّن به المرسل اليهم ، وما يقال : انّ الآية تدلّ على انّه (ص) رسول الى العرب خاصّةً لايتجاوز رسالته غيرهم فى غاية البعد للفرق بين ان يقال : ما ارسلنا رسولاً الّا بلسان قومه وبين ان يقال : ما ارسلنا رسولاً الا الى اهل لغته [فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدى مَنْ يَشاءُ] بالخذلان والتّوفيق [وَهُوَ الْعَزيزُ] لايمنع ممّا يشاء [الْحَكيمُ] لايخذل ولا يوفق الّا عن حكمة مقتضية له [وَلَقَدْ اَرْسَلْنا مُوسٰى بِاٰياتِنا اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُماتِ اِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِاَيّامِ اللهِ] قد غلب اليوم فى العرف للواقعة الغريبة الواقعة فيه فايّام الله على هذا عبارة عن الوقائع الواقعة على الامم الماضية وقد فسّرت فى الاخبار بنعم الله وآلائه ، وهذا التّفسير من تشريف الاضافة الى الله فانّ اليوم المنسوب الى الله لابدّ و ان يكون اشرف الايّام ، وشرافته بانعامه تعالى فيه فاستعمل الايّام فى النّعم الّتى وقعت فيها هذا بحسب الظّاهر ، وامّا على التّحقيق فايّام الله عبارة عن مراتب الآخرة ومقامات الانسان من عالم المثال والنّفوس والصّافّات صفّاً والمقرّبين ومن القلب والرّوح والعقل الى آخر المراتب وكذا المراتب النّازلة من جهنّام النّفس و دركاتها والجحيم وطبقاتها، ولعلّ التّفسير بالوقائع والنّقم وبالآلاء والنّعم للاشارة الى ما فى تلك المراتب [اِنَّ فى ذٰلِكَ] التّذكير [لَاٰياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ] على البلاء [شَكُورٍ] على النّعماء [وَاِذْ قالَ مُوسٰى] وذكّرهم اذقال موسى [لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجيكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ] باستعبادكم [وَيُذَبِّحُونَ اَبْناءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِساءَكُمْ] بدل تفصيلىّ [وَفى ذٰلكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ] فى سوء العذاب ابتلاء او فى الانجاء نعمة [وَاِذْتَاَذَّنَ] علم [رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ] نعمة الانجاء [لَاَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ] بالطّغيان وترك العمل بطاعته [اِنَّ عَذابى لَشَديدٌ] وقد فسّر الشّكر بمعرفة القلب انّ النّعمة من الله ويقول الحمد لله [وَقالَ مُوسىٰ اِنْ تَكْفُرُوا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَميعاً فَاِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ] فلايحصل له حاجة بكفركم [حَميدٌ] لاينقص من محموديّته بترككم حمده [اَلَمْ يَاْتِكُمْ نَبَؤُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] خطاب من الله لامّة محمّد(ص) اومقول قول موسى (ع) وعلى اىّ تقدير فهو تذكير بالايّام الماضية ليعتبروا ولا يفعلوا مثل ما فعلوا [قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ] من الرّسل واممهم [لايَعْلَمُهُمْ] عدّة وعدّة ومدّة وحيزاً وقصّةً [اِلَّا اللهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ] باحكام النّبوّة الشّاهدة على صدق الاتى بها بمضمون اعرفوا الرّسول بالرّسالة [فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فى اَفْواهِهِمْ] كناية عن شدّة الغيظ حيث انّ المغتاظ يعض لغاية الغيظ على يده طبعاً كقوله عضّوا عليكم الانامل من الغيظ ، اوكناية عن غاية التّعجّب والاستهزاء لانّ المتعجّب يضع يده على فمه طبعاً، اوكناية عن الاشارة الى الانبياء(ع) بالاسكات فانّ من اراد ان يشير الى غيره بالاسكات يضع يده على فم نفسه اشارة الى اسكات المتكلّم ، و قيل : ردّوها فى افواه الانبياء لمنعهم من الكلام و حينئذٍ يحتمل ان يكون على حقيقته وان يكون تمثيلاً للمنع عن الكلام [وَقالُوا اِنّا كَفَرْنا بِما اُرْسِلْتُمْ بِهِ وَاِنّا لَفى شَكٍّ مِمّا تَدْعُونَنا اِلَيْهِ مُريبٍ قالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِى اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلىٰ اَجَلٍ مُسَمًّى] ذكروا صفة الفاطريّة و الخالقيّة الّتى لا يبقى معها شكّ فيه ثمّ ذكروا انّ دعوته لمغفرتكم فى الآخرة ولطول اعماركم فى الدّنيا حتّى يرغبوا فى قبول دعوته [قالُوا اِنْ اَنْتُمْ اِلّا بَشَرٌ مِثْلُنا] فلاامتياز لكم عنّا بانفسكم حتّى تستحقّوا بذلك اتّباعنا لكم ومانرى ممّا تدعوننا اليه شيئاً الّاالانصراف عن آلهتنا فانتم [تُريدُونَ اَنْ تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَاْتُونا بِسُلْطانٍ مُبينٍ] حجّة موضحة لصدقكم اوواضحة الحجيّة حتّى نتّبعكم بذلك [قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَحْنُ اِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] لاندّعى الامتياز عنكم بحسب البشريّة [وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ] بالوحى والارسال الى العباد وبذلك نمتاز عنكم [وَما كانَ لَنا اَنْ نَاْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ اِلّا بِاِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] يعنى نتوكّل و نبلّغ ولا نبالى بكم وبردّكم وقبولكم و اذاكم لكنّهم علّقوا التّوكّل على وصف الايمان اشعاراً بانّ الايمان يقتضى ذلك [وَما لَنا اَلّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدٰينا سُبُلَنا] جمع السّبل باعتبار جمع الرّسل او باعتبار انّ لكلّ سبلاً عديدة الى الخيرات والشّرور [وَلَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ ما آذَيْتُمُونا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ] يعنى من اراد التّوكّل فلايتوكّل الّا على الله فانّه الحقيق بان يتوكّل عليه لانّه عالم بجميع جهات ماتوكّل عليه فيه وقادر على حفظه ووافٍ لايخون فيما عليه وكالته [وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ اَرْضِنا اَوْ لَتَعُودُنَّ فى مِلَّتِنا] ذكر العود لاعتقادهم انّ رسلهم(ع) قبل اظهار الرّسالة كانوا على دينهم [فَاَوْحىٰ

اِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ] تقوية لتوكّلهم وصبرهم [لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ] هذا الخطاب لجميع الرّسل فى العوالم الانسانيّة واسكانهم فى الارض الصّغيرة الانسانيّة وكان لبعض الرّسل فى العالم الكبير [ذٰلِكَ] الاهلاك او الاهلاك و اسكان الرّسل (ع) [لِ] انتفاع [مَنْ خافَ] او ذلك الاهلاك و الاسكان كما يكون للرّسل فهو ثابت لمن خاف [مَقامي] وموقفى للحساب [وَخافَ وَعيدِ وَاسْتَفْتَحُوا] اى الرّسل (ع) اوالامم المنكرة اوالجميع لانّ كلّا استفتحوا من الله و المعنى طلبوا الفتح على اعدائهم اوالفتاحة و الحكومة بينهم وبين اعدائهم [وَخابَ] فى ذلك الاستفتاح [كُلُّ جَبّارٍ عَنيدٍ] متكبّر معاند للحقّ منكرله [مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقى مِنْ ماءٍ صَديدٍ] الصّديد القيح والدّم الّذى يخرج من الجلود بالنّار و فى اخبارنا هو ما يسيل من الدّم والقيح من فروج الزّوانى فى النّار ووصف الماء الصّديد بتشوية الوجوه وقطع الامعاء واخراجها من دبر صاحبها كثير فى الاخبار [يَتَجَرَّعُهُ] يتكلّفه جرعة جرعة لغاية كراهته له [وَلا يَكادُ يُسيغُهُ وَيَأْتيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ] بحسب اسبابه لانّه يحيط به اسبابه من جميع جهاته [وَما هُوَ بِمَيِّتٍ] فيستريح [وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَليظٌ] اعاذنا الله بمنّه وفضله وقدم احسانه، وقد فسّر العذاب الغليظ الّذى له بعد ذلك العذاب بحميم تغلى به جهنّم منذ خلقت كالمهل يشوى الوجوه بئس الشّراب وساءت مرتفقاً [مَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ] اى حكايتهم وشأنهم فى احوالهم واعمالهم وقبولها اوردّها [اَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرّيحُ] حملته واسرعت الذّهاب به [في يَوْمٍ عاصِفٍ] اى عاصف ريحه فانّ العصف شدّة الرّيح تعريض بمنافقى الامّة لانّهم اغترّوا بما عملوه فى الاسلام من العبادات و الانفاقات والاعتاقات و تركوا الولاية وكفروا به فكفروا بمحمّد (ص) فكفروا بالله و ان فسّر ربّهم بالرّبّ المضاف فالمعنى واضح [لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا] فى الاسلام [عَلى شَيْءٍ] يعنى لا يصلون الى جزاء شيء ممّا كسبوا فانّ سلب القدرة كثيراً ما يستعمل فى عدم وصول اليد [ذٰلِكَ] التّعب فى العمل و عدم القدرة على شيء من جزائه مع حسبان انّهم يحسنون صنعاً [هُوَ الضَّلالُ الْبَعيدُ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز [اَلَمْ تَرَ] يا محمّد (ص) او يا من يتأتّى منه الرّؤية [اَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ] اى متلبّساً بالحقّ لانّه لا باطل فيه اوبواسطة الحقّ الّذى هو الولاية المطلقة فلا بأس بانكارهم ولا نقص لها بذلك الانكار [اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَديدٍ] ابرز الامر المتحقّق فى معرض المشكوك تهديداً لهم لانّه يوهم الاذهاب فى الآن الحاضر و الّا فليس له شأن سوى الاذهاب و الاتيان بخلق جديد [وَما ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزيزٍ] بمتعذّر ولا متعسّر لانّه واقع [وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَميعًا] يعنى يوم القيامة ، أتى بالماضى للدّلالة على تحقّق وقوعه اولانّ الخطاب لمحمّد (ص) وامر القيامة مشهود له [فَقالَ الضُّعَفاءُ] اى الاتباع [لِلَّذينَ اسْتَكْبَرُوا] اى المتبوعين و قد فسّر على الاستكبار بترك الطّاعة لمن امروا بطاعته و التّرفّع على من ندبوا الى متابعته [اِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعًا] استغاثوا بهم كما ظنّوا فى الدّنيا انّهم يغيثونهم فى الآخرة لانّ المراد بالرّؤساء هم المترئّسون فى الدّين صورة لا رؤساء الدّنيا و استعطفوهم بذكر تبعيّتهم لهم [فَهَلْ اَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا] دافعون عنّا [مِنْ عَذابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قالُوا] فى جوابهم [لَوْ هَدانَا اللهُ] فى الدّنيا

و ههنا الى طريق النّجاة علّقوا تقصيرهم على عدم هداية الله كما هو ديدن النّساء بعد ما اعترفن بسوء فعلهنّ، اوالمرادبهذاالشرط الشرط فى الاستقبال يعنى ان هدينا الله ههنا الى طريق الخلاص [لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا] يعنى عليكم وعلينا [أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ] منجى ومهرب [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ] اى امر الدّنيا، [إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ] انّ الله بلسان مظهره محمّد(ص) وعلىّ(ع) وعدكم وعد الحقّ [وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ] تسلّط و اجبار [إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ] استثناء منقطع اى دعوتكم وزيّنت لكم الكفر والعصيان [فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي] فانّى كنت عدوّاً لكم وماكان عداوتى مخفيّة عليكم ومن قبل قول العدو يلام، على انّ المدعوّ الى الشّرّ اوالى مالايعلم ضرّه ونفعه ملوم فى اجابته [وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ] اى تبرّأت من اشراككم ايّاى بالله فى الطّاعة اواشراككم ايّاى بعلىّ(ع) فى الولاية [إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] من تتمّة كلامه اواستيناف من الله وحكاية امثال هذه انّما هى للتّنبيه على انّ اهل الدّنيا فى الحقيقة هم اهل النّار لانّهم كلّما اتّفقوا على امر ولا يقضون منه مرامهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرّء بعضهم من بعض ويرمى بذلك الامر بعضهم بعضاً [وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً] علىّ(ع) ودعوته هو الكلمة الطّيّبة [كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ] من حيث الاثمار لايتضرّر احد بثمرها، ومن حيث الرّيح والظّلّ والمنظر [أَصْلُهَا ثَابِتٌ] لا يتحرّك ولا ينقل من مكانه [وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ] فى الصّيف و الشّتاء و الخريف والرّبيع [بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ] لانّهم لا يدركون المعقولات الّا بالصّور المحسوسة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] عن الصّادق (ع) انّه سئل عن الشّجرة فى هذه الآية فقال: رسول الله (ص) اصلها، وامير المؤمنين(ع) فرعها، والائمّة من ذرّيّتهما اغصانها، وعلم الائمّة(ع) ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، والاخبار بهذا المضمون كثيرة [وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ] غيّر الاسلوب بانّ المقصود بالذّات من ضرب الامثال هو الاخيار وامثالهم وامّا الاشرار فليست مقصودة الّا بالتّبع [اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ] لانّها لاثبات لها كالمرأة الّتى لاثبات لها على شيءٍ من آرائها و اقوالها وعهودها [مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ] كالنّتيجة لماقبله يعنى بعدماعلم انّ محمّداً(ص) وعليّاً(ع) هما الشّجرة الطّيّبة الثّابتة فمن آمن بهما يثبّته الله بهما وهما القول الثّابت اوبايمانه وهو ايضاً قول ثابت [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] فلايشكّون فى دينهم وفى آخر الحيوة الدّنيا فلايمكن للشّيطان ان يفتنهم عندالموت [وَفِي الْآخِرَةِ] فلا يزلفون الى النّار [وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ] الّذين انصرفوا عن الشّجرة الطّيّبة الى الشّجرة الخبيثة لانّهم ظلموا انفسهم بمنعها عن حقّها الّذى هو اتّباعها للشّجرة الطّيّبة وظلموا آل محمّد(ص) بمنعهم عن حقّهم الّذى هو انقيادهم لهم واضلالهم يكون عن طريق الجنان الى الجحيم كما انّهم ضلّوا فى الدّنيا عن صاحب الجنان الى صاحب الجحيم [وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] امّا من قبيل لايسأل عمّا يفعل، اوالمقصود رفع الاغترار عن المؤمنين ورفع اليأس عن

الكافرين بامكان التّبديل [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ كُفْرًا وَ اَحَلُّوا قَوْمَهُمْ] فى العالم الصّغير وفى العالم الكبير [دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ الْقَرارُ] وقد فسّر فى الاخبار الّذين بدّلوا نعمة الله بالافجرين من قريش بنى اميّة وبنى المغيرة، ونعمة الله بمحمّد(ص) وفسّروا بقريش قاطبة ونعمة الله بمحمّد(ص) و فسّر نعمة الله بعلىّ(ع) والمبدّلون بالمنحرفين عنه (ع) [وجعلُوا لِلّٰهِ اَنْداداً] كالاصنام والكواكب وغيرها، او جعلوا لله فى العالم الصّغير انداداً من انانيّاتهم فانّ مبدء الانداد فى الخارج هى الاصنام الدّاخلة او جعلوا لله بحسب مظاهره انداداً يعنى جعلوا لمحمّد(ص) وعلىّ(ع) انداداً [لِيُضِلُّوا عَنْ سَبيلِهِ] وهو علىّ(ع) وطريق الولاية [قُلْ تَمَتَّعُوا] تهديد بصيغة الامر [فَاِنَّ مَصيرَكُمْ اِلَى النّارِ قُلْ لِعِبادِيَ الَّذينَ آمَنُوا يُقيمُوا الصَّلٰوةَ] ترك مقول القول للاشارة الى انّ قوله (ص) وتوجّهه اليهم يؤثّر فيهم بحيث يجعلهم على اشرف اوصاف الانسان وهو اصل جملة العبادات يعنى اقامة الصّلٰوة وايتاء الزّكوة فلاحاجة الى تقدير المحكىّ، وتخصيص القول بان يقال قل : اقيموا الصّلٰوة يقيموا الصّلٰوة [وَيُنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ] من الاعراض و القوى العمّالة والعلّامة والوجاهة والحشمة [سِرًّا] من النّاس ومن المنفق عليه ومن الملائكة ومن انفسهم [وَعَلانِيَةً] ويحتمل ان يكونا متعلّقين برزقناهم اشارة الى النّعم الظّاهرة و الباطنة [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لابَيْعٌ فيهِ] فيبتاع المقصّر ما يتدارك به تقصيره اويبيع ماله ويفدى بثمنه نفسه [وَلاخِلالٌ] لا محالة بين احد فيشفع الخليل لخليله [اَللّٰهُ الَّذى خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضَ] لاغيره فمابالكم يأمركم بالانفاق مع انّ الكلّ بيده فتبخلون [وَاَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِى الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْاَنْهارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دائِبَيْنِ] على نظامٍ واحدٍ من غير تغيّرٍ عن طريقهما فى الحركة [وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ] وبتسخيرهما يتولّد ويحصل اصول معيشتكم [وَآتيكُمْ مِنْ كُلِّ ماسَأَلْتُمُوهُ] بلسان الاستعداد وان كان قد لايعطى ماسألتموه بلسان القال، وقرأ الصّادقان(ع): من كلٍّ بالتّنوين و لعلّه كان اوفق بالمقصود اذ السّؤال بلسان الحال لايتخلّف المسؤل عنه والله تعالى يعطى كلّاً من كلّ شيءٍ بقدر ذلك السّؤال ؛ ولسان القال ان لم يكن موافقاً للسان الحال يتخلّف المسؤل عن السّؤال كما يشاهد من اكثر السّائلين المتضرّعين الّذين يتخلّف عنهم مسؤلهم .

اعلم ، انّ الله تعالى ناظر الى سؤال الاستعداد ومعطٍ بقدره فالمادّة الانسانيّة تسأل نضجاً بالقوى النّباتيّة من الغاذية بجنودها و النّامية بجنودها و المولّدة باعوانها ، ومستقرّاً من الكليتين والبيضتين وبعد تمام نضجها تستدعى وعاءً تستقرّ فيه و تنمو و تتبدّل من صورةٍ الى صورةٍ و من حالٍ الى حالٍ وتستدعى مربّياً يربّيها من النّفوس البالغة و متصرّفاً فى ذاتها من القوى النّباتيّة بمراتبها الى ان يبلغ اوان تولّدها و بعد التّولّد تستدعى الف الف ملك والف الف قوّة بها يتمّ فعلها ونموّها وبلوغها وخروجها من الدّنيا الى الآخرة فأعطاها الله كلّها، هذا بحسب ما ندركه بمدركاتنا القاصرة و امّا ما لاندركه فغير متناهية الى حدّ [وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ] الّتى اعطاكموها بمسئلتكم [لاتُحْصُوها اِنَّ الْاِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ] جواب سؤالٍ عن حال الانسان بازاء تلك النّعم يعنى انّه ظلوم لانّه لا يستعمل النّعم فيما اعطيت له ويمنع المستحقّ عن الحقّ و يعطى لغير المستحقّ ،

وكفّار لأنّه يستر انعام الحقّ فى النّعمة ولا ينظر الى الانعام ولا الى المنعم بل الى ذات النّعمة من غير اعتبار كونها نعمةً من غيره بل يضيفها الى نفسه ويقول: انّما اوتيته على علمٍ واستحقاق من نفسى [وَإِذْقَالَ إِبْرٰهِيمُ] واذكر اوذكّر قومك دعوة ابراهيم (ع) ومقالته فانّ فيها ترغيباً الى الخيرات وترهيباً عن الاشراك ومعرفةً لبعض اوصاف الله وتعليماً لطريق التّضرّع والمسألة منه وبياناً لشرف ذرّيّته وفى بيان شرفهم ترغيب للخلق اليهم، وفى رغبتهم اليهم نجاة لهم فى الآخرة وشرافة فى الدّنيا [رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا] ذا امنٍ .

اعلم ، انّ بلدة مكّة وعمارتها كانت بسعى ابراهيم (ع) وتعميره كما انّ البيت كان بسعيه وتعميره فكان البلد مظهراً لصدره المنشرح بالاسلام المطهّر من الوساوس والارجاس ، والبيت مظهراً لقلبه الّذى هو بيت الله الحقيقىّ و قد اجاب تعالى شأنه دعاءه حيث جعل صدره مأمناً عن كلّ شرّ و فساد و بلده مأمناً بالمواضعة لامره التّكليفىّ ان لا يتعرّض لاحدٍ ولا لحيوان ولا نبات كان فى الحرم [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ اَنْ نَعْبُدَ الْاَصْنٰامَ] المصنوعة اواصنام الاهوية اوكلّ ما يطاع ويعبد من دون اذن الله [رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النّٰاسِ] صرن سبباً لاضلالهم او اضللن بما ظهر من الشّيطان على صورهنّ من خوارق العادات و ايضاً رؤساء الضّلالة الّذين هم الاصنام البشريّة اضللن كثيراً من النّاس [فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي] الفاء جواب شرطٍ محذوفٍ كأنّه قال : فان أجبتنى الى مسؤلى فمن تبعنى فانّه منّى فأجبنى فى حقّه ايضاً و المقصود بالتّبعة التّبعيّة الحقيقيّة الّتى تحصل بالبيعة العامّة اوالخاصّة ولمّا كان التّابع يصير بتلك البيعة مرتبطاً بالمتبوع بل متولّداً منه من حيث لطيفته التّابعة الرّوحية فالتّابع بتلك التّبعيّة يصير جزءً من المتبوع فيصير بعضاً منه ويصير متولّداً منه فيصير ناشئاً منه [وَمَنْ عَصٰانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] فعاملهم بشأنك لا بشأنهم وقد ورد فى اخبارنا الاماميّة انّ من أحبّنا فهو منّا ، ومن اطاعنا فهو منّا ، ومن اتّقى وأصلح فهو منّا اهل البيت [رَبَّنٰا إِنِّي اَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي] بعض ذرّيّتى و هو اسماعيل وقد ورد فى اخبارنا : نحن بقيّة تلك الذرّيّة ونحن هم ، ونحن بقيّة تلك العترة وكانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصّةً [بِوٰادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ] وادى مكّة [عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ] الّذى حرّم التّهاون به والتّعرّض بمن كان فى نواحيه وماكان فيها [رَبَّنٰا لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ] لمّا كان المقيم فى بلد الصّدر المنشرح بالاسلام والطّائف حول بيت القلب مقيماً للصّلوة متوجّهاً الى الله وكان بلد مكّة وبيت الكعبة مظهرين لهما كان من كان مقيماً فيهما وكان فيه لطيفة آلهيّة يتوجّه الى الله توجّهاً اقوى واتمّ ، ولذلك جعل الغاية اقامة الصّلوة [فَاجْعَلْ اَفْئِدَةً مِنَ النّٰاسِ] اى من بعضهم، وفى اخبارنا انّه لم يعن النّاس كلّهم اولئك انتم ونظراؤكم؛ بالخطاب لشيعتهم، وورد انّه: ينبغى للنّاس ان يحجّوا هذا البيت ويعظّموه لتعظيم الله ايّاه وان يلقونا حيث كنّا، نحن الادلاء على الله [تَهْوِي إِلَيْهِمْ] قرئ بكسر الواو وفتحها من هوى اذا سقط ، وهوى اذا احبّ ، وعلى اىّ تقديرٍ فهو يدلّ على كمال المحبّة والاشتياق ، وورد فى اخبارنا : انّ دعوة ابراهيم (ع) كانت فى حقّنا حيث لم يقل تهوى اليه حتّى يرجع الى البيت بل قال اليهم حالكون الضّمير راجعاً الى الذّرّيّة ، وفى هذه الدّعوة طلب للتّوسعة على الذّرّيّة و طلب للنّجاة و الفلاح للخلق [وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرٰاتِ] ثمرات الاشجار الطّبيعيّة و ثمرات الاشجار الرّوحيّة وهى الوداد و الانقياد والذّوق والمعرفة والوصال والاتّحاد وغيرذلك ممّا يظهر فى المعاد [لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] وبعد اتمام ما اراد من الدّعاء انتقل من مقام التّضرّع الى مقام الثّناء مثنياً بما يعين

على اجابة دعوته فقال [رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ] فانت العالم بحاجاتنا ومصالحنا سألنا اولم نسأل [وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] تعميم بعد تخصيص والتفات من الخطاب الى الغيبة اشارة الى تنزّله عن مقام الحضور ثمّ انتقل عن مقام الثّناء الى مقام الالتفات الى النّعمة والقيام بشكرها فقال [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ] مشتملاً على كبر السّنّ و اليأس عن الولد قيّد الثّناء به اظهاراً لعظمة النّعمة دلالة على كمال القدرة [إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ] قيل ولد اسماعيل (ع) حالكونه ابن تسعٍ وتسعين، وولد اسحاق (ع) حالكونه ابن مائة واثنتى عشرة سنةً [إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] ذكر ذلك اظهاراً لنعمة اخرى هي اجابته له في دعاء الولد، ورجاءً لاجابة دعائه الماضي وتمهيداً لاجابة دعائه الآتي [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ] اقامة الصّلوة بان يكون صلوة القالب متّصلة بصلوة القلب وهي متّصلة بصلوة الرّوح [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] لمّا علم انّ اقامة الصّلوة بحيث صارت سجيّة للمصلّي المستفاد من لفظ مقيم الصّلوة خاصّة بمن له درجة النّبوّة اوالولاية وانّ جميع ذراريه لايكونون انبياء اتى بمن التّبعيضيّة [رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ] بالاجابة [رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ] آدم (ع) وحوّاء (ع) كما نسب الى الخبر اووالديه القريبين، ونسب الى اهل البيت (ع) انّهم قرأوا لولديّ يعنى اسماعيل (ع) واسحاق (ع) [وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ] استيناف كلام من الله اوعطف على اذقال وعامله والخطاب لمحمّدٍ (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الحسبان [غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ] وعيد للظّالم ووعد للمظلوم [إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ] بالامهال [لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ] تبقى مفتوحة لايقدرون ان يطرفوا [مُهْطِعِينَ] مسرعين الى اجابة الدّاعى [مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ] رافعيها [لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ] لايقدرون ان ينظروا الى انفسهم لكمال دهشتهم وحيرتهم [وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ] خلاء عن الرّأى لفرط الوحشة، اوعن الخير لغلبة الشّقوة، وقيل: منصدّعة من فرط الدّهشة [وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] من يوم يأتيهم العذاب اوهومبنيّ وبدل من يوم تشخص فيه الابصار اوهوظرف للافعال السّابقة اومتعلّق بذكر بدلاً من انذر النّاس والمراد منه يوم حضور الموت [فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ] اى يقال لهم ذلك [وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] يعنى استننتم بسننهم ووقفتم فى مقامهم اوسكنتم فى منازلهم الصّوريّة بحيث شاهدتم آثار عذابهم وهلاكهم [وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ] موافقة لاحوالكم وانتقالكم الى الآخرة، اوضربنا لكم امثال الّذين ظلموا حتّى تتنبّهوا وتجتنبوا مثل افعالهم [وَقَدْ مَكَرُوا] صرف الخطاب عنهم اوالضّمير راجع الى الّذين ظلموا [مَكْرَهُمْ] ماكان فى وسعهم وجهدهم [وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ] يعنى مكرهم ثابت عندالله فيجازيهم عليه، اوعندالله مكرهم فلاينفذ ولايؤثّر الّا باذنه، اوعندالله مكرهم يعنى ان يمكر بهم مكراً لائقاً بحالهم [وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ] انّه كان مكرهم اوان شرطيّة وصليّة اونافية اى وان كان مكرهم لعظمه مستعدّاً [لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] وماكان مكرهم لتزول منه الجبال بل كان اعظم، وقرئ بفتح اللّام ورفع الفعل على

ان يكون ان هي المخفّفة واللّام للفصل [فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ] بوعد النّصرة واسكان الارض من غير معاند [اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] فى موضع التّعليل [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ] بدل من يوم يأتيهم العذاب اوظرف لمخلف وعده اولعزيزٌ اولذوانتقامٍ اومتعلّق بذكّر اواذكر مقدّراً [غَيْرَ الْاَرْضِ والسَّمٰوٰاتُ] او تبدّل ارض عالم الطّبع ارض عالم البرزخ وارض عالم المثال وذلك حين ظهور القائم عجّل الله فرجه فى العالم الصّغير بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ ، وهو حين اتيان السّاعة والقيامة الصّغرى كمافسّر السّاعة بظهور القائم وبالقيامة وتلك الارض المبدّلة لمّا لم يكن معهامادّة حاجبة وظلمة وامتداد مكانىّ وبعد جسمانىّ لاترى فيهاعوجاً ولا امتاً بحيث ترى البيضة الّتى فى المغرب من المشرق ، وكذا لا يحجب اهل تلك الارض ولاقصورها بعضها بعضاً بل يرى الكلّ فى الكلّ ومن وراء الكلّ ، لانّ الكلّ مرائى متعاكسات وغيرحاجبات لما وراءها و لذلك قال [وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ] بحيث كلّماكان باطناً منهم فى الدّنيا صار بارزاً هناك وتحدّث الارض اخبارها بابراز ما كان مكموناً فيها ، والتّوصيف بالوحدة و القهّاريّة لظهورسلطان الوحدة هناك [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِى الْاَصْفٰادِ] جمع الصّفد بمعنى القيد وذلك لانّ اصفادهم المكمونة فى الدّنيا تبرز هناك [سَرٰابِيلُهُمْ] قمصانهم [مِنْ قَطِرٰانٍ] القطران بفتح القاف وكسر الطّاء وهو قراءته بالفتح والسّكون وبالكسر والسّكون شيءٌ اسود منتن يحلب من الابهل وهو شجر كبيرورقه كالطّرفاء يطلى به الابل الجربى يحرق الجرب بحدّته ويشتعل النّارفيه سريعاً، والمقصود انّهم يطلون بالقطران فيجعل لهم كالقمصان حتّى يتأذّوا بريحه ولونه وحدّته ويسرع اليهم اشتعال النّار، وقرئ من قطرٍ آنٍ كلمتين منوّنتين والقطرهو الصّفرالمذاب والانى البالغ فى الحرّ وكأنّه بهذه القراءة فسّر فى الاخبار بالصّفر المذاب [وَتَغْشٰى وُجُوهَهُمُ النّٰارُ] كناية عن غاية عجزهم وشدّة ابتلائهم فانّ الانسان مهماكان له قدرة وحراك يدفع الموذى عن وجهه وان كان بجعل بعض اعضائه جنّة له [لِيَجْزِىَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ] متعلّق بتبدّل الارض اوببرزوا [اِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسٰابَ هٰذٰا] المذكور ههنا من قوله ولا تحسبنّ الله (الى آخر الآية) وامّاكونه اشارة الى القرآن او الى السّورة فبعيد لانّ هذاالكلام يقال فيما لاقدرله بالاضافة الى غيره فيقال هذاالقدر يكفى [بَلٰاغٌ] كفاية وكاف [لِلنّٰاسِ] اى لجملة المؤمنين والكافرين [وَلِيُنْذَرُوا بِهِ] اى لينصحوا به ولينذروا، اوالمعطوف محذوف اى وانزل لينذروا به [وَلِيَعْلَمُوا اَنَّمٰا هُوَ اِلٰهٌ وٰاحِدٌ] انّماالله اله ومستحقّ للمعبوديّة واحد لا ثانى له فى المعبوديّة [وَلِيَذَّكَّرَ اُولُوا الْاَلْبٰابِ] رتّب على كونه بلاغاً ثلاث فوائد: الانذار بالنّسبة الى الكفّار، والعلم بوحدانيّته بالنّسبة الى المستعدّين للايمان، والتّذكّر بالنّسبة الى المؤمنين العالمين ، ويحتمل ان يكون المعنى هكذا: هذا المذكورنزل لبلوغه الى النّاس، ولينذروا به ، فيكون لينذروا به عطفاً على بلاغٌ باعتبار المعنى .

سورة الحجر

تسع وتسعون آية وهى مكّيّة كلّها ، وقيل : الّاقوله : ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ، والّاقوله : كما أنزلنا على المقتسمين

[الجزء الرّابع عشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ] ظاهر الصّدق و المعنى اويبيّن الغىّ عن الرّشد و الحقّ عن الباطل ، وعطف القرآن على الكتاب للاشارة الى انّ المشار اليه كما انّه آيات كتاب النّبوّة وكتاب الفرق كذلك آيات كتاب الولاية وكتاب الجمع ، و تنكير القرآن للاشارة الى انّه آيات شأن من شؤن الولاية لا انّه آيات حقيقة الولاية [رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ] قرئ بتخفيف ربّ و تشديدها و ما كافّة او نكرة موصوفة ، و لو للتّمنّى او مصدريّة ؛ و المعنى يودّ الّذين كفروكثيراً اسلامهم حين الافاقة من سكر اهويتهم او حين الملال من تعب كفرهم ، و استعمال ربّ للتّكثير كاستعماله للتّقليل شائع كثير ، و فى ربّ ستّ عشرة لغة ضمّ الرّاء و فتحها مع تشديد الباء و تخفيفها مفتوحة و الكلّ مع تجرّدها عن التّاء و اتّصالها بها حالكون التّاء ساكنة و مفتوحة و ضمّ الحرفين مع التّشديد و التّخفيف و ضمّ الرّاء و فتحها مع اسكان الباء مخفّفة [ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا] كما يأكل الانعام فانّ المقصود منه هذا المعنى فى مثل المقام [وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة كفرهم وهو اقناط للرّسول عن اسلامهم و توهين و تهديد لهم [وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ] اجل مكتوب مثبت والمستثنى مفرّغ واقع موقع الحال ويكفى فى صحّة كون القرية ذا الحال وقوعه نكرة عامّة فى سياق النّفى [مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ] بعنون محمّداً (ص) [إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] بعنون انّك تدّعى بطلان عبادة الاصنام الّتى كانت قديمة و تدّعى التّوحيد الّذى ما سمعنا به من اسلافنا وليس هذا الّا بجنونك وعدم تأمّلك فى انّ مثل هذا لايقبل وانّه لاينفع لك ولايحصل لك الغرض منه [لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ] فانّ لله ملائكة كثيرة لو كان ارسلك الينا رسولاً لانزل معك ملائكة [إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] فقال تعالى ردّاً عليهم

[مٰا نُنَزِّلُ الْمَلٰائِكَةَ] قرئ بالنّون وبالياء والبناء للفاعل وبالتّاء والبناء للمفعول وبالتّاء والبناء للفاعل مفتوح التّاء اصله تتنزّل الملائكة [اِلّٰا بِالْحَقِّ] اى الّا مع الحقّ واذا جاء الحقّ لم يبق منكم اثر لأنّكم باطلون ولا يبقى الباطل مع الحقّ، وقد مرّ مراراً انّ الحقّ هو الولاية المطلقة وهى اضافة الحقّ الاوّل تعالى شأنه اضافة اشراقيّة وانّ كلّ حقّ فهو حقّ بحقيّته ولذلك قال [وَمٰا كٰانُوا اِذًا مُنْظَرِينَ اِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ] ردّ عليهم فى استهزائهم بذكر تنزيل الذّكر [وَاِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ] ولا ينافى حفظه تعالى للذّكر بحسب حقيقته التّحريف فى صورة تدوينه فانّ التّحريف ان وقع وقع فى الصّورة المماثلة له كما قال فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هو من عندالله وماهو من عندالله [وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْاَوَّلِينَ] فى فرقهم والشّيعة هى الفرقة المتّفقة على طريقة واحدة [وَمٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ اِلّٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ كَذٰلِكَ] الادخال على سبيل الاستهزاء اوكذلك الاستهزاء [نَسْلُكُهُ] ندخل الذّكر اوالاستهزاء [فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ بِهِ] حال عن المجرمين اوعن مفعول نسلكه، اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر، اومفسّره للجملة السّابقة [وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْاَوَّلِينَ] اى سنّة الله فى الاوّلين اوطريقتهم المستعقبة للعذاب فى الدّنيا و الآخرة [وَلَوْ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بٰابًا مِنَ السَّمٰاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقٰالُوا] لغاية عنادهم و تشكيكهم [اِنَّمٰا سُكِّرَتْ اَبْصٰارُنٰا] منعت من الابصار بالسّحر او جعلت حيارى كالسّكارى [بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ] سحرنا محمّد (ص) ولذا نرى صعودنا فى السّماء [وَلَقَدْ جَعَلْنٰا فِى السَّمٰاءِ بُرُوجًا] امّا المراد بها البروج المشهورة الاثنى عشر اومنازل القمر اودرجات مسير الشّمس الثّلاث مائة والسّتّون، وقد فسّر البروج بكلّ منها والبرج والقصر بمعنىً ومن غرائب الحكمة وعجائب الصّنع انّ الفلك مع بساطته ممتاز بعض اجزائه عن بعض بخواصّ وآثار، فانّ البروج الاثنى عشر وكذا المنازل الثّمانية والعشرون لكلّ اثر غير صاحبه كما علم بالتّجربة و أثبته المنجّمون فى كتب الاحكام [وَزَيَّنّٰاهٰا لِلنّٰاظِرِينَ] بالكواكب المنيرة [وَحَفِظْنٰاهٰا مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ] حفظ بروج سماء الارواح من الشّيطان واضح فانّ الشّياطين لكون عالمهم عالم الظّلمة والملكوت السّفلى لو صعدوا الى عالم الارواح لفنوا عن ذواتهم، وامّا بروج سماء الطّبع فقد يتوهّم انّهم يمكن لهم الصّعود اليها لتسلّطهم على عالم الطّبع على الاطلاق، لكنّ التّحقيق انّهم كما كانوا مطرودين من عالم الارواح كذلك مطرودون من الاجسام العالية، لانّها لعدم تركّبها عن المتضادّات وبساطتها وصفائها محالّ للملائكة المدبّرين ومتعلّقات للنّفوس العلويّة وللارواح العالية، فأجسام الافلاك بذواتها وان كانت لا تأبّى لها عن اتّصال الشّياطين بها لكنّ الارواح المتعلّقة بها تأبّى اتّصال الشّياطين بها [اِلّٰا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ] استثناء متّصل او منقطع.

بيان ردع الشّياطين بتولّد عيسى (ع) ومحمّد (ص) عن السّماوات

[فَاَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِينٌ] محقه و ادركه، و الشّهاب شعلة نار ساطعة و يطلق عليه اسم الكواكب فيقال كوكب انقضّ السّاعة و تتولّد الشّهب فى كرة الدّخان كما حقّق فى محلّه، وليست هى كواكب كما هو المشهور فى العرف وليست الشّياطين تتأذّى بها لكون الشّهب من المادّيّات والشّياطين من الرّوحانيّات، بل المراد بالشّهب القوى الرّوحانيّة المتضادّة للشّياطين الرّادعة لهم عن ساحة حضور الارواح الطّيّبه المتصوّرة للبصائر

المنفتحة بصور الشّهب سواء كان استراق السّمع من سماوات الطّبع او من سماوات الارواح، وبما ذكرنا من وجه ردع الشّياطين من سماوات الطّبع وسماوات الارواح يمكن التّفطّن بما ورد في الاخبار، من انّ الشّياطين كانوا يصعدون الى السّماوات، فلمّا ولد عيسى (ع) حجبوا عن ثلاثة منها وكانوا يخرقون اربع سماوات، فلمّا ولد رسول الله (ص) حجبوا عن السّبع، او كان الشّياطين يصعدون السّماء فلمّا ولد محمّد (ص) ردعوا بالشّهب وكان ليلة تولّده كثيرة الشّهب، وامثال ذلك كثيرة، مع انّ الشّياطين كانوا مطرودين من سماوات الارواح وكذا من سماوات الطّبع كما سبق والوجه في ذلك انّ السّماوات في العالم الصّغير قبل تولّد الكلمة العيسويّة كانت مجتمعة بالقوّة في السّماء الدّنيا وهى سماء النّفس الانسانيّة وهى محلّ تصرّف الشّياطين، فاذا تولّد الكلمة العيسويّة صار بعض ما بالقوّة بالفعل كسماء الصّدر المنشرح بالاسلام وسماء القلب وسماء النّفس الانسانيّة ويبقى الباقى بالقوّة ويطرد الشّياطين بواسطة تلك الكلمة عن هذه السّماوات، وبعد تولّد الكلمة المحمّديّة (ص) الجامعة لجميع المراتب بالفعل يصير جميع ما بالقوّة بالفعل فيتميّز السّماوات السّبع ويطرو الشّياطين من الكلّ، الّا انّه مترصّد من جهة النّفس الحيوانيّة لان يسترق حين الفرصة من سماء النّفس الانسانيّة الدّنيا استماع بعض الاشياء فيتّبعه شهاب تذكّر الانسان بنور الايمان واليه اشير بقوله: اذا مسّهم طائف من الشّيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون [وَالْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا وَأَلْقَيْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ] جبالا ثوابت وقد ذكر وجه الانتفاع ببسط الارض والقاء الجبال وانّ فيهما حكماً ومصالح كثيرة [وَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ] ان رجع ضمير فيها الى الجبال فالمراد بالموزون ما يوزن ويباع بالوزن كالفلزّات فانّها تنبت فى الجبال، وان رجع الى الارض فالمراد الموزون المقدّر لمنافعكم والمعدود لمصالحكم، وان كان راجعاً اليهما جميعاً فالمراد منه معنىً اعمّ من المعنيين [وَجَعَلْنٰا لَكُمْ فِيهٰا مَعٰايِشَ] ما تعيشون به من الملابس والمطاعم والمساكن والمراكب [وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرٰازِقِينَ] عطف على معايش اى وجعلنا لكم خدماً واماءً وعبيداً وانعاماً لستم لها برازقين وكان تغليباً لجانب ذوى العقول، اوعطف على المجرور فى لكم على بعد لعدم عادة حرف الجرّ و المعنى و جعلنا لكم معايش و جعلنا لمن لستم له برازقين معايش كالمجانين و السّفهاء وغيرهم من اهل الجزائر الّذين يعيشون كالبهائم والسّباع ويلحقون بها .

بيان انّ لكلّ شيءٍ خزائن عندالله

[وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّٰا عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ] اعلم، انّه قد يطلق الشّيء ويراد به ما يساوق الموجود فيشمل الحقّ الاوّل تعالى شأنه، وقد يطلق ويراد به الشّيء وجوده فلا يشمل الحقّ الاوّل ولا حضرة الاسماء ولا حضرة الفعل الّذى هو مبدء اضافاته، ويشمل الممكنات كلّها من حضرة العقول المعبّر عنها بالاقلام العالية والملائكة المقرّبين، وحضرة الارواح المعبّر عنها بارباب الانواع والصّافّات صفّاً، وحضرة النّفوس الكلّيّة المعبّر عنها بالالواح الكلّيّة المحفوظة والمدبّرات امراً، وحضرة النّفوس الجزئيّة المعبّر عنها بألواح المحو والاثبات وبعالم المثال باعتبارين ويشمل موجودات عالم الطّبع تماماً، وكلّ ما فى تلك الحضرات له حقيقة فى حضرة الاسماء وحقيقة فى حضرة الفعل و الاضافة الآلهيّة الاشراقيّة، وكلّ ما فى حضرة الفعل له حقيقة ايضاً فى حضرة الاسماء، وكلّ ما فى حضرة الارواح له حقيقة فى حضرة الاقلام وحقيقة فى حضرة الفعل وحقيقة فى حضرة الاسماء، وهكذا حضرة النّفوس الكلّيّة وما فيها وحضرة النّفوس الجزئيّة ومافيها وعالم الطّبع وما فيها، وبعبارةٍ اخرى كلّ دانٍ له صورة بالاستقلال فى العالى وصورة بالاستقلال فى عالى العالى وصورة بتبع العالى فى عالى العالى فلكلّ شيءٍ من الممكنات حقائق فى حضرة

الاسماء استقلالاً وتبعاً وهكذا فى حضرة الفعل وهكذا فى حضرة الاقلام الى عالم المثال ، وكلّ تلك الحضرات من حيث انّها عوالم مجرّدة عن المادّة واغشيتها تسمّى عندالله ولدن الله لحضورها فى محضره ، ولمّا كان تلك الحقائق محفوظة عن التّغيّر والتّبدّل كالاشياء النّفيسة المخزونة المحفوظة سمّاها تعالى بالخزائن ، فكلّ ما فى عالم الملك فله حقيقة فى عالم المثال ينزّله تعالى شأنه من عالم المثال الى عالم الملك بقدر استعداد المادّة لقبوله وحين استعدادها ، وهكذا من النّفوس الكلّيّة الى عالم المثال ، وهكذا الامر فى العالى والاعلى الى حضرة الاسماء . ولمّا كان موجودات عالم الملك متجدّدة بالتّجدّد الذّاتىّ بمعنى انّها كلّ آن فانية عن ذواتها وموجودة بموجدها كما حقّق فى محلّه فما من شيء ممّا فى عالم الملك الّا ويفنى آناً فآناً وينزّله تعالى من خزائنه آناً فآناً فلذلك قال [وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ] بصيغة المضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ [وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ] ملقحات فانّ اللّاقح هو الحامل والملقح هو الجاعل للشّيء حاملاً يعنى وممّا ننزّل بقدر الرّياح اللّواقح الّتى لا اعتناء لكم بها وفيها منافع لكم منها تسيير السّحاب فى السّماء لامطار المطر ولهذا كانت بشرى بين يدى رحمته و قال [فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً] بالفاء الدّالّة على التّعقيب [فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ] حتّى تقدروا على انزاله و منعه بل هو ايضاً ممّا ننزّله بقدر فالمقصود اثبات خازنيّة الماء لنفسه استدلالاً على ما ادّعاه من انّ كلّ شيء خزائنه عنده [وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ] كأنّ سابقه كان لاثبات المبدئيّة وحصرها فى نفسه وهذا لاثبات المالكيّة والمرجعيّة وحصرهما فى نفسه [وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ] اى المستقدمين ولادة والمستأخرين الموجودين فى زمانٍ واحدٍ ، اوالمستقدمين الّذين مضى زمان وجودهم والمستأخرين الّذين لم يأتوا بعد ، اوالمستقدمين فى مراتب الايمان والاسلام والآية بحسب التّعميم شاملة للجميع ولعلّ المقصود كان هذا التّعميم لانّ المراد بيان احاطة علمه تعالى بعد بيان مبدئيّته ومرجعيّته والتّعميم ادلّ على ذلك [وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ] وحكمته تقتضى الحشر والمجازاة وايصال كلّ الى مقتضاه [عَلِيمٌ] يعلم قدر كلّ ومحشره واقتضاءه ، ثمّ لمّا اثبت آلهته فى مبدئيّته ومرجعيّته ومالكيّته واثبت حكمته وعلمه اثبت مبدئيّته لخصوص الانسان لانّه اشرف الموجودات و انّ مبدئيّته له ادلّ على حكمته و قدرته وعلمه و ذكر مبدئيّته للجانّ تبعاً فقال [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ] ذكروا لتلك الكلمات معانى اوجهها ان يكون المراد بالصّلصال الشّيء المنتن، والحمأ الطّين الاسود لطول مجاورته للماء ، شبّه النّطفة بالحمأ لانّه يبقى فى العروق واوعية المنىّ مدّة طويلة كالطّين الاسود فى الانهار ، والمسنون المصبوب لانّها تصبّ فى الرّحم [وَالْجَانَّ] قيل: المقصود منه ابو الجنّ ، وقيل: ابليس ، وقيل: اريد به الجنس كما هو الظّاهر من لفظ الانسان [خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ] قبل خلق الانسان [مِنْ نَارِ السَّمُومِ] السّموم الرّيح الحارّة الشّديدة الحرّ المعروفة وكثيراً ما تكون فى البلاد الحارّة وهى ريح شديدة الحرّ منتنة حادثة من الاراضى السّبخة الكبريتيّة المتسخّنة بالشّمس ولها سمّيّة ولذلك تسمّى سموماً ، شبّه الكيفيّة الحادثة من اختلاط القوى الطّبيعيّة العنصريّة السّبخة مع القوى الرّوحانيّة وتسخّنها بحرارة الشّمس الحقيقيّة بالنّار الّتى تظهر فى الهواء من اختلاط سطوح الاراضى السّبخة مع ضوء الشّمس ، وتولّد الجنّ منها بالدّخان الحاصل من النّار فانّه بعد انتهاء الوجود الى عالم الملك يحدث منه ظلّ ظلمانىّ و دخان الى اسفل

السّافلين و يحصل الملكوت السّفلى ودارالجنّة والشّياطين وذلك قبل خلقة مواليد عالم الطّبع او قبل خلقة الانسان وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله: واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، الآية،تحقيق تامّ لكيفيّة خلق الجنّة والشّياطين هذا فى العالم الكبير ، وامّا فى العالم الصّغير فالجانّ ابوالجانّ هو الواهمة المتولّدة من حرارة الاخلاط الحاصلة من تسخّنها بشمس الرّوح وخلقتها قبل خلقة الانسان كما هو المشهود [وَاِذْقَالَ] واذكر اذقال [رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ] اتممت خلقته [وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ اِلَّا اِبْلِيسَ اَبَى اَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا اِبْلِيسُ مَالَكَ اَنْ لَاتَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ اَكُنْ لِاَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ] و قد خلقتنى من النّار الّتى هى اشرف العناصر و ذلك الصلصال اخسّ مواليد العناصر [قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا] من السّماء اومن الجنّة اومن الملائكة اومن المنزلة والرّياسة [فَاِنَّكَ رَجِيمٌ وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ اِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِي اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] حرصاً على البقاء وفسحة فى الاغواء [قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ] لمّا اراد البقاء الى يوم البعث و هو يوم الاحياء بالنّفخة الثّانية وامد ابليس الى النّفخة الاولى قال اجابة لملتمسه لكن لاالى الوقت المسؤل بل الى الوقت المعلوم الّذى هو وقت النّفخة الاولى ، وقد فسّر فى الاخبار الوقت المعلوم بظهور القائم عجّل الله فرجه و ذبحه ايّاه اوذبح رسول الله (ص) ايّاه وبوقت النّفخة الاولى والكلّ راجع الى امرٍ واحدٍ و ان ادّى باختلاف الاعتبارات بعبارات مختلفة [قَالَ] غيظاً [رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِي] كما هو عادة اتباعه فانّهم اذا لم يجدوا ما طلبوا نسبوا التّقصير الى غيرهم بل الى سيّدهم [لَاُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَلَاُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] قرئ بكسر اللّام و فتحها [قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ] حقّ [عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ] لا اعوجاج فيه والمشار اليه امّا الاخلاص اوعدم تسلّطه على المخلصين اوتزيينه اواغواؤه لغير المخلصين،وسرّ كونه صراطاً مستقيماً حقّاً على الله تعالى انّ الانسان خلق ومن كلّ شيءٍ فيه قوة بنصّ علّم آدم الاسماء ،والمقصود من خلقته ان يصير فى الكلّ بالفعل لكن لمّا كان فى كلّ شيءٍ جهة تعيّن وبطلان وجهة اطلاق وحقّيّة والمقصود من فعليّتها فعليّة حقّيّتها فى الانسان مع استخلاصها من البطلان ولايحصل الفعليّة الخالصة من جهة البطلان الّا بوسوسة الشّيطان واغوائه فانّ وسوسته كالنّار للذّهب وقد قال المولوىّ قدّس سرّه :

ديوكه بود كو ز ادم بگذرد	برچنين نطعى از او بازى برد
در حقيقت نفع آدم شد همه	لعنت حاسد شده آن دمدمه
بازيى ديدو دوصد بازى نديد	پس ستون خانهٔ خود را بريد
خود زيان جان او شد ديو او	كوئى آدم بود ديو ديو او

فالصّراط المستقيم هو النّفس الانسانيّة الواقعة بين طرفى وساوس الشّيطان وزواجر الملك و بهما يحصل كمال له ويتمّ سيره الى مولاه :

من چو آدم بودم اوّل حبس كرب پر شد اكنون نسل جانم شرق وغرب

ولولا وسوسة الشّيطان واغواؤه لما امتلأ الدّنيا من نسل آدم (ع)، وقرئ: صراط علىّ وعلى وزن فعيل وصفاً للصّراط، ونقل: صراط علىٍّ باضافة الصّراط الى علىّ (ع) وفسّر الصّراط او علىّ بامير المؤمنين (ع) [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ] ممّن هو مثلك فى الغواية و الضّلالة الذّاتيّة التّكوينيّة [وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ] من الغاوين المتّبعين [جُزْءٌ] صنفٌ [مَقْسُومٌ] كون ابواب جهنّم ودركاتها سبعة باعتبار طبقات الارض السّبع: الهيولى الاولى والاستعداد الجسمانىّ والطّبع العنصرىّ والمادّة الجماديّة والمادّة النّباتيّة والمادّة الحيوانيّة والمادّة الانسانيّة المعبّر عنها بالصّدر المنشرح بالكفر والنّفس الامّارة، ولكلّ طبقة باب منه يدخل فيها ويخرج منها، وهذه الطّبقات بظواهرها المدركة واقعة فى الدّنيا وببواطنها واقعة فى الملكوت السّفلى ودار الاشقياء ودركات جهنّم وابوابها بازاء تلك الطّبقات، وما ورد من انّ جهنّم فى الارض السّابعة اوتحت الارض اشارة الى ماذكر وتلك مجتمعة فى الانسان لكنّها منصبغة بالنّفس الانسانيّة بحيث لاحكم لها سوى حكم النّفس، ولذلك يسمّى الانسان انساناً ولا يسمّى ارضاً ولا ناراً ولا جحيماً و خلداً و ما لم تفارق النّفس الانسانيّة عنها لم يكن لها حكم وكان ابوابها غير منفتحة بل مطبقة كما اشير اليه فى الآيات والاخبار، ولمّا كان بازاء كلّ طبقة من طبقات الارض سماء والجنان الثّمان كانت بازاء السّماوات السّبع وكان فوق السّبع جنّة اللّقاء و الرّضوان صارت درجات الجنان ثمانياً وكانت ابوابها ثمانية . و لمّا كانت اللّطيفة الانسانيّة سماويّة و مجانسة للسّماوات فهى من اوّل خلقته داخلة فى السّماوات الّتى هى بازاء درجات الجنان و ابوابها و لذلك كانت ابواب الجنان مفتوحة والانسان واقع فى تلك الابواب و ان لم يكن داخلاً فى الجنان ففى الآيات القرآنيّة بالنّسبة الى اهل الجحيم : **ادخلوا ابواب جهنّم**، فى عدّة مواضع، وبالنّسبة الى اهل الجنان : **ادخلوها** وليس فى الكتاب ادخلوا ابواب الجنان، وقد تفسّر ابواب الجحيم بالرّذائل السّبع الّتى هى امّهات الرّذائل على اختلاف الاقوال فى تعيينها، وابواب الجنان بالخصائل الثّمان الّتى هى امّهات الخصائل على اختلاف فى تعيينها . وقد تفسّر ابواب الجحيم بالمدارك الخمسة الظّاهرة والخيال المدرك للصّور والوهم المدرك للمعانى، وابواب الجنان بتلك المدارك مع العاقلة ولايخفى وجه المناسبة **لكنّ الحقّ والتّحقيق** انّ الجحيم وابوابها حقيقة موجودة فى خارج هذا العالم فى الملكوت السّفلى، وماذكروا مناسبات لعدد طبقاتها وابوابها لا انّه هى بعينها . وفى الخبر انّ للنّار سبعة ابواب؛ باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون و الكفّار ومن لم يؤمن بالله طرفة عين، و باب يدخل منه بنواميّة هو لهم خاصّة لايزاحمهم فيه احدٌ وهو باب لظى وهو باب سعير وهو باب الهاوية يهوى بهم سبعين خريفاً فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً فاربهم فورة قذف بهم فى اعلاها سبعين خريفاً فلا يزالون هكذا ابداً خالدين مخلّدين، وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وانّه لاعظم الابواب واشدّها حرّاً (الى آخر الحديث) [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] وعد للمتّقين عن متابعة الشّيطان فى مقابلة وعيد التّابعين له [ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ] على تقدير القول [وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] الحقد يعنى نزعنا فى الدّنيا قبل الآخرة و لذلك دخلوا الجنّة بسلام آمنين، اونزعنا فى الجنّة ما فى صدورهم من قوّة الحقد فانّ الانسان مادام فى الدّنيا قلّما يخلو من

قوّة الحقد [اِخْوٰانًا] حال [عَلٰى سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ] فى الاخبار: انتم واللهِ الّذين قال الله ونزعنا ما فى صدورهم، وو الله ما اراد بهذا غيركم [لٰا يَمَسُّهُمْ فِيهٰا نَصَبٌ] تعب [وَمٰاهُمْ مِنْهٰا بِمُخْرَجِينَ نَبِّئْ عِبٰادِى اَنِّى اَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] تقوية لرجائهم [وَ اَنَّ عَذٰابِى هُوَ الْعَذٰابُ الْاَلِيمُ] تقوية لخوفهم [وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ اِبْرٰهِيمَ اِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلٰامًا قٰالَ اِنّٰا مِنْكُمْ وَجِلُونَ] لامتناعهم عن الاكل كما سبق [قٰالُوا لٰا تَوْجَلْ اِنّٰا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰامٍ عَلِيمٍ] ورد فى الاخبار انّ البشارة جاءته من الله فمكث ثلاث سنين ثمّ جاءته البشارة مرّة بعد اخرى بعد ثلاث سنين [قٰالَ اَبَشَّرْتُمُونِى عَلٰى اَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قٰالُوا بَشَّرْنٰاكَ بِالْحَقِّ] بأمرٍ واقع حقّ [فَلٰا تَكُنْ مِنَ الْقٰانِطِينَ] لقدرته تعالى على ما لم يوافقه الاسباب [قٰالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلَّا الضّٰالُّونَ] من طريق معرفة الله وقدرته [قٰالَ فَمٰا خَطْبُكُمْ] امركم و شغلكم بعد البشارة [اَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قٰالُوا اِنّٰا اُرْسِلْنٰا اِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ] اى قوم لوط [اِلّٰا اٰلَ لُوطٍ] استثناء من قومٍ مجرمين منقطعاً اومتّصلاً اومن المستتر فى مجرمين [اِنّٰا لَمُنَجُّوهُمْ اَجْمَعِينَ اِلّٰا امْرَاَتَهُ قَدَّرْنٰا اِنَّهٰا لَمِنَ الْغٰابِرِينَ] علّق قدّرنا لما فيه من معنى العلم ، والغابر بمعنى الباقى اى من الباقين مع الكفرة للهلاك [فَلَمّٰا جٰاءَ اٰلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قٰالَ] لوط (ع) بعد مشاهدتهم [اِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] لااعرفكم اولاآنس بكم لظنّ الشرّ بكم [قٰالُوا] لسنابذى شرٍّ لكم [بَلْ جِئْنٰاكَ بِمٰا كٰانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ] من العذاب [وَاَتَيْنٰاكَ بِالْحَقِّ] بالامر الحقّ الّذى لا تخلّف فيه [وَاِنّٰا لَصٰادِقُونَ] تأكيد لتحقّقه [فَأَسْرِ بِاَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ اَدْبٰارَهُمْ] وكن على ادبارهم كالمراقب الحافظ [وَلٰا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ] الى ورائه [اَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ] يعنى يدركم الامر الالٰهىّ حين الخروج فامضوا حيث تؤمرون حينئذٍ [وَقَضَيْنٰا اِلَيْهِ] الى لوط (ع) [ذٰلِكَ الْاَمْرَ] اى انهينا اليه علم ذلك الامر المبهم الّذى يفسّره قوله [اَنَّ دٰابِرَ هٰؤُلٰاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ] يعنى يستأصلون من اخرهم [وَجٰاءَ اَهْلُ الْمَدِينَةِ] بعد اطّلاعهم بواسطة امرأة لوطٍ (ع) كما مضى [يَسْتَبْشِرُونَ] باضياف لوطٍ (ع) طمعاً فيهم وبدخول لوطٍ (ع) على زعمهم فى مثل فعلهم [قٰالَ اِنَّ هٰؤُلٰاءِ ضَيْفِى فَلٰا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلٰا تُخْزُونِ] لاتذلّون من الخزى بمعنى الهوان او لاتخجلون عند ضيفى من الخزاية بمعنى الحياء [قٰالُوا اَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعٰالَمِينَ] اى عن ضيافة النّاس [قٰالَ هٰؤُلٰاءِ بَنٰاتِى اِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ لَعَمْرُكَ] يا محمّد (ص) اى بحيوتك [اِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] يتحيّرون والاتيان بالمضارع لاحضار الحال الماضية [فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ] داخلين فى وقت شروق الشّمس [فَجَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا] عالى قراهم [سٰافِلَهٰا وَاَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ] معرّب «سنگ گل» وقد مضى تفصيل اهلاكها [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ] المتفرّسين الّذين يعرفون الاشياء بسماتها [وَاِنَّهٰا]

اى القرى اوآثار الهلاك او الآيات [لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ] باقٍ غير مندرس يسلكه النّاس و يشاهدون آثارقُراهم وهلاكهم ، وورد عنهم (ع) انّا نحن المتوسّمون وانّ السّبيل فينا مقيم ، وورد انّ فى الامام آية للمتوسّمين وهو السّبيل [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ] تأكيد للاوّل بابدال المتوسّم بالمؤمن،اوالمراد انّ فى ذلك التوسّم لآية للمؤمنين [وَإِنْ كَانَ] انّه كان [أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ] الايك الشّجر الملتفّ الكثير او الجماعة من كلّ شجرحتّى من النّخل الواحدة الايكة ، اوالاجمة الكثيرة الشّجروالمراد بهم قوم شعيب (ع) من اهل مدين اومن اهل القرية الّتى كانت غيرمدين [لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا] اى الايكة ومدين اوقرئ قوم لوطٍ وقرئ اصحاب الايكة [لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ] طريق واضح يؤمّه المارّة ، والامام مايؤمّ من طريق وغيره [وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ] يعنى ثمود كذّبوا صالحاً ولعلّه كان لهم رسل اخرى ، اوجعل تكذيب الواحد تكذيباً للكلّ ، او الجمع باعتبار من كان مع الرّسول من المؤمنين ، و الحجر اسم واديهم و هو وادٍ بين المدينة و الشّام وكانوا يسكنونه [وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا] كالنّاقة وولدها وشربها [فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا] لقوّة ابدانهم و طول اعمارهم و آمالهم [آمِنِينَ] من الانهدام و نقب السّرّاق وتخريب الاعداء ، اوآمنين من عاقبة امرهم ونزول العذاب بهم فى الدّنيا اوفى الآخرة ، اومريدين كونهم بذلك آمنين من الآفات [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] من البيوت فى الاحجار وكثرة المال والعدد [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ] مرّ نظائر الآية مراراً وهذا تمهيد للامر بالصّفح يعنى انّ قومك متلبّسون بالحقّ وانت اكمل الانبياء(ع) فلاينبغى لك ان تنظرالى تكذيبهم وسوء صنيعهم بك وتدعو عليهم او تغضب عليهم فانّ غضبك كدعائك موجب لبعدهم عن الرّحمة وانت نبىّ الرّحمة فكن سبباً لقربهم من الرّحمة لا لبعدهم عن الرّحمة [وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ] فمن كان منهم مستحقّاً للعقوبة والسّياسة لا يفلت عنّا فتوكّل علينا وكل امورهم الينا ولا تعاجلهم بالدّعاء كسائر الانبياء (ع) [فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ] الّذى لاعتاب فيه ولامنّ ، والعفوترك المكافاة ، والصّفح اخراج اثرالمساءة من القلب، ويستعمل كلّ فى كلٍّ وكلّ فى الاعمّ وكأنّهما كالفقراء والمساكين اذااجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعاً [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ] التّعليق على وصف الرّبوبيّة دون سائر الاوصاف للاستعطاف والمعنى انّ الّذى يربّيك و يتلطّف بك هوخالقهم فلا ينبغى لك المعاجلة فى معاقبة مخلوق من هويربّيك [الْعَلِيمُ] بحالهم فيكافئهم على ما اقتضته حالهم فالآية من قوله : ما خلقنا السّماوات (الآية) استعطاف له (ص) على قومه و استبطاء عن المعاجلة فى المعاتبة و الدّعاء [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] تمهيد لقوله : لا تمدّن عينيك فانّ من اعطى السّبع المثانى كان غنياً مطلقاً فلا ينبغى مدّ نظره الى غيره ، والمثانى جمع المثنى بمعنى اثنين اثنين، وقيل جمع المثنى من الثّناء وقد سبق انّ مراتب العالم باعتبارٍ سبع ، وانّها باعتبار النّزول والصّعود تصير متكرّرة ومثانى وانّ القرآن صورة تدوين تلك المراتب وانّ فاتحة الكتاب مختصرة من القرآن وانّه مجموع فيها ، وانّ الائمّة هم المتحقّقون بتلك المراتب ، وانّ محمّداً (ص) صاحب المقام المحمود وهو مقام جمع الجمع فى لسان الصّوفيّة وانّ ذلك المقام هوالقرآن العظيم فصحّ تفسير السّبع المثانى بالقرآن جملةً، وبسورة

فاتحة الكتاب ، وبالمثانى من السّور وبالسّور السّبع الطّول من اوّل القرآن الى آخر براءة على ان يجعل الانفال وبراءة واحدة وبالصّحف السّابقة وبالكتب السّماويّة تماماً وبالائمّة (ع) [لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهِ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ] اصنافاً من الكفّار لانّه فى غاية الحقارة فى جنب ما اوتيت فلا ينبغى قطع النّظر عمّا اوتيت والنّظر الى مثل هذا الشّيء الحقير [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] يعنى انّك اوتيت ما به كما لك فى دنياك وآخرتك فلا ينبغى ان تتأثّر من غيرك بان تنظر الى ظاهر المتنعّمين فيتحرّك رغبتك البشريّة او تنظر الى باطنهم و انّهم منصرفون عن الايمان الموصل الى الجنان الى الكفران الموصل الى النّيران فتنقبض و تحزن على ذلك بل كن فى الحالين كأمير الحالين غير متأثّر منهما وليكن حالك بالنّسبة الى من آمن حال التّواضع والتّذلّل والتّحبّب لانّهم بلطيفة الايمان مظاهرك بل مظاهر الله تعالى والتّواضع لهم تواضع لله [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ] مستعار من خفض الطّيّور جناحها لقرينها حين التّذلّل والتّحبّب لها ، عن رسول الله (ص) : من أوتى القرآن فظنّ انّ احداً من النّاس اوتى افضل ممّا اوتى لقد عظّم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله [وَقُلْ] بالنّسبة الى من نهيتك عن الرّغبة فى ظاهرهم والحزن على باطنهم [اِنِّى اَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ] الّذى يظهر انذاره بحيث لايخفى دلالته على صدقه ولا دلالته على المنذر به [كَمَا اَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ] يعنى آتيناك سبعاً من المثانى كالّذى انزلنا على المقتسمين من اهل الكتاب الّذين اقتسموا هممهم على الاطماع والاحزان والآمال فجعلوا القرآن ما يوافقهم منه مقبولاً ومايخالفهم منه مردوداً ، اوقل انّى اناالنّذير المبين بعذاب مهين كما انزلنا على المقتسمين **قيل** : المقتسمون كانوا اثنى عشر رجلاً اقتسموا محالّ دخول مكّة وخروجها ايّام الموسم لينفروا المؤمنين عن الايمان بالرّسول (ص)، **وقيل** : هم الّذين تقاسموا على قتل محمّد (ص)، **وقيل**: هم الّذين تقاسموا على ان يبيّتوا صالحاً (ع)، **وقيل** : هم اليهود اقتسموا الكتب السّماويّة فأظهروا بعضها وأخفوا بعضها ، او التّوراة فأظهروا بعضها و أخفوا بعضها ؛ و على هذا فالمراد بالقرآن فيما بعد مطلق المقروّ السّماوىّ [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] جمع العضة من العضوة بمعنى العضو اى جعلوا القرآن اعضاء و اجزاء ، اوجمع العضة من عضهته اذا بهتّه اى جعلوا القرآن اسماراً [فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من تقسيم القرآن او جعله اسماراً اومن سائر ما فعلوا [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ] ولاتبال بقبولهم وردّهم وباستهزائهم وعدم استهزائهم ، والمراد منه اجهر به من صدع بالحجّة اذا تكلّم بها جهاراً ، اوفرّق به بين الحقّ والباطل، اوفرّق الحقّ وانثره بحيث لايكاد تجمع و يذهب به اوشقّ وفرّق به جماعات الكفّار [وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ اِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ اِلٰهًا اٰخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة امرهم وقد ورد فى أخبارنا انّ الآية نزلت بمكّة بعد ان اكتتم محمّد (ص) امره بعد بعثته خمس سنين اوثلاث سنين ولم يكن معه الّا علىّ (ع) و خديجة (ع) ثمّ امر بالاظهار فكان يظهر امره على قبائل العرب [وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ] من تكذيبك والطّعن فيك والاستهزاء بك وبدينك وبا لهك وبكتابك وصلوتك [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] فاشغل نفسك عنهم واشتغل بماهوشأنك من عبادة ربّك [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاْتِيَكَ الْيَقِينُ] اى الموت فانّه المتيقّن فالمعنى حتّى يأتيك الامر المتيقّن ، اولانّ اليقين الكامل بالمغيبات

لا يحصل الّا بعد رفع حجاب البدن بالموت الاختيارىّ هذا ما قيل ؛ و الحقّ انّ اعتبار مفهوم الغاية و دخولها وخروجها عن المغيىّ بها امرٌ لاحجّة عليه من العرف واللّغة، فالمقصود انّك علمت علماً اجماليّاً وكلّ من علم امراً اجمالاً طلب التّفصيل فيه و اليقين به بمراتب اليقين من علم اليقين وعين اليقين و حقّ اليقين كما اشاراليه المولوىّ قدّس سرّه :

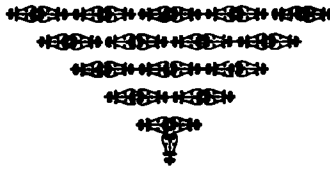
هر گمان تشنه يقين است اى پسر ميزند اندر تزايد بال و پر

چون رسد درعلم پس بر پا شود مر يقين را علم او پويا شود

علم جوياى يقين باشد بدان وان يقين جو ياى ديداست وعيان

اندر الهيكم بيان اين ببين كه شود علم اليقين عين اليقين

فكأنّه قال : ان كنت تريد اليقين بمراتبه و تفصيل المعلوم فاشتغل بعبادة ربّك حتّى يحصل لك مطلوبك من مراتب اليقين ، امّا عدم العبادة بعد اليقين فغير مستفاد منه الّا باعتبار مفهوم الغاية وقد عرفت ضعف اعتباره؛ وقد قال بعض المتصوّفة المسقطين للعبادات : انّ العبادة لحصول اليقين فاذا حصل اليقين فلا حاجة الى العبادات ، وتوسّلوا بمفهوم مثل هذه الآية ومتشابهات الآيات والاخبار واقوال الكبار من اهل اليقين من غير غورٍ وتعمّقٍ فى مغزاها .



سورة النّحل

مائة وثمانٍ وعشرون آية ، وهى مكّيّة كلّها ، وقيل : من اوّلها الى قوله والّذين هاجروا فى الله مكّيّة ، والباقى مدنيّة ، وقيل : مكّيّة غير ثلاث آياتٍ وهى قوله : وان عاقبتم (الى آخر السّورة)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[أَتىٰ أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ] كانوا يستعجلون ما وعدهم الرّسول (ص) من العذاب والاهلاك وقيام السّاعة والحساب والعقاب يوم القيامة استهزاءً به وبرسالته وبايعاده فقال تعالى : اتى أمر الله بالاهلاك بالماضى للاشارة الى تحقّقه او للاشارة الى قرب حصوله وكانوا يقولون استهزاءً اذا وقع ماتوعدّه فأصنامنا تشفع لنا فقال تعالى [سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ] فلا يشفع شيءٌ لهم ولا يدفع الاصنام شيئاً من عذابه [يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ] اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته فى الرّحم يقع فى تدبير الملائكة فيربّونه ويجلبون مايحتاج اليه ويدفعون عنه ما يضرّه وانّ الله تعالى يبعث عليه بمحض فضله ملائكة ويزداد عددهم يوماً فيوماً وآناً فآناً الى اوان البلوغ ، فان ساعده التّوفيق واستعان بالله اختياراً كما كان مستعيناً به تكويناً قبل ذلك لم ينقطع امداده بالملائكة بعد ذلك ايضاً ، والملائكة الّذين كانوا موكّلين به كانوا ملائكة ارضيّين وهم الملائكة الّذين امروا بالسّجود لآدم (ع) وبعد ذلك يكون الامداد بالملائكة السّماويّة ويزداد كلّ يوم عددهم الى ان بلغ الى مقام العبوديّة واوّل ظهور الرّبوبيّة وحينئذٍ يمدّه بالعظام من الملائكة كجبرئيل وميكائيل، ويمدّه ايضاً بالرّوح وهو اعظم من جبرئيل وميكائيل كما ورد فى الاخبار ، ولعلّ الرّوح ههنا اشارة الى الملك المعتنى بتربية نوع الانسان ويسمّيه الاشراقيّون ربّ النّوع وله بعدد كلّ انسان وجهٌ كما فى الخبر وهو المحيط بجميع افراد الانسان بل بجميع موجودات العالم لانّ جميع الانواع تحت نوع الانسان، وجميع ارباب الانواع تحت ربّ النّوع الانسانىّ ، وجميع الموجودات تحت ارباب انواعها فجميع الموجودات تحت ربّ النّوع الانسانىّ وعلى هذا فالمعنى ينزّل الملائكة مع الرّوح ، اوينزّل الملائكة بسبب الرّوح وتوسّطه ، وعلى الاوّل فالمنزّل عليه الخواصّ من الانبياء وعلى الثّانى جملة الانبياء ، اوالمراد بالرّوح ما يحيى به القلوب من الجهل تشبيهاً بالرّوح الّتى يحيى

به الابدان ، اوالمراد بالرّوح النّبوّة الّتى بها حيوة كلّ شيء ، وعلى هذا فالمعنى ينزّل الملائكة الرّوح من عالم امره على من يشاء من عباده و للرّوح معانٍ أخر مذكورة فى الاخبار ومصطلحة بين ارباب الصّنائع و هذا الرّوح الّذى هو اعظم من جبرئيل يكون مع العظماء من الانبياء والاولياء (ع) كخاتم النّبيّين (ص) وخلفائه المعصومين (ع) وقوله : من امره ، اى من عالم امره فانّ الملائكة النّازلة والرّوح من عالم الامر مقابل عالم الخلق [اَنْ أَنْذِرُوا] ان مصدريّة اوتفسيريّة فانّ الانزال يستلزم معنى القول ، وانذروا بمعنى اعلموا او بمعنى احذروا [اَنَّهُ لا اِلٰهَ اِلّا اَنَا فَاتَّقُونِ] وكون التّوحيد محذراً به لاستلزامه الاستقلال فى الحكومة والتّصرّف والمستقلّ فى الحكومة يحذر من مخالفته [خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ] بمنزلة التّعليل للتّوحيد [تَعالٰى عَمّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْاِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ] بدل نحو بدل البعض [فَاِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ] ولا يتمشّى من الطّبع والدّهر مثل ذلك الخلق [وَالْاَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ] ماتستدفئون به من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها [وَمَنافِعُ] من لحومها وضروعها وظهورها واثارة الارض بها [وَمِنْها تَأْكُلُونَ] من الشّحوم واللّحوم والالبان [وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ] زينة [حِينَ تُرِيحُونَ] ترجعونها بالرّواح الى المناخ والمغنم [وَحِينَ تَسْرَحُونَ] تخرجونها للسّرح والرّعى بالغداة فانّ الافنية تتزيّن بها فى الوقتين ويجلّ اهلها فى اعين النّاظرين اليها ، وتقديم الاراحة لانّها حينئذٍ تقبل والاقبال ازين من الادبار ملاء البطون ثمّ تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها ، وفى الغداة بالعكس ، [وَتَحْمِلُ اَثْقالَكُمْ اِلٰى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا] بانفسكم [بالِغِيهِ اِلّا بِشِقِّ الْاَنْفُسِ] فضلاً عن ان تحملوا الاثقال على ظهوركم [اِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ] بكم لانّه خلق لكم ماتنتفعون به وتحتاجون اليه [وَالْخَيْلَ وَالْبِغالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ] لانتفاعكم من موجودات عالم الطّبع ممّا فى الارض والسّماء وموجودات عالم الارواح [وَعَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيلِ] لمّا ذكر فى خلقة الانسان جملة مايحتاج اليه فى معاشه ووصوله الى خيراته وكان السّبيل المقتصد الخارج عن الافراط والتّفريط فى كلّ شيء ان يكون اسباب وصوله الى خيراته الاوّليّة الذّاتيّة والى خيراته الثّانويّة بقدر حاجته موجودة ، والسّلوك الى خيراته الاوّليّة الذّاتيّة والى خيراته الثّانويّة بقدر حاجته ، موجودة وكان السّلوك الى خيراته غير متعسّر قال : لااختصاص لقصد السّبيل بالانسان بل على الله قصد السّبيل لكلّ شيء [وَمِنْها جائِرٌ] وبعض السّبل حائدٌ عن الاعتدال او المقصود انّ خلقتكم وخلقة ماتحتاجون اليه هى السّبيل الى خيراتكم البدنيّة وكمالاتكم الدّنيويّة التّكوينيّة الغير الاختياريّة ، وامّا خيراتكم الرّوحيّة الاخرويّة وكمالاتكم الانسانيّة الاختياريّة فعلى الله قصد السّبيل فى ذلك باعطاء العلم والمعرفة وارسال الرّسل وانزال الكتب وتهيّة جميع ماتحتاجون اليه فى تحصيل هذه ، فان وقع حيف وميل ونقص وجور فهو من عند انفسكم غير راجع الى الله ، فمن خرج عن الاقتصاد فى الطّريق الى الجور فيه فهو بشآمة استعداده وكسبه [وَلَوْ شاءَ لَهَدٰيكُمْ اَجْمَعِينَ] بالايصال الى قصد الطّريق والسّير عليه [هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ] اعمّ من النّبات [فِيهِ تُسِيمُونَ] فى الشّجر ترعون مواشيكم [يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْاَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]

لمّا كان كون انزال الماء وانبات النّبات والاشجار آية محتاجاً الى تأمّل وترتيب مقدّمات قال: لقوم يتفكّرون [وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ] قرئ الشّمس و القمر والنّجوم مسخّرات كلّها بالرّفع، وقرئ الشّمس والقمر بالنّصب والنّجوم مسخّرات بالرّفع ، وقرئ الجميع بالنّصب وفائدة الحال المؤكّدة تأكيد التّسخير وبيان واسطة التّسخير وهو عالم الامر [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يكفيه العقل من غير فكر لظهور دلالة المذكورات بالنّسبة الى انزال الماء و انبات النّبات وجمع الآيات لكون كلّ منها آية على حياله [وَما ذَرَأَ لَكُمْ] وسخّر لكم ماخلق لكم [فِي الْأَرْضِ] من المواليد من المعادن واصناف النّبات وانواع الحيوان والعناصر ومافي الارض من الجبال والوهاد والتّلال، والمراد بتسخيرها تسخيرها فيما خلق لاجله لا تسخيرها للانسان نحو تسخير الحيوان للانسان ولكن تسخيرها بالمطاوعة للانسان في وجه الانتفاع بها وان كان وجه الانتفاع ببعضها مخفيّاً، اوما ذرأ مبتدء و لكم خبره اوفي الارض خبره والجملة حال او عطف على جملة هو الّذي انزل ، او على جملة سخّر لكم اللّيل [مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ] اكتفى ببيان اختلاف اللّون عن ذكر اختلاف النّوع وجهات الانتفاع لانّه الظّاهر على الابصار والاغلب انّ الانواع المختلفة بالذّات مختلفة باللّون [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] لا يكفيه العقل فقط ولا يحتاج الى التّفكّر بل يكفيه تذكّر العقل [وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها] كأنواع مايخرج من البحر [وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ] جوارى من المخر وهو شقّ الماء اوصوت شقّ الماء [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بالتّجارات [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] يعني غاية الكلّ ان تنظروا الى الانعام و تشكروا حقّ النّعمة برؤيتها من المنعم [وَأَلْقىٰ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ] كراهة ان تميد الارض بكم باضطرابها .

اعلم، انّ الارض كرويّة الشّكل حيّزها حول مركز العالم بحيث انّ كلّ جزء من اجزائها لتوافقها مع الكلّ في الطّبع لوخلّي وطبعه لمااستقرّ الّا في حيّز المركز كماهو المشهود، ولوكان الاجزاء طالبة للكلّ ولسنخها كما قيل للزم عدم افتراق ما اتّصل بقلل الجبال الى السّفل والارض ساكنة في حيّزها غيرمتحرّكة ، وان قال بحركتها المتحدّسون بقوّة الحسّ وليست تلك الكرة كالكرة الواقعة في الماء الطّافية فوق الماء حتّى تحتاج الى مايسكنها عن الحركة والانقلاب وليست الجبال بمايزيد في سكونها لانّه ليس ارتفاع الجبال المرتفعة البالغة غاية الارتفاع بالنّسبة الى قطر الكرة الّا مقدارشعيرة اواقلّ، وظاهر الآية يدلّ على انّ تلك الكرة لولم يكن الجبال تضطرب وتنقلب وتتحرّك ولا يمكن التّعيّش عليها الّا بالجبال فنقول : انّ الجبال وان لم تكن اسباباً لسكون الكرة كماعرفت لكنّه قد يقع الزّلزلة القويّة باسباب سماويّة وارضيّة ولولا الجبال لسرت تلك الزّلزلة الى مجاورات القطعة الّتي وقعت فيها الزّلزلة مسافات كثيرة والجبال تمنع من تلك السّراية كما لايخفى ، وهذا القدر كاف في صدق ظاهر الآية مع انّ المقصود بطونها، وايضاً قدسلف منّا انّ العالم بتمام اجزائه مظاهر لاسماء الله وانّ خلفاء الله اسماء الله العظماء والجبال مظاهر لها بسكونها وارتفاعها وثقلها وصلابتها وجريان المياه من تحتها، وقد يجري احكام الظّاهر على المظاهر كما مضى من جريان احكام القلب والصّدر على بيت الله ومكّة ، وقد ورد في الاخبار لو لا الامام لماجت الارض بأهلها ، اولوفقد الحجّة لساخت الارض باهلها ، وغير ذلك من الاخبار فبوجود خلفاء الله (ع) وجود الارض وسكونها وقرارها ، و لمّا كانت الجبال مظاهر لخلفاء الله حكم عليها انّ

بها قرار الارض وسكونها اجراءً لحكم الظّاهر على المظهر، هذا بحسب التّنزيل، وامّا بحسب التّأويل فالعقول الكلّيّة المعبّر عنها بالقيام لاينظرون وبالمقرّبين بوجه جبال الارض، والعقول العرضيّة المعبّر عنها بالصّافّات صفّاً جبال الارض، والنّفوس الكلّيّة المعبّر عنها بالمدبّرات امراً والنّفوس الجزئيّة المعبّر عنها بالرّكّع والسّجّد والاقدار المثاليّة المعبّر عنها بذوى الاجنحة كلّها جبال الارض ، وخلفاء الله فى الارض اعظم جبال الارض ، هذا فى الكبير وكلّ مافى الكبير فهو بعينه جارٍ فى العالم الصّغير [وَاَنْهاراً] بواسطة الرّواسى [وَسُبُلاً] فى الارض [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] بالسّبل الى مقاصدكم من الاسفار البعيدة والامتعة الّتى فى غير امكنتكم اولعلّكم تهتدون الى المقصد الحقيقىّ من التّوجّه الى الله والسّير على سبيله الّذى جعل لكم من الانبياء والاولياء(ع) [وَعَلاماتٍ] ممّا يستدلّ السّيّارة على استقامة سيرهم الى مقاصدهم [وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ] بجنس النّجم فى اللّيل كما هو شأن السّيّارة او بالنّجم الخاصّ الّذى هو الجدى كما فى الخبر و باطنه رسول الله (ص) والائمّة (ع) واصحابهم وخلفاؤهم كما اشير اليه فى الاخبار [اَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لايَخْلُقُ] من الاصنام و الكواكب و غيرها [اَفَلاتَذَكَّرُونَ] حتّى لاتجعلوا المخلوق مشاركاً للخالق [وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاتُحْصُوها اِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ] فلا يؤاخذكم بالتّقصير فى القيام بشكرها [رَحيمٌ] فلا يقطعها عنكم بتقصيركم بل يزيدها يوماً فيوماً [وَاللهُ يَعْلَمُ ماتُسِرُّونَ] من الاعمال و الاحوال و النّيّات و الخيالات و الخطرات و الاخلاق و العقائد و الاقوال و المكمونات الّتى لم تظهر بعد على انفسكم [وَماتُعْلِنُونَ] ممّا ذكر، والاعلان فى كلّ بحسبه [وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ] كالملائكة والكواكب والاصنام والشّياطين والرّؤساء فى الضّلالة [لايَخْلُقُونَ شَيْئاً] فلا يستحقّون الدّعوة [وَهُمْ يُخْلَقُونَ] فلا يمتازون عنكم حتّى تختاروهم بالدّعوة [اَمْواتٌ غَيْرُ اَحْياءٍ] فهم ادون منكم فانتم اولى بان يدعوكم الّذين تدعون من دون الله [وَمايَشْعُرُونَ اَيّانَ يُبْعَثُونَ] لاشعور لهم ببعثتهم فكيف بوقت بعث غيرهم والمجازاة والشّفاعة لهم [اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ واحِدٌ] كالنّتيجة وقد مضى مثله وانّ المقصود انّ الّذى هو آلهكم اله ومستحقّ للعبادة وواحد لامتعدّد بخلاف ما جعلوه آلهاً [فَالَّذينَ لايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ] لايعرفون الآله ولاامر الآخرة [وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ] فانّ الاستكبار هو الخروج عن حكم الله وحكم خلفائه وهم خارجون لعدم اعتقادهم بالله و بخلفائه [لاجَرَمَ] مصدر من الجرم بمعنى كسب الذّنب ومعنى لاجرم لاذنب فى الاصل لكنّه يستعمل بمعنى حقّاً و اصل المعنى لاجرم اى لاذنب فى كذا يعنى فى اعتقاد كذا لكونه متحقّقاً ثابتاً [اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مايُسِرُّونَ وَمايُعْلِنُونَ اِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرينَ] تعليل للمقصود من التّهديد على افعالهم بالمؤاخذة وفى الخبر لايؤمنون بالآخرة يعنى الرّجعة قلوبهم منكرة يعنى كافرة وهم مستكبرون يعنى عن ولاية علىّ (ع) انّه لايحبّ المستكبرين يعنى عن ولاية علىّ (ع) [وَاِذا قيلَ لَهُمْ ماذا اَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا اَساطيرُ الْاَوَّلينَ لِيَحْمِلُوا اَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَ مِنْ اَوْزارِ الَّذينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ اَلاٰساءَ مايَزِرُونَ] قالوا ذلك اضلالاً للنّاس و صدّاً وكان غاية ذلك ان يحملوا اوزار ذلك القول والصّدّ وبعض اوزار من اضلّوهم وبغير علمٍ ظرف مستقرّ حال من مفعول يضلّونهم اوفاعله

اوفاعل ليحملوا ، اوظرف لغو متعلّق بيحملوا اويضلّونهم، وفى الخبر انّما لم يعذر الجاهل لانّ عليه ان يبحث وينظر بعقله حتّى يميّز بين المحقّ والمبطل ، وعن الباقر (ع) ما ذا انزل ربّكم فى علىّ (ع) قالوا اساطير الاوّلين **وعن الصّادق (ع)** والله ما اهريقت محجمة من دم ولا قرع عصاً بعصاً ولاغصب فرج حرام ولا اخذ مال من غير حلّه الّا اوزر ذلك فى اعناقهما من غير ان ينتقص من اوزار العالمين شيء [قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ] تمثيل لحالهم فى مكرهم بحال من بنى سقفاً على اساطين محكمة قصداً للرّاحة تحته فاستوصلوا به وخرب تلك السقوف من جهة الاساطين الّتى بها استحكامها، والمراد باتيان الله اتيان امره بالاهلاك [وَأَتَيهُمُ الْعَذَابُ] عذاب خراب السّقف [مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ] بل من حيث يظنّون بقاءه اواتاهم عذاب غير خراب السّقف [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ] من الاصنام و الكواكب و الاهوية وغيرها او شركاء مظاهرى من الاولياء و الاصل علىّ (ع) [الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ] تعاندون المؤمنين ومظاهرى فى حقّهم، اوتخالفون الانبياء والاولياء (ع) فى حقّهم [قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] الانبياء (ع) واوصيائهم اوجملة المؤمنين وائمّتهم [إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ] الخزى الهوان و السّوء العذاب [الَّذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ] خبر مبتدءٍ محذوفٍ او مفعول فعلٍ محذوفٍ اوصفة للكافرين [ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ] ظالمين فى حقّهم اوفى حقّ امامهم فانّه بمنزلة انفسهم بل اولى بهم منهم [فَأَلْقَوُا السَّلَمَ] اى الاستسلام و الانقياد او القول بالاستسلام و الانقياد [مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ] تفسير للسّلم على الّذين انكروا ما فعلوا من الجحود والانكار والاستهزاء فى الدّنيا [بَلَىٰ] ردّ من الملائكة اومن الله اى قالوا اوقال بلى [إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فلا ينفعكم انكاره الآن [فَادْخُلُوا] جزاء لأعمالكم [أَبْوَابَ جَهَنَّمَ] كلّ من بابه انخاصّ به [خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ] جهنّم [وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا] قد مرّ مراراً انّ التّقوى الحقيقيّة لا تكون الّا بالولاية و البيعة الخاصّة الولويّة [مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا] اقرار بالانزال من الرّبّ و تصديق لكونه خيراً استسلاماً [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا] صاروا ذاحسن و الحسن على الاطلاق علىّ (ع) وكلّما اتّصل به من طريق الولاية كان ذا حسن به او احسنوا الى انفسهم او الى غيرهم [فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ] وهوطيبوبة المآكل والمشارب والمناكح والمراكب [وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] لخلوص الطيبوبة لهم هناك من غواشى المادّة وآلامها وقوله للّذين احسنوا مقول لقولهم تفسير الخير اواستيناف من الله [وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ] مخصوص نعم اومبتدأ خبره [يَدْخُلُونَهَا] اويدخلونها صفة و [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] خبره اوتجرى صفة بعد صفة و [لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ] خبره ويحتمل كون الجمل حالات مترادفة اومتداخلة وكون بعضها حالاً وبعضها صفة وبعضها خبراً وقد مضى فى آل عمران فى نظير الآية مع جريان الانهار من تحت الجنّات [كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ] وفى الخبر : ولنعم دار المتّقين الدّنيا [الَّذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ] صفة للمتّقين اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف

اومبتدء خبره يقولون اوادخلوا بتقدير القول [طَيِّبِينَ] من المعاصى اومن الشرك [يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم اوبمعنى سلامة لكم من كلّ سوء [ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] على طريق الولاية [هَلْ يَنْظُرُونَ] ينتظرون اى الّذين لايؤمنون بالآخرة [إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ] حين الموت [أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ] بالعذاب او بخروج القائم (ع) [كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ] بتدميرهم وعذابهم [وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] من العذاب اوالمعاد او الرّجعة اومطلق ما قاله رسلهم [وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] فى جواب من لامهم على شركهم وتحريمهم وقد مضى الآيه بتفسيرها مفصّلاً [فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] يعنى انّ نسبتهم فعلهم السّيّئ الى الله كنسبة المرأة الفاحشة شآمة فعلها الى غيرها وليس لها وجه صحّة لانّ ماعلى الله هو ارسال الرّسل لهدايتهم وليس على الرّسل الّا البلاغ [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا] ولقد بلّغ الرّسل فقد ادّينا ما علينا وادّوا ما عليهم فالنّقص والتّقصير كان منهم [أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] فلم يقبلوا من رسولهم [فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ] بقبوله قول الرّسول (ع) [وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ] و وجه اختلاف الفعلين فى النّسبة ظاهر لانّ الهداية منتسبة الى الله اوّلاً و بالذّات و الاضلال منتسب اليه تعالى ثانياً وبالعرض وفى الخبر، مابعث الله نبيّاً قطّ الّا بولايتنا والبراءة من اعدائنا وذلك قوله تعالى: ولقد بعثنا (الآية) الى قوله من حقّت عليه الضّلالة يعنى بتكذيبهم آل محمّد ووجه الخبر قد مضى مفصّلاً من انّ شأن النّبوّة الانذار والدّلالة الى الولاية وانّ ولاية كلّ ولىّ ظلّ من ولاية الاولياء الكلّيّة وهم آل محمّد(ص) وانّ عبادة الله لاتتصوّر الّا من طريق الولاية وانّ آل محمّد(ص) مظاهر الله وعبادة الله لا تتصوّر الّا بتوسّط طاعة المظاهر [فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض عالم الطّبع لتعلموا آثار المكذّبين واخبارهم اوارض القرآن واخبار الماضين اوارض العالم الصّغير [فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ] يا محمّد (ص) [فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ] اقناط له (ص) عن هديهم و تهديد بليغ للمكذّبين [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] تعليل لاقناطه [لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ] وجهد الايمان الايمان المغلّظة المؤكّدة ومن لا يعتقد البعث لاينجع فيه نصح [بَلَىٰ] ردّ عليهم [وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] ولوعلموا لعلموا انّهم فى البعث آناً فآناً و يوماً فيوماً من غير انتظار البعث الكلّىّ الآتى [لِيُبَيِّنَ لَهُمُ] متعلّق بيبعث المقدّر بعد بلى [الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوالآخرة اوبالولاية [أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ] فى انكار البعث والجزاء والعقاب اوفى ادّعاء الخلافة والاستبداد [إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] بيان لسهولة الاعادة عليه، وقد ورد عن الصّادق(ع) انّه قال لابى بصير: ما تقول فى هذه الآية ؟ـ فقال: انّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله (ص) انّ الله لايبعث الموتى قال: فقال: تبّاً لمن قال هذا ؛ سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله ام باللّات والعزّى؟! قال قلت: جعلت فداك

فأوجدنيه قال: فقال: يا ابا بصير لو قدقام قائمنا بعث‌الله قوماً من شيعتنا قبائع(١) سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون : بعث فلان و فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم (ع) فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون يامعشر الشّيعة ماا كذبكم هذه دولتكم وانتم تقولون فيها الكذب لاوالله ماعاش هؤلآء ولايعيشون الى يوم القيامة قال فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، وبهذا المضمون اخبار كثيرة [وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا] تنزيله في رسول الله (ص) والّذين هاجروا معه وبعده الى المدينة والّذين هاجروا قبله الى الحبشة بعد ماآذاهم المشركون ايذاء كثيراً والّذين حبسوهم قريش بمكّة بعد هجرة رسول الله (ص) وآذوهم ثمّ هاجروا الى رسول الله، ومعنى قوله في الله في طريق الله وهو الرّسول (ص) والامام اوالرّسالة والولاية والطّريق الموصل اليهما او فى طلب الله او فى ابتغاء مرضاة الله اوفى طاعة الله ، ولمّا كان التّنزيل غير مختصّ بمن نزلت الآية فيه بل تعمّه وغيره ممّن هو متّصف بوصفه كانت الآية شاملة لكلّ من هاجر من وطنه الصّوريّ ابتغاء دين الله الى نبيّ اوولىّ من بعد ما تأذّى بانقلابات الزّمان واذى الاقران وتصرّفات الشّيطان، وتأويله كلّ من هاجر من اوطان شركه النّفسانيّة كما قال (ع) : المهاجر من هجر السّيّئات الى رسوله العقل ونبيّه القلب وامامه الرّوح والكلّ دين الله وطريق الله ومظاهر الله ، والهجرات الثّلاث متعاقبة مترتّبة فانّ الهجرة تقع اوّلاً من دار الشّرك النّفسانيّة الى دار الاسلام الصّدر ثمّ منها الى دار الايمان القلب ثمّ منه الى دار العيان الرّوح و بعبارة اخرى تقع الهجرة من دار الشّرك الى الرّسول و قبول احكامه القالبيّة ثمّ منه الى النّبيّ و قبول احكامه القلبيّة ثمّ منه الى الولىّ و قبول وارادته الرّوحيّة [لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا] داراً [حَسَنَةً] اوتبوئة حسنة اوحالاً حسنة كما وقع فى الصّورة للمهاجرين مع الرّسول (ص) اذآواهم وعزّزهم اهل مدينة وكما وقع لجعفر و اصحابه اذآويهم النّجاشي وعزّزهم ، وفي الباطن لكلّ من هاجر من دار النّفس الامّارة اذ يأوى الى دار الصّدر السّالمة من تنازع القوى النّفسانيّة وتحاسد المتحاسدين وايذاء الموذين وهكذا ، وهذا اجر الدّنيا [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ] وهو لقاء الرّحمن وجنّة الرّضوان [أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] لو كان النّاس يعلمون ذلك لاختاروا الهجرة اولما تثبّطوا اولو كان الّذين هاجروا يعلمون لسرّوا بذلك اوليتهم كانوا يعلمون فيتبادروا الى ذلك او فيسرّوا بذلك [الَّذِينَ صَبَرُوا] بدل من الّذين هاجروا اوصفة له اوخبر مبتدء محذوف او مفعول فعل محذوف [وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا] فلاغروفى كونك رجلاً من جنسهم فانّك مثل الرّسل الماضين [نُوحِي إِلَيْهِمْ] وكان امتيازهم بالوحى كما انّ امتيازك بالوحى فانكارهم لرسالتك لكونك بشراً مثلهم انكار لرسالة جميع الرّسل [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ] الذّكر هو اضافة الحقّ الى الخلق وهى المشيّة والحقّ المخلوق به وهو حقيقة الولاية و خاتم الاولياء وهو علىّ (ع) هو المتحقّق بها و مظهرها التّامّ وسائر الاولياء (ع) مظاهر علىّ (ع) ومن اظلاله ، والنّبوّة الّتى هى المصباح مظهر الولاية والرّسالة الّتى هى كالزّجاجة مظهر النّبوّة ، ومافى عالم الطّبع من بشريّة الرّسل والأنبياء والاولياء (ع) وكتبهم واحكامهم القالبيّة والقلبيّة وسائر اجزاء عالم الطّبع الّتى هى كالمشكوة بتمامها مستنيرة بنور المصباح وذلك النّور هو ذكر الحقّ و تذكّره ، و اهل الذّكر تارة يطلق على من بتصرّفه الذّكر كالاولياء و الانبياء والرّسل (ع) وتارةً يطلق على من اضيف اليه الذّكر وهو كلّ من قبل دعوة الرّسل (ع) والانبياء الدّعوة الظّاهرة اودعوة الاولياء (ع) الدّعوة

(١) قبيعة السّيف ، كالسّقيفه ماعلى طرف مقبض السّيف من فضة اوحديد

الباطنة، وكذا يطلق اهل الـذّكر على من انتحل الدّعوة العامّة كاليهود والنّصارى والمجوس واكثر اهل الاسلام فانّهم ليسوا من اهل الذّكر و الملّة الآلهيّة حقيقةً اذ تحقّق الانتساب الى ملّة له شرائط و عهود و مواثيق وليست تلك لهم ، والذّكر يطلق على الاولياء واحكامهم وعلى الانبياء والرّسل(ع) واحكامهم و كتبهم الآلهيّة فتفسير الذّكر بالرّسول (ص) و بعليّ(ع) وبالقرآن وبسائر الكتب السّماويّة وبأحكام الرّسالة والنّبوّة الّتى هى الملّة الآلهيّة صحيح ، وكذلك تفسير اهل الذّكر بالانبياء والاولياء (ع) والاصل فى الكلّ آل محمّد (ص) وبمن قبل الدّعوة العامّة ومن قبل الدّعوة الخاصّة وبمن انتحل الانتساب الى نبيّ وملّة آلهيّة وكتاب سماويّ كلّها صحيح ، و السّؤال قد يكون عن حال الرّسل و الانبياء والاولياء (ع) ، و قد يكون عن علامات رسولنا الختميّ(ص)وعن اوصيائه ، وقد يكون عن احكام النّبوّة ؛ اذا عرفت ذلك سهل عليك التّفطّن بصحّة ما فى الاخبار من اختلاف تفسير الآية ومن التّفاسير الّتى هى مخالفة لظاهر الآية من انكار تفسير اهل الذّكر باهل الكتاب وانّ اهل الكتاب اذا سألوا يدعونكم الى دينهم ومن تفسير اهل الكتاب وتخصيصهم بانفسهم [اِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ] اوصاف الانبياء اواوصاف محمّد(ص) الموعود اولاتعلمون احكام الدّين اولاتعلمون [بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ] البيّنات آثار النّبوّة والرّسالة واحكامهما والزّبر آثار الولاية واحكامها، والتّفسير بالمعجزات والكتب السّماويّة لانّهما آثار النّبوّة والولاية،وقيل: قوله بالبيّنات والزّبر متعلّق بماارسلنا ، وقيل : متعلّق بمحذوف وهومستأنف كأنّه قيل: بم ارسلوا؟ـ فقال: بالبيّنات والزّبر [وَاَنْزَلْنا اِلَيْكَ الذِّكْرَ] اى القرآن اواحكام النّبوّة اوالولاية [لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ اِلَيْهِمْ] والمقصود من مجموع ما نزل ولاية عليّ(ع) فلاينبغى لك ان تنظر الى ردّهم وقبولهم بل عليك النّظر الى غاية الامر و التّنزيل وهى التّبيين ردّوا اوقبلوا [وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فيعلموا انّ الاصل فى جملة الاحكام هوالاقتداء والخروج من الرّأى والاستبداد ولا يتيسّر ذلك الّا بوجود من يقتدى به وانّه لابدّ لك من تعيين من يقتدى به باذن الله حتّى يسلّموا الامر لخليفتك ومن عيّنته فيقتدوا به ويفلحوا [اَفَأَمِنَ الَّذينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ] و خصوصاً انكار الولاية الّتى بها قوام الصّالحات و فى انكارها ليس الاعمال الّا السّيئات [اَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْاَرْضَ اَوْيَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لايَشْعُرُونَ] بمجيئه من تلك الحيثيّة كاتيان العذاب من حيث يرجى الثّواب وهو صورة الاعمال الصّالحة اذا لم تكن بأمر خليفة الله كما قال: قل هل انبّئكم بالاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدّنيا وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً فانّ صورة الاعمال الشّرعيّة تصير سبباً لغرور النّفس وحسبان انّها على خير لكنّها ان لم تكن بامر وليّ الامر (ع) وخليفة الرّسول(ص) بل باستبداد النّفس ورأيها اورأى من ليس للرّأى باهل فهى ضالّة غير نافعة ، اوالمقصود من حيث لا يشعرون بشيء من العذاب وعدمه كوقت المنام والغفلة عن الاعمال والعذاب ولعلّه اوفق بما بعده [اَوْيَأْخُذَهُمْ فى تَقَلُّبِهِمْ] فى مكاسبهم ومتاجرهم او فى تقلّبهم فى آرائهم ومكرهم ، او فى تقلّبهم فيما يحسبونه صلاحاً لهم كصور الاعمال الصّالحة [فَما هُمْ بِمُعْجِزينَ] لنا ان نعذّبهم فى عين استيقاظهم وتفطّنهم [اَوْيَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ] حال كونهم على حذر و التفات الى العذاب وتمحّلهم لدفعه بان يتنبّهوا بما نزل بامثالهم [فَاِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ] الفاء للسّببيّة المحضة لا من الّذين مكروا السّيّئات يعنى لاينبغى ان يأمنوا بسبب رحمته فانّ رحمته لاتصل اذا لم يكن استحقاق ، او للجواب والجزاء لشرط محذوف يعنى ان يمهلكم

ولا يعاجلكم فانّ ربّكم لرؤف رحيم ، اوللسّببيّة لمحذوف من غير تقدير بشرط كأنّه قيل: لم لايؤاخذهم؟- فقال: لايؤاخذ فانّ ربّكم لرؤف رحيم [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ ظِلَالُهُ] يتقلّب ظلاله بتقلّبه [عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ] توحيد اليمين وجمع الشّمائل للاشارة الى وحدة جهة اليمين فى المعنى وكثرة جهة الشّمائل فانّ اليمين المعنويّة لكلّ شيء هى وجهته الا لهيّة وشماله هى وجهته الخلقيّة والوجهة الآلهيّة كثرتها منطوية فى الوحدة والوجهة الخلقيّة وحدتها فانية فى الكثرة [سُجَّدًا لِلَّهِ] حال من ظلاله اوممّا خلق الله ، وجمعه باعتبار المعنى [وَهُمْ دَاخِرُونَ] حال مترادفة مع سابقه اومتداخلة اوكلّ حال من ذى حال ، والدّخور الانقياد و جمعه بالواو والنّون لانتساب وصف الدّخور اوالسّجود الّذى هومن اوصاف العقلاء اليهم ، اولانّ الكلّ من حيث انتسابها الى الله عقلاء علماء .

اعلم ، انّ الظّلّ هوشاكلة الشّاخص الّتى تحدث من الشّاخص الكثيف اذا قابل شيئاً منيراً فى طرف مقابل للمنير وهى تتقلّب بتقلّب الشّاخص وتسكن بسكونه ولا اختصاص لها بما يقابل الشّمس ولا بما فى عالم الطّبع بل تحصل من كلّ مايقابل منيراً ، والمنير الحقيقىّ هو الله وفعله المعبّر عنه بالمشيّة، وعالم العقول بالنّسبة الى المشيّة كالشّاخص ، وعالم النّفوس بالنّسبة الى العقول كالشّاخص، والمثال بالنّسبة الى النّفوس، وعالم الطّبع بالنّسبة الى عالم المثال، وعالم الجنّة بالنّسبة الى عالم الطّبع، فظلّ كلّ عبارة عمّا دونه من العوالم وسجود كلّ عبارة عن تسخّره لله تعالى شأنه وتذلّله له تكويناً ، ودخوره عبارة عن اتّباعه وحركته وسكونه على وفق ارادته ومشيّته والكلّ بالنّسبة اليه ذووشعور وارادة وعلم . ولمّا كان لعالم الطّبع ظلّ نورانىّ كما يحدث من المرآة حين مقابلة الشّمس وينعكس منها الى جهة الشّعاع لا الى خلافه وهو المعبّر عنه بالمثال الصّاعد وظلّ ظلمانىّ كما يحدث من خلف المرآة وينعكس الى الجهة المخالفة للشّعاع وهوالمعبّر عنه بالمثال النّازل والملكوت السّفلىّ وعالم الظّلمة ، وكانت الملكوت السّفلىّ محلّ الكثرات و الاختلافات والتّغيّرات وكانت الشّمال تعبيراً عن هذه ، والملكوت العليا محلّ الوحدة واتّحاد المتكثّرات واجتماع المتغايرات وكانت اليمين تعبيراً عنها قال عن اليمين والشّمائل اشارة بوحدة الاوّل وجمع الثّانى الى جهة اتّحاد الاوّل وكثرة الثّانى [وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] نتيجة لسابقه كأنّه قيل: مافى السّماوات وما فى الارض ظلّ لله تعالى وكلّ ظلّ ساجد منقاد لذى ظلّه كماهومشهود من ظلال الاشياء، فمافى السّماوات والارض ساجد داخر لله [مِن دَابَّةٍ] بيان لما فى السّماوات ومافى الارض على ان يكون الدّابة هى الّتى تتحرّك اوبيان لما فى الارض [وَالْمَلَائِكَةُ] عطف على دابّة بطريق النّشر خلاف اللّفّ اوعلى مافى السّماوات والمراد الملائكة الّذين هم فوق السّماوات والارض [وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] عن عبادته [يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ] حال على سبيل التّرادف اوالتّداخل اومستأنف لبيان حالهم اوللتّعليل على عدم استكبارهم وفاعل لايستكبرون امّا الملائكة اوجملة مافى السّماوات ومافى الارض والملائكة وليس المراد بالخوف ماهو من صفات النّفس ومنفىّ عمّن تخلّص من النّفس وصفاتها كما قال تعالى : الا انّ اولياء الله لاخوف عليهم بل المراد هو التّذلّل والانقباض الّذى هو حاصل لكلّ محاط بالنّسبة الى المحيط المعبّر عنه بالخشية والهيبة والسّطوه باعتبار مراتب الموصوفين ولذلك قيّده بقوله: من فوقهم سواء كان ظرفاً مستقرّاً حالاً من ربّهم، اوظرفاً لغواً متعلّقاً بيخافون اى يخافون خوفاً ناشئاً من فوقهم [وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ] فانّ حالهم كحال القوى النّفسانيّة بالنّسبة الى النّفس الانسانيّة من حيث انّها لاتعصيها اذا كانت باقية على السّلامة الطّبيعيّة بل كحال الصّور الذّهنيّة بالنّسبة الى النّفس من حيث انّها لاوجود لها سوى وجود النّفس، فحال الملائكة بل حال جميع الموجودات تكويناً كحال القوى والصّور الذّهنيّة وان كان حال الانسان اختياراً غير حاله تكويناً لانّه يعصى ويتأبّى ممّا امر به ويزعم انّ له وجوداً وفعلاً بنفسه [وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ] لمّا كان الٰهين مشتملاً على الجنس و العدد اكّده باثنين اشعاراً بانّ النّهى عن الاتّخاذ انّما هو بالنّسبة الى العدد كما فعل الثّنويّة لا الى الجنس فانّ اخذ الاٰله مأمورٌ به مع وصف الوحدة كما قال [إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ] اثباتاً للجنس مؤكّداً بالوحدة ولم يقل: بل اتّخذوا الٰهاً واحداً، اشعاراً بانّ كونه الٰهاً ليس بجعل جاعل حتّى يؤمر بالاتّخاذ بل هو امر ثابت فى نفسه اخذ اولم يؤخذ [فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ] جواب شرط محذوف كأنّه قال : اذا كان الاٰله واحداً وانا ذلك الواحد فايّاى فارهبون يعنى ايّاى اتّخذوا الٰهاً وارهبونى [وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ] عطف فى معنى التّعليل [وَلَهُ الدِّينُ] الدّين ههنا الطّريق المؤدّى للسّالك فيه الى غايته [وَاصِبًا] واجباً لازماً حال من الدّين اى حال كونه لازماً يعنى الدّين التّكوينىّ الفطرىّ بخلاف التّكليفىّ الاختيارىّ فانّه قد يكون للشّيطان ومنهياً للسّالك الى الشّيطان او وصف للمفعول المطلق مؤكّداً لغيره اى له الدّين حقّاً واصباً ، والدّين على هذا هو الطّريق الحقّ وعلى اىّ تقدير فالمقصود انّ الدّين الفطرىّ له اوالدّين الحقّ له فاجعلوا الدّين بحسب اختياركم له [أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ] عطف على محذوف اى اغير الله تتّخذون الٰهاً فغيره تتّقون اوجواب شرط محذوف اى اذا كان الاٰلهة له وحدة فأغير الله تتّقون على ان يكون الهمزة على التّقديم والتّأخير [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ] حال من الله او من فاعل تتّقون [ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] تتضرّعون يعنى اغير الله تتّقون والحال انّ النّعمة منه ولا دافع للمضرّة الّا هو والاتّقاء من الاٰله امّا للخوف من منع النّعمة اوايصال النّقمة [ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] بدل ان يوحّدوه ويعظّموه لنعمة كشف الضّرّ [لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ] من نعمة كشف الضّرّ و سائر النّعم يعنى يصير غاية اشراكهم ذلك [فَتَمَتَّعُوا] امر للتّهديد [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ] عطف على يشركون وبيان لاشراكهم [تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ] من اتّخاذ الاٰلهة والتّقرّب بهم الى الله وجعل النّصيب من رزق الله لهم [وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ] وفيه افتراءان؛ جعل الملائكة اناثاً، ونسبة التّوالد اليه تعالى [سُبْحَانَهُ] عن نسبة التّوالد و هو للتّعجّب اله البنات [وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ] اى البنون [وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ] جملة حاليّة [ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] ساتر للغيظ اومملوّ من الغيظ [يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ] قائلاً عند نفسه متفكّراً [أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ] و هوان من امساكه [أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ] ليتخلّص من هوانه [أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] من جعل النّصيب فى رزق الله لغيره وجعل البنات له وجعل الملائكة اناثاً و جعل البنين لانفسهم [لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ

وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى] يعنى ان كانوا يريدون بجعل الملائكة بنات تمثيلاً لحال الملائكة فى غاية قربهم من الله وكرامتهم عليه لا التّوالد الحقيقىّ فليمثّلوا بالمثل الاعلى له ولا يمثّلوا بمثل السّوء له ويبقوا المثل الاعلى لانفسهم، اولله المثل الاعلى فليمثّلوا بالامثال اللّائقة بعلوّه ممّا يدلّ على التّنزّه عن التّوالد [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لا يتطرّق شبه الحاجة اليه ولا يمثّل له بما يوهم الحاجة [الْحَكِيمُ] الّذى لا يقول الّا عن علم بكنه كلّ شيء [وَلَوْ يُؤٰاخِذُ اللّٰهُ النّٰاسَ بِظُلْمِهِمْ] ومنه تسمية الملائكة اناثاً ونسبة الولد الى الله او التّمثيل له بمثل غير لائق بشأنه [مٰا تَرَكَ عَلَيْهٰا] على الارض [مِنْ دٰابَّةٍ] لانّ ظلمهم قد سرى الى البهم من الدّوابّ وبجزائهم يهلك الدّوابّ ايضاً [وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ اِلٰى اَجَلٍ مُسَمًّى] ليبلغوا ما بلغوا من الشّقاوة و يتوب من يتوب و يسعد من يسعد [فَاِذٰا جٰاءَ اَجَلُهُمْ لٰا يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَلٰا يَسْتَقْدِمُونَ] قد مضى انّ المعنى اذا قدّر مجيء اجلهم حتّى لا يستشكل بيستقدمون [وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مٰا يَكْرَهُونَ] من البنات والشّركاء فى الرّياسة واراذل الاموال [وَتَصِفُ اَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ] ان قرئ برفع الكذب فهو صفة لالسنتهم كما انّه قرئ الكذب بضمّتين مرفوعاً و جمعاً للكذوب وصفة لالسنتهم، وان قرئ بنصب الكذب كما هو المشهور فهو مفعول تصف و على الاوّل فقوله [اَنَّ لَهُمُ الْحُسْنٰى] مفعول تصف و على الثّانى فهو بدل من الكذب و قد قالوا لئن رجعت الى ربّى انّ لى عنده للحسنى، و يجوز ان يكون انّ لهم الحسنى بتقدير اللّام تعليلاً لتصف على الوجهين والمعنى لانّ لهم الحسنى فى الدّنيا [لٰا جَرَمَ اَنَّ لَهُمُ النّٰارَ] لا كسب جرم فى ذلك اثبات لضدّ ماادّعوا لانفسهم [وَاَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ] فيما ادّعوا لانفسهم اوفى اعمالهم [تَاللّٰهِ لَقَدْ اَرْسَلْنٰا اِلٰى اُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ] كماارسلتك الى هذه الامّة [فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ اَعْمٰالَهُمْ] كما زيّن لهؤلآء فلا تحزن على ما فعلوا فانّه ليس بامر حادث فى زمانك [فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ] فالشّيطان ولىّ الامم الماضية فى النّار اليوم او هو ولىّ امّتك اليوم بتزيين السّوء لهم كما كان ولىّ الامم الماضية قبل ذلك [وَلَهُمْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ] للامم الماضية اولامّتك وعلى اىّ تقدير فهو تهديد لامّته [وَمٰا اَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ اِلّٰا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ] لمّا علمت انّ غاية النّبوّة الدّلالة على الولاية ولولا الولاية لماكان للنّبوّة غاية وانّ الّذى هو معظم مااختلفوا فيه هو الولاية وهو النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون علمت انّ المعنى لتبيّن لهم الولاية [وَهُدًى وَرَحْمَةً] عطف على الفعل المؤوّل [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] يذعنون بالله وبالآخرة اويؤمنون بالايمان العامّ والبيعة النّبويّة، واطلاق التّبيين لكونه عامّاً ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حىّ عن بيّنة، وتقييد الهداية والرّحمة لاختصاصهما بمن استحقّهما [وَاللّٰهُ اَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَاَحْيٰا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا] بانبات الحبوب الّتى تحت ترابها والعروق الّتى فيها وكذلك احياؤكم بعد موتكم حال كونكم نطفة وجماداً وبعد موتكم عن الحيوة الحيوانيّة واحياؤكم فى النّشور [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً] دالّة على بعثكم وعلى علم الله وقدرته [لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] يستسلمون فانّ السّماع اوّل مراتب الايمان ثمّ بعده الايمان ثمّ العقل ثمّ الفكر، والتّذكّر يأتى فى كلّ من المراتب، والمراد بالسّماع الانقياد كما فى قوله لمن كان له قلب او القى السّمع وهو شهيد ولمّا كان دلالة انزال الماء وانبات عروق الارض وحبوبها على علمه وقدرته واحياء

الموتى يكفيها الخروج من العناد و الدّخول فى مقام الانقياد اكتفى فيها بالسّماع [وَإِنَّ لَكُمْ] ايّها المؤمنون اوايّها النّاس [فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ] استيناف اوحال وتذكير الضّمير ههنا وتوحيده امّا لكون الانعام مفرداً فى معنى الجمع اولرجوعه الى البعض وانّه فى سورة المؤمنون على اعتبار اللّفظ اوالمعنى [مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا] من الدّم و الفرث وآثارهما [سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ] عن رسول الله (ص): ليس احد يغصّ بشرب اللّبن لانّ الله يقول : لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين ، وقوله انّ لكم فى الانعام لعبرة خطاباً للمسلمين اوللنّاس اجمعين وقع موقع انّ فى ذلك لآية لقوم يؤمنون اولقوم يشعرون [وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا] من ثمرات النّخيل امّا عطف على ما فى بطونه بدون التّقدير ان كان نسقيكم مستأنفاً اوعلى نسقيكم بتقدير نسقيكم ان كان حالاً وحينئذ يكون تتّخذون حالاً اومستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر وامّا مستأنف متعلّق بتتّخذون ولفظة منه تكون حينئذ تأكيداً للاوّل وامّا مبتدء وتتّخذون خبره بجعل من التّبعيضيّة لقوّة معنى البعضيّة فيها قائمة مقام الاسم المبتدء من دون تقدير اوبتقدير موصوف محذوف اوبجعله اسماً مبتدء بنفسه اى بعض من ثمرات النّخيل تتّخذون منه اى من ذلك البعض، وافراد الضّمير امّا باعتبار تقدير مضاف قبل الثّمرات او بلحاظ معنى البعضيّة فى من والمراد بالسّكر الخمر ولا ينافى حرمتها ذكرها فى مقام الامتنان لانّ حرمتها شرعيّة وكونها نعمة امر عرفىّ عقلىّ، على انّ فيها منافع باستعمالها من غير شرب لها ، ولمّا دلّ الامتنان بها على اباحتها ورد فى الخبر: انّها منسوخة بآية حرمة الخمر، وقيل: فيها اشياء اُخر لكنّ الاتيان بقوله [وَرِزْقًا حَسَنًا] بعده يدلّ على انّ المراد به الخمر وانّها غير حسن [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] لا يكفى فيه السّماع والايمان وان كان لايحتاج الى استعمال المفكّرة [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] وحى الهام فطرىّ تكوينىّ بمعنى انّه اودع فى وجوده التّدبير الّذى يعجز عن مثله العقلاء فانّ تدبير بيوتها مسدّسة مثلاً صفّة بحيث لايكون بينها فرجة ، ونظامها فى خروجها ودخولها فى طاعة يعسوبها ، وعدم وقوعها على الاشياء المنتنة امر يتحيّر فيه العقلاء ، ولمّا كان الآية شاملة بجميع المراتب من التّنزيل والتّأويل كان الوحى بالنّسبة الى الانبياء (ع) على معناه الّذى هو الالقاء بتوسّط الملك، وبالنّسبة الى الائمّة والاولياء (ع) التّحديث والالهام، وبالنّسبة الى النّحل الصّوريّة ايداع قوّة بها يقع هذا النّحو من التّدبير [أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ] من الكروم الّتى يعرشونها و من السّقوف الّتى يرفعونها [ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] لطيفها و خالصها [فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ] الّتى الهمك سلوكها الى البيوت، اوفاسلكى السّبل الّتى الهمك لعمل العسل، اوفاسلكى سبل ربّك من البيوت الّتى هى مسالك لادخال العسل [ذُلُلًا] حال كون السّبل ذلك يسهل السّلوك فيها بتسهيل الله اوحال كونك منقادة لامر ربّك [يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] و هو العسل باختلاف الوانه بالابيضاض والاصفرار والاحمرار والاسوداد [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] منفرداً اومنضمّاً الى غيره لمبرودى المزاج و محروريه و العجب انّه يخرج من محلّ السّمّ ما فيه شفاء ، و فى الخبر : نحن والله النّحل الّذى اوحى اليه ان اتّخذى من الجبال بيوتاً امرنا ان نتّخذ من العرب شيعةً، ومن الشّجر يقول من العجم وممّا يعرشون يقول من الموالى، والّذى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه اى العلم الّذى يخرج منّا اليكم، وفى رواية اخرى:

والشّيعة هم النّاس ، وغيرهم الله اعلم بهم ، ولو كان كما تزعم انّه العسل الّذى يأكله النّاس اذن ما أكل منه ولاشرب ذوعاهة الّاشفى لقول الله تعالى: فيه شفاء للنّاس ولاخلف لقول الله وانّما الشّفاء فى علم القرآن ونّنزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة لاهله لاشكّ ولامرية واهله ائمّة الهدى الّذين قال الله ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا ولمّا كان النّحل وتدبيرها وشراب بطنها مظاهر للائمّة (ع) وتربيتهم للشّيعة وعلمهم كان التّفسير بالنّحل والبيوت المسدّسة وعسلها فى محلّه ،ولمّا كان الوقوف على ظاهر الآية وحصر المقصود فى النّحل الصّوريّة واستقلال النّحل بالقصد منافياً لمقصود الآية من كون القصد الى النّحل من حيث كونها مظهراً لااصالة وكون المقصود استقلالاً هو رؤساء الذّين كان انكار التّفسير بالنّحل الصّوريّة فى محلّه [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] فانّه لايكفى فيه السّماع والايمان ولا العقل والتّذكّر لكثرة دقائقه وخفاء طريق الانتقال الى قدرة بارئها والى ما يمثّل بها له [وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ] بآجالكم [وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ] وهو وقت الهرم ، وفى الخبر : اذا بلغ العبد مائة سنة فذلك ارذل العمر ، وفى خبر آخر: ان يكون عقله مثل عقل ابن سبع سنين [لِكَىْ لَايَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا] لايعلم ماعلمه قبل ذلك ، وفى الخبر : انّ هذا ينقص منه جميع الارواح وينقص روح الايمان وليس يضرّه شيئاً [اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ] بما ينبغى و انّ الموت قبل ارذل العمر خيرلكم ولذلك لايصل اكثركم الى ارذل العمر [قَدِيرٌ] على الايصال الى ارذل العمر [وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ] هذه الجملة و سابقتها ولاحقتها اظهار لنعمه تعالى تمهيداً لذمّ الاشراك و الكفران والتّفضيل بجعل بعض غنيّاً وبعض فقيراً وبعض مالكاً لرزقه ورزق غيره ، وبعض مملوكاً هو ورزقه فى يد غيره [فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّى رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ] ذكر اوّلاً نعمة التّفضيل فى الرّزق و انّ المنعم بها هو الله لاغير ،ثمّ ذكر تمهيداً لابطال الشّركاء انّكم لاترضون فيما فضّلكم الله بتسوية مماليككم المجازيّة لكم فكيف ترضون بتسوية مماليكه الحقيقيّة فيما يختصّ بذاته تعالى له فالمعنى انّ الله فضّل بعضكم على بعض فى الرّزق فما الّذين فضّلوا براضين لردّ الرّزق عن انفسهم واعطائه لمما ليكهم حتّى يكونوا مساوين فى رزق هو لهم من غيرهم ، او المقصود اظهار الانعام عليهم وعلى مماليكهم على السّواء و انّ المنعم من كمال انعامه لايفرّق بينهم وبين مماليكهم فالمعنى والله فضّل بعضكم على بعض فى الرّزق وجعل رزق المماليك ايضاً بيده لابيد المالكين ، فما الّذين فضّلوا برادّى رزقهم على المماليك بل الله هو معطى ارزاق المماليك ؛ وعلى الاوّل فمعنى قوله [فَهُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ] لا يرضون ان يكونوا مع المماليك فى الرّزق سواء ، وعلى الثّانى فمعناه انّ المالكين و المملوكين فى الارتزاق من الله سواء ولا فضيلة للمالكين على المملوكين فى اصل الرّزق بل رزق الكلّ بيده يجرى عليهم على السّواء ، و يؤيّد هذا المعنى ما نقل انّ اباذرّ رحمه الله سمع النّبىّ (ص) انّه قال: انّما هم اخوانكم فاكسوهم ممّا تكتسون ، و أطعموهم ممّا تطعمون ، فما رأى عبده بعد ذلك الّا و رداؤه رداءه وازاره ازاره من غير تفاوت فقوله [اَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ] على هذا انكار لترك التّسوية بين الانفس والمماليك وتسوية له جحوداً ، وعلى الاوّل انكار لجحود نعمة التّفضيل والغفلة عنها وجعل عبيده تعالى شركاء له ومتساوين معه تعالى فى الآلهة مع انّهم لايرضون ذلك لانفسهم [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوٰاجًا]

من جنسكم لتأنسوا بهنّ و ترغبوا فيهنّ وترتاحوا اليهنّ وهذا بيان لنعمة اخرى [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً] قد فسّر الحفدة فى الاخبار ببنى البنت و بالبنين انفسهم فيكون من عطف الاوصاف المتعدّدة لشيء واحد وباختان الرّجل على بناته لانّ الحافد بمعنى المسرع فى الخدمة والكلّ مسرعون فى الخدمة والكلّ من عظام النّعمة [وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] اعطاكم من جملة الطّيّبات من المركوب والمسكون والمطعوم والمشروب اورزقكم من الارزاق الطّيّبة من المطعوم والمشروب [أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ] يعنى بالشّركاء الباطلة اوبانتساب ذلك الى الشّركاء [وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ] من حيث انّهم يسترون انعامه تعالى فيها وينسبونها الى غيره تعالى من الشّركاء [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا] بدل من رزقاً امّا التأكيد التّحقير المستفاد من تنكير رزقاً ، وامّا للاشارة الى تعميم رزقاً وكونه بمعنى نصيباً، والمراد برزق السّماوات هو ارزاق الانسان من حيث انسانيّته وحيوانيّته وبرزق الارض ارزاق الانسان من حيث نباتيّته وحيوانيّته، اوالمراد برزق السّماوات والارض رزق كلّ من المراتب بتعميم الرّزق لما يرزق واسبابه [وَلَا يَسْتَطِيعُونَ] ان يملكوه ، اولا استطاعة لهم ولا قدرة [فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ] اى لا تجعلوا له امثالاً تعبدونها لعبادته، اولاتضربوا له الامثال بتشبيه حاله بحال الملوك وارتضاء الخدمة من عبيدهم ومقرّبيهم واجرائهم ارزاق العساكر على ايدى وزرائهم و امنائهم و بان تقولوا انّ خدمة مقرّبى السّلطان ادخل فى التّعظيم وامثال ذلك فانّه اعلى من ان تعرفوه و تعرفوا كيفيّة اوصافه و افعاله حتّى تضربوا له الامثال [إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ] فقولوا ما علّمكموه [وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] فلا تقولوا من عند انفسكم شيئاً فى شيء فضلاً عن ضرب المثل فيه تعالى [ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا] للشّركاء ولنفسه اوللكافر والمؤمن [عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا] والمراد بالرّزق الحسن هو العلم والحكمة والعيان والتّصرّف فى الملك والملكوت، وانفاق السّرّ هو ما يصل الى الملك ببركته ومن طريق السّرّ، وانفاق الجهر هو مايعلمه ويلقّنه غيره بحسب الظّاهر، وحاصل المرام وغاية المقصود من الآيات السّابقة واللّاحقة هو تمثيل حال علىّ (ع) فانّ النّعمة الحقيقيّة هو علىّ(ع) وولايته والباطل الحقيقىّ هو اعداؤه واصل من رزقه الله تعالى رزقاً حسناً هو علىّ (ع) وغيره كائناً من كان مرتزق بتوسّطه والمملوك الّذى لايقدر على شيء هو اعدائه [هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ] على نعمة عدم التّسوية وحكمة اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وهو تعليم للعباد ان يحمدوا على كلّ النّعم [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] حال المملوك العاجز والقادر المنفق ولذلك يسوّون بينهما او لايعلمون عدم جواز التّسوية بينهما او لا يرتقون الى مقام العلم عن مقام الجهل ولذلك يسوّون بينهما ويختارون العاجز على القادر [وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا] للشّركاء و لنفسه او للكافر والمؤمن او لعلىّ (ع) ولاعدائه و مخالفيه [رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ] ولد اخرس لاينطق ولايفهم نطق غيره [لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ] من النّطق وسائر الافعال كمن كان جميع حواسّه وجميع قواه المحرّكة معطّلة [وَهُوَ كَلٌّ] ثقل [عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] يعنى من كان متّصفاً بالعدل فى جميع احواله واقواله وافعاله ويعرف العدل فى جميع موارده ويأمر غيره

بالعدل لأنّ الامر بالعدل يستلزم الاتّصاف به ومعرفته فى جميع موارده، وللاشارة الى هذا قال [وَهُوَ عَلٰى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ] اى على التّوسّط بين طرفى الافراط والتّفريط فى جميع ماذكر [وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] ما غاب عنهما او جهتهما الّتى هى غائبة عن العباد و من غيبهما الخفايا من احوال العباد و يلزم منه خفاء صاحب الخير والشّرّ فلاتعلمون من العباد من كان بحسب السّريرة كالمملوك العاجز ومن كان آمراً بالعدل والله يعلم ذلك وهوبمنزلة انّ الله يعلم وانتم لا تعلمون فى الآية السّابقة والمقصود انّكم لمّا لم تكونوا عالمين باحوال الاشياء والعباد لم يجز لكم ان تختاروا من عند انفسكم شريكاً لله او لعلىّ (ع) ولا احداً لهدايتكم وجلب نفعكم ودفع ضرّكم و لزم ان تكلوا الامر اليه تعالى فانّه العالم بمن ينبغى ان يختارو بمن ينبغى ان لا يختار فلا تجاوزوا فى ذلك النّصّ من الله على لسان من علمتم خلافته لله [وَمٰا اَمْرُ السّٰاعَةِ] فى سرعة اتيانها و حساب الخلائق فيها و جزاء الخلائق على اعمالهم [اِلّٰا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْهُوَ اَقْرَبُ] و هو تهديد لمن استبدّ برأيه و خالف امرالله و نصّه فى احكامه [اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] من حساب الخلائق فى اسرع زمانٍ وعقوبة العاصى و ثواب المطيع [وَاللّٰهُ اَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ اُمَّهٰاتِكُمْ لٰا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصٰارَ وَالْاَفْئِدَةَ] يعنى جعل لكم كلّ ما تحتاجون اليه فى تعيّشكم الدّنيوىّ ومنافعكم الاخرويّة وفى حصول العلم الّذى هومبدأ ذلك كلّه [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] تلك النّعمة فتصرفون كلّاً فيماخلق لاجله [اَلَمْ يَرَوْا اِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرٰاتٍ فِى جَوِّ السَّمٰاءِ مٰا يُمْسِكُهُنَّ اِلَّا اللّٰهُ] بخلق مايقدرن به على الاستمساك فى الجوّ فانّ الله خلق كلّ شيءٍ وخلق له ما به تعيّشه وحركته وسكونه [اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰاتٍ] على علمه وقدرته وحكمته وعدم اهماله لشيءٍ من الاشياء من دون تهيّة ما يحتاج اليه [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالآخرة فانّهم يعلمون انّ الّذى لم يهمل شيئاً من الاشياء واعطى كلّ شيءٍ مايحتاج اليه لم يهمل الانسان الّذى هو اشرف الاشياء ولم يترك مايحتاج اليه فى اشرف جهاته وهى الآخرة بل جعل لهم رئيساً يدلّهم عليها ويمنعهم عمّا يضرّهم فيها ويأمرهم بما ينفع فيها ولم يكل اختيار ذلك اليهم حتّى يجعلوا برأيهم له شريكاً اويختاروا لانفسهم فى امر الآخرة الّذى هوغيب عنهم اماماً و رئيساً [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْاَنْعٰامِ بُيُوتًا] يعنى الاخبية المتّخذة من الاديم والشّعروالصّوف [تَسْتَخِفُّونَهٰا] تعدّونها خفيفةً لاكبيوت الطّين والاحجار [يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ اِقٰامَتِكُمْ وَمِنْ اَصْوٰافِهٰا وَاَوْبٰارِهٰا وَاَشْعٰارِهٰا اَثٰاثًا] لبيوتكم من الفرش والالبسة ومحالّ الامتعة وغير ذلك [وَمَتٰاعًا اِلٰى حِينٍ] ما تتمتّعون به الى مدّة اندراسه [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّٰا خَلَقَ] من الشّجر و الجبال و الجدران [ظِلٰالًا] ماتستظلّون به [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبٰالِ اَكْنٰانًا] ماتستترون فيه من الغيران اوماتنحتون فيها [وَجَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ] ثياباً فانّ السّربال يستعمل فى كلّ ملبوسٍ، و المراد بالاثاث والمتاع غير الثّياب ، او المراد بالسّرابيل غير ما يكون من الصّوف والوبر والشّعر والجلود ، اويكون تعميماً بعد تخصيص من وجه كمايكون تخصيصاً بعد تعميمٍ من وجهٍ آخر [تَقِيكُمُ الْحَرَّ] اى و البرد اسقطه و اكتفى بذكر الحرّ لعدم الاحتياج الى ذكره لوضوحه بقرينة المضادّة وانّ الحاجة الى اللّباس فى البرد اشدّ منه فى الحرّ وللاهتمام بالحفظ من الحرّ

فى بلاد العرب [وَسَرابِيلَ تَقيكُمْ بَأْسَكُمْ] كالدّروع و لمّا كان تعداد النّعم الصّوريّة الجسمانيّة مقدّمة لتفهيم النّعم الاخرويّة الرّوحيّة وهى ارسال الرّسل لتبليغ الولاية واعداد الخلق لقبولها والسّير على طريقها وانّ المنعم لم يدع عالم الاجسام غير مهيّاة له اسباب قوامه وبقائه فكيف يدع عالم الارواح والجهة الرّوحانيّة فى الانسان غير مهيّاة له اسباب كما له وبقائه ، وانّ عمدة اسباب كما له وبقائه ارسال الرّسل للانذار من الرّكون الى الاجسام و الدّلالة على طريق الولاية و فتح باب القلب و ايلاء الولاة لتعليم طريق الولاية و تلقين ما يفتح به باب القلب بعد انقضاء ايّام الرّسالة ، عقّب المذكورات من النّعم المعدودة بقوله [كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ] يعنى مثل اتمام النّعم الجسمانيّة الصّوريّة المختلطة بالآلام و الاسقام والمتاعب والمشاقّ يتمّ نعمته الحقيقيّة الّتى هى حاصلة ارسال الرّسل وغايته وهى الولاية ولايهملكم فى تلك الجهة من غير تهيئة اسباب كما لكم وبقائكم فيها [لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] تنقادون [فَإِنْ تَوَلَّوْا] صرف الخطاب الى محمّدٍ (ص) يعنى ان تولّوا عن تلك النّعمة العظمى الّتى هى ولاية علىٍّ (ع) فلا بأس عليك [فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ] وقد بلّغت وامّا الاقبال والتّولّى فليس عليك وفى الآية وجوه أخر بحسب مراتب النّعم الاخرويّة والدّنيويّة الجسمانيّة لكنّ المذكور هو خلاصة الكلّ و بتذكّر ما اسلفنا لك مراراً يمكن التّفطّن بها [يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّٰهِ] قد فسّر فى اخبار عديدةٍ نعمة الله ههنا بعلىٍّ (ع) وهو ماذكرنا من خلاصة الوجوه والّا ففيها وجوه أخر بحسب المراتب ، وقد ذكر فى بعض الاخبار انّ الآية نزلت بعد ماقالوا اعرفنا صدق محمّد (ص) ولكن لانطيعه فى علىٍّ (ع) ولانتولّى عليّاً (ع) [ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَأَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ] فى عين اسلامهم بك لانّهم كفروا بعلىٍّ (ع) اوبقولك اوكانوا كافرين بك من اوّل اسلامهم فانّ الاسلام يقتضى الانقياد وعدم الاعتراض على فعل الرّسول (ص) وقوله واطاعته فى جميع اوامره ونواهيه، ولمّا انكروا عليه قوله علم انّهم لم يكونوا مسلمين [وَيَوْمَ نَبْعَثُ] عطف على نعمة الله، اوعلى مفعول ينكرونها ، اومتعلّق بمحذوفٍ معطوفٍ على محذوف اى فحذّرهم وذكّرهم، اوالتّقدير فاعذّبهم اليوم ويوم نبعث [مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً] ولمّا كان عناية الله بتكميل الخلق فى جهتهم الاخرويّة جعل فى كلّ امّةٍ واقعة فى طول الزّمان وكذا فى كلّ فرقة واقعة فى بقاع المكان خليفة منه يكون شاهداً عليهم ومراقباً لاعمالهم واحوالهم ومعطياً لمن استعدّ منهم حقّه من آداب السّلوك الى الآخرة والاستعداد لنعيم الجنّة ، ويكون ذلك الخليفة باقواله وافعاله واحواله ميزاناً للكلّ ويوم القيامة يبعث الله كلّ امّة ويبعث خليفتهم بشهادته قالاً وحالاً عليهم، فمن وافقه بعض الموافقة بعثهم الى الجنان بحسب مراتبهم فى مراتبها ، ومن خالفه كلّ المخالفة بعثهم الى النّيران بحسب مراتبهم فى مراتبها ، والمقصود تهديد من خالف من امّته (ص) خليفته عليّاً (ع) كما انّ الآيات السّابقة كانت لترغيبهم اليه (ع) [ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] فى التّكلّم والاعتذار بل المتكلّم هو الخليفة لاغير [وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] يسترضون من العتبى بمعنى الرّضا [وَإِذا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ] يمهلون او لايلتفت اليهم بالنّظر [وَإِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ] من الاصنام والكواكب والشّياطين وخلفاء الجور [قالُوا رَبَّنا هٰؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا] اى الشّركاء [إِلَيْهِمُ] الى المشركين [الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ] فى ادّعاء اشراكنا بل كنتم تعبدون اهواءكم وجعلتم صورة

عبادتنا جالبة لمقتضى اهويتكم [وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ] الاستسلام والانقياد [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الآلهة والشّركاء و استحقاقهم العبادة و الشّفاعة و النّصرة [اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ] كفروا بالله او بالرّسول او بالولاية و منعوا الغير عن الولاية او اعرضوا عنها [زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ] لكفرهم وصدّهم [بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ] فى ارض وجودهم و فى ارض عالم الطّبع بمنع القوى عن الرّجوع الى القلب ومنع النّاس عن الرّجوع الى صاحب القلب [وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ] لمّا كان هذه الآية تأكيداً لسابقتها فصّلها وأجمل الاولى [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة والقرآن صورته واحكام القالب والقلب ايضاً صورته ، ولمّا كان النّبوّة مقام الجمع بعد الفرق وتفصيلاً للوحدة الاجماليّة واجمالاً للكثرة كان فيه بيان كلّ شيءٍ وظهوره ولذلك قال [تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى] الى الولاية والايمان القلبىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَرَحْمَةً] لانّ النّبوّة لكونها صورة الولاية رحمة بكون الولاية رحمة [وَبُشْرَى] بشارة الى مراتب الولاية [لِلْمُسْلِمِينَ] البايعين بالبيعة العامّة او المنقادين المشار اليهم بقوله او القى السّمع وهو شهيد.

بيان العدل

[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] العدل التّوسّط بين طرفى الافراط والتّفريط فى جملة الامور، اووضع كلّ شيءٍ موضعه، وهو يحصل بمعرفة تفاصيل الاشياء بمراتبها ومقاماتها ودقائق استحقاقاتها بحسب تعيّناتها واعطاء كلّ ما تستحقّه بحسب اقتضاء طبائعها فى التّكوينيّات و اقتضاء افعالها فى التّكليفيّات وهو يقتضى السّياسات واجراء الحدود والامر بالمعروف والنّهى عن المنكر وتهديد المعرض وترغيب الرّاغب وهذا شأن الصّدر والقلب من جهتهما الخلقيّة حال كونهما مستنيرين بنور الرّسالة والنّبوّة بالاتّصاف بهما او بالاتّصال بهما ولذلك فسّر العدل فى اخبارنا بمحمّد (ص) لاختصاص النّبوّة والرّسالة به (ص) فى زمان التّخاطب وصحّ تفسيره بالنّبوّة والرّسالة وبوضع كلّ شيءٍ موضعه وبالتّوسّط بين الافراط والتّفريط فى جملة الامور [وَالْإِحْسَانِ] الاحسان امّا بمعنى صيرورة الانسان ذا حسنٍ اوبمعنى ايصال المعروف مع اغماض النّظر عن الاستحقاق، والمناسب ههنا المعنى الثّانى لاعتبار الاضافة الى الغير فى العدل وفى ايتاء ذى القربى ولكونه بعد العدل الّذى هو اعتبار الاستحقاق فى الاعطاء ، والاحسان بهذا المعنى شأن الرّوح والقلب من جهته الرّوحيّة وهو شأن الولاية، ولذلك فسّر فى الاخبار بعلىّ (ع) وصحّ تفسيره بالولاية من حيث الاتّصاف بها اومن حيث الاتّصال بها [وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى] تخصيص بعد تعميم للعدل والاحسان باعتبار المتعلّق لاختصاص ذى القربى بمزيد رجحانٍ ، وذوالقربى اعمّ من القرابات الرّوحانيّة والجسمانيّة فى العالم الكبير والعالم الصّغير كما انّ متعلّق العدل والاحسان اعمّ ممّا فى العالم الكبير والصّغير، ولمّا كان المستحقّ لاداء امانة الخلافة اصل ذوى القربى، ورد انّ المراد اداء امامٍ الى امامٍ [وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ] الفعل الّذى يعدّه العقلاء اى اصحاب الشّرع فاحشاً من غير اعتبار التّعدّى الى الغير مقابل العدل [وَالْمُنْكَرِ] اى الفعل المتعدّى الى الغير الّذى يعدّه الشّارعون قبيحاً ضدّ المعروف مقابل الاحسان [وَالْبَغْيِ] التّطاول على النّاس او الخروج من طاعة العقل وعدم الانقياد لذى القربى مقابل ايتاء ذى القربى خصوصاً على تفسير ذى القربى بائمّة الهدى (ع) [يَعِظُكُمْ] ينصحكم ويبيّن ما ينفعكم ويضرّكم [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] قيل

لولم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انّه تبيان كل شيء [وَاَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ] عطف على انّ الله يأمر بالعدل فانّه فى معنى اعدلوا، وعهدالله هو العهد المأخوذ فى البيعة العامّة النّبويّة الاسلاميّة او البيعة الخاصّة الولويّة الايمانيّة [اِذا عاهَدْتُمْ] التّقييد به نصّ على انّ هذا العهد امر واقع فى دار التّكليف وليس المراد ماوقع سابقاً فى الذّرّ كما يفسّر به العهود المطلقة فى القرآن وتنبيه على انّ الوفاء بالعهد لايتصوّر ما لم يقع صورته فى دار التّكليف ، والمراد بالوفاء بالعهد الوفاء بشروطه الّتى تؤخذ على المعاهد حين البيعة، والمراد بقوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم هو هذا العهد وشروطه، وتسمية ذلك عهدالله لانّه عهد مع من اذن الله له فى اخذ العهد عن عباده واليه اشار بقوله انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم بطريق الحصر اشعاراً بانّ الواسطة لاحكم له وانّما الحكم لذى الواسطة فقط [وَلاتَنْقُضُوا الْاَيْمانَ] المراد بالايمان هى العهود المأخوذة بالبيعة،وتسميتها ايماناً لحصولها بالايمان كسائر المبايعات [بَعْدَ تَوْكيدِها] يعنى لا تنقضوا البيعة النّبويّة بعد توكيدها بالبيعة الولويّة فانّ البيعة الاسلاميّة اذا لم تؤكّد بالبيعة الايمانيّة كان فى نقضها توبة وتقبل توبة ناقضها لأنّه كاشف فى الاغلب عن الارتداد الملّىّ ، وامّا البيعة الايمانيّة فلا تقبل توبة ناقضها لانّه كاشف فى الاغلب عن الارتداد الفطرىّ وهو مبالغة فى نهى من يبايع عليّاً(ع) فى الغدير عن نقض بيعته بعد ما بايع محمّداً (ص) بيعة اسلاميّة و لقد اكّد تلك البيعة نفسها ايضاً بان امر النّبىّ (ص) الخلائق بالبيعة مع علىّ (ع) فى ذلك اليوم ثلاث مرّات ، وفى خبر ولقد عقد محمّد (ص) عليهم البيعة لعلىّ(ع) فى عشرة مواطن ، و قد فسّرت الآية فى الاخبار ببيعة غدير خم [وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفيلاً] تعديته بعلى لتضمين معنى المراقبة اى جعلتم الله رقيباً عليكم بواسطة كفالته لاموركم فى تلك البيعة المؤكّدة بالبيعة الولويّة ، وفيه اشارة الى انّ بائع البيعة الولويّة كان الله كفيلاً لاموره فليكل الامور اليه و رقيباً عليه فليحذر الفسوق بعده كما قال : بئس الاسم الفسوق بعد الايمان [اِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ] جواب سؤال عن العلّة اوعن حال الله معهم [وَلاتَكُونُوا كَالَّتى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ] واستحكام للفتل [اَنْكاثاً] جمع نكث بالكسر وهو امّا حال من الغزل لانّه مصدر بمعنى المفعول فى معنى الجمع اوانكاثاً جمع فى معنى المفرد بحسب الاستعمال لانّه يقال حبل انكاث ، وامّا مفعول ثان لنقضت بتضمين معنى صيّرت و هو تشبيه تمثيلىّ لحال من بايع البيعة الاسلاميّة فانّ البيعة الاسلاميّة كالخيط المغزول الموصول من البائع الى من بايع معه بل الى الله ، ثمّ اكّد تلك بالبيعة الايمانيّة فانّها مثل استحكام الخيط المفتول بفتل آخر ثمّ نقض البيعة فانّ نقضها مثل نقض فتل الخيط بحال امرأة غزلت واتعبت نفسها فى غزلها واستحكامه ثمّ نقضت غزلها فى تحمّل المتاعب وعدم الانتفاع بالغزل ، و فى الخبر انّ الّتى نقضت غزلها كانت امرأة من بنى تميم يقال لها ريطة كانت حمقاء تغزل الشّعر فاذا غزلته نقضت ثمّ عادت فغزلته فقال الله كالّتى نقضت غزلها [تَتَّخِذُونَ اَيْمانَكُمْ] عهودكم الّتى اخذت منكم فى البيعتين [دَخَلاً بَيْنَكُمْ] حال من اسم لاتكونوا اواستيناف جواب لسؤال مقدّر لقصد ذمّهم على حالهم هذه ، والدّخل محرّكة الفساد فى العقل والجسم والمكر وما داخل الشّيء وليس منه ، والرّيبة؛والكلّ مناسب ههنا [اَنْ تَكُونَ اُمَّةٌ هِيَ اَرْبى مِنْ اُمَّةٍ] كراهة ان تكون امّة هم علىّ(ع) واتباعه اربى من امّة هم مخالفوهم ، اولأن تكون امّة هم قريش اربى من امّة هم محمّد(ص) و اتباعه ، الاربى الارفع سواء كان فى العدد ، او فى المال ، او فى القوّة ، او فى الجاه [اِنَّما يَبْلُوكُمُ اللّهُ]

به يختبركم باتّخاذ الايمان اويكون بعض اربى من بعض ليظهر ثبات من يثبت على الايمان ونكث من ينكث [وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] عطف على محذوف اى ليظهر سعادة السّعيد وشقاوة الشّقىّ وليبيّن [مٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] واعظم مافيه تختلفون ولاية علىّ (ع) لانّها النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وٰاحِدَةً وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَيَهْدى مَنْ يَشٰاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمّٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] تهديد لهم على اعمالهم وتحذير عمّا يضمرونه من عداوة علىّ (ع) ولمّا كان قوله ولكن يضلّ من يشاء (الى آخر الآية) مشعراً بالجبر واسقاط العقوبة قال ولتسئلنّ (الآية) اشعاراً بالاختيار وثبوت العقوبة [وَلاٰ تَتَّخِذُوا اَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ] تصريح بالنّهى بعد الاشارة اليه تأكيداً واشعاراً بعظمة قبح ذالك [فَتَزِلَّ قَدَمٌ] عن الايمان [بَعْدَ ثُبُوتِهٰا] بالبيعة وافراد القدم مع اقتضاء العبارة جمعها للاشعار بانّ البائع له اقدام ثابتة فى مراتب الاسلام و الايمان ولو زلّت قدم منها فكانّما زلّت جميع الاقدام [وَتَذُوقُوا السُّوءَ] فى الدّنيا [بِمٰا صَدَدْتُمْ] اهل الارض و اهل مملكتكم فانّ الفاسد يفسد غيره لامحالة والنّاكث يمنع جميع مداركه وقواه [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] التّكوينىّ الّذى هو طريق القلب والتّكليفىّ الّذى هو طريق الولاية والآخرة [وَلَكُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ] فى الآخرة قد كثرت الاخبار من طريق الخاصّة فى تفسير الآيات من قوله تعالى واوفوا بعهد الله الى قوله ولنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون بولاية علىّ (ع) ونزولها حين قال النّبىّ (ص): سلّموا على علىّ (ع) بامرة المؤمنين وامرهم بالبيعة معه [وَلاٰ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ] بيعة محمّد (ص) اوبيعة علىّ (ع) [ثَمَناً قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا واغراضها بان تنكثوا بيعة علىّ (ع) خوفاً من فوت الجاه وطمعاً فى الرّياسة كما كان حال المترئّسين اوطمعاً فى جيف الدّنيا كما كان حال المرئوسين [اِنَّمٰا عِنْدَ اللّٰهِ] ممّا ادّخره لعباده الوافين من نعم الجنان [هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] علمتم انّه خير لكم [مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ] تعليل [وَمٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذينَ صَبَرُوا] على عهدهم ولم ينكثوا [اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] يعنى نجزيهم بجميع اعمالهم جزاء احسن اعمالهم واحسن الاعمال هو الّذى كان على تذكّر من الله ومن الولاية بمراتب التّذكّر من اللّسانىّ والقلبىّ والصّورىّ الملكوتىّ و الحقيقىّ التّحقّقىّ بل الاحسن هو نفس الولاية ، وهذه الآية ارجى آية للبائعين فطوبى لمن صبر على بيعته ، وقد مضى فى مطاوى ما اسلفنا تحقيق الجزاء باحسن الاعمال واسوئها [مَنْ عَمِلَ صٰالِحًا] اى عملاً واحداً صالحاً اىّ عمل كان وقد مرّ مراراً انّ العمل الصّالح الحقيقىّ هو الّذى يكون مرتبطاً بالولاية ، اوالمراد بالتّنكير التّفخيم اى من عمل صالحاً عظيماً هو اصل جميع الصّالحات و هو عمل نفس الولاية [مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ] التّقييد به للاشارة الى انّ صورة العمل من غير ارتباطها بالولاية الّتى هى الايمان غير معتبرة فى الحكم مثل الاعمال الّتى كانت لمنافقى الامّة ، اوالمراد بالايمان ههنا الاسلام [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً] الحيوة الطّيّبة هى ماتكون خالية عن شوب الآلام فى الدّنيا والآخرة وقد فسّرت فى الاخبار بالقنوع بمارزقه الله والرّضا به [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] لمّا كان هذه بشارة كاملة للمبتاعين كرّره تأكيداً [فَاِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ] جواب شرط محذوف اى اذا كان اتّخاذ الايمان دخلاً سبباً لان تزلّ القدم و ان يذاق السّوء و العذاب والصّدق فى الايمان والصّبر عليها سبباً لان يجزى الله جميع الاعمال بجزاء احسن الاعمال فاذا قرأت القرآن الّذى هو صورة شروط

العهود والايمان و تذكرتها [فَاسْتَعِذْ بِاللهِ] فعلى هذا يكون الخطاب عامّاً لكلّ من يتأتّى منه الخطاب اوخاصّاً على طريقة ايّاك اعنى و اسمعى ياجارة [مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ] فانّ الاستعاذة لها اثر عظيم فى منع الشّيطان سيّما اذا كانت بالفعل والحال اوبالقول قريناً للفعل والحال، وبهذه الآية تمسّك من قال بوجوب الاستعاذة القوليّة او استحبابها فى اوّل القراءة ولذلك ضمّن قرأت معنى اردت القراءة وقد مضى فى اوّل فاتحة الكتاب تفصيل تامّ للاستعاذة و كيفيّتها [إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] بالاستعاذة به والتوكّل عليه [إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ] ولايؤمنون بالله [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ] يعنى بعد الايمان او العطف من قبيل عطف الاوصاف العديدة لذات واحدة و انّ الله اسم لذاته تعالى بحسب مقام معروفيّته، ومقام المعروفيّة باعتبار وجهته الى الغيب يسمّى الله وباعتبار وجهته الى الخلق يسمّى عليّاً(ع) و فى الاخبار انّ الشّيطان يسلّط من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه و فى خبرٍ ليس له ان يزيلهم عن الولاية فامّا الذّنوب واشباه ذلك فانّه ينال منهم كما ينال من غيرهم [وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ] آية من القرآن مكان آية منه بنسخ الاولى اوحكماً من الاحكام مكان حكمٍ آخر فانّ الاحكام كلّها آيات لطفه وعلمه فى نظام الكلّ اوآية مكان آيةٍ اخبرت بها بالبداء فيها ومحوها واثبات غيرها اوآية من الآيات العظمى مكان اخرى بجعل علىٍّ (ع) بدلاً منك واخبارك ايّاهم بذلك [وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ] من حيث حكمه ومصالحه [قَالُوا] اى الكفّار اومنافقوا امّتك [إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ] وليس ذلك باخبارٍ ووحى من الله [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ] جواز النّسخ والتّبديل وكيفيّته والمصلحة فيه [قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ] اى جبرئيل فانّه من الارواح واضافته الى القدس لتنزّهه عن شوائب النّقص، اوالمراد بروح القدس الملك الّذى هو اعظم من جبرئيل لم يكن مع احدٍ من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) وقد أسلفنا انّه ربّ النّوع الانسانىّ [مِنْ رَبِّكَ] حقّ العبارة ان يقال من ربّى لكنّه عدل الى الخطاب امّا لانّه مستأنف من الله تعالى غير محكىّ بالقول بتقدير نزّله اى نزّله من ربّك او لفرض المحكىّ بالقول غير محكىّ بالقول و مثله كثيراً ما يقع فى المحكىّ بالقول، او لانّ خطاب من ربّك ليس لمحمّدٍ (ص) بل لكلّ من يتأتّى منه الخطاب، اوللشّيطان يعنى قل للشّيطان المنكر للولاية نزّله روح القدس من ربّك [بِالْحَقِّ] والضّمير فى نزّله للتّبديل وارجاعه الى خصوص امر ولاية علىّ (ع) يؤيّد التّفسير الاخير للآية المبدلة [لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ] هذا ايضاً يؤيّد التّفسير الاخير للآية فانّ الولاية هى الّتى يثبّت بها ايمان المؤمنين وهى الهدى والبشرى للمسلمين [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ] يضيفون ويميلون قولك الى تعليمه [أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] قيل كانوا يقولون انّما يعلّمه ابوفكيهة مولى ابن الخضرمىّ وكان اعجمىّ اللّسان وآمن بالنّبىّ (ص) وكان من اهل الكتاب، وقيل: كانوا يقولون انّما يعلّم النّبىّ (ص) بشر يقال له بلعام وكان قيناً روميّاً نصرانيّاً، وقيل: ارادوا به سلمان الفارسىّ رحمه الله، وقيل: ارادوا به غلامين نصرانيّين [إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ] جواب لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: فمالهم لايتفطّنون ويلحدون القرآن الّذى هو لسان عربىّ مبين

الى الاعجميّ فقال : لانّهم لا يؤمنون بآيات الله و من لا يؤمن بآيات الله لا يهديه الله الى التّفطّن بدقائق القول ومفاسده [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ] لا انت فهو ردّ لقولهم انّما انت مفترٍ [وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ] لا انت [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ] اسلامه اوايمانه الخاصّ [إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ] على الكفر القوليّ اى الّا من كفر قولاً بالاكراه [وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا] اذعن بالكفر واعتقد و اطمأنّ عليه [فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] روى انّ الآية نزلت فى عمّار رحمه الله لانّه اكرهه مشركوا مكّة واكرهوا ابويه على الكفر والبراءة من محمّد (ص) فأبى ابواه فقتلوهما وتبرّأ عمّار بلسانه ، وورد فى الاخبار تحسين ابويه فى اختيار القتل وتحسينه فى اختيار البراءة اللّسانيّة على القتل [ذَٰلِكَ] الارتداد بعد الاسلام اوالايمان [بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ] فاختاروا ما زعموا انّه انفع بالحيوة الدّنيا وكفروا بالوجهة الاخرويّة [وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] الى الثّبات فى الايمان [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ] فلا يدركون من المعقولات والمسموعات والمبصرات ما لاجله ادراكها وقد سبق فى اوّل البقرة تحقيق تامّ لطبع القلب والسّمع و البصر [وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] الكاملون فى الغفلة لغفلتهم عمّا لاجله يكون جملة التّذكّرات وهو الله والآخرة بخلاف غفلات المؤمنين والمسلمين [لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ] لانّهم بذلوا لطيفتهم الانسانية الّتى كانت بضاعة لهم لتحصيل النّعيم الابديّ وحصّلوا متاعاً فانياً مستعقباً لعذاب ابديّ و قد مضى بيان لاجرم [ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا] مقابل من كفر بالله (الى آخرها) وثمّ للاشارة الى تفاوت القصّتين والتّباعد بينهما والمعنى انّ ربّك للّذين هاجروا بعد الايمان اوقبله من بعد مافتنوا والهجرة اعمّ من الهجرة الصّوريّة ،كما ورد انّ الآية فى عمّار رضى الله تعالى عنه ، والهجرة الحقيقيّة اى هاجروا من دار الشّرك الى دار الاسلام ، ومن دار النّفس الى اعلى مراتبها وهو الصّدر ، ومن دار الاسلام الى دار القلب وهى دار الايمان [ثُمَّ جَاهَدُوا] فى سبيل الله بالجهاد الصّوريّ او فى سبيل الولاية وسبيل القلب بالجهاد الباطنيّ [وَصَبَرُوا] على الجهاد ولم يفرّوا من الاعداء فى الظّاهر و الباطن [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا] بعد المهاجرة و فائدة التّأكيد التّصريح بانّ المغفرة و الرّحمة انّما تكونان بعد الهجرة ولو بعد الشّروع فيها و امّا قبلها فليس للانسان الّا الاستبصار بمعايبه والانزجار من منتناته وهو باعث على الهجرة والهجرة على المغفرة والرّحمة [لَغَفُورٌ] يستر عن نظر النّاظرين الجيف المنتنة الّتى كانت مع المهاجر حين مقامه فى دار نفسه المشركة [رَحِيمٌ] بعد المغفرة بالتّفضّل عليه واستبدال الجيف بالصّور الطّيّبة من نعيم الجنان وحورها وغلمانها [يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ] ظرف لغفور اورحيم اوكليهما على سبيل التّنازع ، اوظرف لرحيم لانّ المغفرة تكون قبل الوصول الى القيامة ، اومستأنف مقدّر باذكر [تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا] عن ذاتها بالاعتذار فى الخلاص عن البوار وطلب مقام الابرار [وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ] عين [مَا عَمِلَتْ] على تجسّم الاعمال اوجزاء ما عملت [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص الثّواب او زيادة العذاب [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا] لتنبيه المنعمين الكافرين بانعم الله [قَرْيَةً] حال قرية [كَانَتْ آمِنَةً] من كلّ ما يخاف من بطش الاعداء وضيق المعيشة وآلام الابدان وغموم النّفوس [مُطْمَئِنَّةً] لايزعج اهلها مزعج [يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

رَغَدًا] واسعاً [مِنْ كُلِّ مَكَانٍ] مايوجد فيه وتحتاج القرية اليه [فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ] بالغفلة عن المنعم والبطر بالنّعم بدل الخضوع للمنعم [فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ] جزاء لكفرانهم وبطرهم والجوع استعارة بالكناية اوقرينة للاستعارة التّحقيقيّة فى اللّباس اوتشبيه من قبيل لجين الماء و كذا الاذاقة امّا استعارة تحقيقيّة اوترشيح لاستعارة الجوع [بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] من الكفران والبطر وقد ذكر فى الاخبار انّ هذه القرية كانت كثيرة النّعم حتّى كانوا يستنجون بالعجين ويقولون : انّه الين فأجدبت حتّى احتاجوا الى اكل ماكانوا يستنجون به [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ] ولا تكفروا ولاتبطروا كما كفرت اهل تلك القرية [إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] قد سبق فى سورة البقرة وفى غيرها تفسير الآية وانّ الحصر بالاضافة الى ماقالوا من حرمة البحيرة والسّائبة وغيرها وليس مطلقاً حتّى يرد الاشكال بلزوم تحليل المحرّمات [وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ] قرئ بالرّفع صفة لالسنتكم وقرئ بالنّصب مفعولاً لقوله لاتقولوا اولقوله تصف ولفظ ما موصول اسميّ اوحرفيّ اوموصوف وقوله [هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ] مفعول لاتقولوا على بعض الوجوه، اوبدل من الكذب على بعض الوجوه ، اومفعول تصف على بعض الوجوه [لِتَفْتَرُوا] لينتهى الى الافتراء [عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ] يعنى ما يقصدونه من هذا القول متاعٌ قليلٌ [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] فى الاخرة ولا ينبغى للعاقل ان يطلب المتاع القليل المستعقب للعذاب الاليم ، نسب الى الصّادق(ع) انّه قال: اذا اتى العبد بكبيرةٍ من كبائر المعاصى اوصغيرةٍ من صغائر المعاصى الّتى نهى الله عنها كان خارجاً من الايمان وساقطاً عنه اسم الايمان وثابتاً عليه اسم الاسلام فان تاب واستغفر عاد الى الايمان ولم يخرجه الى الكفر والجحود والاستحلال فاذا قال للحلال: هذا حرام ، وللحرام: هذا حلال ودان بذلك ، فعندنا يكون خارجاً من الايمان و الاسلام الى الكفر وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة فأحدث فى الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة والحرم فضربت عنقه وصار الى النّار [وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ] فى قوله وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر (الآية) [وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ] بتحريم ماحرّمنا عليهم بل صاروا مستحقّين للمنع والتّحريم كما فى قوله فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا (الآية) [وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ] الاتيان بثمّ لتفاوت الجملتين من حيث انّ الاولى للتّشديد والتّغليظ و الثّانية للتّلطّف واظهار الرّحمة [لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ] بانصرافهم عن دار العلم ودخولهم تحت حكم الجهل [ثُمَّ تَابُوا] ورجعوا عن مقام الجهل وندموا على ما وقع منهم [مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا] بتدارك ما لزمهم من حقوق النّاس وما فات منهم اولزمهم من حقوق الله [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا] من بعد التّوبة [لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] تكرار انّ ربّك مثل ما سبق [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً] قد مضى انّ الامّة تقع على الواحد والجماعة والمأموم والامام [قَانِتًا لِلَّهِ] خاضعاً له [حَنِيفًا] مسلماً اوخالصاً وقد ذكر فى الاخبار انّه كان على دينٍ لم يكن عليه غيره فمكث ماشاءالله حتّى آنسه الله

باسمعيل (ع) واسحاق (ع) فصار واثلاثة ولذلك قال: انّ ابراهيم (ع) كان امّة ولوكان معه غيره لاضافه اليه [وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] وهو تعريض بقريش لانّهم زعموا انّهم على دين ابراهيم (ع) [شاكِراً لِاَنْعُمِهِ اجْتَبيهُ وَهَديهُ اِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً] الحسنة فى الدّنيا هو الاطمينان بذكر الله والانس بالله بحيث لايكون شيء من قضاء الله مكروهاً عنده ويستتبع ذلك سهولة المخرج والالتذاذ فى الطّريق الى الله ومحبّة النّاس وحسن الصّيت وطيب العيش والتّمتّع بالاولاد والبركة بالكثرة والسّلامة من آفات الآخرة فى الاعقاب وقدكان كلّ ذلك لابراهيم (ع) [وَاِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ] الّذين لافساد فى وجودهم وهم الّذين حصّلوا جميع مايمكن للانسان من الكمالات [ثُمَّ اَوْحَيْنا اِلَيْكَ] يا محمّد (ص) [اَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ اِبْرٰهيمَ حَنيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكينَ] الملّة هى صورة احكام القالب مرتبطة باحكام القلب مأخوذة من صاحب احكام القلب والقالب كما انّ النّحلة هى تلك الصّورة غير مأخوذة من صاحبها بشرائطها المقرّرة عندهم، وتخلّل ثمّ لتراخى زمان الوحى عن زمان ابراهيم، وللاشارة الى انّ اتّباع محمّد (ص) شرف لابراهيم (ع) لاوصف له اشرف منه، وللاشارة الى انّ حكاية حاله (ص) اعلى درجة من حكاية حال ابراهيم (ع)، وعن الصّادق (ع): لاطريق للاكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لانّه المنهج الاوضح قال الله عزّوجلّ ثمّ اوحينا اليك ان اتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً فلو كان لدين الله مسلك اقوم من الاقتداء لندب اوليائه وانبيائه (ع) اليه [اِنَّما جُعِلَ السَّبْتُ] محترماً [عَلَى الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ] كأنّه كان فى قلبه (ص) او فى قلب من آمن به شيء من الامر باتّباع ملّة ابراهيم (ع) وترك تعظيم السّبت لانّه كان عيداً لليهود بأمر موسى (ع) كما انّ الاحد كان عيداً للنّصارى فرفع ذلك بقوله انّما جعل السّبت (الآية) تسكيناً له (ص) اوللمؤمنين [وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فيما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ] فانّ اليهود اختلفوا فى السّبت بان حرّموه ثمّ استحلّوه فلعنهم الله ومسخهم، وقيل: انّ المراد بالّذين اختلفوا فيه اليهود والنّصارى اختلفوا بان قال اليهود: السّبت اعظم الايّام لانّ الله فرغ من خلق العالم فيه واستراح، وقال النّصارى: الاحد اعظم الايّام لابتداء خلق العالم فيه [اُدْعُ اِلى سَبيلِ رَبِّكَ] كلام منقطع عن سابقه ولذلك لم يأت باداة الوصل والمراد بسبيل الرّبّ دين الاسلام اواعظم اركانه وهو الولاية [بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ اَحْسَنُ] الحكمة مفسّرة بالتّشبّه بالآله علماً وعملاً بمعنى الاطّلاع على دقائق العلوم الّتى يعجز عن مثلها البشر والقدرة على دقائق الاعمال الّتى يعجز عن مثلها امثاله و بالفارسيّة «خورده بينى وخورده كارى» وهو شأن الولاية والمراد بها ههنا الدّعوة من طريق الباطن بالتّصرّف فى المدعوّ بحسب استعداده ومن طريق الظّاهر بحسب اقتضاء حاله باظهار المعجزات واعلامه بالخواطر والخيالات ليصرفه بذلك الى الحقّ، والموعظة الحسنة هى اظهار ماكان نافعاً للمدعوّ ليطلبه وماكان ضارّاً ليجتنبه بحيث يرى المدعوّ انّ الدّاعى ناصح له وطالب لخيره وهو شأن النّبوّة، والمجادلة الحسنة هى الزام الخصم بالحجّة والبرهان اوبما هو مسلّم عنده مذعن له سواء وافقه البرهان ام لا؛ هكذا اشير الى تفسير المجادلة فى الاخبار فهى اعمّ ممّا اصطلح عليه المنطقيّون وهى شأن الرّسالة فانّ الرّسول (ص) مأمور باقحام الخلق فى الدّين ولو بالسّيف، ولمّا كان الرّسول (ص) صاحب الشّئون الثّلاثة والخلق على طبقات ثلاث مستعدّ لتصرّف الولىّ (ع) وقابل لنصح النّبىّ (ص) ومعاند محتاج الى الالزام ولكلّ شخص يتصوّر احوال صاحب تلك الطّبقات امر الله تعالى النّبىّ (ص) بالدّعوات

الثّلاث والمجادلة الغير الحسنة كما فى الاخبار ان تجحد حقّاً يدّعيه الخصم اوتلقّى باطلاً عليه لالزامه وتضعف عن مقاومته بالحجّة فتجادله وبضعفك تجرّئه على اهل دينك وتضعف قلوب المسلمين وعقائدهم [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] يعنى انّك مأمور بالدّعوة العامّة فلاتتوان فى الدّعوة تفكّراً فى انّها تنفع ام لا [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ] يعنى ان عاقبتم قصاصاً و اتى بلفظ الشّكّ للاشعار بانّ المؤمن لا ينبغى له القصاص بل شأنه العفو واقدامه على القصاص كالمشكوك؛ وهذا لمن لم يترقّ عن مرتبة النّفس، وقوله وليعفوا وليصفحوا لمن عرج منها الى مقام القلب، وقوله والله يحبّ المحسنين لمن اتّصف بصفات الرّوح وبعبارة اخرى الاوّل لمن قبل الرّسالة، والثّانى لمن قبل النّبوّة، والثّالث لمن قبل الولاية [وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ] يعنى ان صبرتم عن القصاص والمراد من الصّبر العفو وكظم الغيظ الّذى ذكر فى الآيات الاُخر كما انّ الرّضا بمنزلة الصّفح وفوق كلّ المراتب الاحسان الى من اساء ونزول الآية كما فى الاخبار فى غزوة احد لانّ المشركين مثّلوا من قتلى المسلمين فقال المسلمون: لئن اد النا الله عليهم لنمثلنّ باخيارهم، اوقال النّبىّ(ص) حين حضر حمزة ورأى ما فعل به وبكى: لئن امكننى الله من قريش لامثلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزل عليه(ص) جبرئيل(ع) فقال: وان عاقبتم(الآية) لكنّ مضمونها عامّ [وَاصْبِرْ] لمّا كان المؤمنون الغير الخارجين من دار النّفس غير متحمّلين للاذى متبادرين الى القصاص قال فيهم على طريق المداراة ولئن صبرتم بخلاف محمّد (ص) و لذلك امره (ص) صريحاً بالصّبر [ثُمَّ] للاشعار بانّ التّمكّن من الصّبر انّما هو نعمة من الله لانّ البشريّة مقتضيته للانتقام قال [وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] اى على اصحابك وما فعل بهم من القتل والمثلة بناءً على نزول الآية، اوولا تحزن على الضّالين الماكرين لك اولعلىّ(ع) اوللمؤمنين [وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ] فى حقّ اصحابك اوفيك او فى علىّ(ع) وهذا اشارة الى الصّفح و تطهير القلب عن الحقد على المسيء [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا] وهم اصحابك، اوانت واتباعك، اوعلىّ(ع) واتباعه فلاتك فى ضيق ممّا فعل باصحابك فانّ لهم الزّلفى عندالله اولاتك فى ضيق ممّا يحتالون فانّهم لن يصلوا بضرر اليك اوالى علىّ(ع) اوالى اتباعه، اوهو تعليل للسّابق والمعنى انّ الله مع الّذين اتّقوا عن الضّيق والحزن اوالحقد على المسيء اوهو اشارة الى آخرة مراتب العبوديّة والتّقوى الحقيقيّة الّتى هى الفناء التّامّ فى الله والسّفر بالحقّ فى الحقّ، وقد تكرّر فيما سبق انّ لله مع عباده ومخلوقاته معيّتين؛ معيّة هى من صفات الرّحمة الرّحمانيّة وهى عامّة، ومعيّة هى من صفات الرّحمة الرّحيميّة وهى خاصّة؛ وهذا النّوع من المعيّة هو المراد فى امثال المقام [وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] ذووحسن وهو الولاية اومحسنون الى المسيء اليهم فالآية كما اشير اليه فى ذيل تفسير التّنزيل اشارة الى مراتب الانسان من اوّل مقام الاسلام الى آخر كمال الانسان فانّ قوله فان عاقبتم الى قوله لئن صبرتم اشارة الى اولى مراتبه فى الاسلام وقوله ولئن صبرتم (الى قوله) الّا بالله اشارة الى ثانيتها من مقام العفو وكظم الغيظ وقوله ولا تحزن عليهم (الى قوله) ممّا يمكرون اشارة الى ثالثتها من مقام الصّفح وتطهير القلب عن الحقد على المسيء، وقوله انّ الله مع الّذين اتّقوا اشارة الى آخر مقام التّقوى وهو مقام الفناء التّامّ وهو الفناء عن الفناء، وقوله والّذين هم محسنون اشارة الى آخر مقامات الانسان وهو مقام البقاء بعد الفناء، ولو كنت متذكّراً لما اسلفنا فيما أسلفنا من بيان الاسفار الاربعة للسّلاك واصطلاح الصّوفيّة الصّافية فيها امكنك التّفطّن بكون الآيات اشارة الى الاسفار الاربعة والله ولىّ التّوفيق.

سورة الاسراء

مكيّة كلّها ، وقيل : سوى خمس آياتٍ؛ آية ولاتقتلوا النّفس ، وآية ولاتقربوا ،
وآية اولئك الّذين يدعون ، وآية اقم الصّلوة ، وآية وآت ذا القربى حقّه .
وقيل : مكيّة الّاثمان آياتٍ ، وان كادوا ليفتنونك (الى قوله) وقل ربّ ادخلنى

[الجزء الخامس عشر]

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[سُبْحانَ الَّذى اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلاً] بعض ليلٍ [مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى] الّذى فى بيت المقدّس اوالى المسجد الاقصى الّذى هو فى السّماء الرّابعة المسمّى بالبيت المعمور الّذى المسجد الاقصى مظهره وهو ملكوته كما انّ المسجد الحرام مظهره وهو ملكوته، والسُّرى والاسراء بمعنىً وهو السّير باللّيل فذكر اللّيل بعده مبنيّ على التّجريد، اوالتّأكيد، وتعديته بالباء فقط وليس من قبيل الجمع بين التّعدية بالباء والهمزة [الَّذى بارَكْنا حَوْلَهُ] فانّ حول بيت المقدّس الشّام ومصر وكلاهما ممتازان عن سائر البلاد بكثرة النّعم من كلّ جنس ، والبيت المعمور الّذى هو فى السّماء الرّابعة معلوم كثرة بركات ما حوله .

تحقيق المعراج الجسمانىّ

اعلم ، انّ الآية اشارة الى معراج الرّسول (ص) وقد اختلف الاخبار فى كيفيّته وسيره (ص) وما رآه مع اتّفاقها على وقوعه وانّه من معجزاته (ص) وقد اختلف فى انّه ببدنه الطّبيعىّ ام ببدنه المثالىّ ام بروحه، وانكرت الفلاسفة كونه بالبدن الجسمانىّ الطّبيعىّ لامتناع دخول الجسم الملكىّ فى الاجسام الملكوتيّة ولزوم الخرق والالتيام فى السّماوات وهو محال، وقالت المتشرّعة اقتفاءً لظاهر الاخبار انّه كان ببدنه الطّبيعىّ من غير تبيينٍ لوجه صحّته مع قوّة برهان الفلاسفة على امتناعه وسنحقّقه ان شاء الله تعالى، واورِد انّه كما روى كان فى اقصر زمانٍ حيث كان حرارة مضجعه باقيةً ولم يسكن حركة حلقة الباب ولم يتمّ انصباب ماء الابريق الّذى سقط حين عروجه بعد رجوعه وكان ما قصّ علينا ممّا رآه فى معراجه و وقع منه من الصّلوات والمخاطبات لايمكن وقوعه الّا فى زمانٍ طويلٍ فلايمكن التّوفيق **وأشكل أيضاً** بانّه (ص) حين بلغ الى مقام القرب خاطبه علىّ (ع) ومدّ علىّ (ع) يده من وراء الحجاب وشاركه فى الغذاء وسدّ الطّريق علىّ (ع) حين سيره (ص) وكلّ ذلك يدلّ على كون علىٍّ (ع) اكمل منه (ص) مع انّه كان تابعاً له (ص) والتّابع لايكون اكمل من المتبوع .

وتحقيق ذلك بحيث لا يبقى ريب فى وقوعه ببدنه الطّبيعىّ ولا اشكال ممّا ذكر يستدعى تمهيد مقدّمةٍ فنقول : العالم ليس منحصراً فى هذا العالم المحسوس المعبّر عنه بعالم الطّبع بسماواته وارضيه بل فوقه البرزخ وهوعالم بين عالم الطّبع وعالم المثال وله الحكومة على عالم الطّبع والتّصرّف فيه اىّ تصرّفٍ شاء من الاحياء و الاماتة و ايجاد المعدوم واعدام الموجود وستر المحسوس واظهار غير المحسوس بصورة المحسوس و منه طىّ الارض والسّير على الماء والهواء والدّخول فى النّار سالماً وقلب الماهيّات ، ومنه طىّ الزّمان كما ورد فى الاخبار انّه قال المعصوم(ع) لمنافقٍ : اخسأ ؛ فصار كلباً ، وقال لآخر : انت امرأة بين الرّجال فصار امرأة ، وانكر آخر قلب المهيّات عند المعصوم(ع) فصار الى نهرٍ ليغتسل فدخل الماء وارتمس فخرج فرأى نفسه امرأة على ساحل بحرٍ قرب قريةٍ منكورةٍ فدخلت القرية وتزوّجت وعاشت مدّة وولدت لها اولاد ثمّ خرجت لتغتسل فى البحر فدخلت الماء وارتمست فخرجت على ساحل النّهر المعهود وهو رجل واذا بثيابه موضوعة كما وضعها فلبسها ودخل بيته واهله غير شاعرين بغيبته لقصر الزّمان ، وامثال ذلك رويت عن التّابعين لهم على الصّدق وهذا من قبيل بسط الزّمان ان كان وقوعه فى عالم الملك ، كما نقل انّ امرأة وقع لها ذلك فأخبرت وأنكرها جماعة فاوتيت باولادها بعد ذلك عن بلدة بعيدة مع انّه لم تمض فى بلدها قدر ساعة ، او من قبيل البسط فى الدّهر من غير تصرّفٍ فى الزّمان ان كان وقوعه فى الملكوت ، وفوق البرزخ عالم المثال وله التّصرّف فى البرزخ والطّبع ، وفوقه عالم النّفوس الكلّيّات المعبّر عنها بالمدبّرات امراً ، وفوقه الارواح المعبّر عنها بالصّافّات صفّاً ويعبّر عنها فى لسان الاشراقيّين بارباب الانواع وارباب الطّلّسمات ، وفوقها العقول المعبّر عنها بالمقرّبين وفوقها الكرسىّ وفوقها العرش وهو سرير الملك المتعال وهما بين الوجوب والامكان لاواجبان ولاممكنان بل فوق الامكان وتحت الوجوب ؛ وكلّ من تلك العوالم له الاحاطة والتّصرّف والحكومة على جميع مادونه فاذا غلب واحد من تلك العوالم على مادونه صار ما دونه بحكمه وذهب عنه حكم نفسه . ثمّ اعلم ، انّ الانسان مختصر من تلك العوالم وله مراتب بازاء تلك العوالم وكلّ مرتبةٍ عاليةٍ لها الحكومة على مادونها من غير فرقٍ كما نشاهد من حكومة النّفس على البدن والقوى لكن تلك المراتب فى اكثر النّاس بالقوّة و ما بالفعل من النّفس المجرّدة الّتى هى بازاء عالم النّفوس ضعيفة غاية الضّعف بحيث لا يمكنها التّصرّف فى بدنها زائداً على ما جعله الله فى جبلّتها فكيف بغير بدنها ، فاذا صار بعض تلك المراتب بالفعل كما فى اكثر الانبياء والاولياء (ع) اوجميعها كما فى خاتم الانبياء (ص) وصاحبى الولاية الكلّيّة (ع) كان لهم التّصرّف فى ابدانهم باىّ نحوٍ شاءوا ، وفى سائر اجزاء العالم كما روى عن الانبياء والاولياء (ع) من طىّ المكان والزّمان و السّير على الماء والهواء ودخول النّار واحياء الموتى واماتة الاحياء وقلب المهيّات وغير ذلك ممّا لا ينكر تمامها لكثرتها وتواتر الاخبار بمجموعها وان كان آحادها غير متواترةٍ ، وامّا التّصرّف فى البدن الطّبيعىّ بحيث يخرجه عن حكم الامكان ويدخله فى عالم العرش الّذى هو فوق الامكان وفوق عالم العقول والملائكة المقرّبين كما روى انّ جبرئيل تخلّف عن الرّسول (ص) فى المعراج وقال : لودنوت انملة لاحترقت ؛ مع انّه من عالم العقول المقرّبين فهو من خواص خاتم الكلّ فى الرّسالة والنّبوّة والولاية وهو من خواص نبيّنا (ص) لايشاركه فيه غيره لانبىّ مرسل ولاخاتم الاولياء ولذلك جعلوا المعراج الجسمانىّ بالكيفيّة المخصوصة من خواصّه (ص) ، ولمّا كان المعراج بتلك الكيفيّة امراً لايتصوّر امر فوقه من الممكن وكان لايتيسّر الّا اذا غلب العالم الّذى فوق الامكان على البدن الطّبيعىّ ولايتيسّر تلك الغلبة بسهولةٍ ولكلّ احدٍ وفى كلّ زمانٍ قالوا : انّ المعراج للنّبىّ (ص) كان مرّتين مع انّه نسب الى بعض العرفاء انّه قال : انّى اعرج كلّ ليلة سبعين مرّة ، والمعراج بالرّوح امر يقع لكثير من المرتاضين بل ورد انّ الصّلوة معراج المؤمن ؛ اذا تقرّر ذلك نقول : انّه (ص) عرج ببدنه الطّبيعىّ وعليه عباؤه ونعلاه الى بيت المقدس ومنه الى

السّماوات ، ومنها الى الملكوت ، ومنها الى الجبروت ، ومنها الى العرش الّذى هو فوق الامكان ، وفى هذا السّير تخلّف جبرئيل (ع) عنه (ص) لانّه كان من عالم الامكان ولم يكن له طريق الى مافوق الامكان لانّ الملائكة كلّ له مقام معلوم لا يتجاوزه بخلاف الانسان ولم يكن منه ذلك المعراج الّا مرّتين كما فى الاخبار ولايلزم منه خرق السّماوات لارتفاع حكم الملك عن بدنه بغلبة الملكوت ، ولااستغراب فى عروج البدن الطّبيعىّ الى الملكوت والجبروت لسقوط حكم الملك بل حكم الامكان عنه مع بقاء عينه ، ولا غرو فى كثرة وقائعه فى المعراج فانّه من بسط الدّهر مع قصر الزّمان كما قال: وانّ يوماً عند ربّك كالف سنة ممّا تعدّون ، وقال ايضاً : فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، فقدر ساعة من الدّهر بازاء قدر ساعة من الزّمان تكون كالف ساعة من الزّمان او كخمسين الف ساعة ، وتكلّم علىّ (ع) ومدّ يده من وراء الحجاب كان بمقامه العلوىّ لا ببدنه الطّبيعىّ والفضل فى المعراج بان يكون بالبدن الطّبيعىّ ولذلك كان من خواصّه (ص) لم يشاركه فيه علىّ (ع) واخبار المعراج وكيفيّة وقائعه مذكورة فى انمفصّلات، ومن هذه الآية يظهر فضل نبيّنا (ص) على موسى (ع) حيث كان سيره الى الله باسراء الله وسير موسى (ع) من قبل نفسه ونفى الرّؤية عنه تأبيداً بعد مسئلته وحصر الرّؤية فى نبيّنا (ص) بدون مسئلته ، يعنى انّ محمّداً (ص) تحقّق بحقيقة السّمع والبصر بحيث لم يكن سمع الّا وهو سمعه ولابصر الّا وهو بصره وما ذلك الّا بالتّحقّق بحقيقة السّمع والبصر وما ذاك التّحقّق الّا التّحقّق بحقيقة الاسماء والصّفات الّتى نفى شهودها عن موسى (ع) [لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا] يعنى فأريناه ايّاها فرآها فتحقّق بها فصار بحيث لم يكن سمع وبصر الّا وهو سمعه وبصره فصار فى حال يقال فى حقّه [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] فعلى هذا قوله انّه هو السّميع البصير جواب لسؤال عن حاله (ص) بعد الاراءة كأنّه قيل: فما كان حاله بعد الاراءة؟ـ فقال: تحقّق بالآيات والاسماء والصّفات، او حال مفيدة لهذا المعنى وجعل المفسّرون ضمير انّه لله اى انّ الله هو السّميع لكنّه خلاف ظاهر الآية لفظاً [وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا] قرئ لا يتّخذوا بالغيبة على الاصل وبالخطاب على الالتفات، وان تفسيريّة اومصدريّة ولانافية او ناهية والخطاب لبنى اسرائيل مثل: كتبت اليه ان قم، على قراءة الخطاب اولامّة محمّد (ص) تعظيماً لشأنهم حيث جعل غاية اتيان الكتاب لموسى (ع) عدم اتّخاذ امّة محمّد (ص) من دون الله وكيلاً يعنى انّ المقصود من ارسال الرّسل سابقاً كان اتّعاظكم وان لاتتّخذوا يا امّة محمّد (ص) [مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ] مفعول اوّل للا تتّخذوا ووكيلاً مفعول ثان له مقدّم عليه وحمله على الجمع لجواز حمل فعيل بمعنى الفاعل على الجمع مفرداً نحو حسن اولئك رفيقاً ، اونداء اومنصوب على الاختصاص، اومفعول لفعل محذوف [إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا] اتى بمدحه عقيب ذكره تعليلاً لجعل الكتاب هدى لذرّيّته [وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] اى اخبرنا بنى اسرائيل بقضائنا [فِي الْكِتَابِ] التّوراة او اخبار النّبوّة [لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا] وعد عقاب اوليهما [بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ] تنزيل الآية فى بنى اسرائيل ومرّتى الافساد بقتل زكريّا (ع) وبقتل يحيى (ع)، والعلوّ الكبير استكبارهم وطغيانهم وخروجهم عن طاعة الانبياء (ع)، والعقوبة الاولى كانت على يد بختنصّر وجنوده وردّ الكرّة عليهم بردّ بهمن بن اسفنديار اساريهم وتمليكه دانيال عليهم وتبسّطهم فى البلاد وتسلّطهم على العباد ثانياً ، والعقوبة الثّانية كانت بتسليط الفرس عليهم مرّة اخرى، كذا قيل ، وعلى هذا فقوله عباداً لنا اولى بأس شديد بختنصّر وجنوده

[فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ] تجسّسوا وتفحّصوا المواضع الخفيّة من دياركم للقتل والاسر والنّهب [وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً] حتماً [ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ] على الّذين بعثوا عليكم [وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً] ممّا كنتم اومنهم [إِنْ أَحْسَنْتُمْ] يعنى قلنا لهم ان احسنتم او ان احسنتم يا قوم محمّد(ص) اوان احسنتم يا بنى اسرائيل الحاضرين فى هذا الزّمان [أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها] استعمال لهاههنا من باب المشاكلة او التّهكّم [فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ] العقوبة الآخرة [لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ] متعلّق بجاء اومتعلّق بالجزاء المحذوف والتّقدير فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا اى العباد اولى البأس وجوهكم بعثناهم عليكم، اوفاذا جاءوعدالآخرة بعثناهم عليكم ليسوؤا وجوهكم [وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ] مسجدكم الاقصى [كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً] ليهلكوا مدّة علوّهم اوالّذى استولوا عليه [عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ] بعد ذلك بتقدير القول اوخطاب لامّة محمّد (ص) لانّ الآية تعريض بهم اوخطاب للحاضرين من بنى اسرائيل [وَإِنْ عُدْتُمْ] الى طغيانكم [عُدْنا] الى عقوبتكم وهذه عقوبة دنيويّة لها امد وانقطاع [وَجَعَلْنا] فى الآخرة [جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً] محصوراً فيها اوحاصرة لهم مانعة عن الخروج، وتذكير الحصير امّا لكونه بمعنى المفعول اولتشبيهه بالفعيل بمعنى المفعول ، وعن ائمّتنا(ع) انّهم فسّروا الافسادتين بقتل علىّ (ع) وطعن الحسن(ع) ،والعلوّ الكبير بقتل الحسين(ع) والعباد اولى البأس بقوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلايدعون وتراً لآل محمّد(ص) ووعدالله بخروج القائم(ع) وردّ الكرّة عليهم بخروج الحسين(ع) فى سبعين من اصحابه عليهم البيض المذهّب حين كان الحجّة القائمة(ع) بين اظهرهم وتملّك الحسين(ع) حتّى يقع حاجباه الى عينيه وفسّر بعلىّ (ع) ويوم الجمل وبنى اميّة وبالقائم(ع) واصحابه على نحو يظنّ انّه تنزيل لا تأويل [إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] هذا اشارة الى الصّورة التّدوينيّة من جملة القرآن اومن قرآن الولاية اوالى الرّسالة او الى النّبوّة اوالى الرّسول (ص) اوالى شخص الامام فانّ كلاّ من هذه هو المحسوس المعلوم للخلق وان كان المقصود حقيقةً هى الولاية والهداية الدّلالة والمراد بالّتى هى اقوم الملّة الّتى هى اقوم ملل الانبياء لكون المنزّل عليه اقوم من سائر الانبياء والمنزّل لهم اقوم من سائر الامم، اوالطّريق الّتى هى اقوم من سائر الطّرق من طرق النّفس وهى طريق القلب ، اوالطّريقة الّتى هى اقوم من طريق النّبوّة وهى الولاية وهى المقصود فانّها غاية ارسال الرّسل وانزال الكتب وقد فسّرت فى اخبارٍ عديدة بالولاية باختلاف اللّفظ ، هذا بالنّسبة الى من لم يدخل فى الاسلام بعد وهو مستعدّ للدّخول اودخل ولم يدخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة وامّا بالنّسبة الى من قبل الدّعوة الظّاهرة العامّة بالبيعة العامّة النّبويّة ودخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة وبالنّسبة الى من لم يدخل فى البيعتين ولم يستعدّ للدّخول بانكار الآخرة حالاً اوقالاً فيكون بشارةً اوانذاراً ولذلك عطف على يهدى قوله [وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ] اى يعملون طبق ما أخذ عليهم فى تلك البيعة [أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً وَ] يخبر [أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً] اويبشّر انّ الّذين لا يؤمنون،على ان يكون من عطف الجملة اوعطف المفرد ويكون ذلك بشارةً اخرى للمؤمنين [وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ] يدعو بما هو شرّ فى نفسه وهو لا يعلم انّه شرّ نحو دعائه بما هو خير وهو يعلم انّه خير، والدّعاء بما لا يعلم انّه خير له

ومرضيّ للحق ّمذموم، ورسم خطّ القرآن على اسقاط الواومن يدع فى الكتابة اشارة الى نقصان دعاء الانسان هذا الدّعاء [وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً] يدعو بما لا يعلم من غير صبرٍ وتروٍ [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ] اى نيّرى اللّيل والنّهار وهما الشّمس والقمر اوذوى آيتين ويؤيّد هذين التّقديرين قوله ليعلموا اعداد السّنين فانّه يعلم عدد السّنين والحساب باختلاف القمر فى الاحوال، اوجعلنا نفس اللّيل والنّهار آيتين ويكون المحو عبارةً عن نقصان النّور، وتأديته بهذه العبارة ليذهب السّامع بحسب الاحتمال كلّ مذهبٍ ممكنٍ ،وهذا من سعة وجوه القرآن وليمكن تطبيق الآية على جميع مراتب اللّيل والنّهار فانّ اللّيل والنّهار كمامرّ مراراً ليسا مختصّين بالشّهودين المحسوسين بل يجريان فى جميع مراتب الوجود فانّ الملكوت السّفلى بالنّسبة الى الملك انقص نوراً وان كانت مجرّدة تجرّداً برزخياً فهى ليل بالنّسبة اليه ، والملك بالنّسبة الى الملكوت العليا ليلٌ والملكوت العليا لاحتجابها بحجاب التّقدّر بالنّسبة الى النّفوس ليلٌ، والنّفوس لاحتجابها بالتّعلّق التّدبيرىّ بالنّسبة الى الجبروت ليلٌ، وكلّ ذلك بجهته الامكانيّة ليل بالنّسبة الى جهته الا لهيّة وهكذا الامر فى العالم الصّغير باضافة احواله من القبض والبسط والسّقم والصّحّة والفقر والسّعة والخوف والامن، والمعنى جعلنا اللّيل والنّهار فى كلّ من مراتبهما آيتين [فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ] اى نقصنا نور آيةٍ هى اللّيل اوآيةٍ مضافةٍ الى اللّيل وهى القمر [وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً] اى آية هى النّهار اوآية مضافة الى النّهار ومبصرة من المجاز العقلىّ اومن ابصره اذا جعله ذا ابصار، اومن ابصر اذا اضاء اومن أبصر اذا صار اهله بُصَراء [لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ] غاية لابصار آية النّهار وتقديم آية اللّيل لتقدّمها طبعاً فى سلسلة الصّعود وفى انظار ذوى الآية وهم البشر، وتقديم غاية النّهار لشرافتها ولانّ غاية اللّيل غاية لهما [وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] بسبب اختلاف القمر بالنّسبة الى اوضاعه مع الشّمس هلالاً وبدراً ومحاقاً [وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً] يعنى ليس انتظام اللّيل والنّهار والشّمس والقمر فقط لانتفاعكم بل كلّ شيءٍ فى العالم من المادّيّات الارضيّات والسّماويّات والمجرّدات المتقدّرات والمتعلّقات وغير المتعلّقات نظمناه نظماً انيقاً يعجز عن ادراك دقائق حكمه ومصالحه عقول البشر، والتّفصيل كما يستعمل فى التّميز والتّبيين يستعمل فى التّنظيم الانيق فانّه نحو تبيينٍ لدقائق الحكم وتميز لكلّ من الدّقائق عن الآخر [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ] الطّائر الّذى يطير، ولمّا كان العرب يتيمّنون بطيران الطّائر الى اليمين ويتشأّمون بطيرانه الى اليسار خصوصاً بعض الطّيور جعل اسماً لمطلق ما يتيمّن ويتشأّم به ، ثمّ استعمل فى مطلق سبب الخير والشّرّ والمعنى الزمناه سبب خيره وشرّه فى عنقه كأنّه قلادة فيه [وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا] مكتوباً بايدى ملائكتنا ممّا هو عبارة عن الواح نفسه او ما هو خارج عنها [يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ] قائلين اقرء [كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا] محاسباً لاحاجة لك الى محاسب آخر لكشف الغطاء وحدّة البصر وحضور الاعمال مجسّماً ومكتوباً وشهود الميزان وتطاير الكتاب السّجّينىّ الى اليسار والعلّيينىّ الى اليمين [مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا] فى الصّغير رسول العقل و فى الكبير واحداً من الانبياء و الاولياء (ع) [وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا] اى منعميها قرئ امرنا مفتوح العين من الثّلاثىّ المجرّد وآمرنا ممدود الهمزة من باب الافعال و قرئ امرنا بكسر العين من الثّلاثى، و امّرنا مشدّد العين ، و الكلّ بمعنى كثّرنا ، و يجوز ان يكون امرنا بفتح العين و آمرنا من باب الافعال من الامر

ضدّ النهى ؛ ويكون المعنى امرناهم تكويناً بالفسق [فَفَسَقُوا فِيهَا] اويكون المعنى امرناهم تكليفاً بالعبادات ففسقوا ، ويجوزان يكون امرّنا بتشديد وآمرنا من باب الافعال من امربتثليث العين بمعنى صار اميراً ويكون المعنى جعلنا مترفيها وُلاةً عليها ففسقوا ، وتخصيص المترفين على المعانى الاول لانّ غيرهم ينظرون اليهم فيتّبعونهم و لانّهم اقدرواسرع من غيرهم الى الفجور، ولانّهم افرغ قلباً واجرأ فيكون حيلتهم فى ارتكاب الفجوراكثروانفذ [فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ] بنزول العذاب والاهلاك بعد فسوقهم [فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ] قيّده ببعد نوح لانّ القرون الّتى كانت قبله لم يكن فيهم ماكان فيمن كان بعده ، اولانّ ماكان فيهم لم يصل الينا كما وصل ماكان فيمن كان بعده يعنى اهلكنا كثيراً من بعد نوح فلانبالى باهلاك الفاسقين منكم [وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] فلا تجترئوا على الذّنوب لعلم الله بها ومؤاخذته عليها [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ] الحاضرة وهى الدّنيا ونعيمها بان كان ارادته فى اعماله متعلّقة بها [عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ] بدل من له بدل البعض، وتقييد التّعجيل للاشارة الى انّ ذلك منوط بمشيّة الله لاباراد ة المريد وهمّه على مايريد وليس كلّ مريد يصل الى مراده ولامن يصل يصل الى تمام مراداته [ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا] مطروداً، عن النّبىّ (ص) معنى الآية: من كان يريد ثواب الدّنيا بعمل افترضه الله عليه لايريد به وجه الله والدّار الآخرة عجّل له ما يشاء الله من عرض الدّنيا وليس له ثواب الآخرة [وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا] اللّائق بها لا السّعى الّذى زعموه بآرائهم انّه سعيها ، وجعل القرينتين مختلفتين فى الشّرط والجزاء للاشعار بانّ استحقاق العذاب انّماهو بصيرورة ارادة العاجلة سجيّة لاباراد ة ما واحدة جزئيّة واستحقاق الثّواب انّماهو بارادة واحدة جزئيّة وسعي واحد بشرط الايمان والى هذا المعنى اشارتعالى بقوله: لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وللاشعار بانّ استتباع صورالاعمال الحسنة لتعجيل خيرات الدّنيا عرضىّ محتاج الى الجعل بخلاف استتباعها لغاياتها [وَهُوَ مُؤْمِنٌ] قيّده بالايمان وهوالولاية الّتى تحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة لانّ العمل بدون الولاية لا اثرله ولا فائدة فيه كماورد: لوانّ عبداً عبدالله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية ولىّ امره لأكبّه الله على منخريه فى النّار [فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا] مجزيّاً عليه [كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ] بدل تفصيلىّ من كلّاً [مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ] المضاف وهوالولاية المطلقة اوهوالتفات من التّكلّم الى الغيبة اوهواستيناف خبر مبتدء محذوف كأنّه قيل: من اىّ شيء كان الامداد ، من استحقاقهم اومن فضل الله؟ـ فقال: ذلك من عطاء ربّك [وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ] من القوى والمدارك وما يحتاج المحسن والمسيء اليه من الارزاق والملبوس والمسكون والاسباب الّتى يتوسّل بها الى التّعيّش والاعمال الحسنة والسيّئة [مَحْظُورًا] منهما [انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ] لتتنبّه للتّفاضل فى الآخرة [وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ] يعنى اكثردرجات اواعظم درجات بحسب انفسها من درجات الدّنيا [وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا] بالاضافة الى تفضيل درجات الدّنيا [لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ] الخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب اوخاصّ به (ص) فى اللّفظ على ، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة اوعلى طريق سريان خطاب المتبوع الى الاتباع ، اوسريان خطاب الكلّ الى الاجزاء يعنى لاتجعل مع الله فى الآلهة اوالعبادة اوالطّاعة اوالوجود ، اولا تجعل مع الله بحسب مظاهره الّذين هم مظاهرالولاية [إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ]

فتبقى فانّ القاعد يبقى متأخراً عن الرّفقة [مَذْمُومًا] يذمّك الله وخواصّه [مَخْذُولًا] عن نصرة الله ونصرة خواصّه [وَقَضَىٰ رَبُّكَ] تكويناً كما امر تكليفاً او امر تكويناً وتكليفاً على استعمال القضاء بمعنى ايصال الامر الى المأمور سواء كان بنحو التّكوين او التّكليف لكن فى امره التّكوينىّ لايقع التّخلّف وفى امره التّكليفىّ قد يقع التّخلّف اوثبت فى عالم قضائه [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ] ان مصدريّة ولانافية اوناهية اومفسّرة ولاناهية والمعنى قضى ربّك ان لايقع منكم عبادة تكويناً الّا له او ان لايقع ولايصحّ تكويناً واختياراً اولايصحّ اختياراً وتكليفاً منكم عبادة الّا له.

بيان انحصار العبادة فى الله

اعلم، انّ الله تعالى منزّه عن المثل والثّانى ولكن له المثل الاعلى والانسان مثل اعلى له تعالى، فمثل الحقّ تعالى فى العالم الكبير بملاكه وافلاكه وارضه ومواليده مثل النّفس الانسانيّة فى العالم الصّغير بقواها العالية والدّانية وارواحها الحيوانيّة السّماويّة واعضائها الارضيّة وصورها الذّهنيّة، فشأن الصّور الذّهنيّة بالنّسبة الى النّفس شأن الملائكة المقرّبين الّذين لاشأن لهم الّا التّعلّق الصّرف ولا انانيّة لهم ولا استقلال بوجه من الوجوه وشأن القوى المدركة والمحرّكة شأن النّفوس وعالم المثال، وشأن الاعضاء شأن عالم الطّبع، وكما انّه ليس للصّور الذّهنيّة شأن الّا الانقياد الصّرف والعبوديّة المحضة كذلك ليس للملائكة الّا الانقياد والعبوديّة، وكما انّ الاعضاء اذا كانت سليمة غير مؤفة شأنها الانقياد للنّفس والعبوديّة لها كذلك عالم الطّبع بشراشره اذا كان سليماً شأنه الانقياد والعبوديّة، وكما انّ الاعضاء اذا طرأ عليها الآفة قد تخرج عن انقياد النّفس كذلك اجزاء العالم اذا كانت مؤفة بآفة اضلال الشّيطان او بآفة العجب والغرور كما فى افراد الانسان والشّياطين والجنّ قد تخرج عن انقياد الله وطاعته، وكما انّ الاعضاء المؤفة الخارجة عن طاعة النّفس والمنقادة للطّبع بحكم الآفة غير خارجة عن انقياد النّفس مطلقاً كذلك اجزاء العالم المؤفة اذا خرجت عن طاعة الله ودخلت فى طاعة الشّيطان وعبدت بحكومته سائر اجزاء العالم من الملائكة والسّماويّات والارضيّات والشّياطين والجنّ اختياراً كما انّها عبدت الشّيطان اوّلاً من حيث لاتشعر لم تكن خارجة عن طاعة الله تكويناً، ولمّا كان اجزاء العالم مظاهر لله الواحد الاحد القهّار بحسب اسمائه اللّطفيّة والقهريّة كان عبادة الانسان لاىّ معبود كانت عبادة لله اختياراً ايضاً بخلاف طبائع الاناسىّ فانّها ليست مظاهر للنّفس الّا بوجه بعيد لايعلمه الّا الرّاسخون، ولذلك لم تكن الاعضاء المؤفة فى حكم الآفة منقادة للنّفس عابدة لها مطلقاً فالانسان فى عبادتها اختياراً للشّيطان كالابليسيّة وللجنّ كالكهنة وتابعى الجنّ وللعناصر كالزّردشتيّه وعابدى الماء والهواء والارض وللمواليد كالوثنيّة وعابدى الاحجار والاشجار والنّباتات كالسّامريّة وبعض الهنود الّذين يعبدون سائر الحيوانات، وكالجمشيديّة والفرعونيّة الّذين يعبدون الانسان ويقرّون بآلهته وللكواكب كالصّابئة وللملائكة كاكثر الهنود وللذّكر والفرج كبعض الهنود القائلين بعبادة ذكر الانسان وفرجه، وكالبعض الآخر القائلين بعبادة ذكر مهاديو ملكاً عظيماً من الملائكة وفرج امرأته كلّهم عابدون لله من حيث لايشعرون، لانّ كلّ المعبودات مظاهر له باختلاف اسمائه ولذلك قيل:

اگر مؤمن بدانستى كه بت چيست يقين كردى كه دين در بت پرستى است
اگر كافر ز بت آگاه بودى چرا در دين خود گمراه بودى

وقال المولوىّ المعنوىّ قدّس سرّه:

ساخت موسى قدس در باب صغير تا فرود آرند سر قوم زحير
زانكه جبّاران بدند و سر فراز دوزخ آن باب صغير است ونياز
آنچنانكه حق ز لحم و استخوان ازشهان باب صغيرى ساخت هان
ساخت سرگين دانكى محرابشان نام آن محراب مير و پهلوان
چون عبادت بود مقصود از بشر شد عبادتگاه گردنكش سقر

لكن تلك العبادة لمّا لم تكن بأمرٍ تكليفيّ من الله لم يستحقّوا الاجر والثّواب عليها بل استحقّوا العقوبة والعذاب، فعلى هذا معنى الآية قضى ربّك قضاءً حتماً لاتخلّف عنه ان لايعبد عبد عبادةً لشيءٍ من الاشياء الّا كانت العبادة له وبقضائه وامره التّكوينيّ، وقضى قضاء حتماً ان لايصحّ العبادة من عابدٍ لمعبودٍ الّا اذا كانت باذنٍ من الله وقضى قضاءً تكليفيّاً باذن امر على السنة انبيائه(ع) ان لاتعبدوا الّا ايّاه فمن كان فى عبادته ناظراً الى غيره فقد خرج عن قضائه وامره التّكليفيّ ولم تكن العبادة باذنه فلم تصحّ منه واستحقّ العقوبة من الله تعالى [وَبِالْوالِدَيْنِ] وان تحسنوا اوان احسنوا حذفه اكتفاءً بقوله [إِحْساناً] وهذا غاية التّعظيم للوالدين حيث قرن احسانهما من عبادة نفسه والوالدان اعمّ من الجسمانيّين والرّوحانيّين العلويّين والسّفليّين فانّ السّفليّين احسانهما ان تصاحبهما فى الدّنيا معروفاً وقد مضى فى سورة البقرة تفصيل وتحقيق تامّ للوالدين واحسانهما [إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ] الهرم والشّيخوخة [أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ] لاتنزجر منهما ولاتظهر انزجارك لهما وورد: لو علم الله شيئاً ادنى من افّ لنهى عنه وهو من ادنى العقوق [وَلا تَنْهَرْهُما] ولا تقهرهما بان تزجرهما [وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً] جميلاً [وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ] مستعارٌ من تذلّل الطّيور فانّها تخفض جناحها عند التّذلّل [مِنَ الرَّحْمَةِ] من رحمتك لهما فانّهما استحقّا بافتقارهما اليك وانت كنت فى نهاية الفقر اليهما رحمة منك ولا تكتف باحسانك والرّحمة لهما بل ادع الله لهما فى حيوتهما ومماتهما [وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً] عن النّبىّ(ص) انّه قال من غير سابقة رغم انفه؛ ثلاث مرّات، قالوا من يارسول الله(ص)؟! قال: من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كليهما ولم يدخل الجنّة [رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوّابِينَ غَفُوراً] وعد على الاحسان والرّحمة بالنّسبة الى الوالدين [وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ] خصّه بالتّخاطب بعد تعميم الخطاب اشعاراً بانّه(ص) اصل فى هذا الحكم وانّ اصل الحقوق بيده وانّ اصل ذوى القربى هو القريب الرّوحانيّ له (ص) .

اعلم، انّ الانسان ذو مراتب عديدة بحسب بدنه ونفسه وقلبه وروحه وعقله وسرّه وله فى كلّ من المراتب قرابات وقراباته بحسب مراتب القرب متفاوتة بعضها اقرب وبعضها قريب ولكلّ بحسب مرتبته حقّ، هذا فى العالم الكبير وله ايضاً فى عالمه الصّغير قرابات من نفسه وقواها المدركة والمحرّكة و بدنه واعضائه ولكلّ ايضاً حقّ كالقرابات الجسمانيّة كالعمودين وفروع الاصول حقوقهم مافرض لهم، وبيّن من الاموال فى المواريث ومن تعهّد الاحوال وبشر الوجه وقضاء الحاجات ممّا قرّر فى صلة الارحام الصّوريّة والقرابات الصّدريّة النّفسيّة، كالدّاخلين فى الاسلام حقوقهم النّصح وتعليم الاحكام وبشر الوجه وتعهّد الحال وقضاء الحاجات وستر العيوب وحفظ الغيب وغير ذلك ممّا قرّر فى حسن المعاشرة مع المسلمين، والقرابات القلبيّة الايمانيّة كالمبتاعين بالبيعة الخاصّة الولويّة حقوقهم مع ذلك بذل الوسع فى خدمتهم والمواساة بالمال والايثار فيما يقتضى الايثار والتّرحّم والدّعاء لهم بظهر الغيب وغير ذلك ممّا قرّر فى حقّ المؤمنين؛ هذا للمسلمين والمؤمنين الّذين هم بمنزلة الاخوة فى القرابات الجسمانيّة.
وامّا المسلمون بالنّسبة الى النّبىّ(ص) والمؤمنون بالنّسبة الى الامام(ع) الّذى هو كالاب وهم كالاولاد حقوقهم عليه وحقوقه عليهم مع تلك الحقوق امر آخر، وكذلك النّبىّ (ص) بالنّسبة الى خليفته والامام بالنّسبة الى امام بعده حقوقهم غير ذلك، فاذا عرفت ذلك عرفت انّ تفسير ذى القربى بالقرابات الصّوريّة وبالقرابات الاسلاميّة و بالقرابات الايمانيّة و بالامام و باقرباء محمّد و بآل محمّد (ص) كلّها صحيح، وكذا تفسير الحقّ المالىّ

بالحقّ الميراثىّ و بفدك لفاطمة (ع) و بالتّصدّق من اصل المال على الاقرباء و بالمواساة و قضاء الحاجات و الخدمة للاخوان الاسلاميّة و الايمانيّة و بتعظيم النّبىّ و الامام و بحقّ الامامة للامام كلّها صحيح فاختلاف الاخبار فى تفسير الآية لكثرة مراتبها وسعة وجوهها والكلّ صحيح من غير خلل [وَالْمِسْكِينَ] الّذى اسكنه العجز عن الكسب للقوت وحقّه من الزّكوة والتّصدّقات او اعجزه الشّيطان والنّفس عن الوصول الى الامام (ع) بعد الوصول الى النّبىّ (ص) اوعن السّلوك الى الله بعد الوصول الى الامام [وَابْنَ السَّبِيلِ] المنقطع عن بلاده السّائر اليها ولم يكن له زاد بالفعل او بالقوّة ولو بالاستدانة، او المنقطع عن الامام (ع) السّائر اليه ظاهراً او باطناً [وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا] باعطاء غير المستحقّ او اعطاء المستحقّ زائداً عن حقّه، ولمّا امر بايتاء الحقوق للمستحقّين نهى عن التّبذير الّذى هو ايتاء غير المستحقّ و ايتاء المستحقّ زائداً عن الحقّ الّذى هو السّرف فانّ الايتاء من غير تبذير هو الاقتصاد فالتّبذير ههنا اعمّ من الاسراف وان كان قد يقابله، ولمّا كان الامر بايتاء الحقوق مستلزماً للنّهى عن التّقتير بمفهوم المخالفة اكتفى عنه به ونهى صريحاً عن السّرف ، و لمّا لم يختصّ ايتاء الحقّ بالمال الصّورىّ ولا بالقرابات الصّوريّة بل يعمّ سائر الحقوق وجميع القرابات فى العالم الكبير والصّغير، ورد عن النّبىّ (ص) انّه مرّ بسعدٍ وهو يتوضّأ فقال: ما هذا السّرف يا سعد ؟- قال: أفي الوضوء سرف ؟- قال: نعم وان كنت على عينٍ جاريةٍ ، وورد عن الصّادق (ع): انّه سئل أفيكون تبذيرٌ فى حلالٍ ؟- قال: نعم ، والسّرف فيه انّ من كان على عينٍ جاريةٍ وزاد فى تحريك القوى على ما يؤدّى به الفرض والنّدب كان ذلك منه استعمالاً للقوى وتوجّهاً الى القوى المحرّكة من غير استحقاقٍ وان لم يكن سرف وتبذير هناك للماء ، وخلاصة ما يستفاد من الاخبار باختلافها انّ انفاق المال او الكلام او العلم او الحكمة او العرض والجاه او قوّة القوى او الانفاق على النّفس وقواها بمشتهياتها من غير التفاتٍ الى امر الله وامتثالٍ له تبذير كائناً ما كان، وكلّ ذلك اذا كان بأمرٍ من الله والتفاتٍ اليه وامتثالٍ له اقتصاد كائناً ما كان ولذلك ذكروا انّه لو جعلت الدّنيا كلّها لقمةً واطعمتها مؤمناً ما كان سرفاً [إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ] المنفقين فى غير طاعة الله وبالغفلة عن أمر الله [كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ] لانّ الانفاق اذا لم يكن بأمر الله كان بأمر الشّيطان فانّه يترصّد العبد وغفلته عن امر الله فيتصرّف فيه ويحكم عليه كما يحكم على شياطينه [وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا] عطف لبيان العلّة يعنى انّ الشّيطان كفور لربّه والمبذّر المنفق من غير التفاتٍ الى امر الله كفور لربّه فهو اخ للشّيطان فى الكفوريّة [وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ] ان تعرض [عَنْهُمُ] عمّن أمرت بايتاء حقوقهم بترك اعطاء مسؤلهم لعدم استعدادهم للمسؤل اوعدم وجدان مسؤلهم حين سؤالهم [ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ] بها يستعدّون للمسؤل اوبها تجد المسؤل ويتيسّر لك الاعطاء و اكتفى بابتغاء الرّحمة عن عدم الاستعداد وعدم الوجدان لاستلزام عدمها لابتغاء الرّحمة من حيث انّهما رحمة والفاقد لهما اذا كان له شأنيّة الوجدان يطلبهما واكتفى بذكر الرّحمة عن الاستعداد والسّعة لكونهما مصداقاً لها [تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا] سماعه لامعسوراً سماعه وهو القول الّذى به يطيب قلوبهم، روى انّ النّبىّ (ص) لمّا نزلت هذه الآية كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطى قال: يرزقنا الله واياكم من فضله [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ] عبّر عن التّقتير والاسراف على سبيل الكناية فانّ التّقتير والاعطاء فى الاغلب بقبض اليد وبسطها وهو تأكيدٌ للاوّل وبيان لغاية الاسراف كما انّ قوله: انّ المبذّرين كانوا اخوان الشّياطين بيان لمبدء التّبذير كما اشير اليه عند تفسيره [فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا] من المال كما ورد فى

نزوله انّه (ص) كان عنده اوقيّة من الذّهب فكره ان تبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله ولم يكن عنده ما يعطيه فلامه السّائل فأدّبه الله تعالى اومحسوراً من اللّباس كما ورد انّه لم يكن عنده شيء فأعطى السّائل قميصه [إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] فلاتقدر انت على بسط الرّزق على نفسك بالامساك ولا على غيرك باعطاء جميع ما عندك فهو تعليل للنّهى عن القبض والبسط [إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً] فيعلم احوالهم الباطنة ويبصر احوالهم الظّاهرة فيعلم مصالحهم ويعطى مايصلحهم ويمنع ما يفسدهم [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ] صرف الخطاب عنه (ص) الى القوم لأنّهم المقصودون بالخطاب اصالة [خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ] افلاس من املق اذا افتقر كانوا يقتلون اولادهم بوأد البنات خوف الفقر [نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً] بالغة فى القبح [وَسَاءَ سَبِيلاً] لانّه سبيل الى النّار وقدعُدّ الزّنا من اكبر الكبائر وعن النّبىّ (ص) فى وصيّته لعلىّ (ع) : يا علىّ فى الزّنا ستّ خصال ثلاث منها فى الدّنيا وثلاث فى الآخرة: فامّا الّتى فى الدّنيافيذهب بالبهاء ويعجّل الفناء ويقطع الرّزق ، وامّا الّتى فى الآخرة فسوء الحساب وسخط الرّحمن والخلود فى النّار [وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ] باسبابه المقرّرة فى الشّرع من الارتدادبعدالايمان وتكرار بعض المعاصى الّتى لهاحدّ بعد مراتب الحدّ وقتل النّفس والزّنا بعدالاحصان واللّواط ، ولمّا كان الحقّ هو الولاية كما مرّ مراراً ، والولاية ظهور الحقّ الاوّل تعالى شأنه فالمعنى على هذا ولاتقتلوا النّفس الّا بفاعليّة الحقّ لابفاعليّة انفسكم كما قال المولوىّ قدّس سرّه :

آنكه ازحق يابد اووحى وخطاب	هرچه فرمايد بود عين صواب
آنكه جان بخشد اگربكشدرواست	نايب است ودست اودست خداست

فما لم يخرج الانسان من حكم نفسه ولم يدخل فى حكم الله اوحكم من دخل فى حكم الله لايجوز له قتل النّفس او الحكم بالقتل كائناً من كان القاتل وكائناً من كان المقتول كما قال المولوىّ قدّس سرّه من لسان علىّ (ع) :

من چوتيغم وان زننده آفتاب	ما رميت اذرميت در حراب
رخت خودرا من زره برداشتم	غير حق را من عدم انگاشتم
زاجتهاد و از تحرّى رسته ام	آستين بر دامن حق بسته ام

[وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً] غير مستحقّ للقتل [فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ] لمن يلى امره ممّن هو اولى بميراثه وهم جميع الورثة [سُلْطَاناً] تسلّطاً على القاتل بالقصاص اوالرّجوع الى الدّية واذا جعلنا لولىّ المقتول سلطاناً على القاتل [فَلَا يُسْرِفْ] مريد قتل النّفس [فِي الْقَتْلِ] بان يقتل من غير استحقاق فانّه اسراف لانّه حرّك اعضائه وقتل من غير امر من الله، وقرئ فلاتسرفوا خطاباً لمريدى القتل ، اوالمعنى فلايسرف الولىّ فى القتل بان يقتل اكثر من واحد بواحد اويمثل المقتصّ منه ، اوالآية كما ورد نزلت فى قتل الحسين (ع) والمعنى فلايكن اسراف فى القتل ولو قتل جميع اهل الارض بالحسين (ع) كمافسّرت فى الاخبار به [إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً] انّ المقتول اوالولىّ كان منصوراً بتسليط الله وليّه ونصرة الحكّام وليّه والمعنى على التّفسيرين الاوّل والثّالث ظاهر ، وعلى الثّانى يكون تعليلاً للنّهى اى نهيناعن الاسراف لانّ ولىّ المقتول كان منصوراً وقادراً على الاسراف [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ]

فضلاً عن التصرّف فيه [اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ] الّا بالخصلة والصّفة الّتى هى احسن خصال قرب المال وهى جمعه وحفظه له وانماؤه ان كان ممكناً [حَتّٰى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ] قد مضى بيان الاشدّ و انّه وقت استحكام جميع القوى والاعضاء [وَاَوْفُوا بِالْعَهْدِ] عموماً وبعهد الاسلام المأخوذ عليكم فى البيعة العامّة النّبويّة خصوصاً ، حتّى يؤدّى بكم الوفاء بالعهود عموماً الى الوفاء بعهد الاسلام، ويؤدّى بكم الوفاء بعهد الاسلام الى عهد الايمان الّذى يؤخذ بالبيعة الخاصّة الولويّة والوفاء به [اِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا] يعنى بعد تجسّم الاعمال يسأل عن العهد أوفوا بك ام لا؟ اومسؤلاً عن حاله فيسألون عن حال عهودهم اوفيتم بها ام لا؟ [وَاَوْفُوا الْكَيْلَ] الوفاء والايفاء بمعنىً لكن فى الايفاء مبالغة [اِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا] الموزونات [بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ] فسّر القسطاس فى الخبر بالميزان الّذى له كفّتان ولسان [ذٰلِكَ خَيْرٌ] فى الدّنيا بحسن الصّيت والخروج من رذيلة السّرقة والخديعة [وَاَحْسَنُ تَأْوِيلًا] غايةً اوارجاعاً اومرجوعيّةً الى الغايات لانّ غايته فى الدّنيا جلب البركة وفى الآخرة سهولة المحاسبة وحسن المثوبة [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] لاتتّبع مدركاً لم يتعلّق علم منك به سواء كان الاتّباع بالاتيان به بالجوارح كالاتيان بالافعال الّتى لم تعلم صحّتها منك اوبالاصغاء كالاصغاء الى ما تعلم صحّة الاصغاء اليه منك ، او الابصار كطموح النّظر الى ما لم تعلم صحّة النّظر منك اليه ، اوالاقوال كجريان ما لم تعلم صحّة جريانه على لسانك و منه الافتاء بما لم تعلمه او لم تعلم صحّة الافتاء منك به ، و بهذه الآية و امثالها تمسّك من منع من الافتاء بالظّنّ والرّأى والقياس والاستحسان ومن منع من تقليد من لم يأذن الله بلا واسطة اوبواسطة فى امامته وقال : لابدّ للمفتى من العلم القطعىّ بصحّة افتائه كالائمّة (ع) ومن اجازوه للافتاء وللمقلّد من العلم القطعىّ بصحّة تقليد من يقلّده امّا بنصّ واجازة صحيحة صريحة فى امامته اوببصيرة باطنة بحاله ، وامّا الّذين يستبدّون بآرائهم فى الاحكام من غير وحى والهام ومن غير اجازة ولو بوسائط من صاحب الوحى والالهام واتباعهم الّذين يقلّدونهم و يتّبعونهم من غير علم بكونهم صاحبى الوحى و الالهام او صاحبى الاجازة الصّحيحة فهم مقتفون ما ليس لهم به علمٌ، وقيل: انّ المراد بالعلم ههنا اعمّ من الظّنّ فيشمل الظّنّ بالاحكام من القياس والاستحسان العقلىّ والرّأى من اىّ وجه كان ولو كان كذلك لكان التّعبير بالظّنّ اولى ،لانّ النّهى عن اتّباع ما ليس به ظنّ يستلزم بمفهوم مخالفته الامر باتّباع المظنون والمعلوم يقيناً بخلاف النّهى عن اتّباع غير المعلوم، ولمّا كان الافعال والاقوال غير خالية من سببيّة واحد من السّمع والبصر والفؤاد لها او اكثر قال فى مقام تعليل النّهى [اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰئِكَ] المذكورين على استعمال اولئك فى العقلاء او كلّ اولئك الثّلاثة على استعماله فى مطلق الجمع مذكّراً كان اومؤنّثاً عاقلاً اوغير عاقل [كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا] اى يسأل عنه مافعل صاحبك بك؟ اومافعلت لصاحبك؟ ما سمعت وما ابصرت؟ وما تعقّلت وما تخيّلت ؟ ونسب الى النّبىّ (ص) انّه قال: ابوبكر سمعى ، وعمر بصرى، وعثمان فؤادى فقيل له فى ذلك ، فقرأ الآية ، وورد عن الصّادق(ع) انّه قال : من نام بعد فراغه من اداء الفرائض والسّنن والواجبات من الحقوق فذلك نوم محمودٌ وانّى لا اعلم لاهل زماننا هذا اذا أتوا بهذه الخصال اسلم من النّوم لانّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة احوالهم واخذوا شمال الطّريق والعبد ان اجتهد ان لايتكلّم كيف يمكنه ان لايسمع الّا ماله مانع من ذلك وهو النّوم ، وانّ النّوم اخذ تلك الآلات قال الله تعالى انّ السّمع والبصر (الآية) [وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا] المرح الاختيال الحاصل من شدّة الفرح ولذلك

فسّر بالاختيال وبشدّة الفرح كليهما [إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ] لن تقوى على خرق الارض اولن تقوى على سيرها كلّها [وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا] ولن تبلغ بعظمة جثّتك عظمة الجبال اولن تقوى على الصّعود الى قللها بجعل طولاً تميزاً محوّلاً عن الفاعل اومحوّلاً عن المفعول، فمن كان عاجزاً فى نفسه غير قادرٍ لاينبغى له التّطاول والاختيال فهو تعليل للنّهى [كُلُّ ذٰلِكَ] المذكور من الخصال الاربع عشرة المحلّل الى الاكثر من قوله: ولا تجعل مع الله الٰهاً آخر (الى قوله) طولاً [كَانَ سَيِّئُهُ] فى الفعل اذا كان منهيّاً عنه ، وفى التّرك اذا كان مأموراً به، وقرئ سيّئة بالتاء [عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذٰلِكَ] المذكور من الخصال [مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ] العلميّة والعمليّة [وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ] كرّره للاشارة الى انّ التّوحيد اهمّ الخصال وكما انّه مبدءٌ لها علماً غايةٌ لها حالاً وعياناً وتحقّقاً فالاوّل لتوحيد الوجوب والا لهة وهذا التّوحيد الوجود لانّه غاية الغايات ومنتهى النّهايات ، اوالاوّل لتوحيد الا لهة فى نفسها وهذا لتوحيدها فى مظهرها الولوىّ كأنّه قال: ولا تجعل مع علىّ(ع) وليّاً آخر فانّه ايضاً غاية التّوحيد العلمىّ وغاية سائر الخصال العمليّة [فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا] عند نفسك وعندالله وعند الملائكة وعند النّاس [مَدْحُورًا] مبعداً من الرّحمة، ولمّا كان هذه السّورة نزلت بمكّة ولم يكن الدّين قويّاً ولا المؤمنون راسخين لم يغلظ الله تعالى فى اوامرها ونواهيها بل أبداها على طريق النّصح والملاينة كما روى عن الباقر (ع)، انّه لمّا نزل بمكّة على طريق ادب وعظة و تعظيم ونهيٍ خفيفٍ ولم يعد عليه ولم يتواعد على اجتراح شيءٍ ممّا نهى عنه وانذر نهياً عن اشياء حذّر عليها ولم يغلّظ ولم يتواعد عليها [أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا] ردّ على من قال : انّ الملائكة جميعاً اوبعضهم بنات الله كبعض قريشٍ وبعض الهنود [إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا] باثبات الولد لله وتفضيل انفسكم ونسبة الذّكورة والانوثة الى الملائكة المجرّدة العالية منهما ، وتوصيفهم بالانوثة الّتى هى اخسّهما واثبات الولد الاخسّ لله العلىّ العظيم [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ] اسقاط المفعول للتّعميم يعنى صرّفنا كثير تصريف فى امثالٍ عديدةٍ والفاظٍ كثيرةٍ كلّما ينبغى ان يذكر لهم من الحجج والحكايات والعبر والمواعظ والاحكام،ويحتمل ان يكون الصّيغة لتكثير المفعول اى صرّفنا كثيراً من المعانى الّتى ينبغى ان تذكر [لِيَذَّكَّرُوا] اى ليتذكّروا ويتّعظوا [وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا] يعنى انّهم لغاية حمقهم صار ماهو سبب تذكّرهم وتقرّبهم سبب نفورهم وبعدهم [قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار ببرهان ابطال كون الالهة معه يعنى انّه مالك العرش و العرش جملة المخلوقات ومنها ما تفرضونها آلهة فكيف يكونون آلهة معه مع كونهم مملوكين له اوانّه صاحب السّرير وصاحب السّرير عبارة عن صاحب الملك و انّكم تسلمون انّه صاحب السّرير والسّلطنة من غير منازعٍ فلو كان معه آلهة لابتغوا اليه سبيلاً بالمنازعة وماسلم له الملك، ولمّا كان الملك مسلّماً له فلا آلهة معه وقد فسّروا الآية بانّهم طلبوا التّقرّب الى ذى العرش واستشهدوا على ذلك بقوله اولئك الّذين يدعون يتبغون الى ذى العرش سبيلاً [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ] اى تسبّحه على ان يكون اللّام للتّقوية اوتنزّه وجودها من شوب النّقص والتّعيّن للتّقرّب الى الله [السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ] اى مافيهنّ لكن اتى بمن تغليباً، ولانّ التّسبيح من اوصاف العقلاء فلمّا نسب اليها

ناسب تأديتها بلفظ العقلاء، او المراد العقلاء فقط [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ] تصريح بالتّعميم بعد التّأدية بلفظٍ موهمٍ للتّخصيص او تعميمٌ بعد تخصيصٍ وحصرٌ بعد اطلاقٍ وتقييدٌ بالحمد بعد اطلاق التّسبيح [وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] .

اعلم ، انّ الاشياء الامكانيّة برمّتها هاربة من نقائصها طالبة لكمالاتها، والكلّ متحرّكة نحو تلك الكمالات وهي شؤن الحقّ الاوّل وتجلّيه وهذا الهرب والطّلب هو تسبيحهم الفطريّ وتنزيههم لاسماء الله الّتي هي وجوداتها الفائضة من الحقّ عليها ، ولمّا كان تنزيه اسماء الله تنزيهه تعالى كان الكلّ منزّهاً لله ومنزّهاً لانفسهم للتّقرّب الى الله ، ولمّا كان كلّ موجودٍ امكانيٍ زوجاً تركيبيّاً من مهيّته الامكانيّة ووجوده التّعلّقيّ الفطريّ وبعبارةٍ اخرى لمّا كان لكلّ موجودٍ طبيعيّ جهة ملكيّة وجهة ملكوتيّة كان الاشياء الطّبيعيّة ان كانت صامتة غير شاعرة بالشّعور التّركيبيّ بملكها ناطقة بملكوتها بلسان فصيح بل افصح من اللّسان الملكيّ الانسانيّ واجلى بياناً منه شاعرة بالشّعور التّركيبيّ بل ادقّ ادراكاً من الانسان، فكان الاشياء بملكوتها مسبّحة لله بلسانٍ فصيحٍ شاعرةً باوامره ونواهيه تعالى مبادرةً الى امتثالها من غير عصيانٍ وتوانٍ ، لكن لا يسمع اصواتها ولا يدرك ادراكها تلك الاصماخ والابصار الحيوانيّة بل يختصّ بسماعها وادراك ادراكها الاسماع والابصار الملكوتيّة ولذلك قال تعالى: **لا تفقهون تسبيحهم** على خطاب بني نوع الانسان لعدم سمع وبصر ملكوتيّ لهم، وقرئ **لا يفقهون** بالغيبة بارجاع الضّمير الى الاناسيّ اوارجاعه الى الاشياء يعني كلّ الاشياء يسبّحون بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم بجهتهم الملكيّة المشهودة لكم بابصاركم الملكيّة لانغمارهم تحت تعيّناتهم؛ وعلى هذا فلا حاجة الى تأويل في تسبيحهم كما فعل المفسّرون وقد قال المولويّ قدّس سرّه:

جملهٔ ذرّات عالم در نهان	با تو ميگويند روزان و شبان
ما سميعيم و بصيريم وخوشيم	با شما نامحرمان ما خاشيم
چون شما سوی جمادی ميرويد	محرم جان جمادان کی شويد
از جمادی درجهان جان رويد	غلغل اجزای عالم بشنويد
فاش تسبيح جمادات آيدت	وسوسهٔ تأويلها بر بايدت
چون ندارد جان تو قنديلها	بهر بينش کردهٔ تأويلها
که غرض تسبيح ظاهر کی بود	دعوی ديدن خيال وغیّ بود
پس چه ازتسبيح يادت ميدهد	آن دلالت همچو گفتن ميشود
اين بود تأويل اهل اعتزال	وای آنکس کو ندارد نورحال

وبهذا اللّسان كان حنين الاستن الحنّانة وتسبيح الحصا وشهادته في يد محمّدٍ (ص) وتجاوب الجبال والطّيور لداود (ع) وغير ذلك ممّا نقل من نطق الاحجار والاشجار والحيوان والطّيور، وبهذا اللّسان كان نطق الاطفال لكن في قالب اللّسان اللّحميّ وبهذا الشّعور كان تمييز الجمادات بين الاشياء كتمييز النّار بين ابراهيم (ع) ونمرود واصحابه ، وتمييز الرّيح بين المؤمنين والكافرين وتمييز النّيل بين السّبطيّ والقبطيّ في صيرورته دماً للقبطيّ ومنفرجاً لعبور السّبطيّ دون القبطيّ [إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا] تعليل لعدم تفقّههم تسبيح الاشياء فانّ تفقه تسبيحها ما لم يبلغ الانسان مبلغ الرّجال امّا ان يهلك اويجعل المتفقّه مجنوناً جنوناً حيوانيّاً فانّ تفقه التّسبيح قرين شهود الملائكة ونزولها وبنزول الملائكة قضاء اجلهم كما في القرآن والمعنى لا تفقهون تسبيحهم فتهلكوا اوتجنّوا لانّه كان حليماً لا يعاجل بامضاء سخطه لسوء صنيعكم غفوراً يستر عليكم في حال نقصكم شهود تسبيح الاشياء ابقاءً عليكم [وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا] عن انظارهم

اوحجاباً مستوراً به اى ساتراً لكَ عن انظارهم والمعنى الاوّل تأسيس والثّانى تأكيد والمقصود جعلنا جنّتك مستورة عنهم لايرونها كما قيل: انّ جمعاً من قريش حجبوا محمّداً(ص) عن انظارهم وقت قراءة القرآن كانوا يمرّون عليه ولا يرونه وجعلنا حقيقتك مستورة عنهم لايرونها ولورأوها لماكذّبوك ولمّا نفروا عن قراءتك [وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً] جمع الكنان بمعنى مايستر به [اَنْ يَفْقَهُوهُ] كراهة ان يفقهوه اواكنّة مانعة من ان يفقهوه [وَفِي اٰذانِهِمْ وَقْرًا] ان يسمعوه اى يسمعوا مقصوده والّا فلفظه مسموع لهم ولذلك قال [وَاِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْاٰنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلٰى اَدْبارِهِمْ نُفُورًا] لانّهم يسمعون لفظه ولايدركون مقصوده ويرونه مخالفاً لمعتقدهم ويمكن ان يراد بالقرآن القرآن المعهود الّذى هو فى ولاية علىّ(ع) وان يراد بربّك الرّبّ المضاف وهو الرّبّ فى الولاية وهو علىّ(ع) بعلويّته، وفى الاخبار فى الجملة اشعار بماذكر ونفوراً جمع نافر حال من الفاعل او مصدر نفر حال منه اومفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل [نَحْنُ اَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ] اى بسببه من الاستهزاء والتّغليظ [اِذْ يَسْتَمِعُونَ اِلَيْكَ وَاِذْ هُمْ نَجْوٰى] ذوو نجوى اونجوى جمع نجىّ [اِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ اِنْ تَتَّبِعُونَ اِلّا رَجُلًا مَسْحُورًا] سحره ساحر فجنّ ولم يبق له عقل [اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْاَمْثالَ] بجعلك تارة مسحوراً وتارة مجنوناً وتارة شاعراً وساحراً وكاهناً [فَضَلُّوا] عن طريق معرفتك الفاء للسّببيّة المحضة اى صار ضلالهم سبباً لضرب الامثال اوللسّببيّة والتّعقيب اى صار الاستهزاء بك وضرب الامثال سبباً لضلالهم عن طريق معرفتك ومعرفة كلامك [فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا] الى معرفتك والى معرفة الآخرة والمعاد [وَقالُوا اَئِذا كُنّا عِظامًا وَرُفاتًا] تراباً متناثراً [اَئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا] على الانكار والاستبعاد والتّعجّب ولذلك اكّد الاستفهام [قُلْ] تهكّماً وتغيظاً لهم [كُونُوا حِجارَةً] من الغيظ [اَوْ حَدِيدًا اَوْ خَلْقًا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ] من حيث البُعد عن الانسانيّة والدّناءة فى الرّتبة فانّه يعيدكم اوقل تقريراً للاعادة: كونوا حجارةً فيكون فى معنى الشّرط يعنى ان تكونوا حجارةً بعيدةً عن الحيوة يمكنه الاعادة فكيف اذا صرتم عظاماً قريبةً من الحيوة اليفةً بها [فَسَيَقُولُونَ] استفساراً عن المعيد على سبيل الانكار بعد انكار اصل الاعادة [مَنْ يُعِيدُنا قُلِ] جواباً لهم بتعيين المعيد [الَّذِى فَطَرَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ] تعليقاً على الوصف المشعر ببرهان جواز الاعادة [فَسَيُنْغِضُونَ اِلَيْكَ] سيحرّكون ويمدّون اليك [رُؤُسَهُمْ] للسّؤال عن وقت الاعادة [وَيَقُولُونَ مَتٰى هُوَ قُلْ] جواباً لهم عن هذا السّؤال الّذى لا جواب له لانّه لاوقت للسّاعة فى عرض الزّمان يمكن تعيينه، وتذكير الضّمير باعتبار البعث اووقت الاعادة [عَسٰى اَنْ يَكُونَ قَرِيبًا] يعنى فى طول الزّمان لا فى عرضه واجمل فى الجواب بحيث لا تكون مصرّحاً بنفى الوقت الزّمانى عنه ولاساكتاً عن الجواب ليحملوا اسكوتك على العجز ولامصرّحاً بتعيين الدّهر له لعدم ادراكهم للدّهر [يَوْمَ يَدْعُوكُمْ] امّا جواب لسؤال مقدّر ناش عن اجمال الجواب كأنّه قيل: اىّ يوم هو؟ـ فقال: هو يوم يدعوكم على السنة الملائكة الموكّلة على النّشر وجمع الخلائق للحساب، اويكون يوم يدعوكم، وامّا خبر بعد خبر ليكون [فَتَسْتَجِيبُونَ] من غير تأبّ وتعصٍّ كما كنتم غير مجيبين لدعوته على السنة رسله(ع) فى الدّنيا [بِحَمْدِهِ] لساناً كما تستجيبون بحمده حالاً وفعلاً ووجوداً فانّ الاوصاف الحميدة و الاخلاق الجميلة كلّها حمده تعالى كما انّ قوى النّفس وجنودها كلّها حمده وجوداً والانسان يبعث بجميع اوصافه واخلاقه وقواه وجنوده قائلاً: سبحانك اللّهمّ وبحمدك

كما ورد فی الاخبار [وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ] فی القبور اوفی الدّنیا اوکلیهما [إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِعِبَادِي] الاشراف المستفاد من الاضافة [يَقُولُوا] قد سبق انّ تعليق الجواب على محض الامر بالقول من دون ذكر مفعول القول اشارة الى تشريف له(ص) كأنّه قال: انّ توجّهك مؤثّر فيهم بحيث انّك لو توجّهت اليهم بالخطاب يتبدّل حالهم الى احسن الاحوال بحيث لايصدر منهم الّا ان يقولوا [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] ولا ينظروا الى الخلق نظر السّخط والازدراء [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ] يهيّج الشّر وتوجّهك يبعد الشّيطان عنهم، وقولهم الحسن يقرّب الخلق الى الالفة والبعد من طاعة الشّيطان [إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ] بيان للّتى هى احسن وبينهما معترضة اواستيناف وصرف للخطاب الى عباده وعداً ووعيداً [إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا] صرف للخطاب اليه (ص) تسكيناً لحرصه على ايمانهم وتسليةً لحزنه على تولّيهم ان كان خطاب ربّكم اعلم بكم وما بعده من الله [وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] فيهدى من يستأهل للهداية ويضلّ من يستحقّ الضّلالة فما لك تحرص على هديهم اوتحزن على ضلالتهم بل عليك التّكلان عليه والرّضا بفعله، ويعلم ايضاً من يستأهل للنّبوّة ومن لايستأهل، ومن يستحقّ من الانبياء كمال النّبوّة ومن لايستحقّ، ومن يستأهل للخلافة والولاية ومن لايستأهل؛ فما لهم يتكلّمون فى النّبوّة وينكرون نبوّتك لكونك يتيماً غير ذى مال اويتكلّمون فى الخلافة وينكرون خلافة علىّ (ع) [وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ] ممّن يعتقدون نبوّتهم فما لهم ينكرون تفضيلك على بعض الانبياء(ع) [وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا] فما لهم ينكرون نزول القرآن عليك منّا . روى عن النّبىّ(ص) انّ الله فضّل انبياءه المرسلين (ع) على ملائكته المقرّبين (ع) وفضّلنى على جميع النّبيّين والمرسلين (ع) ، والفضل بعدى لك يا علىّ(ع) وللائمّة من ولدك(ع) ، وانّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] شركاء الله فى الوجوب ايّتها الثّنويّة اوفى الآلهة ايّتها الثّنويّة والصّابئة ، اوفى العبادة ايّتها الوثنيّة وغير الوثنيّة ، اوفى الولاية ايّتها التّابعة لغير ولىّ الامر، اوفى الطّاعة ايّتها التّابعة للامراء والسّلاطين، اوللعلماء السّوء والمبطلين ، اوفى الوجود والشّهود وهم اكثر النّاس الّا من شذّ وندر وهم المقرّبون من الانبياء والاولياء (ع) الكاملين ، واسقط المفعول ليذهب ذهن السّامع كلّ مذهب ممكن كما ذكر ، اى قل ادعوا الّذين زعمتم واجبى الوجود اوآلهةً اومعبودين اواولياء الله اومطاعين اومستقلّين فى الوجود [مِنْ دُونِهِ] التّقييد به للاشعار بصحّة دعوة الاولياء(ع) والمطاعين من الله فانّهم يملكون باذن من الله كشف الضّرّ [فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا] له الى غيركم [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ] يدعون بمعنى يعبدون اوعلى حقيقته، واولئك مبتدء والموصول خبره واولئك اشارة الى الآلهة او الى المشركين او اولئك العاجزون الّذين يدعوهم المشركون ، اواولئك المشركون الّذين يدعون هؤلآء العاجزون ، اواولئك العاجزون الّذين يدعون الله مثلكم فما لكم تدعونهم وعلى اىّ من التّقادير فقوله [يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ] مستأنف والفاعل للآلهة اوللمشركين اوحال عن الفاعل اوعن المفعول اوعن كليهما والفاعل على حسبه وقوله [أَيُّهُمْ أَقْرَبُ] امّا بدل من اولئك اوفاعل يدعون اوفاعل يبتغون اوعن الوسيلة واىّ موصولة وضمّه على الاخير لحذف صدر الصّلة اوجملة حاليّة اومستأنفة واىّ استفهاميّة اوموصولة والخبر على تقدير كونها موصولةً يكون محذوفاً اواولئك مبتدء والّذين صفته اوبدله ويبتغون خبر له اوحال اومعترضة والخبر على التّقديرين ايّهم اقرب بكون اىّ استفهاميّه وتقدير القول

واحتمالات الفاعل و احتمالات ايّهم اقرب اذا لم يكن خبراً كالسّابق ، والمراد بالرّبّ امّا الرّبّ المطلق فانّ الملائكة والمسيح وعزير والكواكب كلّهم يبتغون الى الله الوسيلة اوالرّبّ المضاف وهوربّهم فى الولاية فانّ مخالفى علىّ (ع) ايضاً كانوا يبتغون اليه (ع) الوسيلة [وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ] فهم وسائر العباد سواء فى الاحتياج الى الوسيلة وفى الرّجاء والخوف فكيف يكونون وسائل لغيرهم [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا] فى موضع التّعليل [وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا] .

اعلم ، انّ الانسان ان لم يتّصل بنفسه وقواها بالله تعالى بتوسّط عروة الولاية الوثقى فانّه سيهلكك قبل يوم القيامة عن الحيوة الانسانيّة ويحيى بالحيوة السّبعيّة اوالبهيميّة اوالشّيطانيّة ويحشر فى زمرتها ، وان اتّصل الى الله بنفسه وجميع قواها اوبعضها فانّ المتّصل لايهلك بل يبقى حيّاً بالحيوة الانسانيّة لكنّه يعذّب ليتخلّص عن خليطه السّجينىّ ويترقّى الى العلّيّين ؛ فالمراد ما من قرية من قرى العالم الكبير اوقرى العالم الصّغير الّا نحن مهلكوها بتمام اهلها اوببعضهم قبل يوم القيامة اومعذّبوها [كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا] فان قيل: لايتصوّر الاهلاك ولاالعذاب بالنّسبة الى الانبياء والاولياء (ع) الّذين كانوا اخلصهم الله لنفسه اجيب بأنّهم اهلكوا فى الدّنيا ما كان عليهم من شوب السّجّين ان كان اوعذّبوا انفسهم بالرّياضات والمجاهدات الاختياريّة والبلايا الآلهيّة فيصدق عليهم ذلك ايضاً [وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ] الّتى اقترحها قريش [إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ] فأهلكوا واستوصلوا بتكذيبهم وماكنّا لنهلك امّة محمّد (ص) ومحمّد (ص) فيهم رحمةً بهم ، اوالمعنى انّ تكذيب الامم السّابقة بالآيات صارسبباً لمنع انزال الآيات لانّ هؤلآء من اسناخ الامم الماضية الايرون الى ثمود [وَ] قد [آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ] الّتى اقترحوها [مُبْصِرَةً] من أبصره ، اذاجعله ذابصيرة ، اومن ابصر اذا وضح اوصارذا بصراوبصيرة ، فانّ النّاقة كانت مبصرةً بالبصر الظّاهر وبالبصر الباطن حيث كانت لا تتعدّى نوبتها فى شرب يومها [فَظَلَمُوا بِهَا] اى بسبب عقرها انفسهم [وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا] فما لهم يتجرّؤن على اقتراحها [وَإِذْ قُلْنَا لَكَ] بالوحى اى تذكّر وقت قولنا لك [إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ] اى اهلكهم يعنى اذكر تبشيرنا لك باهلاكهم وقد انجزه له فى بدروغيره، والتّأدية بالماضى للاشارة الى تحقّق وقوعه اواحاط بهم قدرة فلايستطيعون الخروج من قدرته وحكومته [وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ] اى وماجعلنا الشّجرة الملعونة فى القرآن الّا فتنةً للنّاس ، وقد وردت اخبار كثيرة من العامّة والخاصّة باختلاف الفاظها انّه (ص) رأى فى منامه انّ رجالاً اوقردة من بنى تيم وعدىّ اومن بنى اميّة يرقون منبره يردّون النّاس القهقرى ، الّا انّ العامّة رووا من بنى اميّة وحده ولم يذكروا بنى تيم وعدىّ ولازريقاً وزفر، والشّجرة الملعونة فسّرت فى اخبارنا تارة ببنى اميّة عموماً ، وتارةً ببنى مروان ، وتارة بمروان وبنيه .

اعلم ، انّ القرآن تارةً يطلق على المدوّن الّذى اتى به محمّد (ص) وعلى هذا فقوله فى القرآن متعلّق بالملعونة ، وتارة على مقام الجمع المشتمل على جميع مراتب العالم ومنها السّجّين واهله ، وعلى هذا فهو متعلّق بجعلنا يعنى انّ المقصود من ارخاء عنان الاشقياء وامدادهم فى غصب حقّ آل محمّد (ص) ومن جعل السّجّين واهله فى العالم ان يفتتن النّاس بهم ويتخلّص المحقّ عن المبطل ويتميّز الحقّ عن الباطل [وَنُخَوِّفُهُمْ] بانواع التّخويف [فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

قَالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا] هو بتقدير من ليوافق سائر الآيات ، اوحال عن المفعول وقد سبق بيان الآية [قَالَ اَرَأَيْتَكَ] الكاف تأكيد للضّمير المرفوع ومثله كثير فى كلامهم [هٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ] لاستأصلنّ من الحيوة الانسانيّة [ذُرِّيَّتَهُ اِلَّا قَلِيلًا] ممّن أخلصوا انفسهم لك اوممّن اخلصتهم لنفسك [قَالَ اذْهَبْ] طرد وردعٌ له اوتخلية بينه وبين ما اراد [فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُورًا] مكملاً كثيراً لانقص فيه [وَاسْتَفْزِزْ] واستخفف بالجلب الى نفسك [مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ] ان تجلبهم اليك لغاية حمقهم وخفّة عقلهم [بِصَوْتِكَ] من غيرحاجة الى جلب جندك [وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ] ممّن لم تستطع جلبهم اليك بصوتك ، اوهو عطف لتفصيل بعض اسباب الجلب كأنّه قال: بصوتك وبجلب خيلك [وَرَجِلِكَ] بفرسانك وراجليك [وَشٰارِكْهُمْ فِى الْاَمْوٰالِ وَالْاَوْلٰادِ] .

اعلم ، انّ الانسان كما تكرّر ذكره واقع بين عالمى النّور والزّور والحقّ والباطل ولهما التّصرّف فيه والحكومة عليه فان تخلّص بتوفيق الله واعانته من حكومة العالم السّفلى والرّئيس فيه الشّيطان ودخل فى حكومة العالم العلوىّ والرّئيس فيه الرّحمن فقد أخلص أمواله وأولاده من شرك الشّيطان، وان لم يتخلّص من ذلك اوتخلّص من حكومة الرّحمن ودخل فى صرف حكومة الشّيطان فقد يتّفق ان يخلّص ماله وولده لله اذا كان الانسانيّة باقية والشّيطانيّة عرضيّة ولا يتأثر كسبه ونطفته بما بالعرض كما قيل : الولد سرّ ابيه ، وقد يكون بشراكة الشّيطان وقد يكون بانفراد الشّيطان ، فانّ الكاسب والمضاجع المؤتمر بامر الشّيطان المعرض عن امر الرّحمن ينفرد بماله وولده الشّيطان ان كان قد ابطل انسانيّته والمؤتمر بأمر الرّحمن والشّيطان مع كون الانسانيّة فيه باقية لامحالة يشارك فى ماله وولده الشّيطان وقد ذكر فى الاخبار ما ذكرنا بالتّصريح والاشعار [وَعِدْهُمْ] المواعيد الّتى بها تغرّهم كوعد المغفرة من الله وانّ الله كريم وانّهم يبقون ثمّ يتوبون، اوالمواعيد الّتى بهاتطيل آمالهم [وَمٰا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰانُ اِلّٰا غُرُورًا] بتزيين الباطل فى صورة الحقّ والخطاء فى صورة الصّواب [اِنَّ عِبٰادِى] الّذين خرجوا من عبوديّتك [لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ وَكَفٰى بِرَبِّكَ] ايّها الشّيطان اويا محمّد(ص) [وَكِيلًا] فى حفظهم عنك وعن اغوائك اوعن الشّيطان فلاتحزن عليهم يامحمّد(ص) وقدفسّر العبادفى الآية فى الاخبار بعلىّ بن ابى طالب(ع) لانّه اصل العباد وغيره عبادالله بعبوديّته [رَبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى] يجرى [لَكُمُ الْفُلْكَ] فانّه الّذى جعل اخشابها ذوات مسامّ يدخل فيه الهواء فيمنعها من الرّسوب فى الماء وجعل الهواء يتبادر الى الخلأ لامتناع الخلأ فيمنع ايضاً من الرّسوب وجعل الهواء متموّجاً فيحرّكها على الماء ، وجعل لكم ماتتفطّنون بكيفيّة صنع الفلك ووضع الشّراع بحيث تتحرّك الى مقاصدكم وجعل لكم ماتتفطّنون بسببه بتمويج الهواء باختياركم كما اخترعوا من تحريك الفلك بالبخار [فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بنقلكم الامتعة الى البلاد البعيدة وتجاراتكم الرّابحة [اِنَّهُ كٰانَ بِكُمْ رَحِيمًا] فى موضع تعليل [وَاِذٰا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ] من الاجرام العلويّة والاجسام السّفليّة من الاوثان و الطّواغيت البشريّة وغيرها [اِلّٰا اِيّٰاهُ] استثناء من من تدعون اى ضلّ كلّ من تدعونه الّا الله ، والاتيان بضمير النّصب لكون الاستثناء فى كلام موجب ، وذلك الضّلال لانّ المدعوّ من دون الله انّما هو مدعوّ باغواء الشّيطان وتصرّف الخيال، ووقت الضّرّ وغاية الوحشة يفرّ الشّيطان وينقطع تصرّف الخيال فيبقى العقل

الدّاعى لله بلا معارض فيدعو الله بمقتضى جبلّته [فَلَمّٰا نَجّيكُمْ] من الغرق والبحر [إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ] لانّ الشّيطان يعود والخيال يتصرّف ويعارض الّا من دخل فى كنف امان الله من شرّ الشّيطان وجعل خياله وقواه مسلّمةً للعقل منقادةً له [وَكٰانَ الْإِنْسٰانُ كَفُوراً] لانّ فى جبلّته النّفس الّتى لاشأن لها الّا كفران النّعم وهو عطف فى معنى التّعليل [أَفَأَمِنْتُمْ] اى ان نجّاكم الى البرّ فأمنتم اوانجوتم من البحرفأمنتم [أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جٰانِبَ الْبَرِّ] ان يغرقكم فى جانب البرّ فانّه قادرعلى ذلك وان كان خارجاً عن العادة ، وذكر الجانب للاشعار الى التّبادر الى الكفران بمحض الوصول الى السّاحل [أَوْيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حٰاصِباً] رامياً للحصاة عليكم فانّه قادر عليه ايضاً و ان كان وقوعه نادراً [ثُمَّ لاٰتَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً] كما كنتم لا تجدون فى البحر وقت الضّرّ [أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تٰارَةً أُخْرىٰ] بتسلّط الحرص عليكم حتّى ينسيكم ضرّالبحر [فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قٰاصِفاً] يقصف اى يكسر كلّ ما هبّ عليه [مِنَ الرِّيحِ] فتكسر سفينتكم [فَيُغْرِقَكُمْ بِمٰا كَفَرْتُمْ] بكفرانكم نعمة الانجاء اوّلاً [ثُمَّ لاٰتَجِدُوا] من مدعوّيكم [لَكُمْ عَلَيْنٰا بِهِ] اى فى الارسال والاغراق [تَبِيعاً] يتبعنا للانتصاروالانجاء [وَلَقَدْ كَرَّمْنٰا بَنِي آدَمَ] بحسب ذواتهم لانّا خلقناهم على صورتنا ولا كرامة فوقه فجعلناهم ذوى سعة ومراتب فى الوجود واعطيناهم الاحاطة قوّةً اوفعلاً بكلّ الاشياء ، وجعلنا كلّاً منهم حيّاً عالماً سميعاً بصيراً مدركاً متكلّماً مريداً اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون بالنّسبة الى مخلوقاته الذّهنيّة وآلاته وقواه النّفسيّة اوبالنّسبة الى جميع الموجودات حين استكماله بقوّة المتابعة [وَحَمَلْنٰاهُمْ فِي الْبَرِّ] على الحمير والبغال والخيل والجمال وغير ذلك من الدّوابّ وعلى القدرة والمراكب الملكوتيّة اذا صاروا اهلاً له وهذا كرامة اخرى خارجة عن ذاته [وَالْبَحْرِ] على السّفن وعلى القدرة والمراكب الملكوتيّة اذا صاروا اهلاً له [وَرَزَقْنٰاهُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ] طيّبات ارزاق النّبات والحيوان والانسان [وَفَضَّلْنٰاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنٰا تَفْضِيلاً] من موجودات عالم الطّبع تماماً ومن موجودات الملكوت السّفلىّ ومن بعض اصناف الملائكة ، وامّا المقرّبون والاوساط من الملائكة فهم افضل من بنى آدم ما لم يخرجوا من القوّة الى الفعل ، فاذا خرجوا صاروا حينئذٍ افضل المخلوقات تماماً مثل نبيّنا (ص) ؛ فانّ له مع الله وقتاً لايسعه ملك مقرّب ولا نبىٌّ مرسل ، وتفصيل التّفضيل ومراتبه ودقائقه قد مضى ، ويمكن ان يقال : انّ اضافة بنى آدم الى آدم تدلّ على انّ المراد من لم يخرج بعد من القوّة الى الفعل من جميع الجهات فيصحّ حينئذٍ تفضيلهم على الكثير لاعلى الكلّ [يَوْمَ نَدْعُوكُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ] الامام من يؤتمّ به ويقتدى بسيرته ويؤتمر بامره ويتّبع اثره سواء كان حقّاً ام باطلاً ، مشهوداً بالحواسّ البشريّة ام غير مشهودٍ ، آمراً بحسب الظّاهر اوبحسب الباطن ، بلسان القال اوبلسان الحال ، فيشمل ائمّة الحقّ والجور ممّن ترأّس فى الدّنيا اوانتحل التّرأّس فى الدّين اوجعلوه رئيساً من غير شعوره بذلك من السّلاطين والامراء وخلفاء الجور والكواكب والاصنام والابالسة والاهواء ، وفى الاخبار اشعارٌ بالتّعميم وان كان بعض الاخبار يفسّر الامام بامام حقٍّ فى كلّ زمانٍ [فَمَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ] .

اعلم ، انّ للنّفس الانسانيّة صفحتين سفليّة وعلويّة؛ والسّفليّة بأيدى الشّياطين والعلويّة بأيدى الملائكة، فان كان عمل العبد من جهة الايتمام بامام حقّ كان مصدره جهتها العلويّة بامداد الملائكة وكان نزول صورة ذلك العمل من تلك الجهة الى الخيال المشابه فى العالم الصّغير لعالم المثال فى العالم الكبير ثمّ منه الى المدارك الظّاهرة

والقوى المحرّكة ثمّ يصعد صورة ذلك العمل من طريق المدارك الظّاهرة الى الخيال ثمّ تثبت فى الجهة الّتى صدرت عنها ثمّ لمّا كان لتلك الجهة ظلّ نورانيّ وهو الكتاب الّذى بيد كاتب الحسنات فيثبت صورة العمل كاتب الحسنات فى ذلك الكتاب وهى ثابتة فيه وفى صفحة النّفس ما لم يأت العبد بما يمحوها اويخرقها مدّخرة له الى يوم القيامة وحينئذ يلقاه العبد كتاباً منشوراً مثبتاً جميع ما عمله من خير، وان لم يكن عمله من جهة الايتمام بامام حقّ كان عمله من جهة الايتمام بامام باطل من الاناسيّ والابالسة والاهواء فكان مصدره الجهة السّفليّة للنّفس بامداد الشّياطين وكان نزول صورة ذلك العمل من تلك الجهة الى الخيال ثمّ الى المدارك ثمّ الى القوى المحرّكة ثمّ تصعد منها الى الخيال ثمّ الى مانزلت منه فتثبت فيه، ولمّا كان لتلك الجهة ايضاً ظلّ ظلمانيّ وهو الكتاب الّذى بيد كاتب السّيّئات فيثبت صورة ذلك العمل كاتب السّيّئات فى ذلك الكتاب وهى ثابتة فيه وفى صفحة نفسه ما لم يأت بما يبدّلها اويمحوها اويغفرها مدّخرة له الى يوم القيامة وحينئذ يلقاه كتاباً منشوراً لايغادر صغيرة ولا كبيرة الّا احصيها، ولمّا كان هاتان الجهتان معبّرتين باليمين والشّمال وهو يلقى الكتاب العلويّ من جهته العلويّة وكتابه السّفليّ من جهته السّفليّة، وايضاً يرد كتابه العلويّ الّذى هو ظلّه النّورانيّ الى ما هو ظلّ له وكتابه السّفليّ الى ما هو ظلّ له فهو يؤتى كتابه بيمينه وشماله فمن اوتى كتابه بيمينه فيقول تبجّحاً هاؤم اقرؤا كتابيه، ومن اوتى كتابه بشماله فيقول تحسّراً: ياليتنى لم اوت كتابيه [فَاُولٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتٰابَهُمْ] فانّهم يبصرون ولايكونون عمياناً ولا يرون فى كتابهم ما يستحيون من قراءته [وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا] الفتيل المفتول الّذى فى شقّ النّواة يعنى لاينقصون من اجورهم شيئاً [وَمَنْ كٰانَ فِى هٰذِهِ اَعْمٰى فَهُوَ فِى الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى] المراد بالعمى عمى البصيرة عن معرفة الآخرة وطريقها لاعمى البصر فربّ اعمى عن البصر يبصر امور الآخرة بالبصيرة، وربّ بصير فى الدّنيا يعمى عن امور الآخرة ويخرج البصيرة من القوّة الى الفعل بمعرفة الامام والعمى بانكاره ويبقى قوّة البصيرة من دون حصول فعليّة البصيرة، اوالعمى اذا لم يكن منكراً ولا عارفاً، وهذا وان كان فى حكم الاعمى لكنّه يرجى له البصيرة فى الآخرة كما يخاف عليه العمى فيها [وَاَضَلُّ سَبِيلًا] فى الآخرة منه فى الدّنيا اوممّن ضلّ السّبيل فى الدّنيا [وَاِنْ كٰادُوا لَيَفْتِنُونَكَ] وانّهم كادوا يصرفونك بفتنتك [عَنِ الَّذِى اَوْحَيْنٰا اِلَيْكَ] عن المعهود الّذى اوحينا اليك وهو ولاية علىّ(ع) كما روى [لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنٰا غَيْرَهُ وَاِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلٰا اَنْ ثَبَّتْنٰاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا] من الرّكون، وقد ورد فى الاخبار انّ هذه الآية من قبيل: ايّاك اعنى واسمعى يا جارة، وورد انّها من فرية الملحدين ولو كان الخطاب له (ص) من غير كونه على طريق، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة، ولم تكن فرية لم يكن فيها ازدراء به (ص) بل يكون صدر الآية ازدراء بالملحدين لاشعاره بانّهم بالغوا فى فتنته يعنى انّهم ما اهملوا شيئاً ممّا يفتن به ولو كان المفتون غيرك ولم يكن تثبيت من الله لفتن، وذيلها بيان امتنان عليه(ص) بأنّه تعالى اثبته فى مثل هذا المقام [اِذًا لَاَذَقْنٰاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمٰاتِ] اى عذاب الحيوة الدّنيا وعذاب الآخرة على ما قيل: انّ الضّعف اسم للعذاب، اوضعف عذاب الحيوة اى ضعف ما ينبغى ان يعذّب فى الحيوة لو كان هذا الرّكون من غيرك لانّ امر ذوى الخطر اخطر، وقيل: المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر [ثُمَّ لَاتَجِدُ لَكَ عَلَيْنٰا نَصِيرًا] يدفع عنك العذاب [وَاِنْ كٰادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ] ليزعجوا لك استفزّه استخفّه واخرجه من داره وازعجه [مِنَ الْاَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهٰا وَاِذًا

لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ اِلَّا قَلِيلًا] اذا اخرجوك لا يمكثون بعدك الّا قليلاً [سُنَّةَ مَنْ قَدْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا] نصب على المصدر اى سنّنا ذلك المذكور من فتنة قومك، وتثبيتنا ايّاك واستفزاز قومك لارادة اخراجك وعدم لبثهم بعدك سنّة من قد ارسلنا اوسنّ ذلك سنّة من قد ارسلنا ، اوهو مفعول به لمقدّر اى ركبوا فى ذلك سنّة من قد ارسلنا [وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ] اللّام بمعنى فى اى فى وقت دلوك الشّمس وزوالها [اِلٰى غَسَقِ اللَّيْلِ] الى شدّة ظلمته وفسّر فى الاخبار بانتصاف اللّيل وقد بيّن الآية فى الاخبار بالصّلوات الاربع الظّهر والعصر والمغرب والعشاء [وَقُرْاٰنَ الْفَجْرِ] وقت اجتماع الفجر باعتراضه فى الافق اشارة الى صلوة الصبح [اِنَّ قُرْاٰنَ الْفَجْرِ] اى وقته [كَانَ مَشْهُودًا] وقد فسّر فى الاخبار بشهادة الملائكة اللّيليّة والنّهاريّة فانّها يصير الصّلوة حينئذٍ مثبتة فى كتابيهما [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ] وبعضاً من اللّيل فحذف الموصوف واقيم الصّفة مقامه لقوّة معنى البعضيّة فى من التّبعيضيّة حتّى قيل باجراء احكام الاسم الخالص على من ومجرورها بل قيل: بكون من اسماً ولفظة الفاء زائدة اوبتوهّم امّا اوعاطفة من قبيل عطف التّفسير على المفسّر بالفاء، والتّهجد كما يستعمل فى النّوم يستعمل فى الاستيقاظ فهو من الاضداد ، ويمكن ان يكون مأخوذاً من الهجود بفتح الهاء وهو المصلّى باللّيل والمعنى بعض اللّيل فاستيقظ بذلك البعض اى فى ذلك البعض وصلّ وبالغ واجتهد فى صلوتك فى ذلك البعض ، وامّا جعله من الهجود بضمّ الهاء وجعل الصّيغة للسّلب فبعيد غاية البعد [نَافِلَةً لَكَ] عطيّة لك اوصلوة نافلة لك وعلى الاوّل فهو مفعول فعلٍ محذوفٍ اى اعطينا عطيّة لك وعلى الثّانى مفعول تهجّد بناء على تضمينه معنى افعل اوعلى تجريده عن معنى الصّلوة اى فافعل بالاستيقاظ نافلة لك ، اوفافعل نافلة لك على معنى التّهجّد ولام لك للاختصاص ومعنى اختصاصه به اختصاص وجوبه به وان كان استحبابه مشتركاً بينه (ص) وبين امّته ، ويمكن استنباط الوجوب من الآية مع قطع النّظر عمّا ورد فى الاخبار من وجوب التّهجّد عليه (ص) لانّه عطف التّهجّد على اقامة الصّلوة لدلوك الشّمس ، والامر هناك للوجوب و التّوافق يقتضى ان يكون ههنا ايضاً للوجوب، وتفصيل النّوافل وكيفيّتها ووقتها وفضيلتها موكول الى كتب الفقهاء رضوان الله عليهم [عَسٰى اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا] التّنوين للتّعظيم اى مقاماً عظيماً محموداً وهو منصوب على الظّرفيّة اوعلى الحاليّة باعتبار انّه (ص) قام فى المقام المحمود وصار بنفسه مقاماً محموداً ، والمقام المحمود هو آخر مقامات السّالك وهو مقامه مع الحقّ فى الخلق فانّ اوّل مقاماته وهو مقامه فى الخلق مع الخلق مقام مذموم والانسان مأمور بالفرار والهجرة منه وعدم الوقوف فيه ، وثانى مقاماته وهو مقامه فى الحقّ سالكاً منه الى الحقّ مقام تنزيهٍ وقدسٍ وليس مقاماً محموداً ، وثالث مقاماته وهو مقامه فى الحقّ مع الحقّ فانياً فيه انتهاء مقام قدسه وتنزيهه ولا اسم له ولا رسم فى ذلك المقام فضلاً عن الحمد والفضل ، ورابع مقاماته وهو مقامه فى الخلق مع الحقّ مقام محمود ومقام الفضل ومقام الجمع بين التّنزيه والتّشبيه والحقّ والخلق والتّوحيد والتّكثير ، ولكون هذا المقام بعد الفناء اتى بلفظ البعث الدّالّ على الاحياء بعد الممات فانّ الفانى ميّت بالموت الاختيارىّ والرّاجع الى الخلق يحيى بعد فنائه وذلك المقام وان كان لكلّ نبىٍّ لكن مطلقه وعظيمه وما ينبغى ان يكون الكامل عليه كان مطلوباً منه وباعتبار ذلك المقام العظيم امره تعالى بالسّؤال بعد الامر بالنّافلة باللّيل الّتى هى عبارة عن المقام فى ذلك المقام والّا كان اصله حاصلاً له بوجهٍ ، وذلك انّ صاحب هذا المقام امّا ان يكون نظره الى الخلق غالباً اويكون نظره الى الحقّ غالباً وهذان المقامان

ليسا محمودين على الاطلاق وهما نشأتا موسى(ع) وعيسى(ع)، اويكون نظره الى الحقّ ونظره الى الخلق متساويين بمعنى ان يكون النّظر الى كلٍّ كما يقتضيه من غير نقصانٍ من حقّ شيءٍ منهما وهذا هو المقام المحمود على الاطلاق وهو كان لمحمّد (ص) وكلّ ما ورد فى تفسير المقام المحمود يرجع الى ما ذكرنا، ولمّا كان ذلك المقام من اعظم المقامات ووعده الله دخوله فيه على تهجّده امره(ص) بمسئلة الدّخول فى ذلك المقام والانتظار له فقال [وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي] فى ذلك المقام وما ورد من تفسيره بدخول مكّة اوبدخول كلّ مُدخل اوبدخول كلّ مدخل يخاف منه انّما هو لسعة وجوه القرآن وجواز تعميم الآية، ولا ينافى كون المقصود فى ذيل وعد البعث الى المقام المحمود مسئلة الدّخول فى ذلك المقام، ولمّا كان خطابه (ص) يشمل امّته نحو شمول خطاب الكلّ للاجزاء اوخطاب المتبوع للتّابع كان الامّة مقصودة وكان المقصود بالنّسبة اليهم سؤال دخول مقامات السّالكين الى الله اوسؤال دخول المقام المحمود الجزئىّ الّذى هو آخر مقامات السّالكين بحسب مراتبهم [مُدْخَلَ صِدْقٍ] ادخال صدقٍ اومحلّ ادخال صدق، وقرئ بفتح الميم والاضافة الى الصّدق للمبالغة اى ادخالاً ثابتاً للصّدق لايكون له الّا شأن الصّدق، او الصّدق بمعنى الصّادق اى ادخال صادق ويكون التّعبير بالصّدق للمبالغة فيكون الاضافة ايضاً للمبالغة فانّ المعنى حينئذٍ ادخال شخصٍ لا يبقى فيه الّا الصّدق وصدق الادخال فى مقام ان يدخل ويتمكّن فيه بحيث لايتصوّر له الخروج وزوال ذلك المقام عنه ولذلك قيل: الخروج من غير دخول جهلٌ يعنى الخروج من مقامٍ من غير تمكّن الدّخول فيه جهلٌ و الّا فالخروج فرع الدّخول [وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] والاخراج بالصّدق يكون بالتّمكّن فى المدخل [وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا] والتّنوين للتّفخيم والسّلطان النّصير هو الولاية المطلقة الظّاهرة فى مظاهرها الكلّيّة والجزئيّة، واصل كلّ المظاهر علىّ(ع) ببشريّته كما انّه حقيقة الولاية المطلقة بعلويّته وقد اجابه (ص) الله تعالى حيث كان علىّ(ع) معه بعلويّته سرّاً وببشريّته جهراً وهو كان بعلويّته السّكينة النّازلة عليه(ص) بصورته المثاليّة [وَقُلْ] بعد مسئلتك السّلطان النّصير واجابتنا لك ونزول الولاية الكلّيّة المعبّر عنها بعد النّزول بالسّكينة تبجّحاً بما اعطيناك [جَاءَ الْحَقُّ] فانّ الولاية المطلقة هى الحقّ وبحقّيّتها حقّيّة كلّ ذى حقٍّ [وَزَهَقَ الْبَاطِلُ] فانّ الباطل يزهق ويضمحلّ بمجيء الحقّ فى العالم الصّغير وفى العالم الكبير [إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] لكن بدون مجيء الحقّ يترائى حقّيّة له وبعد مجيء الحقّ يظهر انّه كان باطلاً ولم يكن له حقيقة وحقّيّة [وَنُنَزِّلُ] عطف على جاء الحقّ فيكون من جملة مقوله(ص) يعنى قل بعد مجيء الحقّ وزهوق الباطل ننزّل بصيغة الجماعة تعظيماً لشأنك فانّك بعد مجيء الحقّ تصير متّحداً مع الولاية المطلقة الّتى هى المشيّة الّتى هى كلّ الموجودات بوجهٍ اوتشريكاً لنفسك مع الحقّ النّازل ان كنت ترى نفسك فى البين، اوقل بلسانٍ صار لسان الله ننزّل، او هو كلام من الله وعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: ننزّل الحقّ ونظهر زهوق الباطل وننزّل بعد ذلك [مِنَ الْقُرْآنِ] من للتّبعيض والظّرف حال ممّا بعده اومن ابتدائيّة والظّرف صلة لننزّل والمراد بالقرآن صورة الكتاب التّدوينىّ اومقام الجمع الّذى هو المقام المحمود [مَا هُوَ شِفَاءٌ] للابدان والارواح من كلّ آفة وداء فانّ المنزل من مقام الجمع اذا كان المنزل عليه الّذى هو الواسطة بين مقام الجمع والخلق مطهّراً من النّقص والآفة كان شفاء من كلّ داء لمن استشفى به واتّصل بالمنزّل عليه [وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

اِلّاٰخَسٰارًا] لانّهم كالعذرة لايزيدها كثرة اشراق الشّمس الّاالعفونة . روى فى طبّ الائمّة عن الصّادق (ع): ما اشتكى احد من المؤمنين شكاية قطّ وقال باخلاص نيّةٍ ومسح موضع العلّة : وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين الاخساراً الّاعوفى من تلك ايّة علّة كانت؛ ومصداق ذلك فى الآية حيث يقول : شفاء ورحمة للمؤمنين . وعنه (ع) لابأس بالرّقية والعوذة والنّشرة اذا كانت من القرآن [وَاِذٰا اَنْعَمْنٰا عَلَى الْاِنْسٰانِ اَعْرَضَ] عنّا [وَنَـئٰا بِجٰانِبِهِ] اى ناى عنّا ملصقاً بجانبه والباء للتّعدية والمقصود استبداده وغفلته عن منعمه، او استكباره وطغيانه كقوله: انّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى [وَاِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ كٰانَ يَؤُسًا] شديد اليأس من روح الله يعنى انّ الانسان سجيّته الطّغيان والكفر بالمنعم بحسب مقام نفسه عند النّعمة واليأس من روح الله عند زوالها ومسيس الضرّ له والحال انّه عبد مربوب ليس له اضافة شيءٍ الى نفسه بل عليه ان يرى النّعمة والضرّ من مولاه ويكون حين النّعمة شاكراً له مضيفاً للنّعمة اليه خائفاً من زوالها وحين الضرّ راجياً لرفعه مضيفاً له الى نقصان نفسه [قُلْ كُلٌّ] من الله وافراد العباد [يَعْمَلُ عَلٰى شٰاكِلَتِهِ] مشتملاً على نيّة هى شاكلته فانّ النّيّة شاكلة حال الانسان ومقامه وسجيّته ، اوالمعنى كلّ يبنى عمله على نيّة وفعليّةٍ من نفسه هى شاكلة حاله ومقامه .

اعلم، انّ الانسان بحسب فعليّة بشريّته نوع واحد وله حدّ واحد لكنّه بحسب الباطن انواع متباينة بالقوّة ولكلّ نوع حدّ غير حدّ النّوع الآخر فاذا صار بحسب الباطن نوعاً بالفعل مثلاً اذا صار بالفعل واحداً من انواع السّباع اوالبهائم اوالشّياطين اوالانسان المشتمل على انواع الملك ، فاذا اراد فعلاً من الافعال سواء كان فى صورة العبادات اوالمعاصى اوالمباحات تمثّل تلك الصّورة عند نفسه وقصد من ذلك الفعل بواسطة تمثّل تلك الصّورة كمال ما هو بالفعل هو وتلك الصّورة وذلك القصد نيّة الفعل وهو حين العمل مشتمل عليه ويبنى عليه العمل؛ مثلاالانسان المعجب بنفسه اوالمرائى لغيره اذا اراد الصّلوة تمثّل صورتها عنده وقصد بفعله بواسطة تلك الصّورة تزيين نفسه بما يزعمه ممدوحاً عند النّاس فيعمل الصّلوة مشتملاً على تلك النّيّة المشاكلة لما هو بالفعل هو وهو النّوع المعجب بنفسه كالطّاووس مثلاً، وبعبارة ٍ اخرى يبنى عمله على اس هو قصد تزيين نفسه الّذى هو شاكلة حاله وفعليّته وهكذا، والحقّ الاوّل تعالى شأنه شاكلته اوّلاً وبالذّات صفاته الجماليّة من الرّحمة والجود والاحسان والعفو والصّفح والغفران فليس عمله بالقصد الاوّل الّا على تلك لكنّها قد تصير قهراً وغضباً وانتقاماً بحسب القوابل بالقصد الثّانى وبالعرض والمعنى قل لهم انّ الله يعمل على شاكلته من الرّحمة والاحسان وانتم تعملون على شاكلتكم ممّا يجعل رحمته رضاً اوسخطاً [فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَاَهْدٰى سَبِيلًا] يعنى ان كان كلّ يعمل على شاكلته والشّاكلة من الامور الغيبيّة الباطنة وصورة العمل لاعبرة بها فمن تختارونه بصورة العمل يمكن ان يكون غير مختار بحسب الشّاكلة بل المختار من اختاره الله لانّ ربّكم اعلم بمن هو اهدى سبيلاً، فالفاء داخلة على ما قام مقام جزاء شرطٍ مقدّرٍ ولاينافى ذلك تعميم الآية لجميع موارد صدقها كما هو شأن جميع الآيات من كون المقصود بالذّات من ذكر الخيرات علياً (ع) ومن ذكر الشّرور اعداءه مع تعميمها لجميع موارد صدقها بالتّبع [وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ] اى الرّوح الّتى بها الحيوة الانسانيّة فانّ الرّوح تطلق على البخار المتكوّن فى القلب المنتشر فى البدن بواسطة الشّرائين وتسمّى روحاً حيوانيّةً، وعلى البخار المتصاعد من القلب الى الدّماغ فتعتدل ببرودته وتسمّى روحاً نفسانيّةً، وعلى الّتى بها حيوة الحيوان وتسمّى نفساً حيوانيّةً، وعلى الّتى بها حيوة الانسان وتسمّى نفساً ناطقة وهذه هى مراد السّائلين لانّها المدركة لهم بالآثار دون سابقتها فانّها مختفية تحت شعاع نفس الانسان ، وتطلق على طبقة من الملائكة وتسمّى فى لسان الاشراق بارباب

الانواع وفى لسان الشّرع بالصّافّات صفّاً ، وعلى ملك اعظم من جميع الملائكة وله بعدد كلّ انسان وجه وهو ربّ نوع الانسان وله الرّياسة والاحاطة على جميع الانواع وار بابها وهومع كلّ افرادالانسان وليسوا معه ، وماورد فى بيان الرّوح انّها ملك اعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع محمّدٍ (ص) ثمّ مع الائمّة (ع) اشارة الى هذا المعنى ومعنى كونه مع محمّدٍ(ص) دون سائرالانبياء انّ معيّته مع محمّدٍ(ص) كان بمعيّة محمّدٍ(ص) معه والّا فهومع كلّ افراد الانسان بل مع كل ذرّات العالم و نفخت فيه من روحى اشارة الى تلك ، فانّ الرّوح المنفوخة فى آدم(ع) ظلّ تلك الرّوح ، ولمّا كانت الرّوح المسؤل عنها امراً مجرّداً معقولاً لايدركه الّا ذووالعقول وكان السّائلون اهل الحسّ لايتجاوزادراكهم المحسوسات امره(ص) بالاجمال فى الجواب فقال [قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي] اى ناشئة من امرربّى من غيرسبق استعداد مادّة حتّى تكون محسوسة فتدركونها بالحواسّ الظّاهرة اوالباطنة اومن عالم امره ولايصل ادراككم اليه ولذلك قال [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] منكم اوقليلاً من العلم وهوالعلم بالمحسوس من آثارها وليس لكم علم عالم الامر ولفظة ما نافية اواستفهاميّة انكاريّة [وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] اى بالقرآن او بالاحكام النّبويّة او بالرّوح الّتى او حيناها اليك اوبالعلم الّذى آتيناك [ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ] بالّذى اوحينا اوبالاذهاب [عَلَيْنَا وَكِيلًا] تكل اليه امرك فيتسلّط علينا ويستردّ ما ذهبنا به [إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] استثناء منقطع اى لكن رحمة من ربّك تبقيها اوتستردّها [إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] قد سبق التّحدّى بامثال هذه الآية وبيانه [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا] كرّرنا فى الفاظٍ مختلفةٍ وعباراتٍ متوافقة ومتخالفةٍ [لِلنَّاسِ] لانتفاعهم وتذكّرهم [فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ] جملةالقرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) كما اشيراليه فى الخبر [مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] اى من كلّ حكايةٍ وقصّةٍ من حكايات الاخيار و الاشرار الّتى صارت امثالاً و اسماراً يعنى كرّرنا شيئاً من تلك الحكايات فى عباراتٍ مختلفةٍ مثل ذكر حكاية موسى(ع) مع فرعون ومع قومه ومع خضرٍ(ع) فمفعول صرّفنا محذوف ، ولفظة من فى من كلّ مثل للتّبعيض فانّ المذكور فى القرآن ليس الّا بعضاً من كلّ حكاية اجمالاً ، ولفظة كلّ للمبالغة فانّ المذكور ليس من كلّ الحكايات والامثال [فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ] من الاعتباربها والاستدلال بها على ا لهتنا اوعلى صدق نبوّتك اوعلى صدقك فى ولاية علىّ (ع) [إِلَّا كُفُورًا] باللهاوبنبوّتك اوبولاية علىّ(ع) وفى الخبر انّما نزل جبرئيل(ع) فأبى اكثر النّاس بولاية علىّ(ع) الّا كفوراً [وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا] عيناً [أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ] فى توعيدك ايّانا [عَلَيْنَا كِسَفًا] قطعاً متكاسفةً محسوسة جمع الكسنة بالكسر بمعنى القطعة [أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا] القبيل بمعنى العيان والمقابل والكفيل والجماعة من الثّلاثة فمافوق، والعريف الّذى يعرف مايرى والكلّ مناسب ههنا [أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ] من ذهب [أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ] وحده [حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ] فيه تصديق نبوّتك وتصديق توحيدالله وكلّ تلك الاسئلة انّما كانت لعناد

نفوسهم ولجاجها و كانوا يريدون بذلك مانسبوا انكارهم اليه و كانوا مصرّين على الانكار عازمين عليه ولم يكونوا مريدين بها رفع شبهة اودفع شكّ ، ومثل ذلك لاجواب له ، فان اجيب كان محض التّفضّل على السّائل كماروى انّه (ص) اجابهم عن كلّ ما قالوا ولذلك امره (ص) ان يجيبهم بترك الاجابة فى صورة العجز عن الجواب فقال [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي] من ان يتحكّم عليه او يأتى بما اقترحه الجهّال عن عناد ولجاج [هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا] فليس لى ان آتى بمسؤلكم بنفسى اواقترح على ربّى مثل اقتراحكم علىّ ، وقدنقل كيفيّة اجتماع المشركين على الاستهزاء به والاقتراح عليه بما يعجز عن الاتيان به توهيناً له وتصغيراً لشأنه ؛ من اراد فليرجع الى المفصّلات من التّفاسير وغيرها [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ] اى الرّسالة اوالكتاب السّماوىّ اوالولاية فانّ الكلّ ما به الهداية الى الله كما انّ الاوّلين[1] هداية الى الولاية ايضاً [إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا] يعنى الّا انكارهم رسالة البشر لكنّه اتى بالقول اشعاراً بانّ هذا الانكار محض قول يقولون من غير اعتقاد وبرهان عليه ، ولمّا كان انكار رسالة البشر تعريضاً برسالة الملك امره (ص) الله تعالى ان يقول فى جوابهم انّ الملك من الملكوت ولا يظهر على الملك الّا بخرابه اختياراً اواضطراراً فقال [قُلْ] فى جواب انكارهم رسالة البشر انّ رسول البشر لابدّ ان يكون بشراً ليجانسهم ويأنسوا به ولايجانسهم الملك ؛ نعم [لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا] اى قل لهم يقول الله ذلك لكنّه حذف القول لايهام انّ قول الرّسول وفعله قول الله وفعله [عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا قُلْ] بعد لجاجهم وعنادهم معرضاً عنهم متّكلاً على ربّك [كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] هذا من جملة المحكىّ بالقول اومستأنف من الله وكذا قوله [وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ] يعنى ليس الاهتداء بكثرة السّؤال والاقتراح انّما هوامر آلهىّ لمن يشاء من عباده لا اختيارىّ باختيار العبد وحيلته [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ] يعنى منكوساً ارجلهم من فوق ورؤسهم من تحت [عُمْيًا] مطلقاً اوعن رحمة الله و فضله [وَبُكْمًا وَصُمًّا] مطلقاً اوعمّا ينفعهم [مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا] توقّداً [ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا] واصل الآيات وأعظمها علىّ (ع) وانكروا الآخرة والمعاد [وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ] وقد اعترفوا بابداثه خلق السّماوات والارض [قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] فانّهم وامثالهم أسهل خلقاً من السّماوات والارض ، والاعادة أسهل من الابداء ، ويؤيّد هذه الآية قول من يقول: انّ الاعادة وان كانت باشخاصهم بعينها لكنّها بأبدانهم بامثالها بوجه [وَجَعَلَ لَهُمْ] لانفسهم او لامثالهم بحسب الاعادة او بحسب الحيوة الدّنيا اوبحسب المكث فى البرازخ قبل القيامة [أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ] بعد وضوح الامر [إِلَّا كُفُورًا] بالتّوحيد اوبك اوبعلىّ (ع) [قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي] رحمة الرّبّ هى الولاية وسائر النّعم الظّاهرة والباطنة تسمّى رحمة باتّصالها بالولاية واذا لم تتّصل بالولاية تكون سخطاً ونقمةً

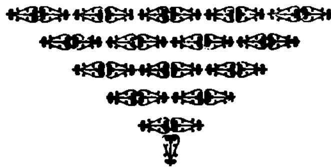
(١) الرّسالة والكتاب السّماوى .

واستدراجاً ، وجمع الخزائن للاشعار بانّ له خزائن عديدة فى مراتب العالم [اِذًا لَاَمْسَكْتُمْ] عن الانفاق والايصال الى المستحقّ [خَشْيَةَ الْاِنْفَاقِ] خشية النّفاد بالانفاق لانّكم ماخرجتم عن بشريّتكم والبشر فى جبلّته حبّ المال وخشية نفاده [وَكَانَ الْاِنْسَانُ قَتُورًا] عطف للتّعليل اى فى جبلّته البخل ولذلك اتى بكان فانّه يدلّ على كون الوصف سجيّته سواء جعل قتوراً مبالغة اوصفة مشبهة ، والمقصود التّعريض بمدّعى الخلافة وبانّهم غير مستحقّين للولاية والخلافة لعدم خروجهم من البشريّة [وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسٰى تِسْعَ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] تسلية للنّبىّ (ص) وتعريض بمقترحى الآيات يعنى من كان فى جبلّته العناد واللّجاج لاينفع فيه الآيات كما انّ فرعون شاهد من موسى (ع) تسع آيات بيّنات وزاد لجاجه وعناده وقد ورد الاخبار بالاختلاف فى تعيين التّسع ففى بعضها عدّ رفع الطّور والمنّ والسّلوى منها ، وفى بعضها لم يعدّ ، والظّاهر انّ المراد بالآيات التّسع كما فى الخبر عن الصّادق (ع) الجراد والقمّل والضّفادع والدّم والطّوفان والبحر والحجر والعصا واليد البيضاء [فَاسْئَلْ بَنِى اِسْرَائِيلَ] يعنى ان كنت فى شكّ على طريق ايّاك اعنى واسمعى يا جارة فاسئل بنى اسرائيل عن موسى (ع) وآياته [اِذْ جَاءَهُمْ] اذا اسم خالص مفعول اسئل اوظرف لآتينا وقوله فاسئل اعتراض [فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ] بعد ظهور آياته عناداً [اِنِّى لَاَظُنُّكَ يَا مُوسٰى مَسْحُورًا] مجنوناً [قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا اَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ اِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ بَصَائِرَ] اسباب بصيرة اطلق البصائر عليها مبالغة [وَاِنِّى لَاَظُنُّكَ] لاعلمك ادّى بالظّنّ مشاكلة لقوله ، اوكان ظانّاً لم يعلمه الله بعده عن الخير اوهلاكته اكمالاً لدعوته [يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا] مصروفاً عن الخير او هالكاً [فَاَرَادَ اَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ] يخرجهم اويستأصلهم [مِنَ الْاَرْضِ] ارض مصر اومطلق الارض بالاستيصال [فَاَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا] يعنى اخرجناه من الارض عكس مراده [وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى اِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْاَرْضَ] الّتى اراد فرعون ان يستفزّكم منها [فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ الْاٰخِرَةِ] وعد دار الآخرة [جِئْنَا بِكُمْ] يعنى بنى اسرائيل و قوم فرعون اوالخطاب لبنى اسرائيل فقط [لَفِيفًا] مختلطين، المحقّين والمبطلين من بنى اسرائيل وقوم فرعون، اودانى الدّرجة ومرتفعيها [وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ] بسبب الحقّ اوبالغاية الحقّة اومتلبّساً بالحقّ ، والضّمير لمطلق القرآن اولقرآن الولاية [وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْاٰنًا] اى امراً مجتمعاً مجملاً عظيماً [فَرَقْنَاهُ] فصّلناه فى صورة الحروف والالفاظ ونزّلناه نجوماً [لِتَقْرَاَهُ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْثٍ] فانّه اقرب الى القبول والحفظ [وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا] عن مقام جمعه الّذى هو المشيّة والولاية الى الاقلام اجمالاً ثمّ الى الالواح ثمّ الى الاكوان فى صور الموجودات الكونيّة ، وفى صور الحروف والاصوات والنّفوس والكتابات ، ويجوز ان يراد بالقرآن الامر بالولاية مخصوصاً وان يراد بتفريقه تنزيله اشارةً مثل انّما وليّكم الله، واطيعوا الرّسول ، وتصريحاً مثل بلّغ ماانزل اليك فى علىّ (ع) [قُلْ اٰمِنُوا بِهِ اَوْ لَا تُؤْمِنُوا] يعنى سواء ايمانكم وعدم ايمانكم عندى وعندالله وانّما يعود نفعه اليكم [اِنَّ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ] اى من قبل القرآن مثل اهل الكتاب الّذين علموا بعثتى وصدق كتابى من كتبهم قبل ظهورى اومن قبل القرآن الّذى فى ولاية علىّ (ع) كالّذين تيقّنوا عظمة شأن علىّ (ع) من امّة محمّد (ص) وهو فى موضع تعليل للتّسوية يعنى انّ الحكمة فى نزول القرآن، الدّعوة والحكمة

فى الدّعوة ايمان الخلق فاذا آمن بعض الخلق فقد حصل الحكمة ولم يبطل الغاية وقدآمن به كثير فيستوى ايمانكم وعدم ايمانكم لانّ الّذين اوتوا العلم آمنوا به و [اِذٰا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْاَذْقٰانِ] الّلام بمعنى على [سُجَّدًا] تأثّراً به وانسلاخاً من بشريّتهم وشكراً لله لانجازوعده وللوصول الى مطلوبهم [وَيَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا] اظهاراً للشّكرباللّسان [اِنْ كٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْاَذْقٰانِ] كرّره للتّأكيد المطلوب فى مقام المدح [يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا] لتأثّرهم به [قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ اَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ] .

اعلم ، انّ القرآن ذووجوه بحسب التّنزيل وذوبطون بحسب التّأويل ، وانّ اسماءه اللّفظيّة عناوين لاسمائه الكونيّة وهى مظاهر لاسمائه الحقيقيّة الّتى هى مبادى اسمائه الكونيّة وارباب انواعها والظّاهرة فيها ، والاسماء الحقيقيّة عنوانات لحقيقة الوجود المطلق كما انّ اسماءه الكونيّة واللّفظيّة والكتبيّة عنوانات لتلك الحقيقة باعتبار تلك الاسماء الحقيقيّة . وانّ الحقّ الاوّل تعالى مسمّىً بالله باعتبار انطواء الكثرات فيه ، ومسمّىً بالرّحمن باعتبار اظهاره للكثرات والمراتب والحدود ، وانّ فعله المعبّر عنه بالمشيّة والولاية الكلّيّة مظهر لله باعتبار انطواء الكثرات فيه ومظهر للرّحمن باعتبار انبساطه على الكثرات ويسمّى المشيّة بالاعتبار الاوّل عرشاً وبالاعتبار الثّانى كرسيّاً و لذلك يعبّر عنها حين الاضافة الى الكثرات بالكرسىّ كما قال : وسع كرسيّه السّموات والارض ، وحين الاضافة الى الحقّ الاوّل تعالى بالعرش الرّحمن على العرش استوى ، وكون العرش مظهراً لله باعتبار انطواء الكثرات فيه لا ينافى كونه منسوباً اليه الرّحمن لانّه باعتبار مغايرته له تعالى من جانب الكثرات فاضافته تعالى اليه مثل اضافة الكرسىّ الى الكثرات ، والحقّ الاوّل باعتبار وصف الرّحمن مصدر له ومضاف اليه ، وكلّ من مراتب الجبروت والملكوت مظهر لله و للرّحمن بالاعتبارين المذكورين . و المراتب عاليها مظهر لله من حيث اجمال الكثرات فيه بالنّسبة الى دانيها ، ودانيها مظهر للرّحمن من حيث التّفصيل بالنّسبة الى العالى ، ولمّا كان الانسان منطوياً فيه جميع الاسماء والمراتب كان من حيث روحه مظهراً لله ومن حيث نفسه مظهراً للرّحمن ان لم يصر بالتّنزّل مظهراً للشّيطان، وهكذا فى جملة مراتبه . وخلفاء الله الّذين هم اكمل افراد الانسان مظاهر لله وللرّحمن بالاعتبارين؛ فالنّبىّ باعتبار ولايته مظهرٌ لله تعالى ومن حيث نبوّته ورسالته مظهرٌ للرّحمن، بل النّبوّة من حيث وجهتها الى الولاية مظهرٌ لله ، تعالى ومن حيث وجهتها الى الرّسالة مظهرٌ للرّحمن، وشخص النّبىّ من حيث اخذ الميثاق والبيعة من العباد مظهرٌ لله ، وتابعه المعاضد له فى تعليم العباد طريقّ الوصول اليه والبيعة معه مظهر للرّحمن، وهكذا خلفاؤهما المأذونون منهما فى اخذ الميثاق والبيعة من الخلق ، ويسمّى النّبىّ وخليفته من تلك الحيثيّة شيخ الارشاد ، والتّابع وخليفته من تلك الحيثيّة شيخ الدّلالة ، والعباد المطيعون من حيث نشأتهم فى الجذب مظاهر لله ومن حيث حالهم فى السّلوك مظاهر للرّحمن . والدّعاء قد يطلق على التّسمية ويكون متعدّياً الى مفعولين ، وقد يطلق على الذّكر ويكون متعدّياً الى مفعول واحد ، وقد يطلق على دعوة الغير لاحضاره ومجيئه بنفسه بحيث يكون المدعوّ بنفسه مطلوباً ، وقد يطلق على دعوة الغير فى المهمّات ؛ وبالمعنى الاوّل يقال : دعوت ابنى زيداً ، وبالثّانى يقال : يدعون الله باللّيل والنّهار ، كما يقال بالثّالث والرّابع : يدعون الله مطلقاً اوفى مهمّاتهم ، ومعنى الآية تنزيلاً سمّوا الله ، الله اوالرّحمن بحذف المفعول الاوّل ، ووجه اسقاط المفعول امكان التّعميم بين وجوه التّنزيل وبطون التّأويل ، **وقد نقل فى نزوله انّه(ص)** كان فى المسجد الحرام وقال : يا الله يارحمن ، فقال المشركون انّه ينهانا عن الاشراك وهو يدعوا آلهين؛ فنزلت . **ونقل ايضاً** : انّ اليهود قالوا له(ص) : انّك لتكثر ذكر الله ولا تذكر الرّحمن وفى التّوراة تكرّر ذكر الرّحمن؛ فنزلت . اومعنى الآية اذكروا لفظ الله ، اواذكروا لفظ الرّحمن ، اواذكروا الذّات باعتبار جمعه للكمالات ، اوباعتبار انبساطه

على الكثرات ، اوادعوا الذّات بعنوان اوصافه الجلاليّة اوبعنوان اوصافه الجماليّة فانّ الله وان كان امام الاسماء تماماً لكنّه باعتبار انطواء الكثرات المعتبر فيه ادلّ على اوصاف الجلال ، والرّحمن امام اوصاف الجمال ، ومعنى الآية تأويلاً ادعوا مظهر اسم الله اومظهر اسم الرّحمن لافرق بينهما فى جميع مراتبهما ، وادعوا الولىّ (ع) اوالنّبىّ (ص) وادعوا فى مقام الجذب اوفى مقام السّلوك [اَيًّا مٰا تَدْعُوا] يؤدّ بكم اليه لانّ اسماء الوجود وعنوانات الحقّ ومظاهر النّور لا شركة لغيره فيها [فَلَهُ الْاَسْمٰاءُ الْحُسْنٰى] لا لغيره بخلاف الاسماء السّوءى الّتى هى اسماء العدم وعنوانات الحدود والتّعيّنات ومظاهر الشّرور والظّلمات فانّها لغيره لاله ، والله والرّحمن ومظاهرهما من الاسماء الحسنى [وَلٰا تَجْهَرْ بِصَلٰوتِكَ] لا تتجاوز فى اعلان الصّوت عن المعتاد حين التّخاطب مع الاحباب بحيث تسمع من بَعُدَ عنك [وَلٰا تُخٰافِتْ بِهٰا] بحيث لا تسمع نفسك ، كذا فسّر فى اخبارنا [وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا] متوسّطاً يعنى اقرء قراءةً تسمعها نفسك ومن قرب منك ولا تسمعها من بعد عنك فانّ السّمع له حقّ فى الصّلوة وهو سماع اذكاره وسنّة الاحباب عدم الجهر بالخطاب ، ولمّا كان الصّلوة الحقيقيّة هى الولاية والنّبوّة قالبها والرّسالة قالب النّبوّة ، وقبول الولاية والرّسالة من القوالب ، وصورة الصّلوة القالبيّة والقلبيّة ايضاً من القوالب صحّ تفسير الصّلوة بكلٍّ منها ، وصحّ جعل الخطاب عامّاً وخاصّاً بمحمّد (ص) ، وصحّ تفسير الاجهار والاخفات بما يناسب كلّاً منها ، وقد اشير الى التّعميم فى بعض الاخبار [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ] بعد امره بالتّوسّط فى الاقوال او الافعال امره بالتّوسّط فى توصيفه تعالى بالجمع بين التّشبيه والتّنزيه قولاً واعتقاداً وشهوداً فأمره تعالى بالحمد اى ملاحظة ظهوره تعالى فى كلّ شيءٍ وفىءٍ مع تنزيهه عن اصول النّقائص ، وهى كون الثّانى له سواء كان تحت يده اومقابلاً له او مستعلياً عليه محتاجاً اليه وكان هو عاجزاً فانّ الذّل ينشأ من العجز عن دفع الضّرّ اوجلب النّفع ، ولمّا كان ذلك موهماً لتوصيفه ومعرفته امره ثانياً بتكبيره عن التّوصيف والمعرفة فقال [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا] عن كلّ ما يوهم النّقص اوالتّوصيف ، ولذلك ورد فى جواب من قال : الله اكبر من كلّ شيءٍ عن الصّادق (ع) : وكان ثمّة شيءٌ فيكون اكبر منه؟! فقيل : وماهو؟ - قال : اكبر من ان يوصف .



سورة الكهف

وهى مائة واحدى عشرة آية مكّيّة كلّها ، وقيل : سوى آية
واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم (الاية)

بسم الله الرحمن الرحيم

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذى اَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتٰابَ] اضافة العبد للعهد يعنى محمّداً (ص) والمراد بالكتاب كتاب النّبوّة وصورته القرآن او القرآن وبعد اشعاره بمحموديّته على جميع مايحمد عليه بتعليق الحمد على الله المشعر بجميع الاوصاف الحميدة ذكر معظم ما يحمد عليه من الاوصاف وهو انزال كتاب النّبوّة الّذى به قوام المعاش والمعاد [وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] العوج كعنب الاعوجاج من كل شيء من الاجسام المحسوسة وغيرها ، او العوج محرّكة اعوجاج الاجسام الّتى من شأنها الاستقامة كالحائط والعصا ، والعوج كعنب خاصّة بالمعانى، والمعنى لم يجعل لكتاب النّبوّة انحرافاً عن الاستقامة نزولاً وصعوداً لانّه نازل منه على الاستقامة ومنته اليه على الاستقامة وذاهب بمن توسّل به الى الله على الاستقامة [قَيِّمًا] حال من الكتاب او من الضّمير المجرور باللّام وهو مبالغة من قام الرّجل المرأة وعليها ، وقام الرّجل اهله اذا مأنهم وقام بشأنهم ، والمقصود انّ كتاب النّبوّة قيّم على جميع الكتب السّماويّة حتّى القرآن ببيانها وتعيين موارد احكامها وقيّم على جميع من توسّل به بافادة ما يحتاجون اليه فى امر معاشهم ومعادهم، او هو حال عن العبد فانّه ايضاً قيّم لكلّ معوّج وكاف لكلّ محتاج [لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا] عذاباً شديداً فى الدّنيا بالقتل والاسر والنّهب كما انذر ووقع ذلك البأس وكما يقع للكفّار حين الاحتضار وفى الآخرة بعذاب البرازخ والقيامة والجحيم، وقد فسّر البأس الشّديد بعلىّ (ع) فانّه الرّحمة للمؤمنين والبأس للكافرين فى الدّنيا والآخرة [مِنْ لَدُنْهُ] من لدن العبد المنزل عليه الكتاب كما فسّر ، او من لدن الله وقد فسّر لدن رسول الله (ص) بعلىّ (ع) وكذا لدن الله تعالى [وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّٰالِحٰاتِ] اطلق الانذار اشعاراً بانّه للمؤمنين والكفّار بخلاف التّبشير فانّه خاصّ بالاخيار، وانذار المؤمنين من حيث شوب الكفر والّا فحيثيّة الايمان تقتضى التّبشير لا الانذار [اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا] هو الجنّة ونعيمها ورضوان من الله اكبر [مٰاكِثِينَ فِيهِ اَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا] تخصيص بعد تعميم تفضيحاً لهذا الصّنف من الكفّار ومبالغة فى قبح قولهم

وهم الّذين قالوا : الملائكة بنات الله ، والّذين قالوا : عزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله ، ونحن ابناء الله [مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ] نفى علمهم به اوّلاً مع انّه باطلٌ من اصله منفيٌّ بنفسه اشعاراً بانّ المذمّة على القول من غير علم سواء كان المقول باطلاً اوحقّاً مقدّم على سائرجهات الذّمّ فويلٌ لمن قال بظنّه من غير علم ومن غير اذن واجازة ثمّ يقول : هومن عندالله حيث قال من غير علم ثمّ نسب قوله الى الله [وَلَا لِآبَائِهِمْ] كلمة مبالغة تقال فى مقام الذّمّ مبالغة اوهوذمّ آخريعنى انّهم قالوا من غير علم وقلّدوا فى ذلك آباءهم الّذين لم يكن لهم علم فلهم المذمّة من حيث التّقليد ومن حيث الاخذ ممّن لاعلم له [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ] بعد ما ذمّهم على القول بغير علم وعلى التّقليد فى قولهم وعلى تقليد من لاعلم له ذمّهم على قبح المقول ايضاً [اِنْ يَقُولُونَ اِلَّا كَذِبًا] لاشوب صدق فيه [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ] قاتل نفسك غمّاً [عَلَى آثَارِهِمْ اِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ] حديث اصحاب الكهف اوالقرآن جملةً اوحديث ولاية علىّ (ع) وهوالمقصود [اَسَفًا] تأسّفاً على تولّيهم عن الايمان شفقةً بهم وحرصاً على ايمانهم بعلىّ (ع) [اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِينَةً لَهَا] تعليلٌ لما يستفاد من مفهوم العتاب يعنى لا ينبغى لك التّحسّرعلى تولّيهم لانّهم اغترّوا بما على الارض زينة لها وانّا جعلنا ما على الارض زينةً لها [لِنَبْلُوَهُمْ اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا] يعنى انّ الغاية جهد المؤمن فى حسن العمل واغترار الكافر طاربالعرض [وَاِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا] ارضاً لا نبات فيها ، والجرز من الجرز بمعنى القطع اى مقطوعاً نباته وهو تسفيه للمغترّين بزينتها وتزهيدٌ لطالبى الآخرة وتسليةٌ لمن لايكون له من زينتها شيءٌ [اَمْ حَسِبْتَ] الخطاب للنّبىّ (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب وهواضراب عن قوله : فلعلّك باخعٌ نفسك باعتبار المعنى فانّه فى معنى ءأنت باخع نفسك ؟ لانّه فى مقام الانكار وان كان بلفظ التّرجّى واحسبت انّ ما على الارض يمنعهم من الايمان ام حسبت انّ مقام الايمان واصحاب الايمان كان من آياتنا عجباً لا يمكن الوصول اليه فحسبت [اَنَّ اَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ] ورد فى اخبارنا انّ الرّقيم كان لوحاً اولوحين من نحاس وكان مرقوماً فيه امر الفتية وقصّتهم وما اراد منهم دقيانوس الملك ، وقيل: انّ الرّقيم كان اسم الجبل الّذى فيه الكهف ، اوالوادى الّذى فيه الكهف ، اواسم قريتهم ، اواسم الكلب الّذى كان معهم ، وقيل: اصحاب الرّقيم كانوا قوماً آخرين لم يذكر الله قصّتهم ، **وكان قصّتهم** انّهم كانوا ثلاثة وخرجوا يرتادون لاهلهم فأخذهم المطر فأووا الى كهف فانحطّت صخرة وسدّت باب كهفهم ، فقال احدهم : ليذكر كلّ منكم ما عمل من حسنة خالصاً لله لعلّ الله يرحمنا ، فقال احدهم: انّى استعملت اُجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النّهار وعمل فى بقيّته مثل عملهم فأعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثمّ مرّبى بقرة فاشتريت به فصيلها فبلغت ماشاءالله فرجع الىّ بعد حين شيخاً ضعيفاً لا اعرفه وقال: انّ لى عندك حقّاً وذكره حتّى عرفته فدفعتها اليه جميعاً ؛ اللّهمّ ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنّا ، فانصدع الجبل حتّى رأوا الضّوء ، وقال آخر: كان فىّ فضل واصاب النّاس شدّة فجاءتنى امرأة فطلبت منّى معروفاً ، فقلت: لا الّا ان تعطينى حظّى من نفسك، فأبت ورجعت ثم عادت فقلت لها مثل ماقلت سابقاً ، فأبت ورجعت ، ثمّ ذكرت لزوجها، فقال لها : اجيبيه واغيثى عيالك ، فأتت وسلّمت الىّ نفسها فلمّا تكشّفتها وهممت منها ارتعدت فقلت: مالك؟ـ قالت: اخاف الله ، فقلت: خفته فى الشّدّة ولم اخفه فى الرّخاء ، فتركتها وأعطيتها ملتمسها ؛ اللّهمّ ان فعلته لوجهك فافرج عنّا ، فانصدع حتّى تعارفوا ، وقال الثّالث :كان لى

ابوان همّان وكانت لى غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثمّ أرجع الى غنمى، فحبست ذات يوم حتّى امسيت فأتيت اهلى فأخذت محلبى وأتيتهما فوجدتهما نائمين فلم اوقظهما وتوقّفت عندهما حتّى اصبحا واستيقظا، فسقيتهما؛ اللّهمّ ان فعلته لوجهك فافرج عنّا، ففرّج الله عنهم . **وقصّة الكهف اجمالاً كما يستفاد من الاخبار** انّهم كانوا اصحاب دقيانوس الملك وانّه كان يدعو الخلق الى عبادة الاصنام، وهؤلآء آمنوا بربّهم وحده ورفضوا عبادة الاصنام واسرّوا التّوحيد واظهروا الشّرك وكانوا يحضرون معهم الى عبادة الاصنام ولم يعلم احد بدينهم ولايعلم كلّ منهم دين صاحبه ومضوا على ذلك مدّةً متمادية، حتّى سئموا وملّوا من موافقة دقيانوس وقومه فخرجوا من القرية فراراً منهم واظهروا قصد الصّيد، فاتّفق ان كان خروجهم فى يوم واحد فتلاحقوا فى البادية فتساءلوا عن شأنهم وخروجهم كلّ عن الآخر، فأخذوا المواثيق واظهر كلّ دينه وقصده، فعرفوا انّهم كانوا على دين واحد وقصد واحد فتوافقوا فى المسير ومرّوا براع، فدعوه الى التّوحيد فلم يجبهم واجابهم كلبه وذهبوا على وجههم ودخلوا الكهف فأماتهم الله ثلاثمائة وتسع سنين اوانامهم على اختلاف فى الرّوايات، فأحياهم الله او أيقظهم بعد ذلك وتساءلوا بينهم كما حكى الله . **وسبب نزول هذه السّورة كما فى الخبر** انّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر الى نجران اليمن الى علماء اليهود ليتعلّموا مسائل منهم ويسألوا محمّداً (ص) بعد رجوعهم لعلّهم الزموه، فذهبوا اليهم وسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فان اجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق ثمّ سلوه عن مسئلة واحدة فان ادّعى علمها فهو كاذبٌ، فقالوا: سلوه عن فتية خرجوا وغابوا وناموا مدّةً كم كان عددهم ؟ وكم كان نومهم ؟ وماكان معهم من غيرهم ؟ وماكان قصّتم ؟ ثمّ سلوه عن موسى (ع) ومن امره الله باتّباعه من هو؟ وكيف كان قصّته؟ ثمّ سلوه عن طائف طاف المشرق والمغرب حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج، من هو؟ وكيف كان قصّته؟ وأملوا القصص الثّلاث عليهم، فرجعوا وسألوه فقال: اخبركم غداً ولم يستثن، فحبس الوحى عنه (ص) اربعين يوماً حتّى اغتمّ النّبىّ (ص) وشكّ اصحابه وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا وحزن ابوطالب فلمّا كان بعد اربعين يوماً نزل جبرئيل (ع) بسورة الكهف وكان سبب تأخيره تركه (ص) الاستثناء [كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا] آية عجباً يعنى لا ينبغى لك ذلك الحسبان مع ما آتيناك من عجائب الآيات واريناك من معظمها، فانّ اصحاب الكهف وايمانهم امر سهل فى غاية السّهولة فى جنب ما آتيناك [إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ] اذ تعليل للحسبان اولعجباً او مفعول لا ذكر مقدّراً او ذكّر، والفتية جمع الفتى، وهو كما يطلق على العبد والشّابّ والخادم والمطيع يطلق على المؤمن فانّه شابّ عقلاً والّا فانّهم كانوا كهولاً [فَقَالُوا] التجاءً واستغاثةً [رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا] من ديننا الّذى صار سبباً لمهاجرة الكفّار والفرار من الاشرار وابتغاء سنّة الاخيار [رَشَدًا] فى معاشنا ما نصير بسببه راشدين يمكن لنا التّعيّش مع الخلق كماقال تعالى: ويهيّئ لكم من امركم مرفقاً يعنى مايمكن لكم المداراة مع الخلق [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ] حجاباً يمنعهم من سماع الاصوات بالموت اوالنّوم [فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا] ذوات عدد [ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ] من الموت اوالنّوم بعد ثلاثمائة سنة [لِنَعْلَمَ] ليظهر علمنا [أَيُّ الْحِزْبَيْنِ] حزب الله ومنهم قومك السّامعون منك وحزب الشّيطان ومنهم المشركون والمحاجّون عليك اواىّ الحزبين من اصحاب الكهف أنفسهم وممّن اطّلع عليهم [أَحْصَى] فعل ماض وعلى هذا فقوله [لِمَا لَبِثُوا] حال من قوله [أَمَدًا] وهو مفعول احصى اولما لبثوا مفعول له واللّام زائدة للتّقوية وامداً تميز، ويحتمل ان يكون احصى افعل تفضيل من الاحصاء على خلاف القياس، وعلى هذا فقوله امداً تميز عن مافى لما لبثوا [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ] مقابل الكذب،

وتقديم المسند اليه امّا لمحض التّقوّى اوللحصر [اِنَّهُمْ فِتْيَةٌ اٰمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنٰاهُمْ هُدًى] يعنى انّ الايمان كان هداية من الله الى الله، ولمّا حصّلوه بتوفيقه زادهم ايماناً [وَرَبَطْنٰا عَلٰى قُلُوبِهِمْ] الحبّ فجذبهم الينا اواوقعنا الرّبط على قلوبهم بمعنى جعلناهم متحابّين مربوطاً قلب بعضهم على بعض وذلك بعد معرفة كلّ حال الآخرين واتّحادهم فى الدّين [اِذْقٰامُوا] عن القعود مع المشركين واظهارالاشراك للفرارعنهم [فَقٰالُوا رَبُّنٰا رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ اِلٰهًا] لا باطناً ولا ظاهراً [لَقَدْ قُلْنٰا اِذًا شَطَطًا] قولاً ذاشطط ذا بعد اوميل عن الحقّ قالوا ذلك فيما بينهم بعد التّلاقى فى خارج البلد ، اوفى انفسهم قبل الخروج والتّلاقى [هٰؤُلٰاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اٰلِهَةً لَوْلٰا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ] على الا لهة [بِسُلْطٰانٍ بَيِّنٍ] حجّة واضحة يعنى انّ اعتقاد شيء من غير برهان باطل وان كان المدّعى حقّاً [فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا] يعنى ممّن نسب الى الله مالم يأذن به الله حقّاً كان اوباطلاً ، ولذلك وردمن فسّر القرآن برأيه وأصاب الحقّ فقدأخطأ [وَاِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمٰا يَعْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا اِلَى الْكَهْفِ] استيناف من الله يعنى وقلنا اذ اعتزلتموهم اومقول لهم يعنى قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم فأووا الى الكهف فراراً منهم واخلوا مع الله [يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] اجابة لمسؤلكم [وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ اَمْرِكُمْ مِرْفَقًا] ما تدارون به الخلق من قوّة الصّبرعلى اذاهم والعفوعن مسيئهم والنّصح لمحسنهم والاحسان الى كلّهم [وَتَرَى] يامحمّد(ص) اذارأيت كهفهم اويامن يتأتّى منه الرّؤية [الشَّمْسَ اِذٰا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ] تميل [عَنْ كَهْفِهِمْ ذٰاتَ الْيَمِينِ] اى الى الجهة من الكهف ذات يمين الواقف خارج الكهف مقبلاً على الباب اوداخل الكهف مدبراً عن الباب ، هذا اذاكان الكهف واقعاً فى جهة الجنوب وبابه الى جهة الشّمال ، وبالعكس ان كان واقعاً فى جهة الشّمال وبابه الى جهة الجنوب ، اوعن الجهة ذات يمين الواقف خارج الكهف مدبراً عن الباب ، اوداخل الكهف مقبلاً على الباب اذاكان الكهف واقعاً فى جهة الجنوب وبابه الى جهة الشّمال ، وبعكس ذلك ان كان الكهف بعكس ذلك ، اوالمعنى ترى الشّمس اذا طلعت حالكونها فى الجهة ذات يمين الواقف ، اوحالكونها صاحبة يمين الواقف ، اوتزاور حالكونها فى يمين الواقف اوذات يمين الواقف ، وتصوير وضع الكهف غيرخفىّ بعد مامضى ، اوالمعنى تزاور فى الجهة ذات اليمين على ان يكون ظرفاً لغواً وتصوير وضعه كما اذاكان المعنى تزاورالى ذات اليمين [وَاِذٰا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذٰاتَ الشِّمٰالِ] الى ذات الشّمال اوعن ذات الشّمال اوفى ذات الشّمال اوحالكونهاذات الشّمال ، وتصويرها بعد تصوير سوابقهاغير صعب [وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ] متّسع من الكهف بحيث لايتأذون من حرّ الشّمس ولا كرب الغار [ذٰلِكَ] اى كونهم فى الكهف بالوصف المذكور اوذلك المذكور من قصّة اصحاب الكهف وهو جملة معترضة لتذكير السّامعين [مِنْ اٰيٰاتِ اللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ] معترضة اخرى للاشارة الى وجه من وجوه التّأويل وتمثيل حالهم لحال جملة المؤمنين [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ اَيْقٰاظًا] عطف على ترى الشّمس يعنى من رآهم يحسب انّهم ايقاظ لكون اعينهم مفتوحة ناظرة ، اويحسب انّهم احياء لطراوة اجسادهم ونضارة ابدانهم [وَهُمْ رُقُودٌ] نائمون اواموات [وَنُقَلِّبُهُمْ ذٰاتَ الْيَمِينِ وَذٰاتَ الشِّمٰالِ] اى على الجهة ذات اليمين اوفى الجهة ذات اليمين يعنى لانديم منهم جنباً واحداً على الارض حتّى يتغيّر ويتصرّف فيه الارض ، وفيه اشارة الى اجابة دعائهم

حيث سألوا الرّحمة والتّقليب الى ذات اليمين والرّشد يعنى التّقليب الى ذات الشّمال والمقصود التّوسّط بين الجذب والسّلوك، ولايخفى على البصير الاستبصار بالتّأويل [وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ] بفناء الكهف كالبوّاب المطيع [لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ] يا محمّد(ص) على طريقة : ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، اويا من يتأتّى منه الاطّلاع [لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا] وذلك لما اعطاهم الله من الهيبة والخشية، اولانّ اجسادهم كانت كأجساد الموتى وكانت عيونهم مفتوحة بحيث يتوحّش النّاظر منهم [وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ] يعنى كما انمناهم آية غريبة بعثناهم آية اخرى [لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ] عن حالهم فيعرفوا انّ حالهم اغرب من ان يعرف ، وانّ صنع الله بهم لايعرف كنهه ويزداد يقينهم فى امر البعث [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا] اى الآخرون [لَبِثْنَا يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] بناءً على ما هو المعتاد من النّوم وذلك قبل ان نظروا الى تغيّر حالهم وطول شعورهم واظفارهم وبعد مانظروا الى ذلك [قَالُوا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ] اوالاوّل كان لبعضهم وهذا لبعض آخر، ولمّا رأوا انّه لا طريق لهم الى معرفة ذلك اعرضوا عنه واخذوا فيما يهمّهم من الحاجة الى الغذاء وقالوا [فَابْعَثُوا] يعنى اذا لم تقدروا على معرفة ذلك فابعثوا [اَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ] الورق الفضّة المسكوكة [اِلَى الْمَدِينَةِ] واسمها كما نقل كان طرسوس او افسوس [فَلْيَنْظُرْ اَيُّهَا] اىّ اهلها اواىّ الاطعمة [اَزْكٰى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ] فى المعاملة حتّى لايغبن اوفى التّخفىّ حتّى لايعرف [وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ اَحَدًا اِنَّهُمْ اِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ] ان يطّلعوا اويظفروا بكم [يَرْجُمُوكُمْ] يقتلوكم اشدّ قتلة [اَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ] وقد انعم الله عليكم بالنّجاة منها [وَلَنْ تُفْلِحُوا اِذًا اَبَدًا وَكَذٰلِكَ] يعنى مثل اطّلاعنا ايّاهم على حالهم وطول مدّة منامهم ليزدادوا بصيرة بقدرتنا وعودهم الينا [اَعْثَرْنَا] غيرهم [عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا] يعنى المطّلعين [اَنَّ وَعْدَ اللهِ] بالبعث والاحياء بعد الاماتة [حَقٌّ وَاَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا] فى اتيانها ، روى انّه قد رجع الى الدّنيا ممّن مات خلق كثير منهم اصحاب الكهف اماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة ثمّ بعثهم فى زمان قوم انكروا البعث ليريهم قدرته ؛ وهذا الخبر يدلّ على انّهم ماتوا فى تلك المدّة كما انّ بعض الاخبار يدلّ على انّهم ناموا ، ونقل انّ المبعوث لمّا دخل المدينة انكرها وتحيّروا واخرج الدّرهم وكان عليه اسم دقيانوس فاتّهموه بانّه رأى كنزاً واخذوه وذهبوا به الى الملك وكان نصرانيّاً موحّداً فقصّ القصّة عليه فقال بعض الحاضرين: انّ آباءنا اخبرونا انّ جماعة فرّوا فى زمن دقيانوس بدينهم لعلّهم هؤلآء ، فانطلق الملك واهل المدينة جميعاً الى الكهف ورأوهم وكلّموهم ثمّ قال الفتية نستودعك الله ايّها الملك، ورجعوا الى مضاجعهم فماتوا ودفنهم الملك ، **وقيل**: تقدّمهم المبعوث، وقال اخبرهم لئلّا يفزعوا فعمى عليهم باب الكهف فبنوا هناك مسجداً [اِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ اَمْرَهُمْ] ظرف لأعثرنا والمعنى اعثرنا عليهم اذ يتنازع الفتية امر نومهم قلّةً وكثرةً اويتنازع اهل البلد امر الفتية من حيث دفنهم وتركهم كما كانوا واخذ المسجد عليهم، اواذ يتنازع المطّلعون امر دينهم وامر البعث بينهم بالانكار والاقرار ببعث الارواح دون الاجساد اوبعث الارواح والاجساد جميعاً اوظرف ليعلموا ، والمعنى ليعلم الفتية علماً شهوديّاً بعد ما كانوا علموا يقينيّاً اذ يتنازعون بينهم امرهم فى نومهم ومدّته ، اوليعلم المطّلعون انّ وعد الله حقّ اذ يتنازعون بينهم امر بعثهم [فَقَالُوا ابْنُوا] عطف على يتنازعون عطف التّفصيل على الاجمال على بعض الوجوه، اوعطف على

اعثرنا [عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا] يحفظ اجسادهم من السّباع والانظار [رَبُّهُمْ اَعْلَمُ بِهِمْ] من تتمّة قولهم يعني اتركوهم على حالهم ولا تجسّسوا وابنوا عليهم بنياناً، اومعترضة من الله يعني ربّ الفتية اعلم بحال الفتية اوبحال المتنازعين فيهم، اوربّ المتنازعين اعلم بحالهم من ارادة الخير اوالشّرّ في نزاعهم وما قالوه [قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلٰى اَمْرِهِمْ] امر الفتية اوامر اهل البلد من الرّؤساء، اوقال الّذين غلبوا على امرانفسهم بالاسلام وغلبتهم على الشّيطان [لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا] معبداً يعبد فيه ويزار ويتبرّك [سَيَقُولُونَ ثَلٰثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ] اى سيقول الحاضرون في زمانك من اهل الكتاب ومن قريش ومن امّتك [وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ] كأنّهم سلّموا انّ عددهم كان فرداً ولذلك ردّدوا بين الثّلاثة والخمسة والسّبعة [رَجْمًا بِالْغَيْبِ] رمياً من افواههم بالخبر الغائب عنهم، وتعقيب القولين بذلك دليل تزييفهما [وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ] ادخال الواو ههنا دون سابقيه لاعتيادهم ذلك عند تعداد مراتب العدد فانّهم يقولون خمسة ستّة سبعة وثمانية وذلك لانّ السّبعة عدد كامل عندهم كما هو كذلك عند اهل الشّرع فقبل البلوغ الى السّبعة كان المراتب الآتية من متمّمات السّابقة وتخلّل الواو كأنّه تخلّل بين اجزاء شيء واحد ولذلك يسمّى هذه الواو عندهم واو الثّمانية، فماقيل: انّ دخول الواو ههنا لتأكيد اللّصوق، ليس في محلّه، لانّه للاشعار بالتّفارق لا بالتّقارب [قُلْ رَبِّي اَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا قَلِيلٌ] وفي الاخبار ما يشعر بكونهم سبعة وثامنهم كلبهم [فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ] فلا تجادل في خبرهم وعددهم قريشاً واهل الكتاب [اِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا] لا واقعاً فانّهم لا علم لهم ولا يقولون الّا عن جهل والقائل عن جهل لاخطاب معه، وهذا يدلّ على انّ الجدال كما يحرم عمّن لا علم له يحرم مع من لا علم له [وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ اَحَدًا] واقتصر على ما اوحينا اليك لانّهم لا يقولون ما يقولون عن علم وبصيرة، وهذا يدلّ على انّ الاستفتاء عمّن لا علم له حرام سواء قال عن تقليد اوعن ظنّ وتخمين [وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ اِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ] استثناء مفرّغ من لا تقولنّ اى لا تقولنّ لشيء بضمّ شيء الّا بضمّ ان يشاء الله اوفي حال الّا في حال ضمّ ان يشاء الله، والمقصود الّا بتذكّر مشيّة الله، وهذا تأديب له (ص) وتعليم لغيره ان لا يقولوا شيئاً منوطاً بمشيّة الله الّا ان يستثنوا، وقد سبق انّه (ص) قال في جواب سؤالهم المسائل الثّلاث: اخبركم غداً، ولم يستثن، فحبس الوحي عنه اربعين يوماً [وَاذْكُرْ رَبَّكَ اِذَا نَسِيتَ] الاستثناء في الخبر انّ للعبد ان يستثني ما بينه وبين اربعين صباحاً [وَقُلْ عَسٰى اَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِاَقْرَبَ مِنْ هٰذَا] الاستثناء القوليّ [رَشَدًا] وهو الاستثناء الحاليّ والعيانيّ والتّحقّقيّ يعني انتظر صيرورة حالك حال الاستثناء دائماً اومعاينة مشيّة في كلّ شيء اوتحقّقك بمشيّته، وقيل فيه غير ذلك [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ] عطف من الله على يقولون، اوكلام منهم عطف على سبعة وثامنهم كلبهم [ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا] هذا يؤيّد كونه كلاماً منهم [لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ] علمه مختصّ به [اَبْصِرْ بِهِ وَاَسْمِعْ] اتى بصيغة التّعجّب اشعاراً بانّ بصره وسمعه فوق ما يتصوّر بحسب ادراك الدّقائق والاحاطة بكلّ ما يتصوّر ادراكه [مَا لَهُمْ] لاهل السّموات والارض اوللسّائلين عن نبأ اصحاب الكهف [مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ اَحَدًا وَاتْلُ مَا اُوحِيَ اِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ] في الاخبار عن القصص الماضيات، اوفي الاخبار عن المغيبات مطلقاً، اوفي احكام العباد، اوفي ولاية عليّ (ع) وهذا هو المناسب

لما بعده [لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] فلا تخف من التّغيير والتّبديل وظهور الخلف فى اخبارك [وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] ملتجأ [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ] ذكر النّفس بعد الصّبر مبنىّ على تجريد الصّبر عن النّفس فانّ الصّبر هو حبس النّفس عن الجزع اوعن هواها والمعنى احبس نفسك عن اتّباع هواها [مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ] يعنى فى جملة اوقاتهم وهم الّذين يذكرون الله مخرجاً لهم عن ظلمات الطّبع والنّفس الى نور القلب والرّوح لمشاهدة وجه ربّهم المضاف وهو ربّهم فى الولاية وهم الّذين اخذوا الذّكر من صاحب الاذن واهل الذّكر [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] الملكوتى وهو السّكينة الّتى ينزلها الله على المؤمنين وهو الذّكر الّذى به يطمئنّ قلوب المؤمنين [وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] وهذا على: ايّاك اعنى واسمعى ياجارة [وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا] والذّكر هو الرّسول (ص) اوامير المؤمنين (ع)، اوالمراد من الذّكر تذكّر الله وتذكّر اوامره ونواهيه وثوابه وعقابه، اوالمراد الذّكر المأخوذ من صاحب الذّكر [وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ اَمْرُهُ فُرُطًا] افراطاً وتجاوزاً للحدّ فى الخروج عن تحت حكم العقل، روى انّ جمعاً من فقراء المسلمين منهم سلمان رضى الله عنهم كانوا عند النّبىّ (ص) فدخل عليه جمع من اغنياء المؤلّفة قلوبهم فقالوا: يا رسول الله (ص) ان جلست فى صدر المجلس ونحّيت عنّا هؤلآء وروائح جبابهم جلسنا نحن اليك واخذنا عنك، فقاموا من عنده (ص)، فلمّا نزلت الآية قام النّبىّ (ص) يلتمسهم فأصابهم فى مؤخّر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ فقال: الحمد لله الّذى لم يمتنى حتّى امرنى ان اصبر نفسى مع رجال من امّتى معهم المحيا ومعهم الممات [وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ] يعنى قل للغافلين اللّائمين لك فى مجالسة الفقراء الحقّ ما جاء من قبل ربّكم وهو الصّبر مع الفقراء [فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ] اى من شاء فليسلم بى [وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ] اوقل الولاية هو الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة ومن شاء فليكفر فانّه لااكراه فى الدّين وطريق الولاية فالاختيار فى ذلك اليكم [اِنَّا اَعْتَدْنَا] هيّأنا [لِلظَّالِمِينَ] انفسهم فى الكفر بك اوفى ترك الولاية وغصب الخلافة [نَارًا اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا] وان كانوا لايشعرون بها وسيظهر لهم انّها كانت محيطة بهم [وَاِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ] كدردىّ الزّيت المغلى اوكالنّحاس المذاب [يَشْوِى الْوُجُوهَ] لفرط حرارته ونتنه حينما يقرب الى الفم [بِئْسَ الشَّرَابُ] المهل [وَسَاءَتْ] النّار [مُرْتَفَقًا] متكأً ليناً يستراح به وهوامّا من باب المشاكلة مع قوله وحسنت مرتفقاً، اومن باب استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً [اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة اوانّ الّذين اسلموا بك بالبيعة العامّة النّبويّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] بالاتّصال بالولاية [اِنَّا لَا نُضِيعُ اَجْرَ مَنْ اَحْسَنَ عَمَلًا] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وانّهم محسنون [اُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ اَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاِسْتَبْرَقٍ] ممّا رقّ من ثياب الحرير وما غلظ [مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْاَرَائِكِ] على السّرر، وفسّرت فى الاخبار بالسّرر عليها الحجال [نِعْمَ الثَّوَابُ] دخول الجنّة والتّحلّى بحليّها [وَحَسُنَتْ] الارائك [مُرْتَفَقًا وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا] اى لحال المؤمن والكافر اولحال المخلص والمنافق [رَجُلَيْنِ] اى حكاية حال رجلين [جَعَلْنَا لِاَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ]

قيل مثّل حال المؤمن فى زهده فى زهرة الحيوة الدّنيا وقنوعه بقليل منها وحال الكافر فى جمعه لها وافتخاره بها بحال رجلين كاناجارين وكان لاحدهما بستانان كبيران كما حكى الله وكان الآخر فقيراً فافتخرا لغنىّ على الفقير [مِنْ اَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ] اى جعلناهما محاطتين بالنّخل بجعل النّخل حولهما اوحولهما واواسطهما ايضاً [وَجَعَلْنا بَيْنَهُما] بين كرومهما ونخلهما [زَرْعًا] فكانتا بحيث يحصل منهما ثماره وادامه وخبزه [كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ] افراد الضّمير بلحاظ لفظ كلتا [اُكُلَها] مأكولها من الثّمار والتّمر والحبوب [وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا] لم تنقص من الاكل شيئاً بالآفة اوبتغيير بحسب الاعوام كسائر البساتين فانّها كثيراً تثمر كما ينبغى فى عام وينقص ثمرها فى عام آخر [وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا] ليدوم شربهما ولايتعب فى سقيهما ويزيد بهاءهما [وَكانَ لَهُ] لصاحب الجنّتين [ثَمَرٌ] مال كثير من غيرهما من: ثمر ماله، اذاكثر [فَقالَ لِصاحِبِهِ] الفقير [وَهُوَ] اى الصّاحب الفقير اوصاحب الجنّتين [يُحاوِرُهُ] يجاوبه فى الكلام [اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مالًا وَاَعَزُّ نَفَرًا] افتخاراً عليه [وَدَخَلَ جَنَّتَهُ] مع صاحبه بقرينة ما يأتى [وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ] بالفخر والعجب والغرور والغفلة من الله [قالَ] اغتراراً بصورة نضرتها وغفلة من الله وقدرته [ما اَظُنُّ اَنْ تَبيدَ هٰذِهِ اَبَدًا وَما اَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً] ادّى به الاغترار الى انكار المعاد [وَلَئِنْ رُدِدْتُ اِلٰى رَبّى] فرضاً كما تزعم [لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْها مُنْقَلَبًا قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ اَكَفَرْتَ بِالَّذى خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ] بحسب مادّتك البعيدة [ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ] بحسب المادّة القريبة [ثُمَّ سَوّٰيكَ رَجُلًا لٰكِنّا] اصله لكن انا خفّفت الهمزة وادغم النّون واجرى بالالف وصلاً بنيّة الوقف [هُوَ اللّهُ رَبّى وَلا اُشْرِكُ بِرَبّى اَحَدًا وَلَوْلا اِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللّهُ] هذا ماشاءالله اوماشاءالله كائن اقراراً بقدرته وانّ الكلّ بمشيته [لا قُوَّةَ اِلّا بِاللّهِ] مقول القول اومستأنف من الصّاحب [اِنْ تَرَنِ اَنَا اَقَلَّ مِنْكَ مالًا وَوَلَدًا فَعَسٰى رَبّى اَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ] فى الدّنيا اوفى الآخرة [وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانًا] جمع حسبانة بمعنى الصّاعقة [مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعيدًا زَلَقًا] يزلق عليها لعدم نبات وشجر فيها، وكثيراً مايقال: ارض زلق لمالانبات فيها [اَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْرًا] غائراً فى الارض [فَلَنْ تَسْتَطيعَ لَهُ طَلَبًا] بتنقية مجراه وتجديد منبعه واخراج الماء منه [وَاُحيطَ بِثَمَرِهِ] اهلك امواله تماماً اوثمر جنّته كماقال له صاحبه وانذره ، **نقل عن الخبر** انّ الله ارسل عليها ناراً فاهلكها وغار ماؤها [فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ] يعنى على فخذيه لغاية تحسّره فانّ المتحسّر يضع كفّيه على فخذيه ويضربهما على فخديه ظهراً وبطناً اويقلّب كفّيه لغاية تحيّره فانّ المتحيّر يقلّب كفيه [عَلٰى ما اَنْفَقَ فيها] تحسّراً على ماانفق فيها [وَهِىَ خاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوشِها] ساقطة كرومها على عروشها الّتى كانت الكروم عليها [وَيَقُولُ يا لَيْتَنى لَمْ اُشْرِكْ بِرَبّى اَحَدًا] تذكّراً لما خوّفه به صاحبه [وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ] بدفع الاهلاك اوردّ المهلك [مِنْ دُونِ اللّهِ وَما كانَ مُنْتَصِرًا] بنفسه عن اهلاك الله وممتنعاً عنه [هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلّهِ الْحَقِّ] فى موضع تعليل والولاية بالفتح التّصرّف والنّصرة والتّربية وبالكسر السّلطنة والامارة وقرئ بهما ، وهنالك اسم اشارة يشار به الى المكان والمراد به مرتبة من النّفس لتشبيهها بالمكان يعنى فى تلك الحال الّتى تنقطع آمال النّفس من كلّ ما سوى الله يظهر لها انّ الولاية لله الّذى يظهر

انّه كان حقّاً لاغير، ولذلك كانت ولايته باقيةً وولاية غيره باطلةً ففائدة التّوصيف الاشعار بظهور كونه تعالى حقّاً حينئذٍ وكون غيره باطلاً، ولا يخفى على المستبصر تأويل الآية وتنزيلها على موسى الفقير العقل وفرعون الغنيّ النّفس، وصفحتي النّفس العلّامة والعمّالة اللّتين هما جنّتان كثيرتا الثّمار والاجل الّذى هو مهلك الجنّتين ويبيّن هذا التّأويل قوله واضرب لهم مثل الحيوة الدّنيا [هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا] حال من الله او استيناف جواب لسؤالٍ مقدّرٍ يعنى هو بذاته ثواب للمتّقين الكاملين فى التّقوى وهو خيرٌ من كلّ ثواب [وَخَيْرٌ عُقْبًا] وهو بذاته عاقبة لاهل التّقوى ولا عاقبة احسن منه [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] اصله اضرب الاسماع بمثل الحيوة الدّنيا لكنّه لكثرة الاستعمال حذف الاسماع واقيم المثل مقامه واريد منه معنى اذكر او اجر او صيّر وعلى الاوّلين فقوله [كَمٰاءٍ اَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ] حال من المثل او مستأنف بتقدير مبتدءٍ، وعلى الثّانى فهو مفعول ثانٍ لاضرب [فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْاَرْضِ] بعد نبته ونموّه واشتداده فصار مصفرّاً ومبيضّاً [فَاَصْبَحَ هَشِيمًا] منكسراً [تَذْرُوهُ الرِّيٰاحُ] تفرّقه وللاشارة الى سرعة زوالها اتى بالفاء دون ثمّ [وَكٰانَ اللّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ] من انزال الماء وانبات الارض وجعل النّبات مشتدّاً مختلطاً ثمّ جعله يابساً هشيماً متفرّقاً ومن نفخ الرّوح واحياء البدن الجماد بالحيوة العرضيّة الدّانية وجعل قواه مشتدّة قويّة ثمّ جعل البدن ذابلاً وجعل قواه ضعيفة بعد قوّتها ثمّ نزع الرّوح منه وجعله وجعل قواه غير مقتدرة على التّماسك والتّمانع [مُقْتَدِرًا] وبعد ما ذكر عدم بقاء الحيوة الدّنيا وانّ نضرتها ايّام قلائل لا ينبغى ان يغترّ بها العاقل ذكر اصول ما يتعلّق به النّفوس فى الحيوة الدّنيا وتهتمّ فى جمعه وحفظه واضافها الى تلك الحيوة اشعاراً بسرعة زوالها وانّ العاقل لا ينبغى ان يهتمّ بشأنها بل ينبغى ان يهتمّ بشأن ما هو باقٍ نافع له فقال [اَلْمٰالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فتزول بزوالها [وَالْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ] لا الزّائلات الفاسدات وهى ما تهتمّ به النّفوس من المال والبنين وما يتبعهما وما يلزمهما [خَيْرٌ] من المال والبنين وان كانا خيراً فى انظاركم او خيراً فى الواقع [عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰابًا وَخَيْرٌ اَمَلًا] فينبغى ان يطلبها الانسان ويجعلها مأمولةً دون المال والبنين، والمراد بالباقيات الصّالحات كلّما يفعله الانسان بحكم العقل لا بحكم النّفس، وبعبارةٍ اخرى كلّ فعلٍ يبقى اثره فى الكلمة الباقية من الانسان وهى صفحة النّفس الباقية وبعبارةٍ اخرى كلّما يفعله من وجهته الولويّة التّكوينيّته وهى وجه الله الباقى الظّاهر بالولاية التّكليفيّة الحاصلة بالمبايعة الباطنة الايمانيّة، ولمّا لم يكن لها اختصاص بفعلٍ خاصٍّ وعملٍ مخصوص اختلف الاخبار فى تفسيرها، فقد فسّرت فى الاخبار بصلوة اللّيل، وبمطلق الصّلوة، وبالصّلوات الخمس المفروضة، وبالتّسبيحة الكبرى، وبالاولاد الصّالحين، وبالاشجار المثمرة الّتى يغرسها الانسان، وباصل كلّ الصّالحات وهى الولاية، وبالمحبّة اللّازمة للولاية او المستتبعة لها [وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبٰالَ] بجعلها هباءً منبثّاً فى الجوّ وهو عطف على عند ربّك او هو بتقدير ذكّر والجملة عطف باعتبار المعنى [وَتَرَى الْاَرْضَ بٰارِزَةً] من تحت الجبال وخلف التّلال بحيث لا يكون فيها تلال ووهاد [وَحَشَرْنٰاهُمْ] للحساب فى تلك الارض البارزة والجملة امّا حال، وماضويّتها بالنّسبة الى عاملها، او عطف وماضويّتها لتحقّق وقوعها [فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ اَحَدًا] لا محسناً ولا مسيئاً [وَعُرِضُوا عَلٰى رَبِّكَ صَفًّا] مصطفّين صفوفاً عديدةً كما ورد انّهم فى ذلك اليوم مائة وعشرون الف صفٍّ وذلك بحسب مراتبهم فى القرب والبعد، فانّ بنى آدم بحسب الظّاهر نوع واحد ولكنّهم بحسب الباطن انواع عديدة ولهم مراتب عديدة وكلّ نوع منهم فى مرتبةٍ منها مصطفّ بحسب افراده، ولكلّ

مرتبة وصف نبىّ وامام غير من كان للصفّ الآخر ولذلك كانت الانبياء (ع) بعدد الصفوف مائة وعشرين الفاً بحسب عدد مراتب بنى آدم [لَقَدْ جِئْتُمُونَا] استيناف جواب لسؤال مقدّر كانّه قيل: وما تفعل بهم؟ـ وما تقول لهم؟ـ فقال: نقول لهم لقد جئتمونا، اوحال عن فاعل نسيّر اوفاعل حشرنا اومفعوله اوفاعل لم نغادر اوضمير منهم اوفاعل عرضوا منفرداً اوعلى سبيل التنازع والكلّ بتقدير القول يعنى نقول لهم لقد جئتمونا منفردين عن الازواج والاولاد والعشائر والمؤانسين وعمّا كسبتم فى الدّنيا من المعايش وعمّا كسبتم من العلوم والصّنائع الخياليّة الدّنيويّة، وعمّا اعطيناكم من القوى والمشاعر الدّنيويّة وعن الاعضاء والآلات البدنيّة الطّبيعيّة، وعمّن اتّخذتم اولياء من دون الله وذلك كقوله تعالى لقد جئتمونا فرادى [كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] عراة عن ذلك كلّه والتّقييد باوّل مرّة للاشارة الى انّ الاعادة خلقة اخرى ثانية اوللاشارة الى انّ الانسان من بدو خلقته كلّ آن فى خلقة اخرى ثانية بناءً على الحركة الجوهريّة، اوعلى تجدّد الامثال، اوعلى تحلّل بدنه واتّحاده مع بدنه، اوعلى تبدّل كيفيّاته [بَلْ زَعَمْتُمْ] لمّا كان قوله لقد جئتمونا ردّاً عليهم فى زعمهم عدم البعث كأنّه قال لقد جئتمونا وما زعمتم المجيء بل زعمتم عدمه حسن الاتيان بكلمة بل [أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ] اى كتب اعمال الخلائق على ان يكون اللّام للاستغراق، اوالكتاب الّذى فيه اعمال الخلائق من الالواح العلويّة على ان يكون اللّام للعهد، اووضع الكتاب كناية عن نشر الحساب اذ المحاسب يضع كتاب الحساب بين يديه والمراد بوضع الكتاب على الاوّلين وضعه بين ايديهم، اوعلى ايمانهم، وشمائلهم اوفى الميزان بناء على انّ صحائف الاعمال توزن [فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ] ممّا ثبت فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها [وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا] على طريق يا حسرتنا من تنزيل الاعراض منزلة ذوى العقول ثمّ ندائها [مَالِهَذَا الْكِتَابِ] تعجّبوا منه ومن احصائه جميع اعمالهم وقد رسم فى المصاحف فصل لام لهذا الكتاب من مدخوله اشعاراً بانّهم من غاية دهشتهم يقفون على الجارّ الّذى هو كالجزء من الكلمة [لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً] فعلة صغيرة اوسوأة صغيرة [وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا] الّا عدّها [وَوَجَدُوا مَاعَمِلُوا] جزاء ماعملوا اونفس ماعملوا ابناءً على تجسّم الاعمال اورسم ماعملوا فى الكتاب [حَاضِرًا] والاوّلان اولى للتأسيس [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا] بنقص ثواب منه اوبالعقوبة له من غير استحقاق، اوباظهار مساويه واخفاء محاسنه، اوبنسبة ما لايفعله من المساوى اليه، فى الخبر: اذا كان يوم القيامة رفع الى الانسان كتابه ثمّ قيل: اقرأ فيقرأ ما فيه فيذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم الّا ذكره كأنّه فعله تلك السّاعة فلذلك قالوا: ياويلتنا (الآية) [وَإِذْ قُلْنَا] عطف على عند ربّك والمعنى انّ الباقيات الصّالحات خير ثواباً فى الابد والازل، اوعطف على يوم نسيّر الجبال بتقدير ذكّر اى ذكّرهم وقت قولنا قبل خلقتهم [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ] قد سبق تفصيله فى البقرة [فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي] يعنى انّه لم يطع ربّه الّذى خلقه وربّاه وانعم عليه فلا ينبغى ان يجعل وليّاً فانّ الخارج عن امر المنعم لا يأتى منه الاحسان [وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ] والحال انّهم مع الخروج عن طاعة الرّبّ لكم عدوّ فلاينبغى ان تتّخذوهم اولياء يعنى انّهم فى انفسهم لايستحقّون الولاية وبالاضافة اليكم ايضاً لايستحقّونها [بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ] بجعل الولاية لغير المستحقّ اوهو وجه آخر للمنع عن اتّخاذه وليّاً كأنّه قال: وهو للظّالمين ولىّ ومن كان للظّالمين وليّاً لا ينبغى

ان يتّخذ وليّاً [بَدَلًا] من الله [مٰا أَشْهَدْتُهُمْ] ما أشهدت ابليس وذرّيّته ، اوما أشهدت المشركين كما روى انّ رسول الله (ص) قال: اللّهمّ اعزّ الاسلام بعمربن الخطّاب اوبأبى جهل بن هشام فأنزل الله هذه الآية ، وعلى الاوّل فهووجهٌ آخر للمنع من جعل ابليس وذرّيّته اولياء يعنى ما احضرتهم [خَلْقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] فكيف يكونون خالقيهما اومتصرّفين فيهما ، ومن لاتسلّط ولاتصرّف له فيهما لاينبغى أخذه وليّاً [وَلٰا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ] فهم غير شاعرين بكيفيّة خلقتهم فكيف بخلقة غيرهم والتّصرّف فيه [وَمٰا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وذمٍّ آخر لهم وهو ايضاً وجه آخر للمنع من ولايته [وَيَوْمَ يَقُولُ] عطف على عند ربّك اوعلى يوم نسيّر الجبال بتقدير ذكّرهم [نٰادُوا شُرَكٰائِيَ] على زعمكم والمراد بالشّركاء أعمّ من الشّركاء فى الوجوب والآلهة والعبوديّة والطّاعة والولاية والوجود [الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] انّهم شركاء [فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنٰا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا] اى بين المشركين والشّركاء موبقاً لايصل بعضهم الى بعضٍ ، اوجعلنا وصلهم فى الدّنيا سبب هلاكهم فى الآخرة كما قيل : انّ بين بمعنى الوصل [وَرَأَ الْمُجْرِمُونَ النّٰارَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وتهديد الغير المشركين من المجرمين واشارة الى ذمٍّ آخر وتطويلاً فى مقام الذّمّ [فَظَنُّوا] ايقنوا كما سبق انّ يقين ارباب النّفس ظنّ لايقين [أَنَّهُمْ مُوٰاقِعُوهٰا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهٰا مَصْرِفًا وَلَقَدْ صَرَّفْنٰا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنّٰاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] يتذكّرويعتبرويدرك به الحقّ والانسان لغلبة النّسيان والغفلة عليه لايتذكّرويخفى عليه الحقّ [وَكٰانَ الْإِنْسٰانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ] يتأتّى منه الجدل [جَدَلًا] وخصومةً فانّ الانسانيّة المقتضية لادراك الكلّيّات وتدبير الامور تقتضى الفحص عن الامور وردّ المردود وقبول المقبول ، وبما ذكرنا ظهر وجه الاتيان بالنّاس اوّلاً وبالانسان ثانياً [وَمٰا مَنَعَ النّٰاسَ] كلمة ما نافية اواستفهاميّة، والاتيان بالنّاس للاشعار بانّ مادّة الانكار وعدم الاستغفار هى النّسيان [أَنْ يُؤْمِنُوا] بالايمان الخاصّ والبيعة مع علىّ (ع) بقرينة [إِذْ جٰاءَهُمُ الْهُدىٰ] فانّ الهداية خاصّة بشأن الولاية كما انّ الانذار خاصّ بشأن النّبوّة كما قال: انّما انت منذرٌ ولكلّ قومٍ هادٍ [وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ] بالاستغفار الحاصل فى ضمن البيعة و الايمان فيكون تفصيلاً لان يؤمنوا باعتبار بعض اجزائه اوبالاستغفار العامّ الحاصل بالنّدم على المساوى وطلب المغفرة لساناً [إِلّٰا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ] الّا انتظار ان تأتيهم سنّة الله فى الاوّلين من احلال العذاب بهم فى الدّنيا اواستعداد ان تأتيهم سنّة الاوّلين من العناد واللّجاج مع اهل الحقّ ، وعلى هذا فلا حاجة فى قوله [أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذٰابُ] الى التّخصيص بعذاب الآخرة [قُبُلًا] مقابلاً مشهوداً [وَمٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلّٰا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ] فانّ الرّسول لامحالة يكون جامعاً بين جهتى التّبشير والانذار ليصرف الخلق بالانذار عن دواعى النّفس ويقرّبهم بالتّبشير الى موائد الآخرة المسبّبة عن اقتضاء العقل، ولمّا كان التّبشير من جهة ولايته والانذار من جهة رسالته وكان الرّسول فى الاغلب مخاطباً من جهة رسالته لظهورها فيه قال: انّما انت منذرٌ بطريق الحصر يعنى من جهة رسالتك [وَيُجٰادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبٰاطِلِ] بالقول الباطل كقولهم ما انتم الّا بشرٌ، مثلنا باعتقاد انّ البشريّة تنافى الرّسالة اوبالسّبب الباطل وهو النّفس والشّيطان [لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] ليزيلوا بالجدل اوبالمبدء الباطل الحقّ عن الثّبات والاستقرار

[وَاتَّخَذُوا اٰياتى وَما اُنْذِرُوا هُزُوًا] واعظم الآيات الانبياء والاولياء(ع) [وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰياٰتِ رَبِّهِ] من الانبياء والاولياء(ع) وكتبهم السّماويّة ومواعظهم الوافية وسائر الآيات الآفاقيّة والانفسيّة، والمقصود ههنا الانبياء والاولياء(ع) فانّهم الآيات العظمى واسباب ظهور سائر الآيات من حيث انّها آيات [فَأَعْرَضَ عَنْهاٰ] لعدم الاقبال على الانبياء(ع) وعدم قبول مواعظهم والعناد معهم وعدم التّدبّر لسائر الآيات وعدم التّنبّه بها [وَنَسِىَ ماٰقَدَّمَتْ يَدٰاهُ] من المساوى فانّ التّوجّه الى الانبياء والاولياء(ع) سبب ظهور المساوى وهو سبب كلّ خيرٍ كما ورد: اذا اراد الله بعبدٍ خيراً بصّره عيوب نفسه واعماه عن عيوب غيره، واذا اراد الله بعبدٍ شرّاً بصّره عيوب غيره وأعماه عن عيوب نفسه، والاعراض عنهم سبب للغفلة عن سائر الآيات ونسيان المساوى عن نفسه وظهور مساوى غيره [اِنّاٰ جَعَلْناٰ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً] استاراً، تعليلٌ للاعراض عن الآيات وتسلية له (ص) لانّه كان يتحسّر على اعراضهم وعدم قبولهم، اوجوابٌ للسّؤال عن حالهم وعمّا ادّى اليه اعراضهم [اَنْ يَفْقَهُوهُ] كراهة ان يفقهوه اولان لايفقهوه بحذف اللّام ولا النّافية، وتذكير الضّمير وافراده باعتبار القرآن الّذى هو مصداق الآيات ومظهرها ومُظهرها، ويحتمل ان يكون قوله: انّا جعلنا، جواباً عن السّؤال عن علّة عدم التّدبّر فى القرآن الّذى به يهتدى الى سائر الآيات ويتنبّه لها كأنّه قيل: لم لايتدبّرون القرآن حتّى يتذكّروا بسائر الآيات ويُقبلوا عليها؟- فقال: انّا جعلنا على قلوبهم اكنّة ان يفقهوا القرآن، ويحتمل ان يكون كلاماً منقطعاً عن سابقه من قبيل المخاطبات الّتى تكون بين الاحباب بحيث لايطّلع عليها رقيب ويكون جواباً عن تحيّره فى عدم قبولهم قوله (ص) فى علىّ(ع) وولايته كأنّه قال: مالك تتحيّر فى عدم قبولهم قولك فى ولاية علىّ(ع) انّا جعلنا، اومالك تتحسّر على اعراضهم عن علىّ(ع) انّا جعلنا، ولمّا كان طريق النّجاح منحصراً فى التّحقيق والتّفقّه الّذى هو شأن القلب والتّقليد من صادقٍ والتّسليم الّذى يحصل بالسّماع والانقياد للمسموع كما اشار اليهما بقوله: لمن كان له قلب اوالقى السّمع وهو شهيدٌ قال تعالى كراهة ان يفقهوه تحقيقاً [وَفى اٰذاٰنِهِمْ وَقْرًا] يمنعهم عن السّماع والتّقليد كراهة ان يسمعوه ويقبلوه تقليداً [وَاِنْ تَدْعُهُمْ اِلَى الْهُدىٰ] كالنّتيجة للسّابق يعني اذا كان على قلوبهم اكنّة وفى آذانهم وقر، فان تدعهم الى الهدى [فَلَنْ يَهْتَدُوا اِذًا اَبَدًا] لانحصار طريق الهداية فى التّحقيق والتّقليد وهم ممنوعون من كليهما [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاٰخِذُهُمْ بِماٰ كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذاٰبَ] يعنى انّ طبع القلوب ووقر الاذان بسبب عملهم ومن رحمته لايعجّل لهم العذاب [بَلْ لَهُمْ] اى لعذابهم [مَوْعِدٌ] يعنى القيامة اوحين الموت اويوم بدرٍ كما قيل ان كان الاضراب عمّا يتوهّم من عدم العذاب رأساً، اوالمعنى بل لمغفرتهم ونزول الرّحمة بهم بحيث يظهر لكلّ احدٍ موعد هو يوم القيامة ان كان الاضراب عمّا يتوهّم من العذاب بعد عدم التّعجيل [لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ] من دون الله اومن دون الموعد [مَوْئِلًا] ملجأً، وهو استيناف اوحال اوصفة لموعد [وَتِلْكَ الْقُرىٰ] اى قرى الامم الماضية [اَهْلَكْناٰهُمْ] من قبيل الاستخدام اوبتقدير المضاف فى المرجع، اوبارادة الاهل من القرى مجازاً [لَمّاٰ ظَلَمُوا] انفسهم بالمعاصى والاعراض عن الآيات اوظلموا الآيات بالعناد اوالخلق بالصّدّ والمنع من الآيات وهو تعريض بامّة محمّدٍ(ص) وتحذير عن الاعراض عن الآيات وترغيب فى الاقبال عليها وقبول قوله(ص) فى علىٍّ(ع) [وَجَعَلْناٰ لِمَهْلِكِهِمْ] اى لهلاكهم اواهلاكهم على قراءة فتح الميم وضمّه [مَوْعِدًا] لايتجاوزون عنه فلاتغترّوا يا امّة محمّدٍ(ص) بالامهال وعدم التّعجيل فى المؤاخذة، وفسّر المهلك بنار الآخرة،

والموعد بالقيامة [وَاِذْقَالَ مَوْسٰى لِفَتيٰهُ] واذكر تعلّماً اوذكّر تعليماً .

اعلم ، انّ فى قصّة موسى (ع) وخضر (ع) انواعاً من العبر وتعليماً لكيفيّة الطّلب وانّ الطّالب لطريق الآخرة ينبغى ان يكون همّته الوصول الى الانسان الكامل الّذى هومجمع بحرى الوجوب والامكان ومرآة تمام الاسماء والصّفات الحقيّة وجميع الحدود والتّعيّنات الخلقيّة وان يكون له عزم فى الطّلب الى انقضاءعمره، وتعليماً لكيفيّة المسئلة بعدالوصول ليحصل لهالقبول، ولكيفيّة الصّحبة بعدالقبول ، وبياناً لاوصاف الشّيخ وانّ الشّيخ كيف ينبغى ان يربّى ويروّض، وبياناً لتمام مقامات السّالكين الى الله كمايأتى كلّ فى مقامه. والفتى والفتاة يقالان للعبدوالامة، وللخادم والخادمة ، وللمطيع والمطيعة، وللمؤمن والمؤمنة، ولصاحب الفتوّة الّذى يؤثر على نفسه ولوكان به خصاصة ، وللشّابّ والشّابّة، والمراد به ههنا يوشع بن نون (ع) وصىّ موسى (ع) ودليل ارشاده وواسطة بيعته وخليفة نبوّته وكان فتاه بتمام معانيه حيث انّه باع نفسه من الله بواسطته ، وكان خادمه ومطيعه، ومؤثراً له على نفسه وشاباً بروحه، وكان سبب طلب موسى (ع) بعدمقام الرّسالة وفضل العزم كمايستفاد من الاخبار انّه لمّاكلّمه الله وآتاه الالواح وفيها كما قال الله : وكتبناله فى الالواح من كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكلّ شيء رجع الى بنى اسرائيل فصعد المنبر واخبرهم بمااعطاه الله ، فدخل فى نفسه انّه ماخلق الله خلقاً أعلم منه فأوحى الله الى جبرئيل: ادرك موسى (ع) فقد هلك وأعلمه انّ عند ملتقى البحرين عند الصّخرة رجلاً اعلم منك فصراليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل (ع) واخبره وذلّ موسى (ع) فى نفسه وعلم أنّه اخطأ ودخله الرّعب وامرفتاه يوشع (ع) ان يتزوّد لطلب ذلك الرّجل .

اعلم ، انّ العجب ورؤية الكمال من النّفس من اعظم المهلكات فانّه اصل معظم المعاصى واوّل معصية وقعت فى الارض لانّه الّذى منع ابليس من السّجود واوقعه فى الاستكبار، ثمّ الحقد والعداوة ، ثمّ المكر والخديعة اعاذنا الله منه وجميع المؤمنين ، بل نقول : ارسال الرّسل وانزال الكتب ومعاناة الانبياء (ع) ومقاساة الاولياء (ع) وطاعات الخلق ومجاهداتهم وامتحان الله لهم وابتلاؤهم بانواع البلاء لخروجهم من الانانيّة ورؤية النّفس ولذلك قيل: تمام اهتمام المشايخ فى تربية السّلاك لان يخرجوا من الانانيّة ونسبة شيء من الافعال والاوصاف الى انفسهم فاذا رأى الشّيخ من السّالك رؤية النّفس والاعجاب بها انزجر منه كمال الانزجار [لَآأَبْرَحُ] عن السّير والطّلب [حَتّٰى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ] بحرى الرّوم والفارس الّذى وعدالله تعالى موسى (ع) لقاء مجمع بحرى الامكان والوجوب عنده [اَوْاَمْضِىَ حُقُبًا] الحقب الدّهر والزّمان لكنّ المراد كمافسّر فى الخبر ثمانون سنة دلّ موسى (ع) بلفظ لا ابرح الّذى يدلّ على دوام السّير ولفظ الحقب الّذى هومنتهى ما يمكن من عمره على ثبات عزمه على الطّلب بحيث لا يشغل بغيره حتّى يصل الى مطلوبه اويفنى عمره فى طلبه ، والمقصود من نقله تعليم طريق الطّلب وثبات العزم عليه وانّ الطّالب لطريق الآخرة ينبغى ان يكون كذلك والّا رجع بخفّى حنين [فَلَمَّابَلَغَامَجْمَعَ بَيْنِهِمَانَسِيَاحُوتَهُمَا] تركاه غفلة منه اونسيا امره حين حيى ودخل البحر ونسى يوشع (ع) ان يخبر موسى (ع) بأمره وقد كان علامة لقائه العالم حيوة الحوت المملوح كما سيجيء الاشارة اليه، ونسبة النّسيان اليهما مع انّه كان من يوشع (ع) من باب التّغليب وهو تغليبٌ شائعٌ كثيرٌ غالبٌ على لسان العرف [فَاتَّخَذَسَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِسَرَبًا] سلوكاً اوسالكاً، مصدر من غير لفظ الفعل اوحال ، وقد اختلف الاخبار اختلافاً كثيراً فى ذكر الحوت وكونه علامة للوصول الى العالم وكيفيّة حيوته وانفلاته الى البحر وكيفيّة نسيانه، والسّرّ فى اختلافها الاشعار بالتّأويل وانّ صورة التّنزيل عنوان لحقيقة التّأويل فانّ تنزيله كما يستفاد من مجموع الاخبار ما حاصله انّ موسى (ع) قال لجبرئيل (ع) باىّ علامة اعرف الوصول الى مجمع البحرين؟ـ قال: آيتك ان تحمل معك حوتاً فاذا انتعش وحيى دلّك على

وصولك فحملا حوتاً وسارا ومرّا برجل ولم يعرفاه فقام موسى (ع) يصلّي واخرج يوشع (ع) الحوت ووضعه على حجر فحيي اوغسّله في ماء عين الحيوان فحيي وافلت من يده ودخل البحر، اوقطر قطرة في المكتل فاصابه وحيي ونسي يوشع (ع) ان يخبر موسى (ع) اوتركاه على الصّخرة وسارا من ذلك الموضع [فَلَمَّا جَاوَزَا] الموضع عيا وكان موسى (ع) لم يعي في سفر قطّ اوفي هذا السّفر الّا في هذا السّير حين جاوزا مجمع البحرين و [قَالَ لِفَتَيهُ آتِنَا غَدَاءَنَا] الغداء ما يتغذّى به في الصّباح [لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا] في ابدال اسم الاشارة اشعارٌ بانّه لم يعي قبل ذلك في سفر [نَصَبًا] عياءً [قَالَ أَرَأَيْتَ] كلمة تعجّب في العرب والعجم بلفظها وترجمتها والاصل: ارأيت مادهاني ؟ [إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ] فحذف الموصول وصلته واقيم الظّرف مقامه، اوالاصل ارأيت بليّة اذ اوينا، فحذف المضاف وابقى المضاف اليه، اوالظّرف بنفسه مفعول على طريق المجاز العقليّ، اوالمفعول محذوف، واذ أوينا مستأنف مفسّر للمفعول المحذوف، ولفظة اذ متعلّق بمحذوف مفسّر بقوله [فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ] اي تركته على الصّخرة اونسيت امره الغريب ان اذكره لك حين حيي وافلت الى البحر، وذكر انّه للكثرة ما كان يرى من امثاله من موسى (ع) لم يكن يبالي به وبذكره [وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ] لك اواتذكّره [وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ] اي امر الحوت لانّه كان دليلاً على المطلوب، اوالرّجل المستلقي عند الصّخرة [مَا كُنَّا نَبْغِ] حذف اللّام للوصل بنيّة الوقف اشعاراً بعدم تمام الطّلب والسّلوك مع الخضر (ع) [فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا] في الطّريق الّذي جاء فيه طلباً للموضع والرّجل الّذي كان في ذلك الموضع [قَصَصًا] يقتصّان آثارهما قصصاً، اومقتصّين، اوهو مصدر من غير لفظ الفعل [فَوَجَدَا] بعد الانتهاء الى الموضع [عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا] شرّفه تعالى بالعبديّة والاضافة الى نفسه [آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا] ثمّ وصفه بايتاء الرّحمة وخصّها بكونها من عنده اشارة الى الرّحمة الخاصّة الّتي هي مقام الولاية، فانّ الرّحمة العامّة الّتي هي من اظلال اسم الرّحمن يؤتيه لكلّ احد بل لكلّ موجود لانّ ظهور الاشياء ووجودها وقوامها وبقاءها تكون بها، والرّحمة الخاصّة الّتي هي من اظلال اسم الرّحيم تكون لكلّ من قبل الدّعوة العامّة وباع البيعة النّبويّة، ولكلّ من قبل الدّعوة الخاصّة وباع البيعة الولويّة ؛ لكنّها لا تكون من عندالله بل من عند خلفائه فلا توصف بكونها من عندالله، والرّحمة الموصوفة بكونها من عندالله هي الّتي تحصل للسّالك بعد انتهاء سلوكه بحسب استعداده وفنائه عن ذاته وبقائه بالله بعد فنائه واستخلاف الله ايّاه لدعوة عباده الدّعوة الباطنة اوالدّعوة الظّاهرة وهي المسمّاة بالولاية والموصوفة بكونها من عندالله، وفيه اشارة الى كون الخضر (ع) وليّاً داعياً الى الله بخلافته، وامّا كونه نبيّاً فلا يستفاد منه، وفي بعض الاخبار انّه كان نبيّاً ايضاً، ويمكن حمل ما في الاخبار من كونه نبيّاً على خلافة النّبوّة فانّ الوليّ من حيث تعليمه للعباد احكام القالب له خلافة النّبوّة كما قيل : الشّيخ في قومه كالنّبيّ في امّته [وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا] وصفه بتشريف تعليمه وكون التّعليم من لدنه وكون ما علّمه من لدنه علماً لا صنعةً فانّ تعليم الانبياء والاولياء (ع) تعليم الله لكنّه ليس من لدنه بل من لدن خلفائه وكون التّعليم من لدنه قد يتعلّق بالصّنعة كما في قوله تعالى : وعلّمناه صنعة لبوس لكم ؛ فقد اشار تعالى الى اوصاف سبعة للخليفة والشّيخ:

اوصاف الوليّ وهي سبعة

وانّ الدّاعي الى الله ينبغي ان يكون متّصفاً بتلك الاوصاف، **الاوّل العبديّة** والخروج من حكم نفسه والدّخول في حكم غيره، **والثّاني العبديّة لله تعالى** فانّ الخروج من حكم النّفس والدّخول في حكم الغير اعمّ من الدّخول في حكم الله فانّ المريد داخل في حكم المراد والمطيع

فى حكم المطاع وليس بداخل فى حكم الله بلاواسطة ، والثّالث ايتاء الرّحمة ، والرّابع ايتاء الرّحمة الخاصّة الموصوفة بكونها من عنده ، والخامس تعليم الله ، والسادس كون التّعليم من لدنه ، والسّابع تعلّق التّعليم بالعلم لا بالصّنعة وقد ذكر الاوصاف على ترتيبها الحاصل للسّالك فانّ العبديّة لخلفاء الله مقدّمة على العبديّة له بلاواسطة ، والعبديّة له مقدّمة على ايتاء الرّحمة، وايتاء الرّحمة مطلقة مقدّم على صيرورتها من عنده ، وصيرورة الرّحمة من عند الله مقدّمة على التّعليم، فانّ المراد بالتّعليم ههنا تعليم احكام الكثرة من حيث الدّعوة والتّأدية الى الله، وصيرورة التّعليم لدُنيّاً متأخّرة عن التّعليم المطلق ومقدّمة على تعليم العلم من لدن الله ، وقد ذكر قصّة ملاقاتهما ومخاطباتهما فى المفصّلات [قَالَ لَهُ مُوسَىٰ] بعد الملاقاة واتمام التّحيّة وماجرى بينهما من المخاطبات [هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا] مفعول تعلّمنى اوحال من فاعل اتّبعك اومفعوله اوكليهما اومن فاعل تعلّمنى اومفعوله اوكليهما اومن مرفوع علّمت اوتميز مبيّن لكلمة ما اومبيّن لنسبة اتّبع الى الكاف اومصدر لقوله اتّبعك بتقدير مضاف اى اتّباع رشد اومصدر لقوله تعلّمنى اوعلّمت بتقدير مضاف اى تعليم رشد اومصدر لفعل محذوف حالاً ممّا سبقه اومنقطعاً عمّا قبله دعاء اوتعليلاً اومفعول له حصوليّ اوتحصيليّ محتمل للتّعليل لكلّ من الافعال الثّلاثة، ويحتمل جريان بعض وجوه رشداً بالنّسبة الى قوله قال له على بُعد . والمراد بالرّشد الاهتداء الى تنظيم المعاش وحسن المعاشرة مع النّاس بحيث يؤدّى الى حسن المعاد واستحقاق الاجر من الله ويعبّر عنه بسياسة المدن والاهتداء الى سياسة النّفس وكلّ من كان تحت اليد من القوى والجوارح والاهل والعيال وادخالهم تحت حدود الله ويعبّر عنه بتدبير المنزل والاهتداء الى اصلاح النّفس بتخليتها عن الرّذائل وتحليتها بالخصائل، ويعبّر عنه بتهذيب الاخلاق. وامّا العقائد الحقّة الثّابتة الجازمة فهى وان كانت اصل الرّشد وبدونها لايحصل الرّشد لكن لا يطلق الرّشد عليها فى الغالب وهى كانت حاصلة لموسى (ع) ويعبّر عن الاوّلين بالسّنّة القائمة ، وعن الثّالث بالفريضة العادلة ، وعن الرّابع بالآية المحكمة ، واليها اشير فى الحديث النّبوىّ حيث قال: انّما العلم ثلاثة آية محكمة ، اوفريضة عادلة، اوسنّة قائمة . ولقد اجاد(ع) فى الطّلب حيث تنزّل عن مقامه العالى الى مقام الفقير المحتاج وابرز الطّلب والسّؤال بصورة الاستفهام لا الامر المشترك بين الامر والسّؤال ، وفى حكايته تعليم للعباد وانّ من أراد العلم والارادة كيف ينبغى ان يطلبوا العلم والارادة للعالم والشّيخ وتنبيه على انّ المرء وان كان ذافضائل كثيرة ومراتب عليّة لا ينبغى ان يتأنّف عن التّعلّم بل ينبغى ان يطلب ما افتقده عمّن يعلم انّ المفقود عنده وان كان الّذى عنده المفقود ادون منه ولاينظر الى دنوّرتبته بل يرى نفسه من حيث جهله المفقود ادون منه ومحتاجة اليه فيتضرّع عنده ويتكدّى عليه.

بيان النّيابة للرّسالة والولاية

اعلم ، انّ الانبياء(ع) لهم **مقامات ثلاثة** بحسب نسبتهم الى الخلق : **الاوّل** مقام البشريّة وبه يتعيّشون مثلهم ويأكلون ويشربون ويسعون فى حاجاتهم ويحتاجون فى المعايش الى معاونتهم وهذا الّذى سدّ طريق الخلق عن قبول نبوّتهم وطاعتهم من حيث انّهم يرونهم محتاجين فى المعايش ساعين فى تحصيلها ولايرون منهم مقاماً آخر لاختفائه عن النّظر، ولم يشعروا ايضاً بطريق العلم والبرهان ولابطريق الذّوق والوجدان انّ لهم وراء المرئىّ مقاماً لكون علومهم مقصورة على ما فى هذه الدّار كما قال تعالى؛ ذلك مبلغهم من العلم ،

اندرين سوراخ بنّائى گرفت　　　　در خورسوراخ دانائى گرفت

ولذلك قصروا اوصافهم ومقاماتهم على المرئىّ فقالوا : ان انتم الّا بشرٌ مثلنا ،

انبيا را مثل خود پنداشتند　　　　همسرى با انبيا برداشتند

والثّانى مقام الرّسالة وبه يؤسّسون نظام معاش الخلق بحيث يؤدّى الى صلاح الدّارين ويسنّون حدود الله والعبادات القالبيّة وبحسب هذا المقام كانوا يدعون الخلق عموماً باللّطف والقهر والاختيار والاجبار ويأخذون البيعة منهم على شرائطها المقرّرة عندهم، ويسمّى تلك الدّعوة دعوةً ظاهرةً عامّةً وهذه البيعة بيعة عامّة نبويّة وبعد هذه البيعة يقع اسم الاسلام عليهم، **والثّالث** مقام الولاية وبحسب ذلك المقام كانوا يدعون المستعدّين دون غيرهم الى طريق القلب والسّير الى الله والسّلوك الى الآخرة باللّطف فقط من غير قهرٍ واجبارٍ كما قال تعالى: **لا اكراه فى الدّين** فانّه فى هذه الدّعوة يرتفع الاكراه ولا يتأتّى الاجبار لانّ السّير بها سلوك من طريق القلب الّذى هو مستور عن الانظار ولا يتصوّر فيه الاجبار، وكانوا من هذه الجهة يعلّمونهم احكام القلب ولوازم السّلوك وحدوده بحسب مراتبه وكانوا يأخذون البيعة منهم على شرائطها المقرّرة عندهم ويسمّى تلك الدّعوة والبيعة دعوة خاصّة باطنة وبيعة خاصّة ولويّة، وبعد تلك البيعة يقع اسم الايمان عليهم وفائدة البيعة العامّة والاسلام الدّخول تحت الحدود والاحكام وحفظ الدّماء والاعراض وتصحيح المناكحة والمواريث وغايته قبول الولاية وقبول الدّعوة الباطنة والبيعة الخاصّة، ولمّا كان ذلك يحصل بالانتحال والانقياد لاحكام الشّرع اكتفوا بعد زمن النّبىّ (ص) فى اطلاق اسم الاسلام وجريان احكامه بمحض هذا الانقياد من دون حصوله بالبيعة اوبحصوله بالبيعة الفاسدة مع خلفاء الجور بخلاف الايمان، فانّ ثمرته الارتباط والاتّصال باطناً وبذر ذلك الاتّصال لا يحصل الّا بالبيعة والاتّصال الصّورىّ والعقد بالايمان والعهد باللّسان واخذ الميثاق وشراء الانفس والاموال ولذلك التزموا فيه البيعة ولم يرضوا عنها باعتقاد الجنان فقط، ومن هذا يظهر سرٌّ من اسرار قعود علىّ (ع) فى بيته وارخاء العنان نحواً من خمس وعشرين سنةً، وهكذا كان حال اولياء الله (ع) وائمّة الهدى الّا انّ مقام الرّسالة كان لهم بحسب الخلافة لا الاصالة، ومقام الولاية كان بالاصالة فقد كانوا يستنيبون فى كلٍّ من المقامين اوفى كليهما وكانت سلسلة النّيابة جارية بعد الغيبة الكبرى الى زماننا هذا وقد سمّى النّوّاب فى مقام الرّسالة بمشايخ اجازة الرّواية، والنّوّاب فى مقام الولاية بمشايخ اجازة الارشاد، والجامعون بين النّيابتين بكلا الاسمين، ويسمّى الاوّلان بالنّوّاب الخاصّة كما يسمّى غيرهم ممّن نصبوه لامامة الجماعة اولجمع الاموال اوغير ذلك بهذا الاسم، ويسمّى الثّالث بالنّوّاب العامّة لعموم نيابتهم فى كلّ مايرجع الى الامام وقد كانت سلسلة اجازة الرّواية فى مشايخها منضبطة متّصلة من زمن المعصومين (ع) الى زماننا هذا، وكذا سلسلة اجازة الارشاد كانت منضبطة متّصلة من الخاتم (ص) بل من زمن آدم (ع) الى زماننا هذا؛ فمن ادّعى الفتيا او الارشاد من غير اجازةٍ من المأذون فى الاجازة من المعصوم (ع) فقد أخطأ وغوى وأغوى، ومن أفتى اوأرشد بالاجازة فانّ مدادهم افضل من دماء الشّهداء. وشأن مشايخ الرّواية رضوان الله عليهم تعليم العباد عبادات القالب وسياسة البلاد كالحدود والمواريث وآداب المعاملات والمناكحات ونظرهم الى الكثرات ومراتبها واعطاء كلّ ذىحقٍّ حقّه من اللّطف والقهر والاعطاء والمنع ولذلك يسمّون بالعلماء لانّ العلم بوجهٍ هو ادراك مراتب الكثرات وحقوقها، وشأن مشايخ الارشاد تعليم احكام القلب والسّلوك الى الله والتّجريد عن الكثرات وعدم الالتفات اليها وتهذيب الاخلاق والاتّصاف بصفات الرّوحانيّين واماتة الغضب والشّهوة ولذلك يسمّون بالحلماء؛ لانّهم اماتوا الغضب ورضوا بقضاء الله، وشأن مشايخ الاجازتين الجمع بين الحقّين وحفظ مراتب الكثرة مع التّمكّن فى مقام الوحدة، والدّعوة الى الوحدة مع الابقاء فى الكثرة والتّصرّف فى النّفوس بجذبها الى الوحدة مع توسعتها فى الكثرة وخلاصتها حفظ جميع المراتب كماينبغى ولذلك يسمّون بالحكماء. وقد اشير الى الثّلاثة فيماروى عن السّيّد السّجّاد (ع) انّه قال: لو يعلم النّاس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللّجج؛ انّ الله تبارك وتعالى اوحى الى دانيال (ع) انّ امقت عبيدى الىّ الجاهل المستخفّ بحقّ اهل العلم التّارك للاقتداء بهم، وانّ احبّ عبيدى الىّ التّقىّ الطّالب للثّواب

الجزيل الّلازم للعلماء التّابع للحلماء القابل عن الحكماء ، والمقصود ملازمة العالم من حيث علمه ومتابعة الحليم من حيث حلمه والقبول عن الحكيم من حيث حكمته ، سواء كانت الاوصاف حاصلة لشخص واحد او كان كلّ فى شخص. **اذا تمهّد هذا فنقول :** انّ الحكيم قد اغناه الله بعلمه عن علم غيره ولا حاجة له الى الرّجوع الى غيره ، وامّا العالم الّذى هو شيخ الرّواية فهو غنىّ عن غيره من جهة علم الكثرات ، وامّا من جهة احكام القلب وتهذيب الاخلاق وعلوم الاسرار فهو محتاج الى غيره فاقد لما هو عند غيره فينبغى له ان يرجع الى الحليم الّذى هو شيخ الارشاد ويأخذ ما افتقده عنه ولا ينبغى له التّأنّف عنه وان يرى نفسه افضل من الحليم، كما انّ موسى (ع) فى كمال مرتبة الرّسالة وكونه من اولى العزم وكمال مرتبة علمه بالكثرات رجع الى الخضر (ع) مع انّ مرتبة الخضر (ع) من هذه الجهة كانت ادون من مرتبته وسأل عنه ما كان عنده فى كمال التّواضع والتّضرّع وحفظ الادب وسؤال الاتّباع والقبول مع تأنّف الخضر (ع) عن القبول واستكباره عليه ، وقد اشير فى الاخبار الى انّ الحافظ لمراتب الكثرات وحقوقها افضل واجمع من المستغرق فى التّوحيد واسراره ، وقد ورد ايضاً انّ موسى (ع) كان افضل من الخضر (ع) لذلك وكذلك ينبغى لشيخ الارشاد اذا لم يحصل له مرتبة اجازة الرّواية ان يرجع الى شيخ الرّواية و يتعلّم منه احكام الكثرات ولا يتأنّف عن الرّجوع اليه بل يتواضع عنده ويتذلّل لديه ويسأل احكام الشّريعة عنه، وينبغى لكلّ ان يأمر اتباعه بالرّجوع الى الآخر فيما عنده حتّى يقع الوداد بين العباد ويرتفع النّزاع والعناد ويستحقّوا الرّحمة والفضل من ربّ العباد وهكذا كان حالهم فى زمن الائمّة (ع) وبعده الى مدّة من الغيبة الكبرى . ثمّ لمّا طال الغيبة واختلط الامّة واختفى المشايخ واشتبه الحال على المتسمّين بالشّيعة وتوسّلوا بعلوم العامّة وصوفيّتهم وحصّلوا علم الشّريعة وآداب الطّريقة لاغراض نفسانيّة واعراض دنيويّة وتشبّهوا بالمحقّين من مشايخ الشّيعة وقع التّحاسد والتّباغض والنّزاع والخلاف بينهم وطعن كلّ فى طريق الآخر وكفّر بعض بعضاً وتفل بعض فى وجوه بعض وماهذا الّا لاهواء كاسدة واغراض فاسدة ، اعاذنا الله وجميع المؤمنين من شرّه فى الدّنيا وتبعته فى الآخرة [قَالَ] الخضر (ع) تتميماً لعزمه وتثبيتاً لقدمه وتكميلاً لتضرّعه واستعداده وتمهيداً لاخذ الميثاق الاكيد عنه [إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا] لانّى وكلت بامر لاتطيقه ووكلت انت بعلم لا اطيقه كما فى الخبر وذلك لانّ موسى (ع) وكّل بعلم الكثرة وحفظ المراتب والنّظر الى الظّواهر وحفظ الحقوق وايصالها الى اهلها واجراء احكام القالب وحدوده، وذلك امر عظيم قلّما يتحمّله الاولياء (ع) الّا من اجتباه الله للرّسالة واستكمله فى مقام الكثرة مع كماله فى التّوحيد كموسى (ع) وان كان غير مطّلع على بعض اسرار التّوحيد وغرائبه ، والخضر (ع) وكّل بامر الولاية واسرارها وغرائب التّوحيد ومن كان حافظاً لاوضاع الشّريعة واحكام الكثرة غير محيط بغرائب الولاية والتّوحيد لا يمكنه تحمّل مايظهر من الغرائب من صاحب الاسرار مخالفاً لاوضاع الكثرة واحكام الشّريعة، وفى الخبر كان موسى (ع) اعلم من الخضر (ع) وفى خبر آخر ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر (ع) الرّتبة على موسى (ع) وهو افضل من الخضر (ع) وكأنّه كان عالماً بانّ موسى (ع) لايصير مستكملاً فى الجهتين ولذا اتى بكلمة لن المشعرة بالتّأبيد وقال [وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ] موسى (ع) متضرّعا اليه خارجاً من انانيّته متوسّلاً بمشيّة الله تعالى [سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا] فلمّا تضرّع عليه وتوسّل بالمشيّة واعطى الميثاق من نفسه بعدم العصيان قبله وشرط عليه ان لايسأل عن شيء صدر منه وينتظر الاخبار منه من غير استخبار، وفى حكايته تعليم وتنبيه على طريق المتابعة والارادة بترك الانانيّة والاعتراض والسّؤال وان كان ما يراه مخالفاً لظاهر الشّريعة .

[الجزء السّادس عشر]

[قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا] وذلك لانّه اراد تربيته وتكميله بأسرار الولاية وتعليمه آداب السّلوك و كيفيّة التّربية فقبل ذلك الشّرط موسى(ع) لكنّه ما وفى به لثقل ما رآه من الغرائب الّتى كانت مخالفة للشّريعة [فَانْطَلَقَا] طالبين للسّفينة [حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا] تثنية الضّمير مع كونهم ثلاثة لكون يوشع (ع) تابعاً و كونهما مقصودين بالحكاية [قَالَ] موسى (ع) [أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا] استنكر فعله وانكر عليه نسياناً للشّرط الّذى كان بينهما لعظم مارأى منه فانّه كان ينكر الظّلم ولا يتحمّل مشاهدته [لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا] اى منكراً عجيباً [قَالَ] الخضر (ع) تنبيهاً على خلفه وقلّة صبره وتحمّله وتذكيراً لوعده [أَلَمْ أَقُلْ] اسقط كلمة لك ههنا تخفيفاً للعتاب اوّل مرّة [إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا] فتذكّر موسى (ع) عهده بعدم السّؤال وخلفه لوعده واعتذر عن خلفه وسأل القبول وعدم المفارقة و [قَالَ] سائلاً متضرّعاً [لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ] لفظة ما موصولة او موصوفة او مصدريّة وعلى الاوّلين فالمعنى لا تؤاخذنى على العهد المنسىّ [وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا] ولا تغشّنى من متابعتى اونسيانى اومخالفتى عسراً لا يمكننى معه المتابعة ، نقل عن النّبىّ (ص) انّ الاولى من موسى (ع) كانت نسياناً ؛ وفيه تنبيه على طريق التّربية وتعليم لكيفيّة السّلوك لانّ السّالك فى اوّل الامر لابدّ له من تخريب سفينة البدن والنّفس حتّى يتخلّص من سلطان ابليس ويأمن من غصبه [فَانْطَلَقَا] بعد الخروج من البحر فى البرّ [حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا] يلعب بين الصّبيان حسن الوجه كأنّه قطعة قمر وفى اذنيه درّتان فنظر اليه الخضر (ع) فأخذه من غير تروّ واستكشاف حال [فَقَتَلَهُ] فوثب موسى (ع) لما اخذته الغيرة لأنّه رأى منه ما استنكره غاية الاستنكار ورأى منه ما يعدّه فى ظاهر الشّريعة غاية الظّلم وانّ صاحبه مستحقّ للقتل وكأنّه اخذ البغض فى الله الاختيار منه فوثب مضطرّاً وأخذ الخضر (ع) وجلد به الارض ولذلك قال النّبىّ (ص) كانت الاولى منه نسياناً [قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ] بغير قتل نفس ولا يستحقّ الصّبىّ القتل فى شرع [لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا] النّكر ابلغ فى الاستنكار من الامر قال الخضر (ع) انّ العقول لاتحكم على امر الله بل امر الله يحكم عليها فسلّم لما ترى منّى واصبر عليه فقد كنت علمت انّك لن تستطيع معى صبراً ؛ و [قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ] موسى (ع) بعد التّنبّه بانّ غيرته لم تكن فى محلّها وانّ فعله هذا لاعذر له وانّه لاطاقة له على تحمّل مايرى من الخضر (ع) [إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا] اعترف بالتّقصير واستحيى عن سؤال المصاحبة بعد ماوقع منه ، نقل عن النّبىّ (ص): رحم الله اخى موسى (ع) استحيى فقال ذلك، لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب العجائب، وروى عنه (ص) ايضاً: وددنا انّ موسى (ع) كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما ، وفيه تعليم وتنبيه على انّ السّالك بعد تخريب سفينة البدن ينبغى ان يقتل الغلام المتولّد من آدم الرّوح وحوّاء النّفس الّذى يتولّد فى اوّل تعلّق الرّوح الانسانيّة بالنّفس الحيوانيّة وهو الّذى شأنه التّدبير واستعمال الحيل فى الوصول الى المآرب الحيوانيّة والاهوية الكاسدة النّفسانيّة ويعبّر عنه تارةً بالشّيطنة ، وتارةً بالخيال، وتارةً بالوهم لاستعمال الشّيطان له واستعماله الخيال والوهم فى استنباط الحيل واستعمالها، ولو لم يقتل هذا الغلام لافسد فى الارض واهلك الحرث والنّسل وافسد ابويه، ولو قتل ابدلهما الله

ربّهما غلام القلب الّذى اذا بلغ اشدّه آتاه الله العلم والحكم واصلح فى الارض وكان أقرب رحماً لابويه [فَانْطَلَقَا حَتّٰى اَتَيٰا اَهْلَ قَرْيَةٍ] هى النّاصرة واليها تنسب النّصارى وكانوا الايضيّفون احداً قطّ ولا يطعمون غريباً [اسْتَطْعَمٰا اَهْلَهٰا فَأَبَوْا اَنْ يُضَيِّفُوهُمٰا] وكانا جائعين [فَوَجَدٰا فِيهٰا جِدٰارًا يُرِيدُ] يشرف [اَنْ يَنْقَضَّ] ينشقّ [فَاَقٰامَهُ] بوضع يده عليه وقوله: قم باذن الله، وفيه تعليم وتنبيه على انّه ينبغى فى آخر السّلوك اقامة جدار البدن واصلاحه حتّى يستتمّ كمال النّفس باصلاحه والتّعبير فى الاوّل بالسّفينة وفى الآخر بالجدار للاشعار بانّ البدن فى اوّل السّلوك كالسّفينة المملوّة من كلّ متاع وفى آخره كالجدار المجرّدة عن متاع النّفس [قٰالَ] موسى (ع) [لَوْشِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا] يعنى لم ينبغ ان تقيم الجدار حتّى يطعمونا ويأوونا، وهذا السّؤال وان لم يكن مثل سابقيه لكنّه لمّا عهد مع الخضر (ع) ان لا يصاحبه ان سأله [قٰالَ هٰذٰا فِرٰاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ] اى الفراق الّذى كان معهوداً بينى وبينك اوفراق فى بينى وبينك [سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مٰا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] اى بارجاعه الى امر حقّ اوبحقيقته [اَمَّا السَّفِينَةُ فَكٰانَتْ لِمَسٰاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ] ويتعيّشون بها [فَأَرَدْتُ اَنْ اَعِيبَهٰا وَكٰانَ وَرٰاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ] اى صالحة وقد قرئ كلّ سفينة صالحة [غَصْبًا] وقد فسّر وراءهم فى الخبر بامامهم، وان كان المراد خلفهم فالمعنى انّ خلفهم ملكاً يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً، وهذه السّفينة اذا رجعت اليه صالحة يأخذها غصباً، ونظم المعنى يقتضى تقديم قوله وكان وراءهم الى الآخر على قوله فأردت ان اعيبها الى الآخر لانّ ارادة العيب مسبّبة عن اخذ الملك كلّ سفينة غصباً وعن كون ارباب تلك السّفينة مساكين لكنّه وسّطه بين جزئى السّبب اشعاراً بانّ الاهتمام فى ارادة العيب بحفظ معيشة المساكين والتّرحّم عليهم لا برفع الظّلم ومنع الظّالم، وبعبارة اخرى كان الجزء المهتمّ به فى تلك الارادة من جزئى السّبب هو الحبّ فى الله لا البغض فى الله، وبعبارة اخرى كان داعيه الى تلك الارادة هو الرّحمة لا الغضب [وَاَمَّا الْغُلٰامُ فَكٰانَ اَبَوٰاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينٰا اَنْ يُرْهِقَهُمٰا طُغْيٰانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنٰا اَنْ يُبْدِلَهُمٰا رَبُّهُمٰا خَيْرًا مِنْهُ زَكٰوةً] طهارة من الكفر والشّرك والذّنوب، اونموّاً فانّ غلام القلب اطهر وانمى من غلام الشّيطنة [وَاَقْرَبَ رُحْمًا] رحمة وعطفاً على والديه، اوهو مأخوذ من الرّحم بالكسر والسّكون والرّحم بفتح الرّاء وكسر الحاء بمعنى القرابة وهذا اوفق بالمعنى اذ القرب بالقرابة اقرب منه بالرّحمة، روى انّهما ابدلا بالغلام المقتول ابنة فولد منها سبعون نبيّاً [وَاَمَّا الْجِدٰارُ فَكٰانَ لِغُلٰامَيْنِ يَتِيمَيْنِ] وهما تأويلاً قوّتا القلب العلّامة والعمّالة فانّ القلب بعد تولّده يحصل له قوّتان باحديهما يتصرّف فى كثرات عالمه الصّغير على وفق حكم العقل، وبالاخرى يتوجّه الى العقل ويأخذ ماهو صلاحه من العلوم والمكاشفات بحسب نفسه اوبحسب عالمه، وبعبارة اخرى يصير ذا جهتين؛ جهة الوحدة وجهة الكثرة ويتمهما عبارة عن عدم اتّصالهما بابيهما العقل، اوعدم اتّصالهما الى ابيهما المرشد المعلّم، وببقاء جدار البدن يستخرجان ماهو المكمون تحته من كنز الجامعيّة بين التّنزيه والتّشبيه والتّسبيح والتّحميد وهو مقام الجمع الّذى هو قرّة عيون السّلاك وللاشارة الى جهة التّأويل ورد اخبار مختلفة كثيرة فى تفسير الكنز بأنّه لم يكن من ذهب ولا فضّة، وفى بعضها كان: لا آله الّا الله، محمّد (ص) رسول الله؛ وبعده بعض كلمات النّصح والوعظ، وفى بعضها بسم الله الرّحمن الرّحيم وبعده بعض الكلمات النّاصحة، وفى بعضها الجمع بين التّسمية والتّهليل ورسالة محمّد (ص) وبعده كلمات النّصح، وفى بعضها الاقتصار على التّهليل فقط وبعده الكلمات النّاصحة، وبعد اعتبار جهة التّأويل يرتفع الاختلاف عن الكلّ ويتّحد المقصود

من مختلفها [فِي الْمَدِينَةِ] اى النّاصرة [وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ اَبُوهُمَا صَالِحًا] وصلاح ابيهما صار سبباً لمراعاتهما واقامة جدارهما وحفظ كنزهما، فانّ الله ليحفظ ولد المؤمن الف سنة كما فى الخبر وانّ الغلامين كان بينهما وبين ابويهما سبعمائة سنة ، وفى الخبر انّ الله ليصلح بصلاح الرّجل المؤمن من ولده وولد ولده ويحفظه فى دُويرته ودويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله [فَأَرَادَ رَبُّكَ اَنْ يَبْلُغَا اَشُدَّهُمَا] قوّتهما قيل: هو مابين ثمانى عشرة سنةً الى ثلاثين وهو مفرد على بناء الجمع نادر النّظير، او جمعٌ لاواحد له من لفظه، اوواحده شِدّ بالكسر اوشَدّ بالفتح لكنّهما غير مسموعين بهذا المعنى، ومعنى الجمع اوفق بالمقصود لانّه اريد به قوّة جميع القوى البدنيّة والنّفسانيّة [وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ] اى مارأيت من العجائب اوما رأيت من اقامة الجدار [عَنْ اَمْرِى] ورأيى .

مراتب السّلوك اعلم ، انّ مقصود الخضر (ع) كان من اظهار تلك الغرائب ظاهراً و اجرائها باطناً تعليم موسى (ع) طريق التّكميل، وتكميله من جهة حاجته الى التّعليم وان كان موسى (ع) من جهة الرّسالة ومراقبة احكام الكثرة وحفظ مراتبها افضل واكمل من الخضر (ع) كما مرّ لكنّه كان محتاجاً الى تعليم الخضر (ع) طريق التّكميل فى جهة الوحدة والسّلوك الى الله، ولمّا كان السّالك فى اوّل مراتب سلوكه وهو السّير من الخلق الى الحقّ محتاجاً الى خراب البدن واضمحلال القوى النّفسانيّة حتّى يتخلّص من سلطان الشّيطان وغصبه ويسلّم للقوى العقليّة الّتى هى فى اوّل الامر مساكين عاجزون عن اكتساب مايحتاجون اليه اظهر عليه السّلام تخريب السّفينة تنبيهاً وتعليماً وتكميلاً ، واسباب تخريب البدن وكسر قوى النّفس غير محصورة ولاضبط لها ولاميزان بل تكون اختياريّةً كانواع الرّياضات والسّياحات والعبادات ، وتكون اضطراريّة كانواع البلايا والامتحانات الّتى يوردها الله على السّالك بحسب مايقتضيه حكمته بل نقول : دخول السّالك فى السّلوك وقبول الشّيخ ايّاه والتّوبة على يده و تلقينه الذّكر بشروطه اوّل كسر قوى النّفس واوّل مراتب جهاده ومقاتلته مع قوى النّفس واوّل قدرة الانسان على الجهاد والغلبة و يحصل له بامداد الشّيخ الغلبة مرّةً بعد اخرى حتّى يحصل له السّلطنة والحكم ، والسّالك فى تلك المرتبة من السّلوك كافر محض بالكفر الشّهوديّ حيث لايرى الله مجرّداً ولا فى مظاهره حالاً اومتّحداً معها ؛ والشّيخ ينبغى ان يتنزّل عن مقامه العالى الى هذا المقام ويخاطب السّالك مطابقاً لحاله مشعراً بكفره واستتار الحقّ عنه ولذلك قال الخضر (ع) فى اوّل الامر امّا السّفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها ، بنسبة الفعل الى نفسه استقلالاً واظهاراً لانانيّته من غير اشارة الى شراكة اوتسبيب من الله ، ولمّا كان كلّ ما ينسبه السّالك الى نفسه وكلّ ما يراه من انانيّته نقصاً وشرّاً وعيباً ابرز الفعل المنسوب الى انانيّته بلفظ العيب تنبيهاً على انّ السّالك ينبغى ان لايرى الّا عيب فعله فى ذلك المقام وان كان خيراً فقال ان اعيبها ولم يقل ان استخلصها من الغصب اواسلّمها لاربابها، ولايرى السّالك حينئذ الّا طريق[1] الاعتزال ويرى نفسه مختارة والحقّ معزولاً . فاذا انتهى سفره هذا وابتدء السّفر الثّانى وهو السّير من الحقّ والخلق الى الحقّ وبعده من الحقّ الى الحقّ ينبغى ان يقتل ويمحو الشّيطنة الّتى هى رئيس تمام القوى النّفسانيّة والجنود الشّيطانيّة حتّى يتولّد طفل القلب ويطهر بيت الصّدر وينزل الاملاك فيه ويعمروا بيت القلب ويطهّروه لدخول ربّ البيت فيه ، وفى هذا السّفر منازل كثيرة جدّاً بحسب تجلّيه تعالى بأسمائه على السّالك مفردةً اومنضمّةً ، وفى هذا السّفر يظهر عليه جميع العقائد الباطلة وينحرف الى جميع المذاهب المختلفة من الثّنويّة و الابليسيّة و الوثنيّة والصّابئيّة والجنّيّة والملكيّة و الغلوّ والنّصب

(١) ـ من انتساب الافعال الى العبد بنحو التّفويض لعدم رؤيته حينئذ غير نفسه حتّى يداخله فى فعله .

والاعتزال والجبر والتّوسّط بينهما والحلول والاتّحاد والوحدة والاباحة والالحاد ونفى الحشر واثبات المعاد وانكار النّبوّة واثباتها بحسب تجلّياته المختلفة باسمائه المختلفة المتضادّة بحيث يرى كلّ هذه لولم يكن عناية شيخ عليه حقّه وجميع المذاهب نشأت من هذا السّير من حيث انّه لم يكن سلاكه تحت امر شيخ يربّيه، ويظهر بطلان الباطل عليه؛ فانّه قد يظهر عليه عالم النّور والظّلمة ويراهما متصرّفين فى عالم الطّبع فيحسب انّ للعالم مبدئين النّور والظّلمة، وقد يرى فى العالمين حاكمين يتصرّف فيهما وفى عالم الطّبع فيحسب انّ المبدء يزدان واهريمن، وقد يرى العالمين وحاكمهما مستقلّين غير معلول احدهما للآخر فيظنّ انّهما قديمان، وقد يرى عالم الظّلمة وحاكمه معلولين للنّور وحاكمه فيحسب انّ احدهما قديم والآخر حادث، وقد يتجلّى تعالى شأنه على بعض المظاهر كالاملاك والافلاك والفلكيّات والعناصر والعنصريّات والابالسة والجنّة باسم الآلهة فيظنّ انّه مستحقّ للعبادة وقد يتجلّى ببعض اسمائه على السّالك اوعلى غيره بحيث يراه حالاً فيه فيعتقد الحلول، وقد يعتقد فى هذا التّجلّى الجبر حين يرى الفعل منه تعالى جارياً عليه، وقد يتجلّى كذلك بحيث يرتفع الاثنينيّة فيعتقد الاتّحاد وقد يعتقد فى هذا التّجلّى التّوسّط بين الجبر والتّفويض، وقد يتجلّى عليه اوعلى غيره بحيث لايبقى شعور من السّالك بغيره تعالى وان كان باقياً عليه بعدُ شيءٌ من البشريّة فيظهر منه حينئذ الشّطحيّات مثل: سبحانى ما اعظم شانى، وليس فى جبّتى سوى الله، وانا الحقّ؛ وامثال ذلك، وقد يعتقد السّالك الغلوّ فى كلّ من تلك التّجلّيات الثّلاثة، ولعلّ قوله تعالى: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم كان اشارة الى الثّالث من تلك المقامات، لانّه تعالى لم يشر الى بقاء نفسيّة لهم فى العبارة، وقد يتجلّى باسم الواحد عليه وعلى ما سواه فيمحو المراتب والتّعيّنات عن نظر السّالك فيعتقد الوحدة ويتولّد منه الاباحة والالحاد والزّندقة وانكار الرّسالة وانكار المبدء والمعاد وسقوط العبادات ولايخلو السّالك فى هذا السّفر عن الشّرك الوجودىّ ورؤية الانانيّة من نفسه مع شهود الحقّ مجرّداً اوفى المظاهر، وايضاً قلّما ينفكّ عن الخشية وان كان قد زال عنه الخوف لانّه جاوز السّفر الاوّل؛ والخوف من لوازمه، وللاشارة الى هذا السّفر والاشراك والخشية اللّازمين فيه قال فخشينا تشريكاً فى الانانيّة حيث تنزّل الى هذا المقام مداراةً مع موسى (ع) وموافقةً له، والخشية وان لم يصحّ نسبتها الى الله تعالى منفرداً لكن تشريكه تعالى فى الانانيّة مع كون نسبتها الى احدهما صحيح، وايضاً الخشية حالة حاصلة عن التّرحّم والخوف(١)، وبعبارة اخرى حالة ممتزجة من لذّة الوصال والم الفراق والفوات، ونسبتها اليهما باعتبار جزئيها صحيحة ولرؤية الارادة من نفسه ومن الله قال فأردنا بالتّشريك، ونهاية هذا السّفر نهاية الفقر وبداية الغنى كما اشير اليه بقوله: الفقر اذاتمّ هو الله، وفى تلك الحالة ان بقى عليه شيءٌ من بقايا نفسه وبقايا البشريّة يظهر منه الشّطحيّات كما سبق، وبعد هذا السّفر السّفر بالحقّ فى الحقّ، و فى هذا السّفر لايبقى عين من السّالك ولا اثرٌ فلايكون منه ومن سفره خبر، ولذا لم يظهر الخضر (ع) منه شيئاً ولم يخبر عنه بشيء، وبعد هذا السّفر السّفر بالحقّ فى الخلق، وهو آخر مقامات السّالكين ونهاية سير السّائرين وبحسب السّعة والضّيق والتّمكّن والتّلوّن فى تلك المقامات يتفاضل السّلاك والاولياء والرّسل (ع)، وهذا السّفر هو البقاء فى فناء والبقاء بالله، وفيه شهود جمال الوحدة فى مظاهر الكثرات، وفيه حفظ الوحدة فى عين لحاظ الكثرة، وحفظ المراتب وحدودها فى عين شهود الوحدة، وجمال الحقّ الاوّل، وفى هذا السّفر لا يبقى الانانيّة الّا لله الواحد القهّار، ولا يرى السّالك فعلاً وصفةً وحولاً وقوّةً الّا من الله وبالله فيقول عن شهود وتحقيق: لا اله الّا الله، ولاحول ولاقوّة الّا بالله، وهو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن، وهو بكلّ شيءٍ عليمٌ، وهو بكلّ شيءٍ محيطٌ، ولامؤثّر

---

(١) فينسب ترحّم والوصال الى الله والخوف والفراق الى العبد فانّ جهة العبديّة ليست الّا الخوف والفراق والجهة الآلهيّة ليست الّا التّرحّم والوصال فلايظهر الوصال الّا برفع جهة العبديّة.

فى الوجود الّاالله ، وفى هذا المقام صدر عن بعض الكاملين ماظاهره وحدة الوجود الممنوعة مثل، سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها، فانّه بتجلّيه الفعلىّ عين كلّ ذيحقيقة وحقيقته فالمعنى وهو بفعله الّذى هو المشيّة حقيقة كلّ ذيحقيقة ، ومثل قول الشّاعر بالفارسيّة :

غيرتش غير در جهان نگذاشت زان سبب عين جمله اشيا شد

فانّ الغيرة من صفاته الفعليّة وهى من اسماء المشيّة يعنى انّ غيرته الّتى هى فعله صارت حقيقة كلّ ذيحقيقة ومثل: ليس فى الدّار غيره ديّار؛ ومثل قوله :

كه يكى هست وهيچ نيست جزاو وحده لا اله الّا هو

وغير ذلك ممّا قالوه بالعربيّة والفارسيّة نثراً ونظماً ممّا يوهم الوحدة الباطلة فانّها كلّها صحيحة كما اشير الى صحّتها ان كان صدورها عن صاحب هذا المقام، وان كان صدورها عن صاحب السّفر الثّانى كانت من جملة الشّطحيّات كما سبق، ولعلّ قوله تعالى: وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى باثبات نفسيّة للرّسول (ص) ونفى الفعل عنه واثباته له كان اشارة الى هذا المقام . ولمّا حصل مقصوده (ع) من تعليم الخضر (ع) وانتهى سفره الى هذا السّفر واستكمل سيره فى المراتب الممكنة للانسان ولم يبق ممّا يستحقّه بحسب الاستعداد شيءٌ، قال الخضر (ع) : هذا فراق بينى و بينك ، ولمّا لم يبق فى نظر شهوده الّا الله و تجلّى له باسمه الجامع على كلّ شيءٍ وفيءٍ ولم ير فعلاً وحولاً وقوّة الّا من الله تعالى تبرّء الخضر (ع) حينئذٍ موافقاً لحال موسى (ع) من انانيّته ونسب الفعل مطابقاً لشهود موسى (ع) الى الله وحده فقال فاراد ربّك ان يبلغا اشدّهما وما فعلته عن أمرى ، وفيما روى عن الصّادق (ع) اشارة اجماليّة الى جميع ما ذكر لانّه قال فى قوله فأردت ان اعيبها فنسب الارادة فى هذا الفعل الى نفسه لعلّه ذكر التّعييب لانّه اراد ان يعيبها عند الملك اذا شاهدها فلا يغصب المساكين عليها واراد الله عزّوجلّ صلاحهم بما امره به من ذلك فذكر فى علّة التّفرّد بالانانيّة التّعييب هناك واشار (ع) فى الفقرة الثّانيه الى الوجه الآخر الّذى هو احتجاب الله عن نظره فى هذا المقام حيث قال فى قوله : فخشينا ان يرهقهما انّما اشترك فى الانانيّة لانّه خشى والله لا يخشى لانّه لا يفوته شيءٌ ولا يمتنع عليه أمرٌ اراده وانّما خشى الخضر (ع) من ان يحال بينه وما أمره به فلا يدرك ثواب الامضاء فيه ووقع فى نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوى الغلام فعمل فيه وسط الامر من البشريّة مثل ما كان عمل فى موسى (ع) لانّه صار فى الوقت مخبراً و كليم الله موسى (ع) مخبراً ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر (ع) الرّتبة على موسى (ع) وهو افضل من الخضر (ع) بل كان لاستحقاق موسى (ع) للتّبيين لانّ قوله (ع) : لانّه خشى والله لا يخشى: وان كان بظاهره لا يناسب الاشتراك فى الانانيّة لكنّه بضميمة قوله ووقع فى نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوى الغلام مع قوله (ع) فعمل فيه وسط الامر من البشريّة يصير مناسباً للاشتراك فى الانانيّة ، فانّ معناه انّ الخشية بتمام اجزائها لا يصحّ نسبتها الى الله لكنّها باعتبار جزءها الّذى هو الرّحمة يصحّ نسبتها اليه تعالى، وقوله فعمل فيه وسط الامر اشارة الى وسط حال الانسان من مشاهدة نفسه ومشاهدة الله ، وكذا قوله: وقع فى نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوى الغلام ، يدلّ على مشاهدة الله وتسبيبه، وقوله : مثل ما كان عمل فى موسى (ع) يشير الى انّ الخضر (ع) تصرّف فى موسى (ع) ورفع درجته عن مقام الاحتجاب الى مقام شهود الله وشهود الواسطة ، وقوله : لانّه صار فى الوقت مخبراً، تعليل لتصرّف الخضر (ع) فى موسى (ع) مع انّه كان انقص منه ؛ والمعنى انّ الخضر (ع) صار فى وقت اتّباع موسى (ع) مخبراً ومعلّماً لما لاعلم لموسى (ع) به وموسى (ع) صار تابعاً ومتعلّماً وتصرّف الخضر (ع) كان من هذه الجهة ، ولا ينا فى ذلك اكمليّة موسى (ع) من جهةٍ اخرى ولذا قال: ولم يكن ذلك باستحقاقٍ للخضر (ع) الرّتبة على موسى (ع) والّا فمحض المخبريّة والمخبريّة تقتضى الرّتبة للمخبر على المخبر بوجهٍ ، وقال (ع) فى

قوله : فأراد ربّك فتبرّء من الانانيّة فى آخر القصص ونسب الارادة كلّها الى الله تعالى ذكره فى ذلك لانّه لم يكن بقى شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى(ع) به مخبراً ومصغياً الى كلامه تابعاً له فتجرّد من الانانيّة والارادة تجرّد العبد المخلص ثمّ صار متنصّلاً ممّا اتاه من نسبة الانانيّة فى اوّل القصّة ومن ادّعاء الاشتراك فى ثانى القصّة فقال رحمةً من ربّك وما فعلته عن أمرى فقوله (ع) لانّه لم يكن بقى شيء ممّا فعله فيخبر به يعنى لم يكن بقى شيء ممّا فعله فيخبر به حتّى يحتاج الى وساطته ويراه واسطة بل تجرّد نظره الى الله واستغنى عن الواسطة وفى قوله ويصير موسى (ع) به مخبراً ومصغياً الى كلامه تابعاً له ، اشارة الى انّه استغنى عن الشّيخ والواسطة واستكمل فى جهة نقصه وتعلّم مايحتاج الى تعلّمه [ذٰلِكَ] المذكور من بيان حكمة كلّ ممّا رأيته [تَـأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] اى حقيقته وحكمته فانّ التّأويل كثيراً ما يستعمل فيما يؤل اليه اوارجاع ما لم تسطع الى حقيقة صحيحة وحكمة مقتضية من مصدره وغايته، واسقط التّاء من لم تسطع ههنا اشعاراً بظهور نقصان طاقته عن الصّبر عليه ولم يسقط التّاء عمّا سبق من قوله لن تستطيع فى الموارد وقوله سأنبّئك بتأويل ما لم تستطع لعدم ظهور نقصان الاستطاعة بعد على موسى (ع) بل كان مدّعياً للاستطاعة كماروى عنه (ع) انّه قال بل استطيع [وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ] ورد فى سبب نزوله ماسبق فى سبب نزول قصّة اصحاب الكهف، وورد انّه سأله (ص) نفر من اليهود عن طائف طاف المشرق والمغرب .

اعلم ، انّ المسمّى بذى القرنين كان اثنين اكبر واصغر وكلاهما ملكا فى الارض وانّ ذا القرنين الاكبر هو الّذى كان عبداً صالحاً نبيّاً اوغير نبىّ وهو الّذى طاف المشرق والمغرب وبنى سدّ يأجوج ومأجوج، وهو كان غلاماً من اهل الرّوم وكان ابن عجوز فقيرة وهبه الله تعالى الملك والسّلطنة، وورد انّه سمّى بذى القرنين لانّه بعث فى قومه فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الايمن فاماته الله اوغاب عنهم على اختلاف الرّوايات خمسمائة عام اومائة عام اومدّة على اختلاف الرّوايات ايضاً ، ثمّ بعثه الله فدعا الى الله فضربوه على قرنه الايسر فاماته اوغاب عنهم فى المدّة المذكورة، ثمّ بعثه الله تعالى فملك المشرق والمغرب، وورد ايضاً انّه عوّضه الله فى مكان الضّربتين على رأسه قرنين اجوفين وجعل عزّ ملكه وآية نبوّته فى قرنيه، ثمّ رفعه الله الى السّماء الدّنيا فكشط له عن الارض كلّها جبالها وسهولها وفجاجها حتّى ابصر ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كلّ شيء سبباً فعرف به الحقّ والباطل وايّده فى قرنيه بكسف من السّماء فيه ظلمات ورعد وبرق، ثمّ اهبطه الى الارض واوحى اليه سر فى ناحية غربىّ الارض وشرقيّها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فارهبتهم منك وذلك قول الله تعالى انّا مكنّا له فى الارض ، وورد ايضاً انّه رأى فى المنام كأنّه دنا من الشّمس حتّى اخذ بقرنيها فى شرقها وغربها فلمّا قصّ رؤياه على قومه وعرفهم سمّوه ذا القرنين فدعاهم الى الله فأسلموا ، وذكر فى التّواريخ انّه لمّا طاف المشرق والمغرب سمّى ذا القرنين . وقيل: انّه لمّا كان كريم الطّرفين اباً واماً سمّى ذا القرنين، وقيل: كان له ضفيرتان من طرفى رأسه ولذلك سمّى ذا القرنين، وقيل : كانت صفحتا رأسه من صفر اومن نحاس اومن حديد اومن ذهب ولذلك سمّى ذا القرنين . وقد اختلف الاخبار فى نبوّته وعدمها واسمه كان عبدالله بن الضحّاك ولقبه كان عيّاشاً، واختلاف الاخبار فى باب قرنيه ونبوّته يشعر بالتّأويل خصوصاً ماذكر فى الاخبار من قولهم (ع) : وفيكم مثله مشيرين الى انفسهم؛ فانّه كلّما ذكر لشخص فى العالم الكبير فهو جار فيه فى نوعه، وكلّما كان فى العالم الكبير شخصاً اونوعاً فهو جار فى العالم الصّغير ،وقد اختلف الاخبار والتّواريخ فى زمان ظهوره فانّه ذكر انّه كان بعد زمان نوح (ع)، وذكر انّه كان معاصراً لابراهيم (ع)، وذكر انّه كان بعد عيسى (ع) [قُلْ سَأَتْلُوعَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا] اى مايتذكّر به وهو قوله تعالى [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ]

مشرقها ومغربها [وَاٰتَيْنٰاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا] وعلّة من علله بها تمكّن تمكّناً تامّاً من الوصول اليه والتّصرّف فيه والتّسلّط عليه فانّ الاشياء الكونيّة كلّها مسبّبات عن الموجودات العلويّة من الاشباح المثاليّة والارواح المجرّدة ولكلّ بحسب المراتب الطّوليّة علل واسباب عديدة بها يمكن الوصول اليه والتّصرّف فيه والتّسلّط عليه، وقد ورد انّه رفع الى السّماء فكشط له عن الارض وهو كناية عن اتّصاله بالملكوت، وعالم الملكوت اسباب قريبة لما فى الملك فأعطى من كلّ شيء سببه وعلّته ولذلك سهل عليه السّير فى شرق الارض وغربها والتّسلّط على سهلها وجبلها [فَاَتْبَعَ سَبَبًا] من الاسباب الّتى اوتى يعنى ادرك من الملكوت سبب المغرب وعلّة وجوده وتوسّل بتلك العلّة الى السّير اليه [حَتّٰى اِذٰا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ] اى الجانب الّذى يلى المغرب من الرّبع المسكون تنزيلاً ومقام الطّبع من عالم الكون والملكوت السّفلىّ من العالم الّتى هى دار الشّياطين والجنّة ومقام الاشقياء والاشرار فانّ الكامل يتنزّل تارةً الى عالم الطّبع والملكوت السّفلى حتّى يشاهد دقائقهما ويستجمع كمالاتهما ويصعد اخرى وقوله [وَجَدَهٰا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ] ذات الطّين الاسود، يشير الى التّأويل؛ فانّ شمس الرّوح والعقل غروبهما فى عين الطّبع الحمئة الّتى اختلط ماء الوجود فيها بحمأة المادّة ولوازمها من الحدود والتّعيّنات والاعدام فى العالم الصّغير والكبير وفى عين الملكوت السّفلى الّتى ماؤها اقلّ وحمأتها اكثر، وامّا غروب الشّمس المحسوس فانّه ليس الّا بالتّجاوز عن دائرة الافق، وماقيل فى بيانه من احتمال انّه بلغ ساحل البحر المحيط فلم يكن فى مطمح نظره الّا الماء فرآها تغرب فى الماء، لايناسب التّعبير بالغروب فى العين الحمئة بل يناسبه التّعبير بالغروب فى الماء اوفى البحر وامّا عالم الطّبع وماتحته فيناسبه التّعبير عنه بالعين الحمئة لاختفاء ماء الوجود تحت حمأة المادّة ولوازمها فيه . وما روى عن سيّدنا ومولانا امير المؤمنين (ع) من قوله فى عين حامية فى بحر دون المدينة الّتى ممّا يلى المغرب يعنى جابلقا، ناظرٌ الى التّأويل فانّ البحر الّذى دون جابلقا هو عالم الطّبع فانّ جابلقا هو عالم المثال الهابط وهو المدينة الّتى تلى المغرب ودونه عالم الطّبع ودون عالم الطّبع عالم الجنّة والشّياطين المعبّر عنه بالملكوت السّفلى، ولفظ الحامية امّا من الحمأة بمعنى الحمئة اومن الحمى بمعنى الحارّة وهكذا قوله (ع) لمّا انتهى مع الشّمس الى العين الحامية وجدها تغرب فيها ومعها سبعون الف ملك يجرّونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرّونها فى قعر البحر فى قطر الارض الايمن كما تجرى السّفينة على ظهر الماء، ناظرٌ الى التّأويل، والمراد بقطر الارض الايمن عالم الطّبع فانّه ايمن بالنّسبة الى عالم الجنّة، او المراد به عالم المثال العلوىّ فانّه كثيراً مايعبّر عنه بالارض [وَوَجَدَ عِنْدَهٰا] عند العين الحمئة [قَوْمًا] نكّر القوم ولم يصفه بوصف كما فى قرينتيه تحقيراً لهم كأنّهم لغاية حقارتهم ونكارتهم لايمكن توصيفهم وتعيينهم بوجه [قُلْنٰا يٰا ذَا الْقَرْنَيْنِ] هذا الخطاب يدلّ على نبوّته اذ شأن الانبياء (ع) ان يخاطبوا بخطاب الله الّا ان يقال : انّ الله خاطبه على لسان نبىّ وقته [اِمّٰا اَنْ تُعَذِّبَ] بسبب كفرهم وبعدهم بالقتل والاسر والنّهب وسائر انواع التّعذيب [وَاِمّٰا اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا] بتعليم الشّرائع واصلاح المفاسد ووضع السّياسات الشّرعيّة فيهم والعفو عن مسيئهم، وان مع صلته مبتدءٌ والخبر محذوف اى امّا تعذيبك كائن فيهم او اتّخاذك الحسن فيهم [قٰالَ] بعد تخيير الله تعالى ايّاه مجيباً له بما فيه خروج عن الظّلم وعمل بالعدل كما هو شأن الانبياء (ع) [اَمّٰا مَنْ ظَلَمَ] على نفسه بالاصرار على كفره بعد دعوته اوعلى الغير بعدم قبول السّياسات والخروج من تحت الحدود الالهيّة [فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ] بمايليق بحاله من القتل وقطع الاطراف والاسر والنّهب والاستعباد [ثُمَّ يُرَدُّ اِلٰى رَبِّهِ]

بعدالموت [فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً] منكراً لم يعهد مثله [وَاَمّا مَنْ اٰمَنَ] بقبول الدّعوة وترك ظلم نفسه [وَعَمِلَ صالِحاً] بأخذ الحدود والاحكام الشّرعيّة وعدم التّجاوز عنها بعد الايمان حتّى لايصير ظالماً على نفسه ولاعلى غيره [فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنىٰ] من ربّه ، قرئ جزاءً بالنّصب والتّنوين على ان يكون الحسنى مبتدءً وله خبراً له ، وجزاءً حالاً اوتميزاً اومفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، وقرئ جزاءٌ مرفوعاً منوّناً على ان يكون مبتدءً والحسنى بدله، وقرئ جزاءُ الحسنى بالرّفع والاضافة واعرابه ظاهر ، وقرئ جزاءَ الحسنى بالنّصب من غير تنوين على ان يكون سقوط التّنوين بالتقاء السّاكنين لابالاضافة ويكون مثل صورة التّنوين بحسب الاعراب ، اوعلى ان يكون سقوط التّنوين بالاضافة ويكون مفعولاً مطلقاً للخبر المحذوف اى له جزاء جزاء الحسنى وقدّم تعذيبه فى القرينة الاولى على تعذيب الله لكون تعذيب الله مختصّاً بالآخرة كما صرّح به وكون مرتبته بعد مرتبة تعذيبه فى الدّنيا ، وقدّم جزاء الرّبّ فى القرينة الثّانية على جزاء نفسه للاشعار بعموم جزاء الرّبّ للدّنيا والآخرة ، ولو اخّر لاوهم اختصاصه بالآخرة مثل قرينته [وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ اَمْرِنا] فى الخراج وفى وضع السّياسات [يُسْراً] اى امراً سهلاً يسهل تحمّله [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً] وعلّة من علل جانب المشرق من الرّبع المسكون اومن العالم تمكّن منها من الوصول اليه والتّسلّط على اهله والتّصرّف فيهم [حَتّىٰ اِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ] من الرّبع المسكون اومن العالم [وَجَدَها تَطْلُعُ عَلىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً] قد ورد فى تنزيله انّهم لم يعلموا صنعة البيوت ولاصنعة الثّياب ، وعن علىّ (ع) انّه ورد على قوم قد احرقتهم الشّمس وغيّرت اجسادهم والوانهم حتّى صيّرتهم كالظّلمة، لكنّ الآية تشعر بالتّأويل لانّه قال حتّى اذا بلغ مطلع الشّمس ولم يقل حتّى اذا بلغ المشرق فانّ المشرق وان كان بمعنى المطلع لغةً لكنّه فى العرف اختصّ باوّل بلاد يشرق الشّمس عليها اوّلاً من الرّبع المسكون، اوببلاد واقعة فى طرف المشرق من الرّبع المسكون بخلاف مطلع الشّمس فانّه على معناه اللّغوىّ وبمعناه اللّغوىّ كلّ اجزاء الارض مطلع ومغرب باعتبارين ، وكذا قوله: وجدها تطلع على قوم دون ان يقول وجد فيه قوماً اوعنده قوماً، فانّ فيه اشعاراً بانّ البالغ مطلع الشّمس يكون نظره الى الشّمس وطلوعها بخلاف البالغ مغرب الشّمس فانّه وان كان ناظراً الى الشّمس وغروبها لكنّه لتراكم الكثرات واختفاء ضوء الشّمس يقع نظره على الكثرات استقلالاً ، ولعلّه أراد بالقوم المجذوبين الفانين فى الله الّذين لم يبق عليهم من التّعيّنات الكونيّة الّتى هى بمنزلة اللّباس والسّاتر من اشعّة الشّمس الحقيقيّة شيءٌ، وللاشارة الى كون بقائهم وتعيّنهم ووجودهم ببقاء الله وتعيّنه ووجوده قال : لم نجعل لهم من دونها ستراً كما ورد فى القدسىّ، انّ اوليائى تحت قبابى لايعرفهم غيرى [كَذٰلِكَ] صفة لستر اى ستراً مثل ذلك السّتر يعنى لم نجعل لهم قبل ذلك السّتر، اوحال من الشّمس اى وجدها حالكونها مثل ذلك ، اوتطلع حالكونها مثل ذلك المذكور ممّن عند الشّمس بان لم نجعل لها من دونها ستراً من غيم التّعيّنات والحدود وغبرة الاهواء والكثرات، اوحال من فاعل وجدها اى حالكون ذى القرنين كذلك اى مثل من كان عند الشّمس غير مستور بستر غير الشّمس، اوخبر مبتدءٍ محذوف جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ عن حال ذى القرنين ، اوعن حال الشّمس ، اوعن حال القوم على سبيل الاعجاب كأنّه قيل: على سبيل الاستعجاب والاستغراب؛ الم يكن لهم ستر غير الشّمس؟ـ فأجاب تأكيداً بقوله: حالهم كذلك، اوالتّقدير: امره كماذكر [وَقَدْ اَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً] علماً، يعنى انّ ذاالقرنين ومن عنده حين البلوغ الى مطلع الشّمس واحوالهم ومالهم من الاموال فى العالم الصّغير والكبير وان كانوا مختفين عن اهل العالم غير معلومين

لهم لغاية البعد هذا بحسب التّنزيل ولفنائهم عن افعالهم واوصافهم وذواتهم بحسب التّأويل لكنّهم معلومون لنا باقون فى علمنا لم يعزبوا عن علمنا والجملة حاليّة اومستأنفة [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] موصلاً الى ما بين مطلع الشّمس ومغربها [حَتّٰى اِذٰا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ] اى الجبلين الّذين بنى بينهما سدّاً ، سمّاهما باسم السّدّ مجازاً بعلاقة المجاورة، اوسمّاهما سدّين لكونهما حاجزين من العبور [وَجَدَ مِنْ دُونِهِمٰا] لا من خلفهما [قَوْمًا لاٰيَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا] لبعدهم عن ارباب اللّغات المعروفة وقلّة فطانتهم بحيث لايفقهون المقصود الاخروىّ من الكلام لعدم توجّههم الى الآخرة وعدم سلوكهم اليها ، بل علومهم كانت محصورة على عمارة الدّنيا لكنّهم كانوا مستعدّين للتّفطّن والاصلاح ملقين السّمع للتّسليم والانقياد ولذا لم يقل تعالى: امّا ان تعذّب او تتّخذ فيهم حسناً وقالوا تسليماً هل نجعل لك خرجاً [قٰالُوا يٰا ذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ] هما بحسب التّنزيل قبيلتان من ولد يافث بن نوح (ع) كما قيل، وقيل: يأجوج من التّرك ومأجوج من الجيل، وروى انّ جميع التّرك والسّقالب ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث بن نوح (ع) حيث كانوا ، وامّا بحسب التّأويل فالمراد بيأجوج ومأجوج الشّياطين والجنّة ، اوصنفان منهم فى العالم الكبير وما تولّد منهما من القوى والجنود فى العالم الصّغير وهما خلف البرزخ فى العالم الكبير وخلف السّدّ الّذى يبنيه خلفاءالله بالتّلقين والتّعليم فى العالم الصّغير، واشتقاقهما من اجّ اذا اسرع، اومن اجّ النّار اذا اشتعل النّار، وهو يشعر بالتّأويل فانّ الشّياطين والجنّة خلقوا من النّار وهم مسرعون فى الفساد ، وعلى هذا كان منع صرفهما للعلميّة والتّأنيث وان كانا عجميّين فللعجمة والعلميّة، وماورد فى الاخبار من بيان حالهما وجثّتهما وكيفيّة نقبهما للسّدّ وخروجهما من خلف السّدّ واكلهما النّاس وشربهما للانهار المشرقيّة والبحيرة الطّبريّة وكثرتهما وطول بقائهما وكثرة ماتناسلوا تماماً يدلّ على التّأويل ، وامّا سدّ يأجوج ومأجوج فى وجه الارض فلم ينقل احد من المورّخين على التّحقيق كيف هو؟ واين هو؟ وماحال يأجوج ومأجوج؟ وماحال من دون السّدّ؟ ولعلّه غار فى الماء اوغاب عن الانظار حتّى انمحى خبره عن الاخبار واثره عن الآثار والّا لما انمحى خبره ؛ وما ذكر من التّواريخ اخبار تقريبىّ وذكر تخمينىّ [مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] يعنى فى ارضنا بالقتل و النّهب ، و ورد انّهم كانوا يأكلون النّاس وكانوا يرعون فى الزّروع والثّمار ويأكلون المأكولات ويحملون غير المأكولات [فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا] نؤدّيه اليك التمسوا منه قبول الخراج [عَلٰى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنٰا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا] يمنعهم عن الخروج علينا ولعلّه كان خروجهم من طريق واحد لايمكنهم الخروج من غيره كما اشعر به قوله بين السّدّين [قٰالَ] تيسيراً عليهم وترحّماً [مٰا مَكَّنّى فيهِ رَبّى خَيْرٌ] ممّا تجعلون لى من الخراج فلاحاجة لى الى الخراج [فَأَعينُونى بِقُوَّةٍ] يعنى لاحاجة لى الى اموالكم لكن امدّونى بقوّتكم ومقدوركم من العملة والآلات وما يحتاج اليه بناء السّدّ [اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا] وهو اعظم من السّدّ اجابهم باعظم من مسؤلهم [آتُونى زُبَرَ الْحَديدِ] الزّبرة القطعة العظيمة والجملة بدل تفصيلىّ من قوله اعينونى [حَتّٰى اِذٰا سٰاوٰى] يعنى فآتوه زبر الحديد حتّى اذا ساوى ذوالقرنين اوالحديد [بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ] قرئ الصّدفين بالتّحريك وبضمّتين وبضمّ الاوّل وسكون الدّال والمقصود منهما جانبا الجبلين [قٰالَ] للعملة [انْفُخُوا] فى المنافيخ [حَتّٰى اِذٰا جَعَلَهُ نٰارًا] كالنّار باحمائه [قٰالَ آتُونى اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] قطراً متنازع فيه لكلا الفعلين، والقطر النّحاس روى عن مولانا ومقتدانا امير المؤمنين (ع) انّه قال: فاحتفروا له جبل حديد فقلعوا له امثال اللّبن فطرح بعضه على بعض فيما بين الصّدفين، وكان ذوالقرنين هو اوّل

من بنى ردماً على وجه الارض ثمّ جعل عليه الحطب والهب فيه النّار ووضع عليه المنافيخ فنفخوا عليه قال فلمّا اذاب قال آتونى بقطر فاحتفروله جبلاً من مسّ فطرحوه على الحديد فذاب معه واختلط به [فَمَا اسْطَاعُوا] بحذف تاء الاستفعال اشعاراً بنفى القدرة الضّعيفة فضلاً عن القويّة [اَنْ يَظْهَرُوهُ] لملاسته وغاية ارتفاعه، ولعلّهم كانوا كالبهائم لم يتفطّنوا صنعة الدّرج اوجمع التّراب خلف السّدّ بحيث يستوى التّراب مع السّدّ فانّهم مع كثرتهم لو تفطّنوا به سهل عليهم ذلك وكان الجبلان محيطين بهم من اطرافهم اومنتهيين الى البحر بحيث لايمكنهم العبور من نواحيهما وكان ارتفاع الجبلين كالسّدّ فى الملاسة والارتفاع من غير سفح ولم يعلموا صنعة النّقب اولايمكنهم لانّ ذاالقرنين حضر الارض حتّى بلغ الماء فبنى السّدّ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا] لصلابته [قَالَ] ذوالقرنين [هٰذَا] السّدّ اوالاقتدار على تسويته [رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى] بقيام السّاعة اوبخراب الدّنيا، وان كان المراد بوعد الرّبّ قيام السّاعة فالمعنى اذا قرب مجيء وعد ربّى [جَعَلَهُ دَكًّا] مدكوكاً مسوّىً بالارض، وقرئ دكّاء بالمدّ [وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا] لاتخلّف فيه، نقل انّه اذا كان قبل يوم القيامة فى آخر الزّمان انهدم ذلك السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج الى الدّنيا وأكلوا النّاس وهوقوله حتّى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدب ينسلون، وعن الصّادق (ع) ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه الف ولد ذكر ثمّ قال: هم اكثر خلق خلقوا بعد الملائكة، وعن النّبىّ (ص) انّه عدّ من الآيات الّتى تكون قبل السّاعة خروج يأجوج ومأجوج، وعنه (ص) انّه سئل عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج امّة ومأجوج امّة، وكلّ امّة اربعمائة امّة؛ لايموت الرّجل منهم حتّى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السّلاح، قيل: يارسول الله (ص) صفهم لنا، قال: هم ثلاثة اصناف؛ صنف منهم امثال الارز[1] قيل: يارسول الله (ص) وما الارز؟ـ قال: شجر بالشّام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواءٌ، وهؤلآء الّذين لايقوم لهم جبل ولاحديد، وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى ولايمرّون بفيل ولاوحش ولاجمل ولاخنزير الّا اكلوه، مقدّمتهم بالشّام وساقتهم بخراسان، يشربون انهار المشرق وبحيرة الطّبريّة، وورد ايضاً انّهم يدأبون فى حفر السّدّ نهارهم حتّى اذا امسوا وكانوا يبصرون شعاع الشّمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولايستثنون، فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتّى اذا جاء وعدالله قالوا: غداً نفتح ونخرج ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على النّاس فيشربون المياه و يتحصّن النّاس فى حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السّماء فترجع وفيها كهيئة الدّماء فيقولون: قد قهرنا اهل الارض وعلونا أهل السّماء، فيبعث الله عليهم بقعاً فى اقفائهم فتدخل فى اذانهم فيهلكون بها، وعن الصّادق (ع) فى قوله عزّوجلّ اجعل بينكم وبينهم ردماً قال التّقيّة فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً، قال اذا عملت بالتّقيّة لم يقدروا لك على حيلة وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين اعداء الله سدّاً لا يستطيعون له نقباً فاذا جاء وعد ربّى جعله دكّاً قال: رفع التّقيّة عند الكشف فانتقم من اعداء الله، وهذه الاخبار كما ترى على التّأويل ادلّ منها على التّنزيل خصوصاً الخبر الاخير فانّه صريح فى التّأويل [وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ] يعنى يوم اتمام السّدّ خلف السّدّ يموجون يختلطون لايقدرون على الخروج اويوم دكّ السّدّ والخروج يموجون على وجه الارض لاسراعهم الى القتل والنّهب اويوم القيامة كمانسب الى مولانا امير المؤمنين (ع)، والتّأدية بالماضى على الاوّل ظاهر وعلى الثّانيين لتحقّق وقوعه اولوقوعه بالنّسبة الى محمّد (ص) [وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا] اى يأجوج ومأجوج ومن دون

---

(١) الارز بفتح الهمزة وضمّها وسكون الرّاء المهملة شجر الصّنوبر اوشجر السّرو.

السدّاو يأجوج ومأجوج فقط [وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً الَّذِينَ كانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي] اى عن تذكّرى حين رؤية المصنوعات الّتى يتذكّر بها .

اعلم ، انّ الذّكر ههنا بمعنى ما يتذكّر به وبهذا المعنى جملة المصنوعات ذكر الله وبحسب اختلاف التّذكّر بها يختلف المصنوعات فى اطلاق الذّكر عليها قوّة وضعفاً ولذا سمّى بعضها ذكراً دون بعض كالقرآن والرّسول (ص) والامام (ع) ، ولفظ اللّسان وذكر الجنان والسّكينة القلبيّة والصّلوة ، والمقصود انّ الكافرين هم الّذين كانت اعينهم القلبيّة فى غطاء من الاهواء والآمال وسائر صفات النّفس عمّا يتذكّر به الله من حيث انّه ذكر الله وان كانت اعينهم الظّاهرة مشاهدة للمصنوعات كالقرآن والرّسول (ص) والامام (ع) مثلاً ، ولمّا كان علىّ (ع) بعلويّته حقيقة ذكر الله تعالى فسّروه بعلىّ (ع) وولايته؛ فعن الرّضا (ع) انّ غطاء العين لا يمنع من الذّكر والذّكر لا يرى بالعين ولكنّ الله عزّ وجلّ شبّه الكافرين بولاية علىّ (ع) بن ابى طالب بالعميان لانّهم كانوا يستثقلون قول النّبىّ (ص) فيه ولا يستطيعون له سمعاً ، وعن الصّادق (ع) فى هذه الآية يعنى بالذّكر ولاية امير المؤمنين (ع) قال: كانوا لا يستطيعون اذا ذكر علىّ (ع) عندهم ان يسمعوا ذكره لشدّة بغض له (ع) وعداوة منهم له (ع) ولاهل بيته (ع) [وَكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً] اى لا يقدرون على التّقليد والانقياد، والمقصود انّ الكفّار ليس لهم قلب حتّى يمكنهم التّحقيق به والشّهود لعلىّ (ع) من حيث كونه ذكراً ولا يلقون السّمع والانقياد حتّى يكونوا من اهل التّسليم والسّلامة كما اشار الى المقامين بقوله تعالى : لمن كان له قلب او القى السّمع وهو شهيد [اَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية علىّ (ع) [اَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي] من دون اذنى [اَوْلِياءَ] او ان يتّخذوا عبادى حال كونهم من دونى اى مغايرين لى اولياء يعنى افحسبوا ان يتّخذوا معاوية وليّاً من دون علىّ (ع) او من دون اذنى او مغايرين لى غير متّصلين بى هكذا فسّرت الآية فى الاخبار ولا ينا فى ذلك تعميم الآية فى كلّ كافر وفى كلّ متّخذ وليّاً او معبوداً من دون اذن من الله فى ولايته او فى تولّيه [اِنّا اَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ] بولاية علىّ (ع) [نُزُلاً] منزلاً او مهيّأً لهم تشريفاً فانّ النّزل ما يتهيّؤ للضّيف النّازل تشريفاً له [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمالاً] خسران الرّجل ضلاله ، وخسران التّجارة المبايعة بنقصان البضاعة او الغبن فى المعاملة، وخسران العمل ضياعه وبطلانه بلا ثمر ، فالخاسر العمل من لا يترتّب على عمله فائدته المقصودة منه ولا يبقى من عمله اثر ينفعه، والاخسر من كان يترقّب بعمله خيراً كثيراً ويتعب نفسه فيه ثمّ لم يترتّب على عمله مأموله او ترتّب عليه ضدّ مأموله .

اعلم ، انّ الانسان من حيث مقام نفسه واقع بين العالمين قابل لتصرّف الجنّ والشّياطين فيه ولتصرّف الملائكة والارواح الطّيّبة ، وكلّما يفعله فى هذا المقام يكون امّا بحكومة حكّام الله او بحكومة حكّام الشّيطان لانّه فى هذا المقام محكوم صرف لا حكومة له فى نفسه ولا فى غيره ولذا فسّر قوله تعالى : ومن لم يحكم بما انزل الله بمن حكم بغير ما انزل الله لانّه لا يكون خالياً عن حكم ما البتّة ، واذا لم يحكم بما انزل الله يكون حاكماً فى حكم ما بغير ما انزل الله، وكلّما يفعله بحكومة الشّيطان يكون ضائعاً خاسراً لكنّه اذا تنبّه بان فعله بحكومة الشّيطان وانزجر من فعله ولام نفسه او تردّد فى انّ فعله من حكومة الله او حكومة الشّيطان او كان غافلاً عن الحكومتين فى فعله كان خاسراً ولم يكن اخسر عملاً ، لانّه لم يبطل استعداده لمراتب الطاف الله من الغفران والعفو والصّفح والتّكفير وتبديل السّيّئات حسنات، واذا لم يتنبّه بذلك بل اعتقد انّ فعله بحكومة الله وانّ له عليه اجراً يكون اخسر، لانّه ضلّ عمله وهو يحسب انّ عمله مدّخر له وابطل بذلك استعداده لتدارك الطاف الله بجهله المركّب الّذى عدّه علماء الاخلاق من

الدّاءالّذى لادواء له، وقدفسّر الاخسرين فى الآية باهل الكتاب وبكل ّمن ابتدع رأياً وهويرى انّه حسن، وباهل الشّبهات والاهواء من اهل القبلة وباهل البدع منهم وباهل حروراء، ولا ينا فى ذلك تعميم الآية لكلّ من يفعل بحكومة الشّيطان وهويرى انّه حسن بل يستفاد التّعميم من اختلاف التّفسير وللاشارة الى التّعميم فسّره بقوله [اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فى الحيوة الدّنيا ظرف لسعيهم اولضلّ اولكليهما على سبيل التّنازع، ولمّا كان كلّما يفعله الانسان بحكومة الشّيطان متوجّهاً الى الدّنيا وضائعاً فيها وان كان الشّيطان يظهر فى بادى الامر على الفاعل وجهة اخرويّة صحّ تعليق الظّرف بكلّ من السّعى والضّلال [وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا] وذلك الحسبان جهل مركّب وخسران ٌ فوق كلّ خسران لايمكن تداركه كمامرّ [اُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰاتِ رَبِّهِمْ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة لتفضيح حالهم ولاحضارهم بما وصفوا به، وتعريف المسند لافادة الحصر والمراد بالآيات الاوصياء(ع) بل المراد بالكفر بالآيات الكفر بعلىّ (ع) فانّ الكفر به كفر بتمام الآيات وقد فسّر فى الاخبار بذلك [وَلِقٰائِهِ] قد سبق مراراً انّه ان كان المراد بالرّبّ ربّ الارباب فالمراد باللّقاء لقاء حسابه اوحُسّابه، وان كان المراد بالرّبّ الرّبّ المضاف فالمراد باللّقاء لقاء وجه الرّبّ لكن وجهه الملكوتىّ الّذى يسمّونه فى الطّريق بالفكر والحضور والسّكينة [فَحَبِطَتْ اَعْمٰالُهُمْ] الّتى عملوها محتسبين انّ لهم عليها اجراً [فَلٰا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا] يعنى لانفسهم قدراً وزنةً، روى عن النّبىّ (ص) انّه ليأتى الرّجل السّمين يوم القيامة لايزن جناح بعوضةٍ،اوالمعنى لانقيم لاعمالهم يوم القيامة ميزاناً لانّه لايبقى عمل خيرلهم يوزن [ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ جَهَنَّمُ] ذلك مبتدء اوخبر اومفعول لمحذوف، وجزاؤهم جهنّم جملة مستأنفة،اوذلك مبتدء اشارة الى الحسبان والحبط،جزاؤهم جهنّم خبره والعائد محذوف اى ذلك الحسبان جزاؤهم به جهنّم،اوذلك مبتدءٌ وجزاؤهم خبره، وجهنّم بدل من ذلك نحو بدل الاشتمال اى ذلك وعدم القدر جزاؤهم بل جهنّم جزاؤهم على ان يكون فيه معنى الاضراب والتّرقّى،اوذلك مبتدء وجزاؤهم بدله وجهنّم خبره [بِمٰا كَفَرُوا] اى كفروا باٰياتى بقرينة مابعده [وَاتَّخَذُوا اٰيٰاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا] المراد بالآيات الاوصياء(ع) كماورد عنهم والمراد بالكفر الكفر بهم وقوله حبطت اشارة الى خسران العمل وجزاؤهم جهنّم اشارة الى اخسريّته لترتّب ضدّ مأمولهم عليه [اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات طبق ما شرط عليهم فى البيعة الخاصّة [كٰانَتْ لَهُمْ جَنّٰاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا] والفردوس اعلى درجات الجنان وورد انّ هذه نزلت فى ابى ذرّ (ره) والمقداد (ره) وسلمان الفارسىّ (ره) وعمّار بن ياسر (ره) جعل الله عزّوجلّ لهم جنّات الفردوس نزلًا اى مأوى ومنزلاً، والنّزل المنزل وما يهيّأ للضّيف ان ينزّل عليه تشريفاً [خٰالِدِينَ فِيهٰا لٰا يَبْغُونَ عَنْهٰا حِوَلًا] حيث لا درجة اعلى منها يرغبون عنها فى اعلى منها [قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰادًا لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّى] الآية جارية بحسب الظّاهر على طريق المخاطبات العرفيّة حين المبالغة فى امر من وضع قضايا فرضيّة وتعليق الحكم عليها يعنى انّ كلمات الرّبّ من الكثرة وعدم النّهاية بمرتبةٍ لوفرض انّ جميع بحار الارض اوجنس بحار الارض كان مداداً لها لما وفى بها مثل قوله تعالى: لو انّ ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحرٍ مانفدت كلمات الله، لكن لمّا كانت مفروضات الله

تعالى شأنه مبتنية على حقائق عينيّة بحسب الواقع وان كانت تترائى فرضيّة بحسب الانظار الحسيّة، فانّه لامجازفة ولااغراق فى كلمات الله وكلمات خلفائه كان المراد بالبحر هو البحر الفاعلىّ الّذى هو المشيّة وقد فسّرت فى قوله تعالى ن، والقلم بهذا البحر، ويكون المراد حينئذ بسبعة ابحر المراتب السّبع الفاعليّة الّتى كلّ بمنزلة المداد بالنّسبة الى ما بعده وهى الملائكة المهيّمون المقرّبون والصّافّات صفّاً والمدبّرات امراً والنّفس الانسانيّة والحيوانيّة والنّباتيّة والطّبع الجماديّة، اوالمراد بسبعة ابحر الابحر القابليّته من مادّة الكلّ والجسم المطلق والعنصر والجماد والنّبات والحيوان والانسان بحسب بشريّته فانّ كلّاً بجهته القابليّة مادّة ومداد لما فوقه، اوالمراد بالبحر البحر القابلىّ الّذى هو مادّة الموادّ وهيولى الهيوليات، والمراد بسبعة ابحر الابحر القابليّات السّتّة المذكورة بجعل بحر الانسان باعتبار نفسه وعقله بحرين، اوالمراد بسبعة ابحر البحار السّبعة الفاعليّات وكلّ ذلك من سعة وجوه القرآن وصحّة حمله على الكلّ [وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا] قرئ بكسر الميم وفتحه من المداد اوالمدد، والمراد بالمثل ان كان المراد بالبحر الفاعليّة المطلقة القابليّة المطلقة، اوالقابليّة المطلقة فالمراد الفاعليّة المطلقة، وان كان المراد بالبحر المشيّة والفاعليّة الاولى فالمثل القابليّة الاولى اوالقابليّة الاولى فالفاعليّة الاولى، ولمّا اوهم امره تعالى له (ص) بان يخبر القوم بانّ كلمات الله غير متناهية انّه احاط بها ولو اجمالاً وليست تلك الاحاطة بقوّة بشريّة بل بشأن آلهىّ وقوّة غير بشريّة امره تعالى شأنه ان يتنزّل الى مقامه البشرىّ ولا يرفع شأنه عمّن ارسل اليهم ليتوهّموا المجانسة ويأنسوا به فقال [قُلْ] لهم [إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] بطريق الحصر يعنى لاشأن لى فى هذا المقام الّا البشريّة والمثليّة معكم لكن خصّنى الله تعالى شأنه بما لم يخصّكم به فانّه [يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] يعنى يوحى الىّ بخلع الانداد وترك الاشراك فى جميع مراتب الاشراك، فانّ توحيد الآلهة يقتضى توحيد الواجب وتوحيد الوجود وهما يقتضيان التّوحيد بحسب العلم والحال والقال وهو يقتضى توحيد العبادة والطّاعة ولذا عطف توحيد العبادة عليه على سبيل التّفريع [فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ] ان كان المراد بالرّبّ ربّ الارباب فالمراد باللّقاء كما فى الاخبار لقاء حسابه وثوابه وحسّابه، وان كان المراد به الرّبّ المضاف وهو الرّبّ فى الولاية فالمراد باللّقاء لقاء ملكوته ثمّ لقاء جبروته، وامّا لقاء ملكه فانّه ليس لقاء حقيقة لانّ مافى هذا العالم من الاجسام والجسمانيّات كلّها فى البعد والغيبة والانفصال، بل الجسم الواحد المتّصل كلّ اجزائه فى غيبة بعضها عن بعض وعن الكلّ ولا شهود ولالقاء حقيقة لشيء من اجزاء الاجسام بخلاف الملكوت فانّ اجزائها كالمرائى يتراءى كلّ فى كلّ ويتّصل كلّ بكلّ نحو اتّصال الصّورة بالمرآة بل اتّصالاً فوقه لايوصف بالكنه، ورجاء الشّيء يقتضى التّوجّه اليه وانتظار وصوله وجمع البال لحصوله [فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا] يعنى فليعمل ما يصدق عليه انّه عمل صالح جليلاً كان اويسيراً وقد مضى انّ صلاح العمل باتّصاله بالولاية وانّ غير المتّصل بالولاية غير صالح كائناً ماكان، والمتّصل صالح كائناً ماكان؛ ولذا ورد عنهم (ع): اذا عرفت فاعمل ماشئت، يعنى من قليل الخير وكثيره، والسّرّ فيه انّ من اتّصل بولىّ الامر وتمسّك بالعروة الوثقى وابتغى الوسيلة الى الله كفاه ظهور ذلك الاتّصال بشيء ما من اعمال جوارحه ويكفيه ذلك الاتّصال فى النّجاة بل فى الارتقاء على مراقى الآخرة، لكن لاينبغى له عدم المبالاة بالاعمال الشّرعيّة والسّنن النّبويّة فانّها حافظة لذلك الاتّصال ومبقية لتلك الوسيلة ولولا الاعمال الشّرعيّة خيف عليه قطع الاتّصال والوسيلة وفى قطعه هلاكته الابديّة، اوالمعنى فليعمل عملاً صالحاً عظيماً لايمكن ان يوصف، على ان يكون التّنوين للتّفخيم وذلك العمل العظيم الصّالح ليس الّا ما هو اصل الصّلاح وصلاح كلّ ذى صلاح وهو الولاية العمليّة الّتى هى البيعة مع صاحب الولاية وقبول الشّروط والمواثيق عنه واخذ بذر الايمان منه وهو الّذى يدخل فى القلب [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا] الاشراك فى العبادة امّا بان يشرك فى نفس العمل كالاشراك فى الوضوء والغسل بان يصبّ الغير الماء على الاعضاء، وكالاشراك فى الصّلوة بالاتّكال فى القيام مثلاً على جدارٍ اوخشبٍ اوانسانٍ ، اوبان يشرك فى باعث العمل فانّ الباعث على العبادة ينبغى ان يكون احدامورٍ ثلاثة ؛ امر الآمر ، اومحبّة المعبود والعشق له، اوطلب لقائه الّذى هو غاية العبادة ونتيجة المحبّة، فاذا اشرك فى شيءٍ من الثّلاثة كان مشركاً فى العبادة، اوبان يشرك فى غاية العبادة فانّ غاية العبادة ينبغى ان تكون ذات المعبود ولقاءه اونفس المحبّة الباعثة ، اوامتثال الامر بل فناء العابد وبقاء المعبود فاذا اشرك فى ذلك غيره مثل الجنان ونعيمها، اواتّقاء النّيران وحميمها ، اومحمدة من النّاس وثناء، اوصيت فى النّاس وشهرة، اومحبّة فى قلوب النّاس، اوحفظ مالٍ وعرضٍ ودمٍ فى النّاس، اوامضاء عادة فانّ ترك العادة يوذى النّفس، اوخروج من عهدة التّكليف وثقله ؛ وغير ذلك ممّا لايحصى من مخفيّات النّفس بل اذا كان المقصود طلب رضاء الرّبّ اوالقرب منه بان يكون الانسان مرضيّاً اومقرّباً كان مشركاً فى العبادة، وامّا الاشراك فى ذات المعبود كاشراك الوثنيّة والصّابئة وعابدى الملائكة والجنّ و ابليس وكاشراك الثّنويّة القائلة بالنّور والظّلمة او يزدان و اهريمن فهو اشراك فى الآلهة، ونفاه تعالى بقوله: انّما الٰهكم الٰه واحد، وامّا الاشراك فى الوجود والشّهود فى العبادة بالالتفات الى غير المعبود ورؤية الغير حين العبادة وان كان نفيه امراً عظيماً والخلوص منه مرتبة شريفة ولايخلو الانسان منه ما لم يكن فانياً صرفاً فهو مطلوب من اهله ، واللّقاء الحقيقىّ لايحصل بدونه ؛ رزقنا الله وجميع المؤمنين الخلوص من هذا الاشراك بمنّه وجوده ومحض احسانه الّذى هدانا به بعد الضّلالة .

هذا ما اردنا تسويده من المجلّد الثّانى من التّفسير المسمّى ببيان السّعادة فى مقامات العبادة والحمدلله اوّلاً وآخراً والشّكر له على ما ألهم كثيراً ، والصّلوة والسّلام على اشرف خلقه محمّدٍ واهل بيته .

فهرست السّور والمطالب